مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي
ESTABLISHED 1988 تأسست
AL-FURQĀN
ISLAMIC HERITAGE FOUNDATION



مفتاح السعادة ومصباح السيادة
في موضوعات العلوم

لأحمد بن مصطفى بن خليل، الشَّهير بطاش كبري زاده (968هـ/ 1561م)

(المجلد 1)

حقّقه وعلّق عليه: أحمد شوقي بنبين، ومحمّد سعيد حنشي، وعبد العالي لمدبّر

مركز دراسات المخطوطات الإسلامية
سلسلة النصوص المحققة

مفتاح السَعادة ومصباح السِيادة
في موضوعات العلوم

لأحمد بن مصطفى بن خليل، الشَّهير بطاش كبري زاده (968هـ/ 1561م)

(المجلّد 1)

حقّقه وعلّق عليه:

أحمد شوقي بنبين، ومحمّد سعيد حنشي، وعبد العالي لمدبّر

مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي
مركز دراسات المخطوطات الإسلامية
سلسلة النصوص المحقّقة

العنوان الأصلي للكتاب: مفتاحُ السّعادة ومصباحُ السِيادة، في موضوعات العلوم/
Miftāḥ al-Saʿāda wa Miṣbāḥ al-Siyyāda fī Mawḍūʿāt al-ʿUlūm (The Key to Happiness and the Lamp of Sovereignty in the Subjects of Science).

الموضوعات: المراجع البيليوغرافية، علم تصنيف العلوم، النصوص المحقّقة، السير والأعلام، تحقيق المخطوطات

الطبعة الأولى: 1445 هـ/ 2024م

ردمك المجموعة: 978-1-78814-564-0
ردمك المجلد 1: 978-1-78814-565-7

طبع في بيروت- لبنان

22A Old Court Place
London W8 4PL, UK
+44 (0) 203 130 1530
info@al-furqan.com
www.al-furqan.com

مفتاح السَعادة ومصباح السِيادة

في موضوعات العلوم

لأحمد بن مصطفى بن خليل، الشَّهير بطاش كبري زاده (968هـ/ 1561م)

(المجلّد 1)

حقّقه وعلّق عليه:

أحمد شوقي بنبين، ومحمّد سعيد حنشي، وعبد العالي لمدبّر

مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي
AL-FURQĀN
ISLAMIC HERITAGE FOUNDATION

مركز دراسات المخطوطات الإسلامية

سلسلة النصوص المحقّقة

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

فهرس مختصر لمحتويات الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمدُ لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيّدنا مُحَمّد، وعلى آله الطّاهرين، وصحابته الغرّ الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدّين، وبعد؛

فإنَّه لشرفٌ كبيرٌ وفخرٌ عظيمٌ أن أرى شطرًا كبيرًا من المشاريع العلمية الَّتي سطَّرناها في مؤسّسة الفرقان للتراث الإسلامي واقعا محقّقًا، لا حلما معلَّقا، وقد أسهم معنا في إنجاز هذه المشاريع ثُلَّةٌ من العلماء الأجلاء، الَّذين شاطرونا رغبة النَّجاح والنَّماء، وقاسمونا أعباء العمل والبناء؛ ومن أبرز المشاريع العلمية الَّتي تفخر المؤسسة بإنجازها في مركز دراسات المخطوطات الإسلامية تحقيقُ نفائس وأعلاق التُّراث العربي الإسلامي، سِيَّما كتب التَّاريخ والتَّراجم والعلوم تحقيقا علميًّا رصينًا. وكان للكتب البيليوغرافية العربية نصيبٌ وافر ضمن هذه النَّشرات النَّقدية، حيث أصدرنا كتاب «**الفهرست**»، لابن إسحاق النَّديم في طبعتين، بتحقيق الأستاذ الفاضل أيمن فؤاد سيد، وكتاب «**كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**»، لحاجي خليفة، بتحقيق الأستاذين الفاضلين أكمل الدين إحسان أوغلى، وبشار عواد معروف.

ويُسعِدنا أنْ نتحف العلماء والباحثين في التُراث الإسلاميّ بنشرة نقدية رصينة من كتاب «**مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة، في موضوعات العلوم**»، لفخر علماء الدَّولة العثمانية، العلّامة أحمد بن مصطفى بن خليل الشَّهير بطاش كبري زاده (ت.968هـ)، بعناية كريمة من الأساتذة الأجلاء أحمد شوقي بنبين، ومحمد سعيد حنشي، وعبد العالي لمدبر، وأعانهم في التنضيد والتصحيح ياسين السالمي.

يعدُّ هذا الكتاب من أهم المصادر البيليوغرافية العربية، وقد برع مؤلِّفه في حسن تصنيفه للعلوم العربية حسب موضوعها، بناء على فكرة التَدرّج من العامِّ إلى الخاصِّ، وأجاد في تفريع العلوم غاية الإجادة، فأحصى فيه عشرين وثلاثمئة علمٍ، وهو عددٌ لم يبلغه أحدٌ قبله، لذلك يعدُّ نموذجا يُحتذى في علم تصنيف العلوم؛ وقد قام مؤلِّفه بالتَّعريف بهذه العلوم، وتحديد تخصُّصها، وذكر مبادئها ومنافعها وأغراضها، وتعدَّى ذلك إلى ذِكْرِ تاريخ نشأة كثير منها وتطوُّرِها، وذكر أهم الكتب المصنَّفة في كلِّ علمٍ، فبدأ بالمطوَّلة، ثم المتوسِّطة، ثم المختصرة ، وذكر شروحها وحواشيها إن وُجدت، وأردف ذلك بذكر تراجم المصنِّفين وسِيَرهم وأخبارهم، وعناوين مصنَّفاتهم الأخرى في سائر العلوم.

ورغم الأهميَّة الكبيرة لهذا الكتاب في تاريخ التُّراث العربي، فإنَّه لم يلق ما هو حقيق به من العناية من لدن العلماء والباحثين، عربًا

ومستشرقين؛ فلم يسبق له أن حُقِّق تحقيقا علميًّا رصينًا، بل صدر في طبعتين تجاريتين مليئتين بالأخطاء والتَّصحيف والتَّحريف، والزِّيادة والنُّقصان، وظلَّت الطَّبعتان عمدة الباحثين في كتبهم ودراساتهم وأبحاثهم ردحًا طويلًا من الزَّمن، إلى أن وجَّه الله سبحانه وتعالى له عنايةَ هؤلاء الفضلاء، فقدَّموا مشروع إعادة تحقيقه إلى مركز دراسات المخطوطات الإسلامية بمؤسسة الفرقان، فوافق عليه المجلس الاستشاري، وبمباركة كريمة من والدي أحمد زكي يماني رحمه الله، لمعرفتهم التَّامة بالمكانة العلمية الكبيرة لهذا الكتاب، وثقتهم في أعضاء اللَّجنة العلمية المشرفة على تحقيقه، بحكم تضلُّعهم من علوم اللُّغة العربية الَّتي هي العمدة والمرجع الأساس في التَّحقيق، وكذا صلتهم الوثيقة بعلوم الكتاب والمكتبات الَّتي تمكِّنهم من التَّتبع الدَّقيق لأسماء المصنِّفين وعناوين المؤلَّفات.

ومن كريم ألطاف الله سبحانه وتعالى بهم، وجزيل منِّه عليهم أن يَسَّرَ لهم الوقوف على معظم الأصول الخطيَّة لكتاب مفتاح السَّعادة المحفوظة بمختلف خزانات الكتب العالميَّة، فقاموا بدراستها وتصنيفها والمقابلة بين أصولها الخطية، هذه العملية الَّتي تعدُّ ضربة لازب في إقامة تاريخ النَّصِّ، كما بذلوا جهدًا مشكورًا في ضبط متن الكتاب وتحقيقه وحسن توثيقه، ووشَّحوه بمجموعة من التَّعليقات النَّافعة، وذيَّلوه بكشَّافاتٍ فنيةٍ

مفصَّلةٍ تُيسِّر الاستفادة منه، وصدَّروا تحقيقهم بدراسة وافية تناولوا فيها السِّيرة الشَّخصية والعلمية لطاش كبري زاده، وعرَّفوا تعريفا وافيا بكتابه «**مفتاح السَّعادة**»، وبيَّنوا قيمته العلمية، ومنهج تصنيفه، وذكروا تأثُّرَهُ بمن سبقه، وأثره فيمن لحقه، وبيَّنوا بعض فوائده ونماذج من بعض أوهامه، وأفاضوا وأجادوا في دراسة نسخه الخطية، وبيان أهميتها وصلتها بمؤلِّفها، وبسطوا خطَّة واضحة لخطوات ومنهج عملهم، وقدَّموا في الأخير نماذج من النُّسخ التي اعتمدوا عليها في التَّحقيق.

ولا يفوتني في نهاية هذا التَّقديم أن أتوجه إليهم بأصدق عبارات الشُّكر والثَّناء على هذا العمل الجليل، الذي سيكون بلا مراء إضافة نوعية إلى رصيد مكتبة التُّراث الإسلامي، منوِّها في الوقت نفسه بكل ما بذلوه فيه من تضحيات وجهود، ومقدِّرًا ما واجههم فيه من أصناف الصُّعوبات والمشكلات في مختلف مراحل إنجازه؛ سائلا المولى عزَّ وجل أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتهم وميزان حسنات والدي الشيخ أحمد زكي يماني، إنَّه سميع مجيب الدعاء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

شرف أحمد زكي يماني

رئيس مجلس الإدارة

مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي

مقدمة

الحمد لله الجواد الأكرم، الَّذي عَلَّمَ بالقلم، عَلَّمَ الإنسان ما لم يعلم، وصلَّى الله على النَّبيِّ الملهم، الَّذي بعثه الله ليكمِّلَ به الدِّين ويُتَمِّمَ به النِّعم، وعلى آله وأصحابه أولي المجد والكرم، وعلى من اهتدى بهديهم والتزم.

وبعد؛

فقد ساقنا الله تعالى إلى خدمة التُّراث العربيِّ بالتَّصنيف والفهرسة والتَّحقيق والتَّأليف منذ ما يزيد على ثلاثين سنة، وكنَّا طوال هذه المدَّة على اتِّصال وثيق بكتب الفهارس والببليوغرافيات، وأدركنا أهمية هذا الصِّنف من التَّأليف في التُّراث الإنسانيِّ عامَّة، وتراثنا العربيِّ بوجه خاصٍّ، ولاحظنا خلال إنجازنا لمجموعة من مشاريعنا العلميَّةِ الأخطاء المعرفيَّةَ والطِّباعية الكثيرة الواردة في هذه المُصَنَّفات، مما يجعل إعادة تحقيقها تحقيقا علميا ضرورة مُلِحَّةً، نظرا لقيمتها العلمية الكبيرة، وتأثيرها المباشر في الدِّراسات والأبحاث المعاصرة.

وقد تنبهت مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي بلندن لهذا الخلل، فعملت على مشروع إعادة تحقيق الكتب الببليوغرافية العربية منذ أكثر من عشرين سنة خلت، وتكلَّفَتْ بإعادة نشر هذه الكتب محققةً على أصولها الخطيَّةِ عبر مشاريع علمية متكاملة يوافق عليها مجلس خبرائها، مع مباركة رئيس مجلس إدارتها معالي الشيخ أحمد زكي يماني رحمه الله، وابنه من

بعده شرف زكي يماني وفَّقَهُ الله، وبفضل هذه المبادرة الطَّيِّبة صدر كتاب **"الفهرست"**، لابن إسحاق النَّديم (ت.380هـ) في طبعتيه الأولى والثَّانية بتحقيق أيمن فؤاد سيد، وكتاب **"كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون"**، لحاجي خليفة (ت.1067هـ)، بتحقيق أكمل الدين إحسان أوغلو، وبشار عواد معروف، وقد لقي هذا المشروع ترحيبا كبيرا في أوساط المثقفين العرب، ولقيت الكتب المحققة إقبالا منقطع النَّظير في معارض الكتب العالمية.

ورغبة منَّا في المشاركة في هذا الفضل، وتتميما لهذا المشروع الكبير، قدَّمنا سنة 2019 مُسَوَّدَةَ مشروع إعادة تحقيق كتاب **"مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة"**، للعالم العثماني الكبير أحمد بن مصطفى بن خليل الشَّهير بطاش كبري زاده (ت.968هـ)، لمؤسسة الفرقان للتُّراث الإسلاميِّ، فتمَّ قبوله بإجماع أعضاء مجلس الخبراء بالمؤسَّسة، وباركه معالي الشَّيخ أحمد زكي يماني رحمه الله في حياته.

وهذا الكتاب الَّذي نسعد اليوم بإعادة تحقيقه يعدُّ من أهم الكتب البيليوغرافية العربية، لم يَجُدِ الزَّمان بثانيه، ولم يأت فرسان الزَّمان بما يدانيه، وقد أَلَّفه عالم فذٌّ جليل ذاع صيته في الآفاق، ووقع على فضله وتقدُّمِه الاتِّفاق، ويعدُّ من أعظم العلماء العثمانيين الَّذين أحبوا اللُّغة العربية وأَلَّفوا بها، وأغنوا خزانة كتبها برصيد مهمٍّ من المصنَّفات في علوم

ومعارف مختلفة، تشمل علوم القرآن والحديث واللُّغة والأدب والفقه وعلم الكلام والفلسفة والطِّب وغيرها.

وكتاب "**مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة**" من أشهر كتبه وأسيرها، ويمثِّلُ مرحلة مهمة من مراحل نضج فكرة نسق بناء العلوم والمعارف الإسلامية وتصنيفها حسب موضوعها، وقد أوردَ **عِلْمَ تَقاسِيمِ الْعُلومِ** ضمن العلوم الَّتي ذكرها في كتابه، وعرَّفه تعريفا دقيقا، وَتَقَيَّدَ بمقتضيات هذا التَّعريف الَّذي يقوم على فكرة التَّدرج من العامِّ إلى الخاصِّ في تصنيف العلوم العربية، فأحصى عشرين وثلاثمئة علم، وعرَّفَها، وحدَّدَ مواضيعها، وذَكَرَ أهميتها وفائدتها والغرض منها، وتعدَّى ذلك إلى ذِكْرِ تاريخ نشأة وتطوُّرِ كثير منها، وحكم الشَّرع في بعضها، وسَرَدَ أهم الكتب المصنَّفة في كلِّ علم على حدة، بما في ذلك مصنَّفات علماء الرُّوم، واعتمد في هذا الباب على مجموعة من المصادر؛ منها: "**رسالة ابن سينا في أقسام العلوم العقلية**" الَّتي صرَّح بتهذيبها وتنقيحها، و"**رسالة في موضوعات العلوم**"، لناصر الدِّين عمر بن عبد الله البيضاوي (ت.685هـ) وكتاب: "**إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد**"، لابن الأكفاني (ت.749هـ)، وكتاب: "**معيد النِّعم ومبيد النِّقم**"، لابن السُّبكي (ت.771هـ)، "**ورسالة في العلوم الشَّرعية والعربية**"، للطف الله بن حسن التَّوْقاتي الرُّومي (ت.904هـ)، ثم ذكر عقيب ذلك تراجم المصنِّفين اعتمادا على معارفه ومحفوظاته الَّتي لَقِفَها من شيوخه، أو شهاداته في بعض معاصريه، أو رجوعا إلى كتب التَّراجم

المتخصِّصة في كلِّ طبقة على حدة؛ ففي طبقات النَّحويين واللُّغويِّين اعتمد على كتاب **"بغية الوعاة في طبقات اللُّغويِّين والنُّحاة"**، للسُّيوطي (ت.911هـ)، وفي طبقات الْقُرَّاء، اعتمد على كتاب **"غاية النِّهاية في طبقات القرَّاء"**، لابن الجزري (ت.833هـ)، واعتمد في طبقات الفقهاء على كتاب **"طبقات الشَّافعية الكبرى"**، لتاج الدِّين ابن السُّبْكي(ت.771هـ)، وكتاب **"تاج التَّراجم"**، لابن قُطْلُوبُغَا (ت.879هـ)، وفي علوم القرآن لخَّصَ كتاب **"الإتقان في علوم القرآن"** للسُّيوطي(ت.911هـ)، وفي الجزء الأخير الخاص بالتَّصفية اعتمد اعتمادا كلِّيًّا على كتاب **"إحياء علوم الدِّينِ"**، للغزالي(ت.505هـ)، وقد ذكرنا المصادر المعرفية لطاش كبري زاده في هذا الكتاب مفصَّلَةً في قسم الدِّراسة.

وقد طُبع كتاب **"مفتاح السَّعادة ومصباح السَّيادة"**، لطاش كبري زاده أول مرة في مطبعة دائرة المعارف النِّظامية بحيدر آباد الدَّكن بالهند سنة 1328هـ/ 1329هـ، بعناية مجموعة من علماء الهند، دون ذكر الأصول الخطيَّة الَّتي اعتمدوا عليها في إخراج الكتاب، لكن هذه الطَّبعة مع ذلك هي أجود طبعة للكتاب من حيث العناية بالنَّصِّ؛ فالأخطاء الواردة فيها أقل بكثير من الطَّبعة المصرية، وقد قدَّمنا في قسم الدِّراسة نماذج من الهنات الواقعة فيها، إلَّا أنَّ ناشريها تأخروا كثيرا في إخراج القسم الثَّالث من الكتاب وهو القسم المتعلِّق بالتَّصفية، فلم ينشروه إلَّا سنة 1356هـ.

وأعيد نشر الكتاب في مصر سنة 1968م، بعناية مَكْتَبِيَّيْنِ معروفين في مصر؛ هما: كامل بكري، وعبد الوهاب أبو النُّور رحمهما الله، اعتمادا على نسخة دار الكتب المصريَّةِ والطَّبعة الهنديَّةِ، وتضم هذه الطَّبعة تقديما جيِّدًا، إلَّا أنَّ عدم العناية بمتن الكتاب وإخراجه من أصوله، ومقابلته بنسخه الصَّحيحة حجبت فضل ناشِرَيْها، والجهد الَّذي بذلاه فيها، فقد وقعا في أخطاء تَجِلُّ عن الحصر، وقد قدمنا في قسم الدِّراسة نماذج من هذه الأخطاء الَّتِي شَوَّهَتْ متن الكتاب، ولـم نشأ أن نطيل في ذلك مراعاة لرحم العلم الَّتي تجمعنا بهما، ورجاء أن تُقال عثارنا نحن أيضا لأننا بشر نخطئ ونصيب.

ونشير في هذا السِّياق إلى أن هذه الطَّبعة بأخطائها هي الَّتي أعيد طبعها مجردة من مقدمتها وبعض هوامشها في دار نشر أخرى، فهي تَبَعٌ لها في هذا الحكم.

هذه الأسباب وغيرها هي الَّتي حَدَتْ بنا إلى إعادة تحقيق هذا الكتاب، على أصوله الخطية الَّتي لها صلة بِمُصَنِّفها، وأول مرحلة وأصعبها في هذا المشروع هي البحث عن النُّسخ الخطيَّة للكتاب في فهارس الخزانات العالميَّةِ، وطلب تصويرها، وقد واجهتنا في إنجاز هذه المرحلة صعوبات كثيرة خصوصا من الجهات الرَّسمية القائمة على حفظ المخطوطات، ولولا أنَّ الله سبحانه وتعالى سَخَّرَ لنا بعض الفضلاء النُّبلاء الَّذِينَ ساعدونا في تيسير مهمتنا ما تيسَّرَ لنا أمر، ولا استقام لنا مَنْسِمٌ؛ كالعالم الجليل

الأصيل أحمد معبد عبد الكريم، والأديب الأريب عبد الحكيم الأنيس، والفاضل النَّبيل عبد العاطي الشَّرقاوي المصري، والأخ الأود المفضال عادل أوعصام، والأستاذة النَّبيلة الأصيلة رشيدة السَّمين، وقد تمكَّنا بفضل الله، ثمّ بمساعدة هؤلاء الفضلاء، من جمع اثنتين وعشرين نسخة خطية من كتاب: "**مفتاح السَّعادة ومصباح السَّيادة**"، لطاش كبري زاده، وبعض النُّسخ الأخرى من كتاب "**السَّعادة الفاخرة في سيادة الآخرة**" التي فُهرست بالخطأ على أنَّها نسخ منه.

بعد ذلك، بدأنا عملا آخر لا يقل أهمية وصعوبة عن المرحلة الأولى، وهو دراسة هذه النُّسخ الخطِّية للكتاب وتصنيفها بحسب شجرة نسبها إلى عائلات ومجموعات، وذلك بالتَّتبع الدَّقيق لبياناتها الكوديكولوجية؛ كتقاييد الختام، والتَّملكات، والوقفيات، وحواشي الكتاب، خصوصا حواشي التَّصحيح والمقابلة، وغير ذلك، ومقابلة قسم من بدايتها، ومن وسطها، ومن آخرها، وتتبع وجوه اتِّفاقها في الأخطاء والتَّقديم والتَّأخير ومواضع البتر، فتيسَّر أَمْرُ تصنيفها، ووجدنا منها أربع نسخ صُحِّحت على نسخة المؤلِّف، وهي نسخة قونية، ونسخة رئيس الكتاب، ونسخة مراد ملا، ونسخة عاطف أفندي، وتتَّفق هذه الأخيرة مع سابقتها في مواضع كثيرة، لكنَّنا رجعنا إليها في مواضع الضَّرورة، كما وجدنا نسخة أخرى لا تقل أهمية عن النُّسخ السَّابقة، وهي نسخة أنطاليا، وهي مصححة ومقابلة، وَوُشِّحت بحواش كثيرة في مقابلة متن الكتاب بمظانِّ النَّقل والاقتباس،

وشَرْحِ الغريب، والإشارة إلى نكت الكتاب وفوائده، وقد ساعدتنا هذه النُّسخ كثيرا في إقامة متن الكتاب على الوجه الَّذِي نحسبه مرضيا.

وقد بذلنا في نقل متن الكتاب من أصوله ومقابلته وتصحيحه وقتا كثيرا، وجهدا كبيرا، وقابلنا بين روايات الكتاب المختلفة من النُّسخ المذكورة، وإذا تطلب الأمر الرُّجوع إلى فروع هذه النُّسخ لحلِّ إشكال ما في متن الكتاب كنَّا نرجع إليها لترجيح ما حَقُّهُ التَّرجيح الَّذي يستقيم به المعنى، ولا يختلُّ به المبنى، ونشير إلى ذلك في الهامش، وضبطنا متن الكتاب بالشَّكل ضبطا كُلِّيًّا رَفْعًا للَّبْسِ، وابتغاء تيسيره على قارئه، وتعمَّدنا فيه إحياء قاعدة نحويَّةٍ مهجورة، وهي إيراد عناوين الكتب بالرَّفع على أسلوب الحكاية، آملين أن لا يشوش ذلك على ذهن القارئ العربي الَّذي اعتاد إعرابها. ثمَّ خَرَّجْنا ما يحتاج إلى التَّخريج، من قرآن وحديث وأثر وَمَثَلٍ وشعر، ووثَّقنا ما حَقُّهُ التَّوثيق من اقتباسات ونُقول، وعرَّفنا ما ينبغي تعريفه من عناوين الكتب، وأسماء الأعلام والقبائل والبلدان والطَّوائف، وعلَّقنا على ما يحتاج إلى التَّعليق، خصوصا في توجيه قراءة، أو توثيق نسبة علَم، أو عنوان كتاب، أو غير ذلك، وشرحنا ما يلزم شرحه من غريب اللُّغة والمثل، وجنحنا في ذلك كُلِّهِ إلى الاختصار ما أمكن خشية إثقال الهوامش.

وقد عَرَفَتْ هذه المرحلة وسابقتها تَعَثُّرًا كبيرا بسبب جائحة كورونا الَّتي أَلَمَّتْ بنا، وَعَطَّلَتْ قسما كبيرا من مشاريعنا العلميَّة، بل غيَّرت نمط حياتنا وتفكيرنا.

وبعد أن انتهينا من التَّحقيق والتَّوثيق والتَّعليق، عدنا إلى متن الكتاب نُصَحِّحه ونراجعه، ونستدرك ما فاتنا استدراكه من هنات وأخطاء في التَّصحيح الأول، وأثناء المقابلة، وما شرد فيه الذِّهن، وسبقت إليه اليد أثناء مرحلة الضَّبط بالشَّكل، ولا نحسب أننا استدركناه كليًّا، فعين المستأنس بالشَّيء لا تلمح خطأه، لأنَّ في الذِّهن الصَّواب، وهذا دليل على استيلاء طبع النَّقص علينا، نسأل الله أن يلهمنا سبل السَّداد والرَّشاد.

ولتيسير الاستفادة من هذا الكتاب على الوجه الأمثل ذيَّلناه بفهارس مفصَّلة تضم فهرس الآيات القرآنيَّةِ، وفهرس الأحاديث النَّبويَّةِ والآثار، وفهرس الكتب الواردة في المتن، وأغلبها ذُكِرَ مختصرا، فذَكَرْنا بإزائه عنوانه الكامل، ووضعنا فهرس العلوم المذكورة في الكتاب، وفهرس الأعلام البشريَّةِ، وفهرس البُلدان والأماكن، وفهرس المساجد والمدارس والزَّوايا والأضرحة، وفهرس الأمم والقبائل والفرق والمذاهب والطَّوائف، وفهرس الأشعار، وفهرس الأمثال، وفهرس لائحة المصادر والمراجع المعتمدة في الدِّراسة والتَّحقيق، وختمنا هذه الفهارس بفهرس محتويات الكتاب.

ولتحذيق هذا العمل صدَّرناه بدراسة تناولنا فيها محورين اثنين:

ـ الأول خصَّصناه للتَّعريف بمؤلف الكتاب طاش كبري زاده، فذكرنا نسبه، ومولده ونشأته، وشيوخه وتلاميذه، ووظائفه ومذهبه وحاله، وخزانة

كتبه، وآثاره العلمية، وثناء أهل العلم عليه، ووفاته ومدفنه، اعتمادا على ما كتبه هو عن نفسه، إضافة إلى ما كتبه عنه غيره في كتب التَّراجم، وأضفنا إلى هذه المادة الدَّسمة بعض الومضات الواردة في هذا الكتاب وفي سائر كتبه الَّتي تتعلق بسيرته الذَّاتيَّة والعلميَّة.

ـ أما المحور الثاني فخصَّصْناهُ لكتاب: **"مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة"**، حيث تناولنا فيه، توثيق عنوان الكتاب ونسبته إلى مؤلِّفه، وتاريخ تأليفه، وأهميته ومكانته في تاريخ الببليوغرافيا العربية، ومنهج تأليفه، ومصادره المعرفيَّةِ الَّتي اعتمدها في التَّأليف، وأثره في المصادر اللَّاحقة عليه، ثمَّ ذكرنا الأسباب التي دعت إلى إعادة تحقيقه، ووصفنا النُّسخ الخطيَّة الَّتي اعتمدناها في التَّحقيق، وَبَيَّنَّا خطَّة عملنا، وصدَّرنا هذا الكتاب بمقدمة عامة وصفنا فيها خطواتنا في هذا العمل.

هذا ولا يفوتنا في نهاية هذه المقدمة أن نتقدم بوافر الشُّكر وعظيم الامتنان إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد في إنجاز هذا المشروع الكبير، ونخص بالشُّكر والثَّناء محلَّ ابننا الدُّكتور ياسين السَّالمي سلَّمه الله، الَّذِي ساعدنا في مراجعة هذا العمل وتصحيحه بعد أن كَلَّتْ أبصارنا وضاقت أنفسنا من فرط ملازمته، كما نتقدم بصادق عبارات الشُّكر والعرفان للأستاذين الجليلين صالح شهسواري ومحمد ادريوش اللَّذين قدما لنا جميع التَّسهيلات الَّتي يسرت إنجاز هذا العمل ونشره.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل خدمتنا لهذا الكتاب خالصة لوجهه الكريم، وأن يرزقنا ومصنِّفه الثَّواب العظيم، وأن يتجاوز عنا ما فَرَطَ مِنَّا من خطإ أو تقصير، أو سوء فهم أو تقدير، فحسبنا أنَّنا اجتهدنا في البحث والتَّنقيب في المصادر والمراجع، وما قصَّرنا في مشورة وسؤال أهل العلم.

فالمرء مفتون بتأليفه ونفسه في مدحه غاويه
والفضل من ناظره أن يرى ما قد حوى بالمقلة الرَّاضيه

والحمد لله رب العالمين.

وكتب **أحمد شوقي بنبين ومحمد سعيد حنشي وعبد العالي لمدبر** برباط الفتح صباح الثلاثاء 16 رجب 1444هـ الموافق لـ 7/ 02/ 2023.

طاش كبري زاده وكتابه مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة

جريا على عادة المحقِّقين في تتميم أعمالهم وتحذيقها بتقديم واف، أو دراسة مُطَوَّلَةٍ تُقَدِّمُ أعمالهم، وتصف مجهودهم الَّذي بذلوه في التَّحقيق والتَّوثيق والتَّعليق، ووصف النُّسخ الَّتي اعتمدوا عليها، وقبل ذلك كُلِّهِ يُعَرِّفون بمصنِّف الكتاب وآثاره العلميَّةِ، آثرنا أن لا نعدل عن هذه السُّنَّةِ، وإن كنَّا مقتنعين بأن جهد المحقِّقِ ينبغي أن ينصرف إلى العناية بمتن الكتاب وتصحيحه ومقابلته وتوثيق عنوانه ونسبته إلى مؤلِّفِهِ، ووصف النُّسخ المعتمدة في التَّحقيق، وما عداه فهو من المكمِّلات التي تُكَمِّلُ العمل وتُحَسِّنُهُ وتحذِّقُهُ، ودراسة مضامين الكتاب على وجه الخصوص ينبغي أن يقوم بها النُّقَّاد المتخصِّصون المتتبِّعون لحركة التَّأليف والنَّشر. لكنَّا تعودنا أثناء مراحل التَّحقيق أن نجمع مادة دراسة الكتاب أو التَّقديم له عسى الله أن ينفع بها، أو تكون مفتاحا لمشاريع بحثية أخرى.

وقد ارتأينا أن نقسم هذا التَّقديم إلى **محورين اثنين**:

- **المحور الأول** تناولنا فيه سيرة الرجل، فذكرنا نسبه، ومولده ونشأته، وشيوخه وتلاميذه، ووظائفه ومذهبه وحاله، وخزانة كتبه، وآثاره العلمية، وثناء أهل العلم عليه، ووفاته ومدفنه، واعتمدنا في ذلك أولا على ما كتبه هو عن نفسه، بالإضافة إلى ما كتب عنه غيره في كتب التَّراجم، وأضفنا إلى

هذه المادة بعض الومضات الواردة في هذا الكتاب وفي سائر كتبه التي تتعلق بسيرته الذَّاتيَّةِ والعلميَّة.

- أما **المحور الثَّاني** فخصَّصناه للتَّعريف بكتاب: **"مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة"**، حيث تناولنا فيه، توثيق عنوان الكتاب ونسبته إلى مؤلِّفه، وأهميته ومكانته في تاريخ الببليوغرافيا العربية، ومنهج تأليفه، ومصادره المعرفية التي اعتمدها في التَّأليف، وأثره في المصادر اللَّاحقة عليه، ثم ذكرنا الأسباب التي دعت إلى إعادة تحقيقه، ووصفنا النُّسخ الخطية التي اعتمدناها في التَّحقيق، وَبَيَّنَّا خطة عملنا، وصدَّرنا هذا الكتاب بمقدمة عامة وصفنا فيها خطواتنا في هذا العمل.

المحور الأول: طاش كبري زاده حياته وآثاره

سنعتمد في هذا المحور اعتمادا كلِّيًّا على ما قاله طاش كبري زاده عن نفسه في ترجمة مختصرة له أوردها في نهاية كتابه "**الشَّقائق النُّعمانية في علماء الدولة العثمانيَّةِ**"، وقد كتب هذه التَّرجمة أواخر شهر رمضان سنة 965هـ أي ثلاث سنوات قبل وفاته، ويلمس قارئوها تواضع الرَّجل الكبير، واقتصاده المبالغ فيه في تفصيل سيرته الذَّاتيَّةِ، وذِكْرِ آثارِهِ العلميَّةِ، لذلك سنكون مضطرِّين إلى إضافة ما قاله هو عن نفسه في مصنَّفاته الأخرى، وما قاله عنه معاصره ومذيِّل كتابه **الشَّقائق النُّعمانية** علي بن بالي مُنَّقَ الرُّومي الحنفي (ت.992هـ) أثناء التَّعريف به في صدر كتابه الموسوم بـ "**العقد المنظوم في ذكر أفاضل الرُّوم**"، وما حلَّاه به سائر من اعتنى بترجمته.

1- نسبه:

هو أحمد بن مصطفى بن خليل بن قاسم بن حاجِي صَفَا، هذا ما ورد محقَّقًا موثَّقًا لا لبس فيه في نسبه في ترجمته في كتاب "الشَّقائق النُّعمانية في علماء الدَّولة العثمانيَّة"[1]، وترجمةِ جدِّهِ لأبيه السَّيِّد خليل بن قاسم[2]، وقد نَقَلَ القسم الأول من النَّسَب إلى الجدِّ سائر من ترجمه[3]، أما طاش كبري[4] زاده[5]، فهو اسم شهرة هذه العائلة الكريمة، وهو الَّذي اشتهر به بين النَّاس، كما اشتهر به والده مصلح الدين مصطفى بن خليل الرومي الحنفي

---

(1) الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية: 326-331.

(2) كان عالما فاضلا، صالحا عابدا، هو أول من استوطن بلدة طاش كبري من تلكم العائلة الفاضلة، وصار مدرسا بها (ت.879هـ). الشقائق النعمانية: 72-74.

(3) ترجمته في: الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية: 326-331، العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم: 336-341، الطبقات السنية في تراجم الحنفية: 2/ 108-109، تراجم الأعيان من أبناء الزمان: 1/ 73-76، كشف الظنون: 1/ 56، سلم الوصول إلى طبقات الفحول: 1/ 252-253، شذرات الذهب: 10/ 514-515، طبقات المفسرين للأدنه وي: 387، البدر الطالع: 138، أبجد العلوم: 255، هدية العارفين: 1/ 143-144، وإيضاح المكنون: 1/ 141، ديوان الإسلام للغزي: 3/ 250، البدور المضية في تراجم الحنفية: 4/ 18، الأعلام: 1/ 257، معجم المؤلفين: 2/ 177، 42-633; G.A.L. GII ; 425. SII

(4) "طاش كُبري: (Taşköprü) قرية ما زالت موجودة إلى الآن بتركيا، وهي إداريا تابعة لمدينة تشلدر: (Çıldır)، وهي مركبة من كلمتين طاش وتعني الحجر، وكبري تعني الجسر، وسميت باسم هذا الجسر الموجود فيها، وقد اشتهر أبوه مصلح الدين مصطفى بن خليل الرومي باسم قريته، واشتهر هو من بعده بهذا الاسم.

(5) زاده في اللغة الفارسية بمعنى ابن، وقد أكثر الأتراك استعمالها في أسماء أعلامهم.

(ت.935هـ)[1] من قبله، وابنه من بعده القاضي كمال الدين أفندي محمد ابن أحمد بن مصطفى ابن طاش كبري، (ت.1030هـ)[2]، وأيضا حفيده محمد إبراهيم بن كمال الدين محمد، لَقَّبَهُ أبوه بعصام الدين، وكَنَّاه أبا الخير[3]، فهو على هذا: **عصام الدين أبو الخير أحمد بن مصطفى بن خليل ابن قاسم بن حاجي صفا الرومي الحنفي، الشَّهير بطاش كبري زاده.**

---

(1) كان من العلماء الفضلاء، والمدرِّسين النجباء الذين تولوا التَّدريس في عدة مدارس عثمانية ودرَّسَ السُّلطان سليم خان، (ت.935هـ). ترجمته في: الشقائق النعمانية: 231-233، الكواكب السائرة: 2/ 248، سلم الوصول: 3/ 335، شذرات الذهب: 10/ 296.

(2) ترجمته في: العقد المنظوم: 354-356، الطبقات السنية في تراجم الحنفية: 2/ 109، شذرات الذهب: 10/ 522، سلم الوصول: 5/ 253، خلاصة الأثر: 3/ 354، فوائد الارتحال ونتائج السفر: 1/ 155-154، هدية العارفين: 2/ 268، الأعلام: 6/ 8، معجم المؤلفين: 9/ 21.

(3) الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية: 326.

2- مولده ونشأته وشيوخه:

ولد **أحمد بن مصطفى بن خليل** في مدينة بروسة (بورصة حاليا) ليلة 14 من شهر ربيع الأول سنة 901هـ، ووالده كما أسلفنا هو **مصلح الدِّين مصطفى بن خليل الرُّومي الحنفي** (ت.935هـ)، وكان من العلماء الفضلاء، وقد خصَّص له ابنه ترجمة وافية في كتابه "**الشَّقائق النُّعمانية في علماء الدَّولة العثمانيَّة**" نقتطف منها قوله: كان "زاهدا عابدا، صالحا ورعا، صاحب أدب ووقار، مشتغلا بنفسه، معرضا عن أحوال الدُّنيا، صارفا أوقاته فيما يهمه ويعنيه، ومتجنِّبًا عن اللَّغو واللَّهو، ولم نسمع منه طول صحبتنا معه كلمة فيها رائحة الكذب أصلا، ولا كلمة فحش، وكان طاهر الظاهر والباطن، خاضعا خاشعا محبًّا للصُّلحاء والفقراء"[1]، وكان رحمه الله مربِّيًا متمرِّسًا، ومدرِّسا فاضلا، له منهج خاص في تربية أبنائه، فقد وصف ابنه أحمد منهجه في تربية أبنائه في كتاب "**مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة**" فقال: "ولقد شاهدنا هذا في المولى الوالِدِ رَوَّحَ الله روحه، حيث ما قابلنا في أمر بتصريح، بل كان يُعَرِّضُ، وكنَّا نَنْزَجِرُ عن ذلك الْأَمْرِ فوق ما يَنْزَجِرُ النَّاسُ عن التَّصْريحِ"[2]. وكان جَدُّهُ **خليل بن قاسم بن حاجي صفا** أيضا عالما فاضلا[3].

---

(1) الشَّقائق النعمانية: 232.

(2) مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة: 1/ 68.

(3) ترجمته في: الشقائق النعمانية: 231، الكواكب السائرة: 1/ 194، 2/ 248.

كان والده أول أساتذته، كما صرَّح بذلك حيث قال: "وهو أول أساتذتي، وأول من تشبَّثت يداي بِذَيْلِ إِفاضَتِهِ"[1]، فقد نشأ في كنفه وحجره، وصُنع على عينه، رُفْقَةَ أخيه أبي سعيد نظام الدِّين محمد الَّذي كان أكبر منه بسنتين، حيث كان رفيقه في البيت والدَّرْسِ، وحفظا القرآن الكريم معًا، كما حفظا الضَّرورِيَّ من متون علوم الدِّين، ومبادئ العربيَّةِ، هذه اللُّغة الَّتي أُشْرِبَ منذ طفولته حُبَّها، لعظيم شأنها، وسحر بيانها، وقد ساق في كتابه **مفتاح السَّعادة** نصوصا كثيرة تدلُّ على هذا؛ منها قوله: "وقد نَطَقَ بهذه اللُّغَةِ أَفْضَلُ الْأَنبِياءِ وَخاتِمُهُمْ، وأشرَفُهُمُ وفَصُّ خاتَمِهِمْ، وهَلِ اتَّصَفَ لُغَةٌ غَيْرُ هذه بالْبَلاغَةِ والْإِعْجازِ، وبِسِحْرِ الْكِتابَةِ والْمَجازِ؟! وهَلِ اخْتَصَّ غَيْرُ هذه بِفُنونٍ لو عُدَّ أَشْهَرُها لَبَلَغَتْ إلى أَرْبعينَ؟! وهل تَشَرَّفَ ما عَداها بالتَّحَدِّي حَتَّى فاقَ واحِدٌ على مِئِينَ؟! وقُلْ لي: هَلْ ظَهَرَتِ الْعُلومُ مُنَقَّحَةً بِلُغَةٍ أخرى؟ أَفَلَيْسَتْ هذه بِالتَّعْظِيمِ والتَّبْجيلِ أَحْرَى! الْحَمْدُ للّهِ الذي جَبَلَنِي على الْحُبِّ لهذه اللُّغَةِ الْجَليلَةِ الشَّأْنِ، والشَّغَفِ لهذا اللِّسانِ الْباهِرِ الْبُرْهَانِ"[2].

ولما سافر أبوهما إلى القسطنطينية، سلَّمهما إلى العلَّامة علاء الدِّين الملقَّب باليتيم، فأخذا عنه الصَّرف من كتاب **المقصود**، و**مختصر عزِّ الدِّين الزَّنجاني في التَّصريف**، و**مختصر مراح الأرواح**، والنَّحوَ من كتاب **مختصر العوامل المئة**، لعبد القاهر الجرجاني (ت.471هـ)، وكتاب **المصباح**،

(1) الشَّقائق النعمانية: 233.

(2) مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة: 1/ 154.

للمطرِّزي (ت.610هـ)، **وكافية ابن الحاجب** (ت.646هـ)، وشرحها الموسوم **بالوافية في شرح الكافية**، لابن شرف شاه (ت.715هـ)[1].

ولمَّا ولي عمُّه قوام الدِّين قاسم بن خليل (ت.919هـ) التَّدريس بمدرسة مولانا خسرو بمدينة بروسة (بورصة) دَرَسَ عنده **الهارونية في التَّصريف**، لشمس الدِّين النِّكْسارِيِّ (ت.901هـ)، **وألفية ابن مالك**، وأثناء هذه المرحلة الدِّراسية فُجعَ بوفاة أخيه ورفيقه في باحات الدَّرس وذلك سنة 914هـ وأكمل دراسته على يد عمِّهِ بقراءة كتاب "**ضوء المصباح**"، لتاج الدِّين الأسفراييني (ت.684هـ)، **ومختصر إيساغوجي مع شرحه** لحسام الدِّين الكاتي (ت.760هـ)، وقسما من **شرح الشَّمسيَّةِ**، لقطب الدِّين الرَّازي (ت.766هـ)[2].

ولما رجع والده من القسطنطينيَّةِ وولي التَّدريس بحسينيَّةِ أماسية بمدينة بروسة (بورصة) أتمَّ على يديه قراءة **شرح الشَّمسيَّةِ مع حواشي الشَّريف الجرجانيِّ** عليها، وشرح **عقائد النَّسَفيِّ**، لسعد الدِّين التَّفتازانيِّ، **وحواشي الخياليِّ** عليه، وشرح **هداية الحكمة**، لمولانا زاده الرومي، مع **حواشي المولى خواجه زاده البروسوي عليه**، وقرأ عليه أيضا **شرح آداب البحث**، لمسعود بن الحسين الشَّرْوانِيِّ (ت.905)، وكتاب **مطالع الأنظار في شرح طوالع الأنوار**، لشمس الدِّين محمود بن عبد الرَّحمن الأصفهاني (ت.749هـ)، **مع حواشي**

---

(1) الشَّقائق النعمانية: 326.

(2) المصدر نفسه: 326-327.

الشَّريف الجرجانيِّ عليه[1]. وقد ذكر هذه المرحلة في كتابه **مفتاح السَّعادة** فقال: "وَكُنْتُ اشْتَغَلْتُ بِعِلْمِ الْمُعَمَّى في عُنْفُوانِ الشَّبابِ، وَنَحْنُ نَقْرَأُ وَقْتَئِذٍ "**حَواشِي شَرْحِ الْمَطالِعِ**"، لِلشَّريفِ الْجُرْجانِيِّ، فَوَجَدْتُ في ذِهْنِي زِيادَةً فاحِشَةً، وفي مُطالَعَتِي تَفاوُتًا بَيِّنًا، حَتَّى شاهَدَهُ مِنِّي الْأَصْحابُ"[2].

وَدَرَسَ على يد خاله عبد الرَّحمن بن يوسف بن حسين الحسيني (ت.954هـ)[3]، **حواشي شرح تجريد العقائد**، للشَّريف الجرجاني.

ومن شيوخه أيضا العالم محيي الدين فَنَارِي زاده (ت.954هـ) الَّذي دَرَّسه قسما من كتاب **شرح المفتاح**، للشَّريف الجرجانيِّ.

ومنهم أيضا العالم محمد محيي الدين بن مصطفى الْقُوجوي المعروف بشيخ زاده (ت.951هـ)[4] الذي درَّسه قسما من كتاب **شرح المواقف**، للشَّريف الجرجانيِّ، وجزءا من كتاب **الكشَّاف**، للزَّمخشريِّ.

ومنهم بدر الدين محمود بن قاضي زاده، الشَّهير بميرم جلبي (ت.931هـ)[5]، وقرأ عليه كتاب **الفتحيَّة** في علم الهيئة، وشرحه **للمولى**

---

(1) الشَّقائق النعمانية: 327.

(2) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 1/ 375.

(3) صرح بخؤولته في الشقائق النعمانية: 235، وقال عنه: "كَانَ يغلب على طبعه الْعُلُومُ الْعَقْلِيَّةُ وَكَانَ فائقا في تِلْكَ الْعُلُومِ أَهْلَ عَصْرِهِ، وَكَانَ فِي سَائِرِ الْعُلُومِ مشاركا للنَّاسِ". المصدر نفسه: 237.

(4) علاء الدّين عَلي بن محمد القوشجي (ت.879هـ)، ترجمته في: الشقائق النعمانية: 97، كشف الظنون: 1/ 286، سلم الوصول: 2/ 393.

(5) محمود بن محمد، ابن قاضي زاده ويعرف بميرم جلبي (ت.931هـ)، ترجمته في: الشقائق النعمانية: 198، كشف الظنون: 1/ 867، أبجد العلوم: 556.

علي الْقَوْشَجِي. وقد ذكر ذلك في كتاب "**مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة**" فقال: "وَشَرَحَهُ أسْتاذِي مولانا **مَحْمودُ الشَّهيرُ بِمِيرَم جَلَبِي** ـ وهو ابْنُ بِنْتِ الْمُصَنِّفِ مولانا عَلِيٍّ ـ وقد كَتَبَهُ عند قِراءَتِي عليه كِتابَ **الْفَتْحِيَّة**"[1].

ومنهم أيضا: محمد التُّونسي الْمَغوشِي، الذي أخد عنه قسما من كتاب "**الجامع الصحيح**"، للبخاري، و"**الشِّفا في التَّعريف بحقوق المصطفى**"، للقاضي عياض، وعلم الجدل والخلاف وبعض العلوم العقلية، وأخذ منه إجازة ملفوظة عن شيوخه ينتهي سندها إلى الحافظ ابن حجر بأن يروي عنه ما يجوز ويصح له روايته[2].

ويلاحظ من خلال ما سبق إيرادُهُ أنَّه درس على شيوخه كتبا متعددة في علوم مختلفة قراءة تحقيق وتدقيق وإتقان؛ كعلوم القرآن الَّتي برَّز فيها، وعلم الكلام وأصول الفقه والمنطق الَّتي تمهَّر في مباحثها، وله اطِّلاع واسع على مصادرها، والفقه عامَّة والفقه الحنفيِّ على وجه خاصٍّ الَّذي يؤكد كتابه هذا على تضلعه منه، واللغة العربية وعلومها التي أحبَّها ودرس أهم متونها، وألَّفَ بها، أما الحديث وعلومه فقد أخذ بعض مبادئه وكتبه، لكنه لم يكن فارسا فيه، وله مشاركة طيِّبة في علوم أخرى.

---

(1) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 2/ 523.

(2) تنظر الشَّقائق النعمانية: 327-328.

3- أولاده:

لم نقف فيما بين أيدينا من مصادر على تفاصيل الحياة الخاصَّة لطاش كبري زاده؛ كزيجاته، وعدد أولاده الذُّكور والإناث، واكتفى أغلب من ترجمه بذكر بعض أبنائه النُّجباء، منهم صاحب كتاب **"تراجم الأعيان"** الَّذي ذكر أنَّ له ثلاثة أبناء ذكور؛ هم: "كمال الدين، وشمس الدين وحامد"(1)، وكلهم ساروا على سَنَنِ أبيهم وأجدادهم من قبل في طلب العلم، وصاروا علماء:

فكمال الدين أو كمال أفندي هو محمد بن أحمد بن مصطفى ابن طاش كبري، (ت.1030هـ) وهو أنجبهم، كان "فخر القضاة والمدرسين، وعمدة الفضلاء والمحققين"(2)، و"كان في العلم طودا شامخا، لم يُرَ نظيره فِي طلاقة العبارة والتَّضلع من الْعَرَبيَّةِ. قال النَّجم الْغَزِّي في ترجمته: لم أر روميا أفصح منه بِاللِّسَانِ العربيِّ. أَخذه عَن وَالِده، وَعَن شيخ الإسلام أَبي السُّعُود العماديِّ، ودرَّسَ بمدارس القسطنطينية، ثمَّ صَار قَاضِيا بحلب سنة 1004هـ، ونقل منها إلى دمشق فَدَخلَهَا في أَوَائِل الْمحرم سنة خمس بعد الألف"(3)، وصار بها قاضيا للقضاة(4).

ذكره حاجي خليفة وقال إن له **"ترجمة الرِّسالة العلية في الأحاديث النَّبويَّة،**

---

(1) تراجم الأعيان: 1/ 76.

(2) الطبقات السنية في تراجم الحنفية: 2/ 109.

(3) خلاصة الأثر: 3/ 356.

(4) تراجم الأعيان: 1/ 75.

لحسين بن علي الكاشفي"[1]. وقال صاحب "**إيضاح المكنون**" إن له "**حاشية على أنوار التَّنزيل وأسرار التَّأويل إلى سورة الكهف**"[2]. وله أيضا: "**عدة أصحاب البداية والنِّهاية في تجريد مسائل الهداية**"[3]، في الفقه الحنفي، **وترجمة كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب إلى اللُّغة العثمانية**: نسبه إليه صاحب كشف **الظُّنون**، وقال: "وكان السُّلطان أحمد خان العثمانيُّ قد أشار إلى ترجمتِه بالتُّركي، فباشر إمامُه المولى مصطفى، ولم يُوفَّق لإتمامِه، فمات وقد وصل إلى حرف الحاء، ثم باشَرَ المولى كمالُ الدِّين محمد بن أحمد المعروف بطاش كبري زاده، ولما وصل إلى حرف الراء مات السُّلطانُ فبقي ناقِصًا"[4]، كما ترجم كتاب **مفتاح السَّعادة** إلى التُّركية، قال حاجي خليفة: "نقَلَه إلى التُّركية ببعض إلحاقات وتَصَرُّفٍ، في مُجلَّدٍ كبير"[5].

وأما ابنه شمس الدِّين "فإنَّه صار من قضاة القصبات، ومات بحماة، ودفن بها. وكذلك حامدٌ فإنه صار قاضيا بصفد، وأظنه مات بحلب. وليس فيهم نجيب إلَّا العلَّامة الكمال، فإنَّه قد تطابق فيه الاسم والمسمَّى، ووصل من الفضائل إلى المحلِّ الأسمى"[6].

---

(1) كشف الظنون: 1/ 878.

(2) إيضاح المكنون: 1/ 141، منه نسخة خطية في رئيس الكتاب تحت رقم: 57.

(3) نسبه إليه صاحب كشف الظنون: 2/ 2038.

(4) كشف الظنون: 1/ 81.

(5) كشف الظنون: 2/ 1906، وقد حصلنا على نسخ خطية منه فهرست عن طريق الخطأ على أنها نسخ من مفتاح السعادة.

(6) تراجم الأعيان: 1/ 76.

4- وظائفه:

كان أحمد بن مصطفى طاش كبري زاده زاهدا في الوجاهة وحب الدُّنيا، والتَّهافت على المناصب، فقد أُثِرَ عنه أنَّه قال: بعد أن أشار بيده إلى لسانه: "إنَّ هذا فَعَلَ ما فَعَلَ، من التَّقصير والزَّلل، وصَدَرَ عنه ما صَدَرَ من الْحَقِّ والْغَلَطِ، غير أنَّهُ ما تكلَّمَ في طلب المناصب الدُّنيويَّةِ قَطُّ"[1].

لكنَّه بعد أن أتمَّ مرحلة الدَّرس والتَّحصيل عُيِّنَ مدرِّسًا بمجموعة من الحواضر العثمانية؛ كأنقرة والقسطنطينية وأماسية ودِموتيقا[2]؛ فقد عُيِّنَ أولا مدرِّسًا بمدرسة أورج باشا، بقصبة ديموتيقا سنة 931هـ، ثمَّ وَلِيَ التَّدريس بمدرسة المولى محيي الدِّين ابن الحاجِّ حسن بقسطنطينية سنة 933هـ، وفي سنة 936هـ عُيِّنَ بالمدرسة الإسحاقية ببلدة أسكوب[3]، ومنها ارتحل إلى المدرسة القلندريَّةِ بالقسطنطينية سنة 942هـ، ثم انتقل إلى مدرسة الوزير مصطفى باشا سنة 944هـ وفي سنة 945هـ انتقل إلى مدرسة السُّلطان بايزيد بأدرنة، ومنها انتقل إلى إحدى المدارس الثَّمانية سنة 946هـ ثم رجع إلى مدرسة السُّلطان بايزيد بأدرنة سنة 951هـ. ودَرَّسَ في هذه المدارس كلها أمَّهات كتب العلم دراسة تحقيق وتدقيق وإتقان كما

(1) العقد المنظوم: 338.

(2) هي الآن مدينة يونانية، وقد جعلها السلطان مراد الأول عاصمة له لمدة أربع سنوات قبل أن ينقل مركز حكمه إلى أدرنة، وفيها ولد ابنه السلطان بايزيد الأول.

(3) إسكوبية بالمقدونية، وهي عاصمة مقدونيا الشمالية وأكبر مدنها، فتح العثمانيون هذه المدينة عام 1392م، وظلت تحت حكمهم ما يزيد عن 500 عام، وكانت تعرف بـ "أسكوب".

أخذها عن شيوخه[1].

وولي القضاء بمدينة بورصة أولا سنة 952هـ، ثمَّ ولي قضاء القسطنطينية سنة 958هـ، "وكانت سيرته محمودة، وولايته مشكورة"[2]، وبقي في هذا المنصب إلى أن أصابه داء الرَّمَد في 17 ربيع الأول عام 961هـ، ثمَّ كُفَّ بَصَرُهُ بعد ذلك، فطلب الإعفاء من هذا المنصب، "فلزم بيته مُسَلِّمًا لأمر القضاء، تاركا منصب الحكم والقضاء"[3]، واشتغل بالتَّأليف وتبييض كتبه.

إضافة إلى وظائفه الرَّسمية كان طاش كبري زاده ينسخ الكتب، و"يكتب خطًّا مليحا يرغب فيه، مع كمال السُّرعة، وقد كتب الكثير من الكتب بخطه الشَّريف"[4]، وسنعرض نموذجين من منتسخاته، ونموذجين من تقاييد ختامه.

فمن منتسخاته التي وقفنا عليها كتاب **"تهافت التَّهافت"**، لأبي الوليد ابن رشد (ت.595هـ)، ومنه نسخة يني جامع المحفوظة بالسُّليمانية تحت رقم: 734، وهذه صورة أول ورقة منه:

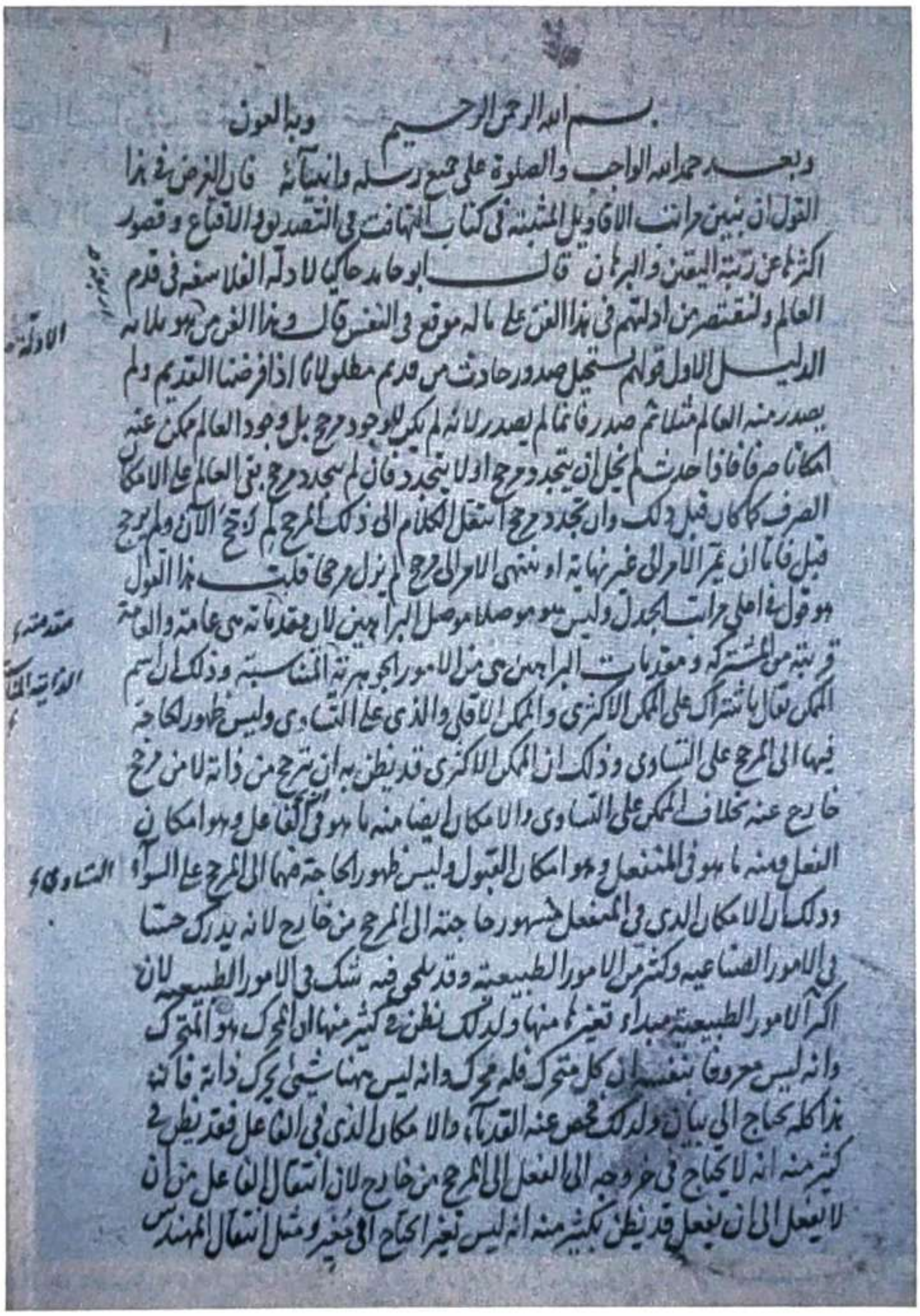
---

(1) الشَّقائق النُّعمانية: 328-329.

(2) الطبقات السنية في تراجم الحنفية: 2/ 108.

(3) تراجم الأعيان: 1/ 74.

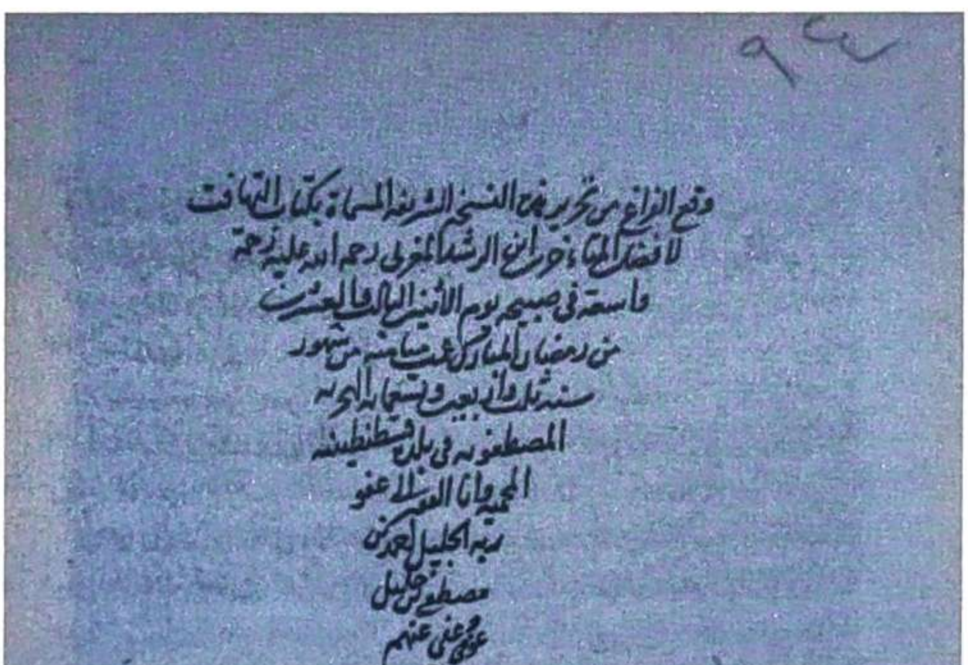
(4) العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم: 338. والتصحيح من النسخ الخطية للكتاب.



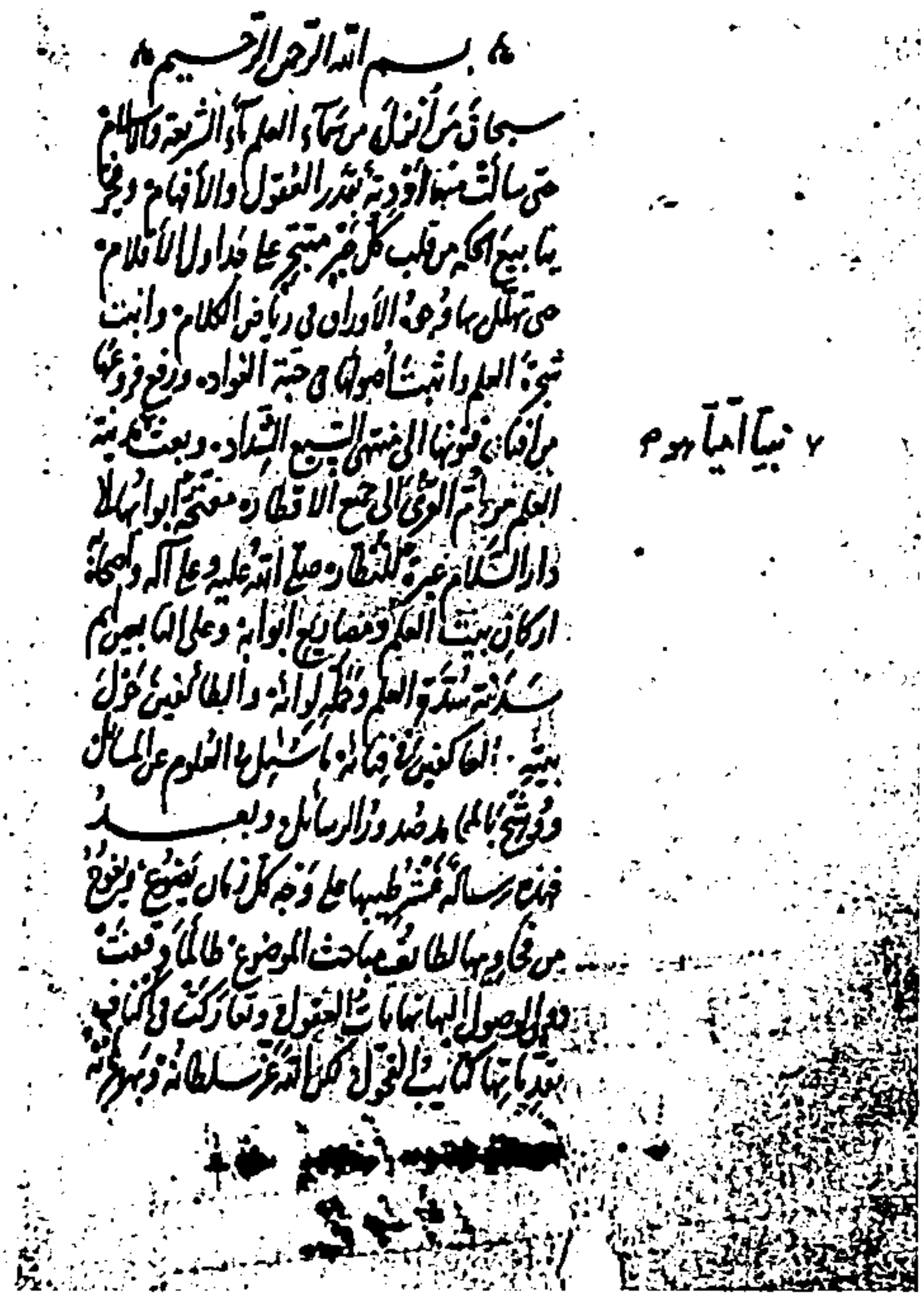
بسم الله الرحمن الرحيم وبه العون

وبعد حمد الله الواجب والصلوة على جميع رسله وانبيائه فان الغرض في هذا القول ان نبين مراتب الاقاويل المثبتة في كتاب التهافت في التصديق وعدم الاقناع وقصور اكثرها عن رتبة اليقين والبرهان قال ابو حامد حاكيا لادلة الفلاسفة في قدم العالم ولنقتصر من ادلتهم في هذا الفن على ما له موقع في النفس قال وهذا الفن من هو ملا ابه الدليل الاول قولهم يستحيل صدور حادث من قديم مطلقا لانا اذا فرضنا القديم ولم يصدر منه العالم مثلا ثم صدر فانما لم يصدر لانه لم يكن للوجود مرجح بل وجود العالم ممكن عنه امكانا صرفا فاذا حدث لم يخل ان يتجدد مرجح او لا يتجدد فان لم يتجدد مرجح بقي العالم على الامكان الصرف كما كان قبل ذلك وان تجدد مرجح انتقل الكلام الى ذلك المرجح لم رجح الآن ولم يرجح قبل فاما ان يمر الامر الى غير نهاية او ينتهي الامر الى مرجح لم يزل مرجحا قلت هذا القول هو في اعلى مراتب الجدل وليس هو موصلا موصل البراهين لان مقدماته هي عامة والعامة قريبة من المشتركة ومقدمات البراهين هي من الامور الجوهرية المناسبة وذلك ان اسم الممكن يقال بالاشتراك على الممكن الاكثري والممكن الاقلي والذي على التساوي وليس ظهور الحاجة فيها الى المرجح على التساوي وذلك ان الممكن الاكثري قد يظن به انه يترجح من ذاته لا من مرجح خارج عنه بخلاف الممكن على التساوي والامكان ايضا منه ما هو في الفاعل وهو امكان الفعل ومنه ما هو في المنفعل وهو امكان القبول وليس ظهور الحاجة فيهما الى المرجح على السواء وذلك ان الامكان الذي في المنفعل مشهور حاجته الى المرجح من خارج لانه يدرك حسا في الامور الصناعية وكثير من الامور الطبيعية وقد يلحق فيه شك في الامور الطبيعية لان اكثر الامور الطبيعية مبدا تغيرها منها ولذلك يظن في كثير منها ان المحرك هو المتحرك وانه ليس معروفا بنفسه ان كل متحرك فله محرك وانه ليس هاهنا شيء يحرك ذاته فان هذا كله يحتاج الى بيان ولذلك فحص عنه القدماء والامكان الذي في الفاعل فقد يظن في كثير منه انه لا يحتاج في خروجه الى الفعل الى المرجح من خارج لان انتقال الفاعل من ان لا يفعل الى ان يفعل قد يظن بكثير منه انه ليس تغيرا يحتاج الى مغير ومثل انتقال المهندس

وقد ورد في تقييد ختامها ما يأتي: "وقع الفراغ من تحرير هذه النُّسخة الشَّريفة المسمَّاة بكتاب **التَّهافت**، لأفضل المتأخِّرين ابن رشد المغربي رحمة الله عليه رحمة واسعة في صبيحة يوم الإثنين الثالث والعشرين من رمضان المبارك عَمَّتْ ميامنه من شهور سنة ثلاث وأربعين وتسعمئة (943هـ) الهجرية المصطفوية في بلدة قسطنطينية المحميَّة، وأنا الفقير إلى عفو ربِّهِ الجليل أحمد بن مصطفى بن خليل، عُفي عني وعنهم. تمَّ". وهذه صورته:

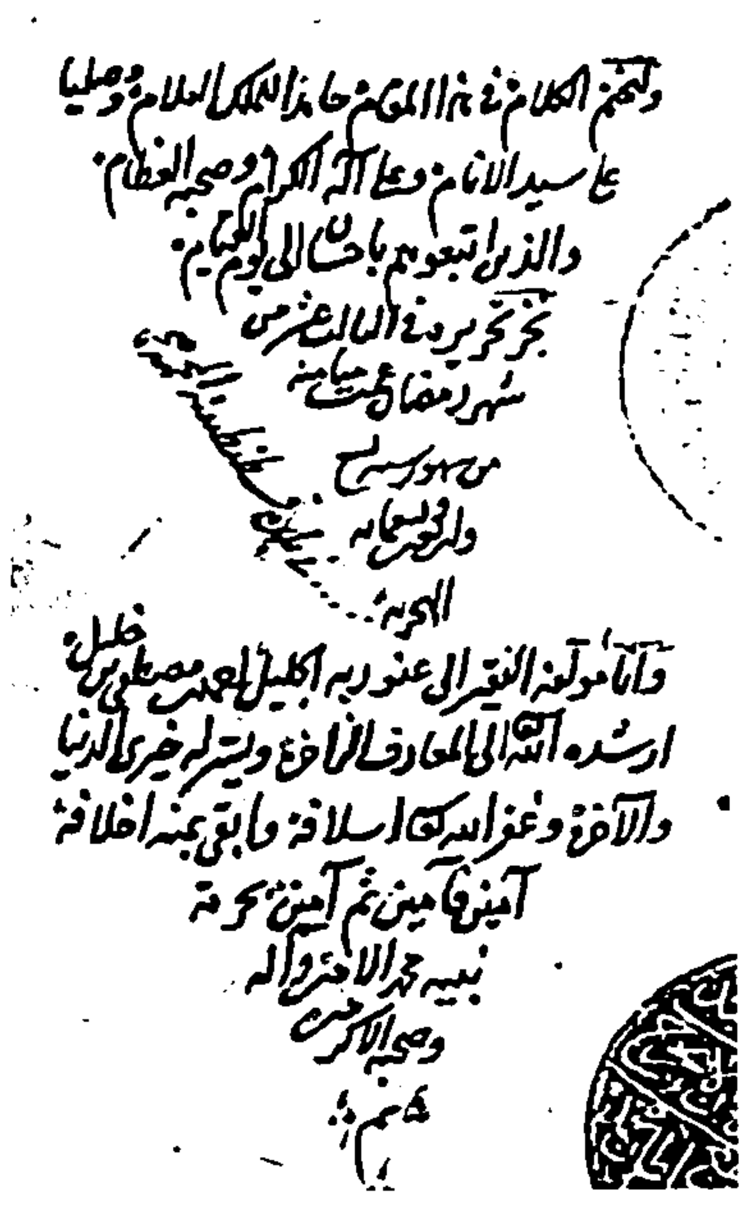

وقع الفراغ من تحرير هذه النسخة الشريفة المسماة بكتاب التهافت
لافضل المتاخرين ابن الرشد المغربي رحمه الله عليه رحمة
واسعة في صبيحة يوم الاثنين الثالث العشرين
من رمضان المبارك عمت ميامنه من شهور
سنة ثلث واربعين وتسعماية الهجريه
المصطفويه في بلدة قسطنطينيه
المحميه وانا الفقير الى عفو
ربه الجليل احمد بن
مصطفى بن خليل
عفي عني عنهم
تم

ـ النَّموذج الثَّاني وهو كتاب "**اللِّواءُ المرفوع في حَلِّ مباحثِ الموضوع**"، وهو من مؤلَّفاته التي وقفنا على نسخة منها بخطه في معهد المخطوطات التُّركية، وهي محفوظة تحت رقم: 1442، وهذه أول ورقة منه:


بسم الله الرحمن الرحيم
سبحان من أنزل من سماء العلم ماء الشريعة والأحكام
حتى سالت منه أودية بقدر العقول والأفهام وفجر
ينابيع الحكم من قلب كل خبير متبحر على جداول الأقلام
حتى تهلل بها وجوه الأوراق في رياض الكلام وأنبت
شجرة العلم وأثبت أصولها في حبة الفؤاد ورفع فروعها
مرتفعا فوقها إلى منتهى السبع الشداد وبعث مدينة
العلم من خاتم الورى إلى جميع الأقطار ومفتح أبوابها لأهل
دار السلام عزة للنظار وصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه
أركان بيت العلم ومصابيح أبوابه وعلى التابعين لهم
سدنة العلم وحملة لوائه والعاكفين حول
بيته العاكفين في خزائنه بأسئلة العلوم عن المسائل
والرسائل وبعد
فهذه رسالة ... على وجه كل زمان يضوع ويفوح
من فحاويها لطائف مباحث الموضوع ... وقفت
على الوصول إليها نهايات العقول
... سلطانه وبهر برهانه

وجاء في تقييد ختامه ما يأتي: "ولنختم الكلام في هذا المقام، حامدا للملك العلَّام، ومصلِّيا على سيد الأنام، وعلى آله الكرام، وصحبه العظام، والذين اتَّبعوهم بإحسان إلى يوم القيام، نَجِزَ تَحْرِيرُهُ في الثالث عشر من رمضان المبارك عَمَّتْ ميامنه من شهور سنة تسع وأربعين وتسعمئة (949هـ) الهجرية المصطفوية في بلدة قسطنطينية المحميَّة، وأنا مؤلِّفه

الفقير إلى عفو ربه الجليل أحمد بن مصطفى بن خليل، أرشده الله إلى المعارف الزاخرة، ويسَّر له خيري الدُّنيا والآخرة، وغفر الله أسلافه، وأبقى بمنِّه أخلافه، آمين، فآمين، ثم آمين، بحرمة نبيِّه محمد الأمين، وآله وصحبه الأكرمين. تم.


ولنختم الكلام في هذا المقام حامدا للملك العلام ومصليا
على سيد الأنام وعلى آله الكرام وصحبه العظام
والذين اتبعوهم بإحسان إلى يوم القيام
تم تحرير [illegible]
شهر رمضان [illegible]
من شهور سنة [illegible]
والحمد لله [illegible]
الهجرية
وأنا مؤلفه الفقير إلى عفو ربه الجليل أحمد بن مصطفى بن خليل
أرشده الله إلى المعارف الزاخرة ويسر له خيري الدنيا
والآخرة وغفر الله أسلافه وأبقى بمنه أخلافه
آمين فآمين ثم آمين بحرمة
نبيه محمد الأمين وآله
وصحبه الأكرمين
تم

5- تلاميذه:

درَّس أحمد بن مصطفى طاش كبري زاده في مدارس كثيرة من أرجاء الدَّولة العثمانية، وتفقه به عدد كثير من طلبة العلم في تلكم المدارس الَّتي ذكرناها آنفا، ويصعب إحصاء عددهم لكثرتهم أولا، ولقلة وجود تآليف كثيرة في تراجم وأثبات علماء الرُّوم، ثانيا، تُعَرِّفُ بهؤلاء الشُّيوخ وتلاميذهم تعريفا مفصَّلا، إلَّا أنَّنا خلال جمعنا لمادة هذه التَّرجمة وجدنا عرضا في بعض المصادر بعض تلاميذه؛ منهم:

- شمس الدِّين أحمد بن أبي السُّعود بن محمد بن مصلح الدين الْعِمَادي الحنفي[1]، ابن العلامة المفسر المشهور أبي السُّعود العمادي (ت.982هـ)، وكان مدرِّسا بمدرسة السُّلطان محمد ابن السُّلطان سليمان، قرأ على والده، وعلى أحمد ابن طاش كبري[2]، (ت. 970هـ) وما بلغ الثَّلاثين.

- أحمد بن عبد الله، المعروف بفَوْري الرُّومي(ت.978هـ)[3]، المدرس الفاضل، ذكر صاحب **سلم الوصول** أنه كان مملوكا وتحرر وسلك طرق العلم، وكان ملازما لطاش كبري زاده[4].

---

(1) العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم: 354.

(2) المصدر نفسه: 354، سلم الوصول: 1/ 121.

(3) سلم الوصول: 1/ 162، الكواكب السائرة: 3/ 117، شذرات الذهب: 10/ 564.

(4) سلم الوصول: 1/ 162.

- أمر الله محمد بن سيرك محيي الدِّين الحسينيُّ الرُّوميُّ (ت.1008هـ)[1]، العلَّامة القاضي، قرأ على ابن طاش كبري وابن عبد الكريم[2]، وله ذيل على كتاب **الشَّقائق النُّعمانية**، وحاشية على **الأشباه والنَّظائر**، وشرح **ديباجة إرشاد العقل السَّليم**[3].

(1) ترجمته في: سلم الوصول: 1/ 343، هدية العارفين: 2/ 264، الأعلام:6/ 154.

(2) سلم الوصول: 1/ 343، هدية العارفين: 2/ 264.

(3) كشف الظنون: 2/ 1058.

6- حاله ومذهبه:

كان طاش كبري زاده رحمه الله مثالا للعلماء العدول المتحفِّظين والْمُتَّزِنين، فمن الثَّوابت الَّتي تربَّى عليها على يد والده وشيوخه الكرام التزامه التَّام بأركان الدِّين، وثوابت الشَّريعة وقد صرَّح بهذه الحال في كتابه **"مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة"** فقال: "ولقد سَمِعْتُ من مَشايِخِي الْعِظامِ، وشاهَدْتُ مِرارًا في سَوالِفِ الْأَيَّامِ أنَّ من تَعَرَّضَ لِحُرَمِ الشَّريعَةِ وأَرْكانِ الْإِسْلامِ، لن يُفْلِحَ أَبَدَ الْآبادِ، ولا يُمْهِلُهُ رَبُّ الْعِبادِ"(1).

ومن الثَّوابت الَّتي تربَّى عليها أيضا والتزم بها طاعة أولي الأمر من سلاطين آل عثمان، فكان كلما ذكرهم وصفهم بما يجب لهم من التَّبجيل والتَّوقير والاحترام، فقد قال في حقِّ السُّلطان محمد بن مراد بن بايزيد (ت.855هـ): "إنَّ السُّلْطَانَ الْأَعْظَمَ، وَالْخَاقَانَ الْأَكْرَمَ، شَرَفَ آلِ عُثْمَانَ مِنْ سَلَاطِينِ الرُّومِ، السُّلْطَانَ مُحَمَّدَ بْنَ مُرَادِ خَانَ، رَوَّحَ اللهُ رُوحَهُ وَرُوحَ أَسْلَافِهِ، وَأَدَامَ عُمُرَ أَعْقَابِهِ وَأَخْلَافِهِ، وَلَا زَالَ كَافَّةُ الْأَنَامِ تَأْوِي إِلَى ظِلَالِهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامِ"(2).

أو قوله في سلطان وقته: "أَمَّا الآنَ، فقد قَلَّتْ عِنايَةُ الْمُلوكِ بِخَزائِنِ الْكُتُبِ، اكْتِفَاءً بِخَزائِنِ كُتُبِ الْمَدارِسِ الَّتِي ابْتَنَوْهَا من حيث إنَّها بذلك أَمَسُّ. إلَّا أنَّ لِسُلْطانِنا الأَعْظَمِ ـ الَّذِي تَشَرَّفَ زَمانُنَا هذا بِوُجودِهِ وَظِلِّهِ ـ

---

(1) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 2/ 590.

(2) المصدر نفسه: 2/ 863.

خِزَانَةَ كُتُبٍ، يُحْكَى أَنَّهُ ليس كِتابٌ شَرْعِيٌّ وغَيْرُ شَرْعِيٍّ، وعَرَبِيٌّ وفارِسِيٌّ، إِلَّا ويُوجَدُ فيها، إِلَّا أَنَّها مَصونَةٌ عن أَيْدِي الطَّالِبِينَ. أدامَ اللهُ دَوْلَةَ هذا السُّلْطانِ، وأَبْقَى عُمُرَهُ إلى آخِرِ الزَّمانِ"[1].

أما مذهبه الفقهيُّ والعقديُّ والسُّلوكيُّ، فقد وردت مجموعة من الإشارات في كتاب **"مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة"**، يمكن أن تضيء هذا الجانب الَّذي لم يتطرق إليه طاش كبري زاده في ترجمته لنفسه.

لم يُخْفِ أحمدُ بن مصطفى بن خليل التزامه بمذهب أبي حنيفة في الفقه، وقد خصص لهذا الإمام الجليل ترجمة طويلة بين الأئمة الأربعة الآخرين، ولم يفوِّت فرصة في الكتاب يذكر فيها الإمام إلَّا وحلَّاه بنور العلم وكمال الفهم والعقل والفضل، وسنكتفي هنا بإيراد شاهد واحد في هذا المقام، فقد قال في حقِّهِ حين ذكر مذاهب الأئمة الأربعة: "وَالْمَذَاهِبُ الْمَشْهُورَةُ الَّتِي تَلَقَّتْهَا الْعُقُولُ بِالصِّحَّةِ هِيَ الْمَذَاهِبُ الْأَرْبَعَةُ لِلْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ، أَبِي حَنِيفَةَ، وَمَالِكٍ، وَالشَّافِعِيِّ، وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، ثُمَّ الْأَحَقُّ وَالْأَوْلَى مِنْ بَيْنِهَا مَذْهَبُ أَبِي حَنِيفَةَ نُعْمَانَ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، لِأَنَّهُ الْمُتَمَيِّزُ مِنْ بَيْنِهِمْ بِالْإِتْقَانِ وَالْإِحْكَامِ، وَجَوْدَةِ الْقَرِيحَةِ، وَقُوَّةِ الرَّأْيِ فِي عِلْمِ الْأَحْكَامِ، وَكَثْرَةِ الْمَعْرِفَةِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَصِحَّةِ الرَّأْيِ وَالرَّوِيَّةِ، وَزِيَادَةِ الْمِنَّةِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ"[2].

---

(1) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 1/ 400.

(2) المصدر نفسه: 2/ 882.

أما مذهبه العقدي فهو مذهب أهل السُّنة والجماعة، ويمثله ـ حسب رأيه ـ في علم الكلام رجلان:

الأول: هو إمامُ الْهُدَى أَبُو مَنْصُورٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَحْمُودٍ الْمَاتُرِيدِيُّ (ت.333هـ).

والثاني: هو شَيْخُ السُّنَّةِ، وَرَئِيسُ الْجَمَاعَةِ، إِمَامُ الْمُتَكَلِّمِينَ، وَنَاصِرُ سُنَّةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، وَالذَّابُّ عَنِ الدِّينِ، وَالسَّاعِي فِي حِفْظِ عَقَائِدِ الْمُسْلِمِينَ، أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ الْبَصْرِيُّ[1].

ولم يترك فرصة تسنح له لمدح أبي الحسن الأشعريِّ إلَّا واستغلها فحلَّاه فيها بما هو أهله من المدح والثَّناء والفضل، ونورد هنا شاهدين اثنين فقط:

- **الأول**: قال فيه: " إِمَامٌ حَبْرٌ، وَتَقِيٌّ بَرٌّ، يُنَقِّي الصُّدُورَ مِنَ الشُّبَهِ، كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، وَالْمُرْتَقِي بِأَنْوَارِ الْيَقِينِ مِنَ الْوُقُوعِ فِي وَرْطَاتِ مَا الْتَبَسَ. حَمَى جَنَابَ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ مِنَ الْحَدِيثِ الْمُفْتَرَى، الَّذِي قَامَ فِي نُصْرَةِ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ فَنَصَرَهَا نَصْرًا مُؤَزَّرًا"[2].

- **وقال في الثاني**: "الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ الْبَصْرِيُّ، شَيْخُ طَرِيقَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، إِمَامُ الْمُتَكَلِّمِينَ، وَنَاصِرُ سُنَّةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ. وَقَدْ مَرَّ

---

(1) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 2/ 815.

(2) المصدر نفسه: 2/ 815- 816.

نُبَذٌ مِنْ مَنَاقِبِهِ فِي تَرْجَمَتِهِ فِيمَا سَبَقَ. وَلَا تَنْتَهِي مَنَاقِبُهُ الشَّرِيفَةُ، وَإِنْ أَعَدْنَاهَا أَلْفَ مَرَّةٍ، وَأَطَلْنَا فِيهَا مِقْدَارَ أَلْفِ وَرَقَةٍ. جَزَاهُ اللهُ تَعَالَى عَنَّا وَعَنْ نُصْرَةِ الشَّرْعِ الْمُبِينِ"[1].

ومدح هذا المذهب مدحا لا مزيد عليه فقال: "وَلَوْ رَأَتْ هَذِهِ الْأَئِمَّةُ أَبَا الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيَّ، أَوْ سَمِعُوا مَقَالَتَهُ، لَأَنْزَلُوهُ مَنْزِلَةَ أَحَبِّ أَبْنَائِهِمْ، وَجَعَلُوا اتِّبَاعَ طَرِيقَتِهِ أَسَاسَ إِيمَانِهِمْ، فَضْلًا عَنِ الْإِنْكَارِ، وَالْعُدُولِ عَنْ فَضِيلَةِ الْإِقْرَارِ.

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى حَقِّيَّةِ مَذْهَبِهِ ارْتِضَاءُ مَنْ يَخْلُفُ بَعْدَهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْفُضَلَاءِ، أَسَاطِينُ الْحِكْمَةِ وَرُؤَسَاءُ الْكَلَامِ، بَلِ الْمَشَايِخُ الْعَارِفُونَ مِنْ أَهْلِ التَّصْفِيَةِ والذَّوْقِ. وَلَمْ يُنْقَلْ عَنْ وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ مِنْ مَبْدَإِ ظُهُورِ الْأَشْعَرِيِّ إِلَى زَمَانِنَا هَذَا، وَهُوَ ثَمَانٍ وَأَرْبَعُونَ وَتِسْعُمِئَةٍ مِنَ الْهِجْرَةِ، إِنْكَارُ شَيْءٍ مِنْ مَذْهَبِهِ وَلَوْ فِي شَيْءٍ قَلِيلٍ. ولا شَكَّ أَنَّ اتِّفَاقَ الْأُمَّةِ - وَالْمُدَّةُ هَذِهِ - عَلَى الضَّلَالِ، مِنْ قَبِيلِ الْمُمْتَنِعِ وَالْمُحَالِ"[2].

كما أثنى على مجموعة من أئمة هذا المذهب منهم الْإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ الَّذِي قال في تحليته: "إمامُ الْمُتَكَلِّمينَ، ذو الْباعِ الواسِعِ في تَعْليقِ الْعُلومِ، والِاجْتِماعِ بالشَّاسِعِ من حَقائِقِ الْمَنْطوقِ والْمَفْهومِ ... **انْتَظَمَتْ** بِقَدْرِهِ الْعَظيمِ عُقودُ الْمِلَّةِ الإسْلامِيَّةِ، وابْتَسَمَتْ بِدُرِّهِ النَّظيمِ ثُغورُ الثُّغورِ

(1) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 2/ 1081.

(2) المصدر نفسه: 2/ 842.

الْمُحَمَّدِيَّةِ، وخاضَ من الْعُلومِ في بِحارٍ عَميقَةٍ، وراضَ النَّفْسَ في دَفْعِ أَهْلِ الْبِدَعِ وسُلوكِ الطَّريقَةِ. وله شِعارٌ آوَى الْأَشْعَرِيُّ من سُنَّتِهِ[1] إلى رُكْنٍ شَديدٍ، وَاعْتَزَلَ الْمُعْتَزِلِيُّ عِلْمًا أنَّه ما يَلْفِظُ من قَوْلٍ إلَّا لَدَيْهِ رَقيبٌ عَتِيدٌ"[2].

وقد خَصَّصَ حَيِّزًا لا يُستهان به في هذا الكتاب للدِّفاع عنه، وبيان علمه وفضله على الأمَّة، وردِّ تجريح الإمام الذَّهَبِيِّ له في كتابه "**ميزان الاعتدال**"، وقد استند في ذلك إلى ما قاله الإمام ابن السُّبكي في "**طبقات الشَّافعية الكبرى**".

ومما عُرِفَ عن طاش كبري زاده رعاية آداب الاختلاف، وإيثار منهج الاعتدال والإنصاف، وعدم التَّعصب في الأحوال والأقوال، وعدم المكابرة والمجادلة بالباطل فقد قال صاحب "**العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم**" في وصفه: "كان رحمه الله في جميع مباحثاته على النَّصَفَةِ والسَّدادِ، راضيا بالحقِّ عاريا عن المكابرة والعناد، إذا أحس من أحد اللَّجاج والمنافسة أمسك عن التَّكلم والمباحثة"[3].

وقد صرَّح في كتابه **مفتاح السَّعادة** بوجوب عدم التَّعصُّب ورعاية آداب الاختلاف، حينما شرح مقاصد حديث رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اخْتِلَافُ أُمَّتِي رَحْمَةٌ» فقال: "**وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ تَدَبَّرَ قَوْلَهُ، صَلَّى الله عَلَيْهِ**

---

(1) من سَنَنِهِ، في طبقات الشافعية الكبرى: 8/ 82، وهو أوفق في السياق.

(2) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 2/ 765.

(3) العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم: 338.

وَسَلَّمَ: «اخْتِلَافُ أُمَّتِي رَحْمَةٌ». وَعَرَفَ أَنَّ مَبْنَى مَسَائِلِ الْفُرُوعِ عَلَى الظَّنِّ، لا يَسُوغُ لَهُ التَّحْكِيمُ بَيْنَ الْمَذَاهِبِ، وَلَا الْعَصَبِيَّةُ لِوَاحِدٍ مِنَ الْمُجْتَهِدِينَ عَلَى الْآخَرِ مِنْهُمْ، وَإِنَّمَا قُصَارَى أَمْرِ الْمُقَلِّدِ أَنْ يَعْتَقِدَ صِحَّةَ مَذْهَبِهِ، وَإِلَّا لَمَا صَحَّ تَقْلِيدُهُ، وَأَنْ يَعْتَقِدَ خَطَأً مُخَالِفِهِ فِي مَوْضِعِ خِلَافِهِ، وَإِلَّا لَمْ يَصِحَّ مَذْهَبُهُ ... إِلَّا أَنَّ بَعْضًا مِنْ فُقَهَاءِ زَمَانِنَا، أَخَذَتْهُمُ الْحَمِيَّةُ لِبَعْضِ الْمَذَاهِبِ، وَيَرْكَبُ الصَّعْبَ وَالذَّلُولَ فِي الْعَصَبِيَّةِ، وَهَذَا مِنْ سُوءِ أَخْلَاقِهِمْ ... وَلَوْ كَانَ الشَّافِعِيُّ وَأَبُو حَنِيفَةَ حَيَّيْنِ، لَشَدَّدَا النَّكِيرَ عَلَى هَذِهِ الطَّائِفَةِ وَتَبَرَّآ مِنْهُمْ فِيمَا يَفْعَلُونَ ... تَابَ اللهُ عَلَيْكُمْ، وَأَرْشَدَكُمْ طَرِيقَ الصَّلَاحِ وَالْفَلَاحِ، بِحُرْمَةِ الْعِلْمِ الَّذِي مَنَحَهُ اللهُ إِيَّاكُمْ، وَبِحُرْمَةِ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ أَخَذْتُمُوهُ مِنْهُمْ. عَصَمَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ عَنِ التَّعَصُّبِ فِي الدِّينِ، وَثَبَّتَنَا وَإِيَّاكُمْ عَلَى التَّقْوَى وَالْيَقِينِ، بِحُرْمَةِ نَبِيِّهِ الْأَمِينِ، وَآلِهِ وَصَحْبِهِ الْأَكْرَمِينَ"[1].

كما صرَّح أيضا بنبذه للتَّعصب المقيت لبعض الآراء الشَّاذَّةِ في المذاهب الأخرى فقد قال في ترجمة نَجْمِ الْأَئِمَّةِ رَضِيِّ الدِّينِ الْأَسْتَرَاباذِيِّ: "ويُرَوى أَنَّ نَجْمَ الْأَئِمَّةِ رَضِيَّ الدِّينِ، كان على مَذْهَبِ الرَّفْضِ، ويُحْكَى عنه أَنَّهُ كانَ يَقولُ: الْعَدْلُ في عُمَرَ ليس بِتَحْقيقٍ، مَوْضِعَ قَوْلِهِ: الْعَدْلُ في عُمَرَ تَقْديرِيٌّ. نَعوذُ باللهِ من الْغُلُوِّ في الْبِدْعَةِ، والْعَصَبِيَّةِ في الْباطِلِ"[2].

---

(1) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 2/ 941- 943.

(2) المصدر نفسه: 1/ 255.

أما حاله في طريقته وسلوكه فكما يقول صاحب **"العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم"**: **كان** "قليلَ الرَّغبة في دنياه، كثيرَ التَّشَمُّرِ في تحصيل زلفاه، صارفًا جَمِيعَ أوقاته في تحصيل العلوم وعباداته"(1).

وقد أكثر في كتابه الشَّكوى من زمانه الَّذِي صار الفساد فيه متأصِّلا، والجحود مستحكما، وقد لخَّصَ هذا الحال بقوله: "وإلى اللهِ الْمُشْتَكَى من زَمانٍ صارَ الْكَلامُ فيه كَلامًا بلا أَثَرٍ، والْخِلافُ خِلافًا بلا ثَمَرٍ، والْأُصولُ فُضولًا، والْمَعْقولُ مَغْفُولًا"(2).

وكان كُلَّما سنحت له فرصة لذمِّ علماء عصره الَّذين غلب عليهم حُبُّ المال والجاه وسائر متاع الدُّنيا في مفتاح السَّعادة إلَّا وأطلق لسانه في ذمهم، والبراءة من حالهم، ونكتفي هنا بإيراد شاهد واحد هو قوله: **"ولا يَخْفى أنَّ الْمالَ والرِّئاسَةَ يوجِبانِ التَّحاسُدَ والتَّباغُضَ، كما وَقَعَ في زَمانِنا هذا - بِسَبَبِ حُبِّ الرِّئاسَةِ والْمَالِ - الْعَداوَةُ والْبَغْضاءُ والتَّحاسُدُ بين الْعُلَماءِ، وإلى الله الْمُشْتكى من زَمانٍ مَلأَ اللهُ تعالى قُلوبَ أَهْليهِ من الْحَسَدِ، وغَلَبَ عليهم الْعِنَادُ حَتَّى جَرَى منهم مَجْرى الدَّمِ من الْجَسَدِ؛ قَوْمٌ غَلَبَ عليهم الْجَهْلُ وَطَمَّهُمْ، وَأَعْماهُمْ حُبُّ الرِّئاسَةِ وَأَصَمَّهُمْ، فَمِنْ طائِفَةٍ يُطَوِّلُونَ أَكْمَامَ الِافْتِخارِ، ويَجُرُّونَ أَذْيالَ الِاسْتِكْبارِ، يَتَرَبَّعُونَ في صُدورِ الإيوانِ،**

---

(1) العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم: 338.

(2) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 1/ 421.

وَيَتَنافَسونَ بِاحْتِشادِ الْحَواشي والْغِلمانِ، يَسْتَبْدِلونَ الْجَوابَ بالإعْراضِ، ويَشْتَغِلونَ في مَجالِسِهِمْ هَتْكَ الْأَعْراضِ. أَسْأَلُ اللهَ تعالى مِنْ فَضْلِهِ أنْ يَتوبَ عليهم، وَيُسامِحَهُمْ بِبَرَكَةِ الْعِلْمِ والإسلامِ، وَيُبَوِّئَهُمْ أَحْسَنَ مُسْتَقَرٍّ وَمُقامٍ"[1].

وكان رحمه الله يحب التَّصوف السُّنِّيَّ، ويعظِّمُ المتصوِّفَةَ، وكتابه هذا خير شاهد على هذه الحال، فقد خصص الطَّرف الثَّاني منه للعلوم المتعلِّقَةِ بالتَّصفية، وفصَّل في ذلك غاية التَّفصيل، حتَّى إنَّه قد لخَّصَ كلَّ ما ورد في هذا الباب من آداب من "**كتاب الإحياء**"، للإمام الغزاليِّ، وكان لا يُفَوِّتُ أي فرصة سنحت له للدفاع عن التَّصوف والمتصوِّفَةِ، فقد قال بعقب حادثة وقعت لأبي إسحاق الشِّيرازيِّ مع أحد المتصوِّفَةِ: "**قُلْتُ**: وَإِلَى اللهِ الْمُشْتَكَى مِنْ زَمَانٍ صَارَ عُلَمَاؤُهُ أَعْدَاءً لِلصُّوفِيَّةِ، وَمَنْ تَزَيَّى بِزِيِّ الصُّوفِيَّةِ مُهِينًا لِعُلَمَائِهِمْ، وَلَعَلَّ هَذَا مِنْ غَلَبَةِ الْهَوَى فِي الْعُلَمَاءِ، وَعَدَمِ الْإِخْلَاصِ في الْمُتَصَوِّفَةِ، تَجَاوَزَ اللهُ عَنَّا وَعَنْهُمْ"[2].

كما لم يُفَوِّتْ أيضا أيَّ فرصة في كتابه هذا لذمِّ أشباه المتصوِّفَةِ، فقد قال: أمَّا "شَيْخُ التَّصَوُّفِ، فَإِنَّهُ في زَمانِنَا هذا يَعِزُّ وُجودُهُ على بَسيطَةِ الْأَرْضِ، إذْ أَكْثَرُهُمْ تَلَبَّسُوا بِالْمُرَقَّعاتِ، وَاتَّخَذُوا مِنَ الْخانِقاهاتِ مُتَنَزَّهاتٍ، وَلَبَّسُوا

---

(1) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 1/ 63-64.

(2) المصدر نفسه: 2/ 1085.

على النَّاسِ بما تَلَقَّفُوا أَلْفاظًا مُزَخْرَفَةً من الطَّامّاتِ، فَيَظُنُّونَ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا، وَيَتَوَهَّمونَ أنَّ الْمُشارَكَةَ في الظَّواهِرِ تُوجِبُ الْمُساهَمَةَ في الْحَقائِقِ، فَهَيْهاتَ ما أَغْزَرَ حَماقَةَ مَنْ لا يُمَيِّزُ بَيْنَ الشَّحْمِ وَالْوَرَمِ"[1].

ومن أَجَلِّ فضائله وخصاله رحمه الله حبُّهُ لطلبة العلم، وإكرامه لهم، فقد ذكر صاحب **العقد المنظوم**: أنه كان يكرم طلبته طيلة ليالي شهر رمضان، وقال على لسانه: "إنِّي منذ أن تَوَلَّيْتُ إسحاقية أسكوب جعلت لنفسي عادة، وهي أن أكتب في كلِّ سنة نسخة من تفسير البيضاوِيِّ، وأبيعها بثلاثة آلاف درهم، وأنفق ذلك المبلغ على طعام الطَّلبة في ليالي رمضان"[2].

---

(1) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 4/ 2047- 2048.

(2) العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم: 338.

7- آثاره العلمية:

يعدُّ طاش كبري زاده من بين أعظم العلماء الأتراك شهرة، وأغزرهم تصنيفا، فقد صنَّفَ كتبا ورسائل في علوم ومعارف مختلفة؛ كعلوم القرآن والحديث، وعلوم اللُّغة والأدب؛ كالنَّحو والبلاغة والعروض وموضوعات العلوم والباه، وعلم الفقه وأصوله، وعلم التَّاريخ والتَّراجم، وعلم الكلام والفلسفة والمنطق، وعلم الطِّبِّ، وقد تحدث عن مصنَّفاته في خاتمة كتابه **الشَّقائق النُّعمانية** بتواضع العلماء الرَّبانيين الذين يستصغرون ما يصنعون من فضائل وأعمال عظام فقال: "ثمَّ إنَّ الله سبحانه وتعالى قد وفَّقَ هذا العبد الضَّعيف في أثناء اشتغاله بالعلم الشَّريف لبعض التَّصانيف من التَّفسير وأصول الدِّينِ وأصول الفقه والعربيَّةِ، وأيضا مَنَّ الله عليَّ بِحَلِّ بعض المباحث الغامضة، وتحقيق المطالب العالية، وكتبتُ لكلٍّ منها رسالة ... هذا ما منحني الله تعالى من العلوم والمعارف، وما قَسَّمَهُ الله لي بحسب استعدادي الفطري، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[1]"[2].

وقال صاحب "**العقد المنظوم في ذكر أفاضل الرُّوم**"، في وصف علمه وتآليفه: كان المولى طاش كبري زاده "بحرا من المعارف والعلوم، مُتَسَنِّمًا من الفضائل سنامها وغارِبَها[3]، مقيِّدا من المعاني شواردها وغرائبها، وكان

(1) سورة يوسف، الآية: 76.

(2) الشقائق النعمانية: 330.

(3) غاربُ كلِّ شيءٍ أَعْلاه. والغارِبُ: أعلى مُقَدَّمِ السَّنام. اللسان: غرب.

له اليد الطُّولى في تحرير المسائل وتصويرها، وتدقيق المباحث وتنويرها، تَكِلُّ أَلْسِنَةُ الأقلام من أفواه المحابر في أدائها وتقريرها، ويكفيك آثاره المنيفة وتصانيفه الشَّريفة، فمن رأى من السَّيف أثره فقد رأى أكثره"[1].

وكان من منن الله على طاش كبري زاده أن حوَّل محنته بالعمى في أواخر سِنِي عمره إلى منحة ربانية مكَّنته من الاستعفاء من الوظائف والْكُلَفِ السُّلطانية الصَّارفة عن التَّفرغ للتَّأليف، فكانت هذه السَّنوات السَّبع المباركات فاتحة خير عليه، إذ تمكَّنَ من تبييض مجموعة من مُسَوَّداته، وإمْلاءِ مجموعة من مصنَّفاته، وَشَرْحِ واخْتِصارِ وتَهْذِيبِ أخرى، خصوصا تلكم المصادر الَّتي كانت له صلة طويلة بها في سنوات الدَّرس والمباحثة مع شيوخه وتلاميذه، فجاء محصول هذه السَّنوات مباركا طيِّبا أربى على محصول سنوات الصِّحة والبصر الَّتي كان يُربِّي فيها الرِّجال، ويقضي بين العباد.

وقد اعتمدنا في جمع مصنَّفاته على كتاب "**العقد المنظوم في ذكر أفاضل الرُّوم**"، الَّذي أورد فيه مصنِّفه عددا لا يُستهان به من الكتب، ورجعنا كذلك إلى الكتب البيبليوغرافية التَّالية لطاش كبري زاده، **ككشف الظُّنون**، لحاجي خليفة، وذيوله، وكتبه المطبوعة منها والمخطوطة المذكورة في الفهارس، والسِّيرة البيبليوغرافية الَّتي أنجزها الأستاذ عمر يوسف حمدان لطاش

---

(1) العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم: 338.

كبري زاده وسمَّاها: "**حركة التَّجديد والتَّحديث في القرن العاشر طاش كبري زاده أنموذجا**"، والَّذِي تفضَّل مشكورا بإهدائنا نسخة منها، وقد اعتمدنا عليها خصوصا في تتبعه لمصنَّفات الرَّجل في كتب الفهارس والموسوعات التُّركية. وسنورد إن شاء الله تعالى مؤلفاته الَّتي وقفنا عليها مرتَّبة حسب حروف الهجاء ليسهل الاستفادة منها:

1- **آداب البحث والمناظرة**[1]، وهي رسالة صغيرة في آداب البحث والمناظرة، ذكرها في كتابه :"**مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة**"، حين كان بصدد تعريف **علم الوضع** فقال: "وَلَئِنْ وَقَعَ فِي الْأَجَلِ فُسْحَةٌ، وسَاعَدَنِي التَّوْفِيقُ، لَانْتَصَبْتُ فِي إيفاءِ هذا الْفَنِّ حَقَّهُ. وبالله التَّوفيقُ، وهو مُيَسِّرُ كُلِّ عَسِيرٍ"[2]. وقد نَسَأَ الله له في العمر حَتَّى أَلَّفَها، وأَلَّف شرحا لطيفا لها سنذكره في حرف الشِّينِ، ذكره أيضا حاجي خليفة في **كشف الظنون**[3]. والرِّسالة مطبوعة.

2- **أجلّ المواهب في معرفة وجوب الواجب**: نسبه إليه صاحب كتاب **العقد المنظوم**[4]، وحاجي خليفة في **كشف الظُّنون**، وقال عنه: "وهو رسالةٌ

---

(1) نشرت أكثر من مرة؛ منها نشرة بتحقيق حايف النَّبهان، دار الظاهرية بالكويت سنة 2012.

(2) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 1/ 195.

(3) كشف الظنون: 1/ 41.

(4) العقد المنظوم: 339.

على مُقدمة وثلاثة مطالب ووصيَّة"[1]، وذكره أيضا إسماعيل باشا في **هدية العارفين**[2].

3- **الاستقصاءُ في مباحثِ الاستِثناء**: وهي رسالة مبحث الاستثناء لشرح مضمون كلمة التَّوحيد والشَّهادة، رُتِّبَتْ "على مقدمةٍ وخمسةِ مقاصدَ وخاتمة"[3].

4- **الإنصاف في مشاجرة الأسلاف**، وهي رسالة صغيرة في البلاغة العربية، انتصر فيها طاش كبري زاده لرأي سعد الدِّين التَّفْتازانيِّ على حساب رأي الشَّريف الجرجانيِّ في مسألة اجتماع الاستعارة التَّبعيَّةِ والاستعارة التَّمثيليَّةِ، نسبها إليه صاحب **سلَّم الوصول**[4]، وإسماعيل باشا في **إيضاح المكنون**[5] و**هدية العارفين**[6]، وهي مطبوعة[7].

5- **التَّعريف والإعلام في حَلِّ مشكلات الحدِّ التَّامِّ**: وهي رسالة في المنطق، نسبها إليه صاحب **العقد المنظوم**[8]، وصاحب **كشف الظنون**[9]،

---

(1) كشف الظنون: 1/ 11.

(2) هدية العارفين: 1/ 143.

(3) ذكرها صاحب كشف الظنون: 1/ 80. وصاحب هدية العارفين: 1/ 143.

(4) سلم الوصول: 1/ 253.

(5) إيضاح المكنون: 3/ 134.

(6) هدية العارفين: 1/ 144.

(7) نشرت بتحقيق عمر حمدان، في المجمع عدد 13، سنة 2018.

(8) العقد المنظوم: 339.

(9) كشف الظنون: 1/ 422.

وصاحب هدية العارفين[1].

6- **تعليق على بعض مواضع شرح الكرماني لصحيح البخاري**: وهو تقييد صغير يقع ضمن مجموع جار الله رقم: 2098، من اللَّوحة 125 إلى 126، علق فيه طاش كبري زاده على بعض الكلمات في **شرح الكرماني لصحيح البخاري**، وبين وجوه إعرابها[2].

7- **تعليق على كون البسملة من الفاتحة**: "علَّق فيه على ما قاله البيضاوي في تفسيره بخصوص هذه المسألة"[3]. وهو مطبوع.

8- **تعليق في تحقيق أفعُل التَّفضيل**: وهو تقييد صغير يقع ضمن مجموع جار الله رقم: 2098، من اللَّوحة 121 إلى 122، في بيان تركيب بعض التَّعابير العربية في التَّفضيل؛ كقولهم: أكثر من أن يحصى، وأشهر من أن يخفى، وأكثر من أن يضبطها القلم.

9- **تعليق في تحقيق معنى الاسم**: وهو تقييد صغير يقع ضمن مجموع جار الله رقم: 2098، من اللَّوحة 122 إلى 123، أوله: "الاسم من مدلوله خمسة أقسام:

---

(1) هدية العارفين: 1/ 144.

(2) التعليق مطبوع ضمن ملاحق كتاب حركة التجديد والتحديث في القرن العاشر الهجري، بتحقيق عمر حمدان.

(3) المصدر نفسه: 40، وقد تولى عمر حمدان تحقيقها، ضمن ملاحق هذا الكتاب.

ـ أحدها: ما يدل على معنى غير الزمان ...".

10- **تقييد في مبحث الالتفات**: وهو تقييد صغير الجرم علق فيه على شرح السَّعْدِ التَّفْتازانيِّ، والشَّريف الجرجانِيِّ لقول السَّكَّاكِيِّ: "فأَصِخْ ثمَّ لِيُتْلَ عليك قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[1]، منه نسخة تقع ضمن مجموع جار الله رقم: 2098، من اللَّوحة 124 إلى 126، والتَّقييد مطبوع[2].

11- **تقييد في تحقيق معنى لفظي القرآن والكتاب الوارد في كتاب التَّلويح**: وهو تقييد تتبع فيه معنى اللَّفظين تتبعا دقيقا. وهو مطبوع[3].

12- **تقييد في الواو الثَّانية من قوله تعالى**: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾[4]: نسبه إليه بروكلمان في تاريخ الأدب العربي[5].

13- **الجامع في المنطق**: نسبه إليه إسماعيل باشا في **هدية العارفين**[6].

14- **حاشية على حاشية التَّجريد للشَّريف الجرجانيِّ من أول الكتاب إلى مباحث الماهية**: "جمع فيه مقالات المولى علي القوشجي

---

(1) سورة الفاتحة، الآية: 5.

(2) التقييد مطبوع ضمن ملاحق كتاب حركة التجديد والتحديث في القرن العاشر الهجري، بتحقيق عمر حمدان.

(3) التقييد مطبوع أيضا ضمن ملاحق المصدر السابق، بتحقيق عمر حمدان.

(4) سورة الحجر، الآية: 4.

(5) G.A.L. GII. 561.

(6) هدية العارفين: 1/ 144.

(ت.879هـ)، والمولى جَلالُ الدِّينِ الدَّوَّانِيُّ (ت.918هـ)، والمولى مير صدر الدِّين (ت.903هـ)، والمولى ابن الخطيب (ت.940هـ)، وأدَّاها بأخصر عبارة، وأليق إشارة، ثم ذكر ما خطر له من تحقيق المقام وتبيين المرام"(1)، ونسبه إليه أيضا حاجي خليفة في **كشف الظنون**(2).

15- حاشية على حاشية الشَّريف الجرجانيِّ على الْكَشَّاف للزَّمخشريِّ: نسبها إليه إسماعيل باشا في **هدية العارفين**(3)، واقتصر فيها على التَّحشية على مقدمة الكتاب(4).

16- حاشية على شرح أول المفتاح للشَّريف الجرجانيِّ: نسبه إليه صاحب **العقد المنظوم**، وقال في وصفه: "أدمج فيه شرح أبيه ولم يتم"(5). ونسبه إليه أيضا حاجي خليفة (6).

17- حاشية على فرائض السَّجاوَنْدِي: نسبها إليه حاجي خليفة في **كشف الظُّنون** وقال: "وهي إلى أحوال الأُمّ، أوَّلُها: حمدًا لمَن جَعَل القائمينَ بإقامة الفَرائض والسُّنَن من محاسنِ أهل الإسلام..."(7).

---

(1) العقد المنظوم: 339.

(2) كشف الظنون: 1/ 348.

(3) هدية العارفين: 1/ 144.

(4) حركة التجديد والتحديث في القرن العاشر الهجري: 41، والكتاب مطبوع.

(5) العقد المنظوم: 339.

(6) كشف الظنون: 2/ 1764.

(7) المصدر نفسه: 2/ 1250.

18- **الرِّسالة الجامعة لوصف العلوم النَّافعة**: نسبها إليه صاحب **العقد المنظوم**[1]، وحاجي خليفة في **كشف الظُّنون**، وقال: "رُتِّبت على ثلاثةِ مطالبَ وخاتمة"[2]. ونُسِبَتْ إليه أيضا في **هدية العارفين**[3]. وهي كما يدل عليها عنوانها في بيان العلوم النَّافعة التي تستحق أن يُبذل من أجلها الوقت والمال والجهد.

19- **رسالة في بيان أسرار الخلافة الإنسانية والسَّلطنة المعنوية**: تقع ضمن مجموع جار الله رقم: 2098، من اللَّوحة 88 إلى 114. أولها:

"قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾[4] ...".

20- **رسالة في الرَّدِّ على اليهود**، تقع ضمن مجموع جار الله رقم: 2098، تتألف من أربعة فصول، وقد نشرت هذه الرِّسالة بتحقيق كاميلا أدانج، وزابينه شميدتكه[5].

---

(1) العقد المنظوم: 339

(2) كشف الظنون: 2/ 857.

(3) هدية العارفين: 1/ 144.

(4) سورة فاطر، الآية: 39.

(5) مجلة القنطرة بمدريد، العدد 1 من المجلد 29 من ص 79- 113.

21- **رسالة في الحمد**: تناول فيه مفهوم الحمد في القرآن الكريم من خلال مقدمة وأربعة مطالب وخاتمة، نسبه إليه صاحب **كشف الظُّنون**[1].

22- **رسالة الشِّفاء في أدواء الوباء**: ذكرها في كتاب **"مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة"**، فقال: "وأمَّا الْكامِلونَ من أَهْلِ التَّوَكُّلِ فلهم في أَمْرِ الرِّزْقِ أَطْوارٌ وَأَحْوالٌ ذَكَرْناها في رِسالَةِ الشِّفاءِ"[2]، ونسبها إليه صاحب **كشف الظنون** وقال: هي "مُرَتَّبَةٌ على مقدِّمةٍ ومَسْلكَيْنِ وخاتمةٍ وتذييلٍ"[3]. والكتاب مطبوع قديما[4].

23- **رسالة في تفسير آية الوضوء**، نسبها إليه صاحب **العقد المنظوم**[5]، وحاجي خليفة في **كشف الظُّنون**[6]. وإسماعيل باشا في **هدية العارفين**[7].

24- **رسالة في تفسير قوله تعالى**: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا**﴾[8]: نسبها إليه حاجي خليفة في **كشف الظُّنون**[9]، أَلَّفها طاش كبري زاده نزولا عند رغبة السُّلطان سليمان القانوني (ت.974هـ) الَّذِي طلب من

(1) كشف الظنون: 2/ 862.
(2) مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة: 2/ 107.
(3) كشف الظنون: 2/ 857.
(4) طبع بالمطبعة الوهبية بالقاهرة سنة 1292هـ.
(5) العقد المنظوم: 339
(6) كشف الظنون: 2/ 854.
(7) هدية العارفين: 1/ 144.
(8) سورة البقرة، الآية: 29.
(9) كشف الظنون: 2/ 854.

علماء عصره كتابة تفسير واف لهذه الآية، فاستجاب لهذا الطلب مجموعة من العلماء منهم طاش كبري زاده.

25- **رسالة في علم الحساب**: منه نسخة خطية بمجموعة علي أميري رقم: 2785، أولها: "الحمد لله رب العالمين ... وبعد؛ فالحساب في اللُّغة العدُّ، وفي اصطلاح أهل الحساب عبارة عن قانون تعرف به أعداد مجهولة"[1].

26- **رسالة في فضيلة مكارم الأخلاق**، تقع ضمن مجموع جار الله رقم: 2098، من اللَّوحة 115 إلى 120. أولها: "الحمد لله حمدا يليق بجناب جلاله، والصلاة على نبيه محمد وآله ...".

27- **رسالة في القضاء والقدر**، أَلَّفها على طريقة الإملاء على التَّلاميذ والأصحاب سنة وفاته وهي سنة 968هـ، نسبها إليه حاجي خليفة[2]، وهي مطبوعة[3].

28- **رسالة في المحاكمة بين السَّعد التَّفتازاني والشَّريف الجرجاني في شرحهما كلام السَّكَّاكي في مفتاح العلوم**: وهذا الكلام يتعلق بمرجِّحات الحذف من قوله: "وإما لتَّخييل أن في تركه تعويلا على شهادة العقل وفي

---

(1) التراث العلمي العثماني: 1/ 208.

(2) كشف الظنون: 2/ 882.

(3) اعتنى به محمد زاهد كامل جول، وصدر ضمن منشورات الجمل.

ذكره تعويلا على شهادة اللَّفظ من حيث الظَّاهر، وكم بين الشَّهادتين؟!"، والكتاب مطبوع.

29- **رسالة في معرفة رسوم ربع الدائرة**: تقع ضمن مجموع جار الله رقم: 2098، من اللَّوحة 126 إلى 140، وهي مرتبة على مقدمة وعشرين بابا.

30- **رسالتان في الوقف**: نسبهما إليه صاحب **كشف الظُّنون**[1]. وصاحب **هدية العارفين**[2]. وساق فيهما أدلة عديدة على عدم جواز بيع الملك الَّذِي يُضَمُّ إلى الوقف المسجل رَدًّا على المعترضين على رأيه من علماء المذهب.

31- **روض الدَّقائق في حَضَرات الحقائق**: نسبه إليه حاجي خليفة في **كشف الظُّنون** وقال: "أوَّلُه: سبحانَ مَن له السُّلطانُ الباهر ..."[3].

32- **السَّعادة الفاخرة في سيادة الآخرة**: فُهْرِسَ في مجموعة من خزانات الكتب على أنه "**مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة**"، وحصلنا على نسختين منه بسبب هذا الخطأ في الفهرسة، وهو مصنَّف يتحدث فيه عن سبل تزكية النَّفس لنيل درجة الإخلاص في العلم والعمل، أوله: "مبادئ مدائحك ذكر اسمك العالي، ومباني محامدك الاعتراف ببرك المتوالي ... وبعد فهذه

---

(1) كشف الظنون: 2/ 899.

(2) هدية العارفين: 1/ 144.

(3) كشف الظنون: 2/ 918.

السَّعادة الفاخرة في سيادة الآخرة ... وليس زادٌ أشهى وأهنى من كسب العلوم، ولا بصيرة أبهى من تزكية الأخلاق على وجه المرسوم ... فجعلت الكتاب على طرفين لتحصيل هذا الأمل، فعاد الكتاب جامعا لخلاصَتَي العلم والعمل، لأن خلاصة العلم الإيقان، وخلاصة العمل الإخلاص، وبهما يُتوقَّى عن المكاره ولاتَ حينَ مناصٍ ..."[1]. والكتاب مطبوع[2].

33- **شرح آداب البحث والمناظرة**: نسبه إليه صاحب **كشف الظُّنون**، وقال في وصفه: "وهو جامع لمهمات هذا الفن، مفيد جدًّا"[3]. والكتاب مطبوع.

34- **شرح أخلاق عضد الدِّين الإيجي**: ذكره في كتاب **"مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة"** فقال: "**رِسالَةُ مَوْلانا عَضُدِ الدِّينِ**، وعليها **شَرْحٌ** لِتِلْمِيذِهِ **شَمْسِ الدِّينِ الْكَرْمانِيِّ**، وشَرَحْتُها شَرْحًا جامِعًا نافِعًا في زَمَنِ الشَّبابِ. واللهُ أعْلَمُ بالصَّوابِ"[4]. ونسبه إليه حاجي خليفة في **كشف الظُّنون** مرَّةً **بشرح أخلاق عضد الدِّين**[5]، ومرَّةً **بشرح رسالة الحكمة العمليَّة**[6].

---

(1) من مقدمة كتاب السَّعادة الفاخرة في سيادة الآخرة.

(2) حققه وترجمه إلى اللغة التركية سامي طوران إرل.

(3) كشف الظنون: 1/ 41.

(4) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 2/ 579.

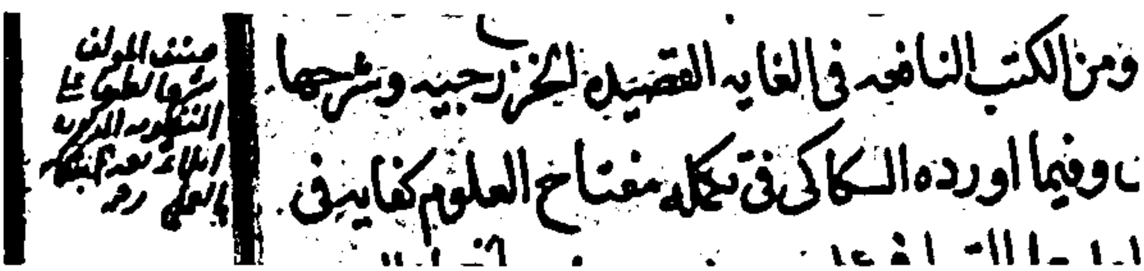
(5) كشف الظنون: 1/ 37.

(6) المصدر نفسه: 1/ 861.

35- **شرح القصيدة الْخَزْرَجِيَّةِ في العروض والقوافي، وتعرف بـ"الرَّامزة الشَّافية في علم العروض والقافية"**، لضياء الدين أبي محمد عبد الله بن محمد الْخَزْرَجِيِّ الأندلسي (ت.626هـ)، أولها: [الطويل]

وللشِّـعْرِ ميزانٌ يُسَـمَّى عَروضُـهُ ... به النَّقْصُ والرُّجْحانُ يَدْرِيهِمَا الْفَتَى

وجدنا نسبته إليه في طُرَّةٍ بنسخة عاطف أفندي ومراد ملا بإزاء القصيدة الخزرجية جاء فيها: "صنَّفَ المؤلِّفُ شرحًا لطيفا على المنظومة المذكورة إمْلاءً بعد ابتلائه بالعمى رحمه الله"، وهذه صورته في نسخة مراد ملا:


ومن الكتب النافعة في الغاية القصيدة الخزرجية وشرحها
وفيما أورده السكاكي في تكملة مفتاح العلوم كفاية في
صنف المؤلف شرحا لطيفا على المنظومة المذكورة إملاء بعد ابتلائه بالعمى رحمه الله

لكنّنا لم نقف على نسخة خطية منه.

36- **شرح العروض الأندلسي**، هذا المتن يعدُّ من أشهر المتون العربية في العروض والقافية، وهو لمحمد بن عبد الله الأنصاري المغربي المعروف بأبي الجيش (ت.549هـ)، وتوجد منه نسخة خطية في جامعة برنستون[1] أولها:

---

(1) هذه النسخة محفوظة تحت رقم: 3088، لم نتمكن من الحصول على صورة منها، وقد وقف عليها الدكتور عمر حمدان ونقل أولها وتقييد ختامها.

"الحمد لله الذي جعل بحر العلم مديدا على بسيط الطِّباع لخواص الإنسان، وبعد فإنَّ علم العروض ...".

وجاء في تقييد ختامها ما يدلُّ على أنها من المصنَّفات التي أَلَّفها طاش كبري زاده عن طريق الإملاء في السَّنوات السَّبع التي عكف فيها على التَّأليف نقتطف منه قولَهُ: " فرغ من إملائه ... أحمد بن مصطفى خليل ... يوم الجمعة الثالث والعشرين من شهر ذي القعدة الحرام عام أربع وستين وتسعمئة من الهجرة النَّبويَّةِ بمدينة قسطنطينية، حُفَّتْ بالبركات السَّنية"[1].

37- **شرح ديباجة كتاب الهداية**: نسبه إليه صاحب **العقد المنظوم**[2] وحاجي خليفة في **كشف الظُّنون**[3]، قال في مقدمته: "وبعد فهذه تعليقات متعلقة بديباجة **كتاب الهداية** وبشروحه من **النِّهاية والغاية والعناية**، عملتها تذكرة في الاستقبال لما صدر منِّي في الماضي والمآل ..."[4].

38- **شرح ديباجة كتاب الطَّوالع**: يقصد كتاب **"طوالع الأنوار"**، للبيضاوي (ت.685هـ)، نسبه إليه صاحب **العقد المنظوم**[5]، وحاجي

---

(1) النقل من حركة التجديد والتحديث في القرن العاشر الهجري: 40.

(2) العقد المنظوم: 339.

(3) كشف الظنون: 2/ 2037.

(4) نقل قسما من هذه المقدمة عمر حمدان في كتابه حركة التجديد والتحديث في القرن العاشر الهجري: 73.

(5) العقد المنظوم: 339.

خليفة في كشف الظنون[1].

39- **شرح العوامل المئة لعبد القاهر الجرجاني**: وهو مصنَّف في النَّحو، نسبه إليه حاجي خليفة في **كشف الظُّنون**[2]، وإسماعيل باشا في **هدية العارفين**[3].

40- **شرح فَرائض مُحسِن القَيْصري المعروف بجامع الدُّرر**، نسبه إليه حاجي خليفة في **كشف الظنون**[4].

41- **شرح الفوائد الغياثيَّةِ للإيجي**: "وهو شرح حافل يتضمن الرَّدَّ على بعض المواضع من **شرح المفتاح**"[5]، وقال عنه حاجي خليفة: "بَسَط الأقوالَ فيه سؤالًا واعتراضًا على السَّعدَيْن لتحقيقاتِهما في شَرْح المِفتاح"[6]، وهو مطبوع.

42- **شرح القسم الثَّالث من كتاب المفتاح**: أحال إليه طاش كبري زاده في كتابه: "**مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة**"، في تعريفه لعلم الاشتقاق فقال: "**وَمَنْ تَوَهَّمَ انْدِرَاجَ الِاشْتِقاقِ في الصَّرف لَزِمَ أن يُؤْخَذَ فيه ما ليس له مَدْخَلٌ في الْهَيْئَةِ، لكنه ليس كذلك اتِّفاقًا. وبهذا عَرَفْتَ ما في بعض شُروحِ الْمِفْتاحِ،**

---

(1) كشف الظنون: 2/ 1116.

(2) المصدر نفسه: 2/ 1179.

(3) هدية العارفين: 1/ 144.

(4) كشف الظنون: 2/ 1252.

(5) العقد المنظوم: 339.

(6) كشف الظنون: 2/ 1179.

حيث تَوَهَّمَ دَرْجَ الِاشْتِقاقِ في الصَّرْفِ، والتَّفصيلُ هناك في تَعْليقاتِنا على شرح الْمِفْتاحِ"[1]. ونسبه إليه حاجي خليفة في كشف الظُّنون[2].

43- **شرح المقدمة الجزريَّة**: ذكره طاش كبري زاده في كتابه "**مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة**"، وقال عنه: وكان: "شَرْحًا جامِعًا لِلْفَوائِدِ، خالِيًا عن الزَّوائِدِ"[3]، أَلَّفَهُ "في زَمَنِ الشَّبابِ، وانْتَفَعَ بذلك جماعَةٌ من الأصْحابِ"[4]. نسبه إليه أيضا حاجي خليفة [5]، والكتاب مطبوع[6].

44- **شرح مقدمة الصَّلاة للفناري**: نسبه حاجي خليفة في **كشف الظُّنون**، وقال: "أَوَّلُه: الحمدُ لله الذي جَعَلَ الصَّلاةَ تاليةً للإيمان ..."[7].

45- **الشَّقائق النُّعمانية في أحوال الدَّولة العثمانيَّة**: وهو من أشهر كتب تراجم علماء الرُّوم، نسبه إليه كل من ترجمه، "تَمَّ تأليفُه في رَمَضانَ سنةَ 965هـ، يضم عشر طبقات، وواحدا وعشرين وخمسمئة ترجمة"[8]، وقد

---

(1) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 1/ 196.

(2) كشف الظنون: 2/ 1764.

(3) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 1/ 157-158.

(4) المصدر نفسه: 1/ 158.

(5) كشف الظنون: 2/ 1800.

(6) وقفنا على طبعة منه بتحقيق محمد سيدي محمد الأمين، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد بالسعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1421 هـ/ 2001 م.

(7) كشف الظنون: 2/ 1802.

(8) المصدر نفسه: 2/ 1057.

"جمعه بعد عماه"[1]، **قال صاحب "الطبقات السَّنيَّةِ في تراجم الحنفيَّةِ"** في وصفه: "وهو كتاب لطيف ... دالٌّ على وسع اطِّلاعه على أخبار النَّاسِ، وأحوال الأفاضل، ودالٌّ على قوة الحافظة، لأنَّ أكثره مُتَلَقَّفٌ من أفواه الرُّواة، ونَقَلَةِ الأخبار، من غير كتاب يُسْتَمَدُّ منه ويُعْتَمَدُ عليه"[2]. ولقي هذا الكتاب حظوة كبيرة عند العلماء فعكف على تذييله مجموعة من العلماء؛ منهم:

1- علي بن بالي مُنَّق الرُّومي الحنفي (ت.992هـ)، وسمَّاه: **"العقد المنظوم في ذكر أفاضل الرُّوم"**، أحسن في إنشائه وأجاد[3]، طبع ملحقا **بالشَّقائق النُّعمانية**.

2- حسين الإشتيبي، المتخلِّص بصدري (ت.993هـ)، اعتنى في ذيله على **الشَّقائق النُّعمانية** بضبط الشُّهور، والسِّنين، في التَّراجم[4].

3- محمد بن مصطفى المعروف بلطفي بك زاده (ت.995هـ)، ورتَّبه على حروف الهجاء[5].

---

(1) العقد المنظوم: 339.

(2) الطبقات السنية في تراجم الحنفية: 2/ 109.

(3) كشف الظنون: 2/ 1057.

(4) المصدر نفسه: 2/ 1057.

(5) المصدر نفسه: 2/ 1057.

4- عبد القادر بن أمير كيسودار المعروف بيَلانْجِقَ (ت.1000هـ)، نسبه إليه حاجي خليفة في **كشف الظُّنون**[1].

5- أمر الله محمد بن سيرك محيي الدين الحسني[2] الرُّومي (ت.1008هـ)، وهو من تلاميذ طاش كبري زاده، له ذيل على **الشَّقائق النُّعمانية**، ذكره حاجي خليفة في **كشف الظُّنون**[3].

6- أحمد الحميدي الرُّومي المعروف قُرَّه جي (ت.1024هـ)، له ذيل على **الشَّقائق النُّعمانية**[4].

7- عبد الكريم بن سنان الأقحصاري (ت.1038هـ): له ذيل على **الشَّقائق النُّعمانية**، "أجاد في إنشائه"[5].

8- عطاء الله بن يحيى المعروف بنوعي زاده (ت.1044هـ)، له ذيل سمَّاه: **"حدائق الحقائق في تكملة الشَّقائق"**، قال عنه حاجي خليفة في **كشف الظُّنون**: "لم يُؤلَّف مثله في الرُّوم"[6]. وذيَّلَ هذا الذَّيل إبراهيم بن عبد الباقي المعروف بابن العشاقي (ت.1136هـ)، وذيَّلَ هذا الذَّيل فيض

---

(1) كشف الظنون: 2/ 1057.

(2) الحسيني في سلم الوصول: 1/ 343.

(3) كشف الظنون: 2/ 1057.

(4) المصدر نفسه: 2/ 1057.

(5) المصدر نفسه: 2/ 1057.

(6) المصدر نفسه: 2/ 1058.

الله أفندي (ت.1115هـ)، ثم ذيَّلَ هذا الذَّيل محمد بن حسن الفيضي المعروف بالشيخي (ت.1145هـ) وسمَّاه: **"وقائع الفضلاء"**.

ونظرا لقيمة الكتاب ومكانته العلمية فقد تمَّ نقله إلى التُّركية أكثر من مرَّة، فقد ترجمه محمد خاكي المعروف بابن المحتسب البلغرادي بإذنٍ من مؤلِّفه، وأتمَّه في رجب 968هـ، وسمَّاهُ: **"حدائق الرَّيحان"**[1].

- وترجمه إلى اللُّغة التُّركية أيضا محمد بن علي المعروف بعاشق جلبي (ت.979هـ)، وسمَّاه: **جَرُّ العاشق**[2].

- وترجمه إلى اللُّغة التُّركية أيضا محمد الأدرنوي المتخلِّص بمجدي (ت. نحو 999هـ)، مع إلحاقات كثيرة في التَّراجم من الذُّيول المذكورة، وأحسن في إنشائه، فرغ منه سنة 995هـ.

- وترجمه إلى اللُّغة الألمانية المستشرق ريشر (V.O. Recher)، ونشره سنة 1927م.

46- **الشُّهودُ الْعَيْنِي في الْوُجودِ الذِّهْني**: وهي رسالة في الفلسفة، تتألف من مقدمة ومسلكين وخاتمة، نسبها إليه حاجي خليفة في **كشف الظُّنون**[3]، وهي مطبوعة[4].

---

(1) كشف الظنون: 2/ 1057.

(2) المصدر نفسه: 2/ 1057.

(3) المصدر نفسه: 2/ 1068.

(4) طبعت بعنوان **"الشُّهودُ العَيْني في مباحث الْوُجودِ الذِّهْني"**، اعتنى بها محمد زاهد كامل جول، وصدرت ضمن منشورات الجمل.

47- **صورة الخلاص في سورة الإخلاص**: وهو تأليف في شرح سورة الإخلاص، نسبه إليه صاحب **العقد المنظوم**[1]، وحاجي خليفة في **كشف الظُّنون**[2]، وإسماعيل باشا في **هدية العارفين**[3].

48- **العناية في تحقيق الاستعارة بالكناية**، وهي رسالة صغيرة في البلاغة العربية، نسبها إليه صاحب **كشف الظُّنون**[4]، وصاحب **إيضاح المكنون**[5]، وهي مطبوعة[6].

49- **غايةُ التَّحقيق في تقسيم الْعِلم إلى التَّصوُّر والتَّصديق**: رسالةٌ في المنطق، نسبها إليه حاجي خليفة في **كشف الظُّنون** وقال: "أوَّلُها: الحمدُ لله الذي قَسَم العِلمَ بين العلماءِ من عبادِه ..."[7]، ونسبها إليه أيضا إسماعيل باشا في **هدية العارفين**[8].

50- **فتح الأمر المغلق في مسألة المجهول المطلق**: في علم المنطق، نسبه إليه صاحب **العقد المنظوم**[9]، وصاحب **كشف الظُّنون**، وقال: "أوَّلُه:

---

(1) العقد المنظوم: 339.

(2) كشف الظنون: 2/ 1084.

(3) هدية العارفين: 1/ 144.

(4) كشف الظنون: 2/ 1173.

(5) إيضاح المكنون: 2/ 126.

(6) نشرت بتحقيق عمر حمدان في المجمع عدد 14، سنة 2019.

(7) كشف الظنون: 2/ 1191.

(8) هدية العارفين: 1/ 144.

(9) العقد المنظوم: 339.

الحمدُ لله العالِم الخبير بحقائق جميع الأشياء ..."[1].

51- **فرائض طاش كبري زاده**: نسبه إليه حاجي خليفة في **كشف الظنون**، وقال إنه "رتَّبه على مطلبين وخاتمة"[2].

52- **القواعد الْجَلِيَّاتُ في تحقيق مباحث الْكُلِّيَّات**: نسبه إليه صاحب **العقد المنظوم** بعنوان: **"القواعد الحمليات"**[3]، ونسبه إليه أيضا حاجي خليفة في **كشف الظنون**[4].

53- **كتاب الأربعين**: في الحديث، نسبه إليه صاحب **كشف الظنون**، وقال في وصف مضمونه: "جمعَ فيه ما يصدر عنه عليه السَّلام من الْمُزاحِ والْمُطايَبَةِ"[5]، وهو مطبوع.

54- **لَذّةُ السَّمع في استغراقِ الْمُفْرَدِ والْجَمْعِ**: نسبه إليه حاجي خليفة في **كشف الظُّنون**، وقال: "أوَّلُه: حمدًا لمنِ استَغرقَ مفرَداتِ العالَمِ وجُموعَهُ بموائدِ آلائه ..."[6].

55- **اللِّواءُ المرفوع في حَلِّ مباحثِ الموضوع**: نسبه إليه أيضا حاجي

---

(1) كشف الظنون: 2/ 1231.

(2) المصدر نفسه: 2/ 1250.

(3) نسبه إليه صاحب العقد المنظوم: 339.

(4) كشف الظنون: 2/ 1358.

(5) المصدر نفسه: 2/ 56.

(6) المصدر نفسه: 2/ 1548.

خليفة في **كشف الظُّنون**، وقال: أوَّلُه: "سبحانَ من أنزَل من سماءِ العلم ..."[1]، وإسماعيل باشا في **هدية العارفين**[2].

56- **المحاكمات بين المولى لطفي وعذاري**: نسبه إليه صاحب **سُلَّم الوصول**[3]، و**هدية العارفين**[4]. وتناول فيه ردَّ قاسم بن عبد الرومي الشَّهير بعذاري (ت.901هـ) على المسائل السَّبْعِ للطف الله بن حسن التَّوْقاتي الشَّهير بلطفي (ت.904هـ) في رسالته "**السَّبْعُ الشِّدادُ**".

57- **مختصر حاشية خطيب زاده**، نسبه إليه صاحب **الطبقات السنية في تراجم الحنفية**[5].

58- **مختصر شرح الفوائد الغياثيَّةِ للإيجي**: نسبه إليه صاحب **كشف الظُّنون**، وَذَكَرَهُ بعقب ذكره لشرحه هذا الكتاب فقال: "اختصَرَ هذا الشَّرح، أوَّلُه: لله الحمدُ في الآخِرة والأولى..."[6].

59- **مختصر الكافية**: نسبه إليه صاحب **الطَّبقات السَّنيَّةِ في تراجم الْحَنفيَّةِ**[7].

---

(1) كشف الظنون: 2/ 1566.

(2) هدية العارفين: 1/ 144.

(3) سلم الوصول: 1/ 253.

(4) هدية العارفين: 1/ 144.

(5) الطبقات السنية في تراجم الحنفية: 2/ 109.

(6) كشف الظنون: 2/ 1299.

(7) الطبقات السنية في تراجم الحنفية: 2/ 109.

60- **مختصر نوادر الأخبار في مناقب الأخيار**: قال عنه صاحب **العقد المنظوم**: "وصنف كتابا كبيرا في التَّاريخ جمع فيه ما ذكره ابن خلّكان، وأضاف إليه سِيَرَ الصَّحابة والتَّابعين وغيرهم، ثم اختصر منه مجلَّدًا لطيفا"(1).

61- **مدينة العلوم**: وهو مصنَّف هَذَّبَ فيه طاش كبري زاده كتابه "**مفتاح السَّعادة**" من بعض الاستطرادات الطَّويلة في الطَّرَف الأول من الكتاب، وأضاف في الطَّرَف الثَّاني من الكتاب الخاصِّ بالتَّصفية، خاتمة خصَّصها لشرائط الطَّريقة وآدابها، وذكر فيها آداب الشَّيخ، وآداب المريد. وينتهي عند قوله: "علم آداب السَّجَّادة: وهي إشارة إلى أَنَّهُ حِصْنٌ يحفظ ظاهره عن الأشغال الدُّنيويَّةِ، كما أن كلمة لا إلاه إلَّا الله حِصْنٌ يحفظ باطنه عن الالتفات إلى غير الله. اللَّهمَّ زيِّنْ ظواهرنا بخدمتك، وبواطننا بمعرفتك ... اللَّهمَّ اختمنا على الإخلاص والتَّوبة واليقين، إنَّك أكرم الأكرمين وأرحم الرَّاحمين"(2).

ومما أَوْقَعَ المفهرسين والباحثين في خطإ تصنيف هذا الكتاب وفهرسته أَنَّهُ يتَّفِقُ مع كتاب **مفتاح السَّعادة**، في بدايته: "**بَدِيعُ بَيَانٍ لا يُحْتَذَى مِثَالُهُ، وَمَنِيعُ تِبْيَانٍ لا يُحْتَظَى مَنَالُهُ** ..." لكنه اختصر هذه المقدمة اختصارا إلى أن يقول: وفيه يذكر عنوان الكتاب: "وها أنا أفيض في المقصود، متوكلا على

---

(1) نسبه إليه صاحب العقد المنظوم: 339.

(2) مدينة العلوم، مخ. نسخة كوبريلي (Köprülü) 1387 ورقة: 153.

الصَّمَدِ المعبود، **وسَمَّيْتُ الكتاب بمدينة العلوم**، ورتبته على مقدمة وطرفين وخاتمة ..."[1].

وقد أَلَّفه طاش كبري زاده كما ورد في تقييد ختام نسخه الخطيَّةِ عن طريق الإملاء في السَّنة التي توفي فيها، وهي سنة 968هـ، ومما جاء في تقييد ختامه: "نَجِزَ الكتاب على طريقة الإملاء على بعض الأصحاب في يوم السَّبت الْمُوَفِّي للعشرين من صفر، ختم الله بالخير والظَّفر، المنخرط في سلك شهور سنة ثمان وستِّين وتسعمئة الهجريَّةِ النَّبويَّةِ، عليه أفضل الصَّلاة والتَّحية، ووقع ذلك الإملاء من لسان العبد الفقير إلى الجليل أحمدَ بن مصطفى بن خليلٍ عفى الله عنهم بلطفه الجزيل، وكرمه الجميل، بمحروسة قسطنطينية حُفَّتْ بالبركات السَّنيَّةِ، والحمد لله ربِّ العالمين ..."[2].

62- **مَسالِكُ الْخَلاصِ في مَهالِكِ الْخَواصِّ**: نسبه إليه صاحب **العقد المنظوم**[3]، وقال حاجي خليفة في **كشف الظُّنون**: هو "رسالةٌ، في تحقيق بحث السيِّدِ والسَّعْدِ عند تيمور. أَوَّلُهُ: باسْمِك اللهمَّ يا عظيمَ الأسماء..."[4]. ولأمر الله الرُّومي (ت.1008هـ) شرح عليها[5].

---

(1) مدينة العلوم، مخ. نسخة كوبريلي (Köprülü) 1387 ورقة: 1-3.

(2) المصدر نفسه: ورقة: 153.

(3) العقد المنظوم: 339.

(4) كشف الظنون: 2/ 1663.

(5) هدية العارفين: 2/ 264.

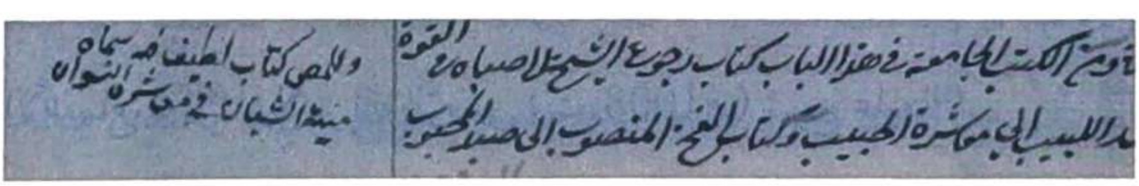
63- **المعالم في علم الكلام**: نسبه إليه صاحب **العقد المنظوم**[1]، وحاجي خليفة في **كشف الظُّنون**[2]، وإسماعيل باشا البغدادي في **هدية العارفين**[3].

64- **مفتاح السَّعادة ومصباح السَّيادة**: وهو من أشهر كتبه وأعظمها وأنفعها وأسيرها، وسنخصص المحور الثاني من هذه الدِّراسة كاملا للتَّعريف به وبنسخه الخطيَّة وبقواعد تحقيقه.

65- **مفتتح الإعراب**، وهو **مختصر في علم النَّحو**، على منوال **مختصر البيضاوي**[4]، رُتِّبَ على: مقدِّمة وثلاثة أقسام[5].

66- **مُنْيَةُ الشُّبَّان في معاشَرِة النِّسوان**: ورد ذكره في طرَّة بنسختي مراد ملا وعاطف أفندي حينما تطرَّق طاش كبري زاده لعلم الباه، جاء فيها: "وللمصنِّفِ كتاب لطيف سَمَّاهُ: " **مُنْيَةُ الشُّبَّان في معاشَرِة النِّسوان**".

وهذه صورته:



(1) العقد المنظوم: 339.

(2) كشف الظنون: 2/ 1727.

(3) هدية العارفين: 1/ 144.

(4) العقد المنظوم: 339.

(5) كشف الظنون: 2/ 1771.

ونسبه إليه حاجي خليفة في **كشف الظُّنون** فقال: "في علم الباه، أوَّلُه: الحمدُ لله الَّذي خَلَق الإنسان من سُلالةٍ من طِين ... رُتِّب على مقدِّمةٍ وأربعة مطالبَ. وطرقها: طريقة الشَّرع وطريقة العقل وطريقة الطَّبع وطريقة الطِّب"[1].

67- **نزهة الألحاظ في عدم وضع الألفاظ للألفاظ**: نسبه إليه صاحب **العقد المنظوم**[2]، وحاجي خليفة في **كشف الظُّنون**، وقال: "أوَّلُه: أمّا بعدُ؛ الحمدُ لوليِّه وأهله.."[3]. وذكره أيضا إسماعيل باشا البغدادي في **هدية العارفين** بعنوان: **"نزهة الألحاظ في عدم وضع الألفاظ"**[4].

68- **النَّهَلُ والْعَلَلُ**[5] **في تحقيق أقسام الْعِلَلِ**: نسبه إليه حاجي خليفة في **كشف الظُّنون**[6]. وإسماعيل باشا البغدادي في **هدية العارفين**[7].

69- **نوادر الأخبار في مناقب الأخيار**: نسبه إليه صاحب **العقد المنظوم**، وقال عنه: "وصنَّفَ كتابا كبيرا في التَّاريخ جمع فيه ما ذكره ابن خَلِّكان،

---

(1) كشف الظنون: 2/ 1885.

(2) العقد المنظوم: 339.

(3) كشف الظنون: 2/ 1940-1941.

(4) هدية العارفين: 1/ 144.

(5) العَلُّ والعَلَلُ: الشَّرْبةُ الثَّانِيَةُ، وَقِيلَ: الشُّرْب بَعْدَ الشُّرْبِ تباعا. اللسان: علل.

(6) كشف الظنون: 2/ 1994.

(7) هدية العارفين: 1/ 144.

وأضاف إليه سِيَرَ الصَّحابة والتَّابعين وغيرهم"[1]. ونسبه حاجي خليفة في **كشف الظُّنون**[2]، ونقل منه[3]، وقال في وصفه: "جَعَله على ترتيبِ الْحُروف، وتضمَّن كلُّ حرفٍ ثَلاثَةَ أبواب: في أوَّله: رجال **سِيَر الصَّحابة،** لأبي محمد الأنْدَرَسْفَانِيِّ[4]، وفي ثانيهِ: رجال **وَفَيات ابن خَلِّكان**، وثالثه: رجال **تاريخ الحُكَماء**، للشَّهْرَستاني، باختصار كلٍّ منها، لكنّه وَقَع كثيرٌ من التَّراجم في الأبواب مكرَّرًا لالتزامه ذِكرَ ما في الكتُب الثَّلاثة"[5].

---

(1) العقد المنظوم: 339.

(2) كشف الظنون: 2/ 1978.

(3) المصدر نفسه: 1/ 218.

(4) أبو محمد عبد السلام بن محمد الأندرسفاني (ت. في النصف الثاني من القرن 6هـ)، ترجمته في: سلم الوصول: 4/ 210، G.A.L. GI365 SI 624. واسمه مصحَّفٌ في **كشف الظنون**.

(5) كشف الظنون: 2/ 1978.

8- شعره:

كما كان لطاش كبري زاده حظ وافر في التَّأليف المنثور، فقد ورد في ترجمته أنَّه "كان له في العربية الباع الطَّويل، والمعرفة الَّتي أذعن لها الخليل، وكان مع ذلك كلِّهِ ينظم الشِّعر العربيَّ المليح"[1]، وقد ورد في بعض مصادر ترجمته شيء من شعره، ففي "**العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم**" أنَّه كتب إلى بعض أصدقائه بعد عماه: [الطويل]

سَقَيْتُ بَسِيطَ الْأَرْضِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ ... بِدَمْعٍ جَرَى فِي ذِكْرِ خَيْرِ الْأَحِبَّةِ[2]
وَصَفْحَةُ خَدِّي كَالْوِشاحِ لِمُنْصُلٍ ... بِقَطْرِ دُموعٍ بَيْنَ قانِئِ عَبْرَةِ
وَعَيْنِي عَقِيقٌ بِياقُوتِ مُقْلَةٍ ... وَإِنْسانُ عَيْنِي عَنْبَرٌ فَوْقَ جَمْرَةِ
حُرِمْتُ مِنَ الْأَحْبابِ لَذَّةَ نَظْرَةٍ ... فَواحَسْرَتَا إنْ لم أُفِقْ قَبْلَ مَوْتَتِي
وَلَا تَجْزَعِي يَا نَفْسُ مِنْ نَازِلٍ جَرَى ... بِتَقْدِيرِ خَلَّاقِ إِلَاهِ الْبَرِيَّةِ
فَإِنَ الرِّضَا وَالصَّبْرَ فِي كُلِّ مِحْنَةٍ ... مِنَ اخْلاقِ أَصْحابِ النُّفُوسِ الرَّضِيَّةِ

وكتب إلى المفتي أبي السُّعود (ت.982هـ) يمدحه على تعليقه على تفسير الكشَّاف للآية الكريمة ﴿عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾[3]: [الطويل]

بِنَفْسِي جَنابًا حَازَ كُلَّ فَضِيلَةٍ ... وَصَارَ لِإِظْهارِ الْحَقِيقَة ضَامِنًا[4]

---

(1) تراجم الأعيان من أبناء الزمان: 1/ 75.

(2) الأبيات في العقد المنظوم: 339-340. والبيت الأخير مصحح من الأصل المخطوط.

(3) سورة التوبة، الآية: 43.

(4) الأبيات في العقد المنظوم: 340، والتصحيح من الأصل المخطوط.

وَأَيَّدَ روحُ الْقُدْسِ حَسَّـانَ طَبْعَهُ   فَجَلَّى مِنَ الْأَسْـرارِ مَا كَانَ كامِنَا
وَنـافَحَ عَنْ عِرْضِ النَّبِيِّ تَـأَدُّبًـا   فَفِي الْحَشْـرِ يَلْقاهُ مِنَ الْخَوْفِ آمِنَا
بِكَ الْمِلَّةُ الزَّهْراءُ أَضْـحَتْ مُنيرَةً   فَفِي الْكَوْكَبِ السَّيَّارِ قَدْ صِرْتَ ثامِنَا

وله أيضا في تشطير معلقة امرئ القيس: [الطويل]

وَصَلْتَ حِمَى نَجْدٍ أيَا رِيحَ شَمْأَلِ   قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ[1]
فَوا أَسَـفًا رَسْـمُ الْمَدارِسِ دارِسٌ   فَهَلْ عِنْدَ رَسْـمٍ دارِسٍ مِنْ مُعَوَّلِ

(1) الأبيات في العقد المنظوم: 340، وقد استشهد بالبيت الثاني في كتاب **مفتاح السعادة**.

9- خزانة كتبه:

أغلب الَّذين صنَّفوا في علم البيبليوغرافيا كان لهم اطِّلاع واسع على المكتبة العربية، بل إنَّ ابن إسحاق النَّديم (ت.380هـ) كان وراقا خبيرا، ينسخ الكتب ويبيعها، ولم يشذَّ طاش كبري زاده عن هذه القاعدة، فقد كان ناسخا متمرِّسًا "يكتب خطًّا مليحا يرغب فيه مع كمال السُّرعة، وقد كتب الكثير من الكتب بخطِّه الشَّريف"[1]، وكان واسع الاطِّلاع على المصنَّفات العربية والعثمانيَّة والفارسيَّة، وتدلُّ مصنَّفاته على أنَّه كان يمتلك خزانة كتب كبيرة يرجع إليها لتوثيق نقولِهِ، وسنوردها مفصَّلَةً في المبحث الخاصِّ بمصادره المعرفية في كتابه **مفتاح السَّعادة**، وسنكتفي هنا بِسَوْقِ بعض الإشارات التي تدلُّ على أنَّه كان محبًّا للكتب، مهتبلا بجمعها، خصوصا تلكم الَّتي ذكر أنَّه تملَّكها أو طالعها، أو نقل منها.

وقد وردت في الكتاب مجموعة من الشَّواهد الَّتي تقيم الدَّليل على أنَّ الرَّجل كان محبًّا للعلوم ومظانِّها، وسنكتفي بإيراد دليل واحد في هذا الباب، وهو قوله معلِّقا على كلام صاحب "**أخبار الحكماء**" في شأن بيع كتابَيْ **شَرْحِ الإسْكَنْدَرِ الْحَكيمِ لِلسَّماعِ الطَّبِيعِيِّ**، و**الْبُرْهانِ من الْمَنْطِقِ** بثَلاثَةِ آلافِ دِينارٍ: "أُنْظُرْ إلى هِمَّتِهِمْ، والله لو حَضَرَتْ هذه الْكُتُبُ في زَمانِنَا، وعُرِضَتْ على مُدَّعِي عِلْمِها، ما أَدَّوْا فيها عُشْرَ مِعْشارِ ما ذَكَرَهُ.

---

(1) العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم: 338. والتصحيح من النسخ الخطية للكتاب.

قُلْتُ: وإلى اللهِ الْمُشْتكَى من زَمانٍ كَسَدَتْ فيه بَضائِعُ الْعُلومِ، وَفَسَدَتْ فيه صَنائِعُ الرُّسومِ. وأَقولُ واللهُ الرَّقيبُ: لو عُرِضَتْ تلك الْكُتُبُ على مُحَصِّلِي زَمانِنَا بلا شَيْءٍ، بل بِطَريقِ هِبَةٍ لا امْتِنانَ فيها ولا غَرَضَ لَرَغِبُوا عنها، ولم يَلْتَفِتُوا إليها فَضْلًا عن الِابْتِياعِ. نَعَمْ يَرْغَبونَ في كُتُبِ الشِّعْرِ والْهَزْلِ ويُغالونَهَا في الْأَثْمانِ، بل يَكْتُبونَهَا وَيُحَصِّلونَهَا، ولا يُفارِقونَهَا لا في اللَّيْلِ ولا في النَّهارِ. وَاعْلَمْ أنَّ هذا الْكَلامَ مِنْ قَبِيلِ نَفْثَةِ الْمَصْدورِ، فَلْيَعْذِرْنِي مَنْ رَآهُ مِنَ الْأَصْحابِ، ولا يُعَامِلْنِي بِاللَّوْمِ وَالْعِتابِ"[1].

وأثناء تأليفه لهذا الكتاب كان يرجع إلى بعضها ليطالعه وينتفع به؛ من ذلك قوله في قصيدة ابن البوَّاب في الكتابة وأدواتها: "صَنَّفَ **قَصيدَةً رائِيَّةً** بَليغَةً غايَةَ الْبَلاغَةِ، واسْتَقْصى فيها أَدواتِ الْكِتابَةِ. رَأَيْتُ هذه الْقَصيدَةَ، وطالَعْتُهَا، وَانْتَفَعْتُ بها"[2]، واستشهد ببعض أبياتها.

وحينما تَرْجَمَ ابْنَ الْجَزَرِيِّ وذَكَرَ مصنَّفاته قال: "هذا ما حَكاهُ الْجَزَرِيُّ عن نَفْسِهِ **في طَبقاتِهِ الصُّغْرَى**، نَقَلْتُهُ عن خَطِّهِ"[3].

وحينما ذكر شرح رَضِيِّ الدِّينِ **الْأَسْتَرَاباذِيِّ للكافية** قال: "ولِلشَّريفِ الْجُرْجانِيِّ **تَعْليقاتٌ وحَواشٍ على هذا الشَّرْحِ**، رَأَيْناها وَاسْتَفَدْنا منها"[4].

---

(1) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 1/ 395.

(2) المصدر نفسه: 1/ 138.

(3) المصدر نفسه: 2/ 672.

(4) المصدر نفسه: 1/ 255.

وحينما ذكر "**شرح الفوائد الغياثِيَّةِ**"، لمُحَمَّدِ بنِ السَّيِّدِ الشَّريفِ الْجُرْجانِيِّ قال عنه: "وهو شَرْحٌ مَمْزوجٌ لَطيفٌ في الْغايَةِ، رَأَيْناهُ وَاسْتَفَدْنا منه"[1].

وقال حينما ذكر كتاب "**صبح الأعشى في صناعة الإنشا**"، لأبي العباس أحمد بن علي الْقَلْقَشَنْدِيِّ الشَّافعيِّ: "وهو كِتَابٌ نافِعٌ في بابِهِ في الْغايَةِ، ولقد طالَعْتُ بَعْضًا منه، وانْتَفَعْتُ به"[2].

وذكر بعقب تعريف علم تأويل أقوال النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ ... "وَرَأَيْتُ رِسَالَةً فِي هَذَا الْعِلْمِ **لِمَوْلانَا شَمْسِ الدِّينِ الْفَنَارِيِّ**، وَهُوَ مِنْ عُلَمَاءِ بِلَادِنَا، رَوَّحَ اللهُ رُوحَهُ، وَقَدْ اسْتَخْرَجَ لِلْأَحَادِيثِ تَأْوِيلَاتٍ مُوَافِقَةً لِلشَّرْعِ، بِحَيْثُ يَقُولُ مَنْ رَآهَا: للهِ دَرُّهُ، وَعَلَى اللهِ أَجْرُهُ. وَكَانَتِ الرِّسَالَةُ عِنْدِي ثُمَّ ضَاعَتْ عَنِّي"[3].

وقد أمدَّنا الأخ المفضال عبد العاطي الشَّرقاوي حفظه الله، ومحل ابننا البار ياسين السَّالمي سلَّمه الله، ببعض تَمَلُّكاتِهِ الَّتي وشَّح بها بعض كتبه الَّتي كانت بخزانة كتبه العامرة، وسنكتفي بإيراد نموذجين منها:

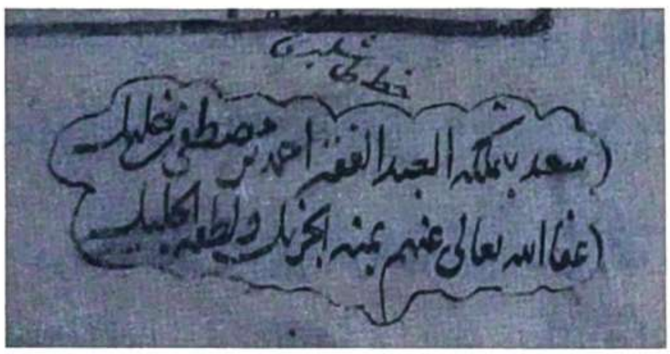
---

(1) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 1/ 292

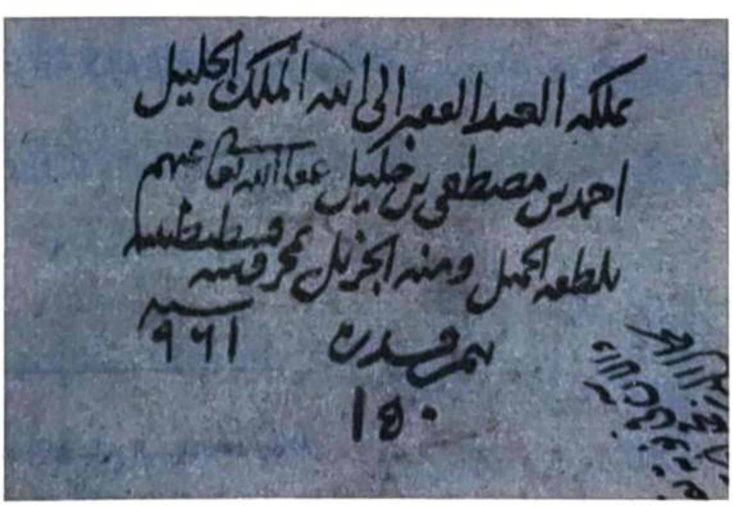
(2) المصدر نفسه: 1/ 390.

(3) المصدر نفسه: 3/ 1178- 1179.

- **الأول**: وهو نسخة رئيس الكُتَّاب من كتاب **"نهج البلاغة"**، المحفوظة بالسُّليمانيَّةِ تحت رقم: 942، عليها تملُّكه، وجاء بالصِّيغة الآتية: **"سعد بتملُّكه العبد الفقير أحمد بن مصطفى بن خليل عفى الله تعالى عنهم بمنِّه الجزيل، ولطفه الجليل"**، وهذه صورته:

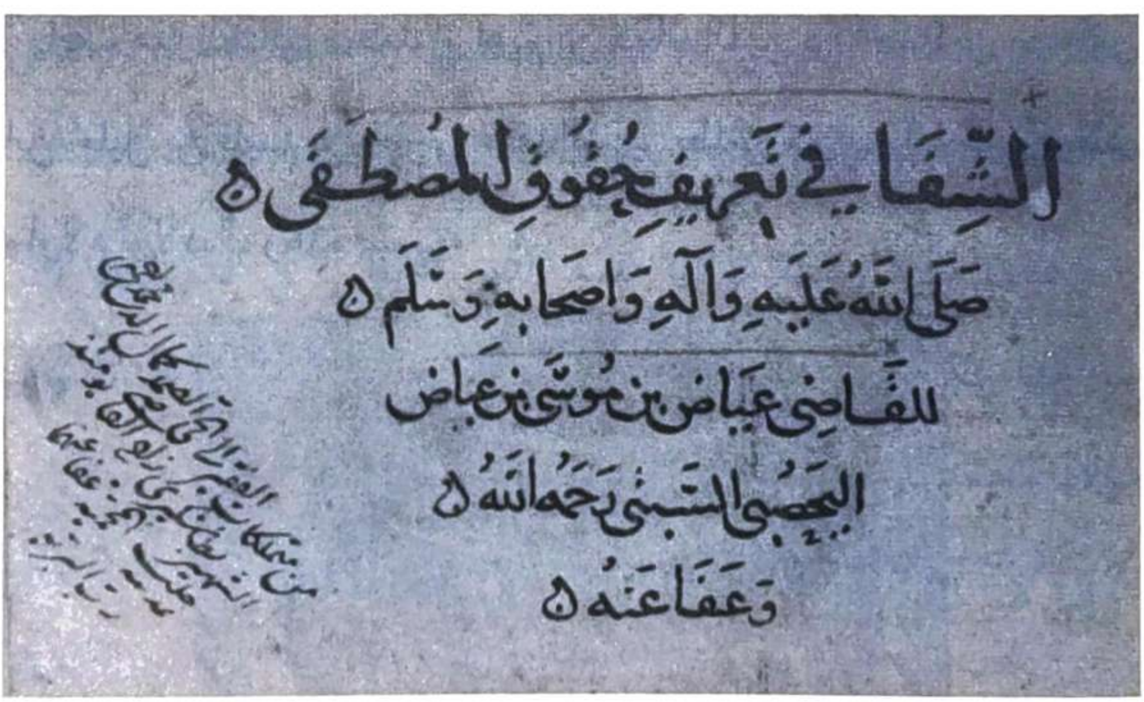


- **الثَّاني**: وهو تملُّكه لنسخة وليِّ الدِّين أفندي رقم: 1031 من كتاب **"أنوار البروق في أنواع الفروق"**، لشهاب الدِّين القرافي (ت.684هـ)، وصيغته: **"تَمَلَّكَهُ العبد الفقير إلى الله الملك الجليل أحمد بن مصطفى بن خليل، عفى الله تعالى عنهم بلطفه الجميل، ومنِّهِ الجزيل، بمحروسة قسطنطينية بثمن قدره**: 140. **سنة** 961**هـ"**، هذه صورته:



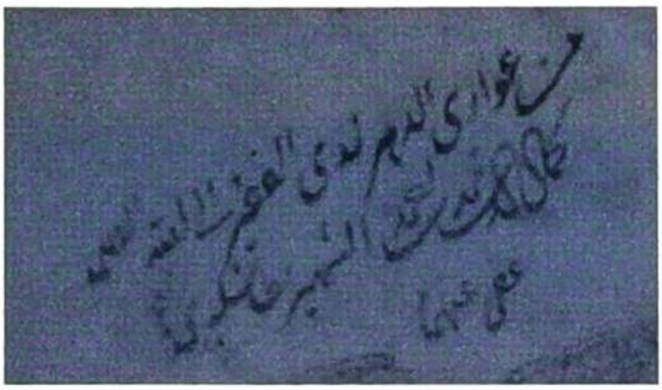
وقد ورث عنه حبَّ الكتب ونَسْخِهَا واقتنائها ابنه ووارث سرِّه في العلم والفضل كمال الدين محمد، حيث وجدنا مجموعة من الكتب المخطوطة الَّتي نَسَخَها بيده الشَّريفة ليس هذا محلَّ ذكرها، كما وقفنا في طالعة بعضها على تملُّكاته، ونكتفي هنا بإيراد نموذجين:

- الأول: تَمَلُّكُهُ لنسخة كتاب **"الشِّفا في التَّعريف بحقوق المصطفى"**، للقاضي عياض (ت.544هـ)، المحفوظة بالسليمانية تحت رقم: 222، مجموعة حاجي سليم أغا، وجاء بالصِّيغة الآتية: **"من ممتلكات الفقير إلى الحيِّ الصَّمد كمال الدين محمد بن أحمد الشهير بطاش كبري زاده القاضي يومئذ بمدينة حلب المحمية، عَفَى عنهما ربُّ البرية"**. وهذه صورته:



وتَمَلُّكُهُ أيضا لنسخة خطية من كتاب **"مغني اللَّبيب عن كتب الأعاريب"**، لابن هشام اللَّخمي (ت.761هـ)، المحفوظة بالسُّليمانية

تحت رقم: 3256، جاء فيه: **"من عواري الدَّهر لدى الفقير إلى الله الصَّمد، كمال الدين محمد بن أحمد، الشَّهير بطاش كبري زاده عُفي عنهما"**. وهذه صورته:



وقد ورث هذه الخزانة العامرة حفيده محمد إبراهيم بن كمال الدين محمد وحبَّسها على أولاده وأولاد أولاده، كما جاء في ختم تحبيسه: "واقف هذا الكتاب محمد إبراهيم بن كمال الدين بن أحمد بن مصطفى ابن خليل بن قاسم بن حاجِي صفا الشَّهير بطاش كبري زاده على أولاده وأولاد أولاده"، وهذه صورته:



10- ثناء أهل العلم عليه:

كان طاش كبري زاده محبا للعلماء الرَّبانيِّين، مقدِّرا لهم ولجهودهم في خدمة العلم، وقد أثنى على كثير منهم في هذا الكتاب فقد قال مثلا في حقِّ مُحَمَّدِ بنِ قُطْبِ الدِّينِ الإِزْنِيقِيِّ (ت.884هـ): "وهو من مَشاهيرِ بِلادِنَا عِلْمًا وَفَضْلًا وزُهْدًا وَوَرَعًا وَكَشْفًا، وبِالْجُمْلَةِ؛ هو جامِعٌ بين رِئاسَتَيِ النَّظَرِ والْكَشْفِ"[1].

وقال في تحلية صدر الشَّريعة الأصغر عبيد الله بن مسعود بن محمد المحبوبي (ت.747هـ): "كانَ رَحِمَهُ اللهُ بَحْرًا زَاخِرًا لَا يُدْرَكُ لَهُ قَرَارٌ، وَطَوْدًا شَامِخًا لَا يَرْتَقِي إِلَى قُنَّتِهِ وَلَا يُصَارُ، وَلَقَدْ كانَ آيَةً كُبْرَى في الْفَضْلِ وَالتَّدْقِيقِ، وَعُرْوَةً وُثْقَى فِي الْإِتْقَانِ وَالتَّحْقِيقِ. رَوَّحَ اللهُ رُوحَهُ، وَزَادَ فِي غُرَفِ الْجِنَانِ فُتُوحَهُ"[2].

وحينما ذكر "**رِسالَةَ مَوْلانا عَضُدِ الدِّينِ الإيجي**" في علم النَّظر ذكر شارحها وقال: "وشَرَحَها بعضُ الْفُضَلاءِ الْمُعاصِرينَ لنا شَرْحًا حَسَنًا، وهو مَوْلانَا مُحَمَّدُ بنُ محمَّدِ الْبَرْدَعِيُّ، وكان ذَكِيًّا في الْغايَةِ"[3].

إلى غير ذلك من الشَّواهد في الثناء على العلماء.

---

(1) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 2/ 460.

(2) المصدر نفسه: 2/ 864- 865.

(3) المصدر نفسه: 1/ 417.

وكان بفضل هذه الميزة، وبفضل تعفُّفِهِ عن أسباب الدُّنيا الفانية، وكريم أخلاقه، وحسن معاشرته، له حظوة وقبول عند معاصريه، وتقدير وإجلال لدى تلامذته واللَّاحقين عليه، فأغلب من ذكره أو ترجمه حلَّاه بصفات الإمامة في العلم، والرِّيادة في الفضل، والسِّيادة بالزُّهد، وكلِّ صفات الكمال الَّتي تشرئب لها نفوس وأعناق الفضلاء، وقد ذكرنا قسما مما حُلِّيَ به من حسن السِّيرة والْخُلُق، والصَّلاح والتَّديُّنِ في المبحث الخاصِّ بمذهبه وحاله، فلا داعي لتكرارها هنا.

وممن حَلَّاهُ من أهل العلم من المعاصرين له أو اللاحقين عليه:

- علي بن بالي مُنَّق الرُّومي الحنفي (ت.992هـ)، صاحب "**العقد المنظوم في ذكر أفاضل الرُّوم**"، الَّذي وصفه بأحلى الصِّفات، وأَجَلِّ الألقاب، نقتطف منه قوله: كان المولى طاش كبري زاده "بحرا من المعارف والعلوم، مُتَسَنِّمًا من الفضائل سنامها وغارِبَها، مقيِّدا من المعاني شواردها وغرائبها ... صارفا لجميع أوقاته في تحصيل العلوم وعباداته"[1].

- ووصفه تقيُّ الدِّين الغَزِّي في كتابه "**الطبقات السَّنية في تراجم الحنفية**" بسعة الاطِّلاع على أخبار النَّاس، وأحوال الأفاضل، وقُوَّةِ الحافظة[2].

---

(1) العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم: 338.

(2) الطبقات السنية في تراجم الحنفية: 2/ 109.

- وقال عنه الحسن بن محمد بن محمد البوريني (ت.1024هـ)، في كتابه "**تراجم الأعيان من أبناء الزَّمان**": "الإمام المشهور، المحمود المشكور، الَّذي هو بلسان الدَّهر مذكور ... طلب العلم طفلا وكهلا، وقال له لسان القبول أهلا وسهلا، فاشْتَهَرَ اشْتِهارَ الشَّمس في رابعة النَّهار، وظهر ظهور قطر السَّحاب في سائر الأقطار، أدرك من العلوم مطلوبه، وحاز من التَّحقيق محبوبه، وتولَّى التَّدريس في مدارس كثيرة في بلاد الرُّوم، وبحث فيها مع الطَّلبة عن أسرار المنطوق والمفهوم، وصنَّفَ وألَّفَ، وحَصَّلَ وأَصَّلَ، وتَفَضَّلَ وأفضل، وتَكَمَّلَ وأكمل، وله تصانيف ... تضمَّنت تحقيقاتٍ سديدةً، وتدقيقاتٍ عديدةً، تظهر أنَّ مؤلِّفها قد ملك عنان الفضائل، وحاز في الزَّمن الأخير ما لم تَحُزْهُ الأوائل، وكان له في العربية الباع الطَّويل، والمعرفة الَّتي أذعن لها الخليل، وكان مع ذلك كُلِّه ينظم الشِّعر العربيَّ المليح، وينشئ الإنشاء البديع الفصيح ... كان ... من محاسن الزَّمان، ولو لم يُرْمَ بالعمى لأظهر من الفضل ما يَكِلُّ عنه اللِّسان"[1].

- وقال في حَقِّهِ صاحب "**طبقات المفسرين**": "كَانَ عَالِمًا بالعلوم والْأُصُولِ وَالتَّفْسِيرِ، وله مصنَّفاتٌ فِي التَّفْسِيرِ وَالْأُصُولِ والعربية"[2].

---

(1) تراجم الأعيان من أبناء الزمان: 1/ 73-75.

(2) طبقات المفسرين للأدنه وي: 1/ 387-388.

- وقال عنه حاجي خليفة في "**سُلَّم الوصول إلى طبقات الفحول**": كان طاش كبري زاده "عمدة علماء الرُّومِ، حَسَنَ الأخلاق، مشكورَ العادة، حسن الخطِّ، جيِّدَ الضَّبْطِ"[1].

- وقال عنه ابن العماد الحنلي: "كان من العلماء الأعيان ... وكان بحرا، زاخرا، مُنْصِفًا، مُصَنِّفًا"[2].

---

(1) سلم الوصول: 1/ 252.

(2) شذرات الذهب: 10/ 514.

11- وفاته:

ابْتَلَى الله سبحانه وتعالى طاش كبري زاده سنة 961هـ بداء الرَّمَدِ، "فأضرَّتْ عيناه، وانطفأتْ كريمتاه"[1]، فاستعفى من المناصب الَّتي كان يتولَّاها وعلى رأسها القضاء، ولزم بيته، وصبر واحتسب على الابتلاء، فأكرمه الله بالاشتغال بالعلم والتَّأليف، فَأَلَّفَ ـ كما رأينا في مبحث آثاره ومؤلَّفاته ـ العديد من الكتب والرَّسائل على طريقة الإملاء، لكنَّه ابتليَ أيضا قبيل وفاته بمرض البواسير الَّذي كان سببا في موته سنة (968هـ)، ودفن في تربة أبيه في زاوية عاشق باشا[2].

ومن نبله وكريم أخلاقه أنَّهُ أَبْرَأَ أَوْلادَهُ وَأَقْرِباءَهُ قُبَيْلَ حلولِ أجله من التَّقصير في حسن خدمته ورعايته أثناء محنته ومرضه، فقال في شهادة إبرائهم: "بِسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم، الحمد لله ربِّ العالمين، وَالصَّلَاة وَالسَّلَام على نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّمَ وآلِهِ وَصَحْبِهِ أجمعين، وعَلى الْمَشَايِخ الزَّاهدين، وعَلى الْفُقَرَاء الصَّابرين، وعَلى الأغنياء الشَّاكِرِينَ، وَسَلِّمْ عليهم سَلامًا إلى يَوْمِ الْحَشْرِ وَالدّينِ، ثُمَّ إنِّي أُشْهِدُكَ وأُشْهِدُ ملائكتك بِأَنِّي عِشْتُ على مِلَّة الإسلام، وعُذْتُ عَن الْبِدْعَةِ فِي الدِّينِ، وَأَرْجُو أنْ أَلْقَاكَ بالإسلامِ فِي يَوْم الدِّين، ثمَّ إنَّ أولادي وأقربائي الْتَمَسُوا

---

(1) العقد المنظوم: 337.

(2) سلم الوصول: 1/ 252.

منِّي أن أجعلهم فِي حِلٍّ مِمَّا عَمِلُوا من الإساءَةِ فِيمَا وَجَبَ عليهم من رِعَايَةِ حَقِّي، وإنِّي جعلتهم فِي حِلٍّ إن عَمِلُوا فِي رِعَايَةِ حَقِّي فِيمَا بعد ذَلِك. وَالسَّلَام على سَيِّدِ الأنامِ وصَحْبِهِ الْكِرَامِ"[1].

رحم الله طاش كبري زاده، ونفع الأمة بعلمه، وجمعنا به في دار كرامته مع سيدنا محمد خاتم الأنبياء، وسند الأصفياء، وسائر الأنبياء والأولياء والصُّلحاء، إنَّه سميع مجيب.

---

(1) العقد المنظوم: 337.

المحور الثاني: أهمية كتاب "مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة" وتوثيق عنوانه ونسبته إلى مؤلِّفه ودواعي إعادة تحقيقه وخطة العمل فيه

1- توثيق عنوان الكتاب ونسبته إلى مؤلِّفه:

أعظم شاهد على توثيق عنوان الكتاب هو وروده كاملا غير منقوص أو مختصر في مقدمة الكتاب، وهذا الشاهد ينسخ سائر الأقوال الواردة في المصادر في وصفه سواء كانت مجملة أو مفصلة، ومن حسن حظِّنا، وكريم لطفه بنا أن وفق الله طاش كبري زاده لزبر عنوان كتابه كاملا في نهاية مقدمته فقال: "وإذا انْتَهَى الْكَلَامُ إلى هذا الْمَقَامِ، فلا علينا أنْ نُوَجِّهَ عِنَانَ الْأَقْلَامِ، إلى صَوْبِ الشُّرُوعِ في الْمَرَامِ، وباللهِ التَّوْفِيقُ والْإِعْلَامُ، **وَسَمَّيْتُ الرِّسَالَةَ: بـ "مِفْتاحُ السَّعادَةِ ومِصْباحُ السِّيادَةِ"** ..."[1]. لذلك لم نتردد في اختياره عنوانا للكتاب.

وورد بهذا العنوان منسوبا إلى مؤلفه طاش كبري زاده في **"كشف الظُّنون عن أسامي الكتب والفنون"**، لحاجي خليفة في موضعين:

- الأول قوله: **"مفتاحُ السَّعادة ومِصْباحُ السِّيادة"**، "في موضوعاتِ العلوم، للمَوْلى أحمد بن مصطفى المعروف بطاش كبري زادَه، ... ذكر فيه مئةً وخمسينَ فنًّا وأجاد"[2].

---

(1) مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة: 1/ 8.

(2) كشف الظنون: 2/ 1762.

والثاني ذكره بعنوانه في قوله: "جَمَع المَوْلى عصامُ الدِّين أحمدُ بن مصطفى المعروفُ بطاش كُبري زاده كتابًا عظيمًا أورَدَ فيه نحوَ خمسمئة علم، سمَّاه: "**مفتاح السَّعادة ومصباحُ السِّيادة**"، وجعله على طَرَفَيْنِ، الأول: في خُلاصة العلم، وذَكر فيه ثمانيَ عَشْرةَ وصيَّةً للطّالبين، والثاني: في تَعداد العُلوم في ضِمن ثلاثةِ أقسام: آلية، اعتقاديَّة، عملية. وجَعَل علمَ الأخلاق ثمرةَ كلِّ العُلومِ"[1].

لكنَّه في قوله الأول أضاف إلى العنوان ما ليس منه، وهو قوله: "في موضوعات العلوم"، وهي إضافة شارحة لموضوع الكتاب ومحدِّدة لمجاله المعرفي، وقد ألحقت هذه الإضافة إلى عنوان الكتاب في طبعتي الكتاب الهنديَّةِ والمصريَّةِ، وهي ليست منه كما هو واضح في الشاهد الثاني لحاجي خليفة نفسه.

وقد ذكره كذلك مختصرا في كتاب "**سُلَّم الوصول إلى طبقات الفحول**" فقال: "له مؤلَّفات منها **مفتاح السَّعادة** في موضوعات العلوم"[2].

كما ورد بصيغ مختلفة في مصادر ترجمة طاش كبري زاده، فقد لخص مضمونه صاحب "**العقد المنظوم في ذكر أفاضل الرُّوم**" فقال: و"كتاب ذكر

---

(1) كشف الظنون: 2/ 1906.

(2) سلم الوصول: 1/ 252.

فيه أنواع العلوم وضُروبَها وموضوعاتها وما اشتهر من المصنَّفات في كلِّ فنٍّ مع نُبَذٍ من تواريخ مصنِّفيها، وهو كتاب نفيس غزير الفائدة"[1].

ونسبه إليه تقيُّ الدِّين الغَزِّي في كتابه "**الطبقات السَّنية في تراجم الحنفيَّة**"، وسمَّاه: **موضوعات العلوم**، فقال: "وله من المؤلَّفات كتاب **موضوعات العلوم**، جمع فيه فوائد كثيرة"[2].

وذكره بالعنوان نفسه الحسن بن محمد بن محمد البوريني (ت.1024هـ)، في كتابه "**تراجم الأعيان من أبناء الزَّمان**"، وطالعه، وَقَرَّظَهُ تقريظا حسنا فقال: "فمن جملة ما ألَّف كتابه المسمَّى: **موضوعات العلوم** الَّذِي حارت في محاسنه راسخات الفهوم، وتناقلته أيدي الرِّفاق في الآفاق، وفاقت بسببه جميع معاصريه وفاق، ولقد حضر الكتاب المذكور مع ولد المؤلِّف، هو المولى كمال الدِّين محمد بن أحمد إلى دمشق الشَّام حين قدم إليها قاضيا، وطلبته منه لأنظر فيه، فوجدته نمطا عجيبا، وأسلوبا غريبا، يتضمن فوائد فرائد، وعرائس زينتها القلائد، ونقلت منه مطالب عزيزةً تُرَخِّصُ عند الذَّهَبي إبريزَهُ ..."[3].

أما ابن العماد الحنبليّ فقد نسبه إليه في **شذرات الذهب** ولم يُسَمِّهِ، وذكر مضمونه وقيمته العلميَّة فقال: "وكتاب ذكر فيه أنواع العلوم وضروبَها

---

(1) العقد المنظوم: 339.

(2) الطبقات السنية في تراجم الحنفية: 2/ 109.

(3) تراجم الأعيان من أبناء الزمان: 1/ 73-75.

وموضوعاتها، وما اشتهر من المصنَّفات في كل فنٍّ، مع نبذ من تواريخ مصنِّفيها، وهو كتاب نفيس غزير الفوائد"(1).

ووصف طاش كبري زاده كتابه هذا بأنَّه **"رسالة"** في أكثر من موضع، نكتفي بإيراد شاهدين على ذلك:

- قال في الأول: "وهذه **الرِّسالَةُ** الَّتي نحن بِصَدَدِ تَنْقِيحِها وتَهْذِيبِها عَظِيمَةُ النَّفْعِ في هذا الْبابِ، واللهُ أعْلَمُ بالصَّوابِ"(2).

- وقال في الثاني: "وَتَفْصِيلُ هَذَا الْفَنِّ خَارِجٌ عَنْ طَوْقِ هَذِهِ **الرِّسَالَةِ**، وَقَدْ صَنَّفَ فِيهَا جَمَاعَةٌ بِالْأَصَالَةِ، كَالْهَرَوِيِّ فِي **الْأُزْهِيَّة**، وَابْنِ أُمِّ قَاسِمٍ في **الْجَنَى الدَّانِي**، وَأَدْرَجَهُ السُّيُوطِيُّ فِي **الْإِتْقَان**"(3).

ووصفه أيضا بـ **"المختصر"** في موضع واحد في قوله: "وَتَحْقِيقُ هذا الْمَقامِ خارِجٌ عَنْ طَوْقِنَا وَعَنْ طَوْقِ هذا **الْمُخْتَصَرِ**، لِأَنَّهَا داخِلَةٌ في عُلومِ الْمُكاشَفَةِ، وَوَراءَها سِرُّ الْقَدَرِ الَّذِي مَنَعَ الشَّرْعُ عَنْ إِفْشائِهِ"(4).

وهذه سنة معروفة عند المصنِّفين، أن ينعتوا كتبهم بالرِّسالة، أو بالمختصر، أو بالتَّقييد.

وَعَدَّ هذا الكتاب أيضا بَثًّا وشكوى يروم من خلالها تعريف العلوم الدُّنيويَّةِ التي تُنال بها السَّعادَةُ الأخرويَّةُ فقال: "فَهَذِهِ بَثٌّ لِمَا وَقَرَ في صَدْرِي

---

(1) شذرات الذهب: 10/ 515.

(2) مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة: 1/ 440.

(3) المصدر نفسه: 3/ 1249.

(4) المصدر نفسه: 4/ 1910.

من الْعُلُومِ الْفَاخِرَةِ، وَعَيْنٌ بَعْدَ أَثَرٍ في تَحْصِيلِ سَعَادَةِ الْآخِرَةِ، أَمْلَيْتُهَا بِقَلَمٍ يُبْدِي الْعُجَابَ، إذا سَأَلَ أَوْ أَجَابَ، وَيُنْسِي حَسَّانَ وسَحْبَانَ إذا أَبَانَ في الْبَيَانِ، فَجَاءَتْ بِحَمْدِ اللهِ بَدِيعَ الْمِثَالِ في كُلِّ بَابٍ من الْبَيَانِ، مَنِيعَ الشَّأْنِ، رَفِيعَ الْجَنَابِ عند الْعُلَمَاءِ وَالْأَعْيَانِ، مَخَضْتُ فيها حَقَائِقَ الْعُلُومِ عن دُرَرِهَا، وَمَحَضْتُ نُصْحِي في اسْتِخْرَاجِ دُرَرِهَا"[1].

إلَّا أنَّه مدح كتابه بمختلف صفاته ونعوته، ووصف جهده في تحرِّي الدِّقَّةِ والصَّواب في نقل المعلومات الواردة فيه، واختيار الألفاظ والعبارات البليغة البديعة لرصفها فجاءت كما قال: "مَدِينَةَ عِلْمٍ عَلِيِّ الْبَابِ، مَنِيعِ الْجَنَابِ، رَفِيعِ الْأَسْوَارِ، سَحِيقِ الْأَقْطَارِ، وَجَنَّةً، أَشْجَارُهَا مُورِقَةٌ، وأَنْهَارُهَا مُونِقَةٌ، وأُكْلُهَا دَائِمٌ في اللَّيْلِ والنَّهَارِ، وظِلُّهَا قَائِمٌ في الْهَجِيرِ والْأَسْحَارِ، ونَعِيمُهَا مُقِيمٌ، ومِزَاجُهَا مِنْ تَسْنِيمٍ؛ ودُونَكَ خِزَانَةً، مَنْ فَضَّ خِتَامَهَا اطَّلَعَ على نَبَإٍ يَقِينٍ، وَحَقٍّ مُبِينٍ، وَسِرٍّ مَخْزُونٍ، وَدُرٍّ مَكْنُونٍ، ولَيْسَ وَرَاءَهَا مَزِيدٌ لِرَائِدٍ، ولا دُونَهَا مَرَامٌ لِجَاهِدٍ، وَمَنَحْتُكَ مَنِيحَةً إنْ رُوِّيتَ فيها تُرَوِّيكَ درَّهَا، وَآثُرُ لَكَ أَحَادِيثَ تَقُولُ حين تَسْمَعُهَا: للهِ دَرُّهَا! وقَدَّمْتُ إليكَ سَفِينَةً تَعْبُرُ بها بِحَارًا بَعِيدَةَ الْأَغْوَارِ، وَتَتَخَلَّصُ في قَامُوسِهَا وتَيَّارِهَا من الْبَوَارِ، وَرَحَّلْتُكَ مَطِيَّةً تَصِلُ بها إلى رِيَاضٍ، وَتَشْرَبُ هَنِيئًا لك مِمَّا فيها من الْحِيَاضِ، وَتَجْتَنِي أَطَايِبَ أَثْمَارِهَا، وتَقِفُ على عَجَائِبِ أَسْمَارِهَا"[2].

---

(1) مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة: 1/ 1-2.

(2) المصدر نفسه: 1/ 2-3.

2- تاريخ تأليف كتاب مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة وسبب تأليفه:

كما كفانا طاش كبري زاده مؤنة توثيق عنوان كتابه "**مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة**" من المصادر الَّتي تَذْكُرُ في الغالب الأعَمِّ عنوانات الكتب مختصرة أو مبدَّلَةً، أو موصوفة بموضوعها، أو بجنس العلم المؤلَّفة فيه، فقد كفانا أيضا معضلة البحث في تاريخ تأليف الكتاب، فقد تولى المؤلِّف بنفسه التَّصريح بتاريخ تأليف الكتاب في موضعين:

- الأول: ذكره عرضا حين كان يتكلم على صحة مذهب الإمام أبي الحسن الأشعري رحمه الله فقال: "وَلَمْ يُنْقَلْ عَنْ وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلاءِ مِنْ مَبْدَإِ ظُهُورِ الْأَشْعَرِيِّ إِلَى زَمَانِنَا هَذَا، وَهُوَ **ثَمَانٍ وَأَرْبَعُونَ وَتِسْعُمِئَةٍ مِنَ الْهِجْرَةِ،** إِنْكَارُ شَيْءٍ مِنْ مَذْهَبِهِ وَلَوْ فِي شَيْءٍ قَلِيلٍ"[1].

- الثَّاني: ذكره عند حديثه عن تاريخ وفاة جالينوس حيث قال: "**وَاعْلَمْ أَنَّ مُنْذُ** وَفاةِ جالينوسَ إلى هذا التَّاريخِ، وهو **ثَمانٍ وأَرْبَعونَ وتِسْعُمِئَةٍ سَنَةٍ** من هِجْرَةِ نَبِيِّنَا محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّمَ، أَلْفٌ وأَرْبَعُمِئَةٍ وسِتٌّ وسَبْعونَ تَقْريبًا"[2].

فتاريخ تأليف الكتاب إذن هو سنة 948هـ.

ولم يؤلف طاش كبري زاده كتابه **مفتاح السَّعادة** نزولا عند رغبة أمير، أو وزير، أو وجيه، وإنَّها ألَّفه بدافع غيرته على وضعية العلم المتدنية في

---

(1) مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة: 1/ 842.

(2) المصدر نفسه: 2/ 445.

عصره، الَّتي قال في وصفها: "وإلى اللهِ الْمُشْتَكَى من زَمانٍ كَسَدَتْ فيه بَضائِعُ الْعُلومِ، وَفَسَدَتْ فيه صَنائِعُ الرُّسومِ"[1]. أما النَّاس الَّذين يعيش بين ظهرانيهم فقد قال فيهم: "وإلى اللهِ الْمُشْتَكَى مِنْ قَوْمٍ وَقَعْتُ بَيْنَ أَظْهُرِهِمُ الْيَوْمَ، إِذْ غَلَبَ عليهمُ الْجَهْلُ وَطَمَّهُمْ، وَأَعْمَاهُمْ حُسْنُ الظَّنِّ بأنْفِسِهِمْ وأَصَمَّهُمْ، كُلَّمَا هَدَيْتَهُمْ إلى الْعِلْمِ كَانَ أَصَمَّ وأَعْمَى لَهُمْ، وَيَحْسِبُونَ أَنَّهم يُحْسِنُونَ أعْمَالَهُمْ، وما غُرِزَ في غَرِيزَتِهِمْ إلَّا الْعَصَبِيَّةُ والْجِدَالُ، وما طُبِعَ نَحِيزَتُهُمْ[2] إلَّا على تَنْقِيصِ أَهْلِ الْكَمَالِ، والْعَالِمُ بينهم مَوْجُومٌ يَتَلَاعَبُ به الصِّبيانُ، والْكَامِلُ عِنْدَهُمْ مَذْمُومٌ دَاخِلٌ في كِفَّةِ النُّقْصَانِ. وَايْمُ اللهِ هذا الزَّمَانُ قد افْتُرِضَ فيه السُّكُوتُ، وأنْ تَصِيرَ حِلْسًا من أَحْلَاسِ الْبُيُوتِ"[3].

أما بعض العلوم فكاد يندثر رسمها كما هو حال **علم الحديث** الَّذي قال عن علمائه: "وَاعْلَمْ أنَّ قُصَارَى نَظَرِ أَبْنَاءِ هذَا الزَّمانِ في عِلْمِ الْحَدِيثِ، النَّظَرُ فِي: "**مَشَارِقِ الْأَنوَارِ**" لِلصَّاغَانِيِّ، فَإِنْ تَرَفَّعَتْ إِلَى **مَصَابِيحِ** الْبَغَوِيِّ وظَنَّتْ أَنَّهَا تَصِلُ إلى دَرَجَةِ الْمُحَدِّثِينَ، وَمَا ذَلِكَ إلَّا لِجَهْلِهِمْ بِالْحَدِيثِ، بَلْ لَوْ حَفِظَهُمَا عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ، وَضَمَّ إِلَيْهِمَا مِنَ الْمُتُونِ مِثْلَيْهِمَا، لَمْ يَكُنْ مُحَدِّثًا حتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ"[4]. وقال: "فَإِنَّ عُلَمَاءَ عَصْرِنَا، ومُحَدِّثِي زَمَانِنَا، لا

(1) مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة: 1/ 395.

(2) النَّحيزَةُ: الطبيعة، والجمع نحائز. اللسان: نحز.

(3) مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة: 1/ 4- 5

(4) المصدر نفسه: 1/ 2/ 782.

يَعْرِفُونَ مِنْ هَذَا الْعِلْمِ إِلَّا الِاسْمَ، وَلَا يَعْرِفُونَ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَّا الرَّسْمَ، وكانَ عَصْرُ مَشَايِخِ الْحَدِيثِ خُلاصَةَ الْأَعْصَارِ، وَدَهْرُهُمْ سُلَالَةَ الدُّهُورِ، وَزِينَةَ الْأَزْمَانِ وَالْأَدْوَارِ، ثُمَّ انْتَقَصَ هَذا الْعِلْمُ قَلِيلًا قَلِيلًا، وَصَارَ رِجَالُهُ في الْمَعْرِفَةِ عَلِيلًا"[1].

وأغلب علماء عصره عكفوا على جمع المال، والتَّزلف إلى السَّلاطين وذوي الجاه، فأزروا بهيبتهم وهيبة العلم، وقد أكثر الشَّكوى منهم في هذا الكتاب، نكتفي هنا بإيراد شاهد واحد على ذلك وهو قوله: "فَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عُلَمَاءِ السُّوءِ، وَإِنَّمَا يُتْلِفُ السَّلَاطِينَ فَسَقَةُ الْفُقَهَاءِ، فَإِنَّ الْفُقَهَاءَ مَا بَيْنَ صَالِحٍ وَطَالِحٍ، فَالصَّالِحُ غَالِبًا لَا يَتَرَدَّدُ إِلَى أَبْوَابِ الْمُلُوكِ، وَالطَّالِحُ يَتَرَدَّدُ إِلَيْهِمْ، وَيَجْرِي مَعَهُمْ عَلَى أَهْوَائِهِمْ، ويُهَوِّنُ عَلَيْهِمْ الْعَظَائِمَ، وَهُوَ عَلى النَّاسِ شَرٌّ مِنْ أَلْفِ شَيْطَانٍ. كَمَا أَنَّ صَالِحَ الْفُقَهَاءِ أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ. وَلَكِنَّ هَؤُلَاءِ الْمَسَاكِينَ بَاعُوا الدِّينَ بِالدُّنْيَا، وَبَدَّلُوا الْإِسْلَامَ بِالْهَوَى، وَمِثْلُ هَؤُلَاءِ كَثِيرٌ فِي كُلِّ زَمَانٍ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ. فَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ أَمْثَالِهِمْ، وَإِلَى اللهِ تَعَالَى أَتَبَرَّأُ مِنْ أَحْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ"[2].

وأما غرضه ومقصده من تأليف هذا الكتاب فحدده بقوله: "**وَاعْلَمْ أَنَّ** تَحْصِيلَ الْعُلومِ لَمَّا لم يُمْكِنْ إِلَّا بِتَصَوُّرِهَا اسْمًا ورَسْمًا، ومَوْضوعًا وَنَفْعًا، أَحْبَبْنَا أن نُبَيِّنَ في هذه الرِّسالَةِ الْأُمورَ الْمَذْكورَةَ في كلِّ عِلْمٍ عِلْمٍ أَصْلًا

---

(1) مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة: 2/ 812.

(2) المصدر نفسه: 2/ 857.

وفَرْعًا، وَنُبَيِّنَ أَسْماءَ الْكُتُبِ الْمُؤَلَّفَةِ فيها، وَأَسْماءَ مُؤَلِّفيها، لِيَكونَ عَوْنًا لك في تَحْصيلِ الْعُلومِ، وتَرْغيبًا في طَلَبِها، وإرْشادًا إلى طُرُقِ تَحْصيلِها.

أَمَّا ذِكْرُ الْمُصَنَّفَاتِ، فَلِلتَّنْبيهِ على مَرَاتِبِهَا، وَجَلالَةِ قَدْرِهَا، والتَّفاوُتِ بين تلك الْكُتُبِ. وفي ذلك إِرْشادٌ لِلطَّالِبِ إلى تَحْصيلِها، وتَعْريفٌ له بما يَعْتَمِدُهُ منها، وتَحْذِيرُهُ مِمَّا يُخافُ من الِاغْتِرارِ.

وأَمَّا ذِكْرُ مُؤَلِّفيها:

- فمنها: مَعْرِفَةُ مَناقِبِهِمْ وَأَحْوالِهِمْ، فَتَتَأَدَّبُ بآدابِهِمْ، وتَقْتَبِسُ الْمَحَاسِنَ من آثارِهِمْ.

- ومنها: مَرَاتِبُهُمْ وأَعْصَارُهُمْ، فَيُنَزَّلُونَ مَنازِلَهُمْ، ولا يُقْصَرُ بالْعَالِي في الْجَلالَةِ عن دَرَجَتِهِ، ولا يُرْفَعُ غيره عن مَرْتَبَتِهِ.

- ومنها: أَنَّهُمْ أئِمَّتُنَا وأَسْلافُنَا كَالْوَالِدِينَ لنا، وأَجْرى علينا في مَصَالِحِ آخِرَتِنَا الَّتِي هي دارُ قَرارِنا، وَأَنْصَحُ لنا فيما هو أَعْوَدُ علينا، فَيَقْبُحُ بنا أن نَجْهَلَهُمْ، وأن نُهْمِلَ مَعْرِفَتَهُمْ.

- ومنها: أنْ يَكونَ الْعَمَلُ بِقَوْلِ أَعْلَمِهِمْ وَأَوْرَعِهِمْ إذا تَعَارَضَتْ أَقْوالُهُمْ.

وَغَيْرُ ذَلِكَ من الْفَوَائِدِ"[1].

(1) مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة: 1/ 120-121.

3- وقفة مع عنوان الكتاب:

لـم يختر طاش كبري زاده عنوان كتابه **"مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة"** جزافا أو اعتباطا، بل سَوَّغَ سَبَبَ اختيارِ هذا العنوان في أكثر من موضع:

منها قوله: "اعْلَمْ أنَّ الْكُلَّ مُتَّفِقُونَ على أنَّ السَّعادَةَ الْأَبَدِيَّةَ، والسِّيادَةَ السَّرْمَدِيَّةَ، لا تَتِمُّ إلَّا بالْعِلْمِ والْعَمَلِ. وأنَّهما تَوْأمانِ. وله تَوْجيهانِ:

أحدهما: الشَّائِعُ الْمَشْهورُ، وهو أَنَّهُ لا يُعْتَدُّ بِواحِدٍ منهما بِدونِ الْآخَرِ، إذِ الْعِلْمُ بِدونِ الْعَمَلِ وَبَالٌ. والْعَمَلُ بلا عِلْمٍ ضَلالٌ. وقال الله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[1].

وثانيهما: أنَّ كُلًّا منهما ثَمَرَةٌ للآخَرِ[2]. مَثَلًا إذا تَمَهَّرَ الرَّجُلُ في اكْتِسابِ الْعِلْمِ، وحَذَقَ فيه، لا مَنْدوحَةَ له عن الْعَمَلِ بِموجِبِهِ. إذ لو قَصَّرَ في الْعَمَلِ، لم يكن في عِلْمِهِ كَمالٌ. وأيْضًا إذا باشَرَ الرَّجُلُ الْعَمَلَ، وجاهَدَ فيه، وَارْتاضَ حَسْبَمَا بَيَّنُوهُ من الشَّرائِطِ، يَنْصَبُّ على قَلْبِهِ الْعُلومُ النَّظرِيَّةُ بِكَمالِها. كما قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[3].

وهاتان طَريقَتانِ، الْأَوَّلُ منهما طَريقَةُ الِاسْتِدْلالِ، والثَّاني طَريقَةُ الْمُشاهَدَةِ، وَالْأَوَّلُ دَرَجَةُ الْعُلَماءِ الرَّاسخينَ. والثَّاني دَرَجَةُ الصِّدِّيقينَ. وقد

---

(1) سورة فاطر، الآية: 10.

(2) الآخرة، في رئيس الكتاب.

(3) سورة الروم، الآية: 69.

يَنْتَهِي كُلٌّ من الطَّرِيقَتَيْنِ إلى الأُخْرى، فَيَكونُ صاحِبُهُ مَجْمَعًا لِلْبَحْرَيْنِ، أي بَحْرَيِ الِاسْتِدْلالِ والْمُشاهَدَةِ، أو الْعِلْمِ والْعِرْفانِ، أو الشَّهادَةِ والْغَيْبِ"[1].

والثَّاني: ذكر فيه طريق نيل شَرَفِ السَّعادة الأبديَّة والسِّيادة السَّرمديَّة فقال: "ثُمَّ إنَّ الشَّرَفَ لَمَّا كان من جِهَةِ الثَّمَرَةِ تارَةً، ومن جهة قُوَّةِ الدَّليلِ أخرى، فاعْلَمْ أنَّ شَرَفَ الثَّمَرَةِ أوْلَى مِنْ شَرَفِ قُوَّةِ الدَّلالَةِ، فَأَشْرَفُ الْعُلومِ ثَمَرَةً: الْعِلْمُ باللهِ ومَلائِكَتِهِ وكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وما يُعينُ عليه، فإنَّ ثَمَرَتَهُ السَّعادَةُ الأبَدِيَّةُ "[2].

ثمَّ أكد هذه الحقيقة في موضع تعريفه للعلم الإلهيِّ والغاية منه فقال: "الْعِلْمُ الْإِلَهِيُّ: عِلْمٌ يُبْحَثُ فيه عن الْمَوْجوداتِ من حَيْثُ هي مَوْجوداتٌ.

وَغايَتُهُ: تَحْصيلُ الْاِعْتِقادَاتِ الْحَقَّةِ، والتَّصَوُّراتِ الْمُطابِقَةِ لِتَحْصيلِ السَّعادَةِ الْأَبَدِيَّةِ، والسِّيادَةِ السَّرْمَدِيَّةِ.

وهذا الْعِلْمُ هو الْمَقْصَدُ الْأَقْصَى، والْمَطْلَبُ الْأَعْلَى، لَكِنْ لِمَنْ وَقَفَ على حَقائِقِهِ، واسْتَقامَ في الاطِّلاعِ على دَقائِقِهِ، لِأَنَّ من حَظِيَ بها فقد فازَ فَوْزًا عَظيمًا، وَنالَ مُلْكًا كَريمًا، ومن زَلَّتْ فيه قَدَمُهُ، أو طَغَى به قَلَمُهُ، فقد ضَلَّ ضَلَالًا بَعيدًا، وَخَسِرَ خُسْرَانًا مُبينًا، إذِ الْباطِلُ يُشاكِلُ الْحَقَّ في مَأْخَذِهِ، والْوَهْمُ يُعارِضُ الْعَقْلَ في دَلائِلِهِ. جَلَّ جَنابُ الْحَقِّ عن أنْ يَكونَ شَريعَةً لِكُلِّ

---

(1) مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة: 1/ 114-115.

(2) المصدر نفسه: 1/ 59.

وارِدٍ، أو يَطَّلِعَ على سَرائِرِ قُدْسِهِ إلَّا واحِدٌ بعد واحِدٍ. وقَلَّمَا يُوجَدُ إنْسانٌ يَصْفُو عَقْلُهُ عن كَدَرِ الْأَوْهامِ، وَيَخْلُصُ فَهْمُهُ عن مَهاوِي الْإِبْهامِ"[1].

ثُمَّ ذَكَرَ كلَّ العلوم الَّتي تُنال بها السَّعادة الأبديَّةُ فقال: "**وَبِالْجُمْلَةِ، الْعُلُومُ** التي يُتَوَسَّلُ بها إلى السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ في دَارِ السَّلامِ، في جِوَارِ الْقُدُسِ عند الْمَلِكِ الْعَلَّامِ، ما سَأَلَ جِبْرِيلُ عنه النَّبِيَّ عليهما الصَّلاةُ والسَّلامُ، وأَشَارَ بالسُّؤالِ عن الْإِيمَانِ، إلى أُصُولِ الدِّينِ، الْمُسَمَّى: **بـالْكَلامِ**، بِشَرْطِ أن لا يَتَّبِعَ الْبَاحِثَ على الْأَهْوَاءِ والْأَوْهَامِ، بل يَبْحَثُ على قَواعِدِ عَقَائِدِ الْإِسْلامِ، وعن الْإِسْلامِ، إلى عِلْمِ الفِقْهِ الْبَاحِثِ عن الْحَلَالِ والْحَرَامِ، وعن الْإِحْسَانِ إلى عِلْمِ التَّصَوُّفِ الذي هو ثَمَرَةُ الْإِيمانِ، ونَتِيجَةُ الإِسْلَامِ؛ وأَمَّا التَّفْسِيرُ والْحَدِيثُ فَدَاخِلَانِ فيما ذُكِرَ"[2].

ولعل طاش كبري زاده قد تأثر في اختيار عنوان كتابه هذا بالإمام الغزالي رحمه الله الَّذي صرَّحَ في أكثر من كتاب من كتبه بطريق نيل السَّعادة الأبديَّةِ، فقد قال في كتابه "**إحياء علوم الدين**" مثلا: "إذا نظرتَ إلى العلم رأيته لذيذًا في نفسه فيكون مطلوبًا لذاته، ووجدتَهُ وسيلةً إلى دار الآخرة وسعادتها، وذريعةً إلى القرب من الله تعالى، ولا يُتوصل إليه إلَّا به، وأعظم الأشياء رتبةً في حقِّ الآدميِّ **السَّعادة الأبديَّةُ**، وأفضل الأشياء ما هو وسيلة إليها، ولن

---

(1) مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة: 1/ 425.

(2) المصدر نفسه: 1/ 8.

يتوصل إليها إلّا بالعلم والعمل، ولا يتوصل إلى العمل إلّا بالعلم بكيفيَّة العمل، **فأصل السَّعادة في الدَّنيا والآخرة هو العلم،** فهو إذن أفضل الأعمال، وكيف لا وقد تُعْرَفُ فضيلة الشَّيء أيضا بشرف ثمرته، وقد عرفتَ أنَّ ثمرة العلم الْقُرْبُ من ربِّ العالمين"[1].

وقال في كتابه "**ميزان العمل**": "وأشرف العلوم ثمرة العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله وما يعين عليه، فإن ثمرته **السَّعادة الأبدية**"[2].

وقال في كتابه "**مقاصد الفلاسفة**": "وفائدة العلم حيازة **السَّعادة الأبدية**"[3].

وسمَّى أحد كتبه "**كيمياء السَّعادة**"، وكرر فيه نظرية في السَّعادة الإنسانيَّةِ ومما قال فيه: "وقد جمعت في باطنك صفات: منها صفات البهائم، ومنها صفات السِّباع، ومنها صفات الشَّياطين، ومنها صفات الملائكة ... فالواجب عليك أن تعرف هذا، وتعرف أنَّ لكلٍّ واحد من هؤلاء غذاء وسعادة، فإنَّ سَعادَةَ البهائم في الأكل والشُّرب والنَّوم والنِّكاح، فإن كنت منهم فاجتهد في أعمال الجوف والفرج، وسعادةَ السِّباع في الضَّرب والفتك، وسعادَةَ الشَّياطين في المكر والشَّرِّ والحيل ... وسعادة الملائكة في مشاهدة جمال الحضرة الرُّبوبية، وليس للغضب والشَّهوة إليهم طريق،

---

(1) إحياء علوم الدين: 1/ 12.

(2) ميزان العمل: 352.

(3) مقاصد الفلاسفة: 37.

فإن كنت من جوهر الملائكة، فاجتهد في معرفة أصلك، حتى تعرف الطَّريق إلى الحضرة الإلهية، وتبلغ إلى مشاهدة الجلال والجمال"[1].

وقد سُبق طاش كبري زاده إلى هذا العنوان من لدن مصنِّفين سابقين؛ كـ **"مفتاح السَّعادة وتحقيق طريق الإرادة"**، لأحمد بن محمد بن موسى ابن العريف الصنهاجي (ت.536هـ)، و**"مفتاح دار السَّعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة"**، لابن قيم الجوزية (ت.751هـ).

لكن فكرة السَّعادة الأبدية لها امتدادات أعمق في الفلسفة اليونانية عند سقراط وأفلاطون وأرسطو ونيقوماخيا وغيرهم، وتلقَّفها فلاسفة الإسلام؛ كالكنديِّ والفارابيِّ وغيرهما. وتتبُّعُ شعاب هذا البحث ماتِعٌ نافِعٌ إلَّا أنَّه سيصرفنا عن مقصدنا.

---

(1) كيمياء السعادة: 124-125.

4- منهج تصنيف كتاب مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة:

لعل فكرة تصنيف العلوم كانت ناضجة في ذهن طاش كبري زاده، بدليل أنَّه أَوْرَدَ **عِلْمَ تَقاسِيمِ الْعُلومِ** ضمن العلوم التي ذكرها في كتابه **مفتاح السَّعادة**، وعرَّفه تعريفا دقيقا، وَتَقَيَّدَ بمقتضيات هذا التَّعريف في بناء كتابه، فهو يتدرَّجُ في تعريف العلوم من العامِّ إلى الخاصِّ، ويتَّضح هذا جليًّا في قوله: "**عِلْمُ تَقاسِيمِ الْعُلومِ: وهو عِلْمٌ** باحِثٌ عن التَّدَرُّجِ مِنْ أَعَمِّ الْمَوْضوعاتِ إلى أَخَصِّها، لِيَحْصُلَ بذلك مَوْضوعُ الْعُلومِ الْمُنْدَرِجَةِ تحت ذلك الْأَعَمِّ. ولمَّا كان أَعَمَّ الْعُلومِ مَوْضوعًا الْعِلْمُ الإِلَهِيُّ، جُعِلَ تَقْسيمُ الْعُلومِ من فُروعِهِ، وَيُمْكِنُ التَّدَرُّجُ فيه من الْأَخَصِّ إلى الْأَعَمِّ"(1).

وحينما ذَكَرَ الْكُتُبَ التي أُلِّفَتْ في هذا الباب ذَكَرَ **رسالة ابن سينا** الَّتي صَرَّحَ أَنَّهُ جعلها عمدته في تأليف كتابه هذا، لكنَّه عمل على تنقيحها وتهذيبها ودليل ذلك قوله: "وصَنَّفَ ابْنُ سِينَا في هذا الْعِلْمِ **رِسالَةً لَطيفَةً**، وهذه الرِّسالَةُ الَّتي نحن بِصَدَدِ تَنْقِيحِها وتَهْذيبِها"(2).

وهذا التَّصريح الفصيح من طاش كبري زاده باعتماده على رسالة ابن سينا في التَّأليف لا ينفي معرفته التَّامَّة بالمصنَّفات العربية الأخرى الَّتي صُنِّفَتْ في هذا الفنِّ واستفادته منها؛ مثل كتاب "**إحصاء العلوم**" للفارابي

---

(1) مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة: 1/ 440.

(2) المصدر نفسه: 1/ 440.

(ت.339هـ)، و"**الجمع بين رأيي الحكيمين**"، اللّذين قال في وصفهما: "**وصَنَّفَ كِتابًا شَريفًا في إِحْصاءِ الْعُلومِ والتَّعْرِيفِ بأَغْراضِهَا**، لم يَسْبِقْ إليه أحَدٌ، ولا ذَهَبَ أحَدٌ مَذْهَبَهُ، ولا يَسْتَغْنِي عنه أحَدٌ من طُلَّابِ الْعِلْمِ. وكذا كِتابُهُ في **أغْراضِ أفْلاطونَ وأرِسْطو**، اطَّلَعَ فيه على أسْرارِ الْعُلومِ وثِمارِها عِلْمًا عِلْمًا، وَبَيَّنَ كيفَ التَّدَرُّجُ من بَعْضِهَا إلى بعضٍ شيئًا فشيئًا"[1]، وقس على ذلك المصادر العربية الأخرى التي استفاد منها، وسنتحدث عنها في مبحث خاص.

وقبل أن ينبري طاش كبري زاده لتصنيف العلوم وتقسيمها بحسب مراتبها تمثل بقول الشَّيْخِ الأكبر القائل: [البسيط]

عِنْدَ الْإِلَـهِ عُلُومٌ لَيْسَ يَعْرِفُهَا إلَّا لَبِيبٌ له في الْوَزْنِ رُجْحَانُ[2]
للهِ فِي ذَاكَ سِرٌّ لَيْسَ يَعْرِفُهُ إلَّا فَرِيدٌ وذَاكَ الْفَرْدُ إنْسَانُ

ولعله من أولئك الألبَّاء الَّذين فتح لهم هذا الباب، وأطلعهم على أسراره، وجمال أنواره.

وقد صُدِّرَ الكتاب بأربع مقدِّمات في فضيلة العلم، وشروط العالم والمتعلم:

- المقدمة الأولى: في بيان فضيلة العِلْمِ وَالتَّعَلُّمِ والتَّعْليمِ

---

(1) مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة: 1/ 432-433.
(2) الفتوحات المكية: 7/ 196.

- المقدمة الثانية: في شرائط المتعلِّمِ ووظائِفِهِ

- المقدمة الثالثة: في وظائف المعلِّمِ

- المقدمة الرابعة: في بيان النِّسبة بين طريق النَّظر وطريق التَّصفية.

وأعاد اختصار هذه المقدمات في الدَّوحة الثانية من الكتاب المتعلِّقة بالتَّصفية، ولَخَّصَ في هذه المقدِّمات النَّافعات منهج علماء المسلمين في التَّربية والتَّعليم، وأعمُّها وآكدها وجوب تعظيم شأن المعلِّم، فالمساس بقيمته الاعتبارية يعدُّ من الأسباب المباشرة لتدهور العلم، وقد سنحت له هنا فرصة تنبيه ولاة الأمر في الدَّولة العثمانية إلى هذا الخطر المحدق فقال: "ومن جُمْلَةِ أَسْبَابِ انْقِرَاضِ الْعِلْمِ في زَمانِنا: عَدَمُ تَحَرُّزِهِمْ عن مُراعاةِ حَقِّ الْمُعَلِّمِ، ولقدْ صارَ هذا سُنَّةً سيئَةً في زَمانِنا هذا. أماتَ الله تعالى هذه السُّنَّةَ من بين أَظْهُرِنَا، وقَاتَلَ مَنْ وَضَعَهَا وأَحْيَاهَا"(1).

كما كانت هذه المقدِّمات فرصة سانحة له لانتقاد بعض علماء عصره العاركين في ملاذِّ الدُّنيا ومفاتنها، الَّذين يُسَخِّرونَ علمهم لخدمة ذوي الجاه والسُّلطان، ورأى أنَّ سبيل الخلاص من هذا الوضع إصلاح التَّعليم، وتقويم النُّفوس، وترقيةُ الأخلاق، وقد اعتمد في هذه المقدِّمات على مجموعة من الكتب الخاصَّة بآداب العلم والعالم المتعلِّم؛ كـ "**إحياء علوم الدين**"، لأبي حامد الغزالي (ت.505هـ)، و"**تعليم المتعلم طريق التَّعلم**"،

---

(1) مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة: 1/ 38.

لبرهان الدين الزَّرْنوجِيِّ، (ت. نحو.640هـ)، و**معيد النِّعَم ومبيد النِّقَم**، لتاج الدين ابن السُّبكي (ت.771هـ)، و**إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد**، لابن الأكفاني (ت.749هـ).

وبنى نظريته لتصنيف العلوم والمعارف الإسلامية بحسب مراتب الوجود الأربعة:

- **الوجود في الحقيقة والأعيان**
- **الوجود في الأذهان**
- **الوجود في اللِّسان**
- **الوجود بالقلم والبنان**

فقال: إنَّ "الْعُلومَ مع تَكَثُّرِ فُنُونِهَا، وتَعَدُّدِ شُجُونِهَا، مُنْحَصِرَةٌ في أَرْبَعَةِ أَنْواعٍ؛ وذَلِكَ لِأَنَّ لِلْأَشْياءِ وُجودًا في أَرْبَعِ مَراتِبَ: في الْأعْيانِ، وفي الْأذْهانِ، وفي الْعِبارَةِ، وفي الْكِتابَةِ"[1].

والْعُلومُ كلُّها متعلِّقة بهذه المراتب، "**فَالْعُلومُ الْمُتَعَلِّقَةُ في الْأَوَّلِ** من حيثُ حالُها في نَفْسِ الْأَمْرِ هي الْعُلومُ الْحَقيقيَّةُ، الَّتِي لا تَتبَدَّلُ باخْتِلافِ الْأَزْمانِ، وَتَجَدُّدِ الْمِلَلِ وَالْأَدْيانِ. وهذه تُسَمَّى عُلومًا حِكْمِيَّةً؛ إنْ جَرى

---

(1) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 1/ 118.

الْباحِثُ عن أَحْوالِها فيها على مُقْتَضى عَقْلِهِ؛ وعُلومًا شَرْعِيَّةً إنْ بَحَثَ عنها فيها على قانُونِ الْإِسْلامِ.

وَالْعُلومُ الْمُتَعَلِّقَةُ بالثَّانيةِ هي الْعُلومُ الْآلِيَّةُ الْمَعْنَوِيَّةُ؛ كَالْمَنْطِقِ ونَحْوِهِ. والْعُلومُ الْمُتَعَلِّقَةُ بالْأَخِيرَيْنِ، هي الْعُلومُ الْآلِيَّةُ اللَّفْظِيَّةُ وَالْخَطِّيَّةُ. وهذه هي الْعُلومُ الْعَرَبِيَّةُ الْمُعْتَبَرَةُ في دِينِنَا، هذا لِوُرودِ شَريعَتِنا هذه على لِسانِ الْعَرَبِ وعلى كِتابَتِهِ. ثُمَّ إنَّ الثَّلاثَةَ الْأَخيرَةَ من هذه الْأَنْواعِ، لا سَبِيلَ إلى تَحْصيلِها إلَّا الْكَسْبُ بالنَّظَرِ. وأمَّا النَّوْعُ الْأَوَّلُ منها فقد يَتَحَصَّلُ بالنَّظَرِ، وقد يَتَحَصَّلُ بالتَّصْفِيَةِ"(1).

وقسم الكتاب إلى قسمين، سمَّى كلَّ قسم طَرَفًا: **الطَّرَفُ الأوَّلُ في الإِرْشادِ إلى كَيْفِيَّةِ تَحْصيلِ طَرِيقِ النَّظَرِ، والطَّرف الثَّاني خاصٌّ بطريق التَّصفية**، وبهما تتحقق السَّعادة الأبدية والسِّيادة السَّرمدية.

وحصر العلوم في سبعة دوحات، وفرَّعَ من هذه الدَّوحات شُعَبًا، ومن الشُّعَبِ عناقيد أو مطالب، وخلالها اتَّضح منهجه التَّنازلي جليًّا الَّذي ينتقل فيه من العام إلى الخاصِّ، فجاء تقسيم كتابه على النَّحو الآتي:

- **الدَّوْحَةُ الْأولى: في بيانِ الْعُلومِ الْخَطِّيَّةِ**

وفيها مقدمةٌ وشُعْبَتَانِ:

---

(1) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 1/ 118.

المقدمة: في فضيلَةِ الْخَطِّ وبيانِ الْحاجةِ إليه وكَيْفِيَّةِ وَضْعِهِ

الشُّعْبَةُ الأولى: في العلومِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِكَيْفِيَّةِ الصِّناعَةِ الْخَطِّيَّةِ

الشُّعبة الثَّانية: فيما يَتَعَلَّقُ بإمْلاءِ الْحُروفِ الْمُفْرَدَةِ

الدَّوْحَةُ الثَّانية: في علومٍ تَتَعَلَّقُ بالألْفاظِ

وفيها مقدمةٌ، وعِدَّةُ شُعَبٍ:

الشُّعْبَةُ الأولى: فيما يَتَعَلَّقُ بالْمُفْرَداتِ

الشُّعْبَةُ الثانية: فيما يتعلق بالْمُرَكَّباتِ

الشُّعْبَةُ الثَّالثةُ: في فُروعِ الْعُلومِ الْعَرَبِيَّةِ

الدَّوْحَةُ الثَّالثَةُ: في علومٍ باحِثَةٍ عَمَّا في الأذْهانَ من الْمَعْقولاتِ الثَّانيةِ

وفيها: مُقَدِّمَةٌ، وشُعْبَتانِ:

الشُّعْبَةُ الأولى: في عُلومٍ آلِيَّةٍ تَعْصِمُ عن الْخَطَإِ في الْكَسْبِ

الشُّعْبَةُ الثَّانِيةُ: في عُلومٍ تَعْصِمُ عن الْخَطَإِ في الْمُناظَرَةِ والدَّرْسِ

الدَّوْحَةُ الرَّابِعَةُ: في الْعِلْمِ الْمُتَعَلِّقِ بالأَعْيانِ

وفيها مُقَدِّمَةٌ، وعِدَّةُ شُعَبٍ:

الشُّعْبَةُ الأولَى: في الْعِلْمِ الإلَهِيِّ

الشُّعْبَةُ الثَّانية: في فُروعِ الْعِلْمِ الإلَهِيِّ

الشُّعْبَةُ الثَّالثة: في الْعِلْمِ الطَّبيعِيِّ

الشُّعْبَةُ الرَّابعةُ: في فُروعِ الْعِلْمِ الطَّبيعِيِّ

الشُّعْبَةُ الْخامسَةُ: في فُروعِ فُروعِ الْعِلْمِ الطَّبيعِيِّ

وفيها عِدَّةُ عَناقِيدَ:

الْأَوَّلُ منها: فُروعُ عِلْمِ الطِّبِّ

الْعُنْقودُ الثَّانِي: في فُروعِ عِلْمِ الْفِراسَةِ

الْعُنْقودُ الثَّالِثُ: في فُروعِ أَحْكامِ النُّجومِ

الْعُنْقودُ الرَّابعُ: في فُروعِ السِّحْرِ

الشُّعْبَةُ السَّادِسَةُ: في الْعُلومِ الرِّياضِيَّةِ وَتَنْحَصِرُ هذه في أَرْبَعَةِ أَقْسامٍ:

الأَوَّلُ: الْهَنْدَسَةُ، والثَّاني: الْهَيْئَةُ، والثَّالِثُ: الْعَدَدُ، والرَّابِعُ: الْمُوسِيقَى.

الشُّعْبَةُ السَّابِعَةُ: في فُروعِ عِلْمِ الْهَنْدَسَةِ

الشُّعْبَةُ الثَّامِنَةُ: في فُروعِ عِلْمِ الْهَيْئَةِ

الشُّعْبَةُ التَّاسِعَةُ: في فُروعِ عِلْمِ الْعَدَدِ وقد تُسَمَّى بِعِلْمِ الْحِسابِ

الشُّعْبَةُ الْعاشِرَةُ: في فُروعِ عِلْمِ الْموسِيقَى

الدَّوْحَةُ الخامِسَةُ: في الْحِكْمَةِ الْعَمَلِيَّةِ

الشُّعْبَةُ الأولى: في عِلْمِ الْأَخْلاقِ

الشُّعْبَةُ الثَّانِيةُ: عِلْمُ تَدْبِيرِ الْمَنْزِلِ

الشُّعْبَةُ الثَّالِثَةُ: عِلْمُ السِّياسَةِ

الشُّعْبَةُ الرَّابِعَةُ: في فُروعِ الْحِكْمَةِ الْعَمَلِيَّةِ وتضم: عِلْمَ آدابِ الْمُلوكِ، عِلْمَ آدابِ الْوِزارَةِ، عِلْمَ الِاحْتِسابِ، وعِلْمَ قَوْدِ الْعَساكِرِ والْجُيوشِ

الدَّوْحَةُ السَّادِسَةُ: في الْعُلومِ الشَّرْعِيَّةِ

وفي هذه الدَّوْحَةِ مُقَدِّمَةٌ وَشُعَبٌ:

الشُّعْبَةُ الْأولَى من الْعُلومِ الْمُتَعَلِّقَةِ بالشَّريعَةِ: علمُ القِراءَةِ

الشُّعْبَةُ الثَّانيَةِ من الْعُلومِ الشَّرْعِيَّةِ: عِلْمُ رِوايَةِ الْحَديثِ

الشُّعْبَةُ الثَّالِثَةُ من الْعُلومِ الشَّرْعِيَّةِ: عِلْمُ تَفْسيرِ الْقُرْآنِ

الشُّعْبَةُ الرَّابِعَةُ من الْعُلومِ الشَّرْعِيَّةِ: عِلْمُ دِرايَةِ الْحَديثِ

الشُّعْبَةُ الخامِسَةُ من الْعُلومِ الشَّرْعِيَّةِ: عِلْمُ أُصولِ الدِّينِ الْمُسَمَّى بعِلْمِ الْكَلامِ

الشُّعْبَةُ السَّادِسَةُ من الْعُلومِ الشَّرْعِيَّةِ: عِلْمُ أُصولِ الْفِقْهِ

الشُّعْبَةُ السَّابِعَةُ من الْعُلومِ الشَّرْعِيَّةِ: عِلْمُ الْفِقْهِ

الشُّعبة الثَّامنة: في فروع العلوم الشَّرعية وفيها مطالب سبعة

ذكر فيها فروع علم القراءة، وفروع علم الحديث، وفروع علم التَّفسير، وفروع علم الحديث مرة أخرى، استدرك فيه علوما أخرى، وفروع علم أصول الدِّين وفروع علم الفقه وفروع أصول الفقه.

الدَّوحة السَّابعة من الرِّسالة: في علوم الباطن

الشُّعبة الأولى: في العبادات

الشُّعبة الثَّانية: في العادات

الشُّعبة الثَّالثة: في ربع المهلكات

الشُّعبة الرَّابعة: في ربع المنجيات.

وهذه الدَّوحة تعدُّ جزءا لا يتجزأ من الكتاب، وقد وردت عدة شواهد تؤكد هذا، منها قوله: "**وقد عَرَفْتَ** فيما سَبَقَ من الْمُقَدِّماتِ أنَّ طَرِيقَ الْكَسْبِ إمَّا طَرِيقُ النَّظَرِ، أو طَرِيقُ التَّصْفِيَةِ، وقد نَبَّهْناكَ على أنَّا نَذْكُرُ **طَرِيقَ التَّصْفِيَةِ في الطَّرَفِ الثَّانِي من الرِّسالَةِ**. وَلْنَذْكُرْ هاهنا طَرِيقَ النَّظَرِ فَقَطْ، إلَّا أنَّ من النَّظَرِ رُتْبَةً تُتَاخِمُ طَرِيقَ التَّصْفِيَةِ، ويَقْرُبُ حَدُّهَا من حَدِّهَا، وهو طَرِيقُ الذَّوْقِ، وَيُسَمُّونَها الْحِكْمَةَ الذَّوْقِيَّةَ"[1].

وقوله أيضا في سياق حديثه عن العلوم الْوَهْبِيَّةِ: "مَعْنَى الْعُلومِ الْوَهْبِيَّةِ أن يَحْصُلَ في الْإِنْسانِ حالَةٌ كَشْفِيَّةٌ، تَنْكَشِفُ معها الْعُلومُ والْمَعارِفُ بلا تَعَمُّلٍ

---

(1) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 1/ 425-426.

وَاكْتِسابٍ، بل بِمَحْضِ لُطْفِ الْمَلِكِ الْوَهَّابِ. لَكِنَّ تَحْصيلَ تلك الْحالَةِ داخِلَةٌ تَحْتَ الْقُدْرَةِ، وحاصِلَةٌ بِالْمُباشَرَةِ، **وَسَتَعْرِفُ في الطَّرَفِ الثَّانِي من هذه الرِّسالَةِ** الْأَسْبابَ الْموصِلَةَ إليها"(1).

وقوله أيضا كذلك حينما تحدث عن **عِلْمِ الزُّهْدِ وَالْوَرَعِ**: "وَلَمَّا كَانَ هذا الْعِلْمُ نَتِيجَةَ عِلْمِ الْحَدِيثِ وَثَمَرَتَهُ جَعَلْنَاهُ مِنْ فُرُوعِهِ، وَسَنَذْكُرُ هَذا الْعِلْمَ **فِي الطَّرَفِ الثَّانِي مِنَ الرِّسَالَةِ**، لِأَنَّهُ مِنْ مُقَدِّمَاتِ الْعُلُومِ الْكَشْفِيَّةِ، الَّتِي جَعَلْنَا **الطَّرَفَ الثَّانِيَ** لِبَيَانِهَا إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى"(2).

ومن الأدلَّة الدَّامغة أيضا على أن القسم الثَّاني الخاصَّ بالتَّصفية جزء لا يتجزأ من الكتاب قوله في **مَطْلَبِهِ الْأَوَّلِ الخاصِّ بمَعْرِفَةِ فَضْلِ الْعِلْمِ والتَّعَلُّمِ وَالتَّعْلِيمِ**: "وَقَدْ مَرَّ شَواهِدُ هَذِهِ في صَدْرِ **الرِّسالَةِ** بما لا مَزِيدَ عليه"(3). وقوله أيضًا في **الْمَطْلَبِ الرَّابِعِ منه الخاصِّ بآدابِ الْمُعَلِّمِ وَالْمُتَعَلِّمِ وَوَظائِفِهِمَا**: "وَقَدِ اسْتَوْفَيْنا **هذا الْبابَ في أَوَّلِ الْكِتابِ**، فلا نَشْتَغِلُ بِإِمْلالِ الْأَصْحابِ، بِسُلوكِ طَرِيقِ الْإِسْهابِ"(4).

والقارئ المتمعِّن في هذا القسم يلاحظ أن طاش كبري زاده لفرط حبِّه للتَّصوف، ونزوعه إليه، وتأثره الشَّديد بأعلامه وفي مقدمتهم الإمام الغزالي

---

(1) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 2/ 736.

(2) المصدر نفسه: 3/ 1549.

(3) المصدر نفسه: 3/ 1567.

(4) المصدر نفسه: 3/ 1581.

رحمه الله، لخَّص فيه كتاب **"إحياء علوم الدين"**، الَّذي يمثل في نظره المنهج الأمثل لإصلاح النَّفس، وتقويم السُّلوك، ولعل هذا كان محاولة منه لإحياء هذا الكتاب، وإعادة بثِّ علومه بين قومه من الأتراك، وبين سائر قارئيه ممن عَداهُمْ.

وقد صُدِّرت كلُّ دوحة من دوحات الكتاب بمقدمة حدَّدَ فيها المؤلِّف العلوم، بذكر حَدِّها وموضوعها ومبادئها وغرضها ومنفعتها، ثم ذكر بعقب ذلك أهمَّ المصنَّفات المبسوطة منها والمتوسِّطة والمختصرة في كلِّ علم على حدة، وأورد بعد ذلك شروح هذه الكتب وحواشيها، ثمَّ أَرْدَفَ ذلك بإيراد ترجمة تتفاوت من حيث الطُّولُ والْقِصَرُ لمصنِّفي هذه الكتب، وهذه التَّراجم أيضا تتفاوت في الطُّول والْقِصَرِ بحسب أهمية الشَّخصية المترجمة، فأئمة المذاهب الأربعة رحمهم الله أَسْهَبَ في ترجمتهم خصوصا الإمام أبا حنيفة رحمه الله، الَّذي أورد له ترجمة طويلة قسمها إلى عشرة مطالب، كما أسهب في ترجمة الإمام الشَّافعي رحمه الله تبركا به، وخصَّصَ أيضا للإمام الغزالي رحمه الله الَّذي كان شديد التَّعلق به ترجمة طويلة، وذكر في نهاية هذه التَّراجم لائحة بمصنَّفات هؤلاء الأئمَّة الأعلام.

أما المؤلِّفون الَّذين أَلَّفوا في أكثر من علم فقد أورد ترجمتهم في العلم الَّذِي اشتهروا به؛ كالزمخشري مثلا الَّذي أورد كتابيه **"ربيع الأبرار"**، في علم المحاضرة، و**"المستقصى في الأمثال"**، في علم الأمثال، **والفائق في غريب الحديث**، ولم يترجمه إلَّا في الدَّوحة السَّادسة عند إيراده كتابه

"**الكشَّاف عن حقائق التَّنزيل**" ضمن كتب التَّفسير. وكذلك الشَّأن بالنِّسبة إلى الحريري رحمه الله، فقد ذكر له "**ملحة الإعراب**"، في النَّحو، ولم يورد ترجمته إلَّا عند ذكر **مقاماته** الأدبية، إلى غير ذلك من الأمثلة.

وهناك تفاوت كبير في حجم الدَّوحات السِّتِّ الأولى من الطَّرف الأول من الكتاب، فقد فصل طاش كبري زاده في الدَّوحة الثَّانية المتعلِّقة بعلم اللُّغة العربية، والدَّوحة السَّادسة المتعلِّقة بالعلوم الشَّرعية تفصيلا طويلا، باستثناء علم الحديث الَّذي قصَّر في التَّعريف بعلومه تقصيرا ظاهرا، وذكر منه علوما لم يعرِّفها؛ **كعِلْمِ نَاسِخِ الْحَدِيثِ وَمَنْسُوخِهِ، وعِلْمِ رُمُوزِ أَقْوَالِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِشَارَتِهِ، وعِلْمِ أَسْبَابِ وُرُودِ الْأَحَادِيثِ وَأَزْمِنَتِهِ وَأَمْكِنَتِهِ، وعِلْمِ طَبَقَاتِ الْمُحَدِّثِينَ**. وخَصَّصَ للدَّوحة السَّابعة المتعلِّقة بعلوم التَّصفية ثلث الكتاب، واعتمد في هذه الدَّوحة اعتمادا كلِّيا على كتاب "**إحياء علوم الدين**" للغزالي كما ذكرنا.

انطلق طاش كبري زاده في كتابه **مفتاح السَّعادة** مما انتهى إليه غيره من العلماء في جمع العلوم وإحصائها فقال: "يَبْلُغُ الْكُلُّ على ما اجْتَهَدْنا في الْفَحْصِ والتَّنْقِيرِ عنه بِحَسَبِ مَوْضوعاتِهِ وَأَسامِيهِ، وَتَتَبُّعِ ما وَقَعَ فيه من الْمُصَنَّفَاتِ إلى مِئَةٍ وخَمْسينَ نَوْعًا. ولَعَلِّي سَأزيدُ عليه بعد هذا إنْ شاءَ اللهُ تعالى. قِيلَ: [الوافر]

لَقَدْ جَادَ الْإِلَهُ على وُجُودِي بِمَا أَخْفَاهُ عَنْ خَلْقٍ كَثِيرِ"(1)

وبفضل هذا الجود والمدد الإلهي أحصى في كتابه عشرين وثلاثمئة علمٍ، ولعل مما ساعده في جمع هذه العلوم كلِّها وإحصائها وتصنيفها ثم تعريفها استفادته المثلى من التّآليف السّابقة عليه زمانا، واطِّلاعه على المصنَّفات العربية بمختلف ضروبها إلى عصره وهو القرن العاشر.

ويلاحظ المتتبع للعلوم الَّتي أوردها طاش كبري زاده في كتابه أنَّه كرَّر بعضها في أكثر من موضع؛ كعلم **الجدل**، وعلم **النَّظر**، وعلم **الخلاف**، الَّتي ذكرها في **الشُّعْبَةِ الثَّانِيةِ في عُلومٍ تَعْصِمُ عن الْخَطَإِ في الْمُناظَرَةِ والدَّرْسِ**، ثم أعاد ذكرها في **الْمَطْلَبِ السَّادِسِ فِي فُرُوعِ عِلْمِ أُصُولِ الْفِقْهِ**، وبرَّرَ ذلك بقوله: "**واعْلَمْ أَنَّهُ يُمْكِنُ جَعْلُ عِلْمِ الْجَدَلِ والْخِلافِ من فُروعِ عِلْمِ أُصولِ الْفِقْهِ**"(2). وكذلك الشَّأن بالنِّسبة لعلم **الشُّرُوطِ والسِّجِلَّاتِ** فهو "باعْتِبارِ اللَّفْظِ من فُروعِ عِلْمِ الْإِنْشاءِ، وباعْتِبارِ مَدْلولِهِ من فُروعِ عِلْمِ الْفِقْهِ، وهو عِلْمٌ يُبْحَثُ فيه عن إِنْشاءِ الْكَلِماتِ الْمُتَعَلِّقَةِ بالْأَحْكامِ الشَّرْعِيَّةِ"(3). وهو توجيه منطقيٌّ، يُسَوِّغُ ما فعله.

ومما يؤخذ عليه في هذا الكتاب تفريعه غير المبرر لبعض العلوم الَّتي هي داخلة بالأصالة تحت علم عام شامل؛ نحو تقسيمه لعلم طبقات

---

(1) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 1/ 122.

(2) المصدر نفسه: 1/ 422.

(3) المصدر نفسه: 1/ 372.

الفقهاء إلى عِلْمِ طَبَقاتِ الشَّافِعِيَّةِ، وعِلْمِ طبَقاتِ الْحَنَفِيَّةِ، وعِلْمِ طَبَقاتِ الْمَالِكِيَّةِ، وعِلْمِ طبَقاتِ الْحَنابِلَةِ.

وكذلك تفريعه علومَ القرآن والتَّفسير إلى أكثر من ثمانين علما وذلك بالاعتماد على كتاب "**الإتقان في علوم القرآن**"، للإمام السُّيوطي، وهي كالآتي:

1. **عِلْمُ مَعْرِفَةِ الْمَكِّيِّ وَالْمَدَنِيِّ.**
2. **عِلْمُ مَعْرِفَةِ الْحَضَرِيِّ وَالسَّفَرِيِّ.**
3. **عِلْمُ مَعْرِفَةِ النَّهَارِيِّ وَاللَّيْلِيِّ.**
4. **عِلْمُ مَعْرِفَةِ الصَّيْفِيِّ وَالشِّتَائِيِّ.**
5. **عِلْمُ مَعْرِفَةِ الْفِرَاشِيِّ وَالنَّوْمِيِّ.**
6. **عِلْمُ مَعْرِفَةِ الْأَرْضِيِّ وَالسَّمَاوِيِّ**
7. **عِلْمُ مَعْرِفَةِ أَوَّلِ مَا نَزَلَ**
8. **عِلْمُ مَعْرِفَةِ سَبَبِ النُّزُولِ.**
9. **عِلْمُ مَعْرِفَةِ مَا نَزَلَ عَلَى لِسَانِ بَعْضِ الصَّحَابَةِ.**
10. **عِلْمُ مَعْرِفَةِ مَا تكَرَّرَ نُزُولُهُ.**
11. **عِلْمُ مَعْرِفَةِ مَا تَأَخَّرَ حُكْمُهُ عَنْ نُزُولِهِ وَمَا تَأَخَّرَ نُزُولُهُ عَنْ حُكْمِهِ.**

12. عِلْمُ مَعْرِفَةِ مَا نَزَلَ مُفَرَّقًا وَمَا نَزَلَ جَمْعًا.

13. عِلْمُ مَعْرِفَةِ مَا نَزَلَ مُشَيَّعًا وَمَا نَزَلَ مُفْرَدًا.

14. عِلْمُ مَعْرِفَةِ مَا نَزَلَ مِنْهُ عَلَى بَعْضِ الأَنْبِيَاءِ وَمَا لَمْ يَنْزِلْ مِنْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

15. عِلْمُ مَعْرِفَةِ كَيْفِيَّةِ إِنْزَالِ الْقُرْآنِ.

16. عِلْمُ مَعْرِفَةِ أَسْمَائِهِ وَأَسْمَاءِ سُوَرِهِ

17. عِلْمُ مَعْرِفَةِ جَمْعِهِ وَتَرْتِيبِهِ.

18. عِلْمُ مَعْرِفَةِ عَدَدِ سُوَرِهِ وَآيَاتِهِ وَكَلِمَاتِهِ وَحُرُوفِهِ

19. عِلْمُ مَعْرِفَةِ حُفَّاظِهِ وَرُوَاتِهِ.

20. عِلْمُ مَعْرِفَةِ الْعَالِي وَالنَّازِلِ مِنْ أَسَانِيدِهِ.

21. عِلْمُ مَعْرِفَةِ الْمُتَوَاتِرِ وَالْمَشْهُورِ وَالآحَادِ وَالشَّاذِّ وَالْمَوْضُوعِ وَالْمُدْرَجِ.

22. عِلْمُ مَعْرِفَةِ بَيَانِ الْمَوْصُولِ لَفْظًا الْمَفْصُولِ مَعْنًى.

23. عِلْمُ مَعْرِفَةِ الإِمَالَةِ وَالْفَتْحِ وَمَا بَيْنَهُمَا.

24. عِلْمُ مَعْرِفَةِ الإِدْغَامِ وَالإِظْهَارِ وَالإِخْفَاءِ وَالإِقْلَابِ.

25. عِلْمُ مَعْرِفَةِ الْمَدِّ وَالْقَصْرِ.

26. عِلْمُ مَعْرِفَةِ تَخْفِيفِ الْهَمْزِ.

27. عِلْمُ مَعْرِفَةِ كَيْفِيَّةِ تَحَمُّلِ الْقُرْآنِ.

28. عِلْمُ مَعْرِفَةِ آدَابِ تِلَاوَتِهِ وَتَالِيهِ.

29. عِلْمُ مَعْرِفَةِ جَوَازِ الِاقْتِبَاسِ وَمَا جَرَى مَجْرَاهُ.

30. عِلْمُ مَعْرِفَةِ غَرِيبِ الْقُرْآنِ.

31. عِلْمُ مَعْرِفَةِ مَا وَقَعَ فِيهِ بِغَيْرِ لُغَةِ الْحِجَازِ.

32. وعِلْمِ مَعْرِفَةِ مَا وَقَعَ فِيهِ مِنْ غَيْرِ لُغَةِ الْعَرَبِ.

33. عِلْمُ مَعْرِفَةِ الْوُجُوهِ وَالنَّظَائِرِ.

34. عِلْمُ مَعْرِفَةِ مَعَانِي الْأَدَوَاتِ الَّتِي يَحْتَاجُ إِلَيْهَا الْمُفَسِّرُ.

35. عِلْمُ مَعْرِفَةِ إِعْرَابِهِ.

36. عِلْمُ مَعْرِفَةِ قَوَاعِدَ مُهِمَّةٍ يَحْتَاجُ إِلَيْهَا الْمُفَسِّرُ.

37. عِلْمُ مَعْرِفَةِ الْمُحْكَمِ وَالْمُتَشَابِهِ.

38. عِلْمُ مَعْرِفَةِ مُقَدَّمِ الْقُرْآنِ وَمُؤَخَّرِهِ.

39. عِلْمُ مَعْرِفَةِ عَامِّ الْقُرْآنِ وَخَاصِّهِ وَمُجْمَلِهِ وَمُبَيَّنِهِ.

40. عِلْمُ مَعْرِفَةِ نَاسِخِ الْقُرْآنِ وَمَنْسُوخِهِ.

41. عِلْمُ مَعْرِفَةِ مُشْكِلِ الْقُرْآنِ وَمُوهِمِ الِاخْتِلَافِ وَالتَّنَاقُضِ.

42. عِلْمُ مَعْرِفَةِ مُطْلَقِ الْقُرْآنِ وَمُقَيَّدِهِ.

43. عِلْمُ مَعْرِفَةِ مَنْطُوقِ الْقُرْآنِ وَمَفْهُومِهِ.

44. عِلْمُ مَعْرِفَةِ وُجُوهِ مُخَاطَبَاتِهِ.

45. عِلْمُ مَعْرِفَةِ حَقِيقَةِ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ وَمَجَازِهَا.

46. عِلْمُ مَعْرِفَةِ تَشْبِيهِ الْقُرْآنِ وَاسْتِعَارَاتِهِ.

47. عِلْمُ مَعْرِفَةِ كِنَايَاتِ الْقُرْآنِ وَتَعْرِيضَاتِهِ.

48. عِلْمُ مَعْرِفَةِ الْحَصْرِ وَالِاخْتِصَاصِ.

49. عِلْمُ مَعْرِفَةِ الْإِيجَازِ وَالْإِطْنَابِ.

50. وعِلْمِ مَعْرِفَةِ الْخَبَرِ وَالْإِنْشَاءِ.

51. عِلْمُ مَعْرِفَةِ بَدَائِعِ الْقُرْآنِ.

52. عِلْمُ مَعْرِفَةِ فَوَاصِلِ الْآيِ.

53. عِلْمُ مَعْرِفَةِ فَوَاتِحِ السُّوَرِ.

54. عِلْمُ مَعْرِفَةِ خَوَاتِمِ السُّوَرِ.

55. عِلْمُ مَعْرِفَةِ مُنَاسَبَةِ الْآيَاتِ وَالسُّوَرِ.

56. عِلْمُ مَعْرِفَةِ الْآيَاتِ الْمُشْتَبِهَاتِ.

57. عِلْمُ مَعْرِفَةِ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ.

58. عِلْمُ مَعْرِفَةِ الْعُلُومِ الْمُسْتَنْبَطَةِ مِنَ الْقُرْآنِ.

59. عِلْمُ مَعْرِفَةِ أَمْثَالِ الْقُرْآنِ.

60. عِلْمُ مَعْرِفَةِ أَقْسَامِ الْقُرْآنِ.

61. عِلْمُ مَعْرِفَةِ جَدَلِ الْقُرْآنِ.

62. عِلْمُ مَعْرِفَةِ مَا وَقَعَ فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالْكُنَى وَالْأَلْقَابِ.

63. عِلْمُ مَعْرِفَةِ مُبْهَمَاتِ الْقُرْآنِ.

64. عِلْمُ مَعْرِفَةِ أَسْمَاءِ مَنْ نَزَلَ فِيهِمْ الْقُرْآنُ.

65. عِلْمُ مَعْرِفَةِ فَضَائِلِ الْقُرْآنِ.

66. عِلْمُ مَعْرِفَةِ أَفْضَلِ الْقُرْآنِ وَفَاضِلِهِ.

67. عِلْمُ مَعْرِفَةِ مُفْرَدَاتِ الْقُرْآنِ.

68. عِلْمُ مَعْرِفَةِ خَوَاصِّ الْقُرْآنِ.

69. عِلْمُ مَعْرِفَةِ مَرْسُومِ الْخَطِّ وَآدَابِ كِتَابَتِهِ.

70. عِلْمُ مَعْرِفَةِ تَفْسِيرِ الْقُرآنِ وَتَأْوِيلِهِ وَبَيَانِ شَرَفِهِ وَالْحَاجَةِ إِلَيْهِ.

71. عِلْمُ مَعْرِفَةِ شُرُوطِ الْمُفَسِّرِ وَآدَابِهِ.

72. عِلْمُ مَعْرِفَةِ غَرَائِبِ التَّفْسِيرِ.

73. عِلْمُ مَعْرِفَةِ طَبَقَاتِ الْمُفَسِّرِينَ.

وأدرج في فروع علم القراءات:

74.عِلْمَ مَعْرِفَةِ الشَّوَاذِّ، وتَفْرِقَتِهَا مِنَ الْمُتَوَاتِرِ.

75.وعِلْمَ مَخَارِجِ الْحُرُوفِ.

76.وعِلْمَ مَخَارِجِ الْأَلْفَاظِ.

77.وعِلْمَ الْوُقُوفِ.

78.وعِلْمَ عِلَلِ الْقِرَاءَاتِ.

79.وعِلْمَ رَسْمِ كِتَابَةِ الْقُرْآنِ فِي الْمَصَاحِفِ.

80. وعِلْمَ آدَابِ كِتَابَةِ الْمُصْحَفِ

وقد قارنا عنوانات العلوم الَّتي ذكرها طاش كبري زاده بما أورده السُّيوطي في **الإتقان** فوجدنا أنَّها تختلف عنه في جزئيات بسيطة؛ منها أنَّه جعل من بعض فصول هذا الكتاب علوما؛ **كفصل جواز الاقتباس وما جرى مجراه** الَّذي أدرجه السُّيوطي في **علم آداب تلاوته وتاليه**، وجعله طاش كبري زاده علما مستقلا بذاته، ومنها أنَّه أدمج بعض العلوم في بعض؛ كدمجه علم **مُجْمَلِ الْقُرْآنِ وَمُبَيَّنِهِ** في **عِلْمِ مَعْرِفَةِ عَامِّ الْقُرْآنِ وَخَاصِّهِ**، وقد برر ذلك بقوله: "هَذَا مَا يَقْتَضِيهِ حُسْنُ التَّرْتِيبِ، حَيْثُ أُدْمِجَ بَعْضُ الْعُلُومِ

فِي بَعْضٍ، وَإِلَّا فَلَوْ فُصِلَ مَا يُمْكِنُ فَصْلُهُ لَزَادَتْ، وَاللهُ أَعْلَمُ، عَلَى الثَّلَاثِمِئَةِ، وَلَكِنْ خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا"(1).

وأضاف المؤلِّف تسعة علوم أخرى إلى علوم القرآن لم يذكرها الإمام الزَّركشي ولا الإمام السُّيوطي، ولكنَّه رأى أنَّ لها تَعَلُّقًا مباشرا بها، فقال: "وَاعْلَمْ أَنَّ هَاهُنَا بَعْضًا مِنَ الْعُلُومِ رَأَيْتُ دَرْجَهَا فِي عُلُومِ التَّفْسِيرِ أَحْسَنَ وَأَوْلَى، لِأَنَّ لَهَا تَعَلُّقًا بِالْحُرُوفِ الَّتِي هِيَ فَوَاتِحُ السُّوَرِ، لِأَنَّ لَهَا خَوَاصَّ لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهَا إِلَّا مُتَكَلِّمُها"(2)، وهي:

81. عِلْمُ خَوَاصِّ الْحُرُوفِ.

82. وعِلْمُ الْخَوَاصِّ الرُّوحَانِيَّةِ مِنَ الْأَوْفَاقِ الْعَدَدِيَّةِ وَالْحَرْفِيَّةِ وَالتَّكْسِيرَاتِ الْعَدَدِيَّةِ وَالْحَرْفِيَّةِ.

83. وعِلْمُ التَّصَرُّفِ بِالْحُرُوفِ وَالْأَسْمَاءِ.

84. وعِلْمُ الْحُرُوفِ النُّورَانِيَّةِ وَالظَّلْمَانِيَّةِ.

85. وعِلْمُ التَّصْرِيفِ بِالِاسْمِ الْأَعْظَمِ.

86. وعِلْمُ الْكَسْرِ وَالْبَسْطِ.

87. وعِلْمُ مَعْرِفَةِ الزَّايرجَه.

---

(1) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 3/ 1539.

(2) المصدر نفسه: 3/ 1539.

88. وعِلْمُ الْجَفْرِ وَالْجَامِعَةِ.

89. وعِلْمُ دَفْعِ مَطَاعِنِ الْقُرْآنِ.

وبرَّرَ سبب جعل هذا العلم خاتمة علوم القرآن فقال: "وَاقْتَضَى حُسْنُ التَّرْتِيبِ أَنْ يُجْعَلَ خَاتِمَةَ فُرُوعِ عِلْمِ التَّفْسِيرِ دَفْعُ الْمَطَاعِنِ عَنِ الْقُرْآنِ؛ لِأَنَّهُ نَتِيجَةٌ لِلْعُلُومِ الْمَذْكُورَةِ"[1].

وقد انتقد عملَه في تفريعه لعلوم القرآن بهذا الشَّكل بعض العلماء الَّذين اعتمدوا عليه اعتمادا كلِّيا في تصنيفهم؛ كحاجي خليفة في كتابه **كشف الظُّنون**، الَّذي قال في تعليقه على **"عِلم الْحَضَريّ والسَّفَريّ من الآيات"**: "وهو من فُروع علم التَّفسير، ذَكَره المَوْلى أبو الْخَيْر لِمُجَرَّدِ تكثيرِ السَّوادِ، وإلّا فلا وَجْهَ لِعَدِّهِ عِلْمًا برأسِه، وكذا أكثرُ ما ذَكَره من التَّفاريعِ"[2].

لكنَّ بعض العلوم الخاصَّة بالقراءات لم تحظ ولو بالتَّعريف داخل هذا التَّقسيم الطَّويل الَّذي أخذ جزءا كبيرا من الكتاب، فقد اكتفى المصنِّف بذكر **عِلْمِ مَعْرِفَةِ الْإِمَالَةِ وَالْفَتْحِ وَمَا بَيْنَهُمَا، وَعِلْمِ مَعْرِفَةِ الْإِدْغَامِ وَالْإِظْهَارِ وَالْإِخْفَاءِ وَالْإِقْلَابِ، وَعِلْمِ مَعْرِفَةِ الْمَدِّ وَالْقَصْرِ، وَكَذَا عِلْمِ مَعْرِفَةِ تَخْفِيفِ الْهَمْزِ**. وقال بعقبها: "كُلُّ هَذِهِ مُفَصَّلَةٌ فِي عِلْمِ الْقِرَاءَةِ فَلْتُعْلَمْ مِنْ كُتُبِهَا"[3].

---

(1) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 3/ 1545.

(2) كشف الظنون: 1/ 671.

(3) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 3/ 1222.

ساق المؤلِّف في فاتحة طرفي كتابه مجموعة من الآثار النَّقليَّة والأدلَّة العقليَّة الَّتي تُعَظِّمُ شأن العلم والعلماء وطَلَبَتَهُ أيضا، وَحَذَّرَ من الاستخفاف والاستهانة بالعلوم فقال: "**وإيَّاكَ ثُمَّ إيَّاكَ** أن تَسْتَهِينَ بِشَيْءٍ من الْعُلومِ، تَقْليدًا لِمَا سَمِعْتَهُ من جَهَلَةِ أَسْلافِكَ من الطَّعْنِ فيه، بل يَجِبُ أنْ تَجْعَلَ لِكُلِّ واحِدٍ حَظَّهُ الَّذي يَسْتَحِقُّهُ، ومَنْزِلَهُ الَّذي يَسْتَوْجِبُهُ، وتَشْكُرَ من هَدَاكَ إلى فَهْمِهِ، وصارَ سببًا لعِلمِهِ"[1].

وَقَسَّمَ العلوم إلى محمود نافع، ومذموم لا فائدة فيه، وقد خصَّصَ لهذه القضية مطلبا خاصًّا في الطَّرَفِ الثاني من كتابه؛ سمَّاه: "**في الْمَحْمودِ من الْعُلومِ والْمَذْمومِ منها**"، وقال: "فَاعْلَمْ أنَّ مِنَ الْعِلْمِ ما هو الْمَذْمومُ قَليلُهُ وَكَثيرُهُ، ولا فائِدَةَ فيه دِينًا ودُنْيَا، أو ضَرَرُهُ يَغْلِبُ نَفْعَهُ؛ كَعِلْمِ السِّحْرِ وَالطِّلَسْمَاتِ وَالنُّجومِ. ومنه ما هو الْمَحْمودُ كُلُّهُ؛ كَالْعِلْمِ باللهِ سُبْحانَهُ وَتَعالَى، وَبِصِفاتِهِ وَأَفْعالِهِ، وسُنَّتِهِ في خَلْقِهِ"[2]. ثم استرسل في ذكر العلوم المحمود منها والمذموم، والقدر الَّذي ينبغي أن يُحَصَّلَ من العلوم المحمودة الَّتي تعدُّ من فروض الكفايات.

ولم يُخْفِ المصنِّف موقفه من بعض العلوم جملةً، أو يحذرَ من بعضها الآخر، فقد تحفَّظ من إطلاق اسم العلم على بعض العلوم؛ كالحكمة

---

(1) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 1/ 45.

(2) المصدر نفسه: 3/ 1576- 1577.

المموهة، ولم يخف موقفه الرَّافض لها في قوله: "وَلْيَكُنْ قَصْدُكَ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ التَّرَقِيَ به إلى ما فَوْقَهُ، وإِيَّاكَ أَنْ تَظُنَّ مِنْ كَلامِنا هذا أنْ تَعْتَقِدَ كُلَّ ما أُطْلِقَ عليه اسْمُ الْعِلْمِ حَتَّى الْحِكْمَةَ الْمُمَوَّهَةَ الَّتِي اخْتَرَعَها الْفَارَابِيُّ وابنُ سِينَا، ونَقَّحَهَا نَصِيرُ الدِّينِ الطُّوسِيُّ، هَيْهاتَ هَيْهاتَ، إنَّ كلَّ ما خالَفَ الشَّرْعَ فهو مَذْمُومٌ، سِيَّمَا طائِفَةٌ سَمَّوْا أَنْفَسَهُمْ حُكَمَاءَ الْإِسْلامِ، عَكَفُوا على دِراسَةِ تُرَّهَاتِ أَهْلِ الضَّلالِ، وَسَمَّوْها الْحِكْمَةَ، ورُبَّما اسْتَجْهَلُوا مَنْ عَرِيَ عنها، وهُمْ أَعْداءُ اللهِ، وَأَعْداءُ أَنْبيائِهِ ورُسُلِهِ، والْمُحَرِّفونَ لِكَلِمِ الشَّريعَةِ عن مَواضِعِهِ، ولا تكادُ تَلْقَى أحَدًا منهم يَحْفَظُ قُرآنًا ولا حَديثًا؛ وإنَّما يَتَجَمَّلونَ بِرُسومِ الشَّريعَةِ، حَذَرًا مِنْ تَسَلُّطِ الْمُسلمينَ عليهم، وإلَّا فَهُمْ لا يَعْتَقِدونَ شَيْئًا مِنْ أَحْكامِ الشَّرائِعِ، بل يُريدونَ أن يَهْدِموا قَواعِدَهُ، ويَنْقُضُوا عُراهُ عُرْوَةً عُرْوَةً ... فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ منهم. وإنَّمَا الاِشْتِغالُ بِحِكْمَتِهِمْ حَرامٌ في شَريعَتِنا، وهُمْ أَضَرُّ على عَوَامِّ الْمُسْلِمِينَ من الْيَهودِ والنَّصارى، لِأَنَّهُمْ يَتَسَتَّرُونَ بِزِيِّ أَهْلِ الإسْلامِ"[1].

وتبنَّى موقفَ الإمام ابن السُّبكي من علم النُّجوم فقال: "واعْلَمْ أنَّ كَثِيرًا من الْعُلَماءِ على تَحْرِيمِ عِلْمِ النُّجومِ مُطْلَقًا، وبعضهم على تَحْرِيمِ اعْتِقادِ أنَّ الْكَواكِبَ مُؤَثِّرٌ بالذَّاتِ. وقد ذُكِرَ عن الشَّافِعِيِّ أَنَّهُ قالَ: إنْ كانَ الْمُنَجِّمُ يَعْتَقِدُ أنْ لا مُؤَثِّرَ إلَّا اللهُ، لكن أَجْرَى اللهُ تعالى عادَتَهُ بأنه يَقَعُ كذا عند كذا،

(1) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 1/ 47- 48.

والْمُؤَثِّرُ هو اللهُ، فهذا عِنْدِي لا بَأْسَ به، وحَيْثُ جاءَ الذَّمُّ، يَنْبَغِي أن يُحْمَلَ على من يَعْتَقِدُ تَأْثِيرَ النُّجومِ"[1].

وموقف الشَّرْعِ من بعض العلوم هو الَّذي دفعه أحيانا إلى عدم تفصيل الكلام فيها؛ كقوله مثلا في **عِلْمِ كَشْفِ الدَّكِّ**[2] **وإيضاحِ الشَّكِّ**: "**عِلْمٌ** يُتَعَرَّفُ منه الْحِيَلُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِالصَّنائِعِ الْجُزْئِيَّةِ، من التِّجاراتِ، وصَنْعَةِ السَّمْنِ، واللَّازَوَرْدِ، وَاللَّعَلِ، والْياقوتِ، وَتَغْرِيرِ النَّاسِ في ذلك. ولمَّا كانَ مَبْناهُ مُحَرَّمًا أَضْرَبْنا عن تَفْصيلِهِ. وإنْ أَرَدْتَ الْوُقوفَ عليه، فَارْجِعْ إلى كِتابِ **الْمُخْتارِ**"[3].

وهذا الموقف لم يمنعه من إبداءِ موقفه الرَّافض لمن يحذر من بعض العلوم دون سبب وجيه؛ أو حُجَّةٍ مقنعة، كذمِّ العلوم الحكميَّة على الإطلاق، والتَّحذير من علم المنطق، وعلم النُّجوم مطلقا، ومقالات الصُّوفيَّة، يقول في هذا السِّياق: "فلا تَكُنْ مِنَ الَّذِينَ يَسْتَهِينُونَ من الْعُلومِ ما جَهِلُوا به، مِثْلَ اسْتِهانَتِهِمُ الْمَنْطِقَ، الَّذِي هو أَصْلُ كُلِّ عِلْمٍ، وتَقْوِيمُ كُلِّ ذِهْنٍ ... ومِثْلَ ذَمِّهِمُ الْعُلومَ الْحِكْمِيَّةَ، على الْإِطْلَاقِ، من غَيْرِ مَعْرِفَةِ الْقَدْرِ الْمَذْمُومِ والْمَمْدُوحِ منها... وَمِثْلَ ذَمِّ عِلْمِ النُّجومِ على الْإِطْلاقِ، مع أَنَّ

---

(1) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 1/ 47-48.

(2) الدَّكُّ: هو إخفاء شيء في شيء أو دَكُّهُ فيه، ثم إظهاره كعمل خارق. ينظر المختار في كشف الأستار: 22.

(3) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 2/ 516.

بعضًا منه فَرْضُ كِفَايَةٍ، والْبَعض منه مُباحٌ، وبعضٌ آخَرُ حَرامٌ... **ومِثْلَ ذَمِّهِم** مَقالاتِ الصُّوفِيَّةِ الْمُوَحِّدينَ مُطْلَقًا، لِاشْتِباهِها عندهم بِكَلماتِ الْمُلْحِدينَ، وسَتَعْرِفُ تَفاصيلَ ذلك. **وَبِالْجُمْلَةِ**، لا تُنْكِرْ قَدْرَ الْعُلومِ بِمُجَرَّدِ تَقْليدِ الْآباءِ والْأَجْدادِ، بلِ اطْلُبِ التَّحْقِيقَ تَصِلْ إلى الْمُرادِ"[1].

لكنَّه حذر من أن تحيد بعض العلوم عن مقصدها الحقيقيِّ؛ كالفقه الَّذي كانَ يطلق "على عِلْمِ طَرِيقِ الْآخِرَةِ، وَمَعْرِفَةِ آفاتِ النُّفوسِ وَمَفاسِدِ الْأَعْمالِ، وَالْإِحاطَةِ بِحَقارَةِ الدُّنْيَا، وَشَرَفِ نَعيمِ الْآخِرَةِ، وَاسْتِيلاءِ الْخَوْفِ على الْقَلْبِ؛ **وَالْآنَ** خُصَّ بِمَعْرِفَةِ الْفُروعِ الْغَرِيبَةِ، وَالْفَتاوَى الْعَجيبَةِ، وَالاطِّلاعِ على عِلَلِهَا، وَتَتَبُّعِ الْمَقالاتِ الْمُتَعَلِّقَةِ بها، وَالاِسْتِكْثارِ من الْمَسائِلِ الْفَرْعِيَّةِ حتَّى تَفْريعاتِ الطَّلاقِ، وَاللِّعانِ، وَالسَّلَمِ، وَالْإِجارَةِ، سَواءٌ تَجَرَّدَ لِلْأُمورِ الْأُخْرَوِيَّةِ أَوْ لَا. وقَدْ كانَ فِي الْعَصْرِ الْأَوَّلِ الْأَصْلُ مَعْرِفَةُ أُمورِ الْآخِرَةِ، وَأُمورِ الدُّنْيَا بِالتَّبَعِ لها؛ وَالْآنَ انْعَكَسَ الْحالُ، فَتَداخَلَ الذَّمُّ إلى الْفِقْهِ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ، وَإِنْ كانَ مَحْمودًا في الْأَصْلِ"[2].

وكذلك الشَّأن بالنِّسبة إلى علم الكلام الَّذي عرَّفه بأنَّه علم: "**يُقْتَدَرُ مَعَهُ** إِثْبَاتُ الْعَقَائِدِ الدِّينِيَّةِ، بِإِيرَادِ الْحُجَجِ عَلَيْهَا، وَدَفْعُ الشُّبَهِ عَنْهَا. **وَمَوْضُوعُهُ**: ذَاتُ اللهِ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى، وَصِفَاتُهُ عِنْدَ الْمُتَقَدِّمِينَ ... ويُشْتَرَطُ في الْكَلَامِ،

---

(1) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 1/ 45-46.

(2) المصدر نفسه: 3/ 1572- 1573.

أَنْ يَكُونَ الْقَصْدُ فِيهِ تَأْيِيدَ الشَّرْعِ بِالْعَقْلِ، وأَنْ تَكُونَ الْعَقِيدَةُ مِمَّا وَرَدَتْ فِي الْكِتَابِ والسُّنَّةِ، وَلَوْ فَاتَ أَحَدُ هَذَيْنِ الشَّرْطَيْنِ لَا يُسَمَّى كَلَامًا أَصْلًا"(1).

والَّذي تَحَوَّلَ إلى علم جدل ومناظرة ومراء، فقال وهو يتحدَّثُ عن تطور مفهوم التَّوحيد مقتبسا قول الغزالي في "**إحياء علوم الدِّين**": "**وَمِنْهَا التَّوْحِيدُ**، وَقَدْ كانَ يُطْلَقُ على أَنْ يَرَى الْأُمورَ كُلَّهَا مِنَ الله تَعالى رُؤْيَةً تَقْطَعُ الْتِفاتَهُ عَنِ الْأَسْبابِ وَالْوَسائِطِ، فلا يُرَى الْخَيْرُ وَالشَّرُّ إلَّا مِنْهُ جَلَّ جَلالُهُ؛ وَالْآنَ عِبارَةٌ عن صِناعَةِ الْكَلامِ، وَمَعْرِفَةِ طَرِيقِ الْمُجادَلَةِ، وَالْإِحاطَةِ بِالْمُناقَضاتِ، وَالْقُدْرَةِ على التَّشَدُّقِ فيها بِتكْثِيرِ الْأَسْوِلَةِ، وَإِثارَةِ الشُّبُهاتِ، وَتَأْليفِ الْإِلْزاماتِ، حتَّى لَقَّبَ طَوائِفُ منهُمْ أَنْفُسَهُمْ بِأَهْلِ الْعَدْلِ وَالتَّوْحِيدِ، وَتَسَمَّى الْمُتَكَلِّمونَ الْعُلَماءَ بِالتَّوْحِيدِ، مع أَنَّ أَبْوابَ الْجَدَلِ وَالْمُماراةِ كانَ ممَّا يَشْتَدُّ النَّكيرُ عليه في الْعَصْرِ الْأَوَّلِ"(2).

ومنها أيضا: "**الذِّكْرُ والتَّذْكيرُ**، وَقَدْ كانَ في الْعَصْرِ الْأَوَّلِ يُطْلَقُ على التَّكَلُّمِ في عِلْمِ الْآخِرَةِ وَالتَّذْكيرِ بِالْمَوْتِ، وَالتَّنْبِيهِ على عُيوبِ النَّفْسِ، وَآفاتِ النَّفْسِ وَالْأَعْمالِ، وَخَواطِرِ الشَّيْطانِ وَوَجْهِ الْحَذَرِ منها، وَيُذَكِّرُ بِآلَاءِ اللهِ سُبْحانَهُ وَنَعْمائِهِ، وَتَقْصيرِ الْعَبْدِ في شُكْرِهِ، وَيُعَرِّفُ حَقارَةَ الدُّنْيا وَعُيوبَهَا، وَتَصَرُّمَهَا وَقِلَّةَ عَهْدِها، وَخَطَرَ الْآخِرَةِ وَأَهْوالَهَا؛ فَهَذا هو التَّذْكيرُ الْمَحْمودُ

---

(1) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 2/ 813.

(2) المصدر نفسه: 3/ 1573- 1574.

شَرْعًا الَّذِي وَرَدَ الْحَثُّ عليه، فَنُقِلَ ذلِكَ الْآنَ إلى ما تَرَى من حالِ الْوُعَّاظِ، وَما يُواظِبونَ عليه من الْقَصَصِ وَالْأَشْعارِ وَالشَّطْحِ وَالطَّامَّاتِ"[1].

وقد ساق بعقب هذا علوما أخرى حادت عن مقصدها الحقيقيِّ إلى مقاصد أخرى محدثة.

ولا بأس قبل أن نختم هذا المبحث أن نتطرق إلى أهم مميزات أسلوب طاش كبري زاده في كتاب **مفتاح السَّعادة**، فقد افتتح كتابه بمقدمة استوفى فيها أركانها الأساس، ووشحها ببراعة الاستهلال، وحسن اختيار الألفاظ والمعاني، فـ: " حُسْنُ الافتتاح داعية الانشراح، ومطية النَّجاح ... وخاتمة الكلام أبقى في السَّمع"[2]، وقد "خُصَّتِ الابتداءات بالاختيارات، لأنَّها أوَّل ما يطرق السَّمع من الكلام، فإذا كان الابتداء لائقا بالمعنى الوارد بعده، توفرت الدَّواعي على استماعه"[3].

كما أكثر طاش كبري زاده في كتابه هذا من إيراد الشَّواهد؛ سواء كانت قرآنا، أو حديثا، أو شعرًا، أو مثلًا عربيًّا.

فالشَّاهد القرآني والشَّاهد الحديثي وكذا الآثار عدَّها من الأدلَّةِ النَّقلية الَّتي تُصَدَّر بها القضايا، وإن تطلَّب المقام سَوْقَ الأدلَّة النَّقلية يسوقها كما

---

(1) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 3/ 1574.

(2) العمدة في محاسن الشعر وآدابه: 1/ 388.

(3) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: 2/ 224.

سنرى لاحقا؛ ومقدِّمات الكتاب الخاصَّة بفضيلة العلم وآداب العالم والمتعلِّم خير مثال في هذا السِّياق.

كما وظف الشَّاهد الشِّعري في مواضع كثيرة من الكتاب، وذلك لإقامة الدَّليل على ما يقول، أو بهدف اختصار الكلام الطَّويل الَّذي قد يعتريه تقصير، أو سوء تعبير؛ كقوله في وجوب الصَّبْرِ والْحِرْصِ في طلب العلم: [البسيط]

اِحْرِصْ عَلَى كُلِّ عِلْمٍ تَبْلُغِ الْأَمَلَا ... ولَا تَمُوتَنْ بِعِلْمٍ وَاحِدٍ كَسَلَا[1]

النَّحْلُ لَمَّا رَعَتْ مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ ... أَبْدَتْ لَنَا الْجَوْهَرَيْنِ الشَّمْعَ وَالْعَسَلَا

الشَّمْعُ فِي اللَّيْلِ ضَوْءٌ يُسْتَضَاءُ بِه ... وَالشَّهْدُ يُبْرِي بِإِذْنِ الْبَارِئِ الْعِلَلَا

أو قوله في مقام وجوب إكرام المعلِّم: [الكامل]

إنَّ الْمُعَلِّمَ والطَّبِيبَ كِلَاهُمَا ... لا يَنْصَحَانِ إذا هُمَا لم يُكْرَمَا[2]

فَاصْبِرْ لِدَائِكَ إن جَفَوْتَ طَبِيبَهُ ... واصْبِرْ لِجَهْلِكَ إنْ هَجَرْتَ مُعَلِّمَا

كما كان لتوظيف المثل العربي والأشعار الَّتي تسري مسرى المثل حضور بارز في سياق كلام المصنِّفِ؛ كقوله في مقدمة الكتاب: "وَتَعُدَّ نَفْسَكَ من جَهَابِذَةِ الْفُضَلَاءِ، وتَحْسِبَ نَفْسَكَ من دَهْمَاءِ الْعُلَمَاءِ، وتَظُنَّ أَنَّكَ أَحْرَزْتَ

---

(1) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 1/ 6.

(2) المصدر نفسه: 1/ 37.

الْفَضَائِلَ بِشَطْرَيْهَا، وَمَلَكْتَ الكَمَالَاتِ بِقُطْرَيْهَا، وفُزْتَ مِنْ مَارِيَةَ بِقُرْطَيْهَا"[1].

أو قوله أيضا: "وإمَّا أنْ يُساعِدَهُمْ التَّقْدِيرُ في وُجودِ عَالِمٍ مَوْصوفٍ بما ذُكِرَ، مع أنَّهُ **أَعَزُّ من الْكِبْرِيتِ الْأَحْمَرِ**"[2].

أو كترديده أكثر من مرَّة قول الشَّاعر: [البسيط]

وكَانَ مَا كَانَ مِمَّا لَسْتُ أَذْكُرُهُ فَظُنَّ خَيْرًا ولا تَسْأَلْ عنِ الْخَبَرِ[3]

أو كقوله موظفا الأسلوب القرآني والشِّعري في إقامة بيانه: "**والثَّانِي**: رَدِيءُ الْبَصِيرَةِ، رَضِيَ بالْحَياةِ الدُّنْيَا، وَاطْمَأَنَّ بها، وَيَئِسَ مِنْ دارِ الآخِرَةِ، كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ[4]، فإذا خَرَجَ إلى دارِ الْخُلودِ، أَضَرَّ به **كَمَا تُضِرُّ رِياحُ الْوَرْدِ بِالْجُعَلِ**[5]".

وختم المصنِّف مجموعة من العلوم أو المطالب، أو فقرات الكتاب بالدُّعاء بالخير، أو الاستعاذة من الشَّرِّ له ولقارئه؛ كقوله: "جَعَلَنا الله وإيَّاكُمْ

---

(1) فيه توظيف للمثل العربي: أَنْفَسُ من قُرْطَيْ مارية، وفي آخر: خذه ولو بقرطي مارية، أو: ولو بِقُرْطَيْ مارية، قال ابن الكلبي: هي مارية بنت ظالم بن وهب الكندي، أم الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر الغساني ملك الشام، وهو مثل يُضرب في الشيء الثمين، أي لا يفوتك بأي ثمن يكون. مجمع الأمثال: 1/ 299، جمهرة الأمثال: 2/ 259. مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 1/ 3.

(2) مثل عربي، يضرب في طلب الشيء الممتنع. مجمع الأمثال: 2/ 44. مفتاح السعادة: 1/ 119.

(3) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 1/ 74.

(4) وظف المصنف الآية: 13 من سورة الممتحنة لإتمام كلامه.

(5) هو عجز بيت من شعر المتنبي يسري مسرى المثل، وأوله: بِذِي الْغَباوَةِ مِنْ إِنْشادِها ضَرَرٌ. شرح ديوان المتنبي: 3/ 40. مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 1/ 32.

من أَهْلِ الْمُشاهَدَةِ وَالْعِرْفانِ، وَشَرَّفَنا وإيَّاكُمْ بِكَرامَةِ الإِخْلاصِ والإِيقانِ، إنَّه الْكَرِيمُ الْمَنَّانُ، وهو الْمُوَفِّقُ والْمُسْتَعانُ"[1].

وقوله أيضا: "نَجَّانَا اللهُ تَعَالَى وَإِيَّاكُمْ عَنِ الآفَاتِ الْقَادِحَةِ في الْعَقْلِ وَالْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَتَجَاوَزَ عَنَّا وَعَنْكُمُ الْخَطَأَ وَالْخَطَلَ، إِنَّهُ الْكَرِيمُ الْمَنَّانُ، وَالرَّحِيمُ الْمُسْتَعَانُ"[2].

وقوله أيضا: "فَنَعوذُ بالله من نِقْمَةٍ لا تُطيقُها الأَبْدانُ، ومن زَوالِ الْعَافِيَةِ وتَقَلُّبِ الإِحْسانِ"[3].

واستغل طاش كبري زاده حُبَّهُ لبعض العلوم وتَمَهُّرَهُ فيها لبيان براعته في النَّقل والاستطراد، وغالبا ما يكون الدَّافع إلى ذلك إما أهمية القضايا الَّتي يناقشها، أو مكانة الأعلام الَّذين يعرِّفُ بهم، لكنَّه يختم هذا الاستطراد بالاعتذار من الإكثار، ويستدرك بالرُّجوع إلى المقصود، وهذا الأسلوب كثير في الكتاب؛ فقد حشد مثلا في الدَّوحة الثَّانية الخاصَّة بعلوم اللُّغة مجموعة من طرائف النَّحويين واللُّغويِّين، فلما أحس أَنَّهُ خَرَجَ عن الْقَصْدِ استدرك قائلا: "**وَاعْلَمْ** أَنَّ الْحِكاياتِ في هذا الْبابِ تَخْرُجُ عن حَدِّ الْحَصْرِ، وتَقْتَضي الْخُروجَ عن الْجِدِّ إلى ضَرْبٍ من الْهَزْلِ. **والْحَاصِلُ** أَنَّ ما كان الحامِلُ عليه غَلَبَةَ هذه الصِّناعَةِ مَذْمومٌ، من جهة أَنَّ ذا الصِّناعَةِ كانَ ينبغي

---

(1) مفتاح السَّعادة ومصباح السَّعادة: 2/ 730.

(2) المصدر نفسه: 2/ 825.

(3) المصدر نفسه: 1/ 414.

أن يُقَوِّمَ قَلْبَهُ ودِينَهُ قَبْلَ أن يُقَوِّمَ أَلْفاظَهُ، فاللَّحْنُ في اللَّفظِ ولا اللَّحْنُ في الدِّينِ، وأيًّا ما كانَ الْحامِلُ عليه مُجَرَّدَ التَّقَعُّرِ فهو رُعُونَةٌ"[1].

ومن العلوم الَّتي أكثر فيها من هذا الأسلوب أيضا علوم القرآن الَّتي فصَّل فيها تفصيلا لا مزيد عليه؛ ففي نهاية **عِلْمِ مَعْرِفَةِ قَوَاعِدَ مُهِمَّةٍ يَحْتَاجُ إِلَيْهَا الْمُفَسِّرُ** عَدَّدَ القواعد والعلوم الَّتي يحتاج إليها المفسِّر، ثمَّ قال: "وَاعْلَمْ أَنَّنَا قَدْ أَطْنَبْنَا فِي هَذَا الْبَابِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ، لِاشْتِمَالِهِ عَلَى لَطَائِفَ قَلَّمَا تُوجَدُ فِي كِتَابٍ، فَلْيَعْذِرْنِي مَنْ رَآهُ مِنَ الطُّلَّابِ. وَاللهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ، وَإِلَيْهِ الْمَرْجِعُ وَالْمَآبُ"[2].

ثمَّ أعاد تكرار هذه العلوم والقواعد في علم آخر وهو: "**عِلْمُ مَعْرِفَةِ شُرُوطِ الْمُفَسِّرِ وَآدَابِهِ**"، لكن بتفصيل أكثر من الأول، وقال بعقب ذلك: "وَاعْلَمْ أَنَّ بَعْضًا مِنْ فَوَائِدِ هَذا الْبَابِ، قَدْ تَقَدَّمَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ، لَكِنَّ سِيَاقَ الْكَلَامِ، اقْتَضَى هَذَا التَكْرَارَ وَالْإِطْنَابَ، فَالْمَرْجُو مِنَ الْمُحَصِّلِينَ وَالطُّلَّابِ، أَنْ لَا يُعَامِلُوا بِاللَّوْمِ وَالْعِتَابِ، لِأَنَّ مَا دَخَلَ تَحْتَ الِاضْطِرَابِ، لا يُشَنَّعُ عَلَيْهِ وَلَا يُعَابُ، وَمِنَ اللهِ الْوَهَّابِ التَّوْفِيقُ لِلْحَقِّ وَالصَّوَابِ"[3].

ويلجأ أحيانا إلى تبرير هذا الاستطراد الطَّويل بذكر أهميته البالغة عند طلبة العلم؛ كقوله مثلا في نهاية **عِلْمِ مَعْرِفَةِ الْإِيجَازِ وَالْإِطْنَابِ فِي الْقرآن**

(1) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 1/ 164.

(2) المصدر نفسه: 3/ 1285.

(3) المصدر نفسه: 3/ 1535.

الكريم: "وَلَعَمْرِي لَقَدْ آثَرْنَا الْإِطْنَابَ فِي مَبَاحِثِ الْإِيجَازِ وَالْإِطْنَابِ، لِأَنَّهَا مِمَّا تَمَسُّ إِلَيْهِ حَاجَةُ الطُّلَّابِ، وَمِنَ اللهِ التَّوْفِيقُ لِلصَّوَابِ"[1].

وحينما عزم على إيراد قصة الإمام الشَّافعي مع هارون الرَّشيد قال: "وَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْوَاقِعَةَ، وَهَذَا الدُّعَاءَ، رُوِي عَلَى وَجْهٍ آخَرَ، رَوَاهُ الْمُزَنِيُّ عَنِ الشَّافِعِيِّ، فَلَا عَلَيْنَا أَنْ نَذْكُرَهَا هَاهُنَا إِتْمَامًا لِلْمَرَامِ، وَإِنْ أَدَّى إِلَى الْإِطْنَابِ فِي الْكَلَامِ"[2].

وقال في نهاية تراجم طبقات الفقهاء: "وَلَعَمْرِي، لَقَدْ طالَ هذَا الْبَابُ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ، فَخَرَجْنَا مِنْ بَابٍ وَوَلَجْنَا فِي أَبْوَابٍ، وَلَقَدْ جَرَّنَا إِلَيْهِ شَغَفِي بِتَتَبُّعِ أَحْوَالِ الْعُلَمَاءِ، مِنْ نَاصِرِي الْمِلَّةِ الْحَنِيفِيَّةِ الْبَيْضَاءِ، وَمَعَ هَذَا فَقَدْ فَاتَنِي ذِكْرُ كَثِيرٍ مِنَ الْأَسْلَافِ، وَلَيْسَ الرِّيُّ عَنِ التَّشَافِّ[3]، إِلَّا أَنَّ الْقَلَمَ لَمَّا هَابَ الْإِسْهَابَ، لِأُولِي الْأَلْبَابِ مِنَ الْأَصْحَابِ، قَبَضَ عِنَانَهُ، وَكَفَّ لِسَانَهُ، وَدَخَلَ فِيمَا خَرَجَ عَنْهُ مِنْ ذِكْرِ الْعُلُومِ مُتَوَكِّلًا عَلَى اللهِ الْحَيِّ الْقَيُّومِ. وَهُوَ الْمُسْتَعَانُ، وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ"[4].

وأكثر المصنِّف الإحالة على الأشياء الَّتي لم يتمكَّنْ من تفصيلها، إمَّا لأنَّها فُصِّلت في موضع سابق من الكتاب، أو لأنها خارجة عن مقصده في

(1) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 3/ 1361.

(2) المصدر نفسه: 2/ 1060.

(3) يُضْرَبُ مثلا لِلْقَنَاعَةِ بِبَعْضِ الْحَاجَةِ. جمهرة الأمثال: 2/ 190.

(4) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 2/ 1157.

التَّأليف؛ ومن الأول قوله في أنواع المجاز: "وَأَنْوَاعُ الْمَجَازِ وَتَفْصِيلُ عَلَاقَاتِهَا فِي عِلْمِ الْبَيَانِ"(1). وقوله: "وَاعْلَمْ أَنَّكَ قَدْ عَرَفْتَ أَئِمَّةَ الْقُرَّاءِ فِيمَا سَبَقَ بِحَيْثُ لَا تَحْتَاجُ إِلَى الْمَزِيدِ عَلَيْهِ فَارْجِعْ إِلَيْهِ"(2).

وَأَمَّا الثَّاني فقوله في نهاية الحديث عن عِلْمِ وَظائِفِ الإِمامَةِ: "وأَمَّا باقِي الْآدابِ وَالشَّرائِطِ فَمَذْكورَةٌ في كُتُبِ الْفِقْهِ، فَلْتُطْلَبْ منها، فإنَّا لم نَلْتَزِمْ إلَّا ذِكْرَ ما أَهْمَلَهُ الْفُقَهاءُ"(3).

وتجلى أسلوب الاستطراد أيضا في مجموعة من الفوائد الَّتي أدرجها المؤلِّف في هذا الكتاب، وكان يسميها "فائدة"، وحين ينهيها يقول: "وَلْنَرْجِعْ إلى ما كُنَّا فيه"، أو "ثُمَّ رَجَعْنا إلى الْمَقْصودِ فَنَقولُ"، أو "وبَعْدَ هذا نَرْجِعُ إلى ما كُنَّا فيه" ... والأمثلة كثيرة في هذا الباب.

وأحيانا يعتذر من الإكثار من الاستطراد لأن الدَّافِعَ إليه الْبَوْحُ الَّذي يُسَرِّي عن المحزون، ويُفرِّج كربة المكروب، يقول في هذا الباب: "والْإِكْثَارُ مِنْ هَذَا الْبَابِ، وَإِيثَارُ الْإِطْنَابِ فِي الْكِتَابِ، لَيْسَ إِلَّا مِنْ قَبِيلِ نَفْثَةِ الْمَصْدُورِ، وَالْعُذْرُ عِنْدَ كِرَامِ النَّاسِ مَعْذُورٌ"(4).

وقد يكون الدَّافعُ إليه أيضا التَّرغيبَ في العلوم والمعارف؛ كقوله: "وإِنَّمَا خَرَجْنَا عن الْمَقْصودِ لِفائِدَةِ التَّرْغيبِ، لِتَعْلَمَ أنَّ الْعُلومَ الَّتي سَهَّلَهَا

---

(1) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 3/ 1308.

(2) المصدر نفسه: 3/ 1213.

(3) المصدر نفسه: 3/ 1633.

(4) المصدر نفسه: 2/ 1039.

لك الْأَوائِلُ كيفَ تَعاوَنُوا في تَحْصِيلِها، وكيفَ جَمَعوهَا بِضُروبِ من الْحِيَلِ وأَنْواعِ من الْمَشاقِّ، حتَّى تَعْرِفَ بذلك قَدْرَ الْعُلومِ والْمَعارِفِ"[1].

ويعترف طاش كبري زاده أنَّ "التَّكْرَار مِمَّا يُعَابُ عِنْدَ أُولِي الْأَلْبَابِ"[2]، إلَّا أنَّه كرَّر بعض الأخبار في الكتاب؛ كقصة الإمام أبي حنيفة مع جاره السِّكِّير الَّتِي ذكرها في موضعين؛ وقصة وفاة إمام الحرمين وما وقع إِثْرَهَا كرَّرَها مرَّتين، وقصة كنيسة الرُّوم التي يقف فيها الصَّليبُ في الْهَواءِ من غَيْرِ آلَةٍ تُمْسِكُهُ ظاهِرًا ولكنَّه في حقيقة الحال مشدود بالمغناطيس، كرَّرها مرَّتين أيضا؛ وكتكرار قول مجاهِد: "كُنَّا نَفْخَرُ على النَّاسِ بِقارِئِنا عبدِ اللهِ بنِ السَّائِبِ، وَبِفَقيهِنا ابْنِ عَبَّاسٍ، وَبِمُؤَذِّنِنَا أَبِي مَحْذورَةَ، وَبِقاضينا عُبَيْدِ بنِ عُمَيْرٍ"[3] مرَّتين؛ وكتكرار قَوْلِ مَنْ قالَ في تفسير: "﴿**رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ**﴾[4]، إِنَّهُ الْحُبُّ والْعِشْقُ، وقد حَكَاهُ الْكَوَاشِيُّ في تَفْسيرِهِ"[5]. وقَوْلِ من قالَ في تفسير: "﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾[6]، إِنَّهُ الذَّكَرُ إذا قامَ"[7].

إلى غير ذلك من القصص والأخبار المكرَّرة في الكتاب.

(1) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 1/ 399.

(2) المصدر نفسه: 3/ 1509.

(3) المصدر نفسه: 2/ 609، 615.

(4) سورة البقرة، الآية: 286.

(5) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 2/ 723، 3/ 1537.

(6) سورة الفلق، الآية: 3.

(7) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 2/ 723، 3/ 1537.

كما كرَّرَ سهوا بعض التَّراجم؛ كتكراره ترجمة الرَّاغب الأصفهاني مرتين، وترجمة عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ عِيسَى أَبي زَيْدٍ الدَّبُوسِيِّ، وقصة مناظرته مرتين، وترجمة عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْأَسْبِيجَابِيِّ مرتين، وترجمة عبدِ الرَّزَّاقِ بْنِ هَمَّامٍ مرتين.

أما عناوين المصنَّفات فإنَّه يذكر بعضها في موضع، ثمَّ يستدرك فيبسطها غاية البسط في موضع آخر؛ كما فعل في مصنَّفات الإمام الغزالي رحمه الله فقد قال في الأول: " وَأَمَّا مُصَنَّفَاتُهُ فَمِنْهَا: "**كِتَابُ الْإِحْيَاءِ**"... وَصَنَّفَ عَلَيْهِ "**الْإِمْلَاءُ فِي الرَّدِّ عَلَى الْإِحْيَاءِ**" ... "**الْبَسِيطُ**"، و"**الْوَسِيطُ**"، و"**الْوَجِيزُ**"، و"**الْخُلَاصَةُ**"، وَهَذِهِ الْأَرْبَعَةُ فِي الْفِقْهِ ... وَمِنْهَا: "**الْمُسْتَصْفَى**" في أُصُولِ الْفِقْهِ، و"**الْمَنْخُولُ**" في أُصُولِ الْفِقْهِ، و"**اللُّبَابُ**"، و"**بِدَايَةُ الْهِدَايَةِ**"، و"**كِيمِيَاءُ السَّعَادَةِ**"، و"**كِتَابُ الْفَتَاوَى**" ... وَصَنَّفَ فِي الْخِلَافِ: "**الْمَآخِذُ**"، ثُمَّ "**تَحْصِينُ الْمَآخِذِ**"، و"**إِلْجَامُ الْعَوَامِّ عَنْ عِلْمِ الْكَلَامِ**"، وَ"**الْمُسْتَظْهِرِيُّ**" في الرَّدِّ عَلَى الْبَاطِنِيَّةِ، و"**مَقَاصِدُ الْفَلَاسِفَةِ**"، و"**تَهَافُتُ الْفَلَاسِفَةِ**"، وَ"**الْأُصُولُ الْأَرْبَعِينَ**"، و"**جَوَاهِرُ الْقُرْآنِ**"، وَهُمَا فِي الْحَقِيقَةِ كِتَابٌ وَاحِدٌ، وَلَكِنَّهُ أَذِنَ فِي إِفْرَادِهِمَا. وَمِنْهَا: "**الْغَايَةُ الْقُصْوَى**"، و"**الْمَقْصَدُ الْأَسْنَى فِي شَرْحِ أَسْمَاءِ اللهِ الْحُسْنَى**" ... وَمِنْهَا: "**مِشْكَاةُ الْأَنْوَارِ**"، و"**الْمُنْقِذُ مِنَ الضَّلَالِ**"، و"**الْمُنْتَحَلُ فِي عِلْمِ الْجَدَلِ**"، و"**مِعْيَارُ الْعِلْمِ**"، و"**الْقِسْطَاسُ الْمُسْتَقِيمُ**"، و"**غُرَرُ الدُّرَرِ**"، و"**حَقِيقَةُ الْقَوْلَيْنِ**"، و"**الْمَعَارِفُ**

الْعَقْلِيَّةُ"، و"الْحِكَمُ الإِلَهِيَّةُ"، و"الْمَضْنُونُ بِهِ عَلَى غَيْرِ أَهْلِهِ"، و"مِعْرَاجُ السَّالِكِينَ"، و"مِنْهَاجُ الْعَارِفِينَ""[1].

ثم بعد بضع صفحات قال: "**ذِكْرُ مُصَنَّفَاتِهِ**"، وكرَّرَ فيها مصنَّفات الإمام مفصَّلة مع استدراك ما ذهل عنه في الموضع الأول فقال:

"لَهُ فِي الْمَذْهَبِ: "**الْوَسِيطُ**"، و"**الْبَسِيطُ**"، و"**الْوَجِيزُ**"، و"**الْخُلَاصَةُ**".

وَفِي سَائِرِ الْعُلُومِ: كتابُ "**إِحْيَاءُ عُلُومِ الدِّينِ**"، "**كِتَابُ الْأَرْبَعِينَ**"، كِتَابُ "**شَرْحُ الأَسْمَاءِ الْحُسْنَى**"، "**الْمُسْتَصْفَى**" فِي أُصُولِ الْفِقْهِ، "**الْمَنْخُولُ**" فِيهِ أَيْضًا، أَلَّفَهُ فِي حَيَاةِ أُسْتَاذِهِ إِمَامِ الْحَرَمَيْنِ، "**بِدَايَةُ الْهِدَايَةِ**"، "**الْمَآخِذُ**" فِي الْخِلَافِيَاتِ، "**تَحْصِينُ الْمَآخِذِ**"، "**كِيمِيَاءُ السَّعَادَةِ**" بِالْفَارِسِيَّةِ. "**الْمُنْقِذُ مِنَ الضَّلَالِ**"، "**اللُّبَابُ**". "**الْمُنْتَخَلُ فِي الْجَدَلِ**"، "**شِفَاءُ الْعَلِيلِ فِي مَسَالِكِ التَّعْلِيلِ**"، "**الِاقْتِصَادُ فِي الِاعْتِقَادِ**"، "**مِعْيَارُ النَّظَرِ**"، "**مِحَكُّ النَّظَرِ**"، "**تَهَافُتُ الْفَلَاسِفَةِ**"، "**الْمَقَاصِدُ فِي اعْتِقَادِ الْأَوَائِلِ**"، وَهُوَ مَقَاصِدُ الْفَلَاسِفَةِ، "**إِلْجَامُ الْعَوَامِّ**"، فِي عِلْمِ الْكَلَامِ، "**الْغَايَةُ الْقُصْوَى**"، "**جَوَاهِرُ الْقُرْآنِ**"، "**كَشْفُ عُلُومِ الآخِرَةِ**"، "**الرِّسَالَةُ الْقُدْسِيَّةُ**"، "**الْفَتَاوَى**"، "**مِيزَانُ الْعَمَلِ**"، "**حَقِيقَةُ الرُّوحِ**"، "**أَسْرَارُ مُعَامَلَاتِ الدِّينِ**"، "**عَقِيدَةُ الْمِصْبَاحِ**"، "**النَّهْجُ الأَعْلَى**"، "**أَخْلَاقُ الأَبْرَارِ**"، "**الْمِعْرَاجُ**"، "**حُجَّةُ الْحَقِّ**"، "**تَنْبِيهُ الْغَافِلِينَ**"، "**الْمَكْنُونُ فِي الأُصُولِ**"، "**رِسَالَةُ الأَقْطَابِ**"، "**سُلَّمُ الشَّيَاطِينِ**"، "**الْقَانُونُ الْكُلِّيُّ**"،

---

(1) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 2/ 1119- 1120.

"الْقُرْبَةُ إِلَى اللهِ"، "مِعْيَارُ الْعِلْمِ"، "مفصلُ الْخِلَافِ"، في أُصُولِ الْقِيَاسِ، "أَسْرَارُ اتِّبَاعِ السُّنَّةِ"، "تَلْبِيسُ إِبْلِيسَ"، "الْمَبَادِئُ وَالْغَايَاتُ"، "الأَجْوِبَةُ"، "كِتَابُ عَجَائِبِ صُنْعِ اللهِ". وَكُتُبُهُ وَرَسَائِلُهُ خَارِجَةٌ عَنْ حَدِّ الْعَدِّ وَالإِحْصَاءِ، وَلَمْ يَتَيَسَّرْ لِأَحَدٍ مَعْرِفَةُ أَسْمَاءِ مُصَنَّفَاتِهِ كُلِّهَا، حَتَّى يُقَالُ: إِنَّهُ لَهُ أَلْفُ مُصَنَّفٍ إِلَّا وَاحِدًا. وَهَذَا وَإِنْ كانَ بَعِيدًا عَادَةً، لَكِنْ مَنْ عَرَفَ شَأْنَهُ رُبَّمَا يُصَدِّقُهُ"(1).

لكنَّه أحيانا أخرى يفطن قبل أن يدخل في الاستطراد، أو يطيل فيه إن بدأه، فيتدارك بالقول: "وأَخْبارُ الْفَرَزْدَقِ كَثيرَةٌ مَذْكورَةٌ في كُتُبِ الْمُحاضَراتِ والتَّواريخِ فَالِاخْتِصارُ أَوْلَى"(2).

أو قوله: "وقدِ اخْتَلَفَ الْعُلَماءُ بالشِّعْرِ، في الْمُفاضَلَةِ بين جَريرٍ والْفَرَزْدَقِ. والأَكْثَرونَ على أنَّ جَريرًا أَشْعَرُ منه. وَكانَ بَيْنَهما من الْمُهاجاةِ والْمُعاداةِ ما هو الْمَشْهورُ، وفي كُتُبِ الْمُحاضَراتِ مَذْكورٌ، فلا نُضيعُ بِذِكْرِها السُّطورَ"(3).

وحينما أورد بيت دعبل الخزاعي: [الطويل]

مَدارِسُ آياتٍ خَلَتْ عن تِلاوَةٍ ومَهْبِطُ وَحْيٍ مُقْفِرُ الْعَرَصاتِ(4)

---

(1) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 2/ 1128- 1129.

(2) المصدر نفسه: 1/ 331.

(3) المصدر نفسه: 1/ 331.

(4) ديوان دعبل بن علي الخزاعي: 89، وفيه: ومَنْزِلُ وَحْيٍ.

قال: "وَلِهَذَا الْبَيْتِ حِكايَةٌ طَويلةٌ تَرَكْناها لِلِاخْتِصارِ"[1].

أو قوله أيضا: "وَأَمْثِلَةُ هَذِهِ الْأَقْسَامِ، وَتَفَاصِيلُ الْآيَاتِ فِي كُتُبِ النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ، وَإِنَّمَا غَرَضُنَا الْإِشَارَةُ الْإِجْمَالِيَّةُ إِلَى مَبَاحِثِهِ لِيَكُونَ بَاعِثًا عَلَى الرَّغْبَةِ فِي طَلَبِهِ"[2].

أمَّا أسلوبه فهو متأثر تأثُّرا كثيرا بأسلوب المتكلِّمين المتمرِّسين بالمناظرة والحِجاج، إذ كثيرا ما استعمل أسلوب التَّرقي في النَّظر والانتقال من معلوم إلى معلوم، فهو من أول الكتاب يفترض وجود شاك متردد في صحة كلامه، أو وجود جاحدٍ منكرٍ له جُمْلَةً، لذلك يسوق الأدلَّة النَّقليَّةِ، ثم يُردفها بالأدلَّة العقليَّةِ، فمنها قوله بعد أن أورد مجموعة من الآيات القرآنيَّة والأحاديث النَّبويَّة الدَّالة على فضيلة العلم: "**ثُمَّ إنَّكَ إذا عَرَفْتَ** مِنَ الْأَدِلَّةَ النَّقْلِيَّةِ قَدْرًا يَحْصُلُ به التَّنْبيهُ على الْمَرَامِ، فَلْنُورِدْ من الشَّواهِدِ الْعَقْلِيَّةِ ما يُحَصِّلُ لَكَ الْيَقِينَ التَّامَّ"[3].

ويورد مقدمات نقلية أو عقلية ملخَّصَة تحت قوله: "**وبالجملة** ..."، ثم يردفها بقوله: "إذا عرفت ذلك فاعلم ..."، وهذا كثير الاطِّراد في الكتاب نكتفي بإيراد شاهد واحد منه وهو قوله: "وأمَّا قَوْلُهُ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ: «كانَ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ من الْأُمَمِ مُحَدَّثونَ»، إشارَةٌ إلى الْفِراسَةِ الطَّبِيعِيَّةِ، وهي

(1) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 1/ 342.

(2) المصدر نفسه: 2/ 1298.

(3) المصدر نفسه: 1/ 20.

الَّتي خَلَقَ اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى النُّفوسَ مَفْطورَةً عليها. **وَبِالْجُمْلَةِ**، الْفِراسَةُ الشَّرْعِيَّةُ مُعَايَنَةُ الْمُغَيَّباتِ بِالْأَنْوارِ الرَّبانِيَّةِ، وذلك نُورُ قَلْبِ الْمُؤْمِنِ الَّذِي قال النَّبِيُّ صلَّى الله عليه وسَلَّمَ في حَقِّهِ: «الْمُؤْمِنُ يَنْظُرُ بِنورِ اللهِ» ... **إذا عَرَفْتَ هذا، فَاعْلَمْ** أنَّ من كان مُرَاقِبًا أَحْوالَهُ وأَنْفاسَهُ، مُجْتَنِبًا عن الْمَعاصِي صَغَائِرِها وكَبائِرِهَا، مُتَخَلِّقًا بالْأَخْلاقِ النَّبَوِيَّةِ، مُتَحَلِّيًا بالْآدابِ الْمُصْطَفَوِيَّةِ، ولا يَرَى الْخَيْرَ والشَّرَّ والنَّفْعَ والضُّرَّ إلَّا مِنَ اللهِ تعالى، ولا يَلْتَفِتُ إلى مَخْلوقٍ لِعَرْضِ حاجَتِهِ، ولا يَعْتَمِدُ عليه طَرْفَةَ عَيْنٍ، تَكونُ فِراسَتُهُ كالشَّمْسِ سَاطِعَةً أَنْوارُها، لامِعَةً أَضْواؤُها، يَنْطِقُ بالصِّدْقِ، ويَقولُ بِالْحَقِّ"(1).

كما استعمل المصنِّفُ أسلوب "الْفَنْقلة" في بعض مواضع الكتاب لعرض بعض المسائل ومناقشتها نقاشا علميا رصينا؛ كقوله مثلا: "**فَإِنْ قُلْتَ**: الْآيَةُ إِذَا كَانَتْ مَعَ وَاحِدٍ، فَكَيْفَ تَكُونُ مُتَوَاتِرَةً؟

قُلْتُ: الْآيَةُ مُتَوَاتِرَةٌ وَتَفْصِيلُهَا وَقَعَ عَنْ وَاحِدٍ، وَعِنْدَ ذِكْرِ ذَلِكَ الْوَاحِدِ تَذَكَّرَ الْكُلُّ فَتَوَاتَرَتْ"(2).

أو قوله: "**فَإِنْ قُلْتَ**: قَدْ تَكَرَّرَتْ قِصَّةُ وِلَادَةِ يَحْيَى، وَوِلَادَةِ عِيسَى مَرَّتَيْنِ، وَلَيْسَتْ مِنْ قَبِيلِ مَا ذَكَرْتَ.

قُلْتُ: **الْأُولَى**: فِي سُورَةِ كَهيعص، وَهِيَ مَكِّيَّةٌ، أُنْزِلَتْ خِطَابًا لِأَهْلِ مَكَّةَ.

---

(1) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 2/ 457.

(2) المصدر نفسه: 3/ 1208.

وَالثَّانِيةُ: فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ، أُنْزِلَتْ خِطَابًا لِيَهُودِ وَلِنَصَارَى نَجْرَانَ حِينَ قَدِمُوا، وَلِهَذَا اتَّصَلَ بِهَا ذِكْرُ الْمُحَاجَّةِ وَالْمُبَاهَلَةِ"[1].

هذا باختصار ما تيسَّر جمعه من ملحوظات حول منهج تأليف كتاب "**مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة**" وخصائص أسلوبه.

---

(1) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 3/ 1349.

5- كتاب مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة كتابا ببليوغرافيا:

لا يختلف اثنان في الطَّابع الببليوغرافي الصِّرف لكتاب **"مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة"**، لكنَّه في الوقت نفسه مُصَنَّفٌ في موضوعات العلوم، وكتاب تراجم أيضا؛ ففيما يخصُّ موضوعات العلوم فقد أحسن طاش كبري زاده الاستفادة من المصنَّفات الَّتي سبقته، كما أحسن التَّوليف بينها، وساعده زمانه المتأخّر، وكذا حسن تفريعه للعلوم حتَّى بلغ عددا لم يبلغه أحد قبله وهو عشرون وثلاثمئة علم.

وهو كتاب تراجم لأنَّ المؤلِّف يذكر العلم، وَيُعرِّجُ على ذكر أسماء الكتب المؤلَّفة فيه، وَيُعَرِّفُ بمؤلِّفي هذه الكتب، وغايته من تراجم المؤلِّفين هي كما قال: "مَعْرِفَةُ مَناقِبِهِمْ وَأَحْوالِهِمْ، فَتَتَأَدَّبُ بآدابِهِمْ، وتَقْتَبِسُ الْمَحَاسِنَ من آثارِهِمْ"[1]، وكذا معرفة "مَرَاتِبِهِمْ وأعْصَارِهِمْ، فَيُنَزِّلُونَ مَنازِلَهُمْ، ولا يُقْصَرُ بالْعَالِي في الْجَلالَةِ عن دَرَجَتِهِ، ولا يُرْفَعُ غَيْرُهُ عن مَرْتَبَتِهِ"[2]، ولأنَّهم كذلك "أئِمَّتُنَا وأسْلافُنَا؛ كَالْوَالِدِينَ لنا، وأَجْرى علينا في مَصَالِحِ آخِرَتِنَا الَّتِي هي دارُ قَرارِنا، وَأَنْصَحُ لنا فيما هو أَعْوَدُ علينا، فَيَقْبُحُ بنا أن نَجْهَلَهُمْ، وأن نُهْمِلَ مَعْرِفَتَهُمْ"[3]. وأن نعمل "بِقَوْلِ أَعْلَمِهِمْ وَأَوْرَعِهِمْ إذا تَعَارَضَتْ أَقْوالُهُمْ"[4].

---

(1) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 1/ 120.

(2) المصدر نفسه: 1/ 120.

(3) المصدر نفسه: 1/ 121.

(4) المصدر نفسه: 1/ 121.

ومع ذلك لا ينبغي اعتبار كتاب **مفتاح السَّعادة** كتاب تراجم على غرار كتب التَّراجم العربيَّة الَّتي ترجمت أعلام الأمّة الإسلامية من فقهاء ومحدِّثين وأدباء وشعراء وملوك ووزراء ووجهاء؛ ككتب الخطيب البغدادي، والسَّمعاني، وابن خَلِّكان، والإمام الذَّهَبي، وابن الصُّقاعي، وغيرهم.

وفيه أيضا مسحةُ الموسوعة لأنَّه في جانب التَّأريخ للعلوم خصوصا يذكر نشأتَها وتطورَها، وأول من ألَّفَ فيها، ويذكر المصنَّفات المطوَّلة والمتوسِّطة والمختصرة الَّتي أُلِّفَتْ فيها، وكذا شروحها وحواشيها إنْ وُجدت، كما تضمَّن معلومات ببليوغرافية تُبَيِّنُ أهمَّ المؤلَّفات في كل علم من العلوم الَّتي ذكرها.

لكن **مفتاح السَّعادة** يعدُّ كتابا ببليوغرافيا بالأساس؛ ككتاب "**الفهرست**" لابن إسحاق النَّديم، و"**إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد**"، لابن الأكفاني، و"**كشف الظَّنون عن أسامي الكتب والفنون**"، لحاجي خليفة، فهذه الكتب الأربعة تعدُّ أبرز الكتب الببليوغرافية في التُّراث العربي.

ولا نخفي أننا نجد حرجا كبيرا أننا في القرن الواحد والعشرين وما زلنا مضطرين لاستعمال مصطلح ببليوغرافيا للتَّعبير عن هذا الجنس من التَّأليف، لأنَّنا لا نستطيع أن ندرجه تحت مسمى: الفهرس، أو المشيخة، أو المعجم، أو البرنامج، أو الكشَّاف، لأنَّه يختلف اختلافا كبيرا عنها من

حيث منهج تأليفه، لذلك ندعو المجامع العربية أن تفكر بجدٍّ في إيجاد مصطلح يتلاءم مع هذا الجنس من التَّأليف.

ولفظ "ببليوغرافيا" ="Bibliographie" لفظ يوناني قديم، رأى النُّورَ في القرن الثَّالث قبل الميلاد، ويعني نساخة الكتب، فالببليوغرافي كان يعني النَّاسخ. وقد عرف هذا اللَّفظ تطورًا ملحوظا في الْغَرْبِ، فانتقل في القرن التَّاسع عشر – وهو عصر الببليوغرافيا الذَّهبي – من مفهوم كتابة الكتب إلى الكتابة عن الكتب؛ لأن القرن التَّاسع عشر يعدُّ بحقّ العصر الَّذي بدأ خلاله الغربيُّون يهتمون بالكتاب، فوضعوا ببليوغرافيات متعددة للكتاب مخطوطا ومطبوعا[1]، وأَلّفوا الكتب في الفهرسة والتَّصنيف والتَّنسيق والتَّنظيم، وقد حَظِيَ الكتاب العربي بقسط وافر من هذه اليقظة الببليوغرافية، فوضع المستشرقون ببليوغرافيات للكتاب العربي في الغرب، كما صنع المستشرق الألماني شنورير (Schnurrer) في كتابه **الببليوغرافيا العربية** (Bibliotheca arabica)[2] والمستشرق الألماني تسنكر (Zenker) في كتابه **الببليوغرافيا الشَّرقية** (Bibliotheca

---

(1) في القرن التاسع عشر بدأ العلماء الألمان يضعون ببليوغرافيا الكتب المخطوطة والمطبوعة؛ منها ببليوغرافيا المطبوعات المهديّة (les incunables)، وهي المطبوعات التي أنجزت منذ بداية الطباعة في الغرب 1453م إلى نهاية القرن الخامس عشر. وسُمّيت بالمهديّة لأن (incunable) جاء من اللاتينية (cunabulum) وتعني المهد و(berceau) بالفرنسي.

(2) أحصى فيه قرابة خمسمئة (500) عنوان منذ بداية الطباعة في أوروبا إلى غاية 1810م. وشنورير (ت.1822م) هذا أحد تلاميذ زعيم الاستشراق الألماني رايسكه (Reiske) (ت.1774م).

orientalis)، وكما صنع المستشرق شوفان (Chauvin) في كتابه **ببليوغرافيا الكتب العربية** (Bibliographie des ouvrages arabes) والمستشرق الأمريكي van deyk في كتابه "**اكتفاء القنوع بما هو مطبوع**"، وقد وضعه بالعربية خلافا لما جاءت به كتب المستشرقين المذكورين آنفا. وكلُّهم عاشوا في القرن التَّاسع عشر.

ولفظ ببليوغرافيا لم يدخل اللَّاتينية واللُّغات المتفرعة عنها إلَّا بعد عصر الطِّباعة، ولم يُعْرَف في اللَّاتينية حسب بعض المعاجم القديمة إلَّا لفظ ببليوغرافوس (bibliographus) ويعني النَّاسخ. وأول من استعمله في السَّابع عشر كابرييل نُودي (Gabriel Naudé) الَّذي كان قيِّما على خزانة مازران Mazarin كبير وزراء الملك الفرنسي لويس الرابع عشر (Louis 14) (ت.1727م).

فهل عرف سلفنا الصَّالح هذا العلم؟ وهل عرفوا المصطلح؟ ومن سبق إلى التَّأليف فيه؟

إنَّ الباحث في تراثنا العربي يجدُ أنَّ القدماء مارسوا هذا العلم منذ العصور الأولى، ووضعوا فيه مؤلفات يفوق بعضها في تنسيقه الببليوغرافي كتب الغربيين في هذا المجال، وكتاب "**الفهرست**"، لابن إسحاق النَّديم خير مثال على ذلك، وقد استعاروا الكلمة الفارسية "**فهرست**" للتَّعبير عن هذا العلم، وذلك بحكم امتزاجهم بالشَّعب الفارسي، وتشبُّعهم بثقافته،

إضافة إلى استعمال مصطلح فهرست بمعنى ببليوغرافيا فإنَّ العرب استخدموه كذلك باعتباره دليلا يحصي الرَّصيد من مؤلفات خزانة من خزانات الكتب؛ كفهرست بيت الحكمة، وفهرست مؤلفات الجاحظ، وفهرست خزانة الحكم المستنصر في قرطبة، إلخ.

أما اللَّاتين القدماء فلم يستعملوا ببليوغرافيا للتَّعبير عن هذا العلم بل استعملوا خمسة مصطلحات يونانية ولاتينية عوضه وهي: -bibliotheca repertorium -index -catalogus وInventarium واللَّفظ المستعمل المتداول للتَّعبير عن الببليوغرافيا في القرن 16م هو مصطلح الببليوتيكا (bibliotheca)، ومن الأوائل الذين استعملوا هذا اللَّفظ اللَّاتيني بمعنى ببليوغرافيا الطَّبيب السويسري كونراد جسنر (Conrad Gessner)؛ وقد جعله عنوانا لكتابه الببليوغرافيا الكونية (Bibliotheca universalis)[1] وهذا أول كتاب تناول ما يسمى بالببليوغرافيا العامة

---

(1) التصنيف أو ما يعبّر عنه بالتنسيق النِّظامي في خزائن كتب أوربا استمدّ أصوله من تنسيق العلوم الذي استُمدّ من تنسيق أرسطو لها الذي هو اللاهوت، أو علوم أصول الدين وعلم الشرائع والعلوم والفنون والآداب والتاريخ. وهذا هو التنسيق الذي كان سائِدًا في العصر الوسيط. وقد ظهر التجديد بعد اكتشاف الطباعة على يد كونراد جسنر (Conrad Gessner) (ت.1565م) الذي وضع تنسيقا جديدا للكتب وخزائن الكتب يخالف نظام العصر الوسيط. وقد تجلى هذا في كتابه "الببليوغرافيا الكونيّة = (Bibliotheca universalis) حيث قسّم المعرفة إلى واحد وعشرين (21) أصلا، ولم يقتصر على الأصول الخمسة التي تحدّرت عن تنسيق أرسطو. ويُعدُّ عمل كونراد جسنر (C.Gessner) أولى المحاولات التي أُجريت للتَّوفيق بين الثورة الفكرية التي أحدثتها النهضة العلمية الحديثة وبين الطريقة المدرسيّة التقليدية المتحدّرة عن الأجيال الوسطى ونظام أرسطو.

الدَّولية، حيث تعرَّض للكتب في ثلاث لغات هي: الإغريقية واللَّاتينية والعبرية لهذا يُدعى أب الببليوغرافيا في العصر الحديث.

ويلزمنا بهذه المناسبة أن نصحح خطأ شائعا في الأوساط العلمية هو أن مجموعة من الببليوغرافيات في الغرب التي سُمِّيت "ببليوتيكا" (bibliotheca) كَتِلكم التي أشرنا إليها سابقا والَّتي تتعلق بالتُّراث العربي، وقد تمَّت ترجمتها بلفظ مكتبة، وهي جزئية دقيقة لا يعرفها إلَّا الَّذين درسوا المكتبات، وتخصَّصُوا في علومها بما فيها الببليوغرافيا، وتعلَّموا أن لفظ "ببليوتيكا" لا يعني مكتبة بل المقصود به الببليوغرافيا؛ فالمستشرق الأمريكي فان ديك (E. Van Deyk) مثلا يترجم كتاب كنراد جسنر Bibliotheca universalis بالمكتبة الكونية. والشَّيء نفسه نقوله عن كتاب المستشرق الفرنسي في القرن 17م دربلو (d’Erbelot) la bibliothèque orientale فكل ناقليه كانوا عربا أو عجما ترجموه بالمكتبة الشَّرقية، والصَّواب هو الببليوغرافيا الشَّرقية.

وكان ابن إسحاق النَّديم أوَّلَ من استعمل مصطلح "فهرست" عنوانا لكتابه الببليوغرافي الصِّرف، الَّذي انبهر له المحدثون خاصَّة المستشرقين، لِما جاء فيه من تصنيف وتنسيق ببليوغرافي دقيق. وعلى الرُّغم من أنَّه أول عمل ببليوغرافي حسب كثير من الباحثين، فقد كانت هناك محاولات سابقة عليه دون استعمال هذا المصطلح، ويعترف ابن إسحاق النَّديم نفسه في مواضع مختلفة من كتابه بأنَّه مسبوق إلى هذا الفنِّ، وأن هناك أعمالا

ومحاولات سابقة عليه استفاد منها، فأوحت إليه بوضع هذا التَّأليف الَّذي أراد له أن يكون حصرا لكلِّ ما أُلِّف باللُّغة العربية، وكلٍّ ما ترجم إليها في مختلف فروع المعرفة حتى أواخر القرن الرَّابع من الهجرة، ولعلَّ أقرب عمل ببليوغرافي تأثَّر به واستفاد منه تلكم المحاولة التي قام بها أبو الحسن ابن الكوفي (ت.259هـ)، فقد ترجمه في "**الفهرست**"، واعترف باستفادته منه، ووصفه بقوله: بأنه كان بحَّاثًا منقِّرًا[1]. وكتب المستشرق الألماني ليبر (Lippert) (ت.1911م) بحثا يؤكد هذه المسألة بعنوان: "أبو الحسن ابن الكوفي سلفًا لابن النَّديم"؛ ولعله استفاد أيضا من الفهارس اليونانية؛ كفهرست كتب الطَّبيب اليوناني جالينوس (Galien) الَّذي نقله إلى العربية زعيم المترجمين العرب حنين بن إسحاق في القرن الثَّالث من الهجرة.

ومن يقرأ في "**الفهرست**" يجد أن ابن إسحاق النَّديم لم يقف عند إحصاء الكتب فقط، بل تجاوزه إلى الكلام في حياة المؤلِّفين وأخبارهم، والكلام في أصناف العلوم وأساليب الدِّراسة والبحث عند العرب، وغير ذلك من شؤون الثَّقافة والحضارة. ويتميز ابن إسحاق النَّديم بروح علميّة وأمانة دقيقة، حيث يصرِّح في مواضع كثيرة من كتابه بأنَّه رأى هذا الكتاب، أو ذاك وعرفه، إضافة إلى وصف الكتب، يشير إلى قيمتها، وتجويد أصحابها في التَّأليف، أو تقصيرهم فيه، وهذا منتهى ما وصلت إليه الببليوغرافيا الحديثة من وصف

---

(1) الفهرست: 1/ 241.

وتحليل ونقد وتشخيص للكتب (Autopsie).

إنَّ ببليوغرافيا ابن إسحاق النَّديم الَّتي سمَّاها: **"الفهرست"** تعدُّ أوَّل ببليوغرافيا بالمفهوم العلمي لهذا اللَّفظ، ولعلها كانت أول عمل أثر في طاش كبري زاده، واقتدى به في تدبيج كتابه **مفتاح السَّعادة**. أما العمل الثَّاني الذي أثَّر فيه أكثر من غيره وإن لم يذكره تصريحا هو كتاب **"إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد"**، لابن الأكفاني، وهو كتاب أبان فيه صاحبه عن أصول العلوم وفروعها بكيفيّة لم نعهدها في المؤلَّفات العربيّة قط، فقد فصَّل الكلام عن كلِّ علم، فذكر ما صُنِّفَ فيه من الكتب، وشفع هذا بذكر مشاهير العلماء والمؤلِّفين في كلِّ فنٍّ، إلى غير ذلك مما جعله فريدا في بابه.

وغاية ابن الأكفاني من تأليف هذا الكتاب هي الغاية نفسها الَّتي رمى إليها طاش كبرى زاده من تأليف **مفتاح السَّعادة**. وهي استفادة الإنسان من هذه العلوم في سبيل تحلية نفسه بالفضائل، وإبعادها عن الرَّذائل، فلا ينبغي أن تُدْرَسَ هذه العلوم لنفسها، ولكن تُدرس بغية تقويم النَّفس وترقيتها إلى أعلى المراتب الإنسانية، لنيل السَّعادة الأبديَّة.

وعلى الرُّغم من أنَّ **إرشاد القاصد** كان المعتمد الأساس لطاش كبرى زاده في تأليف كتابه، فإنَّ **"الفهرست"**، لابن إسحاق النَّديم بتقسيماته للعلوم، وتصنيفه وذكره لمؤلفات العلماء في مختلف العلوم كان حاضرا في ذهنه، وعلى العموم فإنَّ البيانات الببليوغرافية في **مفتاح السَّعادة** واضحة الملامح،

بحيث يذكر موضوع العلم وغرضه، ومبادئه وفائدته، ومجال بحثه وحدوده، ويدخل غالبا في مناقشات علميَّة حول بعض المسائل، ثمَّ يذكر أهمَّ المؤلَّفات في كلِّ علم من العلوم، يبدأ بالمؤلَّفات الأصليّة المطوَّلة منها والمتوسِّطة والمختصرة والشُّروح والحواشي، فالكتاب ببليوغرافيا تَشْتَمِلُ على تراجم المؤلِّفين، وعلى تعريف بالْكُتُبِ وذكر أهميتها ومكانها بين المصنَّفات الأخرى في الموضوع نفسه، وغالبا ما يستطرد فيذكر مؤلَّفات المصنِّف الأخرى في العلوم الأخرى، أو في العلم نفسه، ثمَّ يعود إلى موضوع حديثه السَّابق. وقد نَقَلَ تعريفات بِنَصِّها في كثير من المواضع، ونقلها بتصرُّف في مواضع أخرى، وقد أشرنا إلى ذلك أثناء التَّوثيق. ويمتاز كتاب **مفتاح السَّعادة** بأنه أوَّل كتاب اعتبر التَّصنيف (classification) علما قائما بذاته، وسمَّاه **علم تقاسيم العلوم**، وقد عرَّفه، وذكر ما أُلِّف فيه شأنه شأن سائر العلوم.

وخلاصة القول؛ إنَّ **مفتاح السَّعادة** كتاب ببليوغرافي على غرار **الفهرست** و**إرشاد القاصد**، ويمثل أرقى وأكمل ما وصل إليه تقسيم العلوم وتصنيفها عند العرب المسلمين، وعلى الرُّغم من أهمّية كتاب ابن الأكفاني فيما يخص موضوعات العلوم، وفيما يخصُّ كثرة تداوله عند العلماء، فإنَّ **مفتاح السَّعادة** بفضل تفريعه للعلوم، وذكر تفاصيل كثيرة عن كلّ علم على حدة، وبفضل مكانة صاحبه العلميّة واختصاصه بترجمة علماء الدَّولة العثمانيّة، واطِّلاعه الواسع على مصنَّفاتهم قد أصبح أكثر تداولا في الأوساط العلميّة في مجال البحث.

6- المصادر المعرفية لطاش كبري زاده في كتاب "مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة":

تطلب تدوين العلوم الإسلامية ابتداء من منتصف القرن الثَّاني للهجرة البدء بالتَّفكير في تصنيف هذه العلوم، ومواكبة حركة التَّأليف العربي والتَّعريف بالمؤلِّفين، وقد بدأ هذا العلم بالظُّهور مع فلاسفة الإسلام؛ كجابر ابن حيان (ت.نحو 200هـ) في "**رسالة الحدود**"، والكندي (ت.252هـ) في **رسائله**، والفارابي (ت.339هـ) في كتابيه: "**الجمع بين رأيي الحكيمين**"[1]، و"**إحصاء العلوم**"، وإخوان الصَّفا (القرن الرابع للهجرة)، في **رسائلهم**، وأبي حيان التَّوحيدي (في حدود 414هـ) في "**رسالته في العلوم**"، وابن إسحاق النَّديم (ت.380هـ) في "**الفهرست**"، والخوارزمي (ت.387هـ) في كتابه "**مفاتيح العلوم**"، وابن سينا (ت.428هـ) في كتاب "**الشِّفاء**" **ورسالته في أقسام العلوم العقلية**، وابن حزم (ت.456هـ) في **رسائله**، والإمام الغزالي (ت.505هـ) في "**إحياء علوم الدين**"، ونصير الدين الطوسي (ت.672هـ) في كتابه "**الأخلاق النَّصيرية**"، **ورسالته في أقسام الحكمة**، وناصر الدين عمر ابن عبد الله البيضاوي (ت.685هـ) في **رسالته موضوعات العلوم**، وابن الأكفاني (ت.749هـ) في "**إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد**"، وابن خلدون (ت.808هـ) في "**المقدمة**"، والمولى لطفي التَّوْقاتي (ت.904هـ) في

---

(1) سمَّاه في مفتاح السَّعادة: أغراض أفلاطون وأرسطو.

"**رسالته في العلوم الشَّرعية والعربية**"، والإمام السُّيوطي(ت.911هـ) في "**النقاية**" وشرحها، وكتاب "**مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة**"، لطاش كبري زاده (ت.968هـ)، والكتب اللاحقة عليه؛ كـ "**كشف الظُّنون عن أسامي الكتب والفنون**"، لحاجي خليفة (1067هـ)، و"**أبجد العلوم**"، للقَنُّوجِي.

ولا ننسى في هذا الباب بعض كتب الأدب وصناعة الإنشاء الَّتي ذكرت مجموعة من العلوم وآدابها وما أُلِّف فيها؛ ككتاب "**نهاية الأرب في فنون الأدب**"، للنُّويري (ت.733هـ)، و"**صبح الأعشى في صناعة الإنشا**"، للقلقشندي (ت.821هـ)، وبعض المعاجم الاصطلاحية؛ كـ "**كشاف اصطلاحات الفنون**"، للتَّهانوي (ت.بعد 1158هـ)، والتي كان لها دور كبير في التَّعريف ببعض العلوم وما أُلِّف فيها.

ورغم اختلاف أصحاب هذه الكتب في الزَّمان والمكان، واختلاف العلوم الموصوفة فيها هل هي العلوم العقلية فقط؟ أم العلوم اللُّغوية والشَّرعية فحسب؟ أم هما معا؟ وكذلك اختلاف منهج تأليفها، إلَّا أنَّها جميعا تبرز جهود العلماء المسلمين في تأريخ العلوم وتصنيفها خلال عشرة قرون، وسنقتصر هنا على بيان منهج تصنيف العلوم العربية عند طاش كبري زاده، مع ذكر وجوه استفادته ممَّن سبقه خصوصا أولئك الَّذين صرَّح باستفادته منهم.

ذكر طاش كبري زاده في كتابه "**مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة**" أكثر من ثمانين مصدرا للنَّقل، وقد سجَّلناها جميعها في القراءة الأولى للكتاب، لكنَّنا

بعد تتبُّعنا للنُّصوص المنقولة وأثناء توثيقها، لاحظنا أنَّه نقل عن هذه المصادر بالواسطة، وكان معتمده في هذا الكتاب الكتب الآتية:

فقد نقل مادة مقدِّمات الكتاب الخاصَّة بشرف العلم وآداب العالم والمتعلِّم من خمسة مصادر أساس هي:

- "**جامع بيان العلم وفضله**"، لابن عبد البر النَّمري (ت.463هـ).

- "**إحياء علوم الدين**"، لأبي حامد الغزالي (ت.505هـ).

- "**تعليم المتعلِّم طريق التَّعلم**"، لبرهان الدين الزَّرْنوجِيِّ، (ت.نحو 640هـ).

- "**معيد النِّعم ومبيد النِّقم**"، لتاج الدِّين ابن السُّبكي (ت.771هـ).

- "**إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد**"، لابن الأكفاني (ت.749هـ).

وقد أعاد تلخيص هذه المقدِّمات في الطَّرف الثَّاني من الكتاب الخاصِّ بالتَّصفية، وكانت عمدته فيه كما قلنا كتاب "**إحياء علوم الدِّين**"، للإمام الغزالي (ت.505هـ)، وكتاب "**إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد**"، لابن الأكفاني، فأثرُ الكتابين واضح في هذه المقدِّمات الَّتي تبسط المنظومة التَّربويَّة عند علماء المسلمين.

وصرَّح أنَّه جعل رسالة ابنِ سينا (ت.428هـ) في **أقسام العلوم العقليَّة**، عمدته في تأليف كتابه هذا، وعمل على تنقيحها وتهذيبها حيث قال:

"وصَنَّفَ ابْنُ سِينَا في هذا الْعِلْمِ رِسالَةً لَطيفَةً، وهذه الرِّسالَةُ الَّتي نحن بِصَدَدِ تَنْقِيحِها وتَهْذيبِها"[1].

وهذا التَّنقيح والتَّهذيب جاء على وفق تقسيم ابن خلدون (ت.808 هـ) للعلوم في مقدِّمته الَّذي يلخِّصه قوله: "اعلم أنَّ العلوم الَّتي يخوض فيها البشر ويتداولونها في الأمصار تحصيلا وتعليما هي على صنفين: صِنْفٌ طبيعيٌّ للإنسان يَهْتَدِي إليه بِفِكْرِهِ، وصنف نقليٌّ يأخذه عمّن وضعه.

- **والأوَّل**: هي العلوم الْحِكَمِيَّة الفلسفيَّة، الَّتي يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعة فكره، ويهتدي بمداركه البشريَّة إلى موضوعاتها ومسائلها، وأنحاء براهينها، ووجوه تعليمها، حتّى يقفه نظره وبحثه على الصَّواب من الخطإ فيها من حيث هو إنسان ذو فكر.

- **والثَّاني**: هي العلوم النَّقليَّة الوضعيَّة وهي كلُّها مستندة إلى الخبر عن الواضع الشَّرعيِّ. ولا مجال فيها للعقل"[2].

فأدخل تحت الصِّنف الأول أربعة علوم أساس هي:

- علم المنطق.

---

(1) مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة: 1/ 440.

(2) مقدمة ابن خلدون: 1/ 549.

- العلم الطبيعيُّ، ومن فروعه علم الطِّب والفلاحة والسِّحر والطِّلَسْمَاتِ والكيمياء.

- العلم الإلهي أو (ما وراء الطَّبيعة).

- العلم الَّذي ينظر في المقادير؛ كعلم العدد والهندسة، وعلم الأرتماطيقي، وعلم الموسيقى، وعلم الهيئة .

- وأدخل تحت الصِّنف الثَّاني الَّذي هو النَّقليُّ الوضعيُّ: علم التَّفسير، وعلم القراءات، وعلوم الحديث، وعلم أصول الفقه، وعلم الخلافيات، وعلم الكلام، وعلم الفقه، وعلم الكلام، وعلم التَّصوف، وعلم تفسير الرؤيا، وألحق بهذه العلوم علوم اللِّسان العربيِّ؛ كالنَّحو واللُّغة والبيان والأدب.

واعتمد في تصنيف العلوم والتَّعريف بها، وذكرِ موضوعها ومبادئها، والغرض منها وغايتها، وتعداد منافعها وفوائدها، وحصرِ الكتب المصنَّفة فيها، على مجموعة من المصادر وهي:

- "**رسالة في موضوعات العلوم**"، لعمر بن عبد الله البيضاوي (ت.685هـ).

- "**إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد**"، لابن الأكفاني (ت.749هـ).

- "**صبح الأعشى في صناعة الإنشا**"، للقلقشندي (ت.821هـ).

-"**رسالة في العلوم الشَّرعيَّة واللُّغويَّة**"، للطف الله بن حسن التَّوْقاتي الرُّومي الحنفي (ت.904هـ).

وأكثر النَّقْل على الخصوص من كتاب "**إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد**"، لابن الأكفاني، الَّذي وصف في كتابه ستِّين علما من العلوم العربيَّة، حتَّى قال حاجي خليفة عن ذلك: إنَّه "مَأْخَذُ **مِفتاحِ السَّعادة** لطاش كبري زاده"[1]، فقد نقل منه الشُّعبة الثَّالثة من الدَّوحة الرَّابعة الخاصَّة بالعلم الطَّبيعي وفروعه وفروع فروعه، لأنَّه فيه عمدة، وحتَّى العلوم الَّتي برَّزَ فيها طاش كبرى زاده؛ كعلوم الدِّين فقد اقتدى به من حيث المنهج، لكنَّه للأسف لم يذكره، ولم يذكر مُصَنَّفَهُ ولو مرَّة في كتابه.

ونقل أيضا من رسالة لطف الله التَّوْقاتي مجموعة مهمة من تعريفاته للعلوم الشَّرعية واللُّغوية، علما أنَّ هذا الكتاب ضَمَّ وصف اثنين وخمسين علما. فقد نقل منه مجموعة من تعريفات العلوم؛ كعلم اللُّغة، وعلم مخارج الحروف، وعلم الاشتقاق، وعلم النَّحو، وعلم الصَّرف، وعلم آداب البحث، وغيرها من العلوم الَّتي فيها نقل ظاهر غير خفي من الرِّسالة، لكنَّه أيضا تَعَمَّدَ أيضا عدم ذكرها وذكر مصنِّفها.

وقد أكَّدَ هذا النَّقل حاجي خيلفة في **كشف الظُّنون** فقال حينما أراد تعريف **علم آداب البحث**: "قال الْمَوْلَى أبو الْخَيْرِ في **مفتاح السَّعادة**: وهو عِلْم يُبْحَثُ فيه عن كيفيَّة إيرادِ الْكَلامِ بين الْمُناظِرِينَ. وموضوعُه: الأدلَّةُ من حيثُ إنَّها يُثْبِتُ بها الْمُدّعي على الغير. ومبادئه: أمورٌ بَيّنةٌ بنفسها.

---

(1) كشف الظنون: 1/ 66.

والغرضُ منه: تَحْصِيلُ مَلَكَةِ طُرُقِ الْمُناظَرَةِ لئلا يَقَعَ الْخَبْطُ في الْبَحْثِ فيتضحَ الصَّوابُ. انتهى. وقد نَقَلَهُ من موضوعات **الْمَوْلَى لُطْفي** بِعِبارَتِهِ ثم أورد بعض ما ذكر هاهنا من المؤلفاتِ"[1].

وقال أيضا في تعريفه لعلم الآثار: "هذا الفن أشد ما يحتاجُ إليه علمُ الموعظة، هذا ما قاله **مولانا لطفُ الله في موضوعاته**، وقد نَقَلَهُ الفاضل الشَّهير بطاش كبري زادَه بعبارته في **مفتاح السَّعادة**، ثم قال: ومن الكُتب المصنَّفة في هذا العلم كتاب **سير الصحابة والتابعين والزُّهاد**، وكتاب **رَوْض الرَّياحين لليافعي** وغير ذلك"[2].

كما نقل طاش كبري زاده من **كتاب معيد النِّعم ومبيد النِّقم**، لتاج الدين ابن السُّبكي (ت.771هـ)؛ كالأمثلة الكثيرة الَّتي ساقها في طرائف النَّحويِّين واللُّغويِّين، وكذا تعريفه لبعض العلوم؛ كعلم السِّيمياءِ، وعِلْمِ الْعَزائِمِ، وعِلْمِ دَعْوَةِ الْكَواكِبِ، وعِلْمِ تَعَلُّقِ الْقَلْبِ، وعِلْمِ الِاسْتِعانَةِ بِخَواصِّ الْأَدْوِيَةِ، وغيرها، لكنَّه أحال إليه أكثر من مرة، عكس المصادر السَّابقة.

وفي الدَّوحة الأولى المتعلِّقة **بِبَيانِ الْعُلومِ الْخَطِّيَّةِ اعتمد على "القصيدة الرَّائيَّة في الكتابة وأدواتها"**، لابن البوَّاب (ت.413هـ)، وكتاب **"نهاية**

---

(1) كشف الظنون: 1/ 38.

(2) المصدر نفسه: 1/ 8.

الأرب في فنون الأدب، للنُّويري (ت.733هـ)، و"**صبح الأعشى في صناعة الإنشا**"، للقَلْقَشَنْدي (ت.821هـ) اعتمادا تامًّا.

وقد صرَّح في **مفتاح السَّعادة** بوقوفه على قصيدة ابن البوَّاب واستفادته منها يقول في هذا المقام: "رَأَيْتُ هذه الْقَصيدَةَ، وطالَعْتُهَا، وَانْتَفَعْتُ بها"[1]، وقد استشهد ببعض أبياتها.

كما صرَّحَ بقراءته قسما من كتاب **صبح الأعشى**، للقلقشندي، واستفادته منه حيث قال: "وهو كِتَابٌ نافِعٌ في بابِهِ في الْغايَةِ، ولقد طالَعْتُ بَعْضًا منه، وانْتَفَعْتُ به"[2].

أما القسم الخاصُّ بعلوم القرآن فقد لخَّص فيه كتاب "**الإتقان في علوم القرآن**"، للسُّيوطي (ت.911هـ)، وذكر فيه ثمانين علما، وأضاف إليها علوما أخرى تتعلق بعلم الأوفاق وأسرار الحروف، وقد ذكرنا ذلك سابقا بتفصيل.

أما في تراجم الرِّجال فقد رجع في كلِّ طبقة إلى مصدر بعينه؛ ففي طبقة النَّحويِّين واللُّغويِّين اعتمد اعتمادا كلِّيا على كتاب "**بغية الوعاة في طبقات اللُّغويِّين والنُّحاة**"، للسُّيوطي، ورغم أنَّه يشير إلى أنَّه ينقل عن أبي الطَّيِّب اللُّغوي (ت.368هـ) في "**مراتب النَّحويِّين واللُّغويِّين**"، وعن أبي البركات الأنباري (ت.577هـ) في "**نزهة الألباء في طبقات الأدباء**"، وعن ياقوت

---

(1) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 1/ 138.

(2) المصدر نفسه: 1/ 309.

الحموي (ت 626هـ) في "**معجم الأدباء**"، وعن غيرها من المصادر، إلَّا أنه في حقيقة الحال ينقل عن **البغية** مباشرة، وقد اضطررنا إلى مقابلة متن الكتاب مع **البغية** لمعرفة مواضع الخلل أثناء الاختصار المخل بالمعاني، أو التَّصحيف البيِّن للألفاظ.

واعتمد في تراجم طبقات الأدباء والشُّعراء على كتاب "**وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**"، لابن خَلِّكان (ت.681هـ)، وأكثر منه النَّقل.

أما في تراجم طبقات الفقهاء والمفسرين فقد اعتمد اعتمادا كلِّيًّا على كتاب "**طبقات الشَّافعية الكبرى**"، لتاج الدين ابن السبكي (ت.771هـ)، و**تاج التَّراجم**، لابن قُطْلُوبُغا (ت.879هـ)، وفي طبقات المحدِّثين رجع إلى كتاب "**جامع الأصول في أحاديث الرَّسول**"، لمجد الدين ابن الأثير (ت.606هـ)، واستند في تراجم الأطباء والحكماء إلى كتابي "**عيون الأنباء في طبقات الأطباء**"، لابن أبي أصيبعة (ت.668هـ)، و"**إخبار العلماء بأخبار الحكماء**"، لجمال الدين القفطي (ت.646هـ)، وكتاب **إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد**، لابن الأكفاني (ت.749هـ). أما في تراجم أئمة القراءات فقد اعتمد اعتمادا كلِّيًّا على كتاب "**غاية النِّهاية في طبقات الْقُرَّاء**"، لشمس الدين ابن الجزري (ت.833هـ)، وأكثر النَّقل منه.

7- أثر كتاب مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة في الكتب اللَّاحقة عليه:

كان لكتاب **مفتاح السَّعادة**، تأثير واضح في كتب الببليوغرافيا وتاريخ العلوم التي جاءت بعده، ابتداء من القرن العاشر من الهجرة إلى العصر الحديث، بل امتد أثره إلى كتب بعض المستشرقين الَّذين وضعوا المؤلَّفات الببليوغرافية في التُّراث العربي، وبعض مصنِّفي المعاجم العربية الاصطلاحية؛ كـ **"كشاف اصطلاحات الفنون"**، للتَّهانوي، وسنحاول في هذا المبحث تتبع مقدار هذا التَّأثير في أهم المصنَّفات العربية والغربية في موضوعات العلوم.

أول المتأثرين بكتاب **مفتاح السَّعادة** وأبرزهم هو مصطفى بن عبد الله القسطنطيني المعروف بكاتب جلبي، أو بحاجي خليفة (ت.1067هـ)، صاحب كتاب **"كشف الظُّنون عن أسامي الكتب والفنون"**، الَّذي يعدُّ من أهم الكتب الببليوغرافية عند المسلمين إن لم يكن أهمّها بِحُكمِ استخدامه لأهم عناصر الوصف الببليوغرافي من جهة، ولكونه أوَّل ببليوغرافيا عامة دولية في التُّراث الإسلامي من جهة أخرى. وقلنا سابقا إنَّ كونراد جيسنر C.Gessner الطَّبيب السويسري هو السَّبَّاق إلى وضع هذا النَّوع من البيليوغرافيا في كتابه **"البيليوغرافيا الكونيّة"** (bibliotheca universalis)، فقد أحصى فيه المؤلفات اليونانية واللاتينية والعبرية، وكذلك الشَّأن بالنسبة لحاجي خليفة فقد اهتم بالكتب العربية والفارسية

والتُّركية، فهي دولية من هذا الجانب، وعامة لأنَّها تعرضت لجميع المعارف العربية.

ويمتاز **كشف الظنون** بِبَعضِ الْخصوصيّات التي لا نعثر على كثير منها في معظم الكتب البيبليوغرافيّة؛ كذكر بداية المؤلفات مع ذكر خاتمتها في بعض الأحيان، مما جعل المستشرق الفرنسي أنطوان جالان Antoine Galland في القرن السَّابع عشر يقول: إنَّ هذ الكتاب يفوق من النَّاحية التِّقنية كل ما جاء قبله حتَّى في الغرب[1]، وقد وصلت نسخة منه من تركيا إلى فرنسا في القرن السَّابع عشر، ونُقِلَتْ إلى الفرنسية بعناية المترجم الفرنسي بتيس دو لاكروا[2] (Pétis de la Croix) (ت.1713م)، وكان المصدر الأساس الذي اعتمده المستشرق الفرنسي دربلو (d'Erbelot) (ت.1695م) في كتابه: **"البيليوغرافيا الشرقية"** (bibliothèque orientale). كما كان المصدر الأساس للمستشرق الألماني رايسكه (Reiske) (1774م) خصوصا في كتابه: **"مدخل عام إلى تاريخ الإسلام"**، وأحد مصادر صديق حسن خان (1890م) في وضع كتابه **"أبجد العلوم"**.

وذكر حاجي خليفة مضمون كتاب **مفتاح السَّعادة** في موضعين من كتابه **كشف الظنون**:

---

(1) أمشاج من التراث: 171.

(2) محفوظ بالخزانة الوطنية بباريس تحت رقم: 4462.

- **الأول**: في الفصل الرابع: **في تقسيم العلوم بتقسيمات معتبرة وبيان أقسامها إجمالا**، وقد أثنى خيرا على تقسيمه للعلوم فقال: إنَّه أحسن من جميع تقسيمات العلوم[1]، وأجاد تلخيص الكتاب مما يدلُّ على أنَّه قرأه قراءة ضبط وإتقان؛ ونظرا لأهمية هذا النَّص نورده كاملا رغم طوله، ورغم ما فيه من تكرار أمور سبق إيرادها، إلا أنّه يظل في نظرنا أحسن تلخيص للكتاب: "**التَّقسيم الخامس**: ما ذَكَرَهُ صاحبُ "**مفتاح السَّعادة**" وهو أحسنُ من الجميع حيث قال: اِعْلَم أنَّ للأشياءِ وجودًا في أربع مَراتبَ؛ في الْكِتابةِ، والْعِبارَةِ، والْأَذْهانِ، والأعْيانِ. وكلُّ سابقٍ منها وَسيلةٌ إلى اللّاحِقِ؛ لأنَّ الخَطَّ دالٌّ على الألفاظِ، وهذه على ما في الأذهان، وهذا على من في الأعيان، والوجودُ الْعَيْنيُّ هو الْوجودُ الحقيقيُّ الأصيل، وفي الوجود الذِّهْنيِّ خلافٌ في أنَّه حقيقيٌّ أو مَجازيٌّ. وأما الأوّلان فمجازيّان قَطْعًا.

ثم العِلْم المُتعلِّقُ بالثّلاثِ الأُوَل آليٌّ البَتّة، وأمّا العِلْمُ المُتَعلِّقُ بالأعيان فإمّا عَمَليٌّ لا يُقْصَدُ به حُصُولُ نَفْسِهِ بل غَيْرِهِ، أو نَظَرِيٌّ يُقْصَدُ به حصولُ نَفْسِهِ. ثم إنَّ كلًّا منهُما إمّا أن يُبْحَثَ فيه من حيثُ إنَّه مأخوذٌ من الشَّرْع، فهو العِلْم الشَّرْعيُّ، أو من حيثُ إنَّه مُقْتَضى الْعَقْل فقط فهو العِلْم الحِكْمِيُّ، فهذه هي الأصولُ السَّبْعة، ولكلٍّ منها أنواعٌ ولأنواعها فُروعٌ يَبْلغ الكُلُّ على ما اجتهدْنا في الفَحْص والتَّنْقِير عنه بحَسَبِ مَوْضوعاتِه وأسامِيه وتَتَبُّع ما فيه

---

(1) كشف الظنون: 1/ 14.

من المُصَنَّفات إلى مئة وخَمْسين نَوْعًا، ولعلي سأزيدُ بعد هذا. انتهى.

فَرَتَّبَ كِتابَهُ على سَبْع دَوْحات لكلِّ أصلٍ دَوْحة، وجعلَ لكلِّ دَوْحةٍ شُعَبًا لبيان الفُرُوع.

فما أوردَهُ في الأُولى من العلوم الخَطِّية: عِلْمُ أدوات الخَطِّ، عِلْمُ قوانين الكتابة، عِلْمُ تَحْسين الحُروف، عِلْمُ كيفيَّة تَوَلّد الخُطوط عن أصولِها، عِلْمُ ترتيب حُرُوف التَّهَجِّي، عِلْمُ تركيب أشكال بَسائط الحُروف، عِلْمُ إملاء الخَطِّ العربي، عِلْمُ خَطِّ المُصْحف، عِلْمُ خَطِّ الْعَروض.

وَذَكَرَ في الثانية العلومَ المتعلقةَ بالألفاظ وهي: عِلْمُ مخارج الحُروف، عِلْمُ اللُّغة، عِلْمُ الوَضْع، عِلْمُ الاشتقاق، عِلْمُ التَّصْريف، عِلْمُ النَّحو، عِلْمُ المعاني، عِلْمُ البَيان، عِلْمُ البَدِيع، عِلْمُ العَروض، عِلْمُ القَوافي، عِلْمُ قَرْض الشِّعْر، عِلْمُ مبادئ الشِّعْر، عِلْمُ الإنشاء، عِلْمُ مبادئ الإنشاء وأدواتِه، عِلْمُ المُحاضرة، عِلْمُ الدَّواوين، عِلْمُ التواريخ.

وَجَعَلَ من فروع العلوم العربية: عِلْمَ الأمثالِ، عِلْمَ وقائع الأمم ورسومهم، عِلْمَ استعمالات الألفاظ، عِلْمَ التَّرسُّل، عِلْمَ الشُّروطِ والسِّجلات، عِلْمَ الأحاجي والأغْلُوطات، عِلْمَ الألغاز، عِلْمَ المُعَمَّى، عِلْمَ التَّصْحيف، عِلْمَ المَقْلُوب، عِلْمَ الجِناسِ، عِلْمَ مُسامَرةِ الملوكِ، عِلْمَ حكايات الصَّالحين، عِلْمَ أخبار الأنبياء، عِلْمَ المغازي والسِّير وعِلْمَ تاريخ الخُلفاء، عِلْمَ طبقات القُرّاء، عِلْمَ طبقات المُفَسِّرين، عِلْمَ طبقات

الْمُحدِّثين، عِلْمَ سِيَر الصَّحابة، عِلْمَ طبقات الشّافعية، عِلْمَ طبقات الْحَنَفية، عِلْمَ طبقات المالكيّة، عِلْمَ طبقات الْحَنابلة، عِلْمَ طبقات النُّحاة، عِلْمَ طبقات الأطبّاء.

وَذَكَرَ في الثَّالثةِ الْعُلومَ الباحثةَ عمّا في الأذْهانِ من المَعْقُولات الثانية وهي: عِلْمُ المَنْطق، عِلْمُ آداب الدَّرْس، عِلْمُ النَّظَرِ، عِلْمُ الجَدَل، عِلْمُ الخِلاف.

وذَكَرَ في الرّابعة العلومَ المتعلقةَ بالأعْيانِ وهي: العِلْمُ الإلهيُّ، والعِلْمُ الطَّبيعي، والعلوم الرِّياضية وهي أربعةٌ: عِلْمُ العَدَد، وعِلْمُ الْهَنْدَسة، وعِلْمُ الهيئة، وعِلْمُ الموسيقى.

وَجَعَلَ من فُروع العِلْم الإلهي: عِلْمَ مَعْرفةِ النَّفْس الإنسانية، عِلْمَ معرفة النَّفْس المَلكيّة، عِلْمَ مَعْرفة المَعادِ، عِلْمَ أمارات النُّبوة، عِلْمَ مقالات الْفِرَقِ.

وَجَعَلَ من فُروع العِلْمِ الطَّبيعيِّ: عِلْمَ الطِّبِّ، عِلْمَ الْبَيْطَرة، عِلْمَ الْبَيْزَرة، عِلْمَ النَّبات، عِلْمَ الحيوان، عِلْمَ الْفِلاحة، عِلْمَ الْمَعادن، عِلْمَ الْجَواهر، عِلْمَ الْكَوْن والْفَساد، عِلْمَ قَوْس قُزح، عِلْمَ الْفِراسة، عِلْمَ تَعْبير الرُّؤيا، عِلْمَ أحكام النُّجوم، عِلْمَ السِّحْر، عِلْمَ الطِّلَسْمات، عِلْمَ السِّيمياء، عِلْمَ الْكِيمياء.

وَجَعَلَ من فُروع الطِّبِّ: عِلْمَ التَّشْريح، عِلْمَ الْكِحالة، عِلْمَ الأطعمة، عِلْمَ الصَّيْدلة، عِلْمَ طَبْخ الأشربةِ والْمَعاجين، عِلْمَ قَلْعِ الآثار من الثِّياب، عِلْمَ تركيب أنواع الْمِدَاد، عِلْمَ الْجِراحة، عِلْمَ الْفَصْد، عِلْمَ الْحِجامة، عِلْمَ الْمَقاديرِ والأوزان، عِلْمَ الباهِ.

وَجَعَلَ من فُروع الْفِرَاسة: عِلْمَ الشّامات والخيلان، عِلْمَ الأسارير، عِلْمَ الأكْتافِ، عِلْمَ عيافةِ الأثر، عِلْمَ قيافة الْبَشَر، عِلْمَ الاِهْتِداءِ بِالْبَراري والأقفار، عِلْمَ الرِّيافة، عِلْمَ الاِسْتِنْباطِ[1]، عِلْمَ نُزول الْغَيْث، عِلْمَ الْعِرَافة، عِلْمَ الاِخْتِلاجِ.

وَجَعَلَ من فُروع عِلْمِ أحكام النُّجوم: عِلْمَ الاختيارات، عِلْمَ الرَّمل، عِلْمَ الفأل، عِلْمَ القُرْعة، عِلْمَ الطِّيَرَةِ.

وَجَعَلَ من فُروع السِّحْر: عِلْمَ الْكِهانة، عِلْمَ النِّيرَنْجاتِ، عِلْمَ الخَواص، عِلْمَ الرُّقَى، عِلْمَ الْعَزَائم، عِلْمَ الاسْتِحْضار، عِلْمَ دَعْوة الكواكب، عِلْمَ الْفَلَقْطيرات، عِلْمَ الْخَفاء، عِلْمَ الْحِيَل السّاسانية، عِلْمَ كَشْف الدَّك، عِلْمَ الشَّعْبَذة، عِلْمَ تَعَلُّقِ الْقَلْبِ، عِلْمَ الاستعانة بخواص الأدوية.

وَجَعَلَ من فروع الْهَنْدسةِ: عِلْمَ عُقودِ الأبنية، عِلْمَ المَناظِرِ، عِلْمَ المَرايا الْمُحْرِقة، عِلْمَ مراكز الأثقال، عِلْمَ جرِّ الأثقال، عِلْمَ الْمِساحَةِ، عِلْمَ استنباط المياه، عِلْمَ الآلات الحَرْبية، عِلْمَ الرَّمي، عِلْمَ التَّعْديل، عِلْمَ البَنْكامات، عِلْمَ الملاحة، عِلْمَ السِّباحة، عِلْمَ الأوزان والمَوازين، عِلْمَ الآلات المَبْنيَّة على ضَرُورة عدم الخلاء.

وَجَعَلَ من فروع الهيئة: عِلْمَ الزِّيجات والتَّقْويم، عِلْمَ حساب النُّجوم، عِلْمَ كتاب التَّقاويم، عِلْمَ كيفيَّة الأرصاد، عِلْمَ الآلات الرَّصْدية، عِلْمَ

---

(1) يعني استنباط المياه.

المواقيت، عِلْمَ الآلات الظِلّية، عِلْمَ الأُكُر، عِلْمَ الأُكُر المُتَحَرِّكة، عِلْمَ تَسْطِيح الكُرة، عِلْمَ صُوَر الكواكب، عِلْمَ مقادير العُلْويات، عِلْمَ مَنازل القَمَر، عِلْمَ الجُغرافيا، عِلْمَ مَسالك البُلْدان، عِلْمَ البُرد ومُسافاتها، عِلْمَ خواصِّ الأقاليم، عِلْمَ الأدْوار والأكْوار، عِلْمَ القِرَانات، عِلْمَ الْمَلاحم، عِلْمَ الْمَواسم، عِلْمَ مواقيت الصَّلاة، عِلْمَ وَضْع الأسطرلاب، عِلْمَ عَمَل الأسطرلاب، عِلْمَ وَضْع الرُّبع المُجَيّب والْمُقَنْطَرات، عِلْمَ عَمَل رُبْع الدّارَةِ، عِلْمَ آلات السّاعة.

وَجَعَلَ من فُروع عِلْمِ العدد: عِلْمَ حساب التَّحْت والميل، عِلْمَ الجَبْر والمُقابلة، عِلْمَ حِسَاب الخَطَأين، عِلْمَ حِسَاب الدور والوصايا، عِلْمَ حساب الدِّرْهم والدِّينار، عِلْمَ حساب الفَرَائض، عِلْمَ حساب الهَوَاء، عِلْمَ حسابِ العُقود بالأصابع، عِلْمَ أعداد الوَفْق، عِلْمَ خواص الأعداد، عِلْمَ التَّعابي العَدَدِيّة.

وجعلَ من فُروع الموسيقى: عِلْمَ الآلات العَجِيبة، عِلْمَ الرَّقْص، عِلْمَ الغُنْج.

وَذَكَرَ في الخامسة العلوم الْحِكْمِيَّةَ الْعَمَلية، وهي: عِلْمُ الأخلاق، عِلْمُ تدبير المَنْزِل، عِلْمُ السِّياسة.

وَجَعَلَ من فُروع الْحِكْمة الْعَمَلية: عِلْمَ آداب المُلُوك، عِلْمَ آدابِ الْوِزَارة، عِلْمَ الاحتساب، عِلْمَ قَوْد العَسَاكر والجُيوش.

وَذَكَرَ في السّادسة العلومَ الشَّرْعية وهي: عِلْمُ القِراءة، عِلْمُ تفسير القُرآن، عِلْمُ رِوَاية الحديث، عِلْمُ دِرَاية الحديث، عِلْمُ أصول الدِّين المُسَمَّى بالكلام، عِلْمُ أصول الفقه، عِلْمُ الفقه.

وَجَعَلَ من فروع القِراءة: عِلْمَ الشَّواذِّ، عِلْمَ مخارجِ الْحُرُوف، عِلْمَ مخارج الألفاظ، عِلْمَ الوقوف، عِلْمَ عِلل القِراءات، عِلْمَ رَسْم كتابة القُرآن، عِلْمَ آداب كتابة المُصْحف.

وَجَعَلَ من فُروع الحديث: عِلْمَ شَرْح الحديث، عِلْمَ أسباب ورُود الأحاديث وأزمنته، عِلْمَ ناسخ الحديث ومَنْسوخه، عِلْمَ تأويل أقوال النبيِّ عليه السَّلام، عِلْمَ رُموز الحديث وإشاراته، عِلْمَ غَرَائب لُغات الحديث، عِلْمَ دَفْع الطَّعْن عن الحديث، عِلْمَ تَلْفِيق الأحاديث، عِلْمَ أحوال رُواة الأحاديث، عِلْمَ طبِّ النبيِّ عليه السَّلام.

وَجَعَلَ من فُروع التَّفْسير: عِلْمَ المكيّ والمَدَنيّ، عِلْمَ الحَضَرِي والسَّفَرِي، عِلْمَ النَّهارِي واللَّيلي، عِلْمَ الصَّيفي والشِّتائي، عِلْمَ الفِرَاشي والنَّومِي، عِلْمَ الأرضِي والسَّمائي، عِلْمَ أول ما نَزَل وآخر ما نَزَل، عِلْمَ سَبَب النُّزول، عِلْمَ ما نزلَ على لسانِ بعضِ الصَّحابة، عِلْمَ ما تَكرَّر نُزُوله، عِلْمَ ما تأخَّر حُكمُه من نزولِه وما تأخَّر نُزُوله عن حكمِه، عِلْمَ ما نزلَ مُفَرَّقًا وما نزلَ جَمْعًا، عِلْمَ ما نزلَ مُشَيَّعًا وما نزلَ مُفْرَدًا، عِلْمَ ما أنزلَ منه على بعض الأنبياء وما لم يَنْزل، عِلْمَ كيفيَّة إنزال القُرآن، عِلْمَ أسماء القُرآن وأسماء سُورِه، عِلْمَ جَمْعه وتَرْتيبه، عِلْمَ

عَدَد سُورِه وآياتِه وكلماتِه وحُرُوفِه، عِلْمَ حُفّاظِه ورُواتِه، عِلْمَ العالي والنّازِل من أسانِيده، عِلْمَ المُتواتر والمَشْهور، عِلْمَ بيان المَوْصول لَفْظًا والمَفْصول معنًى، عِلْمَ الإمالة والفَتْح، عِلْمَ الإدغامِ والإظهارِ والإخفاءِ والإقْلاب، عِلْمَ المَدِّ والقَصْر، عِلْمَ تخفيف الهَمْزة، عِلْمَ كيفيَّة تَحَمُّل القُرآن، عِلْمَ آداب تِلاوته وتاليه، عِلْمَ جَواز الاقتباس، عِلْمَ غَرِيب القُرآن، عِلْمَ ما وقعَ فيه بغير لُغة الحجاز، عِلْمَ ما وقعَ فيه من غيرِ لغة العَرَب، عِلْمَ الوجوه والنَّظائر، عِلْمَ معاني الأدوات التي يَحْتاج إليها المُفَسّر، عِلْمَ المُحْكَم والمُتَشابه، عِلْمَ مُقَدَّم القُرآن ومؤَخَّره، عِلْمَ عام القُرآن وخاصِّه، عِلْمَ ناسخ القُرآن ومَنْسوخه، عِلْمَ مُشْكل القُرآن، عِلْمَ مُطْلق القُرآن ومُقَيَّده، عِلْمَ مَنْطُوق القُرآن ومَفْهومه، عِلْمَ وجوه مُخاطباته، عِلْمَ حقيقةِ ألفاظ القُرآن ومجازِها، عِلْمَ تشبيه القُرآن واستعاراتِه، عِلْمَ كناياتِ القُرآن وتَعْريضاتِه، عِلْمَ الْحَصْر والاخْتِصاص، عِلْمَ الإيجاز والإطناب، عِلْمَ الخبر والإنشاء، عِلْمَ بدائع القُرآن، عِلْمَ فواصل الآي، عِلْمَ خَواتِم السُّور، عِلْمَ مُناسبة الآيات والسُّور، عِلْمَ الآيات المُتشابهات، عِلْمَ إعجاز القُرآن، عِلْمَ العُلوم المُسْتَنْبَطة من القُرآن، عِلْمَ أقسام القُرآن، عِلْمَ جَدَل القُرآن، عِلْمَ ما وقعَ في القُرآن من الأسماء والكُنَى والألقاب، عِلْمَ مُبْهَمات القُرآن، عِلْمَ فضائلِ القُرآن، عِلْمَ أفْضل القُرآن وفاضله، عِلْمَ مُفْردات القُرآن، عِلْمَ خواصِّ القُرآن، عِلْمَ مَرْسوم الخَطِّ وآداب كِتابتِه، عِلْمَ تَفْسيره وتأويلِه وبيانِ شَرَفه، عِلْمَ شُرُوط المُفَسِّرِ وآدابِه، عِلْمَ غرائبِ التَّفسير، عِلْمَ طبقاتِ المُفَسِّرين، عِلْمَ خواصِّ الحُروف، عِلْمَ الخواصِّ الرُّوحانية من الأوفاق، عِلْمَ

التَّصْريف بالْحُروف والأسماء، عِلْمَ الحُروف النُّورانية والظُّلْمانية، عِلْمَ التَّصرف بالاسْمِ الأعظم، عِلْمَ الكَسْر والْبَسْط، عِلْمَ الزّايرجه، عِلْمَ الْجَفْر والجامِعَة، عِلْمَ دَفْع مَطاعن القُرآن.

وَجَعَلَ من فُروع الْحَدِيثِ: عِلْمَ المواعظ، عِلْمَ الأدْعية، عِلْمَ الآثار، عِلْمَ الزُّهد والوَرَع، عِلْمَ صلاة الحاجات، عِلْمَ المَغازي.

وَجَعَلَ من فُروع أصول الفقه: عِلْمَ النَّظَر، عِلْمَ المُنَاظرة، عِلْمَ الجَدَل.

وَجَعَلَ من فُروع الفقه: عِلْمَ الفَرائض، عِلْمَ الشُّرُوط والسِّجلات، عِلْمَ القضاء، عِلْمَ حُكم الشَّرائع، عِلْمَ الفَتاوَى.

فيكون جميع ما ذَكَرَهُ من العلوم المتعلِّقة بطريق النَّظَرِ ثلاثمئة وخمسة عُلوم.

ثمَّ إنَّه جعلَ الطَّرَفَ الثّاني من كتابه في بيان العلوم المُتَعَلِّقة بالتَّصْفية التي هي ثمرةُ الْعَمَل بالعِلْم فلخَّص فيه كتاب الإحياء، للإمام الغَزالي ولم يذكر عِلْمَ التَّصوف. فلله دَرُّهُ في الْغَوْص على بحار الْعُلوم وإبرازِ دُرَرِها"(1).

وقد دافع حاجي خليفة عن هذا التَّقسيم رغم الانتقادات الَّتي يمكن أن تُوَجَّهَ إليه فقال: "فإن قيل: إنَّه قَصدَ تكثير أنواع الْعُلوم فأورد في فُرُوعِها ما أوردَ كذكرِهِ في فُرُوع عِلْمِ التَّفسير ما ذكرَهُ السُّيُوطي في الإتقان من الأنواع، وهلَّا يُرَدُّ عليه أنه إن أرادَ بالفُروع المقاصدَ للعِلْم؛ فعلمُ الطِّبِّ مَثَلًا يصلُ إلى ألوف من العلوم،

---

(1) كشف الظنون: 1/ 14-18.

وإن أرادَ ما أُفْرِدَ بالتَّدْوين، فلم يستوعِب الأقسامَ في كثيرٍ من المباحث التي أُفرِدَت بالتَّدْوين، وقد أَخَلَّ بذِكْرها، على أنَّه أدخلَ في فُروع عِلْمٍ ما ليسَ منه.

قلت: نعم يَرِد، لكنَّ الْجَوادَ قد يَكْبُو، والْفَتَى قد يَصْبُو، ولا تُعدُّ إلَّا هَفَواتُ الْعارِفِ، وتَدْخلُ الزُّيوفُ على أعلى الصَّوارِفِ، ولا يَخْفَى عليكَ أنَّ التَّعقُبَ على الْكُتُبِ سِيَّما الطَّويلة سَهْلٌ بالنِّسبة إلى تأليفِها ووَضْعِها وتَرْصيفها كما يُشاهد في الأبنية العظيمة والْهَياكِل القديمة حيثُ يَعْتَرِضُ على بانِيها مَن عَرِيَ في فَنِّهِ عن الْقُوَى والْقَدر بحيثُ لا يَقْدِرُ على وَضْع حجَرٍ على حَجَر"[1].

- **الموضع الثاني**: ذكره أيضا في **موضوعات العلوم**، وقال في تلخيصه: "وقد جَمَع الْمَوْلى عِصامُ الدِّين أحمدُ بن مصطفى المعروفُ بطاش كبري زاده كتابًا عظيمًا أورَدَ فيه نحوَ **خمسمئة علم**، سمَّاه: "**مِفتاحَ السَّعادة ومِصباحَ السِّيادة**"، وجَعَلَهُ على طَرَفَيْن:

- **الأول**: في خُلاصَةِ العلم، وذَكر فيه ثمانِيَ عَشْرةَ وصيَّةً للطَّالبين.

- **والثَّاني**: في تَعداد الْعُلوم في ضِمن ثلاثةِ أقسام: آلية، اعتقاديَّة، عملية.

وجَعَل عِلْمَ الأخلاق ثَمَرَةَ كلِّ العُلومِ ... ثُمَّ إنَّ ابنَه المَوْلى كمالَ الدِّين محمدًا نقَلَه إلى التُّركية ببعض إلحاقات وتَصَرُّفٍ، في مُجلَّدٍ كبير"[2].

---

(1) كشف الظنون: 1/ 18.

(2) المصدر نفسه: 2/ 1906.

وقد جعل حاجي خليفة كتاب **مفتاح السَّعادة** مُعْتَمَدَهُ في النَّقل خصوصا في تعريف العلوم، وذِكْرِ المصنَّفات التي أُلِّفت في كلِّ علمٍ على حدة، وهو يحيل إليه في مواضع **بالمولى أبي الخير**، أو **أبي الخير**، وفي مواضع أخرى **بطاش كبري زاده**، وأحيانا ينقل عنه ولا يحيل، وهذا كثير في الكتاب يطول تتبعه، لكن يكفي القارئ أن يرجع إلى العلوم الأولى الَّتي ذكرها حاجي خليفة ليتأكد من كثرة النَّقل؛ كعلم الأدب، وعلم آداب البحث، وعلم الاحتساب، وعلم أحوال رواة الحديث، وعلم الاختلاج، وعلم أخبار الأنبياء، وعلم الاختيارات، علم الاستعانة بخواصِّ الأدوية والمفردات، علم الإنشاء، وغيرها من العلوم التي أكثر فيها من النَّقل من كتاب **مفتاح السَّعادة**.

لكن حاجي خليفة لم يكتف بالنَّقل فقط، بل انتقد عمل طاش كبرى زاده في مواضع كثيرة؛ مثل قوله في تعريف **علم أيام العرب**: "وهو علم يبحث فيه عن الوقائع العظيمة، والأهوال الشَّديدة بين قبائل العرب ... والعلم المذكور ينبغي أن يُجعل فرعًا من فروع التَّواريخ، وإن لم يذكره أبو الخير، مع أنَّه ذكر ما هو ليس بمثابة ذلك ... "[1].

وحينما ذكر **علم الإيجاز والإطناب** قال: "ذَكَرَه[2] من فُروع عِلْمِ التَّفسير، ولا يخفَى أنَّه من مباحثِ علمِ الْبَلاغَةِ، فلا وَجْهَ لِجَعْلِهِ فَرْعًا من

---

(1) كشف الظنون: 1/ 204.

(2) يقصد بالضمير طاش كبري زاده.

فُروع علم التَّفسير، إلَّا أنّه التَزَمَ تسميةَ ما أورَدهُ السُّيوطيُّ في **إتقانه** من الأنواعِ عِلْمًا"(1).

وحينما ذكر **علم الْبُرُدِ ومسافاتها** قال: "وهو علمٌ يُتعرَّفُ منه كميةَ مسَالِكِ الأمصارِ فَرَاسِخَ وأميالًا، وأنَّها مسافةٌ شهريَّةٌ أو أقلُّ أو أكثر. ذَكَرَه أبو الخير مِن فُروع علمِ الْهَيئةِ، وذلك أَولى بأن يُسمَّى عِلْمَ مَسالِكِ الْمَمالِكِ، مع أنَّه من مباحثِ جغرافيا"(2).

وعندما ذكر **علم الأنساب** وعرَّفه قال: "وهذا العلم من زياداتي على **مفتاح السَّعادة**، والعجب من ذلك الفاضل، كيف غفل عنه؟ مع أنَّه علم مشهور، طويل الذَّيل، وقد صنَّفوا فيه كتبا كثيرة"(3).

إلى غير ذلك من الانتقادات والاستدراكات لعمل طاش كبري زاده.

كما اعتمده حاجي خليفة مرجعا في كتابه "**سلم الوصول إلى طبقات الفحول**"، ونقل منه مجموعة من التَّراجم؛ كترجمة الحكيم الراصد أَبَرْخُسْ، وترجمة الرَّاغب الأصفهاني، لكن مصدر النَّقل الرَّئيس في هذا الكتاب هو كتاب **الشُّقائق النُّعمانية**.

كما جعل عبد اللَّطيف بن محمد بن مصطفى المتخلِّص بلطفي، الشَّهير بـ: رِياض زَادَه الحنفي (ت.1078هـ)، كتاب **مفتاح السَّعادة** عمدته في كتابه

(1) كشف الظنون: 1/ 205.
(2) المصدر نفسه: 1/ 238.
(3) المصدر نفسه: 1/ 178.

"**أسماء الكتب المتمم لكشف الظنون**"، حيث استدرك منه مجموعة من الكتب التي ذهل عنها حاجي خليفة في **كشف الظنون**، وذكره بالاسم في بعض المواضع من الكتاب؛ كقوله في ترجمة نَجْمِ الدِّينِ مُخْتَارِ بْنِ مَحْمُودٍ الزَّاهِدِيِّ: "قَالَ الْفَاضِل طاش كبري زَاده فِي **مِفْتَاح السَّعَادَة**: وَكَانَ على مَذْهَب الاعتزال وَلِهَذَا لَا يُعْتَمَدُ على فتواه"[1].

وقوله أيضا: "قال الْفَاضِل الْمَعْرُوف بطاش كبري زاده فِي **مفتاح السَّعادة**: وَأَخْسِيكَثُ بِفَتْح السِّين بعد الْخَاء الْمُعْجَمَة، وآخرها ثاء مُثَلّثَة، وَهُوَ الإِمَام الْعَلَّامَة حسام الدّين مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ حُسَامُ الدِّينِ الْأَخْسِيكَثِيُّ"[2].

ونقل عنه خبر مقتل عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، أَبُو الْمَحَاسِنِ الرُّويَانِيِّ فقال: "قَالَ الْمولى الْفَاضِل طاش كبري زَاده ثمَّ انْتقل إِلَى آمل فَقتلته الْمَلَاحِدَة سنة اثْنَتَيْنِ وخمسمئة"[3].

إلى غير ذلك من الأشياء التي نقلها رياض زاده في هذا الكتاب.

ومن الَّذين تأثروا بكتاب **مفتاح السَّعادة** وأكثروا النَّقل منه أبو الطَّيب محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري الْقَنُّوجي (1307هـ) صاحب كتاب "**أبجد العلوم**"، فعلى الرُّغم من تأثره

---

(1) أسماء الكتب المتمم لكشف الظنون: 234.

(2) المصدر نفسه: 42.

(3) المصدر نفسه: 67.

الشَّديد بكشف الظنون طريقة ومنهجا، فقد كان مفتاح السَّعادة النَّموذج الأبرز الذي سار القنُّوجي على منواله خصوصا في تصنيف العلوم والتَّعريف بها، لكنه جمع بين طريقة كشف الظُّنون في التَّرتيب الألفبائي، وطريقة مفتاح السَّعادة في ذكر تعريفات العلوم وموضوعاتها، وجعل عناوين الكتب جزءا من هذه التَّعريفات، وأكثر النَّقل من مفتاح السَّعادة على وجه خاصٍّ، وسنكتفي بإيراد بعض النَّماذج من هذا النَّقل.

قال طاش كبري زاده عن دواعي تأليف كتابه: "**أَمَّا بَعْدُ؛ فَهَذِهِ** بَثٌّ لِمَا وَقَرَ في صَدْرِي من الْعُلُومِ الْفَاخِرَةِ، وَعَيْنٌ بَعْدَ أَثَرٍ في تَحْصِيلِ سَعَادَةِ الْآخِرَةِ، أَمْلَيْتُهَا بِقَلَمٍ يُبْدِي الْعُجَابَ، إذا سَأَلَ أَوْ أَجَابَ، وَيُنْسِي حَسَّانَ وسَحْبَانَ إذا أَبَانَ في الْبَيَانِ، فَجَاءَتْ بِحَمْدِ اللهِ بَدِيعَ الْمِثَالِ في كُلِّ بَابٍ من الْبَيَانِ، مَنِيعَ الشَّأْنِ، رَفِيعَ الْجَنَابِ عند الْعُلَمَاءِ وَالْأَعْيَانِ، مَخَضْتُ فيها حَقَائِقَ الْعُلُومِ عن دُرَرِهَا، وَمَحَضْتُ نُصْحِي في اسْتِخْرَاجِ دُرَرِهَا، وَشَرِبْتُ من النَّهْرِ صُبَابَتَهَا بَعْدَ أَنْ عَرَفْتُ مَجَارِيَهَا، وتَعَلَّمْتُ الرَّمْيَ من الْقَوْسِ وقد كُنْتُ بَارِيَهَا.

فَهَاكُمْ إِخْوَانِي، وعلى التَّقْوَى أَخْدَانِي، مَدِينَةَ عِلْمٍ عَلِيِّ الْبَابِ، مَنِيعِ الْجَنَابِ، رَفِيعِ الْأَسْوَارِ، سَحِيقِ الْأَقْطَارِ، وَجَنَّةً، أَشْجَارُهَا مُورِقَةٌ، وأَنْهَارُهَا مُونِقَةٌ، وأُكْلُهَا دَائِمٌ في اللَّيْلِ والنَّهَارِ، وظِلُّهَا قَائِمٌ في الْهَجِيرِ والْأَسْحَارِ، ونَعِيمُهَا مُقِيمٌ"[1].

---

(1) مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة: 1/ 1-2.

وقال القنُّوجي في مقدمة كتابه "**أبجد العلوم**": "وبعد؛ فهذا بثٌّ لما وقر في صدري من أحوال العلوم العالية وتراجم الفنون الفاخرة، وأثر بعد عين في تحصيل ما نيطت به سعادة الدُّنيا والآخرة، وردت من بحارها الطَّامية ماء عذبا فراتا حاليا، وكرعت من أنهارها الصَّافية ما كان عن القذى طاهرا وعن الأكدار خاليا، حررته إحرازا لما تشتت من أحوال العلوم وتراجم أسمائها وسماتها، وجمعته إفرازا للفنون مع بيان مبادئها وأغراضها وغاياتها، مستمدا في ذلك من كتب الأئمة السَّادة وصحف الكبراء القادة بعد أن عرفت مجاريها وتعلمت الرَّمي من القوس وقد كنت باريها ... ومع ذلك قد جاء بحمد الله تعالى في بابه بديع المثال منيع المنال مبدئ العجب العجاب، إذا سئل أعطى وإذا دُعِيَ أجاب، كأنَّه سماء علوم شرفت كواكبها عجائبها، وأرض فنون أمطرت بالغرائب سحائبها"[1].

وأورد النَّص الَّذي أوردناه لحاجي خليفة في تقسيم طاش كبري زاده للعلوم، مشفوعا بالثَّناء نفسه على هذا التَّقسيم، ونقل قسما كبيرا من المقدِّمات الخاصَّة بشرف العلم، وآداب العالم والمتعلِّم، ونقل منه معظم تعريفات العلوم؛ يقول مثلا في تعريف **علم الاختلاج**: "وهو من فروع علم الفراسة، قال أبو الخير: هو علم باحث عن كيفيَّة دلالة اختلاج أعضاء الإنسان من الرَّأْسِ إلى القدم على الأحوال التي ستقع عليه وأحواله ونفعه.

---

(1) أبجد العلوم: 16-17.

والغرض منه ظاهر، لكنه علم لا يُعتمد عليه لضعف دلالته وغموض استدلاله. ورأيت في هذا العلم رسائل مختصرة لكنها لا تشفي العليل ولا تسقي الغليل"[1].

وقال في تعريف **علم آداب البحث**: "ويقال له علم المناظرة قال أبو الخير في **مفتاح السعادة**: هو علم يبحث فيه عن كيفيَّة إيراد الكلام بين المناظرين.

وموضوعه: الأدلَّةُ من حيث إنَّها يثبت بها المدعى على الغير ومبادئه أمور بينة بنفسها.

والغرض منه: تحصيل ملكة طرق المناظرة لئلا يقع الخبط في البحث فيتضح الصَّواب. انتهى"[2].

وقال في تعريف **علم الخفاء**: "هو علم يتعرف منه كيفيَّة إخفاء الشَّخص نفسه عن الحاضرين بحيث يراهم ولا يرونه، ذكره **أبو الخير** من فروع علم السِّحر، وقال: وله دعوات وعزائم، إلَّا أنَّ الغالب على ظنِّي أنَّ ذلك لا يمكن إلَّا بالولاية بطريق خرق العادة، لا بمباشرة أسباب يترتب عليها ذلك عادة، وكثيرا ما نسمع هذا لكن لم نر من فعله، إلَّا أنَّ خوارق العادات لا تنكر سِيَّمَا من أولياء هذه الأمة. انتهى"[3].

---

(1) أبجد العلوم: 252.

(2) المصدر نفسه: 252.

(3) المصدر نفسه: 252.

والأمثلة كثيرة في هذا الباب وما ضُرب يفي بالمراد.

ومن الَّذين ساروا على منوال طاش كبرى زاده في التَّأليف المستشرق الألماني تسنكر (Zenker) (1884م) في كتابه الببليوغرافي الشَّهير بـ "**الببليوغرافيا الشَّرقية**" = (bibliotheca orientalis)[1]. فإنه، فيما يخصُّ ترتيب الكتب وتنظيمها، قسَّم ببليوغرافيته إلى أبواب مختلفة معتمدا أساسا على تصنيف طاش كبرى زاده للعلوم الَّذي جعل الكتابة والعبارة والأذهان والأعيان أساسا لجميع المعارف والعلوم، فحصر في باب الكتابة الكتب الَّتي تتعلق بالكتابة والخط وما قاربها، كما ذكر في باب العبارة الكتب التي تتعلق بعلوم اللُّغة والتَّاريخ، وأحصى في قسم الأذهان كتب العلوم والرياضيّات والفلسفة، وذكر في قسم الأعيان كتبَ الدِّين واللَّاهوت والشَّرْعِ. وقد تصرَّف المستشرق تسنكر Zenker في هذا التَّقسيم لأنَّه عجز عن اتِّباع طاش كبرى زاده في منهجه العلميّ الرَّصين حذو النَّعل بالنَّعل والقُذَّةِ بالقُذَّةِ.

وامتدَّ أثر كتاب **مفتاح السَّعادة** إلى بعض كتب التَّصوف؛ فإنّ محمد بن محمد بن مصطفى بن عثمان، أبو سعيد الخادمي الحنفي (ت.1156هـ)،

---

(1) جمع فيه الكتب المطبوعة بالعربي والفارسي والتركي منذ بداية الطباعة إلى 1860م، وهو في أصله ذيل على "كتاب الببليوغرافيا العربية" Bibliotheca arabica للمستشرق الألماني شنورير المتوفى عام 1822 والذي كان أحد تلاميذ زعيم الاستشراق الألماني وشهيد الأدب العربي كما يسمي نفسه رايسكه Reiske 1774م.

أكثر من النَّقل منه في كتاب **"بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية"**. وقد رجعنا إليه مرارا للتَّحقق من بعض الكلمات الَّتي فيها اضطراب في النَّص، وأحلنا إليه حينما لم نتمكن من التَّوثيق من المصادر السَّابقة على طاش كبري زاده.

وامتد أثر كتاب **مفتاح السَّعادة** أيضا إلى بعض المعاجم العربية؛ **ككشاف اصطلاحات الفنون**، للتَّهانوي (ت. بعد 1158هـ) حيث نقل منه بعض تعريفات العلوم؛ مثل تعريفه **لعلم المرايا المحرقة**، الذي يقول فيه: "وهو علم تتعرّف منه أحوال الخطوط الشُّعاعيّة المنعطفة والمنعكسة والمنكسرة، ومواقعها وزواياها ومراجعها، وكيفيَّة عمل المرايا المحرقة بانعكاس أشعَّة الشَّمس عنها وَنَصْبِهَا وَمُحاذاتِها، ومنفعته بليغة في محاصرات المدن والقِلاعِ"[1]، وهو منقول حرفيا من كتاب طاش كبري زاده.

هذا باختصار بعض أثر كتاب **مفتاح السَّعادة،** لطاش كبري زاده العالم الببليوغرافي النِّحرير، والباحث الموسوعي الكبير فيمن أتى بعده.

(1) كشاف اصطلاحات الفنون: 2/ 1543-1544.

8- فوائد كتاب مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة وبعض هناته:

نظرا للطَّابع الموسوعي لكتاب **مفتاح السَّعادة** فإنَّ جوانب من شخصية طاش كبري زاده تبرز خصوصا حينما يضطر لإبداء رأيه في بعض المسائل والقضايا، كما يضم عددا هائلا من الفوائد العامة، وسنحاول في هذا المبحث ذكر نماذج منها.

تميَّزَ طاش كبري بتحكيم منطق العقل فيما يرد عليه من أخبار سواء تعلَّقت بالمصنِّفين أو المصنَّفات؛ من هذا ما قاله في ترجمة ابن سينا حينما ذكر حدَّة ذكائه: "**ويُحْكَى عنه أنَّهُ لم يَطَّلِعْ على مَسْأَلَةٍ إلى آخِرِ عُمُرِهِ إلَّا وكان يَعْرِفُهَا في ثَمانِيَةَ عَشَرَ سَنَةً من سِنِّهِ، حتى حُكِيَ عنه أنَّهُ قال: كُلُّ ما عَلِمْتُهُ في ذلك الْوَقْتِ، فهو كما عَلِمْتُهُ الآنَ، لم أَزْدَدْ فيه إلى الْيَوْمِ. وهذا أَمْرٌ عَظِيمٌ لا يَكادُ يَقْبَلُهُ الْعَقْلُ، لولا عُرِفَ حِدَّةُ ذَكائِهِ**"[1].

ولما كانت بعض العلوم والمعارف خاصَّة بأهلها محتملة للتَّأويلات، فإنَّه من باب سدِّ الذَّرائع ومراعاة المآل منع العوامَّ من الخوض فيها، وَنَصَحَ العلماء بالضِّنِّ بها على غير أهلها، يقول في هذا السِّياق: "**يَنْبَغِي أن يُجَنِّبَ أَسْماعَ الْعَوامِّ الْمُتَشَرِّعينَ عن كَلِماتِ الصُّوفِيَّةِ الَّتي يَعْجِزونَ عن تَطْبِيقِها بالشَّرْعِ، فإنَّ ذلك يؤدي إلى انْحِلالِ قَيْدِ الشَّرْعِ عنهم، ولا يُمْكِنُ لهم التَّطْبِيقُ بينه وبين الشَّرْعِ، فَيَنْفَتِحُ عليهم بابُ الإلْحادِ والزَّنْدَقَةِ، فَيَنْقَلِبُ**

---

(1) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 1/ 349-350.

شَيْطانًا مَرِيدًا. كما نُشاهِدُ ذلك في بعض عَوامٍّ زمانِنا الْمُتَتَبِّعينَ لِكَلِماتِ "الْفُصوصِ"[1] وغَيْرِهِ، غَيْرِ الْمُسْتَأْهِلينَ لِتَحْقِيقِها وإِتْقانِها"[2].

كما ألزم نفسه الصَّراحة والإنصاف في الأحكام في هذا الكتاب، وتبرز هذه الحقيقة في استقصاء أحكامه؛ وقد صرَّح بهذا المبدإ في عدَّة مواضع من كتابه؛ كقوله معلِّقا على كلام الإمام السُّيوطي: "السَّيِّدُ الشَّريفُ، وقُطْبُ الدِّينِ الرَّازِيُّ التَّحْتانِيُّ لم يَذوقَا عِلْمَ الْعَرَبِيَّةِ، بل كانا حَكِيمَيْنِ.

قُلْتُ: هذا الْكَلامُ خُروجٌ عن الْإِنْصافِ، ولا يَلْزَمُ من عَدَمِ انْفِرادِهِما بِعِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ، ومُشارَكَتِهِمَا لِسائِرِ الْعُلومِ عَدَمُ مَعْرِفَتِهِما، فَانْظُرْ بِالْإِنْصافِ تَجِدْ في تَصانِيفِهِما مَباحِثَ تَتَعَلَّقُ بالْعَرَبِيَّةِ، قد عَجَزَ عنها الْقُدَماءُ مِنْ أَرْبابِ الْعُلومِ الْعَرَبِيَّةِ: [الوافر]

وَعَيْنُ الْبُغْضِ تُبْرِزُ كُلَّ عَيْبٍ وَعَيْنُ الْحُبِّ لا تَجِدُ الْعُيوبَا"[3]

ورغم حبِّه للعرب والعربية مثلا، واعترافه بحذقهم وتمهُّرهم في بعض العلوم، إلَّا أنَّ الإنصاف لم يمنعه بالاعتراف في تقصيرهم في بعض أجناس التَّأليف؛ كعلم الْمُعَمَّى الَّذي يحظى بمكانة خاصَّة عندهم، إلَّا أنَّ العجم تفوَّقوا عليهم في التَّصنيف فيه، خصوصا أهْلَ فارسَ الَّذين برَّزوا في هذا

(1) يقصد كتاب "فصوص الحكم"، للشيخ ابن العربي الحاتمي (ت.638هـ).
(2) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 1/ 72-73.
(3) المصدر نفسه: 1/ 286.

العلم؛ يقول في هذا الباب: "واعْلَمْ أنَّ أكْثَرَ من يَعْتَنِي باللُّغْزِ الْعَرَبُ، لَكِنْ لم يُدَوِّنوهُ في الْكُتُبِ؛ وأكْثَرُ من يَعْتَنِي بِالْمُعَمَّى أهْلُ فارِسَ، ولهذا وَقَعَ جُلُّ التَّصانِيفِ في الْمُعَمَّى على لِسانِ الْفُرْسِ. وَقَدْ رَتَّبُوا له قَوَاعِدَ عَجِيبَةً، وَتَقْسيماتٍ غَرِيبَةً، وتَنْويعاتٍ لَطِيفَةً. وأمَّا ما يُوجَدُ في لِسانِ الْعَرَبِ فَشْيءٌ نَزْرٌ جِدًّا. وَلَقَدْ وَجَدْتُ في لِسانِ الْعَرَبِ خَمْسَةَ مُعَمَّياتٍ فَقَطْ، مع شِدَّةِ تَنْقِيرِي وَكَثْرَةِ تَتَبُّعِي عنه، على أنَّهُ لم يَقَعْ في مَرْتَبَةِ لَطافَةِ أهْلِ فارِسَ، الَّذِينَ لو كان الْعِلْمُ عند الثُّرَيَّا لَنالَهُ رِجالٌ مِنْهُمْ. وإنْ أَرَدْتَ صِدْقَ هذا الْمَقالِ، فارْجِعْ إلى كِتابِ مَولانا عَبْدِ الرَّحْمنِ الْجَامِيِّ، قُدِّسَ سِرُّهُ، خُصوصًا كِتابَ مَوْلانَا حُسَيْنِ الْمُعَمَّائِي، فإنَّكَ إنْ طالَعْتَهُ وَجَدْتَهُ السِّحْرَ الْحَلالَ، وتَرَى فيه الْعَجَبَ الْعُجابَ"[1].

ولم يُخْفِ مَوْقِفَهُ الرَّافضَ لبعض العادات السَّيئة، والبدع المحدثة في المجتمع العثماني، وقد ذكرنا شيئا منها سابقا، ونورد هنا بعضا آخر منها كقوله: "وَأَكْثَرُ مَعْروفاتِ هذه الْأَعْصارِ مُنْكَراتُ عَصْرِ الصَّحابَةِ؛ كَتَزْيِينِ الْمَساجِدِ وَتَنْجِيدِهَا، وَإِنْفاقِ الْأَمْوالِ الْعَظيمَةِ في دَقائِقِ عِماراتِهَا، وَالْفُرُشِ الرَّفيعَةِ فيها، وقد كانَ فُرُشُ الْبَوارِي[2] في الْمَسْجِدِ مِنْ بِدَعِ الْحَجَّاجِ، وَكانُوا لا يَجْعَلونَ بَيْنَهُمْ وبَيْنَ التُّرابِ حاجِزًا؛ ومِنْ ذلِكَ التَّلْحينُ في الْأَذانِ

(1) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 1/ 379.

(2) البُورِيّ: هِيَ الْحَصِيرُ الْمَعْمُولُ مِنَ الْقَصَبِ، وَيُقَالُ فيها بارِيَّةٌ وبُورِياء. اللسان: بور.

والْقُرْآنِ، وَمِنْ ذَلِكَ التَّعَسُّفُ في النَّظَافَةِ، وَالْوَسْوَسَةِ في الطَّهارَةِ، مَعَ التَّساهُلِ في حِلِّ الْأَطْعِمَةِ وَتَحْرِيمِهَا إلى غَيْرِ ذَلِكَ"[1].

ومنها أيضا قوله في بدعة تخصيص آيات بعينها من القرآن بالقراءة: "وَقَدْ ظَهَرَ لَكَ بِهَذَا كَرَاهَةُ مَا شَاعَ بَيْنَ طَلَبَةِ زَمَانِنَا، مِنْ أَخْذِ بَعْضِ آيَاتٍ مِنْ سُورَةِ الْأَنْعَامِ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ الْخَوَاصَّ الْمَوْجُودَةَ في السُّورَةِ في هَذِهِ الْآيَاتِ بِخُصُوصِهَا، وَأَنْتَ تَعْرِفُ أَنَّ هَذَا الْمِسْكِينَ كَيْفَ اجْتَرَأَ عَلَى هَذَا الِافْتِئَاتِ، وَخَصَّ الْخَوَاصَّ بِبَعْضِ الْآياتِ، وَأَخْلَى بَعْضَهَا عَنْهَا. نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ تَرْكِ الْأَدَبِ سِيَّمَا مَعَ الرَّبِّ تَعَالَى.

أو قوله أيضا في وُعَّاظ عصره: "ثُمَّ إِنَّ الْوَاعِظَ هُوَ الَّذِي يَرْغَبُ في الْآخِرَةِ، وَيَزْهَدُ في الدُّنْيَا بِكَلَامِهِ، وَبِظَاهِرِ سِيرَتِهِ، وَأَمَّا مَا أَحْدَثَهُ الْوُعَّاظُ مِنَ الْكَلِمَاتِ الْمُزَخْرَفَةِ وَالْمُسْجَعَةِ الْمَقْرُونَةِ بِالْأَشْعَارِ، فَإِنَّهُمْ نُوَّابُ الدَّجَّالِ، وَخُلَفَاءُ الشَّيْطَانِ، يَجِبُ إِخْلَاءُ الْبِلَادِ مِنْهُمْ"[2].

وقد حدد طاش كبري زاده المنهج الأمثل للجَرْحِ والتَّعديل في هذا الكتاب فقال: "رُبَّمَا تَرَى فِي كُتُبِ الْأُصُولِ أَنَّ الْجَرْحَ مُقَدَّمٌ عَلَى التَّعْدِيلِ، ثُمَّ تَرَى جَرْحًا فِي حَقِّ الْأَئِمَّةِ، فَلَعَلَّكَ تَمِيلُ إِلَى جَرْحِهِ، فَإِيَّاكَ وَإِيَّاكَ، وَالْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرَ مِنْ هَذا الْحِسَابِ، إِذْ لَوْ فُتِحَ هذا الْبَابُ لَمَا سَلِمَ لَنَا أَحَدٌ مِنَ الْأَئِمَّةِ،

(1) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 3/ 1591.

(2) المصدر نفسه: 4/ 2263.

إِذْ مَا مِنْ إِمَامٍ إِلَّا وَقَدْ طَعَنَ فِيهِ طَاعِنُونَ، وَهَلَكَ فِيهِ هَالِكُونَ، إِمَّا لِأَمْرٍ دُنْيَوِيٍّ، أَوْ تَعَصُّبٍ مَذْهَبِيٍّ. بَلِ الصَّوَابُ أَنَّ مَنْ ثَبَتَتْ إِمَامَتُهُ وَعَدَالَتُهُ، وَكَثُرَ مَادِحُوهُ وَمُزَكُّوهُ، وَنَدَرَ جَارِحُهُ، وَكَانَتْ هُنَاكَ قَرِينَةٌ دَالَّةٌ عَلَى سَبَبِ جَرْحِهِ، مِنْ أَمْرٍ دُنْيَوِيٍّ أَوْ غَيْرِهِ، فَلَا عِبْرَةَ بِهِ، وَإِنَّمَا يُقَدَّمُ الْجَرْحُ فِيمَنْ تَسَاوَى عِنْدَهُ سَبَبُ الْجَرْحِ عَلَى سَبَبِ التَّعْدِيلِ، سِيَّمَا وَقَدْ رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: «اسْتَمِعُوا عِلْمَ الْعُلَمَاءِ، وَلَا تُصَدِّقُوا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهُمْ أَشَدُّ تَغَايُرًا مِنَ التُّيُوسِ فِي زُرُوبِهَا»[1].

وقد أورد في كتابه مجموعة من الآراء في تجريح بعض العلماء، ثمَّ بَحَثَ عَمَّا يدحض هذه الآراء وينقضها؛ مثل قوله في نصير الدين الطُّوسي: "كانَ آيَةً في التَّدْقِيقِ والتَّحْقِيقِ، وَحَلِّ الْمَواضِعِ الْمُشْكِلَةِ، سِيَّمَا لُطْفُ التَّحْريرِ الَّذِي لم يَلْتَفِتْ إليه الْمُتَقَدِّمونَ، بل الْتَفَتُوا جانِبَ الْمَعْنَى فَقَطْ. وهو اخْتَرَعَ في التَّحْريرِ أُسْلوبًا يَسْهُلُ أَخْذُ الْمَعْنَى منه، مع التَّحَرُّزِ عن أَلْفاظٍ زائِدَةٍ، وكَلِماتٍ مُغْلَقَةٍ، وإن لم تُصَدِّقْنِي في ذلك، فَعَلَيْكَ بِتَتَبُّعِ تَصانِيفِ الْقُدَماءِ إلى زَمانِهِ، بحيث تَجِدُ بينهما فَرْقًا أيَّ فَرْقٍ. ثمَّ إنَّ الفاضِلَ الشَّريفَ قَلَّدَهُ في أمْرِ التَّحْريرِ والتَّقْريرِ، كما يَظْهَرُ لَكَ بالنَّظَرِ في تَصانِيفِهِما، إلَّا أنَّهُ ـ تَجاوَزَ اللهُ عنه ـ كانَ غالِيًا في التَّشَيُّعِ، كما يُفْصِحُ عنه الْمَقْصَدُ السَّادِسُ في "التَّجْريد"، وكان يُحْكَى عنه مع ذلكَ أُمُورٌ لا تُناسِبُ رُتْبَتَهُ في الْعِلْمِ، حيث كان في مَعْنَى الْوَزيرِ لِلْكافِرِ الْمُسَمَّى

---

(1) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 2/ 1035.

بِهولاكُو، مَلِكِ التُّرْكِ الطُّغَاةِ. وهو الَّذِي أغارَ على بِلادِ الْمُسْلِمينَ وَخَرَّبَهَا، وانْقَطَعَتْ بِسَبَبِهِ سِلْسِلَةُ الْخِلافَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ في بَغْدادَ... إلَّا أنَّ الشَّيْخَ أَكْمَلَ الدِّينِ قال في آخِرِ شَرْحِهِ لِلتَّجْريدِ، سَمِعْتُ شَيْخِي الْعَلَّامَةَ، وهو مَوْلانا قُطْبُ الدِّينِ الشِّيرازِيُّ رَحِمَهُ الله، أَنَّهُ قالَ: كانَ النَّاسُ مُخْتَلِفينَ في أنَّ هذا الْكِتابَ - يَعْنِي "التَّجْريدُ" - لِخَواجَةَ نَصِيرِ الدِّينِ أَوَّلًا، فَسَأَلْتُ عن ذَلكَ ابْنَهُ خَواجَةَ أَصِيلَ الدِّينِ، فقال: كانَ والدِي وَضَعَهُ إلى بابِ الْإِمامَةِ، وتُوُفِّيَ، فَكَمَّلَهُ ابْنُ الْمُطَهَّرِ الْحِلِّيُّ، وكانَ من الشِّيعَةِ، وهو زائِغٌ زَيْغًا عَظيمًا. فَعَلَى هذه الرِّوايَةِ يَكونُ هو بَرِيئًا عن نَقيصَةِ التَّشَيُّعِ، إلَّا أنَّ الْمَشْهورَ عند الْجُمْهورِ خِلَافُهُ. والله حَسِيبُهُ، وهو أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ الْحالِ، وَكَيْفِيَّةِ الْمَآلِ"(1).

وقد أكثر طاش كبري زاده النَّقل من المصادر كما رأينا، لكنه كان يبدي رأيه في كثير من آراء غيره، إما مستدركا، أو شارحا، أو معقِّبًا، أو مجتهدا، ويميِّز كلامه بقوله: "قلت"، وهو كثير في الكتاب، نكتفي بإيراد خمسة أمثلة فقط:

- **الأول**: قوله مستدركا على الإمام السُّيوطي في الإتقان حينما تكلَّم على الفرق بين أسلوب الحصر والاختصاص في القرآن الكريم: "**قُلْتُ**: مَا ذَكَرَهُ مِنَ الْفَرْقِ بَيْنَ الْحَصْرِ وَالِاخْتِصَاصِ، مِمَّا اسْتَخْرَجَهُ، فِكْرِي أَيْضًا، لَكِنْ إِفَادَةُ التَّقْدِيمِ الْمَذْكُورِ لِلْحَصْرِ قَدْ شُيِّدَ أَرْكَانُهُ فِي بَعْضِ تَعْلِيقَاتِنَا فِي عِلْمِ الْمَعَانِي"(2).

---

(1) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 1/ 433-434.

(2) المصدر نفسه: 3/ 1320.

- **والثَّاني**: تعليقه على أسرار القراءة السِّرِّيَّة والجهريَّة للقرآن الكريم بقوله: "**قُلْتُ**: وَلَعَلَّ التَّوْفِيقَ بَيْنَهُمَا أَنَّ نَهْيَ الْجَهْرِ لِمَنْ أَفْرَطَ حَتَّى كَادَ يَكَلُّ مِنْهُ، وَنَهْيَ الْإِسْرَارِ لِمَنْ أَفْرَطَ حَتَّى لَمْ يَنْشَطْ لِلْقِرَاءَةِ، فَالْمَسْنُونُ حِينَئِذٍ، رِعَايَةُ النَّشَاطِ، وَدَفْعُ الْكَلَالِ. وَيَخْتَلِفُ قَدْرُهُ بِاخْتِلَافِ الطَّبَائِعِ، وَلِهَذَا لَمْ يُنْهَ عَنِ الْجَهْرِ أَوِ الْإِسْرَارِ عَلَى الْإِطْلَاقِ. وَهَذَا التَّوْفِيقُ لَمْ أُسْبَقْ إِلَيْهِ وَللهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ"[1].

- **الثَّالث**: قوله معلِّقا على كلام الْخُوَيِّي الَّذي ردَّ فيه على العزِّ بن عبد السَّلام في **عِلْمِ مَعْرِفَةِ أَفْضَلِ الْقُرْآنِ وَفَاضِلِهِ**، فقد "قالَ الشَّيْخُ عِزُّ الدِّينِ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ: كَلَامُ اللهِ فِي اللهِ أَفْضَلُ مِنْ كَلَامِهِ فِي غَيْرِهِ، فَـ ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾، أَفْضَلُ مِنْ ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾.

وقالَ الْخُوَيِّي: "كَلَامُ اللهِ كُلُّهُ أَبْلَغُ مِنْ كَلَامِ الْمَخْلُوقِينَ، وَهَلْ يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: بَعْضُ كَلَامِهِ أَبْلَغُ مِنْ بَعْضٍ، جَوَّزَهُ قَوْمٌ لِقُصُورِ نَظَرِهِمْ. وَيَنْبَغِي أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ مَعْنَى قَوْلِ الْقَائِلِ: هَذَا الْكَلَامُ أَبْلَغُ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ، أَنَّ هَذَا فِي مَوْضِعِهِ لَهُ حُسْنٌ وَلُطْفٌ، وَذَاكَ فِي مَوْضِعِهِ لَهُ حُسْنٌ وَلُطْفٌ، وَهَذَا الْحُسْنُ فِي مَوْضِعِهِ أَكْمَلُ مِنْ ذَلِكَ فِي مَوْضِعِهِ. فَلَئِنْ قَالَ: إِنَّ ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾، أَبْلَغُ مِنْ ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾، يَجْعَلُ الْمُقَابَلَةَ بَيْنَ ذِكْرِ اللهِ وَذِكْرِ أَبِي لَهَبٍ، وَبَيْنَ التَّوْحِيدِ وَالدُّعَاءِ عَلَى الْكَافِرِ، وَذَلِكَ غَيْرُ صَحِيحٍ. بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يُقَالَ

(1) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 3/ 1228.

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ دُعَاءٌ عَلَيْهِ بِالْخُسْرَانِ، فَهَلْ تُوجَدُ عِبَارَةٌ لِلدُّعَاءِ بِالْخُسْرَانِ أَحْسَنُ مِنْ هَذِهِ، وَكَذَلِكَ فِي: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ لا تُوجَدُ عِبَارَةٌ تَدُلُّ عَلَى الْوَحْدَانِيَّةِ أَبْلَغَ مِنْهَا. فَالْعَالِمُ إِذَا نَظَرَ إِلَى ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ فِي بَابِ الدُّعَاءِ بِالْخُسْرَانِ، وَنَظَرَ إِلَى ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ في بَابِ التَّوْحِيدِ، لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَقُولَ أَحَدُهُمَا أَبْلَغُ مِنَ الْآخَرِ. انْتَهَى"(1).

وقال طاش كبري زاده: "**قُلْتُ**: كَلامُ الْخُوَيِّي لا يَدُلُّ إِلَّا علَى نَفْيِ التَّفَاوُتِ فِي الْبَلَاغَةِ، وَجِهَةِ الْمُطَابَقَةِ لِمُقْتَضَى الْحَالِ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْهُ نَفْيُ الْفَضِيلَةِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، مِنْ حَيْثُ شَرَفُ الْمَدْلُولِ وَشَرَفُ الثَّوَابِ. وَغَيْرُ ذَلِكَ"(2).

- **الرَّابع**: استدرك فيه على السُّيوطي في ترجمة الرَّاغب الأصفهاني حين قال: "**له**: "**مُفْرَداتُ الْقُرْآنِ**"، و"**أَفانِينُ الْبَلاغَةِ**"، و"**الْمُحاضَراتُ**".

قالَ السُّيوطِيُّ: وَقَفْتُ على هذه الثَّلاثَةِ.

قُلْتُ: وَقَفْتُ له أَيْضًا على كِتابِ "**تَفْصيلُ النَّشْأَتَيْنِ**"، وهو كِتابٌ لَطيفٌ لا يُمْكِنُ أَحْسَنُ منه في بابِهِ، وجامِعٌ لِلْفَوائِدِ الشَّريفَةِ. وكتابُ "**الذَّريعَةُ في مَحاسِنِ الشَّريعَةِ**"، و"**كِتابُ الْأَخْلاقِ**". والْكُلُّ بالِغٌ نِهايَةَ الْحُسْنِ، بحيثُ لا يُمْكِنُ لِمادِحِها قَضاءُ حَقِّها"(3).

---

(1) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 3/ 1479- 1480.

(2) المصدر نفسه: 3/ 1480.

(3) المصدر نفسه: 2/ 710.

- **الخامس**: وَيَبْرُزُ فيه الحسُّ النَّقْدِيُّ لطاش كبري زاده، وهو قوله: "ولِأَبِي تَمَّامٍ الطَّائِيِّ: [الكامل]

وَلَضَرْبَةٌ مِنْ كَاتِبٍ بِبَنَانِهِ أَمْضَى وَأَبْلَغُ مِنْ دَقِيقِ حُسَامِ
قَوْمٌ إِذَا عَزَمُوا عَدَاوَةَ حَاسِدِ سَفَكُوا الدِّمَاءَ بِأَسِنَّةِ الْأَقْلَامِ

قِيلَ: وقد نَاقَضَ أبو تمام قولَهُ: [البسيط]

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءً من الْكُتُبِ[1].

قُلْتُ: لا تَناقُضَ لأَنَّهُ أرادَ بالْكُتُبِ كُتُبَ النُّجُومِ، لا مُطْلَقًا على ما شَهِدَتْ به الْواقِعَةُ"[2].

وشمل هذا النَّقد أسماء المصنِّفين وما صنَّفوه:

- فمن **الأول** قوله معقِّبًا على السُّيوطي في **الإتقان** حينما ذكر **"تَفْسيرُ الْخِرَقِيِّ"**، وهو أبو الْقاسِمِ عُمَرُ بْنُ أبي عَلِيٍّ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَحْمَدَ الْخِرَقِيُّ، الْفَقيهُ الْحَنْبَلِيُّ. فقال: "**قُلْتُ**: لم أَرَ تَفْسيرًا لِلْخِرَقِيِّ أصْلًا، ولا سَمِعْتُهُ من أَحَدٍ، ولكنْ وَجَدْتُ في كِتابِ **الإتْقانِ** لِلسُّيوطِيِّ: **تَفْسيرَ الْخِرَقِيِّ**، ولهذا ذَكَرْتُهُ، إلَّا أنَّ الغالِبَ على ظَنِّي أنه تَصْحيفٌ من الْحَوْفِيِّ، ولهذا ذَكَرْتُهُ عَقيبَهُ، وهذا التَّصْحيفُ بَعيدٌ من الْمُصَنِّفِ، والْغالِبُ أنه من النَّاسِخِ"[3].

---

(1) وتمامه: في حَدِّهِ الحدُّ بين الجِدِّ واللَّعبِ. ديوان شعره: 1/ 40.
(2) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 1/ 129.
(3) المصدر نفسه: 2/ 751.

- ومن **الثاني** قوله أيضا في محاولة إصلاح عنوان كتاب عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ الْفَضْلِ بْنِ الْحَسَنِ الْقَزْوِينِيِّ **"الإيجازُ في أَخْطارِ الْحِجازِ"**: "ذَكَرَ فيه مَباحِثَ وفَوائِدَ خَطَرَتْ له في سَفَرِهِ إلى الْحَجِّ. والصَّوابُ: **خَطَراتُ أو خَواطِرُ الْحِجازِ**، ولَعَلَّ الْخَطَأَ من النَّاقِلِ"[1].

واضطرَّ طاش كبري زاده أحيانا إلى اختصار مجموعة من النُّقول المطوَّلة من بعض المصادر الَّتي اعتمد عليها، واعترف هو بهذا التَّصرف في النُّصوص في مواضع من هذا الكتاب؛ كقوله: "وَلَمَّا نَزَلَ الْقُرْآنُ لِتَكْميلِ الْإِنْسانِ في النَّشْأَتَيْنِ، لَمْ يُخَلِّ شَيْئًا مِنْهُمَا عَنِ الْبَيانِ، فَالِاقْتِصارُ على أَحَدِهِما نُقْصانٌ، وإنَّما الْكَمالُ حَمْلُ الْكَلامِ عَلَيْهِما مَعًا مَهْمَا أَمْكَنَ، وإلَّا فلا يَنْبَغي أَنْ يَخْتَلَّ أَحَدُ الْجانِبَيْنِ لِتَصْحيحِ الطَّرَفِ الْآخَرِ.

هذا حاصِلُ كَلامِ الْغَزالِيِّ مع تَوْضيحٍ له من قِبَلِنا"[2].

إلَّا أنَّه لم يُوَفَّقْ أحيانا في تلخيص بعض النُّقول واختصارها اختصارا أمينا واضحا، فبدت بعض عباراتها قلقة مشوشة في سياق الكلام؛ كقوله: "**الثَّانِي**: أَنْ يُظْهِرَ جَميعَ عُيوبِ السِّلْعَةِ خَفِيِّها وَجَلِيِّها، فَذَلِكَ واجِبٌ، وَإِلَّا كانَ غاشًّا، وَالْغِشُّ حَرامٌ، وفي حُكْمِهِ: عَرْضُ الثِّيابِ في الْمَواضِعِ الْمُظْلِمَةِ،

---

(1) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 2/ 760، هو هنا ناقل كلامَ ابن السبكي في طبقات الشافعية الكبرى: 8/ 281.

(2) مفتاح السعادة: 2/ 726.

وَهَذَا وإنْ نَقَصَ مِنَ الثَّمَنِ لَكِنْ لِذَلِكَ جِهَتَيْ التَّسْلِيَةِ"[1]. هذه الكلمة تبدو مشوشة في سياق الكلام ولعل أوفق وجه فيها: هو "التَّلبيس"، وهو واضح في سياق كلام صاحب **الإحياء**: "ولن يَتَيَسَّرَ ذلك على الْعَبْدِ إلَّا بِأَنْ يَعْتَقِدَ أَمْرَيْنِ: أَحَدُهُمَا أَنَّ تَلْبِيسَهُ الْعُيُوبَ وَتَرْوِيجَهُ السِّلَعَ لَا يَزِيدُ فِي رِزْقِهِ بَلْ يَمْحَقُهُ وَيَذْهَبُ بِبَرَكَتِهِ ... وَالْمَعْنَى الثَّانِي الَّذِي لَا بُدَّ مِنِ اعْتِقَادِهِ لِيَتِمَّ لَهُ النُّصْحُ وَيَتَيَسَّرَ عَلَيْهِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ رِبْحَ الْآخِرَةِ وَغِنَاهَا خَيْرٌ مِنْ رِبْحِ الدُّنْيَا وَأَنَّ فَوَائِدَ أَمْوَالِ الدُّنْيَا تَنْقَضِي بِانْقِضَاءِ الْعُمُرِ وَتَبْقَى مَظالِمُها وَأَوْزارُها ..."[2].

وأحيانا يورد اختصارا مخلا بالمعنى؛ كقوله في تلخيص كلام الإمام الغزالي في "**إحياء علوم الدين**": "فينبغي أن يكون شديد البحث عن أسرار الأعمال والأقوال، فإنَّهُ إنِ اكتفى بحفظ ما يُقالُ كان وِعاءً للعلم ولا يكون عالمًا، ولذلك كان يقال فلان من أوعية العلم، فلا يُسمى عالمًا إذا كان شأنه الحفظَ من غير اطِّلاعٍ على الحكم والأسرار"[3]. إذ لَخَّصَهُ بقوله: "ثُمَّ إذا قَلَّدَ صاحِبَ الشَّرْعِ صَلواتُ الله عليه وَسَلامُهُ فَيَنْبَغِي أنْ يَحْرِصَ على فَهْمِ أَسْرارِهِ، وَإِلَّا يَكونُ وِعاءً لِلْعِلْمِ لا عالِمًا"[4].

ووقع طاش كبري زاده شأنه شأن سائر البشر في مجموعة من الأخطاء

(1) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 4/ 1942.

(2) الإحياء: 2/ 76.

(3) المصدر نفسه: 2/ 78.

(4) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 3/ 1589.

والمآخذ في هذا الكتاب، ونحن هنا لا نجزم بأن الخطأ منه لأن آفة النَّسخ أيضا توقع في المهالك، لكن جَلَّ من لا يخطئ.

فقد وجدنا بعض الأخطاء في بعض الآيات القرآنية؛ كالآية الثانية من سورة الملك: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾. كتبها: (هو الذي خلق الموت والحياة)؛ وكالآية: 54 من سورة الفرقان: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾[1]، كتبها: (الحمد لله الذي خلق من الماء بشرا).

أما بؤرة الكتاب الَّذي هو تعريف العلوم، وذِكْرُ المصنَّفات والمصنِّفين، فقد اعتمد طاش كبري زاده على بعض المصادر في النَّقل، واعتمد أيضا على ما لَقِفَهُ من شيوخه، أو من حفظه أوان زمان الدَّرس والتَّحصيل، وقد كان في الشِّقِّ الأول إما ناقلا أمينا، أو مختصرا لكلام طويل، أما في الشِّق الثاني فقد قصَّر بعض التَّقصير في البحث والتَّنقير عن مصنَّفات بعض العلوم، وَنَسِيَ بعضها، ووهم في البعض الآخر؛ فقد ذكر مثلا بعض العلوم الفرعية، **كعِلْمِ طَبَقاتِ الْمَالِكِيَّةِ**، وقال في تعريفه: "ومَوْضوعُهُ ورَسْمُهُ مَعْلومٌ من الْعُلومِ السَّابِقَةِ"[2]. وقال في **عِلْمِ طَبَقاتِ الْحَنابِلَةِ**، "وَيُعْرَفُ أَحْوالُهُ أَيْضًا مِمَّا مَرَّ. وَلَكِنْ لَمْ نَعْرِفْ أَنَّهُ صُنِّفَ طَبَقاتُ الْمالِكِيَّةِ والْحَنابِلَةِ، ولعلَّهُ لم يُهْمِلْ ذلك فُضَلاءُ ذلك الْمَذْهَبِ"[3]. وكلامه هذا يدلُّ على أنَّه لم

---

(1) سورة الفرقان، الآية: 54.

(2) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 1/ 390.

(3) المصدر نفسه: 1/ 391.

يكن على اطِّلاع بما أُلِّف في طبقات ذينك المذهبين.

ولم يكن طاش كبري زاده يستنكف من التَّصريح بعدم معرفة بعض المصنَّفات والمصنِّفين، أو نسيانها لسبب ما؛ كقوله "وَرَأَيْتُ مُخْتَصَرًا مُسَمَّى بـ "**خَواصُّ الْحَيَوانِ**"[1]، وهو كافٍ في هذا الْبابِ، إِلَّا أَنِّي لم أَعْرِفْ مُصَنِّفَهُ"[2].

أو قوله في شرح كتاب **المنار** للحافظ النَّسفي المسمَّى: بـ **"جَامِعُ الْأَسْرَارِ"**. "وَهُوَ شَرْحٌ نَفِيسٌ فِي الْغَايَةِ، إِلَّا أَنَّا لَمْ نَعْرِفْ مُصَنِّفَهُ، غَيْرَ أَنِّي رَأَيْتُ فِي ذَيْلِ بَعْضِ نُسَخِ هَذَا الشَّرْحِ: أَنَّ اسْمَهُ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْجِيلِيُّ"، والصَّحيح أنَّه لقوام الدين محمد بن محمد بن أحمد الكاكي (ت.749هـ).

أو قوله في **عِلْم طَبَقاتِ الْحُكَماءِ**: "وَقَدِ اعْتَنى بِذَلِكَ كَثيرونٌ، منها: الصَّاعِدُ[3] الَّذِي هو من مَشاهِيرِ الْحُكَماءِ، وصُنِّفَ فيها كِتابُ "**صِوانُ الْحِكْمَةِ**"[4]، وَرَأَيْتُهُ فِي عُنْفُوانِ الشَّبابِ، وهو كِتابٌ لَطيفٌ، لَكِنِّي نَسيتُ اسْمَ مُصَنِّفِهِ"[5].

---

(1) من المصنفات التي ألفت في هذا الباب: كتاب "خواص الحيوان"، لأبي الحسن المدائني (ت.225هـ)، أو "السر المستبان مما أودعه الله من الخواص في أجزاء الحيوان"، لابن العماد الأقفهسي (ت.808هـ)، ونزهة النفوس والأفكار في خواص الحيوان والنبات والأحجار"، لعبد الرحمن بن أبي بكر الدمشقي الحنبلي (ت.856هـ).

(2) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 2/ 451.

(3) أبو القاسم صاعد بن أحمد الأندلسي القرطبي (ت.462هـ) صاحب كتاب **"طبقات الأمم"**.

(4) لأبي سليمان محمد بن طاهر السِّجستاني (ت.380هـ)، وهو مطبوع.

(5) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 1/ 391.

أو قوله في عِلْمِ قَرْضِ الشِّعْرِ: "وَرَأَيْتُ كِتابًا مَنْظومًا في هذا الْعِلْمِ، وأنا في عُنْفُوانِ الشَّبابِ، في زَمَنِ اشْتِغالي بِالْعُلومِ الْأَدَبِيَّةِ، لكن لم أَتَذَكَّرِ اسْمَهُ، وَاسْمَ مُصَنِّفِهِ في هذا الْآنِ"[1].

وكقوله أيضا: "وكِتابُ "عَجائِبُ الْمَخْلوقاتِ"، لِلْقَزْوينِيِّ أتى بِالْعَجَبِ الْعُجابِ. وكِتابٌ آخَرُ في هذا الْبابِ أَحْسَنُ من كِتابِ الْقَزْوِينِيِّ، لكن لم أَتَذَكَّرِ اسْمَهُ، ثمَّ سَأَلْتُ عنه واحِدًا من أَصْحابِي، فقال: إنَّه "خَرِيدَةُ الْعَجائِبِ"، لابْنِ الْوَرْدِيِّ[2]"[3].

وذَكَرَ مصنَّفات بعض العلماء الكبار لكنَّه لم يقف على ترجمتهم؛ كقوله: "وَمِنْهَا: "الصَّحَائِفُ" لِلسَّمَرْقَنْدِيِّ، وَلَمْ أَقِفْ عَلَى تَرْجَمَتِهِ"[4].

وقوله: "وَمِنْهَا: كِتَابُ "الْكِفَايَةُ"، لِلسَّيِّدِ جَلَالِ الدِّينِ الْكَرْلَانِيِّ، وَلَمْ أَقِفْ لَهُ عَلَى تَرْجَمَةٍ.

وحينما ذكر حَسَنَ بْنَ مُحَمَّدٍ النَّيْسَابُورِيَّ الْمَشْهورَ بِالنِّظَامِ الْأَعْرَجِ، تَبِعَ الإمام السُّيوطي وقال: "لم أَقِفْ له على تَرْجَمَةٍ"[5].

وأمثلة هذا الباب كثيرة نكتفي بما أوردناه منها.

---

(1) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 1/ 302.

(2) خريدة العجائب وفريدة الغرائب، لعمر بن المظفر ابن الوردي (ت.749هـ).

(3) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 2/ 546.

(4) المصدر نفسه: 2/ 860.

(5) المصدر نفسه: 1/ 210.

كما وَهِمَ رحمه الله برحمته الواسعة في تواريخ وفيات مجموعة من العلماء الأعلام؛ كتاريخ وفاة الإمام ابن حجر العسقلاني الَّذي ذكر أنَّه "تُوُفِّيَ بعد الْعِشاءِ لَيْلَةَ السَّبْتِ، الْمُسْفِرِ صباحُهَا عن ثامِنَ عَشَرَ ذي الْحِجَّةِ، سَنَةَ ثَمانٍ وخَمْسينَ وثَمانِمِئَةٍ"[1]، والصَّحيح أنَّه توفي سنة 852هـ، ووفاة خليل بن أيبك الصَّفَدي الَّذي قال: إنَّه "ماتَ بِالطَّاعونِ لَيْلَةَ عاشِرِ شَوَّالٍ، سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعينَ وسَبْعِمِئَةٍ"[2]، الصَّحيح أنَّه توفي سنة 764هـ، ولعله تصحيف من النَّاسخ.

وذكر أنَّ يَاقُوتَ بْنَ عَبْدِ اللهِ الرُّومِيَّ الْحَمَوِيَّ شِهابَ الدِّينِ، "توفِّيَ سَنَةَ سَبْعٍ وَسِتِّينَ وسِتِّمِئَةٍ"[3]، والصَّحيح أنه توفي سنة 626هـ، وأنَّ أبا الدُّرِّ يَاقوتَ بْنَ عَبْدِ اللهِ الرُّومِيَّ مُهَذَّبَ الدِّينِ، "تُوُفِّيَ سَنَةَ سَبْعٍ وسِتِّينَ وسِتِّمِئَةٍ"[4]، والصَّحيح أنه توفي سنة 622هـ.

وذكر أن ناصِرَ بنَ عَبْدِ السَّيِّدِ بْنِ عليٍّ بن الْمُطَرِّزِ، أبا الفتحِ بالْمُطَرِّزِيِّ، قَرَأَ على الزَّمَخْشَرِيِّ[5]، وهذا لا يصح عقلا؛ لأن المطرزي وُلد في السَّنة التي توفي فيها الزَّمخشري وهي 538هـ، فكيف يأخذ عنه.

---

(1) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 1/ 353.

(2) المصدر نفسه: 1/ 354.

(3) المصدر نفسه: 1/ 136.

(4) المصدر نفسه: 1/ 136

(5) المصدر نفسه: 1/ 191.

كما وقع صاحب كتاب **مفتاح السَّعادة** في بعض الرَّكاكة في الأسلوب، وبعض الهنات اللُّغوية والنَّحوية، وهذا مغتفر في حقِّ عالم غير عربي يكتب بالعربية، ولا نورد هذه الأمثلة هنا غضًّا من قدره، أو تنقيصا من شأنه، وإنَّما هو بشر يخطئ ويصيب، لكن حسبه شرفًا أنْ تُعَدَّ معايبه[1].

فمن الأساليب الرَّكيكة الَّتي وقعت منه بالسَّهو أو السُّرعة قوله: "يُحْكَى أنَّ واحِدًا سَأَلَ من مَشايِخِ هذه الصَّنْعَةِ أن يُعَلِّمَهُ هذه"[2].

وقوله أيضا: "مع شِدَّةِ تَنْقيرِي وَكَثْرَةِ تَتَبُّعِي عنه"[3].

وقوله أيضا: "فَكَما أَنَّ الْإِخْوَةَ يَجِبُ بينهم التَّوَادُّ والتَّحَابُّ، فَكَذَلِكَ شُرَكاءُ الدَّرْسِ، بل ينبغي أنْ يَكونَ فَوْقَهُمْ"[4].

وقوله أيضا: "وَيَنْبَغِي أَيْضًا أنْ يَتَحَرَّزَ عن إطْلاقِ الزَّائِدِ على بعض الْحُروفِ، بِناءً على أَنَّ الزَّائِدَ على أَنَّهُ لا مَعْنى له"[5].

وقوله أيضا: "إِقامَةُ فَقيهٍ في كُلِّ قَرْيَةٍ لا فَقيهَ فيها، يُعَلِّمُ أَهْلَها أَمْرَ دينِها، وإلْقاءُ مَقاليدِ الْأَحْكامِ إليهِمْ، لأَنَّهُ لا حاكِمَ إلَّا الله تعالى، ولن تَفْعَلَ الْعُقولُ شَيْئًا"[6].

---

(1) فيه اقتباس من قول الشاعر:

وَمَنْ ذَا الَّذِي تُرْضَى سَجَايَاهُ كُلُّهَا *** كَفَى الْمَرْءُ نُبْلًا أَنْ تُعَدَّ مَعَايِبُهْ.

(2) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 2/ 471.

(3) المصدر نفسه: 1/ 379.

(4) المصدر نفسه: 1/ 63.

(5) المصدر نفسه: 2/ 730.

(6) المصدر نفسه: 2/ 584.

واستعمل طاش كبري زاده في الكتاب لغة أكلوني البراغيث؛ كقوله: "يَتَزاوَرونَ الْأَمْواتُ وَيَتَحَدَّثونَ وهو لا يَتَكَلَّمُ"(1).

ومن الأخطاء اللُّغوية الواردة في الكتاب قوله: "**الْمَطْلَبُ الْخامِسُ: في أَدْعِيَةٍ مَأْثورَةٍ معْزيَّةٍ إلى أَرْبابِها يُدْعَى بها صَباحًا وَمَساءً**"(2)، والفعل عزا يعزو عَزْوًا فهو مَعْزُوٌّ.

وكررها في قوله: "ويُعْرِبُ عن وُجوهِ الْقِراءاتِ الْمَعْزِيَّةِ إلى الْأَئِمَّةِ الثَّمانِيَةِ الْمَشْهورينَ"، والصحيح المعزوة.

أو قوله: "لِأَنَّ السَّلَفَ مِنْ جامِعِي الصِّحاحِ قَدْ كُفِينا مُؤْنَتَها"(3)، والصَّواب: كَفَوْنَا.

أو قوله: "أبو هُرَيْرَةَ، واخْتُلِفَ في اسْمِهِ، واسْمِ أَبيهِ ـ في الْجاهِلِيَّةِ والْإِسْلامِ ـ على تِسْعَ عَشْرَةَ أَقْوالٍ"(4)، والصَّحيح: تِسْعَةَ عَشَرَ قَوْلًا على أنَّه جمع مذكر، وتسع عشرةَ أقوالًا على أنَّه جمع مؤنث.

وهناك بعض الأخطاء التي نتجت من تصحيف النُّساخ؛ كقوله: "ولا يُؤْذِي أَحَدًا بِفِعْلٍ وَقَوْلٍ، وَيَتَواضَعَ لِكُلِّ مُسْلِمٍ، ولا يَتَكَبَّرَ عَلَيْهِمْ، ولا يُبَلِّغَ بَعْضَهُمْ ما يَسْمَعُ مِنْ بَعْضٍ، ولا يَزيدَ في الْهَجْرِ على ثَلاثَةِ أَيَّامٍ، وَيُحْسِنَ إلى

---

(1) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 4/ 1862.

(2) المصدر نفسه: 3/ 1763.

(3) المصدر نفسه: 3/ 1578.

(4) المصدر نفسه: 2/ 694.

كُلِّ مَنْ قَدَرَ على الْإِحْسانِ إِلَيْهِ مِنْهُمْ ما اسْتَطاعَ، ولا يُمَيِّزَ بَيْنَ الْأَهْلِ وَغَيْرِ الْأَهْلِ، ولا يَدْخُلَ على أَحَدٍ مِنْهُمْ إِلَّا بِإِذْنِهِ، بل يَسْتَأْذِنُ ثَلاثًا، فإِنْ لم يُؤْذَنْ له انْصَرَفَ، وَيُخالِقَ الْجَميعَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ، وَيُعامِلَهُمْ بِحُسْنِ طَريقَتِهِ، فإِنَّهُ إِنْ أَرادَ لِقاءَ الْجاهِلِ بِالْعِلْمِ، وَالْعامِيِّ بِالْفِقْهِ، وَالْغَبِيِّ بالْبَيانِ، آذَى وَتَأَذَّى"[1]، وفي مصدر النَّقل وهو الإحياء: 2/ 192: "وَالْعَيِيِّ بِالْبَيانِ"، وفي قونية ورئيس الكتاب ومراد ملا، صُحِّفَ إلى: "الغني باليسار"، وقد رجحنا ما ورد في نسخة أنطاليا لأنَّه أقرب إلى الصَّواب وإن كان هو كذلك صحف الكلمة الأولى فعوض العيي، كتب الغبي.

وكان يعطف الجمع على المفرد؛ كقوله: "وَمَعْلومٌ أَنَّ تلك الْبُطونَ والْحَدَّ لم تُنْقَلْ عن رَسولِ الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ"[2]. كما كان يعطف المضارع على الماضي والعكس؛ ومنها قوله: "يُصَلِّي أَرْبَعَ رَكَعاتٍ، يَقْرَأُ في الْأُولَى: "الْحَمْدُ للهِ"، وَ"قُلْ هو اللهُ أَحَدٌ" عَشْرَ مَرَّاتٍ، وفي الثَّانِيَةِ: "الْحَمْدُ للهِ"، وَ"قُلْ هو اللهُ أَحَدٌ" عِشْرينَ مَرَّةً، وَفي الثَّالِثَةِ ثَلاثينَ، وفي الرَّابِعَةِ أَرْبَعِينَ، كِلاهُما بَعْدَ "الْحَمْدُ لله" أَيْضًا، ثُمَّ سَلَّمَ وَقَرَأَ "قُلْ هو اللهُ" خَمْسًا وَسَبْعينَ مَرَّةً، وَاسْتَغْفَرَ اللهَ لِنَفْسِهِ وَلِوالِدَيْهِ خَمْسًا وَسَبْعينَ مَرَّةً، وَصَلَّى على مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ خَمْسًا وَسَبْعِينَ مَرَّةً، ثُمَّ سَأَلَ اللهَ تَعالَى حاجَتَهُ، كانَ حَقًّا على اللهِ عَزَّ

(1) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 4/ 2017- 2018.

(2) المصدر نفسه: 3/ 1752.

وَجَلَّ أنْ يُعْطِيَهُ سُؤالَهُ فيما سَأَلَ. وَتُسَمَّى هذه صَلاةَ الْحاجَةِ"[1].

واستعمل حروف الجر في مواضع يحسن عدم استعمالها فيها؛ كقوله: "وَيَنْبَغي أنْ يَتَجَنَّبَ الْمُفْتي عن تَتَبُّعِ الرُّخَصِ لِلْأُمَراءِ"[2]، والأوفق قوله: المفتي تتبعَ، وقوله: "وإنَّما الَّذِي يُقَلَّدُ عليه هو صاحِبُ الشَّرْعِ صَلواتُ الله عليه وَسَلامُهُ فيما أَمَرَ به وَقالَهُ"، والأوفق حذف عليه.

كما كان يحذف حرف الجرِّ في مواضع يحسن استعمالها فيها؛ كقوله: "الْمَعْروفِ بابْنِ الصَّلاحِ رَضِيَ اللهُ عنه، الْمُلَقَّبِ تَقِيِّ الدِّينِ"[3] والأحسن: الملقب بتقي الدين.

وكأغلب العجم الذين يكتبون العربية أو يتكلَّمونها فقد فرطت منه مجموعة الأخطاء في ضمائر الجمع، أو التَّذكير، أو التَّأنيث، وهذا كثير في الكتاب؛ منه قوله: "ثُمَّ إنَّ بَعْضًا مِنْ هَؤُلَاءِ تَجاوَزَتْ حَدَّهُمْ، وَأَحْسَنُوا الْأَعْمَالَ، وَطَلَبُوا الْحَلَالَ، وَاشْتَغَلُوا بِتَفَقُّدِ الْقَلْبِ، وَصَارَتْ تَدَّعِي الْمَقَامَاتِ"[4].

ومن ذلك أيضا قوله: "وأمَّا النِّساءُ فَالْأَفْضَلُ مَنْعُهُنَّ عنِ الْحَمَّامِ إذا وُجِدَ في الْبَيْتِ مُسْتَحَمٌّ، وكذا إذا لَمْ يُوجَدْ، وَلَمْ تَقَعْ ضَرورَةٌ، وإذا وَقَعَتْ ضَرورَةٌ؛

(1) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 3/ 1653- 1654.

(2) المصدر نفسه: 1/ 89.

(3) المصدر نفسه: 2/ 677.

(4) المصدر نفسه: 4/ 2292.

كَكَوْنِهِنَّ مَرِيضَةً، أو نُفَساءَ، فَلْيَتَّزِرْنَ بِمِئْزَرٍ سابِغٍ، وَلْيَتَحَفَّظْنَ مهما أَمْكَنَ لَهُنَّ"[1].

وقوله أيضا: "ومِنَ الْعُلماءِ مَنْ يَسْتَهِينُ بِصَغائِرِ الذُّنوبِ؛ كَالْغِيبَةِ، والِاسْتِهْزاءِ بِخَلْقِ الله تعالى، وغَيْرِ ذلك، أو كان لها مَعْصِيَةٌ ابْتَلاها الله بها فلم يَسْتَتِرْ، وقال: عِلْمُنَا يُغَطِّي مَعْصِيَتَنَا"[2].

وكقوله: "وهذا الْكِتابُ أَصْلٌ نَسَجُوا على مِنْوالِهِ. وسَنَذْكُرُ عِدَّةَ ذَيْلٍ له"[3].

وكقوله: "وعِلْمُ الْحِسابِ أَشْرَفُ منه بحسبِ وَثاقَةِ دَلائِلِهِ، لكونها ضَرورِيَةً، غيرَ مُحْتاجٍ إلى تَجْرِبَةٍ بِخِلافِ الطِّبِّ"[4].

وقد فرطت من طاش كبري زاده عدة هفوات نحوية في الكتاب بعضها ناتج من سوء تلخيص كلام الغير، وبعضها الآخر ناتج من السَّهو والتَّسرع، ولكل جواد كبوة، ولكل عالم هفوة.

فمن ذلك قوله: "ومَوْضوعُهُ: اللَّفْظُ الْعَرَبِيُّ من حَيْثُ التَّحْسينُ والتَّزيينُ الْعَرَضِيَّيْنِ"[5]، والصَّواب: العرضيان.

---

(1) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 3/ 1605.

(2) المصدر نفسه: 1/ 83.

(3) المصدر نفسه: 1/ 358.

(4) المصدر نفسه: 1/ 59.

(5) المصدر نفسه: 1/ 278.

وقوله: "وَأَعْلاهُ، جَمْعُ ثَوْبِ الشُّهْرَةِ كَمًّا، وَاخْتِيارُ الْأَزْيَنِ وَالْأَلْيَنِ كَيْفًا، على ما عليه أَبْناءُ الدُّنْيا، والْمُقْبلينَ على مُزَخْرَفاتِها"[1]، والصَّحيح المقبلون.

وكقوله: "ولا يَميلُ إلى أَحَدٍ منهم، ويَتَفَحَّصُ عن نُوَّابِهِ وَأَعْوانِهِ كَيْلَا يَظْلِمونَ النَّاسَ"[2]، والصَّحيح كي لا يظلموا.

وقوله أيضا: "لَمَّا اخْتَلَفَتِ الْحُروفُ، باعْتِبارِ اخْتِلافِ اللُّغاتِ مَخارِجًا وأَوْصافًا"[3]، والصَّواب: مخارجَ.

وكقوله: "أَنْ تَكونَ نَسِيبَةً مِنْ أَهْلِ بَيْتِ الدِّينِ وَالصَّلاحِ؛ إِذْ لِلتَّرْبِيَةِ مَدْخَلًا عَظيما في حُسْنِ الْأَخْلاقِ"[4]، والصَّواب: مدخل عظيم.

وقوله أيضا "ومِنْهُمْ: عُمَّالُ بَيْتِ الْمالِ، وَالْأَجْنادُ الْحارِسينَ لِلْمَمْلَكَةِ"[5]. والصَّواب: الحارسون.

لكن هذه الهفوات لا تنقص البتة من القيمة العلمية للكتاب.

---

(1) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 1/ 108.

(2) المصدر نفسه: 1/ 96.

(3) المصدر نفسه: 1/ 155.

(4) المصدر نفسه: 4/ 1921.

(5) المصدر نفسه: 4/ 1982.

9- دواعي تحقيق كتاب مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة:

لا يختلف اثنان في المكانة العلمية المتميزة لكتاب **مفتاح السَّعادة**، ضمن كتب البيليوغرافيا العربية، لكن هذا الكتاب لم يحظ بنفس العناية الَّتي حظي بها كتاب "**الفهرست**"، لابن إسحاق النَّديم مثلا، أو كتاب **كشف الظنون**، لحاجي خليفة، فقد طبع الكتاب أوَّل مرة في مطبعة دائرة المعارف النِّظامية بحيدر آباد الدَّكن بالهند سنة 1328هـ/ 1329هـ بعناية مجموعة من علماء الهند، من بيهم العلامة عبد الرحمن المعلمي، وتأخروا كثيرا في نشر القسم الثَّالث منه، وهو القسم المتعلق بالتَّصفية، فلم ينشروه إلَّا سنة 1356هـ. لكن الَّذين أشرفوا على طبعه لم يذكروا الأصول الخطية الَّتي اعتمدوا عليها في إخراج الكتاب، ولم يقابلوا متنه، إلَّا أنَّ هذه الطَّبعة مع ذلك هي أجود طبعات الكتاب من حيث العناية بالنَّصِّ؛ فالأخطاء الواردة فيها أقل بكثير من الطَّبعة المصرية وطبعة دار الكتب العلمية.

وأعيد نشر الكتاب في مصر 1968م، بعناية مَكْتَبِيَّيْنِ معروفين في مصر هما: كامل بكري، وعبد الوهاب أبو النور، وقد اعتمدا في نشرتهما على الطَّبعة الهندية، ودليل ذلك قولهما في المقدمة: "حين شرعنا في إقامة نصِّ الكتاب كان بين أيدينا الاعتبارات التالية:

أن الكتاب قد طُبِعَ قبل ذلك، ومعنى ذلك أن نصَّه قد أقيم على نحو ما،

ومعنى ذلك أيضا أن هناك نسخة متاحة يمكن الاستفادة منها"[1]. لكن هذا النَّقل ورد فيه تحريف كبير، وتصحيف كثير شَوَّهَ متن الكتاب.

لكنهما استدركا فقالا إنَّهما اعتمدا كذلك على نسخة محفوظة في دار الكتب المصرية تحت رقم: 17 معارف عامة، وقالا في وصفها: "بالمخطوط تصحيفٌ في مواضع كثيرة، ولكنَّه ظاهر جدًّا، كما أنَّ به أخطاء نحوية كثيرة، ويبدو أنَّ هذه وتلك من فعل النَّاسخ الَّذي كان فيما يبدو ناسخا غير مثقف، لأنَّها أحيانا أخطاء مضحكة، وقد صحَّحنا هذه وتلك دون الإشارة إلى ذلك"[2]. وهذا يعني أن هذين الفاضلين صححا متن الكتاب المصحَّف والمحرَّف وفق فهمهما، ولم يقوما بتأدية نصِّ المصنِّف.

أما مخطوطة مكتبة الجامع الأزهر المحفوظة تحت رقم: 245 معارف عامة، فإنَّهما وصفاها باعتبارها النُّسخة الثانية للكتاب الَّتي ستتمُّ بها مقابلة متن الكتاب، لكنَّهما أهملاها بالمرَّةِ بدعوى أنَّهما قاما "بعدة مقارنات أثبتتْ عدم وجود اختلافات من جهة، ولصعوبة إجراء هذه العملية على كتاب كبير في مكتبة الجامع الأزهر"[3]. فأسقطوا بذلك ركنا أساسا في التَّحقيق العلمي الذي هو المقابلة، ولهذا السَّبب قصَّرا تقصيرا واضحا في العناية بمتن الكتاب، وخدمته تحقيقا وتوثيقا، ووقعا في مهالك تَجِلُّ عن

---

(1) مفتاح السعادة، الطبعة المصرية: 1/ 78.

(2) المصدر نفسه: 1/ 78.

(3) المصدر نفسه: 1/ 78.

الحصر بسبب الاستغناء عن المقابلة، والاكتفاء بترميم نص مطبوع.

وسنسوق هنا نماذج من الأخطاء الَّتي وقعت في الطَّبعتين، إمَّا بتصحيف وتحريف متن الكتاب، أو بالزِّيادة والنُّقصان، أو بالتَّقديم والتَّأخير، والأخطاء الكثيرة في أسماء الأعلام سواء كانت بشرية، أو جغرافية، وكذا نماذج من الأخطاء في عناوين الكتب، وتحريف الأشعار والآثار، وغيرها من أصناف الأخطاء الَّتي تسببت في تشويه متن الكتاب ومسخه، وهي أعظم دواعي إعادة تحقيق الكتاب، ولم نشأ أن نطيل في هذا المبحث مراعاة لرحم العلم الَّتي تجمعنا بهؤلاء العلماء، ولو شئنا الإطالة لأتى هذا المبحث مفردا في مجلَّد أو مجلَّدين، نسأل الله سبحانه وتعالى نظير هذا أن يقيل عثراتنا، ويغفر زلاتنا، ويمحو سيئاتنا.

فمن نماذج التَّصحيف والتَّحريف في متن الكتاب:

في الطَّبعة الهنديَّة والطَّبعة المصريَّة: فإن فيه من حفظ الحقوق، ومنع تمرد ذوي العقول.

والصَّواب: "فإِنَّ فيه من حِفْظِ الْحُقوقِ، ومَنْعِ تَمَرُّدِ ذَوِي الْعُقوقِ"[1].

في الطَّبعتين معا: التَّوْفِيَةُ: وهو أن يُوَفَّى كُلُّ حَرْفٍ من الْحُروفِ حَظَّهُ من النقوشِ والانْحِنَاءِ والانْبِطَاحِ.

(1) مفتاح السَّعادة ومصباح السيادة: 1/ 126.

والصَّواب: **التَّوْفِيَةُ**: "وهوأن يُوَفَّى كُلُّ حَرْفٍ من الْحُروفِ حَظَّهُ من التَّقْوِيسِ والانْحِنَاءِ والانْبِطَاحِ"[1].

في الطَّبعتين معا: جوادين من غير سرف، بخيلين من غير كَفٍ.

والصَّواب: "جَوَادَيْنِ مِنْ غير سَرَفٍ، بَخيلَيْنِ مِنْ غير وَكَفٍ"[2].

في الطَّبعتين معا: سيما إذا كان ذلك التخييل والوزن مناسبا لطبع السامع وحاله.

والصَّواب: "سِيَّمَا إذا كان ذلكَ التَّخْييلُ والْوَزْنُ مُناسِبَيْنِ لِطَبْعِ السَّامِعِ وَحالِهِ"[3].

في الطَّبعتين معا: وأيضا مع هذا التكرير، لم يحصل فيه الجنة، ولا ملل لسامعه.

والصَّواب: "وَأَيْضًا مَعَ هَذَا التَّكْرِيرِ، لَمْ يَحْصُلْ فِيهِ هُجْنَةٌ، وَلَا مَلَلٌ لِسَامِعِهِ"[4].

في الطَّبعتين معا: قال بعض الحكماء: لم ير متدين صادق اللهجة، مغلقا في شعره.

---

(1) مفتاح السَّعادة ومصباح السيادة: 1/ 146.

(2) المصدر نفسه: 1/ 97.

(3) المصدر نفسه: 1/ 294.

(4) المصدر نفسه: 3/ 1348.

والصَّواب: "قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: لَمْ يُرَ مُتَدَيِّنٌ صَادِقُ اللَّهْجَةِ، مُفْلِقٌ فِي شِعْرِهِ"(1).

في الطَّبعتين معا: فالمرجو من المخلصين والطلاب، أن لا يعاملوا باللوم والعتاب، لأن ما دخل تحت الاضطراب، لا يشفع عليه ولا يعاب.

والصَّواب: "فَالْمَرْجُو مِنَ الْمُحَصِّلِينَ وَالطُّلَّابِ، أَنْ لَا يُعَامِلُوا بِاللَّوْمِ وَالْعِتَابِ، لِأَنَّ مَا دَخَلَ تَحْتَ الِاضْطِرَابِ، لا يُشَنَّعُ عَلَيْهِ وَلَا يُعَابُ"(2).

في الطَّبعتين معا: لأنهما صرحا وهو مجمع ولم يصرح.

والصَّواب: "لِأَنَّهُما صَرَّحَا، وهو مُجَمْجِمٌ(3) ولم يُصَرِّحْ"(4).

في الطَّبعتين معا: ويقال: إنه جمعت برادة أقلامه التي كتب بها حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والصَّواب: "إِنَّهُ جُمِعَتْ بُرَايَةُ أَقْلامِهِ"(5).

في الطَّبعتين معا: **علم جر الأثقال** علم يتبين منه كيفيَّة اتخاذ الآلات النقلية بالقوة اليسيرة.

---

(1) مفتاح السَّعادة ومصباح السيادة: 3/ 1429.

(2) المصدر نفسه: 3/ 1535.

(3) جَمْجَمَ الرَّجُلُ وتَجَمْجَمَ إذا لَمْ يُبَيِّنْ كَلَامَهُ. اللسان: جمم.

(4) مفتاح السَّعادة ومصباح السيادة: 1/ 321.

(5) المصدر نفسه: 1/ 350.

والصَّواب: "**عِلْمُ جَرِّ الْأَثْقالِ: عِلْمٌ تُبَيَّنُ فيه كَيْفِيَّةُ اتِّخاذِ الْآلاتِ الثَّقِيلَةِ بِالْقُوَّةِ الْيَسِيرَةِ**"[1].

في الطَّبعة المصرية: وإن كان من المبتدئين فعليه النقط النفس أم لا.

والصَّواب: "وإنْ كانَ مِنَ الْمُبْتَدِئينَ فَعَلَيْهِ النَّقْطُ الْتَبَسَ أَمْ لا"[2].

ومن الهنات الشَّنيعة في **الطَّبعة المصرية** قوله في سبب وفاة الخليل بن أحمد: وسبب موته أنه قال: أريد أن أعمل نوعا من الحساب تمضي به الجارية إلى البقال، فلا يمكن أن يظلمها. فدخل المسجد وهو يُعْمِلُ فكره فصدمته سيارة وهو غافل، فانصدع ومات.

والصَّواب: "فَصَدَمَتْهُ سارِيَةٌ وهو غافِلٌ، فانْصَدَعَ وماتَ"[3].

في الطَّبعة المصرية: وكان شديدا على أهل الأهواء، يكسر عليهم أقاويلهم، ويحتج عليهم بحجج، لا يتيسر ذلك لحذاق المسلمين.

والصَّواب: "لَا يَتَيَسَّرُ ذَلِكَ لِحُذَّاقِ الْمُتَكَلِّمِينَ"[4].

في الطَّبعة المصرية: ما تحت أديم الأرض أصح من كتاب مسلم في علم الحديث.

---

(1) مفتاح السَّعادة ومصباح السيادة: 1/ 530.

(2) المصدر نفسه: 1/ 145.

(3) المصدر نفسه: 1/ 170.

(4) المصدر نفسه: 2/ 983- 984.

والصَّواب: "مَا تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ، أَصَحُّ مِنْ كِتَابِ مُسْلِمٍ فِي عِلْمِ الْحَدِيثِ"[1].

- ومن نماذج الأخطاء في أسماء الأعلام:

في الطَّبعتين معا: **"العالم في اللغة"، لأحمد بن أبان بن أسيد اللغوي الأندلسي.**

والصَّواب: أَحْمَدَ بْنِ أَبانَ بْنِ سيِّدٍ اللُّغَوِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ[2].

في الطَّبعتين معا: ولما مات أبو علي، تصدر ابن جني مكانه ببغداد، وأخذ عنه الثمانيني، وعبد السلام البصري، وأبو الحسن الشمسي.

والصَّواب: وأبو الْحَسَنِ السِّمْسِمِيُّ[3].

في الطَّبعتين معا: وكان الشيخ زكي الدين ابن القريع.

والصَّواب: الشَّيْخُ رُكْنُ الدِّينِ ابْنُ الْقَوْبَعِ[4].

---

(1) مفتاح السَّعادة ومصباح السيادة: 2/ 794.

(2) من أعلام اللغة المبرزين، ترجمته في: جذوة المقتبس: 118، الصلة لابن بشكوال: 1/ 39، إنباه الرواة: 1/ 65.

(3) السِّمْسِمَاني، في تاريخ بغداد: 13/ 453، علي بن عبيد الله بن عبد الغفار، أبو الحسن اللغوي المعروف بالسِّمْسِمِي (ت.415هـ)، وقد صُحفت في كل طبعات مفتاح السعادة ومصباح السيادة. ترجمته في: معجم الأدباء: 4/ 1817، إنباه الرواة: 2/ 288، وفيات الأعيان: 3/ 312، بغية الوعاة: 2/ 178.

(4) ترجمته في: الوافي بالوفيات: 1/ 187، البداية والنهاية: 18/ 407، الدرر الكامنة: 5/ 445.

في الطَّبعتين معا: وله أيضـاً: ألفية أورد فيها مهمات التسهيل، وعليها شروح مفيدة سِيَّمَا شرح ابن قاسم.

والصَّواب: سِيَّمَا "شَرْحُ ابْنِ أُمِّ قاسِمٍ".

في الطَّبعتين معا: وأقرأها الزبير بن محمد الحميري.

والصَّواب: وأَقْرَأَها الزُّبَيْرَ بنَ مُحَمَّدٍ الْعُمَرِيَّ[1].

في الطَّبعتين معا: وعلى سننهما مكي بن أبي طالب، وأبو العباس المهدي.

والصَّواب: وأبو الْعَبَّاسِ الْمَهْدَوِيُّ[2].

في الطَّبعتين معا: وكان أبوه طبيبا فقرأ عليه وعلى عمه، والزكي الركشاوي، والشمس الكبي.

والصَّواب: والشَّمْسِ الْكُتُبِيِّ[3].

في الطَّبعتين معا: شرف الدين محمد بن عيين.

والصَّواب: الْأَديبُ شَرَفُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عُنَيْنٍ[4].

---

(1) تبصير المنتبه بتحرير المشتبه: 2/ 695.

(2) تاريخ الإسلام: 9/ 598، غاية النهاية: 1/ 92، بغية الوعاة: 1/ 351.

(3) إبراهيم بن أبي بكر بن عبد العزيز الجزري، الكتبي (ت.700هـ) ترجمته في تاريخ البرزالي: 1/ 187، أعيان العصر: 1/ 66.

(4) أبو المحاسن شرف الدين محمد بن نصر الله بن مكارم الأنصاري الشاعر المشهور، (ت.630هـ). ينظر: معجم الأدباء: 6/ 2661، وفيات الأعيان: 5/ 14، الوافي بالوفيات: 5/ 122، سير أعلام النبلاء: 22/ 363.

في الطَّبعتين معا: والتَّصوف عن الخَوَاتي، والقرآن عن الزراتني.

والصَّواب: وَالتَّصَوُّفَ عَنِ الْخَوَافِيِّ[1]، وَالْقُرْآنَ عَنِ الزَّرَاتِيتِيِّ[2].

في الطَّبعتين معا: المؤرخ السدوسي.

والصَّواب: الْمُؤَرِّجُ السَّدُوسِيُّ[3].

في الطَّبعتين معا: عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس العلامة جمال الدين أبو عمرو ابن الحاجب الكردي، الدويني الأصل، الإسناني المولد.

والصَّواب: عُثْمانُ بنُ عُمَرَ بنِ أبي بَكْرِ بنِ يونُسَ الْعَلَّامَةُ جَمالُ الدِّينِ أبو عمرٍو ابْنُ الْحَاجِبِ الْكُرْدِيُّ الدُّوِينِيُّ الْأَصْلِ، الْإِسْنَائِيُّ الْمَوْلِدِ.

في الطَّبعتين معا: روى عن أبي رمية رِفَاعَةَ بنِ يَثْرِبِيِّ التَّميمِيِّ.

والصَّواب: رَوَى عن أبي رِمْثَةَ رِفَاعَةَ بنِ يَثْرِبِيِّ التَّميمِيِّ.

في الطَّبعتين معا: أبو عبدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنِ أبي الْعاصِ المنقريُّ.

---

(1) مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عَلِيّ، أَبُو بكر الزين الخوافي ثمَّ الْهَرَوِيّ الْحَنَفِيّ (ت.838هـ)، ترجمته في: الضوء اللامع: 9/ 260.

(2) محمد بن علي بن محمد شمس الدين الزراتيتي الحنبلي المقرئ (ت.825هـ)، زراتيت بمثناتين من فوق قرية بمصر. ترجمته في الضوء اللامع: 9/ 11، حسن المحاضرة: 1/ 510، شذرات الذهب: 7/ 171.

(3) مؤرج بن عمرو بن الحارث أبو فيد السدوسي كان عالمًا بالعربية، إمامًا في النحو، (ت.195هـ)؛ ترجمته في: طبقات النحويين واللغويين: 75، تاريخ بغداد: 2/ 7، نزهة الألباء: 105، ووفيات الأعيان: 5/ 307.

والصَّواب: أبو عبدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنِ أبي الْعاصِ النَّفْزِيِّ[1].

في الطَّبعتين معا: ابن الزملاق.

والصَّواب: ابْنُ الزِّبلاقِ[2].

في الطَّبعة المصرية: بني الدار بن هانئ بن حبيب بن تمارة.

والصَّواب: من بَنِي الدَّارِ بْنِ هانِئِ بنِ حَبيبِ بنِ نُمَارَةَ.

في الطَّبعة المصرية: عنبسَة الفيل بن معدان المهرمي.

والصَّواب: عَنْبَسَةُ الْفِيلُ بنُ مَعْدانَ الْمَهْرِيُّ.

في الطَّبعة المصرية: عمر بن خطاب بن نفيل بن عبد العربي.

والصَّواب: عُمَرُ بنُ الْخَطَّابِ بنِ نُفَيْلِ بنِ عبدِ الْعُزَّى.

في الطَّبعة المصرية: **المصباح**، للإمام الطرزي.

والصَّواب: لِلإمامِ الْمُطَرِّزِيِّ.

في الطَّبعة المصرية: قرأ على أبي النجود بمصر.

والصَّواب: قَرَأَ على أبي الْجُودِ بِمِصْرَ.

---

(1) محمدُ بن عليّ بن محمد بن أبي العاص النَّفْزِيُّ الشاطِبِيُّ المقرئ، كَانَ مُتَقَدما فِي صناعته مَعْرُوفا بالضبط والتجويد، كان حيًّا فِي سنة خمسٍ وخمسين وخمسمائة. ينظر: التكملة لكتاب الصلة: 1/ 68-69، الذيل والتكملة: 3/ 462-467، معرفة القراء الكبار: 298.

(2) يوسف بن يوسف محي الدين بن زبلاق الهاشمي الموصلي، كاتب وشاعر معروف، (ت.660هـ)، ترجمته في: ذيل مرآة الزمان: 2/ 181، تاريخ الإسلام: 14/ 945، الوافي بالوفيات: 29/ 168.

في الطَّبعة المصرية: وعبد الله بن مسلمة القعيني.

والصَّواب: وَعَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْلَمَةَ الْقَعْنَبِيِّ.

- ومن نماذج الأخطاء في أسماء الأماكن والبقاع:

في الطَّبعتين معا: أزنبوية.

والصَّواب: رَنْبُويَه[1].

في الطَّبعة المصرية: بعبدان.

والصَّواب: بعَبَّادانَ.

- ومن نماذج الأخطاء في أسماء المصنَّفات:

في الطَّبعتين معا: سلوان المطاع في عدوان الطباع، لابن ظفر.

والصَّواب: "**سُلْوانُ الْمُطاعِ في عُدْوانِ الأتْباعِ**"، لِابْنِ ظَفَرٍ.

في الطَّبعتين معا: مختصر ذيل ابن الزينبي.

والصَّواب: "**مُخْتَصَرُ ذَيْلِ ابْنِ الدُّبَيْثِيِّ**".

في الطَّبعتين معا: السوار المرجاني من شعر الأرجاني.

والصَّواب: "**السُّورُ الْمَرْجانِيُّ مِنْ شِعْرِ الأَرْجانِيِّ**".

في الطَّبعتين معا: بحر أعداء البحر.

---

(1) رَنْبُويَه: بفتح أوّله، وسكون ثانيه ثمّ باء موحدة، وبعد الواو ياء مثناة من تحت مفتوحة: وهي قرية قرب الرَّيِّ. معجم البلدان: 3/ 73.

والصَّواب: "**نَحْرُ أَعْداءِ الْبَحْرِ**".

في الطَّبعتين معا: الجامع، للفراء.

والصَّواب: الجامع، للقزاز[1].

في الطَّبعة المصرية: غاية البيان ونادرة القرآن في آخر الزمان.

والصَّواب: "**غَايَةُ الْبَيَانِ وَنَادِرَةُ الْأَقْرَانِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ**".

في الطَّبعة المصرية: درة الخواص، للحريري.

والصَّواب: "**دُرَّةُ الْغَوَّاصِ**"، لِلْحَرِيرِيِّ.

- **ومن نماذج الأخطاء في الأشعار:**

في الطَّبعتين معا:

هذا الَّذي تعرف الأملاك سيرته   إذا أدلهم دجى لم يبق مهرانا

والصَّواب:

هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْأَمْلَاكُ سِيرَتَهُ   إِذَا ادْلَهَمَّ دُجًى لَمْ يُبْقِ سَهْرَانَا

في الطَّبعة المصرية:

ويح من لام عاشقا في هواه   إن لوم المحب كإغراء

يقال كيف ارتفع الاغرام بعد كان التشبيه؟ والجواب: لأن الكان ضمير المخاطب مقصلة بالحب.

---

(1) محمَّد بن جعفر التَّميمي القزاز القيرواني (ت.412هـ).

والصَّواب:

وَيْحَ مَنْ لَامَ عَاشِقًا فِي هَوَاهُ   إِنَّ لَوْمَ الْمُحِبِّ كَالإِغْرَاءُ[1]

يُقالُ: كَيْفَ ارْتَفَعَ "الْإِغْرَاءُ" بَعْدَ كافِ التَّشبيهِ؟ والْجَوابُ: أنَّ الكافَ ضَمِيرُ الْمُخاطَبِ مُتَّصِلَةٌ بِالْمُحِبِّ.

في الطَّبعة المصرية:

لا يمل الحديث منها معادا   كانتشاق الهواء ليس بماء

والصَّواب:

لا يُمَلُّ الْحَدِيثُ منها مُعَادَا   كَانْتِشَاقِ الْهَوَاءِ لَيْسَ يُمَلُّ

في الطَّبعة المصرية:

وإذا لم يعرف النحو الفتى   هاب أن ينطق جبنا ما انقمع

والصَّواب:

وإذا لَمْ يَعْرِفِ النَّحْوَ الْفَتَى   هَابَ أنْ يَنْطِقَ جُبْنًا فَانْقَمَعْ

في الطَّبعة المصرية:

لا تفطن وكن بالله محتسبا   فبينما أنت ذا باس أتى الفرجا

والصَّواب:

---

(1) البيت من الشواهد النحوية والنقل من معيد النعم ومبيد النقم: 78.

لا تَقْنَطَنَّ وكُنْ بِـالله مُحْتَسِـبًـا فَبَيْنَمَا أنْتَ ذَا يَأْسٍ أَتَى الْفَرَجَا[1]

في الطَّبعة المصرية:

وعين البغض تبرز كـل عيـب وعين الحـب لا تجـد العيونـا

والصَّواب:

وَعَيْنُ الْبُغْضِ تُبْرِزُ كُـلَّ عَيْـبٍ وَعَيْنُ الْحُـبِّ لا تَجِـدُ الْعُيوبَـا[2]

في الطَّبعة المصرية:

تـعـض نـدامـة كـفـيـك مـمـا نزلـت مخـافـة النـار الســرورا

والصَّواب:

تَـعَـضُّ نَـدامَـةً كَـفَّـيْـكَ مِـمَّـا تَرَكْـتَ مَخـافَـةَ النَّـارِ السُّــرورَا

في الطَّبعة المصرية:

هبني صبرت فما ترون بزعمكم وحظيـت منـه بلثم خـد أزهر

إني اعـتـزلـت فـلا تـلـومـوا أنـه أضـــحى يقـابلني يوم أشـــعر

والصَّواب:

(1) البيت في الانتخاب لكشف الأبيات المشكلة الإعراب: 29، ومعيد النعم: 78.

(2) ورد بدون نسبة في عدة مصادر؛ منها ثمار القلوب للثعالبي: 327، وهو مأخوذ من قول الشافعي، ونُسِبَ لغيره:

وَعَينُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَليلَةٌ *** وَلَكِنَّ عَيْنَ السُّخطِ تُبْدِي الْمَساوِيَا.

هَبْنِي صَبَوْتُ فَمَا تَرَوْنَ بِزَعْمِكُمْ وَحَظِيتُ مِنْهُ بِلَثْمِ خَدٍّ أَزْهَرِ[1]
إِنِّي اعْتَزَلْتُ فَلَا تَلُومُوا أَنَّهُ أَضْحَى يُقَابِلُنِي بِوَجْهٍ أَشْعَرِ

ـ نماذج من تغيير متن الكتاب بالزِّيادة والنُّقصان:

وهذا كثير في الطَّبعتين، وهو في الطَّبعة المصرية أكثر وأفدح، وضرب المثل له يطول، لكنَّا سنسوق بعض النَّماذج التي كانت سببا في تحريف متن الكتاب وتبديله، فمن أمثلة النُّقصان:

في الطَّبعتين معا: فأخذ بيده قلما وقال: كل ما يتعلق بهذا، وأشار.

والصَّواب: "فَأَخَذَ بِيَدِهِ قَلَمًا وقال: سَلُوا كلَّ ما يَتَعَلَّقُ بهذا"[2].

في الطَّبعتين معا: واعلم أن الحريري القاسم بن علي.

والصَّواب: "أنَّ الْحَرِيرِيَّ هو الْقَاسِمُ بنُ عليٍّ"[3].

في الطَّبعتين معا: فيصير ذلك خديعة ومكيدة أكيدة.

والصَّواب: "فَيَصيرُ ذلك خَديعَةً عَظيمَةً، وَمَكيدَةً أَكيدَةً"[4].

في الطَّبعة المصرية: له ديوان شعر لطيف، وأسلوبه فيه رائق ظريف، ينحو منحى طرق الفقراء، له دوبيت.

---

(1) البيتان في وفيات الأعيان: 4/ 218، وفي الوافي بالوفيات: 1/ 212.

(2) مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة: 1/ 307.

(3) المصدر نفسه: 1/ 306.

(4) المصدر نفسه: 2/ 492.

والصَّواب: له: "ديوانُ شِعْرٍ لَطيفٌ، وأُسْلوبُهُ فيه رائِقٌ ظَريفٌ، يَنْحو مَنْحَى طَرِيقَةِ الْفُقَراءِ، وله قَصيدَةٌ مِقْدارَ سِتِّمِئَةِ بَيْتٍ مُشْتَمِلَةٌ على اصْطِلاحِهِمْ وَمَنْهَجِهِمْ، وله دُوبِيتٌ"[1].

في الطَّبعة المصرية: ثم رعاية المحسنات ورغبة الأسماع في الانفتاح لها.

والصَّواب: "ثُمَّ رِعايَةِ الْمُحَسِّناتِ اللَّفظيَّةِ، وإنْ كانت عَرَضِيةً، لأنَّها تَكونُ باعِثَةً إلى قَبولِ الأذْهانِ لِمَعانيها، وَرَغْبَةِ الأسْماعِ في الِانْفِتاحِ لها"[2].

في الطَّبعة المصرية: ما أغفل هذا الذي تظنه معينا بأمرك دع أمرا شكك فيه.

والصَّواب: "ما أَغْفَلَ هذا الذي تَظُنُّهُ مُعِينًا بِأَمْرِكَ عنك، ودَعِ الشَّكَّ فيما أَقولُهُ. فَقَوْلُهُ: شَيْئًا، مَفْعولُ دَعْ "الْمُقدَّرِ" كأَنَّهُ قالَ: دَعْ أَمْرًا يُشَكِّكُكَ فيه"[3].

في الطَّبعة المصرية: ويقال: قوم شماطيط: أي متفرقة أرسالا.

والصَّواب: "ويُقالُ: قَوْمٌ شَماطيطُ: أَيْ مُتَفَرِّقَةٌ، وَجاءَتِ الْخَيْلُ شَماطيطَ أي مُتَفَرِّقَةً أَرْسَالًا"[4].

في الطَّبعة المصرية: ومن الكتب المفردة فيه الجامع الكبير لابن الأثير الجزري، وقد عرفت ترجمته في علم التفسير.

---

(1) مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة: 1/ 339.

(2) المصدر نفسه: 1/ 155.

(3) المصدر نفسه: 1/ 180.

(4) المصدر نفسه: 1/ 183.

والصَّواب: "ومن **الْكُتُبِ الْمُفْرَدَةِ فيه**:"**الْجامِعُ الْكَبِيرُ**"، لابْنِ الْأَثِيرِ الْجَزَرِيِّ، وقد عَرَفْتَ تَرْجَمَةَ الْجَزَرِيِّ. و"**نِهايَةُ الْإِعْجازِ**"، للإمامِ فَخْرِ الدِّينِ الرَّازِيِّ، وسَتَعْرِفُ تَرْجَمَتَهُ في عِلْمِ التَّفْسِيرِ"[1].

في الطَّبعة المصرية:

ومثال آخر في اسم أحمد:

أحاجيك اسم الحبيب الذي ...

والصَّواب:

"وَمِثالٌ آخَرُ في اسْمِ **أَحْمَدَ**: [السريع]

أَوَّلُـــهُ ثـــالِـــثُ تُـــفَّـــاحَـــةٍ   وَرابِـــعُ الـــتُّـــفَّـــاحِ ثـــانِـــيـــهِ
وَأَوَّلُ الْـمِسْـــكِ لَـــهُ ثَـالِـثٌ   وَآخِـــرُ الْـــوَرْدِ لِـــبـــاقِـــيـــهِ

وَمِثالٌ آخَرُ في اسْمِ **أَحْمَدَ**: [المتقارب]

أُحاجِيكَ في اسْـمِ الْحَبيبِ الَّذِي   هَـوِيـتَ وَأَنْـتَ إِمـامُ الْـبَـلَـدْ
حُـروفُ الْـهِـجـاءِ لَـهُ أَرْبَـعٌ   إذا زالَ حَرْفٌ فَيَبْقَى أَحَـدْ"[2].

في الطَّبعة المصرية: وأجرى عليه في كل يوم أربعة دراهم. وكان أكثر تصانيفه في الرقاع.

(1) مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة: 1/ 277.

(2) المصدر نفسه: 1/ 378.

والصَّواب: "وأَجْرى عليه كُلَّ يَوْمٍ أرْبَعَةَ دَراهِمَ، لأنَّهُ كان أزْهَدَ النَّاسِ في الدُّنْيا، لا يَحْتَفِلُ بِأَمْرٍ مُكْتَسَبٍ ولا مَسْكَنٍ، ولذلك اقْتَصَرَ على أرْبَعَةِ دَراهِمَ. وكانَ مُنْفَرِدًا بِنَفْسِهِ، لا يكونُ إلَّا عند مُجْتَمَعِ مَاءٍ، أو مُشْتَبَكِ رِياضٍ، ويُؤَلِّفُ كُتُبَهُ هناكَ، وكانَ أَكْثَرُ تَصانِيفِهِ في الرِّقاعِ"(1).

ومن أمثلة الزِّيادة في متن الكتاب:

في الطَّبعتين معا: وكان يحب الكلام، ولا يميل إلى الاعتزال.

والصَّواب: "وكانَ يُحِبُّ الْكَلامَ، ويَمِيلُ إلى الِاعْتِزالِ"(2)، (وقد أعطى نقيض المعنى).

في الطَّبعتين معا: علم البديع: وهو علم باحث عن التراكيب العربية من حيث تحسين وجوه الكلام بالحسن العرضي بعد رعاية المطابقة [لمقتضى الحال]، ووضوح الدلالة [على المرام].

والصَّواب: "عِلْمُ الْبَديعِ: وهو عِلْمٌ باحِثٌ عن التَّراكيبِ الْعَرَبِيَّةِ من حَيْثُ وُجوهُ تَحْسينِ الْكَلامِ بالْحُسْنِ الْعَرَضِيِّ، بعد رِعايَةِ الْمُطابَقَةِ، وَوُضوحِ الدَّلالَةِ"(3).

في الطَّبعتين معا: وموضوعه: جواهر المفردات وهيئاتها، من حيث

---

(1) مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة: 1/ 431.

(2) المصدر نفسه: 1/ 250.

(3) المصدر نفسه: 1/ 278.

الوضع [للدلالة] على المعاني الجزئية.

والصَّواب: "**ومَوْضوعُهُ**: جَواهِرُ الْمُفْرَداتِ وهَيْئاتُها، من حيث الْوَضْعُ على الْمَعاني الْجُزْئِيَّةِ"[1].

في الطَّبعتين معا: فانصرف يوم الجمعة من الجامع بعد العصر، [وبيده كتاب ينظر فيه] وإذا بدواب من ورائه.

والصَّواب: "فانْصَرَفَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنَ الْجامِعِ بعد الْعَصْرِ، وإذا بِدَوَابَّ مِنْ وَرائِهِ"[2].

في الطَّبعتين معا: بخلاف المرئي الجلي، وكذا الحال في الرؤية العقلية، أعني [الفهم] والإدراك.

والصَّواب: "بِخِلافِ الْمَرْئِيِّ الْجَلِيِّ، وكذا الْحالُ في الرُّؤْيَةِ الْقَلْبِيَّةِ، أعْني الْإِدْراكَ"[3].

في الطَّبعتين معا: حتى إن الطغرائي ألقى المثقال من الإكسير أولا على ستين ألفا [من معدن آخر فصار] ذهبا.

والصَّواب: حَتَّى إنَّ الطُّغْرائِيَّ "أَلْقَى الْمِثْقالَ من الْإِكْسِيرِ أَوَّلًا على سِتِّينَ أَلْفًا ذَهَبًا"[4].

---

(1) مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة: 1/ 158.

(2) المصدر نفسه: 1/ 252.

(3) المصدر نفسه: 1/ 277.

(4) المصدر نفسه: 1/ 335.

في الطَّبعتين معا: الفتوحات المكية، التي ضمن فيها غرائب المعارف الكشفية والذوقية، [وكذلك **الفصوص**].

والصَّواب: ""الْفُتوحاتُ الْمَكِّيَّةُ"، التي ضَمَّنَ فيها غَرائِبَ الْمَعارِفِ الْكَشْفِيَّةِ والذَّوْقِيَّةِ"(1).

في الطَّبعتين معا: أردت أن تخبرني أن القمر في الدبران، إنا [قوم] لا نخرج بشمس ولا بقمر.

والصَّواب: "أَرَدْتَ أن تُخْبِرَنِي أنَّ الْقَمَرَ في الدَّبَرانِ، إنَّا لا نَخْرُجُ بِشَمْسٍ ولا بِقَمَرٍ"(2).

كما توجد نماذج من تبديل متن الكتاب **بالتَّقديم والتَّأخير** وهي قليلة بالمقارنة مع أنواع التَّبديل الأخرى التي ذكرت، ومنها:

في الطَّبعتين معا: وتدرك هذه المشابهة بمعونة القوة الباصرة والقوة الحافظة ولهذا اختلف أحوال الناس في هذا العلم، كمالا وضعفا، إلى حيث لا يشتبه عليه شيء أصلا، بسبب كماله في القوتين.

والصَّواب: "ولهذا اخْتَلَفَ أَحْوالُ النَّاسِ في هذا الْعِلْمِ كَمالًا وَضُعْفًا، إلى حيثُ لا يَشْتَبِهُ عليه شَيْءٌ أصْلًا، بِسَبَبِ كَمالِهِ في الْقُوَّتَيْنِ، وتُدْرَكُ هذه

---

(1) مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة: 1/ 318.

(2) المصدر نفسه: 2/ 504.

الْمُشابَهَةُ بِمَعونَةِ الْقُوَّةِ الْباصِرَةِ، والْقُوَّةِ الْحافِظَةِ"[1].

في الطَّبعتين معا: وقد يجرد عن البراهين، ويسمى: هيئة بسيطة. ويقتصر على التصور والتخيل دون اليقين.

والصَّواب: "وقد يُجَرَّدُ عن الْبَراهِينِ، وَيُقْتَصَرُ على التَّصَوُّرِ والتَّخَيُّلِ دونَ الْيَقينِ، وَتُسَمَّى: **هَيْئَةً بَسِيطَةً**"[2].

في الطَّبعة المصرية: فضلا عن هذه السطور والأوراق، فاكتفينا بهذا القدر المسطور.

والصَّواب: "فَضْلًا عَنْ هَذِهِ الْأَوْرَاقِ وَالسُّطُورِ، فَاكْتَفَيْنَا بِهَذَا الْقَدْرِ الْمَسْطُورِ"[3].

هذه النَّماذج الَّتي قدَّمناها في هذا المبحث هي قسم ضئيل من التَّحريفات والتَّبديلات والأخطاء الواقعة في كتاب **مفتاح السَّعادة** المطبوع المتداول بين النَّاس، لذلك أخذتنا حمية العلم، ونخوة العربية، وأسعفتنا الألطاف الإلهية بالمدد إلى إعادة تحقيق هذا الكتاب على أصوله الخطية، وإخراجه إخراجا يليق بمكانته العلمية ضمن ذخائر المكتبة التراثية العربية.

---

(1) مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة: 2/ 487.

(2) المصدر نفسه: 2/ 521.

(3) المصدر نفسه: 2/ 926.

10- قواعد تحقيق كتاب مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة وفهرسته:

انصرف وُكْدُنا في تحقيق كتاب مفتاح السَّعادة، إلى العناية بمتن الكتاب أكثر من أي شيء آخر، فقد تحرينا في نقله من أصوله الخطية الصِّحةَ والصَّوابَ، وعملنا على تجنُّب التَّصحيفِ والتَّحريفِ بالرُّجوع إلى أكثر من نسخة من نسخ الكتاب حالة الشَّك في أي عبارة من عباراته، واستشارة مصادر النَّقل بِنُسَخِهَا المطبوعة منها والمخطوطة، والتزمنا أثناء نسخ متن الكتاب الرَّسم الحديث، ووضعنا علامات التَّرقيم الَّتي تساعد على فهم متن الكتاب وتجليته، ثم عدنا إليه فضبطناه ضبطا كلِّيا دفعا لِلَّبْسِ، وتيسيرا على القارئ، خصوصا ما يتعلَّق بأسماء المصنَّفات والمصنِّفين، صحيح أنَّنا هنا قد ألزمنا أنفسنا ما لا يلزم، وركبنا مركبا وعرا، صعَّبَ عملنا، وجعلنا عرضة للأخطاء غير المقصودة التي تجلب الانتقاص والانتقاد، لكن حسبنا أنَّنا اجتهدنا في خدمة متن علمي من متون اللُّغة العربية، وأخرجناه بما نحسب أنَّه مفيد للباحثين، وإن كنَّا قد خالفنا سُنَّةَ أغلب علمائنا الفضلاء الَّذين كانوا يكتفون بشكل ما يُشْكِل[1]، لأنَّهم كانوا يعلمون أنَّ حال اللُّغة العربية جيد، وأنَّ حرَّاسها من المثقفين ينتظرون كلَّ جديد في سوق الثَّقافة بشغف كبير، وينبرون بالرَّدِّ على كل ما يحتاج إلى نقد، أو تصحيح، أو توجيه في المنابر العلمية المتخصِّصة، أما الآن وقد ضعفت الهمم، وقَرِحَتِ القرائح،

---

(1) بل كانوا يقولون: "الإعجام عادة الأعجام" البعيدين عن السليقة العربية.

وكسدت سوق الثَّقافة والكتاب، وغدت تلكم الفئة من خاصَّة الخاصَّة، وغدا حال اللُّغة العربية على ما نعلم، فعلينا تغيير أحكامها، والإسهام في دعم لغتنا بما نستطيع، ودفع هذا التَّردي بما نملك.

وقد رمنا في هذا الكتاب إحياء قاعدة منسية في اللُّغة العربية، وهي إيراد عنوانات الكتب محصورة وإعرابها وفق باب الحكاية، لأنَّها ينبغي أن تُنْقَلَ كما أوردها أصحابها، فلا تخضع للإعراب اللَّفظيِّ، إلَّا ما ورد منها مجزوءا أو مختصرا فلم نحصره وأعربناه وفق سياقه، وليس هذا تعالما مِنَّا أو تَقَعُّرًا، فالحقُّ أحقُّ أن يُتَّبع، والصَّواب أجدر أن يُتمسَّك به، وليعذِرنا شُذاةُ العربيَّةِ وقُرَّاؤها على هذا الاختيار، لأنَّهم استأنسوا إعراب الكتب وفق سياقها.

أما مرحلة مقابلة متن الكتاب فكانت من بين أصعب مراحل هذا المشروع، فلم نتمكن من الحصول على النُّسخ التي لها صلة وثيقة بالمؤلِّف في وقت واحد، وتوصَّلنا بها منجَّمَةً، فاضْطُرِرْنَا لإجراء المقابلة أكثر من أربع مرَّات، فرغم رحلاتنا المتكررة إلى تركيا ومصر لم نتمكن من الحصول على أي نسخة من نسخ كتاب **مفتاح السَّعادة**، وقد كانت قَلْعَتَا دار الكتب المصرية، والمكتبة السُّليمانية التُّركية من أمنع القلاع وأحكمها إغلاقا، فرغم خطابات الشَّفاعة، ووساطات الأفاضل عدنا من هاتين المؤسستين بنماذج من أول بعض النُّسخ وآخرها مدفوعة الأجر فقط.

وكان أوَّل الغيث الَّذي انتفعنا به نسخة الأزهر الشَّريف الَّتي أمدَّنا بها العلامة وأستاذ الأجيال الدُّكتور أحمد معبد عبد الكريم حفظ الله مهجته، وأطال بهجته، ثمَّ توصلنا بعد ذلك بالغلَّة الوافية الزَّاكية التي أدخلت على قلوبنا فرحة عارمة، وأنستنا نكسة دار الكتب وكسرة السُّليمانية وأتراحهما، وهي اثنتا عشرة نسخة تركية كاملة من أخينا المفضال الأستاذ عبد العاطي الشَّرقاوي حرسه الله، وتضم هذه المجموعة نسخا صارت عمدتنا في التَّحقيق ومقابلة متن الكتاب؛ كنسخة رئيس الكتاب، ونسخة مراد ملا، ونسخة أنطاليا، ثمَّ توصلنا بعد ذلك بالنُّسخة التُّونسية بواسطة الباحثة الفاضلة رشيدة السَّمين حفظها الله، لكنَّا لم نرجع إليها إلَّا في حالة وجود إشكال كبير في متن الكتاب، وكان آخر الغيث دفعة أخرى من النُّسخ الخطية التُّركية للكتاب توصلنا بها من مركز جمعة الماجد، ومن مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنَّورة، تَوَسَّطَ في أمر الحصول عليها الأخ الأود الأستاذ الدكتور عبد الحكيم الأنيس، والأخ المفضال الدكتور عادل أوعصام، ووجدنا ضمنها نسخة نفيسة من الكتاب، وهي نسخة قونية الَّتي لها صلة وثيقة بنسخة المؤلِّف، وقد اعتمدنا عليها في تقويم متن الكتاب وإعادة مقابلته، وقد تمكَّنا بفضل هذه النُّسخ من المقابلة بين الرِّوايات المختلفة في الشِّعر والنَّثر، وحاولنا ترجيح ما رأيناه منها مناسبا للسِّياق أو موافقا لمصادر النَّقل إن كان نقلا، وفي حالة وجود اضطراب في كلام المؤلِّف أثناء تلخيصه كلام غيره أو اجتزائه، أو نقله بالمعنى مع تقصير، أو

سوء تعبير، نشير إلى سياقه الصَّحيح في مصادر النَّقل في الهامش، كذلك الشَّأن بالنِّسبة إلى الأخطاء اللُّغويَّة والنَّحويَّة والمعرفيَّة فقد تركناها كما هي مع التَّنبيه عليها في الهامش، لأن المتن أمانة مؤدَّاة لا فضل لنا فيها إلَّا نقلها على وجهها الصَّحيح أو شرحها، أو توثيقها، أو التَّعليق عليها.

ثمَّ عكفنا بعد ذلك على ما هو حقيق بالشَّرح والتَّعريف والتَّخريج والتَّوثيق والتَّعليق، فشرحنا ما يحتاج إلى شرح وبيان في السِّياق خصوصا غريب اللُّغة وإن كان قليلا مقارنة مع نصوص أخرى، وأثناء ذلك عرَّفنا بالأعلام المغمورة أو التي وردت بكناها، أو مجتزأة، أو مشكلة، أو مصحَّفة، وتجنَّبنا إثقال الهوامش بتعريف المعروف من الأعلام، مع تطبيق القاعدة نفسها على أسماء الأماكن والقبائل والأمم والطَّوائف، واكتفينا بتعريف الكتب الغريبة أو التي وردت مختصرة اختصارا مخلا في سياق الكلام.

ثمَّ خرَّجنا ما يحتاج إلى تخريج من قرآن وحديث وأثر ومثل وشعر ووثَّقناه من مصادره، وتتبعنا نصوص الكتاب في المصادر العربية المتقدمة التي صرَّح بها طاش كبري زاده فوثقناها منها، ووثَّقنا أيضا النُّقول الَّتي لم يصرح بها، مستندين إلى القاعدة نفسها، إلَّا أننا حينما لا نجدها في المصادر المتقدِّمة نوثقها في المصادر المتأخِّرة خصوصا تلك التي أكثرت من النَّقل منه؛ ككشف الظنون وأبجد العلوم وغيرهما.

ولا نخفي أننا استفدنا في هذا الباب استفادة مثلى من طرر بعض النُّسخ الخطيَّةِ للكتاب الَّتي تملَّكها العلماء الرَّاسخون الَّذين قرأوا هذا المصنَّف وصحَّحوه ووثَّقوه وعلَّقوا على ما يحتاج منه إلى تعليق؛ كطرر نسخة أنطاليا، وطرر نسخة مراد ملا، ونسخة عاطف أفندي.

ولتيسير الاستفادة من هذا الكتاب فقد بذلنا مجهودا كبيرا في صنع فهارس مفصلة له ـ يدوية لا إلكترونية ـ اجتهدنا فيها عدم تفويت أي فائدة مهما كانت صغيرة على القارئ، وتضم هذه الفهارس:

1. فهرس الآيات القرآنية
2. فهرس الأحاديث النَّبوية والآثار
3. فهرس الكتب الواردة في المتن
4. فهرس العلوم المذكورة في الكتاب
5. فهرس الأعلام البشرية
6. فهرس البلدان والأماكن
7. فهرس المساجد والمدارس والزَّوايا والأضرحة
8. فهرس الأمم والقبائل
9. فهرس الفرق والمذاهب
10. فهرس الأشعار
11. فهرس أنصاف الأبيات
12. فهرس الأمثال والحكم

13. لائحة المصادر والمراجع
14. فهرس محتويات الكتاب.

وقد طبقنا في هذه الفهارس بعض القواعد المعروفة عند الباحثين؛ كعدم اعتماد "الألف واللام" و"أبو" و"ابن" و"ذو" في التَّرتيب، وترتيب الأعلام حسب أسماء شهرتهم، إضافة إلى تطبيق قاعدة معروفة في ترتيب المصنَّفات الواردة في الكتاب، وهي إضافة كلمة "كتاب" إلى الكتب التي لا يصح تجريدها عن الإضافة، وإن ورد العنوان مختصرا نكتب بإزائه العنوان الكامل للكتاب.

11- وصف النُّسخ الخطية لكتاب "مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة" ودراستها:

كان الحصول على النُّسخ الخطية للكتاب من أكثر الصُّعوبات التي واجهتنا في هذا المشروع العلمي، فقد سافرنا إلى تركيا مركز حفظ أغلب نسخ كتاب **مفتاح السَّعادة** في العالم بخطاب رسمي من الخزانة الملكية بالرِّباط كي يتم تسهيل مهمتنا في الاطّلاع على نسخ الكتاب، وتصوير ما تدعو الحاجة العلمية إلى تصويره، وكان هدفنا الرَّئيس من هذه الرِّحلة العلمية الوقوف على نسخة المؤلِّف إن وُجدتْ، أو تلكم النُّسخة التي لها صلة وثيقة بها إن فُقدت، فجلسنا في قاعة الباحثين بالمكتبة السُّليمانية نطلع على النُّسخ الرَّقمية للكتاب أياما، وطلبنا فحص أربع نسخ منها هي: نسخة رئيس الكتاب، ونسخة مراد ملا، ونسخة عاطف أفندي، ونسخة أنطاليا، كي يتسنى وصفها وصفا دقيقا، والتَّأكد من بياناتها الكوديكولوجية، لكنَّا بعد إلحاح شديد تمكنا من رؤية نسختين فقط، هما نسخة رئيس الكتاب ونسخة مراد ملا، وتبين بعد الفحص الورقي لهاتين النُّسختين، والفحص الرَّقمي للأخريين أن هذه النُّسخ لها قيمة علمية كبيرة، فقد صُحح بعضها وقوبل على نسخة المؤلِّف، وبعضها الآخر عليه حواشٍ مفيدة، فيها تتبع دقيق لنصوص الكتاب من مصادر نقلها؛ كـ"**إرشاد القاصد**"، و"**إحياء علوم الدين**"، و" **بغية الوعاة في طبقات اللُّغويين والنُّحاة**"، وغير ذلك من الفوائد التي وُشِّحت بها، فطلبنا نسخة رقمية منها، لكنا لم نوفق في الحصول عليها،

وحاولنا قضاء حاجتنا عبر وساطة بعض الفضلاء إلَّا أنَّنا فشلنا في ذلك كَرَّةً أخرى، وعدنا من هذه الرِّحلة بتصور عام حول النُّسخ، وبصور رقمية من أوَّل هذه النُّسخ وآخرها.

ولم يكد يندمل هذا الجرح حتَّى رجعنا مَرَّةً أخرى إلى إستانبول، فتمكَّنَّا من رؤية الصور الرَّقمية لنسخ أخرى من الكتاب؛ كنسخة لاله لي، ونسخة نور عثمانية، ونسخة راغب باشا، ونسخة أسعد أفندي، ونسخة أيا صوفيا، ونسخة يني جامع، ونسخة فيض الله أفندي، ونسخة الفاتح، ونسخة الحميدية، ونسخ أخرى غيرها، لكنَّا تمسَّكنا بطلبنا الأول، لأنَّنا لم نجد من هذه النُّسخ من يداني المجموعة الأخرى في صلتها بالمؤلِّف، وتصحيحها وتطريرها، لكنَّا عدنا بخفي حنين هذه المرَّة أيضا.

وكانت وجهتنا المقبلة دار الكتب المصرية بالقاهرة مرفقين بخطاب رسمي من الخزانة الحسنية لتيسير مهمتنا، ومن حسن حظنا أنَّنا تمكَّنا في هذه الرِّحلة من رؤية النُّسخ الخطية المحفوظة بدار الكتب من كتاب **مفتاح السَّعادة**، ونسخ أخرى من كتاب "**مدينة العلوم**" الَّتي فُهْرِسَتْ بطريق الخطإ على أنَّها **مفتاح السَّعادة**. ورغم أنَّها كانت دون النُّسخ التُّركية من حيث القيمة العلمية والتَّوثيقية لكنَّنا مع ذلك طلبنا تصويرها لنبدأ العمل في هذا المشروع العلمي، لكن التَّعقيدات البيروقراطية الموجودة هناك حالت دون تحقيق المبتغى رغم صبرنا وشدة إلحاحنا وترددنا على هذه المؤسسة

أكثر من مرَّة، فاكتفينا بتصوير نماذج من تلكم النُّسخ، للاطِّلاع عليها ووصفها.

لكن رُبَّ منحة في طيٍّ محنة، فقد أكرمنا الله بلقاء حبيبنا الشيخ الجليل النَّبيل الأستاذ الدكتور أحمد معبد عبد الكريم، وهو من تكلَّف مشكورا مأجورا بتصوير النُّسخة المحفوظة بخزانة كتب جامع الأزهر الشَّريف، فكانت بحمد الله أوَّل الغيث، وكانت فأل خير، من يد رجل كريم مبارك.

وفي هذه الرِّحلة أيضا يَسَّرَ الله لنا لقاء أحد أكبر عشاق الكتاب العربي المخطوط وخُدَّامه تصنيفا وفهرسة وتحقيقا ونشرا، وهو الشابُّ الألمعي الأريب عبد العاطي الشَّرقاوي حفظه الله، الَّذي استقبلنا في مركزه، وغمرنا بحفاوة استقباله، وعظيم كرمه، وأعطانا جميع النُّسخ التي كنَّا نرغب في تصويرها من إستانبول، وزاد على ذلك نسخا أخرى لم نكن نطمع في تصويرها، ولم يأخذ منا فلسا واحدا، وهذا من تمام فضله وكرمه، أحسن الله إليه، وجزاه خير الجزاء.

وبفضل هذه السَّفرة وُضِعَ هذا المشروع على سكته الصَّحيحة، وبدأ العمل وفق الخطَّة التي قدمناها آنفا.

ولمَّا قطعنا شوطا كبيرا في المشروع يسَّر الله الحصول على نسخ أخرى من الكتاب من مركز جمعة الماجد بوساطة حميدة، وسعي مشكور من أخينا ومحبنا الدُّكتور عبد الحكيم الأنيس سلَّمه الله من كلِّ مكروه، وجدنا

ضمنها نسخة مؤرخة في غاية النَّفاسة اضطررنا بسببها إلى إعادة نسخ متن الكتاب ومقابلته، وهي نسخة قونية. ثم توصلنا بنسخ أخرى من مراكز وخزانات كتب أخرى سنوردها حسب مكان حفظها وأهميتها:

أولا: تركيا

بما أن تركيا هي بلد المؤلِّف، ووريثة تركة آخر خلافة إسلامية وهي الخلافة العثمانية، فإنَّها تضم أغلب النُّسخ الخطيَّة من هذا الكتاب، وتحظى الخزانة السُّليمانية بنصيب الأسد من هذه المخطوطات، وسنوردها مرتبة حسب قيمتها العلمية والتَّوثيقية:

1- نسخة قونية:

ـ أولها:

بَدِيعُ بَيَانٍ لا يُحْتَذَى مِثَالُهُ، وَمَنِيعُ تِبْيَانٍ لا يُحْتَظَى مَنَالُهُ ... أَمَّا بَعْدُ؛ فَهَذِهِ بَثٌّ لِمَا وَقَرَ في صَدْرِي من الْعُلُومِ الْفَاخِرَةِ ... وَسَمَّيْتُ الرِّسَالَةَ: بـ "مِفْتاحُ السَّعادَةِ ومِصْباحُ السِّيادَةِ"، وقَدَّمْتُ أَمَامَ الْمَقْصُودِ عِدَّةَ مُقَدِّمَاتٍ، هي مِفْتَاحُ الْمَيَامِنِ والْبَرَكَاتِ، ثم أُتْبِعُهَا في ضِمْنِ الطَّرَفَيْنِ بِعِدَّةِ دَوْحَاتٍ، فيها ثَمَرَاتٌ طَيِّبَاتٌ ...

ـ آخرها:

فَإِنْ ظَنَنْتَ هَذَا فَأَنْتَ مُصِرٌّ عَلَى مَا فَعَلْتَ، فَمَا أَبْعَدَ ظَنَّكَ، وَمَا أَبْرَدَ

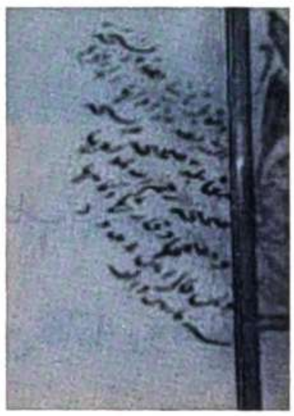
طَمَعَكَ: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ مَالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[1]. فَنَرْجُو اللهَ تَعَالَى أَنْ لَا يُعَامِلَنَا بِمَا نَسْتَحِقُّهُ، وَيَتَفَضَّلَ عَلَيْنَا بِمَا هُوَ أَهْلُهُ بِمَنِّهِ وَسَعَةِ جُودِهِ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ...

النُّسخة صورة رقمية محفوظة بمركز جمعة الماجد، والأصل محفوظ بخزانة كتب مدينة قونية تحت رقم: 6598، وهي نسخة تامة، كتبت بخط نستعليق حسن، بمداد أسود مع كتابة أسماء العنوانات بالأحمر، داخل إطار مذهب، وهي مؤرخة، ذُكر فيها تاريخ النَّسخ، ولم يُذكر اسم النَّاسخ، وجاء في تقييد ختامها المحاط بزخارف نباتية ما يأتي: "تَمَّ كلام المؤلِّف عفا الله تعالى عنه، وعن كاتبه، وعمَّن نظر فيه ودعا لهم بالمغفرة، وذلك في غرَّة ربيع الآخر سنة 997هـ أحسن الله عاقبتها بخير ...". وكُتب بإزاء تقييد الختام تقييدان آخران خاصان بالمقابلة جاء في الأول: "قوبل هذه النسخة الشَّريفة من أولِّها إلى آخرها مقابلة صحيحة عن نسخة مؤلِّفها، نوَّر الله قبره، وروَّح روحه بحرمة سيِّد المرسلين آمين".



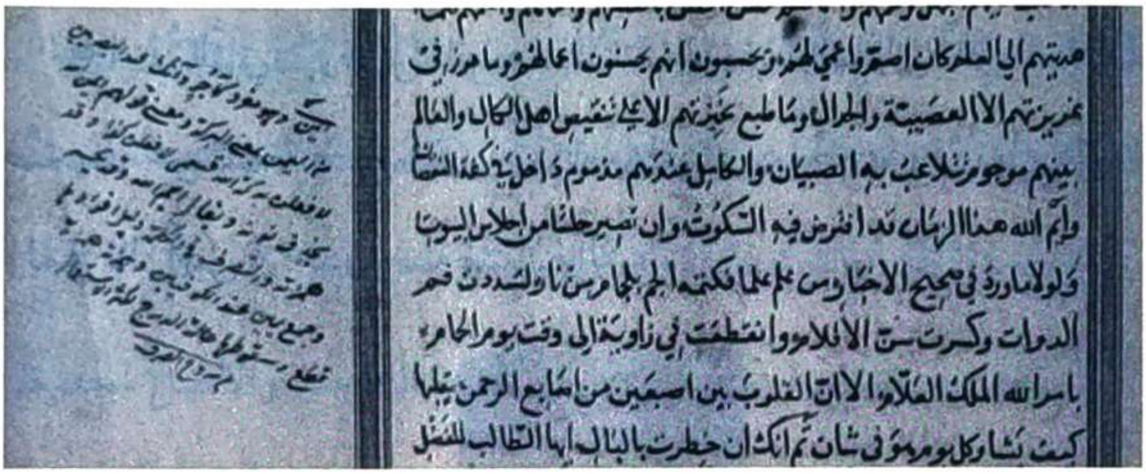
(1) سورة القلم الآية: 35 - 36. وإحياء علوم الدين: 4/ 506.

وجاء في الثَّاني: "وقوبل ثانيا هذه النُّســخة من أولِّها إلى آخرها مقابلة صحيحة عن نسخة صحيحة، رحم الله مؤلِّفها ومصحِّحها وقارئها وكاتبها ولمن قال آمين في حدود سنة مئتين وألف".



وهذا دليل على أنَّ هذه النُّسخة قوبلت مقابلة صحيحة على نسخة المؤلِّف، وبها تصحيحات كثيرة كتبت أحيانا في الطُّرة، وألحقت أحيانا أخرى بين السُّطور مُيِّز آخرها برمز "صح"، وبعضها الآخر بـ"ص"، وهناك طرَّة وحيدة في النُّسخة ورد فيها شرح لِقَسَمِ المصنِّف بـ"ايم الله" جاء فيه: "أَيْمُنُ وهو مفرد؛ كآجُر، وآنُك[1]، عند البصريين من الْيُمْنِ بمعنى البركة، ومعنى قولهم: أيمُنُ الله لأفعلنَّ ، بركة الله قسمي لأفعلنَّ كذا، وقد يُحذف نونه ويُقال: أيم الله ، وقد يحذف همزته، والتَّصرف في الكلمة دليل إفراده، وجمع يمين عند الكوفيين وهمزته همزة قطع، وسقوطها حالة الدَّرج لكثرة الاستعمال".

(1) الآنُك: هو خالص الرَّصاص. مقاييس اللغة: 1/ 149.



كما كتبت عنوانات الكتاب باللَّون الأحمر في الطُّرَّة.

تتألف هذه النُّسخة من 476 ورقة، مسطرتها: 27، بها تعقيبة أفقية، تتألف أحيانا من أكثر من كلمة، وفي أولها قسم من برنامج الكتاب لكنَّه لم يُتمَّمْ، وتقاييد تضم أشعارا وفوائد متنوعة، منها قول الشَّاعر: [الكامل]

كُلُّ الْمَصائِبِ قَدْ تَمُرُّ على الْفَتَى ... فَتَهونُ غَيْرَ شَماتَةِ الْحُسَّادِ
إنَّ الْمَصائبَ تَنْقَضِي أَيَّامُهَا ... وَشَماتَةُ الْأَعْداءِ بِالْمِرْصادِ

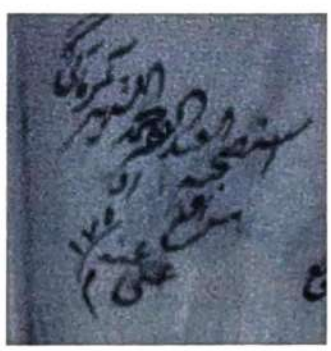
وقول الآخر: [الطويل]

وَإنْ شِئْتَ أَرْكانَ الشَّرِيعَةِ فَاسْتَمِعْ ... لِتَعْرِفَهُمْ وَاحْفَظْ إذا كُنْتَ سامِعَا
مُحَمَّدُ وَالنُّعْمانُ مَالِكُ أَحْمَدٌ ... وَسُفْيانُ وَاذْكُرْ بَعْدَ داوودَ تابِعَا

ومنها أيضا: "طُوَيْسٌ الْمُغَنِّي، واسْمُهُ عِيْسَى بْنُ عَبْدِ الله، كانَ من الْمُبَرِّزينَ فِي الْغِنَاء، وله تَرْجَمَةٌ واسِعَةٌ في "الأغاني"، وهو الَّذِي يُضْرَبُ به الْمَثَلُ في الشُّؤْمِ، وَيُقَالُ: **أَشْأَمُ مِنْ طُوَيْسٍ**؛ لأَنَّهُ وُلِدَ في يَوْمِ قُبِضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَفُطِمَ في يَوْمِ مَوْتِ أَبِي بَكْرٍ، وخُتِنَ في يَوْمِ قَتْلِ عُمَرَ وَبَلَغَ

الْحُلُمَ في ذلك الْيَوْمِ، وَتَزَوَّجَ في الْيَوْمِ الذي قُتِلَ فيه عُثْمَانُ، وَوُلِدَ لَهُ في الْيَوْمِ الذي قُتِلَ فيه عَلِيٌّ، لذلك تَشاءَمُوا به، وهذا من عَجائِبِ الاتِّفاقِ، ومَاتَ: سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ[1] من الْهِجْرَةِ بالسُّوَيْداءِ على مرْحَلَتَيْنِ من الْمَدِينَةِ، وكانَ انْتَقَلَ إليها من الْمَدِينَةِ". إلى غير ذلك من التَّقاييد الأخرى المزبورة في هذه الورقة.

وبجانب هذه التَّقاييد تَمَلُّكٌ باسم العلَّامة برهان الدِّين أبي القاسم محمود بن حمزة بن نصر الشافعي الكرماني الملقَّب بتاج القراء (ت.1107هـ) بصيغة: "استصحبه العبد الفقير محمود الشَّهير بكَرْماني عفي عنه سنة 1105هـ".

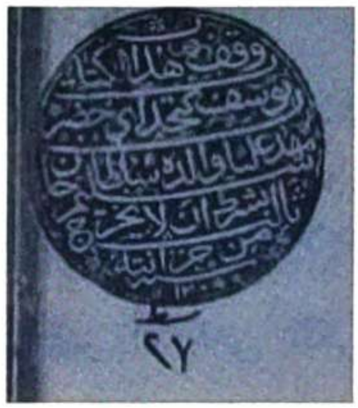


في الورقة الأولى عنوان الكتاب واسم المؤلِّف وتملك بالتَّقييد والختم، صيغة الأول: "استصحبه الفقير محمود القاضي ...عفي عنه سنة 1108هـ"، وكُتب داخل الختم: "توكلي على خالقي عبده محمود".

---

(1) الصَّحيح أنَّه توفي سنة 92هـ.

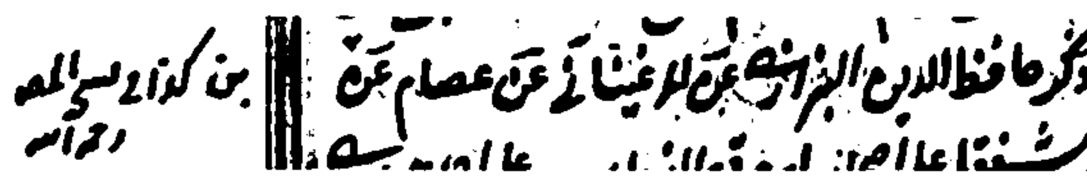
وعلى مجموعة من أوراقه ختم وقف جاء فيه: "وقف هذا الكتاب يوسف كتخداي خضر مهد علياء والدة سلطان سليم خان ثالث بشرط أن لا يخرج من خزانته سنة 1209هـ"، وهذه صورته:



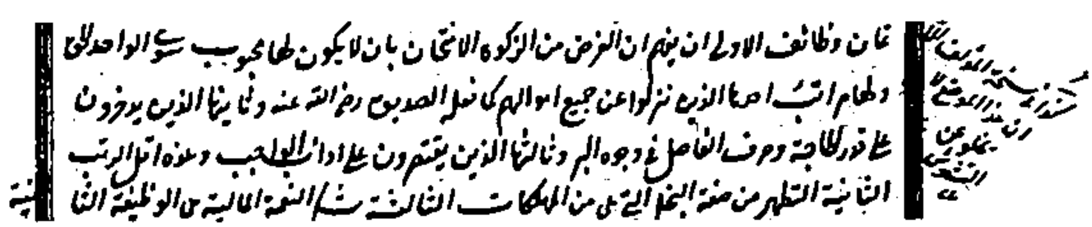
بها خروم قليلة في أطرافها، تسفيرها عثماني، جلد أحمر، تتوسطه ترنجة مضغوطة، وهو موصول بلسان الحفظ، وباطنه مغلَّفٌ بورق الإيبرو.

2- نسخة رئيس الكتاب:

وهي نسخة تكافئ نسخة قونية من حيث الصِّلة بالمؤلِّف، محفوظة بخزانة كتب السُّليمانية بإستانبول تحت رقم: 928، وهي تامة غير مؤرخة، منسوخة من نسخة المؤلِّف، ومصححة منها، وقد وجدنا عدة شواهد داخل هذه النُّسخة تؤكد هذه الحقيقة، فقد ذكر ذلك في أكثر من موضع؛ منها قوله في اللَّوحة 10: "بن كذا في نسخة المصنِّف رحمه الله". وهذه صورته:

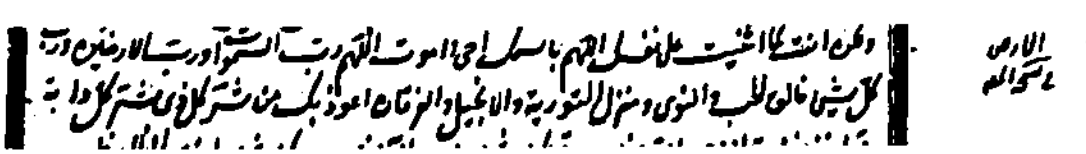


وفي اللَّوحة 53:"وقد عرفت كذا في نسخة المصنِّف رحمه الله". وفي اللَّوحة 110: "كتب الأصول بخط المؤلف". وأوضح هذه الإشارات ما جاء في اللَّوحة 224 وهو قوله معلِّقا على كلام المؤلِّف: "**الْأُولَى**: أنْ يَفْهَمَ أنَّ الْغَرَضَ منَ الزَّكاةِ الاِمْتِحانُ بِأنْ لا يَكونَ لها مَحْبوبٌ سِوَى الْواحِدِ الْحَقِّ؛ وَلَها مَراتِبُ": "كذا في نسخة المؤلِّف، إلَّا أنَّ هذا الموضع لا يخلو عن التَّشويش". وهذه صورته:



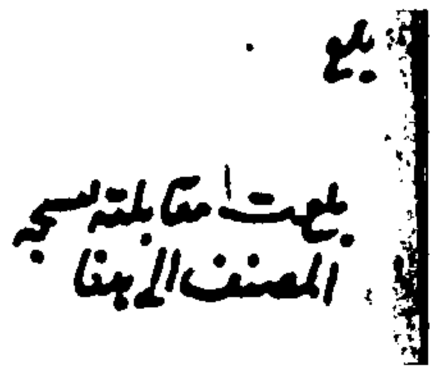
وفي اللَّوحة 239: "الأمان كذا في الأصل".

وفي اللَّوحة 241: "الأرض في نسخة المصنِّف":

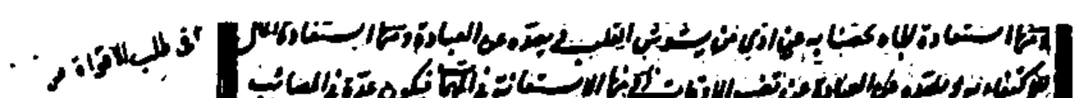


وفي اللَّوحة 302: "ورد وارد الرِّياء. كذا في نسخة المصنِّف". وفي اللَّوحة 304: "وفيه الحياء. بخطِّه"، إلى غير ذلك من التَّصحيحات الّتي ذُكر أنَّها من نسخة المصنِّف.

كتبت هذه النُّسخة بخط تعليق دقيق حسن أسود، مع كتابة عنوانات الكتاب بالأحمر، ولم يرد فيه ذكر اسم النَّاسخ وتاريخ النَّسخ، داخل إطار مذهب، تتألف من 339 ورقة، مسطرتها: 26، وهي مقابلة ومصححة على نسخة المؤلِّف، دليل ذلك تقاييد البلاغ الموجودة بهامشها؛ من ذلك قوله في اللَّوحة 304: "بلغت مقابلته بنسخة المصنِّف إلى هنا". هذه صورته:



وفيها بعض الشَّطب والتَّصحيح؛ كاللَّوحة 268، فقد شطَب بخط أحمر عمودي على عبارة: "ويصده عن العبادة"، وكتب بإزائها الطُّرَّة: "في طلب الأقوات"، تتميما لقوله: "للاكتفاء به عن تضييع الأوقات"، وأردف تصحيح المتن برمز "ص" وطورا آخر يستعمل "صح". وهذا نموذج منه:



أما الكلمات الممشوقة أو غير الواضحة في المتن فيكتبها بإزائها في الطرة ويردفها برمز "بيان".

وعليها تقاييد في أوَّلها ضمَّت عنوان الكتاب، وبعض الأبواب والتَّراجم التي رأى مالكها أنَّها مهمة، ووضع أرقام أوراقها؛ كآداب الصحبة

والمعاشرة 260، وعلم قود العسكر 79، وترجمة نصير الدين الطوسي 59، وترجمة جلال الدين الرومي 130، وغيرها، وفيها تملك بالصِّيغة الآتية: "هذا بيد المالك الأحد عند عبده مصطفى بن محمد"، وفيه ختمان مكشوطان، وختم وقف كتب داخله: "حسبي الله، بسم الله الرَّحمن الرَّحيم، وقف هذا الكتاب مصطفى رئيس الكتَّاب السَّابق، لوجه الله الخالق، وسلَّمه للمتولي، وحكم بصحته حاكم الشَّرع الشَّريفيِّ، وَشَرَطَ الاستفادَةَ منه لأولاده، فثم فثم، وبعدهم يُعْمَلُ به كما في الوقفية إلى قيام السَّاعة، وأَخْزَى الله من اشتراه أو باعه، سنة 1154هـ". وفوقه إقرار بتسلم الوقف. هذه صورته:



وعليه طابع حديث برسم خزانة الكتب السُّليمانية. وفي الورقة الأخيرة تقييد في التَّعريف بالإمام الماتريدي منقول من كتاب "**الأنساب**"، لإسماعيل البلبيسي.

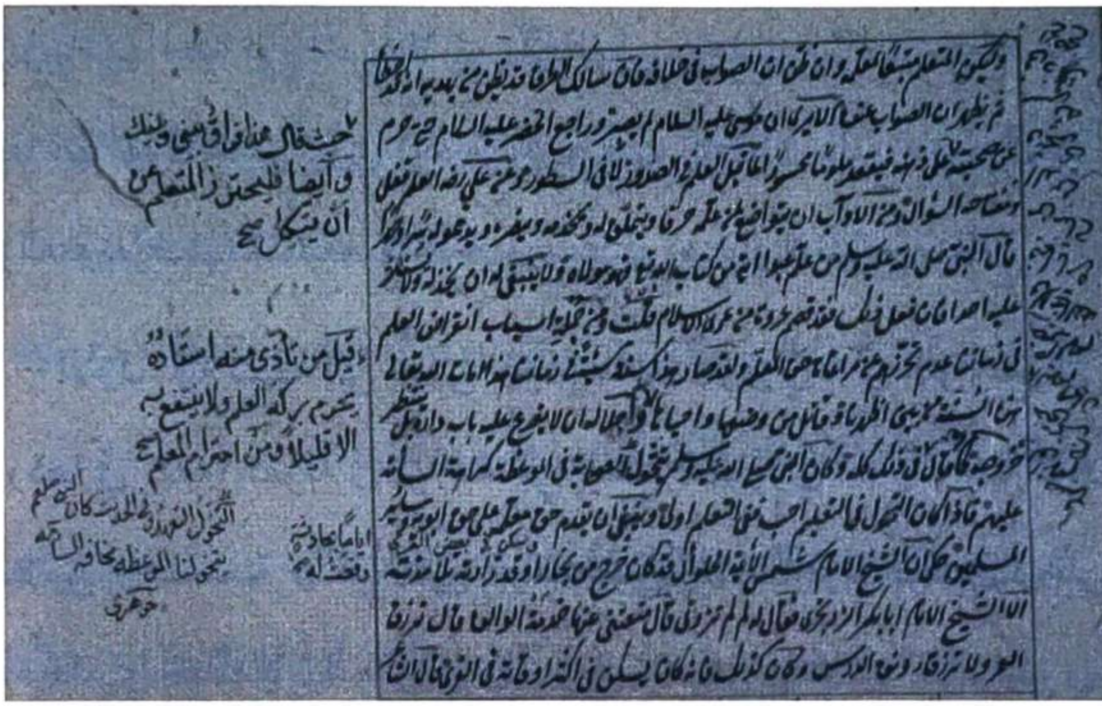
3- نسخة أنطاليا تكه أوغلو:

محفوظة بالمكتبة السُّليمانية بإستانبول تحت رقم: 449، وهي نسخة متلاشية، تامة، مصححة ومقابلة بالأصل، وقد وجدنا ذلك في مواضع من هذه النُّسخة منها تقاييد البلاغ المثبتة بطررها؛ كقوله: "بلغ إلى هنا من نسخة مقابلة بالأصل". هذه صورته:



لكنها للأسف الشَّديد غير مؤرخة، وبعض أوراقها الأولى لم ترتَّب ترتيبا صحيحا بسبب تسرُّع المسفِّر أو جهله بتتبع نظام التَّعقيبة.

وقد ساعدتنا هذه النُّسخة كثيرا في تصحيح متن الكتاب وتوثيقه، فهي مكمِّلة للنُّسختين السَّابقتين، وبهامشها طرر كثيرة خاصَّة بتصحيح متن الكتاب ومقابلته، وأهم ميزاتها أنَّ مصحِّحَها شكل بعض الكلمات المشكلة في المتن، وشرح غريبها بالرُّجوع إلى معاجم اللُّغة؛ كالصَّحاح، والقاموس المحيط، وهذا نموذج من جهده في تصحيح متن الكتاب وشرح غريبه:



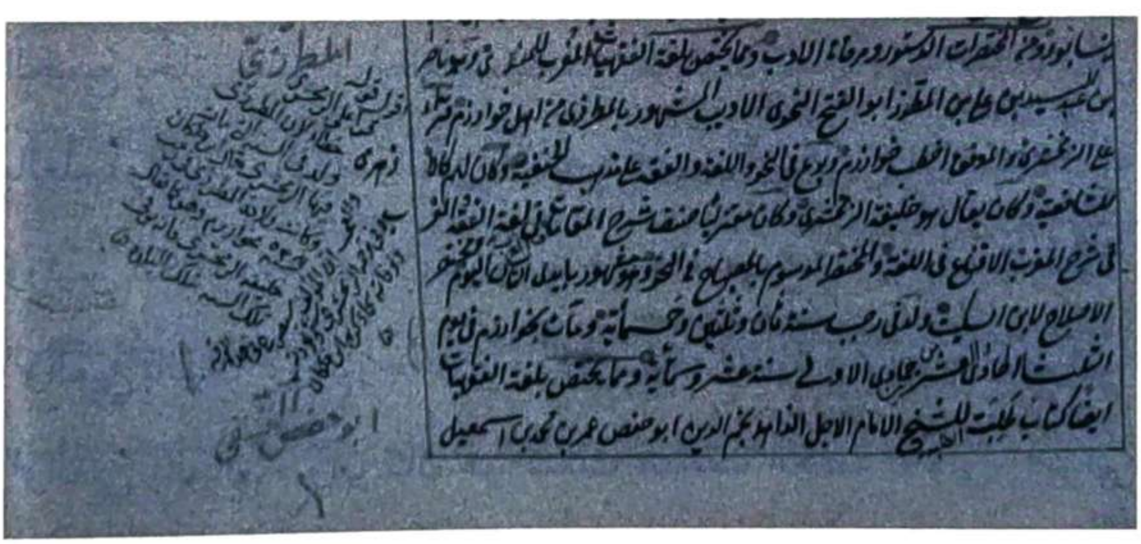
وقد أفادتنا هذه النُّسخة كثيرا في المواضع الَّتي صُحِّفت في النُّسخ الأخرى، وكثيرا ما كنا نقف على الصَّواب أو الرواية الرَّاجحة منها، ونكتفي هنا بإيراد مثال واحد فقط؛ منها قول المصنِّف: "ولا يَدْخُلَ على أَحَدٍ مِنْهُمْ إلَّا بإِذْنِهِ، بل يَسْتَأْذِنُ ثَلاثًا، فإنْ لم يُؤْذَنْ له انْصَرَفَ، وَيُخالِقُ الْجَميعَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ، وَيُعامِلُهُمْ بِحُسْنِ طَرِيقَتِهِ، فإِنَّهُ إنْ أَرادَ لِقاءَ الْجاهِلِ بِالْعِلْمِ، وَالْعامِيِّ بِالْفِقْهِ، وَالْغَنِيِّ بِالْيَسارِ، آذَى وَتَأَذَّى"[1]. كذا في نسخة قونية ورئيس الكتاب ومراد ملا، وهو تصحيف لما ورد في الإحياء: 2/ 192: "وَالْعَيِيِّ بِالْبَيانِ"، وقد رجحنا ما ورد في نسخة أنطاليا لأنه أقرب للصَّواب: "وَالْغَبِيِّ بِالْبَيَانِ"، وإن كان هو كذلك صحف الكلمة الأولى، فعوض الْعَيِيِّ أورد الغبي، فلم نجرؤ على تصحيحها ولكن نبَّهنا إليها.

---

(1) الإحياء: 2/ 192-196.

وبهامشها أيضا طرر أخرى لا ريب أنَّها لعالمين جليلين لم يصرِّحا باسمهما، تتبعا فيها نقول طاش كبري زاده من المصادر، وتعقبا أوهامه، ووجَّها بعض أقواله، وتعرَّضا بالنَّقد لبعضها الآخر، وسنكتفي هنا بإيراد نماذج منها:

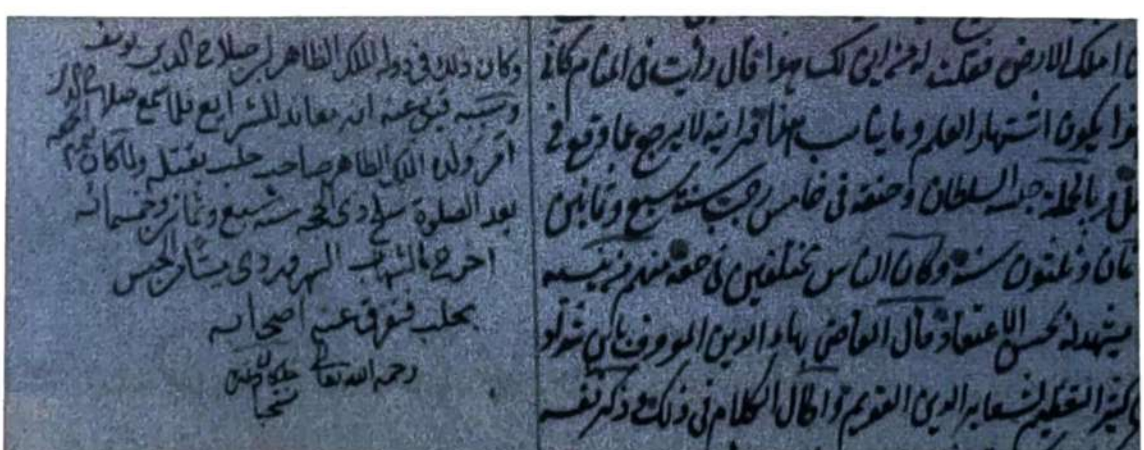
- **الأول**: فيه تنبيهه إلى بعض أوهام طاش كبري زاده في التَّواريخ الَّتي أوردها في كتابه؛ كقوله في ترجمة أبي الفتح المطرِّزي أنَّه ولد سنة ثمان وثلاثين وخمسمئة و"قَرَأَ على الزَّمَخْشَرِيِّ"[1] : "أقول قوله قرأ على الزَّمخشري خطأ؛ لأنَّ المطرِّزي وُلِدَ في السَّنة التي مات فيها الزَّمخشري. قال ابن خَلِّكان وكانت ولادة المطرِّزي في رجب سنة 538هـ بخوارزم، وهو كما قال خليفة الزَّمخشري فإنَّه توفي تلك السَّنة بتلك البلدة. والعجب أنَّ المؤلف سيصرح في هذه الورقة وفي ترجمة الزَّمخشري بسنة ولادته ووفاته كما ذكره ابن خَلِّكان". وهذه صورته:



(1) مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة: 1/ 191.

- **الثاني**: فيه توضيح لأمور اختصرها طاش كبري زاده من مصدر التَّرجمة؛ كذكر سبب قتل الشِّهاب السُّهروردي الَّذي ذكره المصنِّف مختصرا اختصارا شديدا في قوله: "وبالجملة حَبَسَهُ السُّلطان وقتله في خامس رجب سنة سبع وثمانين وخمسمئة"، فكتب المطرِّرُ من كتاب "**وفيات الأعيان**"، لابن خَلِّكان ومن غيره ما يأتي:

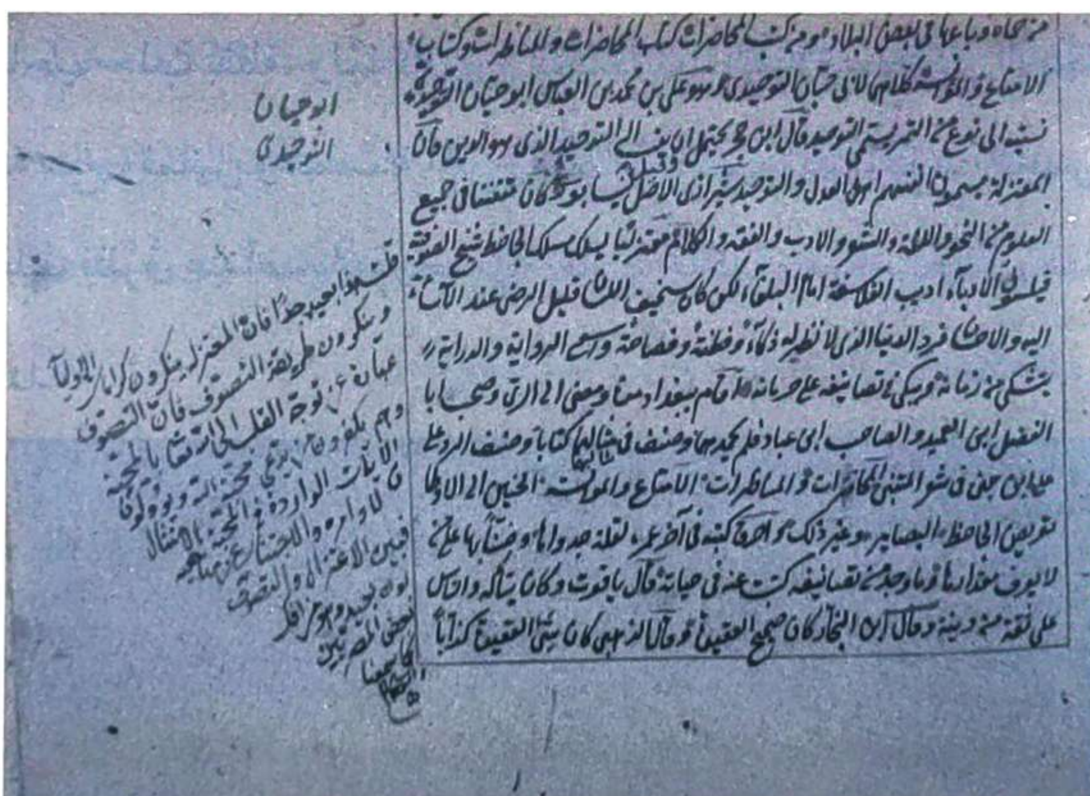
"وكان ذلك في دولة الملك الظَّاهر ابن صلاح الدِّين يوسف، وسببه قيل عنه إنَّه معاند للشَّرائع، فلما سمع صلاح الدِّين أَمَرَ وَلَدَهُ الملك الظَّاهر صاحب حلب بقتله، ولمَّا كان يوم الجمعة بعد الصَّلاة سلخ ذي الْحِجَّة سنة سبع وثمانين وخمسمئة أخرج الشِّهاب السُّهروردي ميِّتًا من الحبس بحلب فتفرَّقَ عنه أصحابه، رحمه الله تعالى. خَلِّكان وغيره منتخبا". وهذه صورته:



- **الثالث**: فيه تعليقٍ على قول طاش كبري زاده في ترجمة أبي حيان التَّوحيدي المنقول من كتاب "**بغية الوعاة في طبقات اللُّغويين والنُّحاة**"، للسُّيوطي (ت.911هـ): "كانَ مُتَفَنِّنًا في جَميعِ الْعُلومِ، من النَّحْوِ واللُّغَةِ

والشِّعْرِ والْأَدَبِ والْفِقْهِ والْكَلامِ، مُعْتَزِلِيًّا، يَسْلُكُ مَسْلَكَ الْجاحِظِ شَيْخِ الصُّوفِيَّةِ ..."، قال: "هذا بعيد جدًّا فإنَّ المعتزلة ينكرون كرامات الأولياء، وينكرون طريقة التَّصوف، فإنَّ التَّصوف عبارة عن توجُّه القلب إلى الله تعالى بالمحبَّة، وهم يكفِّرون من يدَّعي محبَّة الله، ويُؤوِّلون الآيات الواردة في المحبَّة بالامتثال لأوامره والاجتناب عن نواهيه، فبين الاعتزال والتَّصوف بَوْنٌ بعيد، وهو من إفك بعض المصريين كما سمعنا والله أعلم".

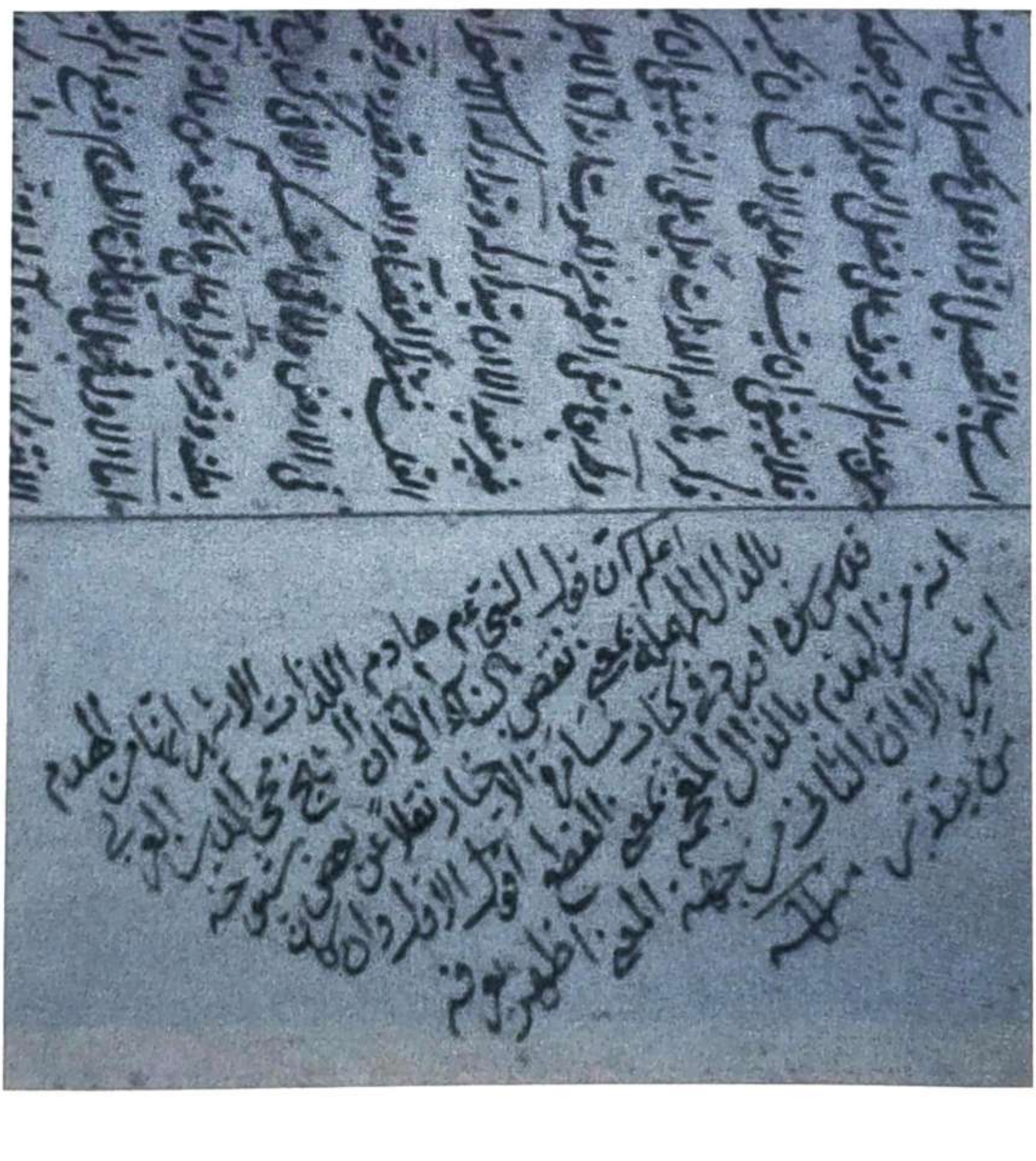
وهذه صورته الخطية:



وأحيانا أخرى يكتفي بإيراد بعض الفوائد التي تدلُّ على التَّتبُّع الدَّقيق لكلمات الكتاب وفهمها، والاطِّلاع الواسع على التُّراث العربي؛ كقوله بعقب إيراد المصنِّف حديث النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ: «أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَادِمِ

اللَّذَّاتِ»: "اعلم أنَّ قول النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلَّم: «هَادِمِ اللَّذَّاتِ»، الأشهر أنَّها من "الْهَدْمِ" بالدَّال المهملة بمعنى نقض البناء، إلَّا أنَّ الشَّيخ محيي الدِّين ابن العربي قُدِّسَ سِرُّهُ أورد في كتاب **"مسامرة الأخيار"** نقلا عن بعض شيوخه إنَّه من "الهذم" بالذال المعجمة بمعنى القطع، أقول: الأول وإن كان أشهر، إلَّا أن الثَّاني من جهة المعنى أظهر، يعرفه من يتدبَّر".

وهذه صورة هذه الفائدة والتَّوجيه اللُّغوي الطَّريف:



أما الطُّرر الَّتي تتعلَّق بتتبع نقول طاش كبرى زاده من المصادر فهي الغالبة على غيرها، وهي في الطَّرف الثَّاني من الكتاب أجلى وأوضح؛ إذ لم يترك نقلا من كتاب "**إحياء علوم الدين**"، للغزالي(ت.505هـ)، دون أن يوثقه بذكر النَّص كاملا، وهذا نموذج من ذلك:



وبالجملة؛ فإنَّ كلَّ طرر هذا الكتاب نافعة ماتعة، وهي قمينة بدراسة مفصَّلة ليس هذا محلَّها.

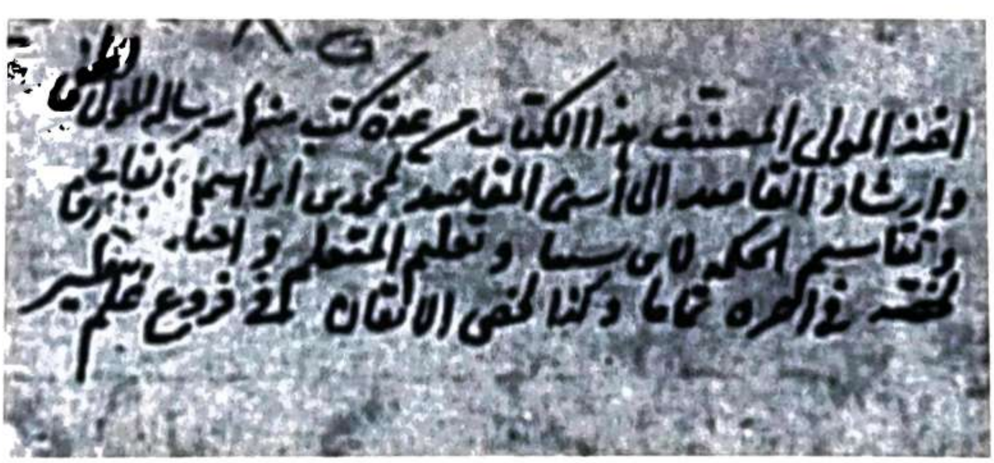
كتبت نسخة أنطاليا بخط تعليق دقيق، داخل إطار بخط أحمر، تتألف من 410 ورقة، مسطرتها: 25، لم نتمكن من فحصها وأخذ مقياسها بسبب تلاشيها، بها تعقيبة أفقية، وثقوب أرضة كثيرة في غلافها وأوراقها، وبها كذلك نسبة عالية من الرُّطوبة تسببت في تلاشيها، وفي أولها تقييد يضم برنامج الكتاب كاملا، وتقييد آخر بيد أحد العلماء الَّذين حشَّوْا الكتاب، ووردت فيه بعض المعلومات عنه؛ إذ كان قاضيا ببغداد، وزار المشهدين في مناسبتين الأولى في رجب سنة 996هـ، والثانية في محرم سنة 997هـ، وحاولنا البحث عنه فلم نجده، وأَثْبَتَ في هذا التَّقييد بطلان ادِّعاء مؤسِّس الدَّولة الصَّفوية إسماعيل بن حيدر بن الجنيد الصَّفوي للشَّرف، وذلك بتتبع دقيق لسلالات النَّسب الشَّريف.

وفي طالعتها لوحة استهلالية عثمانية بأرضية زرقاء وبنِّية، فيها زخارف نباتية بالأحمر والوردي والبني وإطارها مذهب، وفي مواضع كثيرة من النُّسخة ختم وقف بالعثمانية كتب داخله: "هذا وقف شجاع تكه حاجي محمد أغا بن حاجي عثمان سنة 1211هـ". تسفيرها عثماني، جلد أحمر عليه ترنجة موصولة بلوزتين، وهو متلاشي الأركان، رمم كعبه بطريقة تقليدية، وباطن التَّجليد مغلف بورق الإيبرو.

4- نسخة مراد ملا:

محفوظة أيضا بالمكتبة السُّليمانية بإستانبول تحت رقم: 1543، وهي نسخة تامة، غير مؤرخة، تَمَلَّكَها العلامة منقاري زاده يحيى بن القاضي عمر العلائي (ت.1088هـ)[1]، وعليها بعض تعليقاته، وتَمَلَّكَها أحمد بن عبد الرَّحمن الشَّهير بحاليحي زاده، وعليها تملك مشطوب عمدًا للعالم الَّذي طرَّرَ النُّسخة لم نستطع قراءة اسمه، فقد بقي منه ما يأتي: "مما منَّ الله سبحانه وتعالى بفضله على ...".

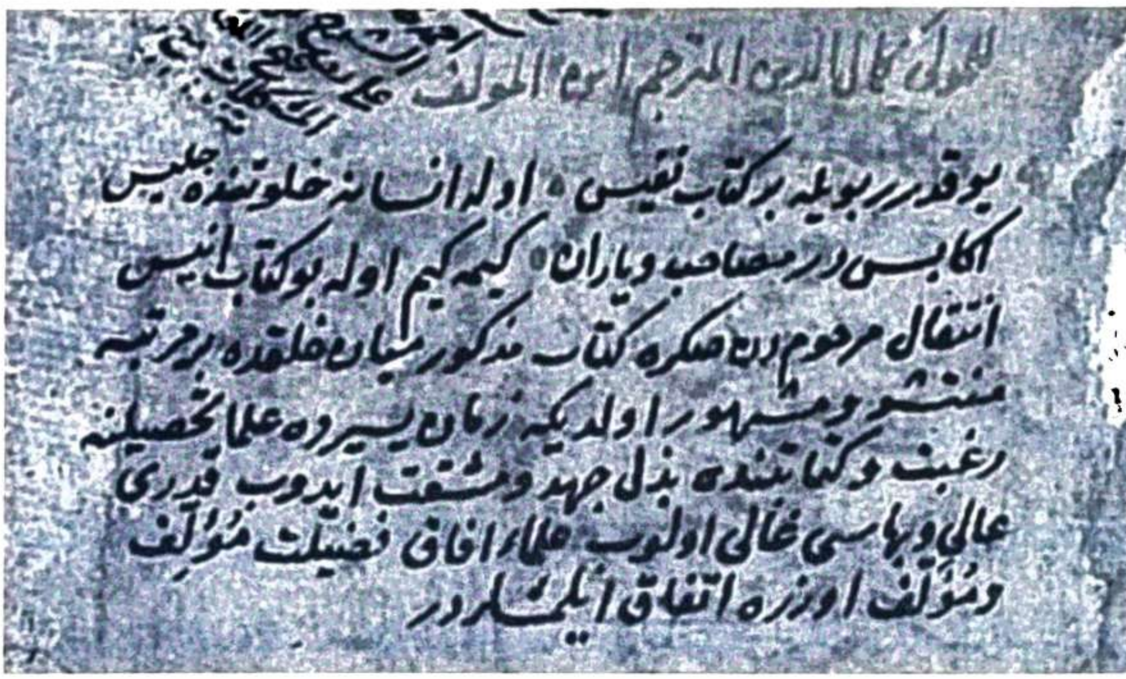
في أولها مجموعة من الفوائد؛ منها فائدة جليلة عن المصادر المعرفية لطاش كبري زاده في هذا الكتاب جاء فيها: "أخذ المولى المصنِّف هذا الكتاب من عدة كتب منها **رسالة للمولى لطفي**، و**إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد**، لمحمد بن إبراهيم الأكفاني. و**تقاسيم الحكمة**، لابن سينا. و**تعليم المتعلم**، و**إحياء علوم الدين**، لخَّصه في آخره تماما. وكذا لخَّصَ **الإتقان في فروع علم التَّفسير**"، وهذه صورته:


اخذ المولى المصنف هذا الكتاب من عدة كتب منها رسالة للمولى لطفي
وارشاد القاصد الى اسنى المقاصد لمحمد بن ابراهيم الاكفاني
وتقاسيم الحكمة لابن سينا وتعليم المتعلم واحياء
لخصه في آخره تماما وكذا لخص الاتقان في فروع علم التفسير

---

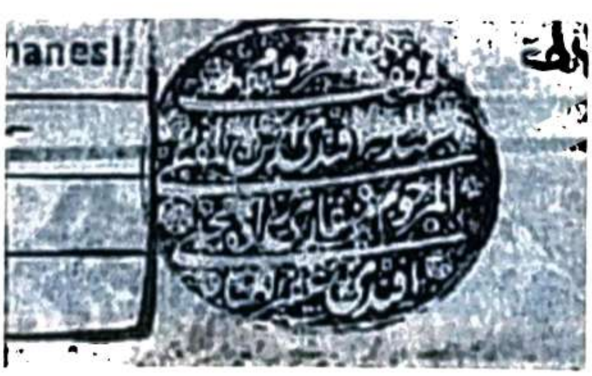
(1) ترجمته في: هدية العارفين: 2/ 533.

وفائدة أخرى خاصة بترجمته، جاء فيها أن ابن المصنِّف كمال الدين: "شرع في ترجمته بحلب حال كونه قاضيا بها سنة 1006هـ، في عصر السُّلطان أحمد خان". أورد بعقبه تقريظا لكتاب جاء فيه:

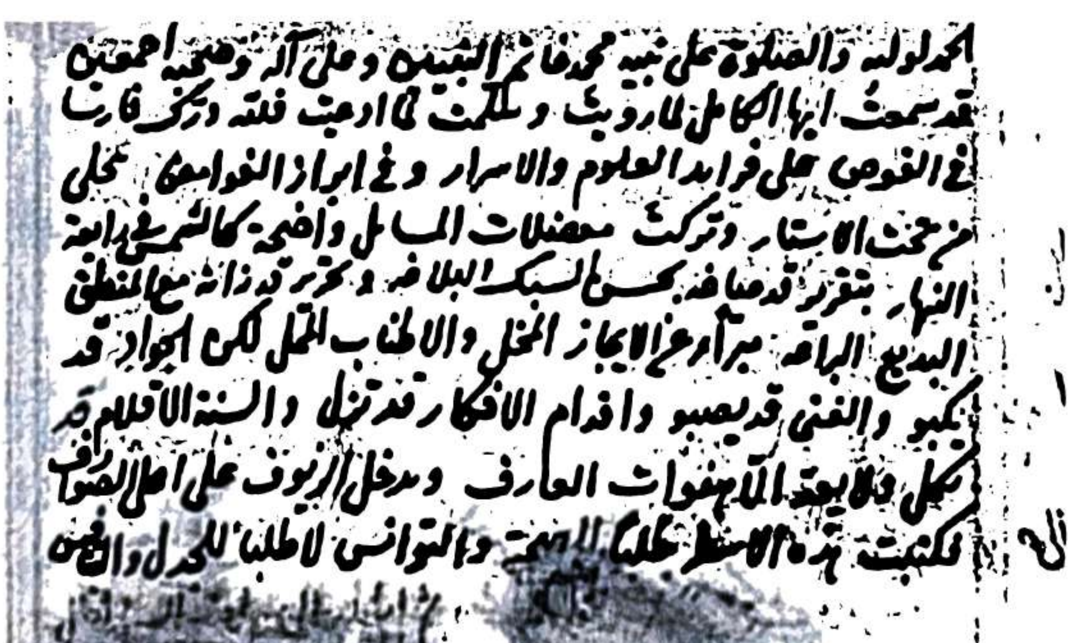

للمولى كمال الدين المترجم ابن المؤلف

بو قدرر بو ليله بر كتاب نفيس ۰ اولا انسانه خلوتنده جليس
اكابره در مصاحب ويارانه ۰ كيمه كيم اوله بو كتاب انيس
انتقال مرحوم ربع مسكره كتاب مذكور بيانه فلقده بر مرتبه
منتشر ومشهور اولديكه زمانه يسيرده علما تحصيلنه
رغبت وكتابتنده بذل جهد ومشقت ايدوب قدري
عالي وبهاسي غالي اولوب علماء آفاق فضيلت مؤلف
ومؤلف اوزره اتفاق ايلمشلردر

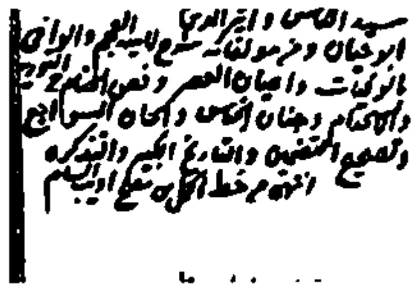
وبعد هذا كتب البرنامج المفصل للكتاب بأرقام الورقات في هذه النسخة، يلي ذلك ختم وقف كتب داخله: "وقف المرحوم عبد الله أفندي ابن المفتي المرحوم منقاري زاده يحيى أفندي غفر الله لهما"، وهذه صورته:



وتقييد آخر لا يقل أهمية عما سبق يبرز جوانب من شخصية المطرر، والأسباب التي دعته إلى تحشية هذا الكتاب، إلَّا أنَّ اسمه كُشِط في آخر التَّقييد، ومما جاء فيه: "الحمد لله والصَّلوات على نبيِّه محمد خاتم النَّبيئين، وعلى آله وصحبه أجمعين، قد سمعتُ أيُّها الكامل لما رَوَيْتَ، وسلَّمتُ لما ادَّعَيْتَ، فلله درُّك فارسًا في الغوص على فرائد العلوم والأسرار، وفي إبراز الغوامض تنجلي من تحت الأستار، وَتَرَكْتَ معضلات المسائل واضحة كالشَّمس في رابعة النَّهار، بتقرير قد صاغه بحسن السَّبْكِ البلاغة، وتحرير قد زانه مع المنطق البديع البراعة، مبرَّأً عن الإيجاز المخلِّ، والإطناب المملِّ، لكنَّ الجواد قد يكبو، والفتى قد يصبو، وأقدام الأفكار قد تزلُّ، وألسنة الأقلام قد تكلُّ، ولا يُعدُّ إلَّا هفوات العارف، وتدخل الزُّيوف على أعلى الصَّوارف، فكتبت هذه الأسطر طلبا للصِّحة والتَّوانس، لا طلبا للجدل والتَّنافس ...". وهذه صورة هذا التَّقييد:


الحمد لله والصلوة على نبيه محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين
قد سمعت أيها الكامل لما رويت وسلمت لما ادعيت فلله درك فارسا
في الغوص على فرايد العلوم والاسرار وفي ابراز الغوامض تجلي
من تحت الاستار وتركت معضلات المسائل واضحة كالشمس في رابعة
النهار بتقرير قد صاغه بحسن السبك البلاغة وتحرير قد زانه مع المنطق
البديع البراعة مبرأ عن الايجاز المخل والاطناب الممل لكن الجواد قد
يكبو والفتى قد يصبو واقدام الافكار قد تزل والسنة الاقلام قد
تكل ولا يعد الا هفوات العارف وتدخل الزيوف على اعلى الصوارف
فكتبت هذه الاسطر طلبا للصحة والتوانس لا طلبا للجدل والتنافس

وقد وجدنا في اللَّوحة 84 من الكتاب في نهاية إحدى الطرر: "انتهى من خط أكمل بن مصلح أديب الشام"، هذه صورته:



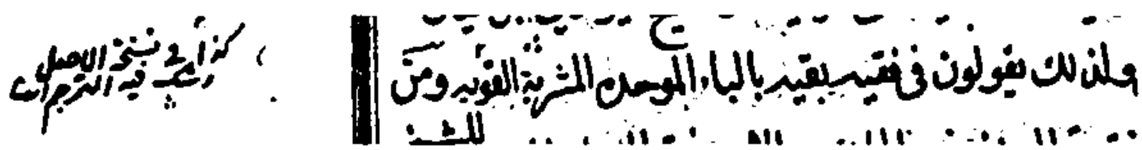
فلا يبعد أن يكون صاحب هذه الطرر، والله أعلم وأحكم.

وتحته تقييد آخر من كلام الشَّريف الجرجاني، نقله صاحب كشف الظُّنون في خاتمة فصل غاية العلوم، جاء فيه: "إذا ترتب على فعل أثر، فذلك الأثر من حيث إنَّه نتيجة لذلك الفعل وثمرته يُسمى: فائدة، ومن حيث إنَّه على طرف الفعل ونهايته يُسمى: غاية، ففائدة الفعل وغايته متَّحدان بالذَّات، ومختلفان بالاعتبار.

ثم ذلك الأثر المسمَّى بهذين الأمرين، إن كان سببا لإقدام الفاعل على ذلك الفعل يسمى بالقياس إلى الفاعل: غرضا ومقصودا، ويسمى بالقياس إلى فعله: علة غائية؛ والغرض والعلة الغائية متَّحدان بالذات، ومختلفان بالاعتبار، وإن لم يكن سببا للإقدام كان فائدة وغاية فقط؛ فالغاية: أعمُّ من الْعِلَّة الغائية. من فوائد السَّيِّد الشَّريف".

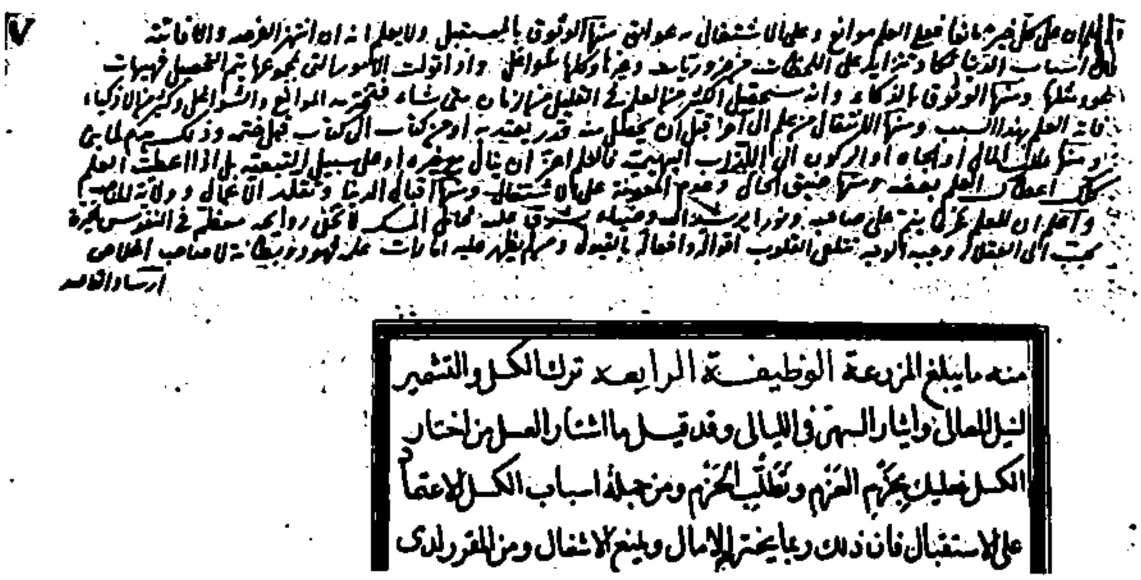
وبهامش هذه النُّسخة تصحيحات كثيرة، تدلُّ على أنَّها قوبلت بأصل صحيح لا يبعد أن يكون أصل المؤلِّف؛ منها قوله في التَّعليق على عبارة

قلقة في الأصل وهي: "ولذلكَ يَقولونَ في فَقيهٍ: بَقِيهٌ، بالباء الْمُوَحَّدَةِ الْمُشْرَبَةِ الْقَوِيَّةِ"[1]، "كذا في نسخة الأصل، وشك فيه المترجم هنا"، وهذه صورته:


ولذلك يقولون في فقيه بقيه بالباء الموحدة المشربة القوية ومن

كذا في نسخة الأصل وشك فيه المترجم

وبهامشها طرر كثيرة أغلبها في تتبع نقول الكتاب من المصادر، وسنكتفي بإيراد نموذج واحد منها، يتتبع فيه المحشي نقول طاش كبري زاده من كتاب: "**إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد**"، لابن الأكفاني (ت.749هـ) فيما يتعلَّق بفضيلة العلم وآداب العالم والمتعلم، هذه صورته:


منه ما يبلغ المرتبة الوظيفة الرابعة ترك الكسل والتشمير
لنيل المعالي وإيثار السهر في الليالي وقد قيل ما شار العمل من اختار
الكسل فليلبث بحكم العزم وتغليب الحزم ومن جملة أسباب الكسل الاعتماد
على الاستقبال فإن ذلك ربما يختم الإهمال ويمنع الاشتغال ومن المقرر لدى

وتعدَّت هذه الطُّرر توثيق متن الكتاب إلى انتقاد أقوال طاش كبري زاده؛ ومن ذلك قوله: "الشُّعْبَةُ الخامسَةُ: في فُروعِ فُروعِ الْعِلْمِ الطَّبيعِيِّ، وفيها عِدَّةُ عَناقِيدَ:

(1) مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة: 1/ 158.

الْأَوَّلُ منها فُروعُ عِلْمِ الطِّبِّ"[1]: "قوله: فروع الطِّبِّ إما أن يريد بالفروع المقاصد للعلم كما فعله في الفراسة والطَّبيعي والتَّفسير، أو يريد ما أُفْرِدَ بالتَّدوين، فعلى الأول صناعة الطِّبِّ تصل إلى ألوف من العلوم، وعلى الثَّاني فلم يستوعب الأقسام، إذ النَّبض والقارورة والحميات والبحران والقولنج والماليخوليا ومنافع الأعضاء وأوزان الأدوية وغير ذلك قد أفردت بالتَّدوين، وقد أخلَّ بذكرها، على أنَّه قد أدخل في الطِّبِّ ما ليس منه؛ كقلع الآثار وعمل المداد".

وقوله أيضا معلِّقا على كلام المصنِّف: "وكُتُبُ التَّشْرِيحِ أَكْثَرُ من أنْ تُحْصَى، ولا أَنْفَعَ من تَصْنيفِ ابْنِ سِينَا، والْإِمامِ الرَّازِيِّ، ورِسالَةٌ لابْنِ هَمَّامٍ، مُخْتَصَرٌ نافِعٌ في الْبابِ"[2]، "أقول: لا يخفى ضعف هذا التَّركيب، على أن الرِّسالة المختصرة المذكورة ليست لابن همَّام، وإنَّما هي لابن جماعة، وقد قرأها ابن همَّام عليه". وهذه صورة منهما:


كأنا عنها بالمرة نسأل الله تعالى الخير في الدنيا والآخرة الشعبة الخامسة
في فروع العلم الطبيعي وفيها عشرون علما الأول منها فروع علم الطب علم
التشريح وهو علم باحث عن كيفية أجزاء البدن وترتيبها من العروق
والأعصاب والغضاريف والعظام واللحم وغير ذلك من أحوال كل عضو
منه وموضوعه أعضاء بدن الإنسان والغرض والغاية والمنفعة ظاهرة وكتب
التشريح أكثر من أن تحصى ولا أنفع من تصنيف ابن سينا والإمام الرازي ورسالة
لابن همام مختصر نافع في هذا الباب والله أعلم علم الكحالة علم باحث عن
كيفية حفظ العين وإزالة أمراضها وموضوعه عين الإنسان والغرض والنفع فيه
لا يخفى وكتاب التذكرة للكحال أنفع كتب هذا الفن ونافع في الغاية علم
الأطعمة والمزورات علم باحث عن كيفية تركيب الأطعمة اللذيذة والنافعة بحسب

---

(1) مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة: 2/ 477.

(2) المصدر نفسه: 2/ 477.

لكنّنا أخرنا هذه النُّسخة عن سابقاتها بسبب السَّقط الكبير الذي وقع فيها، والَّذي يقدر بحوالى أربعين صفحة، من **علم معرفة مفردات القرآن، إلى علم معرفة غرائب التَّفسير**.

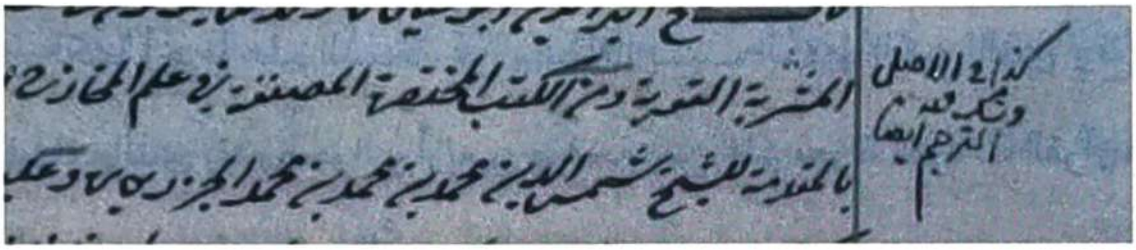
كتبت هذه النُّسخة بخط نسخ حسن بمداد أسود، وكتبت عنوانات الدَّوحات والشُّعَب والمطالب والوظائف بخط أحمر كلُّ ذلك داخل إطار مذهب، وكتبت الطُّرر بخط تعليق دقيق، تتألف من 542 ورقة، مسطرتها 25 سطرا، في طالعتها لوحة استهلالية عثمانية بأرضية زرقاء ومذهبة، داخلها زخارف نباتية بديعة بأكثر من لون، بها تعقيبة، وثقوب أرضة في أطرافها، وفي آخرها فهرس بأسماء الأعلام الَّذين ورد اسمهم في هذا الكتاب.

5- نسخة عاطف أفندي:

محفوظة أيضا بخزانة كتب السُّليمانية تحت رقم: 1938، وهي نسخة تامة، مصححة ومقابلة، وتعدُّ من أهم نسخ الكتاب إلَّا أنَّنا حصلنا عليها في المراحل النِّهائية للعمل، وكنَّا نرجع إليها في مواضع الإشكال، وبينها وبين مراد ملا تشابه كبير من حيث تصحيح المتن، ونكتفي بإيراد مثال واحد على ذلك، وهو التَّعليق على عبارة قلقة في الأصل: "ولذلكَ يَقولونَ في فَقيهٍ: بَقِيهٌ، بالباء الْمُوَحَّدَةِ الْمُشْرَبَةِ الْقَوِيَّةِ"[1] بقوله: كذا في نسخة الأصل، وشك فيه المترجم هنا"، وهو التَّعليق نفسه الذي ورد في مراد ملا، وهذه صورته:

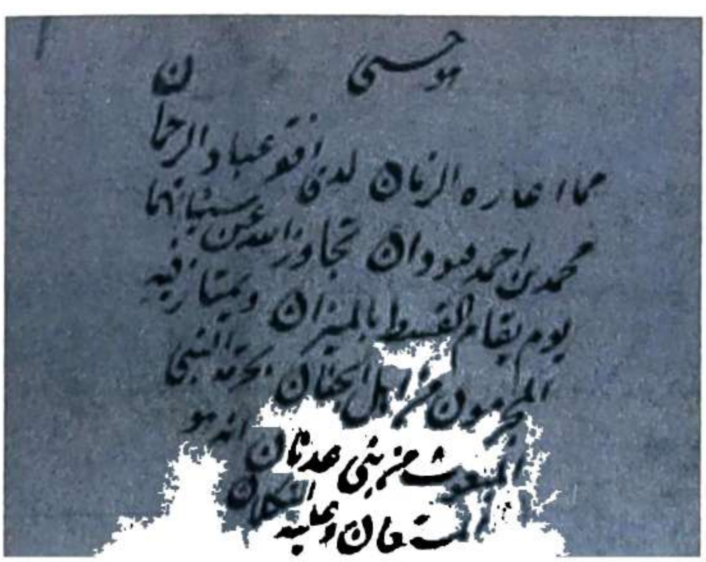
---

(1) مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة: 1/ 158.

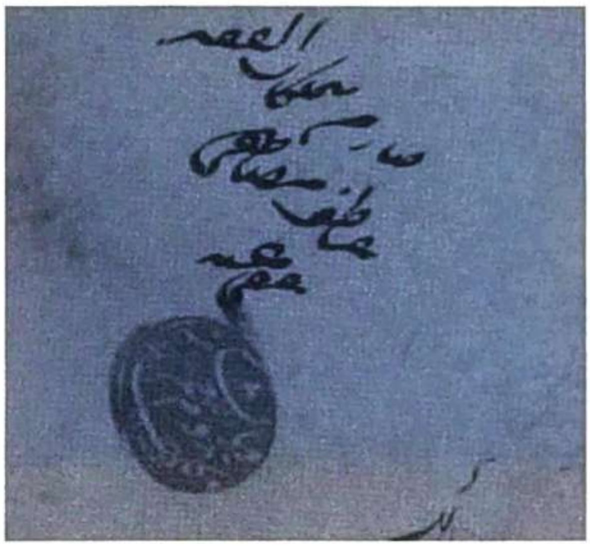


أما السَّقط الكبير الَّذي وقع في نسخة مراد ملا الَّذي أشرنا إليه سابقا فلا يوجد في نسخة عاطف أفندي، وهي مؤرخة، وكاملة، ومصححة، ولو كنَّا حصلنا عليها في المراحل الأولى للعمل لقدمناها على نسخة مراد ملا، وعلى نسخة أنطاليا، لكن المقادير تجري رغم الحرص والتَّدبير.

وفي أولها تقاييد بالعربية والعثمانية؛ منها: عناوين المباحث والتَّراجم والأدعية المهمة الواردة في الكتاب وأرقام ورقاتها، وذكر في أعلى الورقة الموالية عنوان الكتاب، تحته تملُّك جاء فيه: "مما أعاره الزَّمان لدى أفقر عباد الرَّحمن، محمد بن أحمد قبودان، تجاوز الله عن سيئاتهما يوم يُقام القسط بالميزان، ويمتاز فيه المجرمون من أهل الجِنان، بحرمة النَّبيِّ المبعوث من بني عدنان، إنَّه هو المستعان وعليه التّكلان"، وهذه صورته:

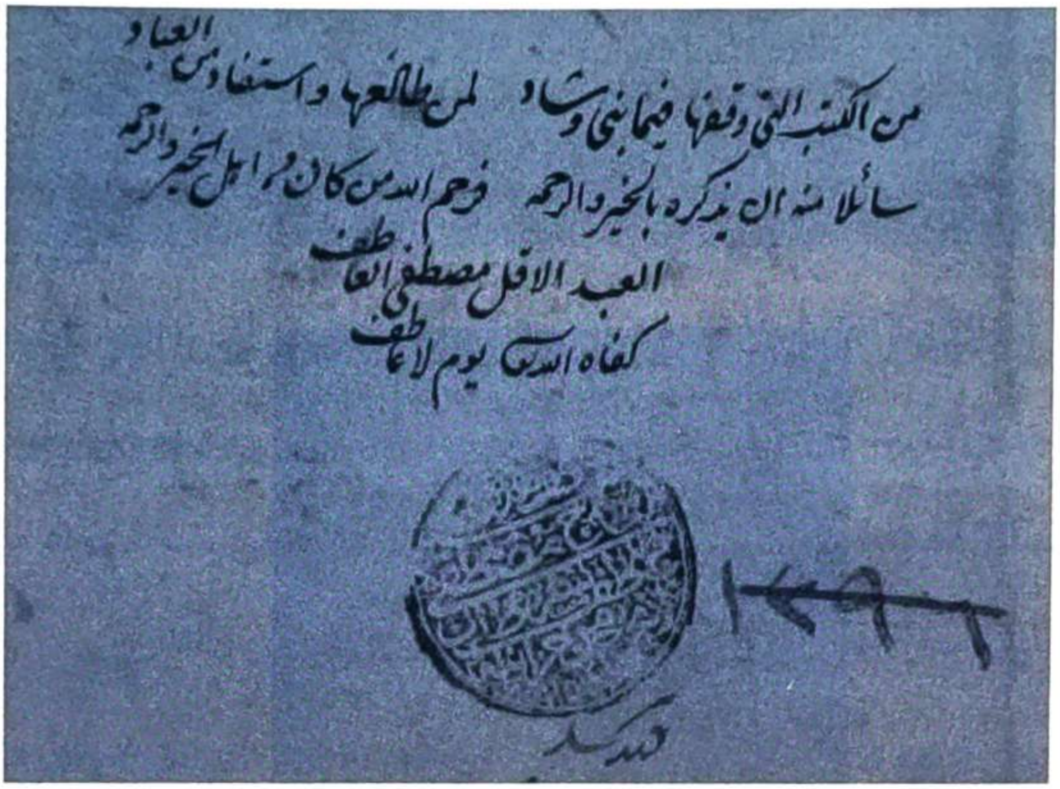

مما أعاره الزمان لدى أفقر عباد الرحمان
محمد بن احمد قبودان تجاوز الله عن سيئاتهما
يوم يقام القسط بالميزان ويمتاز فيه
المجرمون من أهل الجنان بحرمة النبي
المبعوث من بني عدنان انه هو
المستعان وعليه التكلان

وكتب تحته: "صار من ممتلكات الفقير عاطف مصطفى عفى الله عنه". وتحته ختمه الَّذي كتب داخله: "وبالشكر تدوم النِّعم كلُّها"، وهذه صورتهما:



وكتب بعقبه نص تحبيسه لهذا الكتاب الَّذي جاء فيه: "من الكتب الَّتي وقفها فيما بنى وشاد، لمن طالعها واستفاد من العباد، سائلا منه أن يذكره بالخير والرَّحمة، فرحم الله من كان من أهل الخير والرَّحمة، العبد الأقل مصطفى العاطف، كفاه الله تعالى يوم لا عاطف".

وتحته ختم هذا الوقف الَّذي كتب داخله: "وقف هذا الكتاب الحاج مصطفى عاطف بشرط أن لا يخرج من خزانته سنة 1154هـ"، وهذه صورتهما:

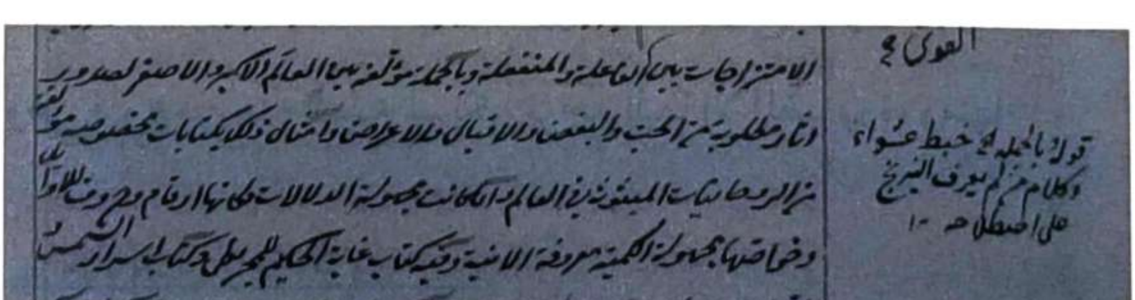


وفي آخرها فهرس مفصل بمحتويات الكتاب بأرقام ورقات هذه النُّسخة.

كتبت بخط تعليق لا بأس به بمداد أسود، وكتبت عنوانات الدَّوحات والشُّعَب والمطالب والوظائف بخط أحمر كلُّ ذلك داخل إطار مذهب، وجاء في تقييد ختامها: "وقع الفراغ من تسويد سطور بياضه، وتحرير نقوش أزهار رياضه، للعبد الضَّعيف العاجز الملهوف الَّذي يقرُّ بما أسلف من تقصيره، ويصرُّ على تخريب عمره وتبذيره، الغريق في بحار عصيانه، المنهمك في قصارى لهوه وطغيانه، الرَّاجي رحمة ربِّه وغفرانه، أضعف عباد الله القوي، الحاجّ محمد بن الحاجّ مصطفى المنجاطي، أحسن الله أحواله، وأنجح آماله، يوم الجمعة التَّاسع من شهر ذي القعدة سنة تسع وتسعين وتسعمئة (999هـ)، ببلدة بورصة، أما الورقة 50 و 51 و 52 فقد

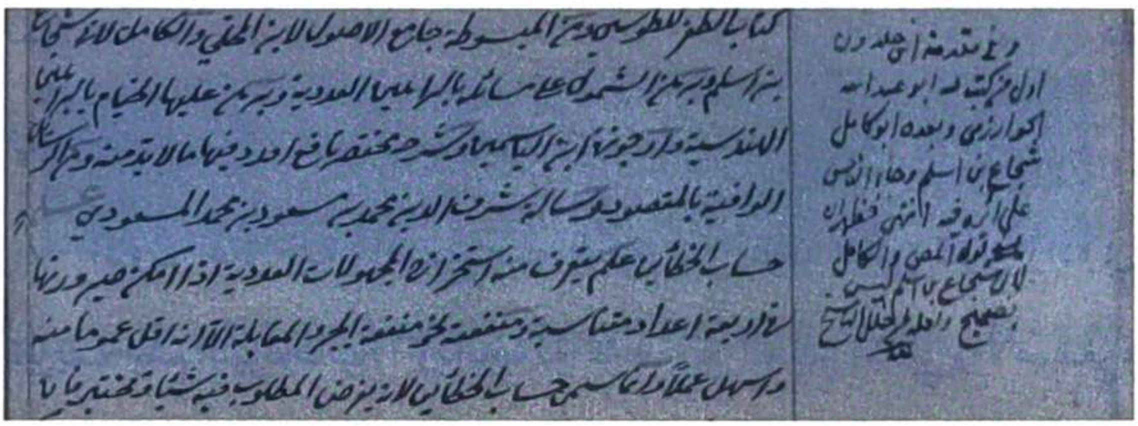
كتبت بخط مغاير لعله تتميم لبتر كان بالنُّسخة، تتألف من 493 ورقة، مسطرتها 25 سطرا، بها تعقيبة، وبلل ورطوبة، ونسبة عالية من الحموضة، سُفِّرَت بجلد بني موصول بلسان، ومؤطر بحبر مذهب، وبهامشها مجموعة من التَّصحيحات والطُّرر النَّافعة؛ في شرح اللُّغة، والتَّعريف بالمصنِّفين والمصنَّفات، وتوثيق الأخبار والنُّقول ونقد بعضها، وسنكتفي بإيراد نموذجين من الصِّنف الأخير من هذه الطُّرر، وهو انتقاده للأفكار الواردة في الكتاب:

- **الأول**: علَّق فيه واضع هذه الطُّرر على قول طاش كبري زاده في تعريف **عِلْمِ النِّيرَنْجاتِ**: "**وَبِالْجُمْلَةِ مُؤَلّفَةٌ** بين الْعالَمِ الْأَكْبَرِ والْأَصْغَرِ، لِصُدورِ آثارٍ مَطْلوبَةٍ من الْحُبِّ والْبُغْضِ، والْإِقْبالِ والْإِعْراضِ، وَأَمْثالِ ذلك، بِكِتاباتٍ مَخْصوصَةٍ مُؤَلَّفَةٍ من الرُّوحانِيَّاتِ الْمَبْثوثَةِ في الْعالَمِ، وإنْ كانَتْ مَجْهولَةَ الدَّلالاتِ، فَكَأَنَّها أَرْقامٌ وحُروفٌ لِلْأوائِلِ، وَخَواصُّها مَجْهولَةُ اللِّمِّيَّةِ، مَعْروفَةُ الْإِنِّيَّةِ"[1]. " بقوله: "وبالجملة ... إلخ، خبط عشواء، وكلام من لم يعرف النِّيرنج على اصطلاحه"، وهذه صورته:


قوله وبالجملة إلخ خبط عشواء وكلام من لم يعرف النيرنج على اصطلاحه

(1) مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة: 2/ 509.

- **والثاني**: ما كتب بإزاء قول المصنِّف: "**جامِعُ الْأُصولِ، لابْنِ الْمُحَلَّى؛ والْكامِلُ لأبي شُـجاعِ بْنِ أَسْـلَمَ**"[1]: "**وفي مقدمة ابن خلدون**: «أول من كتب فيه أبو عبد الله الخوارزمي، وبعده أبو كامل شـجاع بن أسـلم، وجاء النَّاس على أثره فيه»[2]، انتهى. فظهر أنَّ قول المصـنِّف **والكامل لأبي** شجاع بن أسلم ليس بصحيح، ولعله من خلل النَّاسخ"، وهذه صورته:


وفي مقدمة ابن خلدون اول من كتب فيه ابو عبد الله الخوارزمي وبعده ابو كامل شجاع بن اسلم وجاء الناس على اثره فيه انتهى فظهر ان قول المصنف والكامل لابي شجاع بن اسلم ليس بصحيح ولعله من خلل الناسخ

كتاب [illegible] المبسوطة جامع الاصول لابن المحلى والكامل لابي شجاع
بن اسلم [illegible] بالبراهين العددية وبرهن عليها الخيام بالبراهين
الهندسية [illegible] مالا بد منه ومن الرسائل
الوافية بالمقصود رسالة شرف الدين محمد بن مسعود بن محمد المسعودي
حساب الخطائين علم يتعرف منه استخراج المجهولات العددية اذا امكن [illegible]
[illegible] اعداد متناسبة ومنفعته نحو منفعة الجبر والمقابلة الا انه اقل عموما منه
[illegible]

وأبو كامل شـجاع بن أسـلم بن محمد بن شـجاع الحاسـب، من أهل مصر، وكان عالما فاضلا حاسبا، (ت. نحو 340هـ)[3]. وله **كتاب الجبر والمقابلة**، ذكره صاحب "**الفهرست**"، وهو مطبوع.

هذه باختصار أهم المعطيات العلمية والكوديكولوجية الخاصَّة بالنُّسخ الَّتي اعتمدنا عليها أساسا في التَّحقيق، وهناك نسخ أخرى حصلنا عليها، وهي فروع من هذه النُّسخ لم نكن نرجع إليها إلَّا للضَّرورة، ومنها:

---

(1) مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة: 2/ 557.

(2) مقدمة ابن خلدون: 1/ 671.

(3) ترجمته في: الفهرست: 2/ 253، إخبار العلماء بأخبار الحكماء: 180، إرشاد القاصد: 214.

6- نسختا نور عثمانية:

ـ **الأولى**: محفوظة بالسُّليمانية تحت رقم: 4324، وهي نسخة تامة، مصححة، كان الفراغ من نسخها يوم الإثنين 8 محرم الحرام عام 1119هـ، بيد الحاجِّ محمد بن أحمد المدعو بمؤذن زاده، لفائدة العلَّامة المفتي القاضي سبط يحيى أفندي الشهير بمنقاري زاده (ت.1088هـ)، صاحب نسخة رئيس الْكُتَّاب، عليها وقف السُّلطان عثمان الثَّالث بن مصطفى الثَّاني وختمه، وقد رجعنا إليها مرارا أثناء المقابلة.

ـ **والثانية**: محفوظة بالسُّليمانية تحت رقم: 4323، وهي غير مؤرخة، عليها وقف السُّلطان عثمان الثَّالث بن مصطفى الثَّاني وختمه.

7- نسخة بمكتبة أسعد أفندي

محفوظة بالسُّليمانية تحت رقم: 3006، وهي نسخة تامة، مصححة، كان الفراغ من نسخها في 17 ذي الحجة 1107هـ، على يد محمد عبد الصمد بن محمد قاسم بن محمد بن أحمد بن محمد بن حسن بن الشيخ عبد الصمد المفتي، وعليها تملك أسعد أفندي وختمه.

8- نسخة فيض الله أفندي:

محفوظة بالسُّليمانية تحت رقم: 1759، وهي نسخة تامة مصححة، لكنها غير مؤرخة، عليها تملك مفتي السَّلطنة العثمانية عاطف أفندي، وختم وقفه، وعليها تملُّكات أخرى.

9- نسخة الفاتح:

نسخة محفوظة بالسُّليمانية برقم: 4158، وهي نسخة تامة مصححة ومقابلة، كتبت بخط التَّعليق، بيد أحمد المعروف بابن القاضي عمر البولوي في منتصف صفر الخير سنة 1186هـ، عليها تملك محمد راغب زاده، وختم وقف السُّلطان محمد خان.

10- نسخة لاله لي Laleli:

نسخة محفوظة بالسُّليمانية برقم: 1497، نسخة تامة، كتبت بخط التَّعليق، كان الفراغ من نسخها في منتصف ظهر يوم الثلاثاء من شهر ذي القعدة عام 1160هـ، بيد الحاجِّ عبد الرحمن بن الحاجِّ إبراهيم أفندي.

11- نسخة يني جامع:

نسخة محفوظة بالسُّليمانية تحت رقم: 1007، وهي نسخة غير تامة، تقف عند ترجمة جلال الدِّين الرُّومي، كتبت بخط التَّعليق، وهي غير مؤرخة، عليها ختم وقف السُّلطان أحمد خان بن السُّلطان محمد.

12- نسخة حميدية

نسخة محفوظة بالسُّليمانية تحت رقم: 1436، وهي نسخة تامة، كتبت بخط التَّعليق، وهي غير مؤرخة، عليها ختم وقف السُّلطان عبد الحميد.

13- نسخة راغب باشا:

نسخة محفوظة بالسُّليمانية تحت رقم: 1214، وهي تامة، كتبت بخط التَّعليق، وهي غير مؤرخة، عليها ختم وقف راغب باشا كتب داخله: "حسبي الله وحده، وكفى عبده، من الكتب الَّتي وقفها الفقير إلى آلاء ربه ذي المواهب محمد المدعو بين الصُّدور بالرَّاغب، 1175هـ"، في أولها كشَّاف بمحتويات الكتاب.

14- نسخة Millet genel Kütüphanesi:

نسخة أخرى محفوظة تحت رقم: 2551، وهي تامة، مصححة، مكتوبة بخط نستعليق، في أولها وآخرها مجموعة من التَّملُّكات والأختام.

ثانيا: النُّسخ المصريَّة

1- نسخة جامع الأزهر الشَّريف:

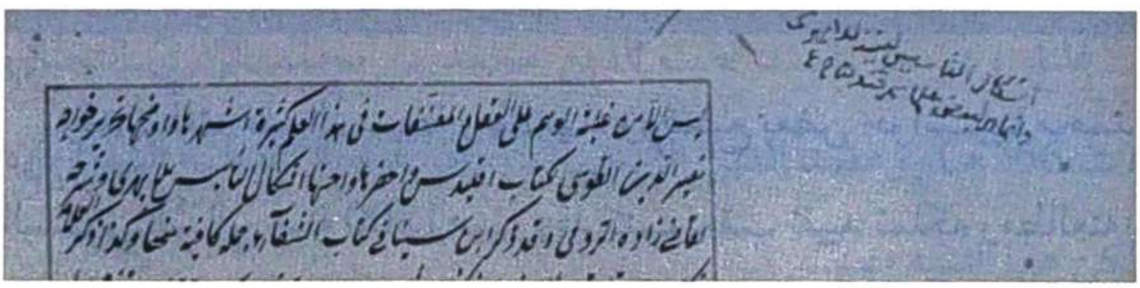
محفوظة بخزانة جامع الأزهر الشَّريف تحت رقم: 4851 معارف عامة، وقد كانت هذه النُّسخة أول نسخة تمكَّنا من الحصول عليها، وقد اعتمدنا عليها في نسخ قسم مهم من متن الكتاب قبل التَّوصل بالنُّسخ الأخرى، وقد

لاحظنا بالمقابلة أنَّها من فروع نسخة رئيس الكتاب، وهي تامة، مصححة ومقابلة، كتبت بخط تعليق دقيق، وافق الفراغ من نسخها شهر شعبان من سنة 1000هـ، على يد الحاجِّ حمزة الشَّيزوري، تتألف من 501 ورقة، مسطرتها: 23 س، بها تعقيبة، وثقوب أرضة، وبعض أوراقها رممت بطريقة تقليدية، تسفيرها حديث، عليه ترنجة وزخارف مضغوطة.

في أولها عنوان الكتاب، كتب بغير خط النَّاسخ جاء فيه: "هذا كتاب موضوعات العلوم لكمال أفندي طاش كبري رحمه الله آمين، محتوٍ على أنواع الفنون"، وصاحب هذا التَّقييد لم يكلِّف نفسه تصفح الكتاب ونقل عنوانه الصَّحيح، وهو يخلط بين **مفتاح السَّعادة**، لطاش كبري زاده الأب، وترجمة ابنه كمال الدين للكتاب إلى العثمانية، يلي هذا التَّقييد الفهرس المفصل للكتاب بأرقام الورقات في النُّسخة، بعده تملك جاء فيه: "حسبي الله لا إله سواه، من كتب العبد الفقير إليه سبحانه محمد بن مصطفى غفر لهما".

طالع هذه النُّسخة ووضع قسما من حواشيها العلَّامة الأديب حسن العطار الأزهري وذلك بثغر الإسكندرية في السَّنة التي توفي فيها وهي سنة 1250هـ وهذه الحواشي تدلُّ على علم الرَّجل وسعة اطِّلاعه، وسنكتفي بإيراد نموذجين منها:

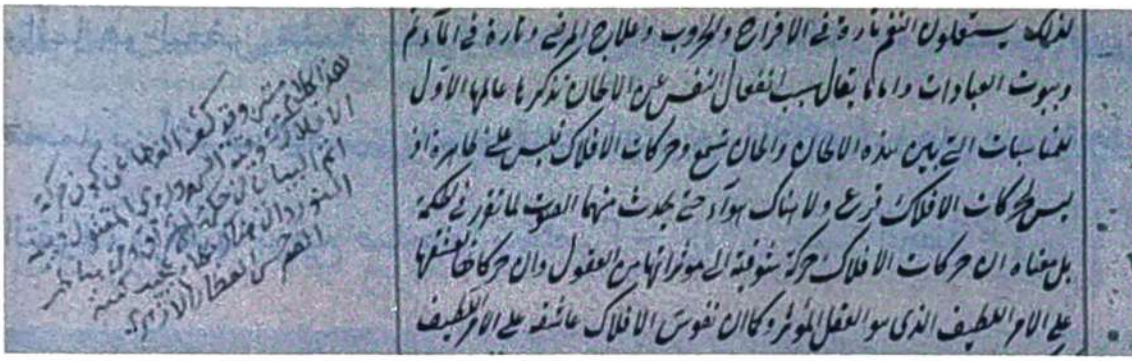
- **الأول**: في إصلاح بعض أوهام طاش كبري زاده في نسبة بعض المصنَّفات إلى أصحابها، فقد نسب كتاب **أشكال التَّأسيس**، للأبهري، فكتب حسن العطَّار بإزائها في الطُّرَّة: "أشكال التَّأسيس ليس للأبهري، وإنَّما هو لبعض علماء سمرقند. حسن العطار". **قلنا**: هو لشمس الدين محمد بن أشرف الحسيني السَّمرقندي (ت.بعد 690هـ)، وهذه صورة هذا التقييد، وبعقبها توقيع صاحبها مختصرا ح.ع، أي حسن العطَّار:



ـ **والثَّاني**: تعليقه على قول طاش كبري زاده: "إِذْ لَيْسَ لِحَركاتِ الْأَفْلاكِ قَرْعٌ، ولا هناكَ هَوَاءٌ، حتَّى يَحْدُثَ منهما الصَّـوْتُ، لِمَا تَقَرَّرَ في الْحِكْمَةِ، بل مَعْناهُ أنَّ حَرَكاتِ الْأَفْلاكِ حَرَكَةٌ شَـوْقِيَّةٌ إلى مُؤَثِّراتِها من الْعُقولِ، وأنَّ حَرَكاتِها لِعِشْـقِها على الْأَمْرِ اللَّطِيفِ الَّذِي هو الْعَقْلُ الْمُؤَثِّرُ، وكما أنَّ نُفوسَ الْأَفْلاكِ عاشِقَةٌ على الْأَمْرِ اللَّطيفِ، فكذلكَ نُفوسُ الْإِنْسانِ عاشِقَةٌ على الأمورِ اللَّطِيفَةِ الْمَوْزونَةِ، فإذا رأتِ النَّفْسُ صورَةً حَسَنَةً، أو سَمِعَتْ صَـوْتًا حَسَـنًا تَتَذَكَّرُ عالَمَ الْعُقولِ، فَتَنْبَسِـطُ لها، وَتَنْشَـرِحُ لِأَجْلِها، وَتَرْتاحُ لِاسْـتِماعِها، كَارْتِياحِ الْأَفْلاكِ لِلْأَمْرِ اللَّطيفِ"[1]. بقوله: "هذا كلام متين،

(1) مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة: 2/ 526.

وقد كشف الغطاء عن كون حركة الأفلاك شوقيَّة السُّهرورديُّ المقتول، وبيَّنه أتمَّ بيان في "**حكمة الإشراق**" و"**هياكل النُّور**"، وأتى هناك بكلام عجيب". كتبه الفقير حسن العطَّار الأزهري. وهذه صورته:


لذلك يستعملون النغم تارة في الأفراح والحروب وعلاج المرضى وتارة في المآتم
وبيوت العبادات وإنما تفعل بسبب انفعال النفس عن الألحان تذكرها عالمها الأول
للمناسبات التي بين هذه الألحان وألحان تسمع من حركات الأفلاك تلبس على ظاهره إذ
ليس لحركات الأفلاك قرع ولا هناك هواء حتى يحدث منها الصوت لما تقرر في الحكمة
بل معناه أن حركات الأفلاك حركة شوقية إلى مؤثراتها من العقول وأن حركاتها عشقها
على الأمر اللطيف الذي هو العقل المؤثر وكأن نفوس الأفلاك عاشقة على الأمر اللطيف

وقد تملَّك هذه النُّسخة وطالعها، ووضع بعض حواشيها محمد البسيوني السَّالي سنة 1300هـ، وقد كتب بعقب تقييد تملُّكِه ومطالعته:

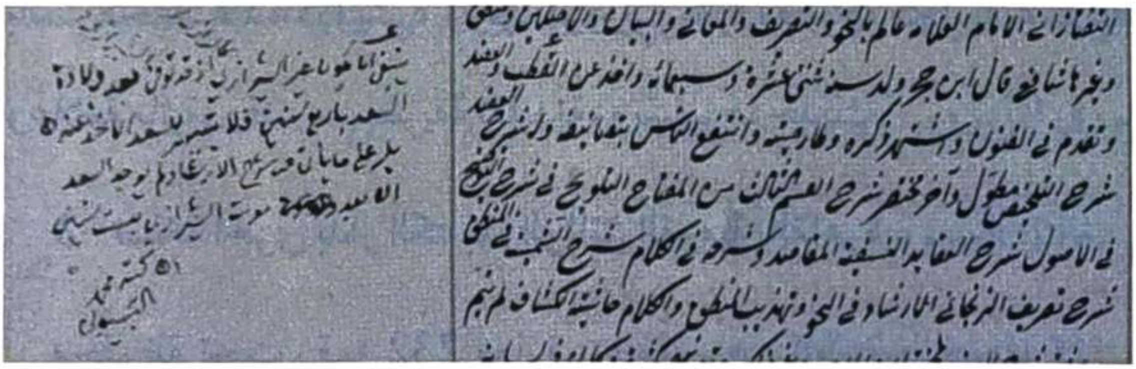
[الكامل]

إنَّ الْكِتابَ كَابْنِ آدَمَ لم تَزَلْ تَجْرِي على صَفَحاتِهِ الْأَقْلامُ

ونكتفي بإيراد نموذج واحد من طرره، وهو تعليقه على قول طاش كبري زاده في ترجمة السَّعد التَّفتازاني: "**وُلِدَ سنةَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وسبعمئةٍ، وَأَخَذَ عن الْقُطْبِ والْعَضُدِ**"[1] فكتب بإزائه: "ينبغي أن يكون غير الشِّيرازي الرَّازي، إذ توفي الشِّيرازي بعد ولادة السَّعد بأربع سنين فلا يتيسَّر للسَّعد الأخذ عنه، انتهى. بل على ما يأتي من شرح الإرشاد لم يوجد السَّعد إلَّا بعد موت

(1) مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة: 1/ 282.

الشِّيرازي بست سنين". انتهى كتبه محمد البسيوني. وهذه صورته، وبعقبها توقيعه:



قلنا: وهو هنا يقصد قُطْبَ الدِّينِ محمَّد بن محمَّد الرَّازيّ التَّحتاني (ت.766هـ)، وعضد الدين الإيجي (ت.756هـ)، لا القطب الشيرازي، لكن هذا التَّنبيه مهم.

2- نسخة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة:

محفوظة تحت رقم 17 معارف عامة، وهي نسخة تامة، مصححة، كتبت بخط مشرقي غير منضبط بحبر أسود، مع التَّسطير على بعض العبارات والكلمات في المتن بالأحمر، ولم يرد فيها بيانات عن النَّاسخ وتاريخ النَّسخ، تتألف من 361 ورقة، مقياسها: 39×18 سم، مسطرتها: 27 س، بها تعقيبة مائلة، وأثر بلل، ورطوبة شديدة، وفيها نسبة لا يُستهان بها من الحموضة، في أولها خمس ورقات بيض، يليها خمس أوراق أخرى كتب فيها فهرس لمحتويات الكتاب، وكتب في سافلتها: موضوعات العلوم، وبهامشها بعض الطُّرر، وفي أولها تملك جاء فيه: "مما ساقه سابق التَّقدير،

إلى سلك ملك الفقير، إلى رحمة ربِّه القدير، محمد بن سفر الوزير، واليا بأرض روم، حُميت عن الهموم والغموم"، وعليها ختمه، وعليها ختم آخر باسم محمد عبده درويش، ورقها أوروبي عليه خطوط متوازية عمودية وعلامة مائية، وقد رمم بطريقة تقليدية، وتسفيرها حديث.

3- نسخة أخرى بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة:

محفوظة تحت رقم: 232 معارف عامة، وهي تامة، مصححة، كتبت بخط مشرقي نسخ، بحبر أسود، مع استعمال الأحمر لكتابة عنوانات الدَّوحات والشُّعَب والمطالب والوظائف، والتَّسطير على بعض الكلمات في المتن، كان الفراغ من نسخها بيد خليل بن محمد بن عمر الحاني سنة 1090هـ، كتبت داخل إطار بخطين أحمرين، وفي أولها لوحة استهلالية عثمانية ملونة ومذهبة، كتب داخلها البسملة بخط الثلث بحبر مذهب، تتألف من 449 ورقة، مقياسها: 29،5×14،5 سم، مسطرتها: 29 س، بها تعقيبة مائلة، وأثرُ بللٍ، ورطوبة شديدة، وفيها نسبة لا يُستهان بها من الحموضة، في أولها خمس صفحات ورد فيها فهرس لمحتويات الكتاب، وأبيات شعرية وفوائد متفرقة معظمها بالعربية، وفي آخرها أبيات شعرية بعضها بالعربية وبعضها الآخر بالتركية، وفوائد متفرقة، وكتب في سافلتها: موضوعات العلوم، وفي أولها تملك باسم أبي محمد بيرام عيدي بن مصطفى المررتصولي، وتملك آخر مكشوط.

ورقها أوروبي عليه خطوط متوازية عمودية وعلامة مائية، وقد رممت هذه النسخة بطريقة تقليدية، وتسفيرها أصلي مشرقي، جلد بني موصول بلسان، تتوسطه ترنجة مضغوطة عليها زخارف نباتية، وقد غلف باطنه بورق الإيبرو.

ثالثا: السعودية

1- نسخة المكتبة المحمودية:

محفوظة تحت رقم: 2565، وهي نسخة تامة، مكتوبة بخط مشرقي نسخ يمني، بحبر أسود مع استعمال الأحمر لكتابة الدَّوحات والشُّعَب والأصول والوظائف والمطالب، وبعض الكلمات في المتن، وقد غطي تاريخ النَّسخ واسم النَّاسخ بقطعة ورق حديثة، وكتب تاريخ النَّسخ بطريقة حساب الْجُمَّلِ، وتمكَّنَّا من قراءته، أما النَّاسخ فهو سعيد تمان، وتاريخ النَّسخ هو 7 شوال عام 1146هـ، تتألف من 282 ورقة، مقياسها: 33×22، مسطرتها: 29 س، في أولها فهرس بمحتويات الكتاب، وتقاييد وفوائد بعضها مشطوب تتضمن معلومات عن واضع الحواشي الكثيرة النَّافعة الموجودة بهامش هذه النُّسخة، وجلُّها في تخريج الأحاديث والآثار، بعضها بيد النَّاسخ سعيد تمان، وبعضها بتوقيع الزين بن عبد الخالق، وعليها فائدة أخرى حول صحة أداء صلاة الجمعة. وتقييد في الطَّالعة حول عقيدة طاش كبري زاده جاء فيه: "مؤلِّف هذا الكتاب أشعريُّ العقيدة كما

يُعلم من كلامه في علم آداب الملوك، بل هو إمام يُقتدى به في حسن العقيدة"، وفي أسفل الورقة ختم وقف جاء فيه: "وقف كتبخانه المدرسة المحمودية في المدينة المنوَّرة". تملك هذه النُّسخة محمد بن عبد الخالق المرجاحي، ومحمد صدِّيق عبد الواحد.

2- نسخة عارف حكمت بمكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنوَّرة:

محفوظة تحت رقم: 3957، وهي نسخة تامة مكتوبة بخط مشرقي نسخ، بحبر أسود مع استعمال الأحمر لكتابة عنوانات الدَّوحات والشُّعَب والوظائف والمطالب، داخل إطار مذهب، وفي طالعتها لوحة استهلالية عثمانية مزخرفة مذهبة، كان الفراغ من نسخها في سنة 1167هـ، على يد محمد وهبي، تتألف من 335 ورقة، مقياسها: 30×18،5، مسطرتها: 31 س، في أولها فهرس بمحتويات الكتاب، وعليها ختم يضم وقف أحمد عارف حكمت جاء فيه: "مما وقفه العبد الفقير إلى ربه الغني أحمد عارف حكمت بن عصمت الله الحسيني، في مدينة الرَّسول الكريم، عليه وعلى آله الصَّلاة والتَّسليم، بشرط ألا يخرج عن خزانته، والمؤمن محمول على أمانته 1266هـ".

رابعا: تونس

حصلنا منها على النُّسخة رقم: 5207، وهي محفوظة بالمكتبة الوطنية التُّونسية، في أولها: منظومة "**تحفة المودود في المقصور والممدود**"، لابن

مالك النَّحوي، وهي منظومة همزية في اللُّغة، ذات حمولات إشارية، تزيد عن ستِّين ومئة بيت، أورد فيها ناظمها المفردات الممدودة والمقصورة في اللُّغة العربية، ومطلعها: [الطويل]

بدأت بحمد الله فهو ثناء ... وللنُّطق منه بهجة وبهاء

وبعد فإنَّ القصر والمدَّ من يُحِط ... بعلمهما تَسْتَسْنِهِ النُّبهاء

والكتاب الثَّاني في المجموع هو نسخة "**مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة**"، وهي تامة، كتبت بخط نسخ يمني، كان الفراغ من نسخها ضحوة يوم الإثنين لتسع بقين من شوال آخر شهور سنة 1157هـ، على يد عبد العزيز بن حسن اليمني الحنفي، تتألف من 174 ورقة، مسطرتها 31 س، بها تعقيبة أفقية، وتملُّكات كثيرة في أولها منها تملُّك النَّاسخ وختمه، وعليها تملُّكُ الحاجِّ محمد بن محمد القرني سنة 1197هـ، ثم تملَّكها محمد بيرم الرَّابع سنة 1265هـ بالشِّراء من أبي عبد الله محمد ابن الشيخ السَّنوسي، ثم اشتراها من ورثته السَّيِّد الوزير خير الدِّين 1285هـ، وحبَّسها على جامع الزَّيتونة سنة 1292هـ.

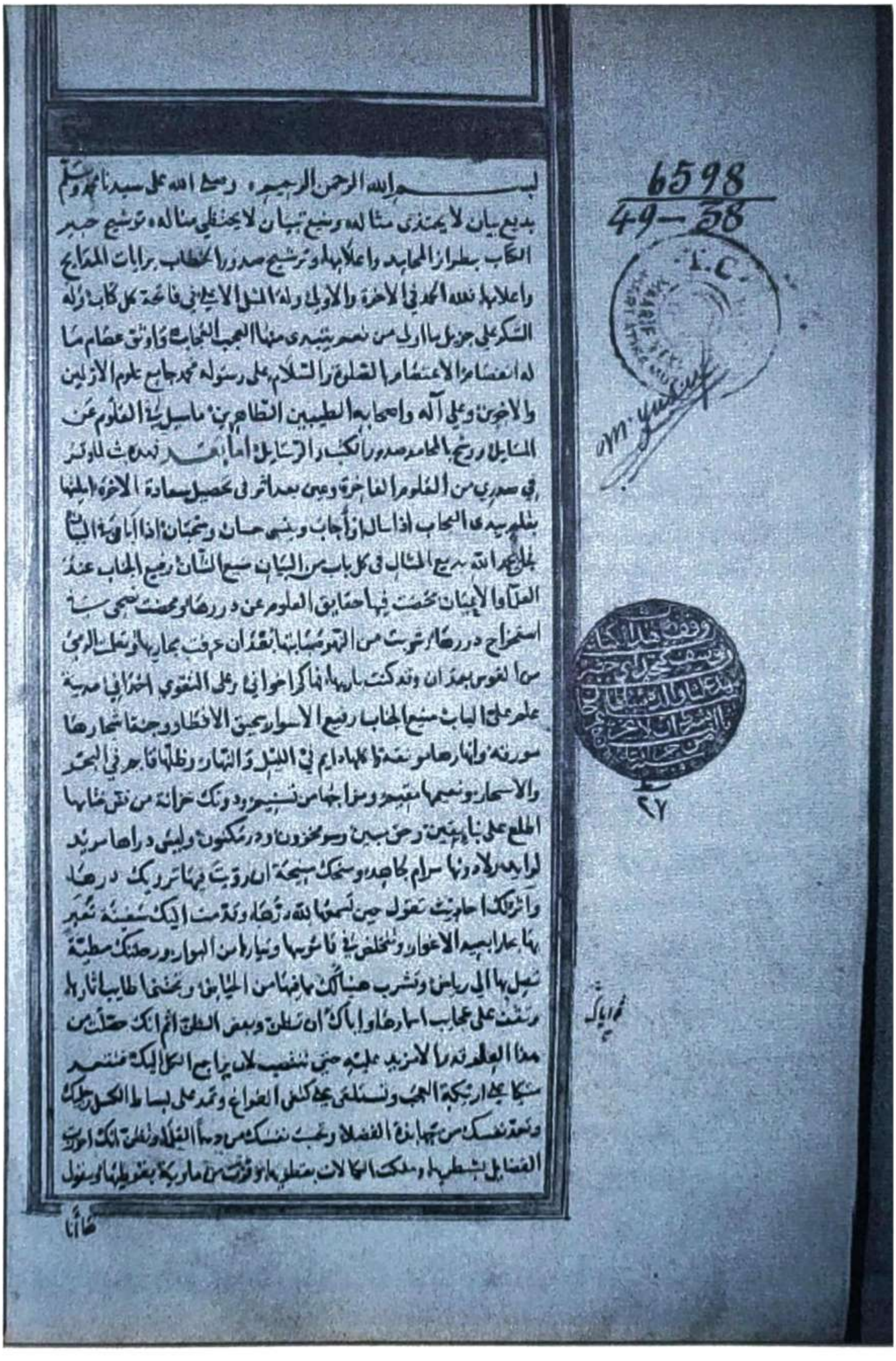
خامسا: سوريا

نسخة المكتبة الظَّاهرية سابقا، الَّتي ضُمَّت إلى مكتبة الأسد الوطنية حاليا، محفوظة تحت رقم: 3457، كتبت بخط نسخ يمني، تاريخها غير واضح لعله: "كان الفراغ من نسخها في 10 ربيع الأول من عام 1150هـ،

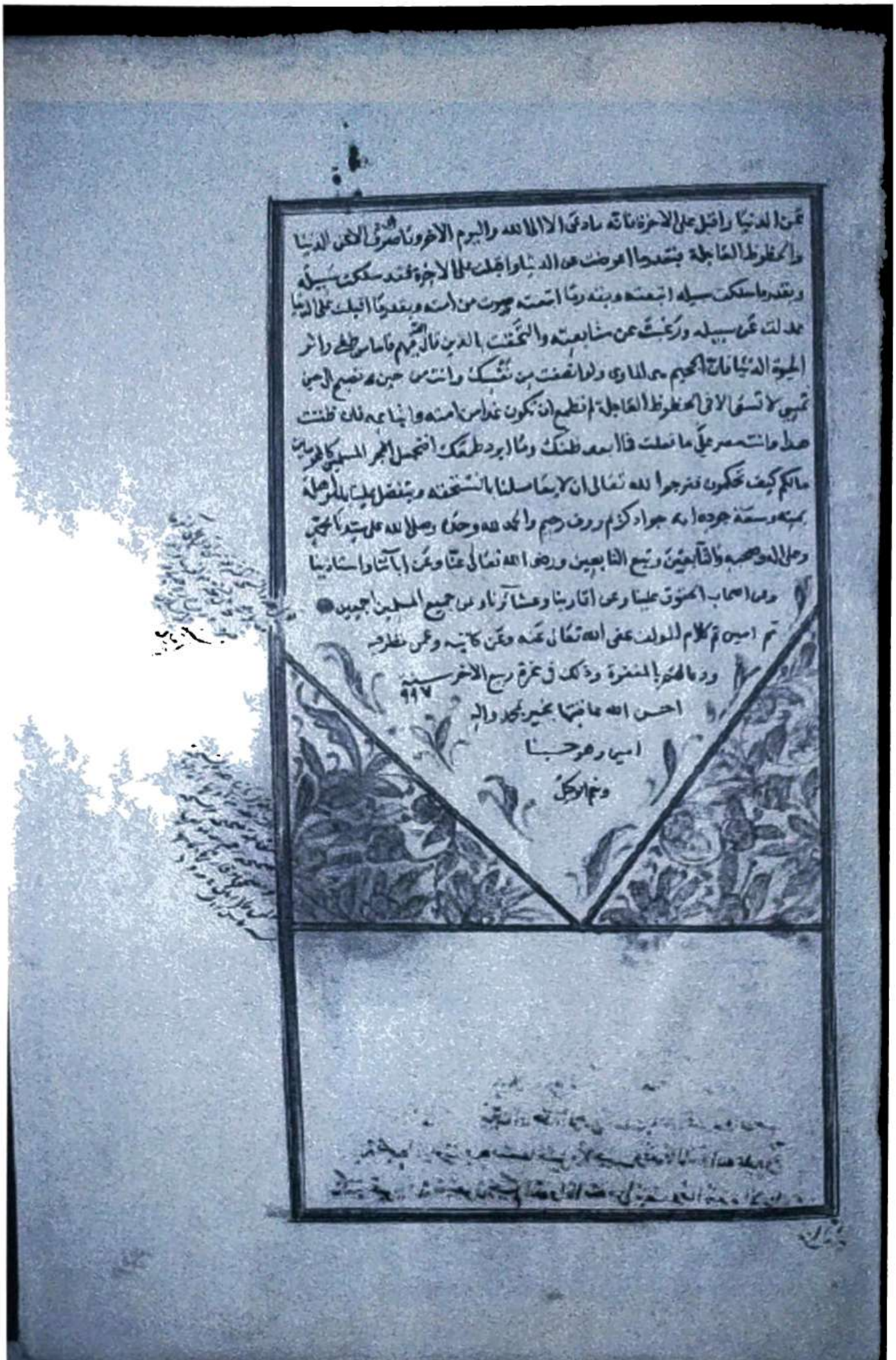
على يد عبد الله بن أحمد بن أبكر الملان"، تتألف من 195 ورقة، مسطرتها 35 س، بها تعقيبة مائلة، وثقوب أرضة كثيرة رُممت بطريقة تقليدية، في أولها قسم من برنامج الكتاب والأعلام المترجمين، وفي الورقة الَّتي تليه ترجمة كمال الدِّين ابن طاش كبري زاده من كتاب **"فوائد الارتحال ونتائج السَّفر في أخبار القرن الحادي عشر"**، وقد قابلناها بترجمته في الكتاب المطبوع فوجدنا أنَّها تختلف عنها اختلافا كبيرا، يليها ورقة العنوان، وفيها مجموعة من الفوائد؛ منها كيفيَّة ضبط لفظ "كبري" منقول من كتاب **"نفحة المندل في مناقب الأهدل"**، وعليها تملُّكات كثيرة أغلبها مشطوب.

أما نسختا مكتبة الأمبروزيانا بميلانو بإيطاليا، ورقم حفظهما 331 و5795، ونسخة الفاتيكان، فلم نتمكن من الحصول عليها رغم محاولاتنا المتكررة، ورغم وساطة مجموعة من الفضلاء، وكذلك الشَّأن بالنِّسبة إلى نسخة مكتبة فيينا، ونسخة مكتبة ليدن، ونسخة المكتبة الوطنية بالجزائر، لكن في النُّسَخِ الَّتي اعتمدناها كفايةٌ، لأنَّها كما أوضحنا لها صلة وثيقة بأصل المؤلِّف، وقد بذلنا الْوُسْعَ والطَّاقة في حسن تحقيق متنها وضبطه وتوثيقه، ونسأل الله سبحانه أن نكون قد وُفِّقنا في ذلك، كما نسأله عزَّ وجلَّ أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتنا وحسنات مؤلِّفه يوم القيامة. آمين والحمد لله رب العالمين.

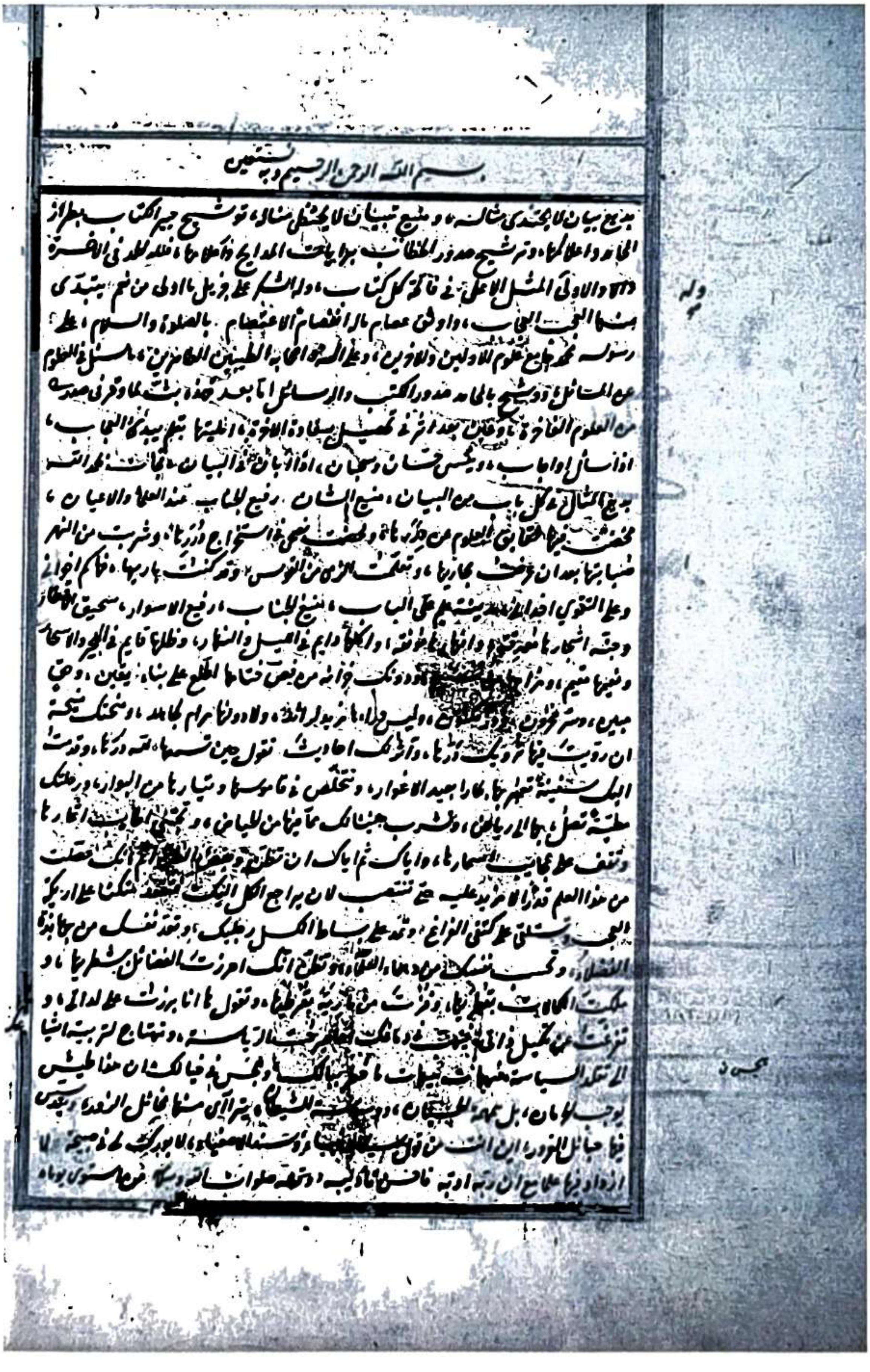
12- نماذج من النسخ الخطية للكتاب:



الورقة الأولى من نسخة قونية.

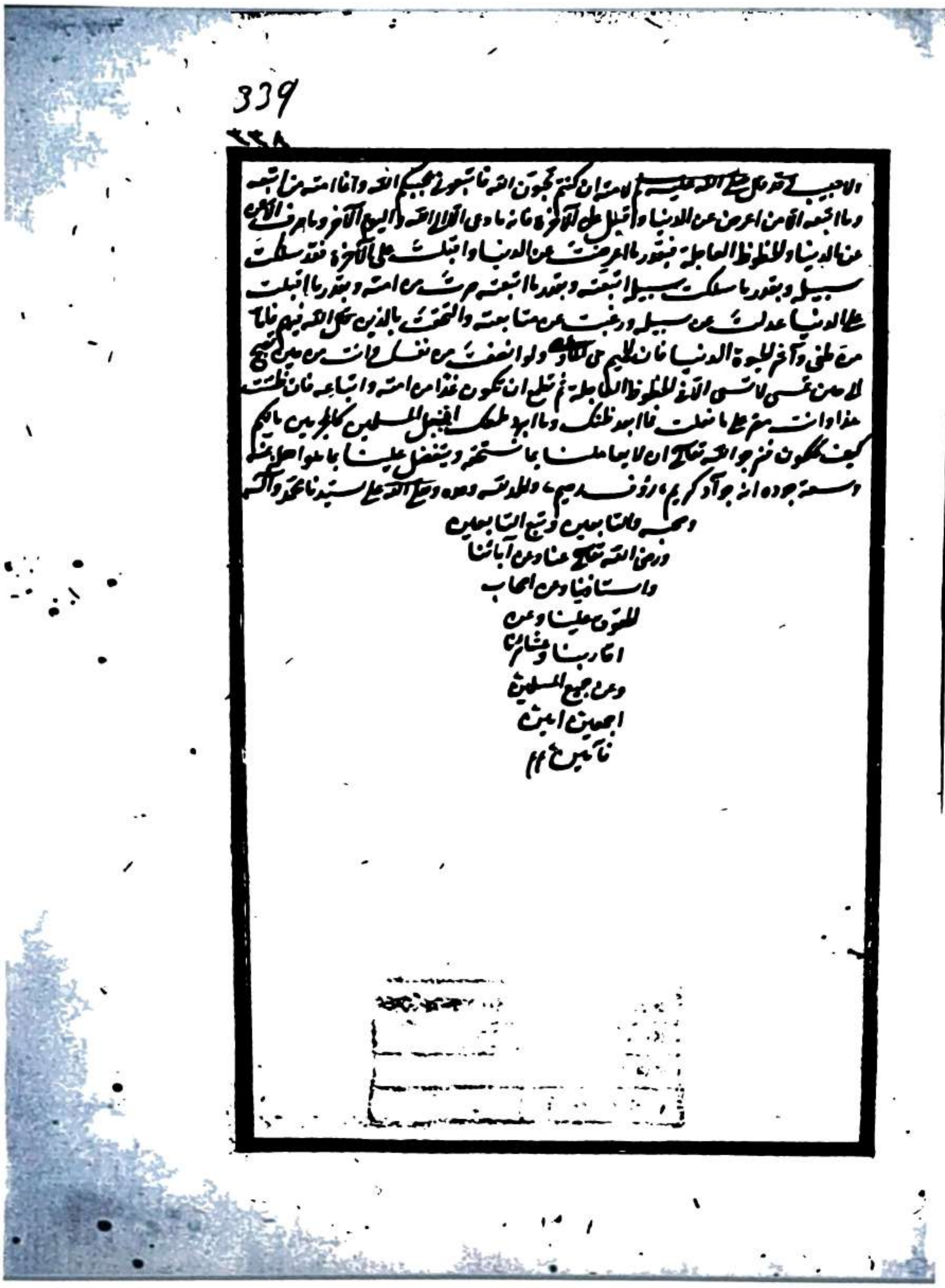

عن الدنيا واقبل على الآخرة فانه ما دعى الا الى الله واليوم الآخر وما صرف الا عن الدنيا
والحظوظ العاجلة بتعديها اعرضت عن الدنيا واقبلت على الآخرة فقد سلكت سبيله
وبقدر ما سلكت سبيله اتبعته وبقدر ما اتبعته صرت من امته وبقدر ما اقبلت على الدنيا
عدلت عن سبيله ورغبت عن متابعته والتحقت بالذين قال الله فيهم فاما من طغى وآثر
الحيوة الدنيا فان الجحيم هي المأوى ولو انصفت من نفسك وانت من حين تصبح الى حين
تمسي لا تسعى الا في الحظوظ العاجلة ثم تطمع ان تكون غدا من امته واتباعه فما اظنك
هذا وانت مصر على ما فعلت فما ابعد ظنك وما ابرد طمعك افنجعل المسلمين كالمجرمين
ما لكم كيف تحكمون فنرجوا الله تعالى ان لا يخلينا من شفاعته ويتفضل علينا بالمرحلة
بمنه وسعة جوده انه جواد كريم رؤف رحيم والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه والتابعين وتبع التابعين ورضي الله تعالى عنا وعن آبائنا واستاذينا
وعن اصحاب الحقوق علينا وعن اقاربنا وعشائرنا ومن جميع المسلمين اجمعين
تم امين تم كلام المؤلف عفى الله تعالى عنه وعن كاتبه وعن ناظره
ودام الحرم المنورة وذلك في غرة ربيع الآخر سنة ٩٩٧
احسن الله عاقبتها بخير بمحمد وآله
امين وهو حسبنا
ونعم الوكيل

الورقة الأخيرة من نسخة قونية.



بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

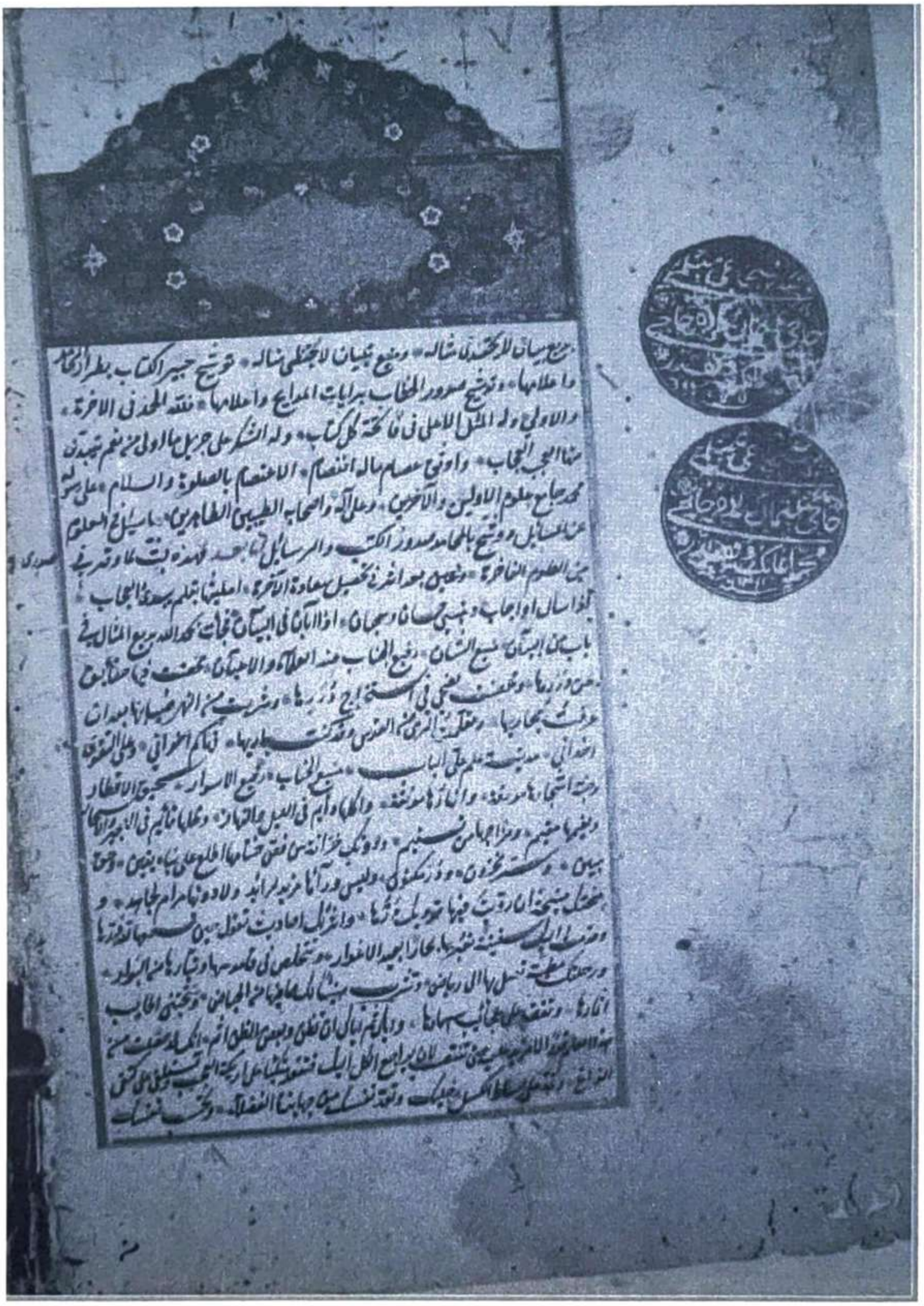
الورقة الأولى من نسخة رئيس الكُتّاب.



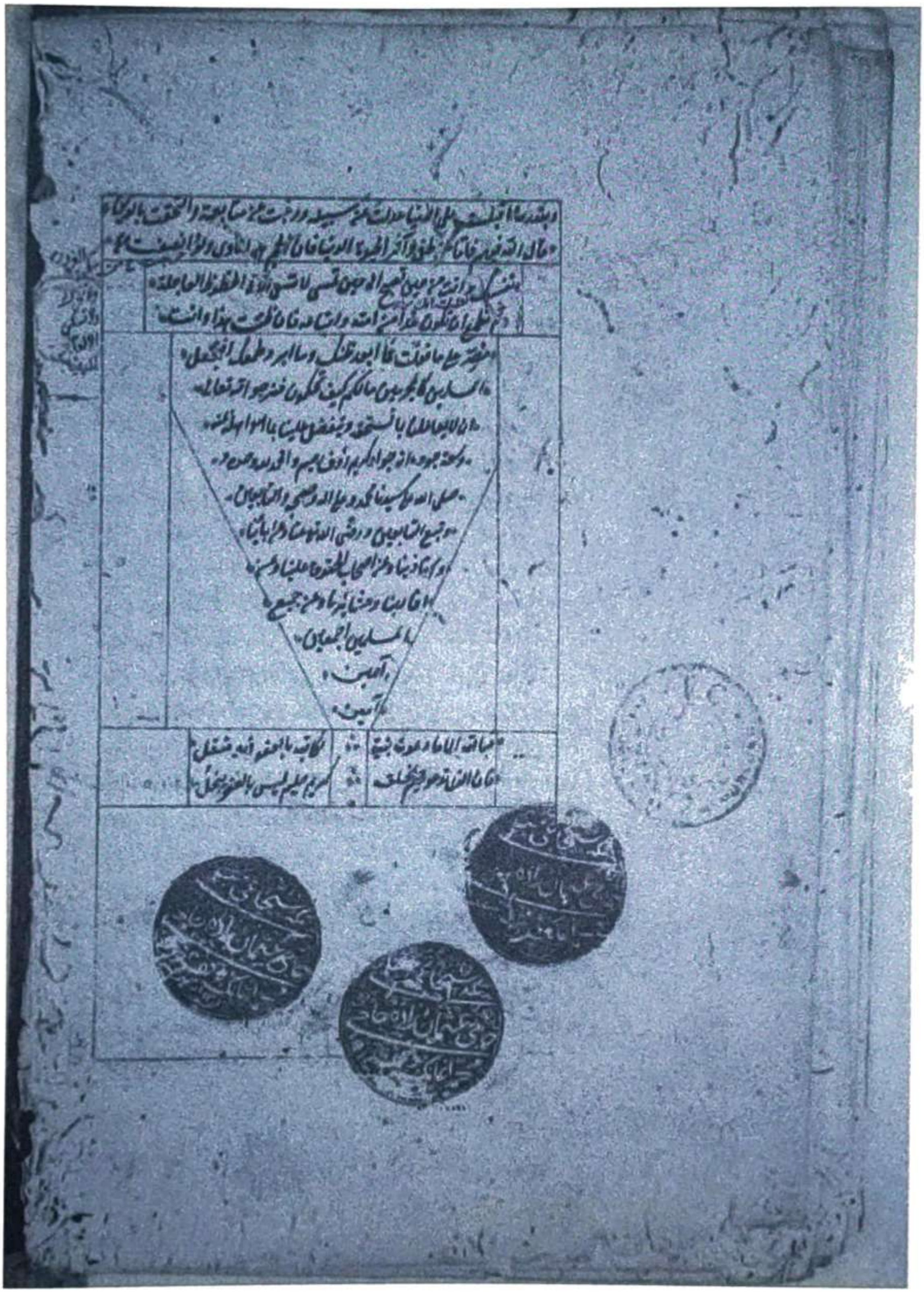
339

والاحببية قوله صلى الله عليه وسلم امتثالا ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وانا امته منا تبعه
وما اتبعه الا من اعرض عن الدنيا واقبل على الآخرة فانه ما دعى الا الى الله واليوم الآخر وما صرف الا
عن الدنيا والحظوظ العاجلة فبقدر ما اعرضت عن الدنيا واقبلت على الآخرة فقد سلكت
سبيله وبقدر ما سلكت سبيله اتبعته وبقدر ما اتبعته صرت من امته وبقدر ما اقبلت
على الدنيا عدلت عن سبيله ورغبت عن متابعته والتحقت بالذين قال الله فيهم فاما
من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى ولو انصفت من نفسك ... من حين تصبح
الى حين تمسي لا تسعى الا في الحظوظ العاجلة ... ثم تطمع ان تكون غدا من امته واتباعه فما اظنك
هذا وانت ... ما فعلت فما ابعد ظنك وما ابرد طمعك افنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم
كيف تحكمون نرجو الله تعالى ان لا يعاملنا بما نستحقه ويتفضل علينا بما هو اهله بفضله
وسعة جوده انه جواد كريم رؤوف رحيم والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله
وصحبه والتابعين وتبع التابعين
ورضي الله تعالى عنا وعن آبائنا
واستاذينا وعن اصحاب
الحقوق علينا وعن
اقاربنا ومشايخنا
وعن جميع المسلمين
اجمعين آمين
تم

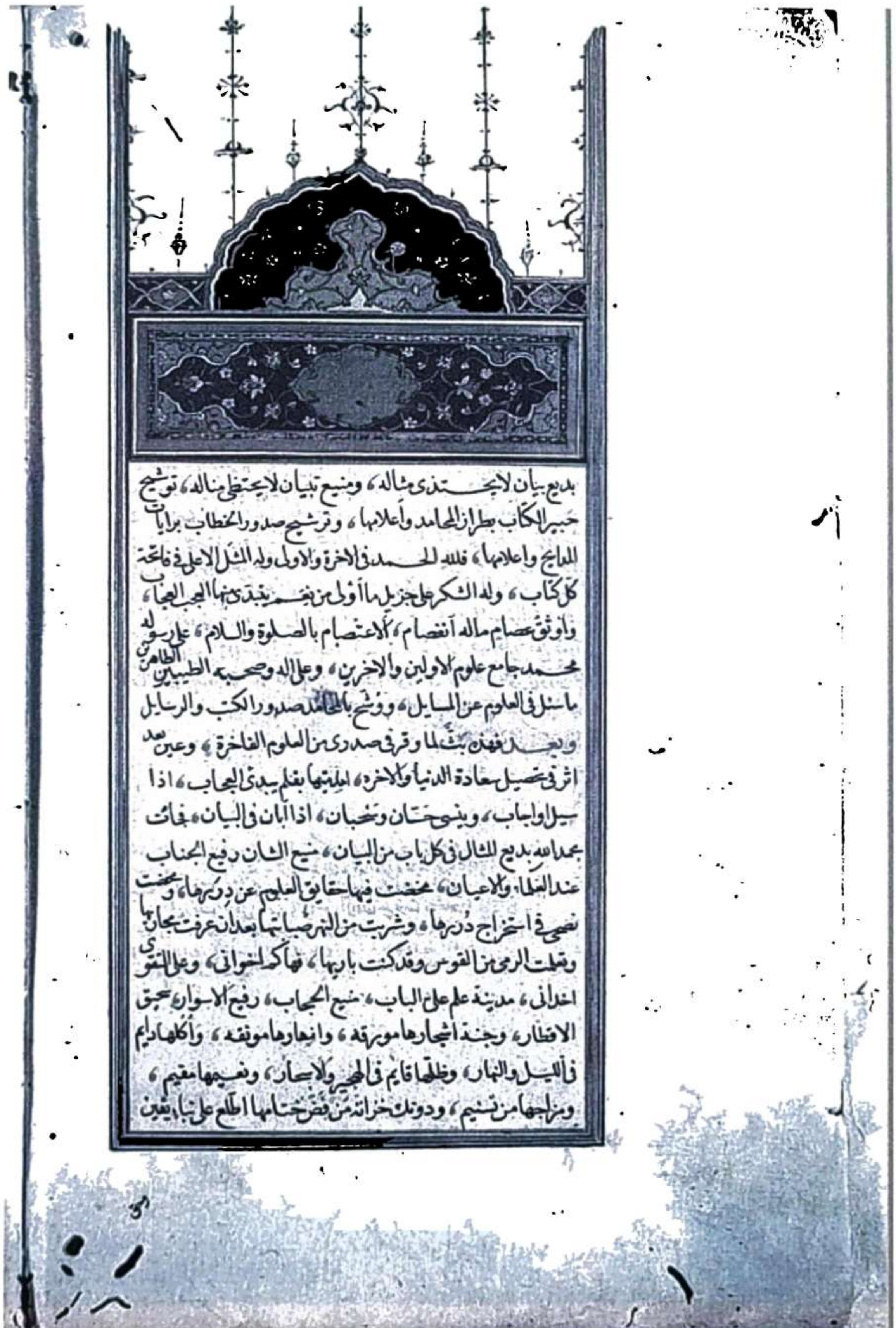
الورقة الأخيرة من نسخة رئيس الكُتَّاب.



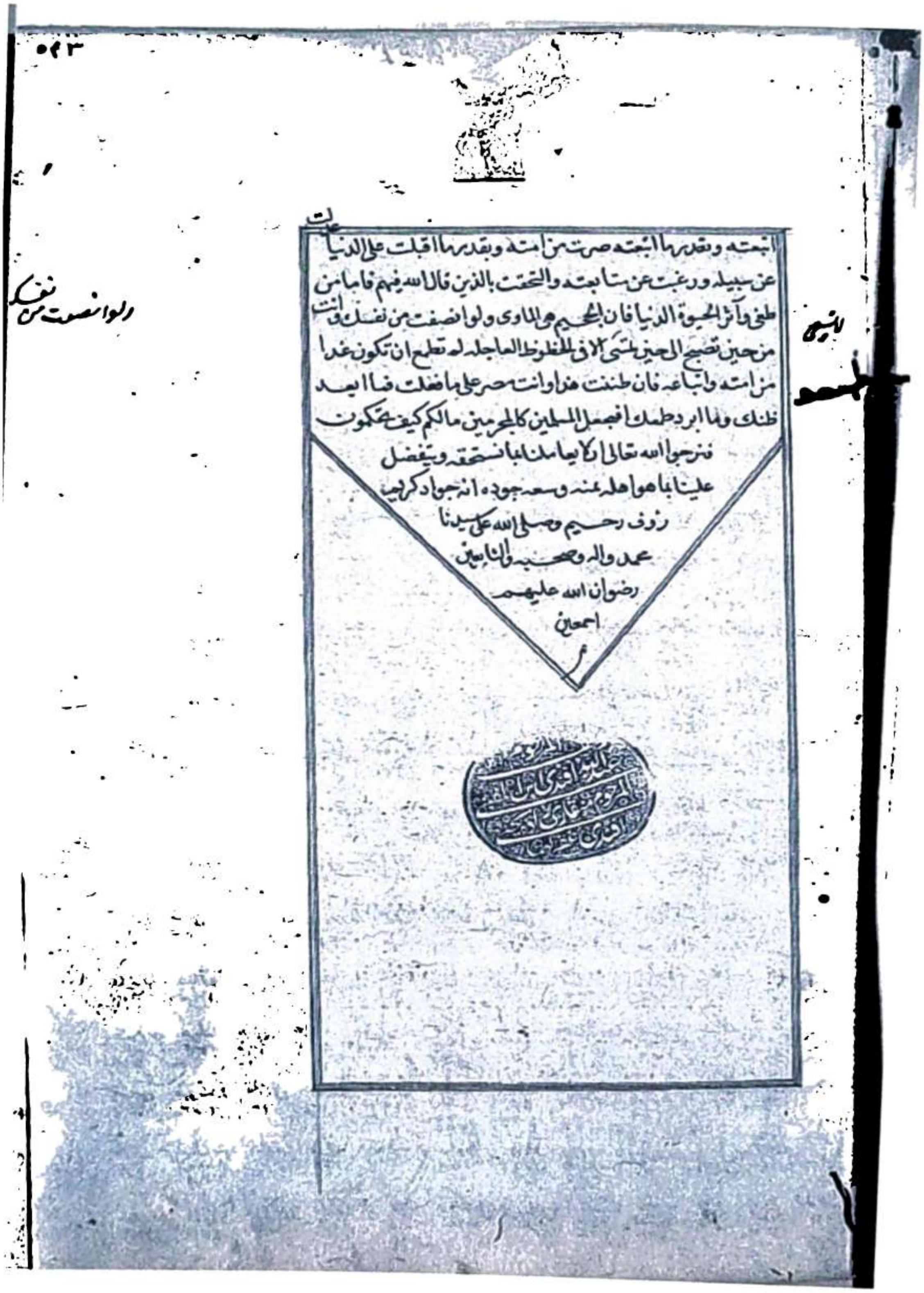
الورقة الأولى من نسخة أنطاليا.



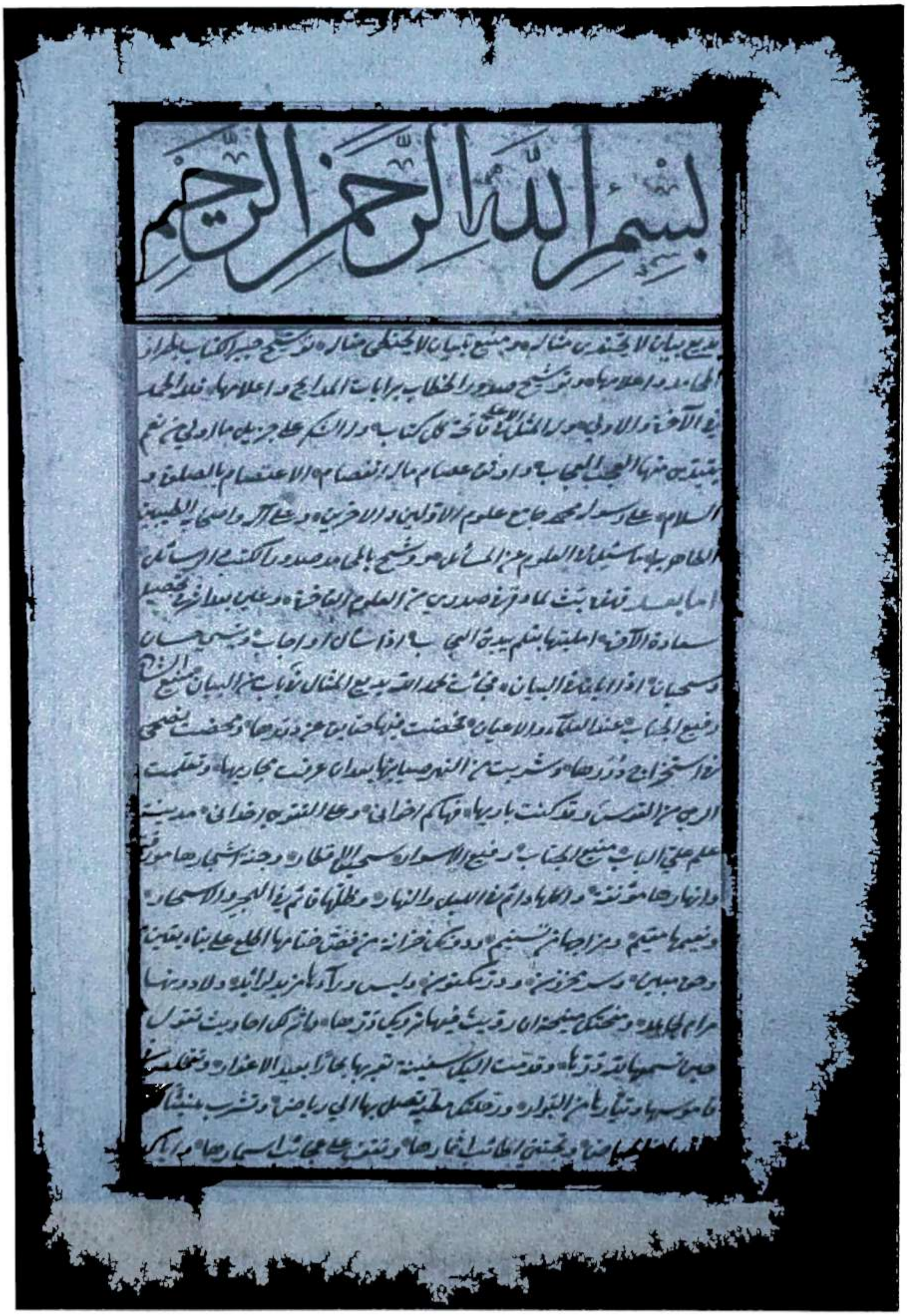
الورقة الأخيرة من نسخة أنطاليا.


بديع بيان لايحتذى مثاله، ومنبع تبيان لايحتفى مناله، توشح
حبر الكتاب بطراز المحامد وأعلامها، وترشح صدور الخطاب برايات
المدائح وأعلامها، فلله الحمد في الآخرة والأولى وله المثل الأعلى في فاتحة
كل كتاب، وله الشكر على جزيل ما أولى من نعم يتبدى منها العجب العجاب،
وأوثق عصام ماله انفصام، الاعتصام بالصلوة والسلام، على رسوله
محمد جامع علوم الأولين والآخرين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين
ما سئل في العلوم عن المسايل، ووشح بالمحامد صدور الكتب والرسايل
وبعد فهذه نبذ لما وقر في صدري من العلوم الفاخرة، وعين بعد
اثر في تحصيل سعادة الدنيا والآخرة، املئيتها بقلم يبدي العجاب، اذا
سيل اواب، وينبي حسان ونخبان، اذا ابان في البيان، فجائت
بحمد الله بديع المثال في كل باب من البيان، منيع الشان رفيع الجناب
عند العلماء والأعيان، محضت فيها حقايق العلوم عن درنها، ومخضت
نفسي في استخراج دررها، وشربت من النهر صبابتها بعد ان عرفت مجاريها
وتعلمت الرمي من القوس وقد كنت باريها، فها كرا لشواني، وعلى التقوى
اخداني، مدينة علم على الباب، منيع الحجاب، رفيع الاسوار عميق
الاقطار، وجنة اشجارها مورقة، وانهارها مونقة، وأكلها دايم
في الليل والنهار، وظلها قايم في الهجير والأسحار، ونعيمها مقيم،
ومزاجها من تسنيم، ودونك خزائنه من فض ختامها اطلع على تبايعين

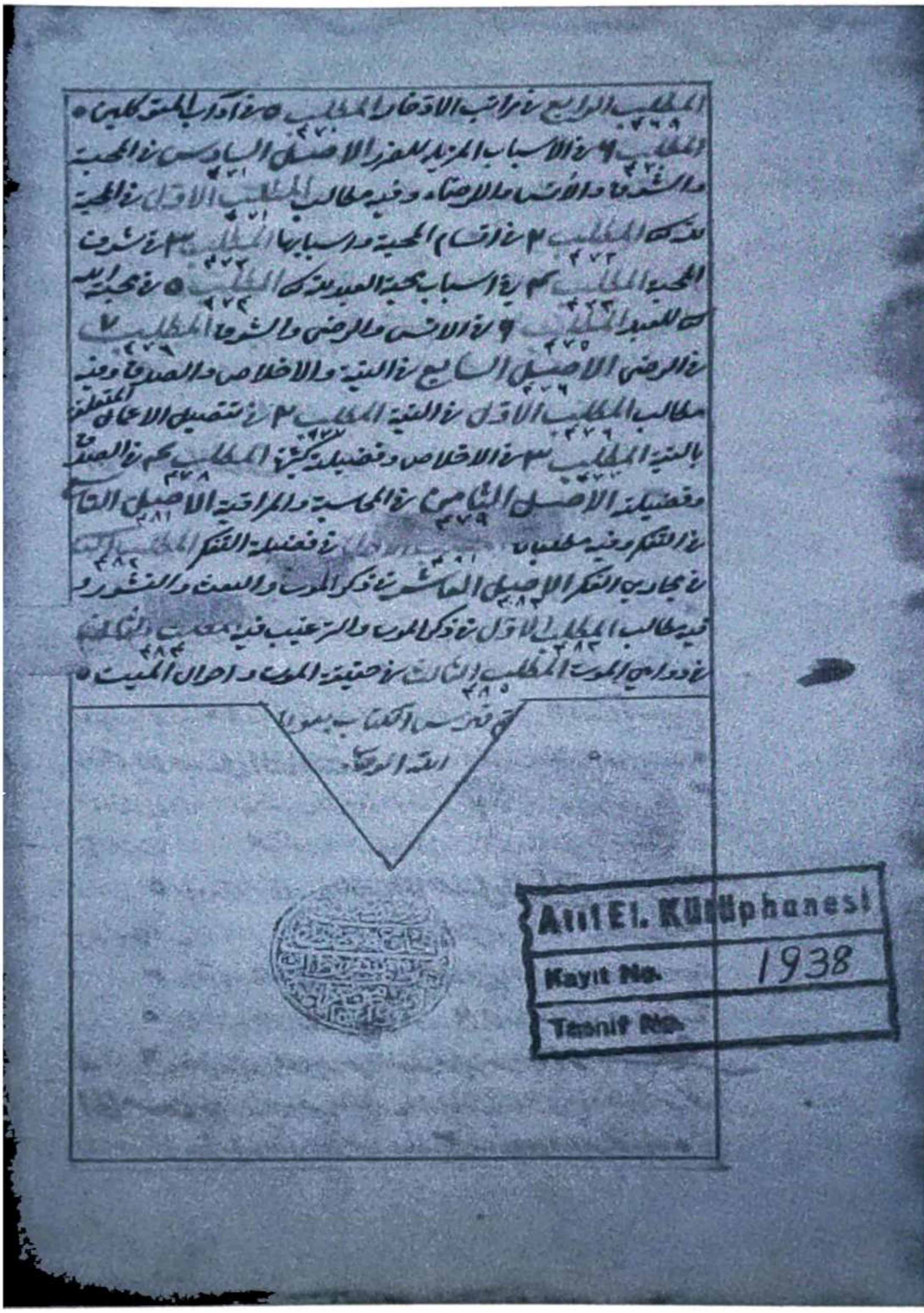
الورقة الأولى من نسخة مراد ملا.


اتبعته وبقدر ما اتبعته صرت من امته وبقدر ما اقبلت على الدنيا
عن سبيله ورغبت عن متابعته والتحقت بالذين قال الله فيهم فاما من
طغى وآثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هي المأوى ولو انصفت من نفسك وانت
من حين تصبح الى حين تمسي الا في الحظوظ العاجلة لم تطمع ان تكون غدا
من امته واتباعه فان ظننت هذا وانت مصر على ما فعلت فما ابعد
ظنك وما ابرد طمعك افنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون
فنرجو الله تعالى ان لا يعاملنا بما نستحقه ويتفضل
علينا بما هو اهله بمنه وسعة جوده انه جواد كريم
رؤوف رحيم وصلى الله على سيدنا
محمد وآله وصحبه والتابعين
رضوان الله عليهم
اجمعين

الورقة الأخيرة من نسخة مراد ملا.

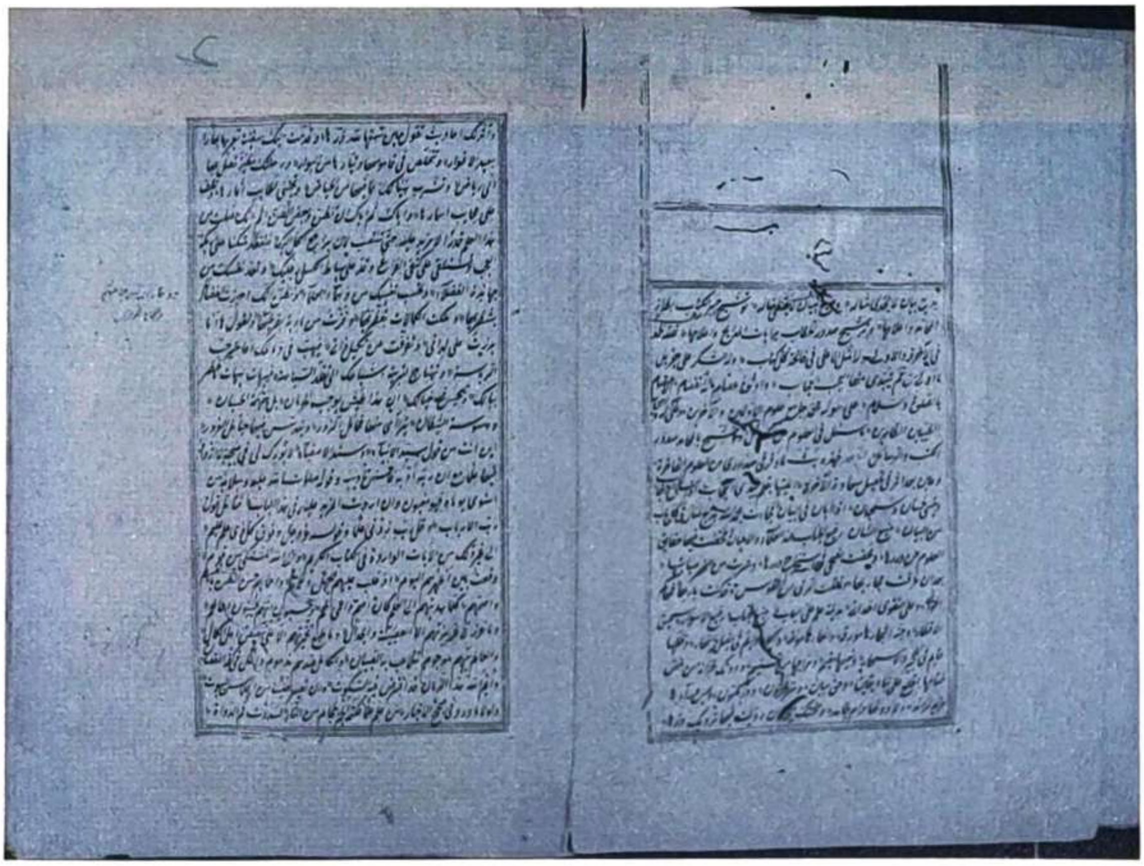


الورقة الأولى من نسخة عاطف أفندي.

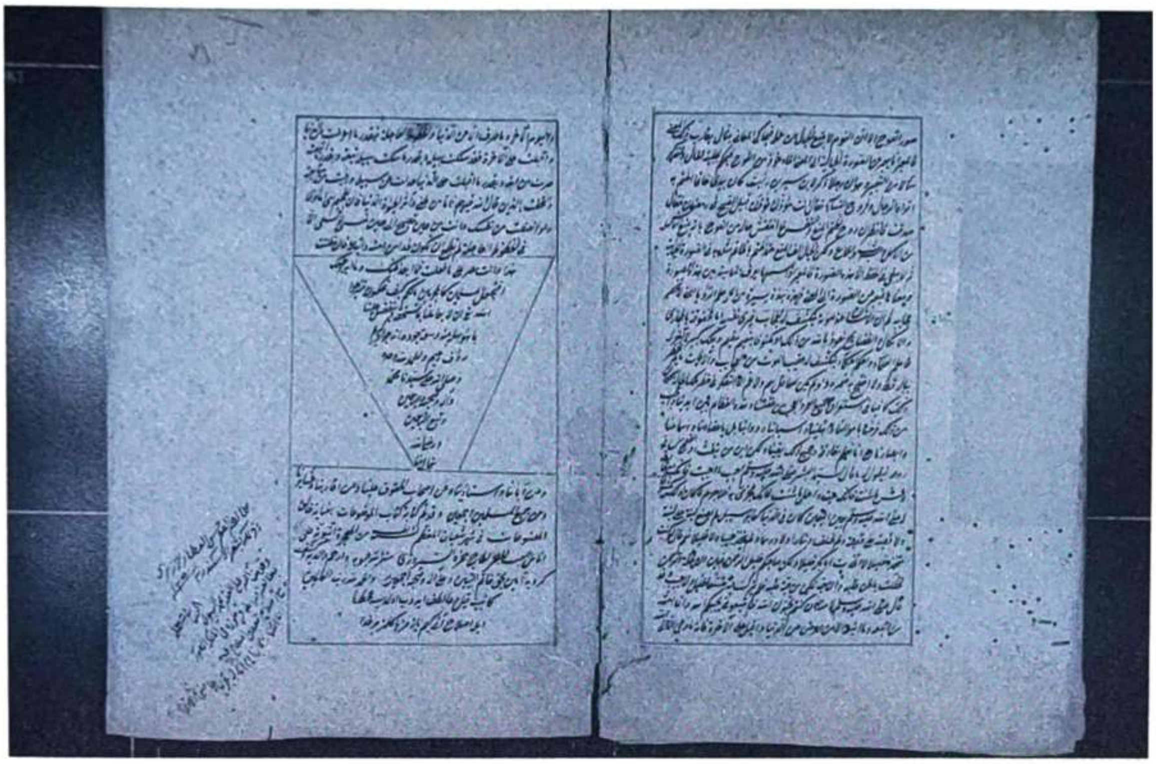

المطلب الرابع في مراتب الادخار المطلب ٥ في آداب المتوكلين ٥
المطلب ٦ في الاسباب المزيلة للعجز الاصل السادس في المحبة
والشوق والانس والرضا وفيه مطالب المطلب الاول في المحبة
لله تعالى المطلب ٢ في اقسام المحبة واسبابها المطلب ٣ في شرف
المحبة المطلب ٤ في اسباب محبة العبد لله تعالى المطلب ٥ في محبة الله
تعالى للعبد المطلب ٦ في الانس والرضى والشوق المطلب ٧
في الرضى الاصل السابع في النية والاخلاص والصدق وفيه
مطالب المطلب الاول في النية المطلب ٢ في تفصيل الاعمال المتعلقة
بالنية المطلب ٣ في الاخلاص وفضيلته [illegible] المطلب ٤ في الصدق
وفضيلته الاصل الثامن في المحاسبة والمراقبة الاصل التاسع
في التفكر وفيه مطالب [illegible] في فضيلة التفكر المطلب [illegible]
في مجاري التفكر الاصل العاشر في ذكر الموت والبعث والنشور و
فيه مطالب المطلب الاول في ذكر الموت والترغيب فيه [illegible]
في دواعي الموت المطلب الثالث في حقيقة الموت واحوال الميت ٥

تم فهرس الكتاب بعون الله الوهاب

الورقة الأخيرة من نسخة عاطف أفندي.



الورقة الأولى من نسخة مكتبة جامع الأزهر الشريف.



الورقة الأخيرة من نسخة مكتبة جامع الأزهر الشريف.

متن كتاب مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة، لأحمد بن مصطفى بن خليل الشَّهير بطاش كبري زاده (ت.968هـ)

بَدِيعُ بَيَانٍ لا يُحْتَذَى مِثَالُهُ، وَمَنِيعُ[1] تِبْيَانٍ لا يُخْتَطَى[2] مَنَالُهُ، تَوْشِيحُ حَبِيرِ[3] الْكِتَابِ بِطِرَازِ الْمَحَامِدِ وأَعْلَامِهَا، وَتَوْشِيحُ صُدُورِ الْخِطَابِ بِرَايَاتِ الْمَدَائِحِ وأَعْلَامِهَا. فَلِلَّهِ الْحَمْدُ في الْآخِرَةِ والْأُولَى، وله الْمَثَلُ الْأَعْلَى في فَاتِحَةِ كُلِّ كِتَابٍ، وله الشُّكْرُ على جَزِيلِ ما أَوْلَى من نِعَمٍ يَتَبَدَّى منها الْعَجَبُ الْعُجَابُ.

وَأَوْثَقُ عِصَامٍ ما له انْفِصَامٌ، الِاعْتِصَامُ بالصَّلَاةِ والسَّلَامِ، على رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ جَامِعِ عُلُومِ الْأَوَّلِينَ والْآخِرِينَ، وعلى آلِهِ وأَصْحَابِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، ما سُئِلَ في الْعُلُومِ عن الْمَسَائِلِ، وَوُشِّحَ بِالْمَحَامِدِ صُدُورُ الْكُتُبِ والرَّسَائِلِ.

أَمَّا بَعْدُ؛

فَهَذِهِ بَثٌّ لِمَا وَقَرَ في صَدْرِي من الْعُلُومِ الْفَاخِرَةِ، وَعَيْنٌ بَعْدَ أَثَرٍ[4] في تَحْصِيلِ سَعَادَةِ الْآخِرَةِ، أَمْلَيْتُهَا بِقَلَمٍ يُبْدِي الْعُجَابَ، إذا سَأَلَ أَوْ أَجَابَ،

---

(1) المَنِيعُ: صفة مشبَّهة تدلّ على الثبوت، من مَنُعَ مناعة فهو منيعٌ اعتزَّ وتعسَّرَ ولم يُرَمْ، ورجل منيع قوي البدن شديده. اللسان: منع.

(2) يختطى، في نسختي المحمودية وتونس، ولا يحتظى في سائر النسخ، وهو الراجح عندنا، وهو من الحُظوة: وهي المكانة والمنزلة، والمعنى هنا أي لا يُنال، ويتعسر الوصول إليه. ولا يُختطى أي لا يتجاوز.

(3) الحبير: الناعم الجديد. القاموس المحيط: 320.

(4) قلب المثل العربي: لا أطلب أثر بعد عين. مجمع الأمثال: 1/ 127.

وَيُنْسِي حَسَّانَ وسَحْبَانَ[1] إذا أَبَانَ في الْبَيَانِ، فَجَاءَتْ بِحَمْدِ اللهِ بَدِيعَ الْمِثَالِ في كُلِّ بَابٍ من الْبَيَانِ، مَنِيعَ الشَّأْنِ، رَفِيعَ الْجَنَابِ عند الْعُلَمَاءِ وَالْأَعْيَانِ، مَخَضْتُ فيها حَقَائِقَ الْعُلُومِ عن دُرُرِهَا[2]، وَمَحَضْتُ نُصْحِي في اسْتِخْرَاجِ دُرَرِهَا، وَشَرِبْتُ من النَّهْرِ صُبَابَتَهَا[3] بَعْدَ أَنْ عَرَفْتُ مَجَارِيَهَا، وتَعَلَّمْتُ الرَّمْيَ من الْقَوْسِ وقد كُنْتُ بَارِيَهَا.

فَهَاكُمْ إِخْوَانِي، وعلى التَّقْوَى أَخْدَانِي، مَدِينَةَ عِلْمٍ عَلِيِّ الْبَابِ، مَنِيعِ الْجَنَابِ، رَفِيعِ الْأَسْوَارِ، سَحِيقِ الْأَقْطَارِ، وَجَنَّةً، أَشْجَارُهَا مُورِقَةٌ، وأَنْهَارُهَا مُونِقَةٌ، وأُكُلُهَا دَائِمٌ في اللَّيْلِ والنَّهَارِ، وظِلُّهَا قَائِمٌ في الْهَجِيرِ والْأَسْحَارِ، ونَعِيمُهَا مُقِيمٌ، ومِزَاجُهَا مِنْ تَسْنِيمٍ[4]؛ ودُونَكَ خِزَانَةً، مَنْ فَضَّ خِتَامَهَا اطَّلَعَ على نَبَإٍ يَقِينٍ، وَحَقٍّ مُبِينٍ، وَسِرٍّ مَخْزُونٍ، وَدُرٍّ مَكْنُونٍ، ولَيْسَ وَرَاءَهَا مَزِيدٌ لِرَائِدٍ[5]، ولا دُونَهَا مَرَامٌ لِجَاهِدٍ، وَمَنَحْتُكَ[6] مَنِيحَةً[7] إنْ رُوِّيتَ فيها تُرَوِّيكَ

---

(1) سحبان بن زفر بن إياس الوائلي، خطيب يضرب به المثل في الفصاحة والبيان، اشتهر في الجاهلية، وعاش زمنا في الإسلام، توفي سنة 54هـ. ترجمته في: تاريخ الطبري: 6/ 484، جمهرة الأمثال: 1/ 202، خزانة الأدب: 10/ 371.

(2) دُرُرٌ، ودُرَّرٌ (كسكَّر)، ودُرَّار، جمع درور؛ وهي الناقة الكثيرة الدَّرّ. **اللسان**: درر.

(3) الصُّبَّةُ والصُّبابة: بقية الماء واللبن وغيرها تبقى في الإناء والسقاء. **اللسان**: صبب.

(4) وظف المصنف ألفاظ الآية 21 من سورة التوبة والآية 27 من سورة المطففين لتسوية فواصل سجعه.

(5) الرائد: الذي يرسَل في التماس النجعة وطلب الكلإ، أي ينظر ويطلب ويختار أفضله، والجمع رواد. **اللسان**: رود.

(6) ومنحك، في قونية.

(7) مَنَحَهُ الشاةَ والناقةَ: يَمْنَحُهُ ويَمْنِحه: أعاره إياها وجعل له لبنها ووبرها وولدها وهي المِنْحَةُ والمَنِيحَةُ. **اللسان**: منح.

دَرَّهَا[1]، وَآثُرُ[2] لَكَ أَحَادِيثَ تَقُولُ حين تَسْمَعُهَا: للهِ دَرُّهَا! وقَدَّمْتُ إليكَ سَفِينَةً تَعْبُرُ بها بِحَارًا بَعِيدَةَ[3] الْأَغْوَارِ، وَتَتَخَلَّصُ في قَامُوسِهَا وتَيَّارِهَا من الْبَوَارِ، وَرَحَّلْتُكَ مَطِيَّةً تَصِلُ بها إلى رِيَاضٍ، وَتَشْرَبُ هَنِيئًا لك مِمَّا فيها من الْحِيَاضِ، وَتَجْتَنِي أَطَايِبَ أَثْمَارِهَا، وتَقِفُ على عَجَائِبِ أَسْمَارِهَا.

وَإِيَّاكَ ثُمَّ إِيَّاكَ أَنْ تَظُنَّ - وبَعْضُ الظَّنِّ إِثْمٌ - أَنَّكَ حَصَّلْتَ من هذا الْعِلْمِ قَدْرًا لا مَزِيدَ عليه، حَتَّى تَنْتَصِبَ لِأَنْ يُرَاجِعَ الْكُلُّ إليكَ، فتَقْعُدَ مُتَّكِئًا على أَرِيكَةِ الْعُجْبِ، وتَسْتَلْقِيَ على كَتِفَيِ الْفَرَاغِ، وتَمُدَّ على بِسَاطِ الْكَسَلِ رِجْلَيْكَ، وَتَعُدَّ نَفْسَكَ من جَهَابِذَةِ الْفُضَلَاءِ، وتَحْسِبَ نَفْسَكَ من دَهْمَاءِ[4] الْعُلَمَاءِ، وتَظُنَّ أَنَّكَ أَحْرَزْتَ الْفَضَائِلَ بِشَطْرَيْهَا، وَمَلَكْتَ الكَمَالَاتِ بِقُطْرَيْهَا، وفُزْتَ مِنْ مَارِيَةَ بِقُرْطَيْهَا[5]، وَتَقُولَ: ها أنا بَرَّزْتُ على لِدَاتِي[6]، وتَفَرَّغْتُ عن تكْمِيلِ ذَاتِي، فَيَهُبَّ في دِمَاغِكَ أَعَاصِيرُ حُبِّ[7] الرِّئَاسَةِ،

---

(1) الدَّرُّ: اللبن ما كان. **اللسان**: درر.

(2) الْأَثْرُ: مصدر قولك أَثَرْتُ الحديث آثُرُهُ إذا ذَكَرْتَه عن غيرك. وأَثَرَ الحديث عن القوم يأْثُرُهُ أنبأهم بما سُبقوا فيه من الأثر. **اللسان**: أثر.

(3) بعيد، في قونية ورئيس الكتاب وأنطاليا.

(4) والدَّهْماءُ: الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ. **اللسان**: دهم.

(5) فيه توظيف للمثل العربي: أَنْفَسُ من قُرْطَيْ مارية، وفي آخر: خذه ولو بقرطي مارية، أو: ولو بِقُرْطَيْ مارية، قال ابن الكلبي: هي مارية بنت ظالم بن وهب الكندي، أم الحارث الأعرج ابن الحارث الأكبر الغساني ملك الشام، وهو مثل يُضرب في الشيء الثمين، أي لا يفوتك بأي ثمن يكون. مجمع الأمثال: 1/ 299، جمهرة الأمثال: 2/ 259.

(6) اللِّداتِ: جمع لِدة: وهو التِّرْبُ الذي وُلِدَ يومَ وِلادِك. المعجم الوسيط: لدد.

(7) حب أعاصير، في قونية.

وَتَهْتَاجَ لِتَرْبِيَةِ أَشْيَاعِكَ إلى تَقَلُّدِ السِّيَاسَةِ، فَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ ما خَطَرَ بِبَالِكَ، وهَجَسَ في خَيَالِكَ، إنَّ هذا طَيْشٌ يُوجِبُ الْحِرْمَانَ، بل هَمْهَمَةُ[1] الْحُسْبَانِ[2]، وَوَسْوَسَةُ الشَّيطانِ، يَتَرَاءى منها مَخَايِلُ[3] الزُّورِ، ويَتَدَسَّسُ فيها حَبَائِلُ الْغُرور، أَيْنَ أَنْتَ من قَوْلِ سَيِّدِ الْأَنْبِياءِ، وسَنَدِ الْأَصْفِيَاءِ: «لَا بُورِكَ لِي فِي صَبِيحَةٍ لا أَزْدَادُ فيا عِلْمًا»[4]. مع أنَّ رَبَّهُ أَدَّبَهُ فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهُ.

وقَوْلِهِ صَلَوَاتُ الله عليه وسَلَامُهُ: «مَنِ اسْتَوَى يَوْمَاهُ فهو مَغْبُونٌ»[5].

وإنْ أرَدْتَ الْمَزِيدَ عليه في هذا الْبابِ فَتَأَمَّلْ قَوْلَ رَبِّ الْأَرْبَابِ: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[6]. وَقَوْلَهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[7]. إلى غيرِ ذلِكَ مِنَ الْآياتِ الْوَارِدَةِ في الْكِتَابِ الكريمِ.

وإلى اللهِ الْمُشْتَكَى مِنْ قَوْمٍ وَقَعْتُ بَيْنَ أَظْهُرِهِمُ الْيَوْمَ، إِذْ غَلَبَ عليهمُ الْجَهْلُ وَطَمَّهُمْ، وَأَعْمَاهُمْ حُسْنُ الظَّنِّ بأنْفِسِهِمْ وأَصَمَّهُمْ، كُلَّمَا هَدَيْتَهُمْ

---

(1) الهَمهمة: الكلام الخفي، أو ترديد الصوت في الصدر. اللسان: همم.

(2) الحُسبان: الظنّ والخاطرُ. اللسان: حسب.

(3) المَخايِلُ: جمع مَخيلة، وهي السحابة. اللسان: خيل.

(4) أورده أبو نعيم في الحلية: 8/ 188، بلفظ: "إذا أتى علي يوم لا أزداد فيه..."، وهو في الإحياء: 1/ 340، وتخريج أحاديث الإحياء: 405، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: 1/ 52، وورد بلفظ مغاير بالمعنى نفسه في نوادر الأصول: 4/ 6.

(5) الحلية لأبي نعيم: 8/ 35، اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي: 112، الإحياء: 1/ 335، المقاصد الحسنة: 631، وكشف الخفاء: 2/ 305.

(6) سورة طه، الآية: 114.

(7) سورة يوسف، الآية: 76.

إلى الْعِلْمِ كَانَ أَصَمَّ وأَعْمَى لَهُمْ، وَيَحْسِبُونَ أَنَّهم يُحْسِنُونَ أعْمَالَهُمْ[1]، وما غُرِزَ في غَرِيزَتِهِمْ إلا الْعَصَبِيَّةُ والْجِدَالُ، وما طُبِعَ نَحِيزَتُهُمْ[2] إلَّا على تَنْقِيصِ أَهْلِ الْكَمَالِ، والْعَالِمُ بينهم مَوْجُومٌ[3] يَتَلَاعَبُ[4] به الصِّبيانُ، والْكَامِلُ عِنْدَهُمْ مَذْمُومٌ دَاخِلٌ في كِفَّةِ النُّقْصَانِ. وَايْمُ اللهِ هذا الزَّمَانُ قد افْتُرِضَ فيه السُّكُوتُ، وأنْ تَصِيرَ حِلْسًا[5] من أَحْلَاسِ الْبُيُوتِ.

وَلَوْلا ما وَرَدَ في صَحِيحِ الْأَخْبَارِ: «مَنْ عَلِمَ عِلْمًا فَكَتَمَهُ أُلْجِمَ بِلِجَامٍ مِنَ نَارٍ»[6]. لَسَدَدْتُ فَمَ الدَّوَاةِ، وكَسَّرْتُ سِنَّ الْأَقْلَامِ، وانْقَطَعْتُ في زَاوِيَةٍ إلى وَقْتِ [يَوْمِ][7] الْحِمَامِ، بِأَمْرِ اللهِ الْمَلِكِ الْعَلَّامِ، إلا أنَّ الْقُلُوبَ بين أُصْبَعَيْنِ من أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ، وَكُلَّ يَوْمٍ هو في شَأْنٍ[8].

ثُمَّ إنَّكَ إنْ أُخْطِرْتَ[9] بالْبَالِ، أَيُّهَا الطَّالِبُ لِلْفَضْلِ والْكَمَالِ، أَنَّ الْفُنُونَ كَثِيرَةٌ، وتَحْصِيلَ كُلِّهَا ـ بَلْ جُلِّها ـ غَيْرُ يَسِيرَةٍ، مَعَ أنَّ مُدَّةَ الْعُمُرِ قَصِيرَةٌ،

---

(1) وظف المؤلف ألفاظ الآية: 104 من سورة الكهف ومعناها، والآية: 4 من سورة محمد لتسوية فواصل سجعه.

(2) النَّحيزَةُ: الطبيعة، والجمع نحائز. **اللسان**: نحز.

(3) الوُجومُ: السكوتُ عَلَى غَيْظٍ. اللسان: وجم.

(4) تتلاعب، في قونيا ورئيس الكتاب وأنطاليا.

(5) الحِلْسُ والحَلس: كل شيء ولي ظهر البعير والدَّابة تحت الرَّحل والقتب والسَّرج. **اللسان**: حلس.

(6) أخرجه أحمد في مسنده: 13/ 18، والطبراني في الأوسط: 5027، والحاكم في المستدرك: 1/ 182، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله: 1/ 4.

(7) زيادة من قونية.

(8) وظف المصنف الآية 29 من سورة الرحمن لتتميم فواصل سجعه.

(9) خطرت، في قونية.

وتَحْصِيلَ آلاتِ التَّحصيلِ عَسيرَةٌ، فكَيْفَ الطَّرِيقُ إلى الْخَلَاصِ عن هذا الْمَضِيقِ، فتَأَمَّلْ فيما قَدَّمْتُ إليكَ مِنَ الْعُلُومِ اسْمًا ورَسْمًا، ومَوضُوعًا ونَفْعًا، وفيما اخْتَرَعْتُ من التَّفْصِيلِ، في طَرِيقِ التَّحْصِيلِ، ومن آدَابٍ بها غَرْسُ التَّمَنِّي يُثْمِرُ، وَلَيْلُ التَّرَجِّي يُقْمِرُ، بعد عَفَاءِ طَلَلِ العِلْمِ ودُروسِهِ، وأُفُولِ أقْمَارِهِ وشُمُوسِهِ، بِحيثُ يَقولُ الرَّاؤُونَ: أَعْجِبْ بما أُوتِيَ هذا مِنَ الْإِصَابَةِ، والتَّبْرِيزِ على الَّذِينَ مَضَوْا من الْعِصَابَةِ، فإنْ سَهُلَ عليكَ تَحْصِيلُ تلك الْعُلُومِ كُلِّها فَحَبَّذا، وقل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾[1]. لِمَا قال أَفْلَاطُونُ: ما مِنْ عِلْمٍ مُسْتَقْبَحٍ إلا والْجَهْلُ به أَقْبَحُ.

وكَمَا قَالَ الْقَائِلُ: [البسيط]

اِحْرِصْ عَلَى كُلِّ عِلْمٍ تَبْلُغِ الْأَمَلَا ... ولَا تَمُوتَنْ بِعِلْمٍ وَاحِدٍ كَسَلَا[2]
النَّحْلُ لَمَّا رَعَتْ مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ ... أَبْدَتْ لَنَا الْجَوْهَرَيْنِ الشَّمْعَ وَالْعَسَلَا
الشَّمْعُ فِي اللَّيْلِ ضَوْءٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ ... وَالشَّهْدُ يُبْرِي بِإِذْنِ الْبَارِئِ الْعِلَلَا[3]

وَإِنْ أَعْجَلَكَ الْوَقْتُ، وخَشِيتَ أن تَخْتَرِمَكَ الشَّوَاغِلُ بِالْفَوْتِ، فَخُذْ ما قَالَ الْقَائِلُ: [الرمل]

---

(1) سورة الأعراف، الآية: 43.

(2) كي لا تموت، في مراد ملا. وردت الأبيات غير منسوبة في مجموعة من المصادر منها: برنامج الوادي آشي: 80، ورفع النقاب عن تنقيح الشهاب: 6/ 117، ودرة الحجال: 3/ 49.

(3) نور يستضاء، في برنامج الوادي آشي ودرة الحجال.

مَـا حَوَى الْعِلْمَ جَمِيعًـا أَحَـدٌ لَا وَلَـوْ مَـارَسَــهُ أَلْـفَ سَــنَـهْ[1]
إِنَّـمَـا الْـعِـلْـمُ مَـنِـيـعٌ غَـوْرُهُ فَخُـذُوا مِنْ كُـلِّ عِلْمٍ أَحْسَــنَـهْ[2]

وَإِنِ اخْتَلَجَ فِي صَدْرِكَ وَقَلْبِكَ، وَدَارَ فِي خَلَدِكَ وَلُبِّكَ، أَنَّ الْأَغْرَاضَ مُخْتَلِفَةٌ فِي أَمْرِ الْعُلُومِ، وَتَتَفَاوَتُ فِي الْمَيْلِ إليها الطِّبَاعُ والْفُهُومُ، وتَتَبَايَنُ فِي اسْتِحْسَانِهَا الْعَادَاتُ والرُّسُومُ، حَتَّى يَعُدَّ طَائِفَةٌ مِنْ قَبِيلِ الْجُنُونِ، تَحْصِيلَ مَا عِنْدَ الْآخَرِينَ مِنَ الْفُنُونِ، إِذْ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ[3]، فَمِنْ أَيْنَ نَعْرِفُ الْأَفْضَلَ على الْإِطْلَاقِ، الذي حَصَلَ فِي حُسْنِهِ الْإِطْبَاقُ، من عُلَمَاءِ الْآفَاقِ، فَنَقُولُ: الَّذِي يُثْلِجُ صَدْرَكَ بِبَرْدِ الْيَقِينِ، وَيُعَرِّفُ مَطْلُوبَكَ على التَّعْيِينِ، قَوْلُ مَنْ قَالَ بِطَرِيقِ الْإِجْمَالِ: [البسيط]

كُلُّ الْعُلُومِ سِوَى الْقُرْآنِ مَشْغَلَةٌ إِلَّا الْحَدِيثَ وَإِلَّا الْفِقْهَ فِي الدِّينِ[4]
وَالْعِلْمُ مَا كَانَ فِيهِ قَالَ حَدَّثَنَا وَمَا سِوَاهُ فَوَسْوَاسُ الشَّيَاطِينِ[5]

وَقَدْ قِيلَ: [الوافر]

جَمِيعُ الْعِلْمِ فِي الْقُرْآنِ لَكِنْ تَقَاصَرَ عَنْهُ أَفْهَامُ الرِّجَالِ[6]

---

(1) البيتان ينسبان للشافعي، وهما في ديوان شعره: 122، برواية: لن يبلغ العلم جميعا أحد.

(2) عميق بحره فخذوا من كل شيء، في الديوان.

(3) وظف المصنف الآية 32 من سورة الروم لتسوية فواصل سجعه.

(4) ينسبان للشافعي وهما في ديوان شعره: 124.

(5) وما سوى ذاك وسواس، في الديوان.

(6) ورد في مجموعة من المصادر منسوبا لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما، منها: مشكاة المصابيح: 11/ 302، وزاد المسلم: 5/ 59.

وَبِالْجُمْلَةِ، الْعُلُومُ التي يُتَوَسَّلُ بها إلى السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ في دَارِ السَّلامِ، في جِوَارِ الْقُدُسِ عند الْمَلِكِ الْعَلَّامِ، ما سَأَلَ جِبْرِيلُ عنه النَّبِيَّ عليهما الصَّلاةُ والسَّلامُ، وأَشَارَ بالسُّؤالِ عن الْإِيمَانِ، إلى أُصُولِ الدِّينِ، اَلْمُسَمَّى: بـالْكَلامِ، بِشَرْطِ أن لا يَتَّبِعَ الْبَاحِثَ على الْأَهْوَاءِ والْأَوْهَامِ، بل يَبْحَثُ على قَواعِدِ عَقَائِدِ الْإِسْلامِ، وعن الْإِسْلامِ، إلى عِلْمِ الفِقْهِ الْبَاحِثِ عن الْحَلَالِ والْحَرَامِ، وعن الْإِحْسَانِ إلى عِلْمِ التَّصَوُّفِ الذي هو ثَمَرَةُ الْإِيمانِ، ونَتِيجَةُ الإسْلَامِ؛ وأمَّا التَّفْسِيرُ والْحَدِيثُ فَدَاخِلَانِ فيما ذُكِرَ كما سَتَعْرِفُهُ إن شَاءَ اللهُ الْمَلِكُ العَلَّامُ.

وإذا انْتَهَى الْكَلَامُ إلى هذا الْمَقَامِ، فلا علينا أنْ نُوَجِّهَ عِنَانَ الْأَقْلَامِ، إلى صَوْبِ الشُّرُوعِ في الْمَرَامِ، وباللهِ التَّوْفِيقُ والْإِعْلَامُ.

وَسَمَّيْتُ الرِّسَالَةَ: بـ "مِفْتاحُ السَّعادَةِ ومِصْباحُ السِّيادَةِ"، وقَدَّمْتُ أَمَامَ الْمَقْصُودِ عِدَّةَ مُقَدِّمَاتٍ، هي مِفْتَاحُ الْمَيَامِنِ والْبَرَكَاتِ، ثم أُتْبِعُهَا في ضِمْنِ الطَّرَفَيْنِ بِعِدَّةِ دَوْحَاتٍ، فيها ثَمَرَاتٌ طَيِّبَاتٌ.

والْمَرْجُوُّ من فَضْلِ الله تَعالى أَنْ يَجْعَلَ سَعْيِي مَشْكُورًا، وصَنِيعِي مَبْرُورًا، ويَجْعَلَنِي غَدًا بأَعْمَالِيَ الْيَوْمَ مَسْرُورًا، إِنَّه الْجَوَادُ الْكَرِيمُ، وَالْبَرُّ الرَّؤوفُ الرَّحِيمُ.

الْمُقَدِّمَةُ الأولى:

في بَيَانِ فَضِيلَةِ الْعِلْمِ وَالتَّعَلُّمِ والتَّعْلِيمِ[1]، بِالْآيَاتِ وَالْأَخْبَارِ وَالْآثَارِ، ودَلائِلَ يَرْتَضِيهَا الْعَقْلُ السَّلِيمُ، واكْتَفَيْتُ من كُلٍّ منها بالْقَلِيلِ، إذِ الْعِبْرَةُ بِقُوَّةِ الْأَدِلَّةِ لا بِكَثْرَتِهَا.

فَضِيلَةُ الْعِلْمِ:

أَمَّا الْكِتَابُ، فَقَوْلُهُ تَعالى: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾[2].

فَانْظُرْ كَيْفَ بَدَأَ بنفسِهِ سبحانَهُ، وثَنَّى بملائِكَتِهِ، وَثَلَّثَ بِأَهْلِ الْعِلْمِ.

وقالَ تَعالى: ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[3].

وقالَ ابنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «لِلْعُلَمَاءِ دَرَجَاتٌ فوْقَ الْمُؤمِنِينَ بِسَبْعِمِئَةِ دَرَجَةٍ، ما بينَ الدَّرَجَتَيْنِ خَمْسُمِئَةِ عَامٍ»[4].

---

(1) اعتمد طاش كبري زاده في مقدمات كتابه في فضل العلم والتعلم والتعليم، وآداب العالم والمتعلم على ثلاثة مصادر أساس هي: جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر (ت.463هـ)، وكتاب الإحياء، للغزالي (ت.505هـ)، وإرشاد القاصد، لابن الأكفاني (ت.749هـ).

(2) سورة آل عمران، الآية: 18.

(3) سورة المجادلة، الآية: 11.

(4) الإحياء: 1/ 5، ومختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسي: 13.

وقالَ تَعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

أَوَ لَمْ يَكْفِ بالْعِلْمِ وأَهْلِيهِ الشَّرَفَ الْأَصِيلَ، والمَجْدَ الْأَثِيلَ، أَمْثَالُ هذه الآياتِ الواردَةِ في التَّنْزِيلِ. [المتقارب]

وَمَـنْ كَـانَ حُـقَّ لَـهُ مَـادِحًـا فَحَقٌّ عَلَى النَّاسِ أنْ يَمْدَحُوه[2]

أَمَّا الْأَخْبَارُ، فَقَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ: «الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ»[3].

وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لا رُتْبَةَ فَوْقَ النُّبُوَّةِ، ولا شَرَفَ فَوْقَ شَرَفِ الْوِرَاثَةِ لِتِلْكَ الرُّتْبَةِ.

وقالَ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ: «أَقْرَبُ النَّاسِ مِنْ دَرَجَةِ النُّبُوَّةِ أَهْلُ العِلْمِ وَالْجِهَادِ»[4].

أَمَّا أَهْلُ الْعِلْمِ، فَدَلُّوا النَّاسَ عَلَى ما جاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ، وَأَمَّا أَهْلُ الْجِهَادِ، فَجَاهَدُوا بِأَسْيَافِهِمْ عَلَى مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ.

وقالَ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ: «يُوزَنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِدادُ الْعُلَمَاءِ بِدَمِ الشُّهَدَاءِ [فَيَرْجَحُ مِدَادُ الْعُلَمَاءِ][5]»[6].

---

(1) سورة الزمر، الآية: 9.

(2) لم نقف عليه، ولعله لطاش كبري زاده.

(3) أخرجه ابن حبان في صحيحه: 1/ 289، والترمذي في سننه: 5/ 48، وابن ماجه في سننه: 1/ 81.

(4) قوت القلوب: 1/ 241، الإحياء: 1/ 5، والمقاصد الحسنة: 459، رقم: 702، وكشف الخفاء: 2/ 64.

(5) ما بين معقوفين زيادة من أنطاليا.

(6) تاريخ جرجان: 92، جامع بيان العلم وفضله: 1/ 150، الإحياء: 1/ 6، أدب الإملاء والاستملاء: 162، العلل المتناهية: 1/ 71.

وقال صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ: «يَشْفَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ: الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْعُلَمَاءُ، ثُمَّ الشُّهَدَاءُ»[1]. فأَعْظِمْ بِرُتْبَةٍ هي تِلْوَ النُّبُوَّةِ، وفوقَ الشَّهادَةِ!

وقال صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ: «يَبْعَثُ اللهُ تَعَالَى الْعِبَادَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَبْعَثُ الْعُلَمَاءَ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا مَعْشَرَ الْعُلَمَاءِ، إِنِّي لَمْ أَضَعْ عِلْمِي فِيكُمْ إِلَّا لِعِلْمِي بِكُمْ، وَلَمْ أَضَعْ عِلْمِي فِيكُمْ لِأُعَذِّبَكُمْ، اِذْهَبُوا فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»[2].

وقالَ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ: «مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِغَيْرِ اللهِ، لَمْ يَخْرُجْ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى يَأْبَى عَلَيْهِ الْعِلْمُ فَيَكُونَ للهِ»[3].

و«مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ للهِ، فَهُوَ كَالصَّائِمِ نَهَارَهُ، وَالْقَائِمِ لَيْلَهُ، وَإِنَّ بَابًا مِنَ الْعِلْمِ يَتَعَلَّمُهُ الرَّجُلُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ أَبُو قُبَيْسٍ[4] ذَهَبًا لَهُ فَأَنْفَقَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ»[5].

وأَمَّا الْآثارُ، فَقَوْلُ عَلِيِّ بنِ أبي طالبٍ كرَّمَ الله وَجْهَهُ: العِلْمُ أفضَلُ من الْمَالِ بسبْعَةِ أَوْجُهٍ:

الْعِلْمُ ميرَاثُ الأنبِيَاءِ، والْمالُ ميراثُ الْفَرَاعِنَةِ.

---

(1) أخرجه ابن ماجه في سننه: 2/ 1443، والغزالي في الإحياء: 1/ 6، والعجلوني في كشف الخفاء: 2/ 398.

(2) المعجم الأوسط: 4/ 302، جامع بيان العلم وفضله: 1/ 48، الإحياء: 1/ 7.

(3) الجامع لمعمر بن راشد: 11/ 255، مفاتيح الغيب: 2/ 401، سنن ابن ماجه: 1/ 95، جامع بيان العلم وفضله: 1/ 747.

(4) أبو قُبَيْسٍ: بلفظ التَّصغير كأنه تصغير قبس النَّار، وهو اسم الجبل المشرف على مكة. مجم البلدان: 1/ 80.

(5) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي: 428، مفاتيح الغيب: 2/ 401، نشر طيّ التعريف في فضل حملة العلم الشريف: 56، تفسير النيسابور: 1/ 225.

الْعِلْمُ لا يَنْقُصُ بالنَّفَقَةِ، والْمالُ ينقصُ بها.

الْمالُ يَحْتَاجُ إلى الْحَافِظِ، والْعِلْمُ يَحْفَظُ صَاحِبَهُ.

إذا مَاتَ الرَّجُلُ خَلَّفَ مَالَهُ، والْعِلْمُ يَدْخُلُ معه قَبْرَهُ.

الْمالُ يَحْصُلُ لِلْمُؤْمِنِ والْكَافِرِ، والْعِلْمُ لا يَحْصُلُ إلا لِلْمُؤْمِنِ.

جميعُ الناسِ مُحْتَاجُونَ إلى العالِمِ في أمْرِ دينِهِمْ، ولا يَحْتَاجُونَ إلى صاحِبِ الْمالِ.

الْعِلْمُ يُقَوِّي الرَّجُلَ عند الْمُرُورِ على الصِّرَاطِ، والْمالُ يَمْنَعُهُ منه[1].

وقال حَكِيمٌ: الْقَلْبُ مَيِّتٌ، وحَيَاتُهُ بالْعِلْمِ؛ والعلمُ مَيِّتٌ وحَيَاتُهُ الطَّلَبُ؛ والطَّلَبُ ضَعِيفٌ، وقوَّتُهُ بالْمُدَارَسَةِ؛ ومُحْتَجِبٌ بعد الْمُدَارَسَةِ، وإظْهَارُهُ بالْمُنَاظَرَةِ؛ وإذا ظَهَرَ بالْمناظَرَةِ فهو عَقيمٌ، ونِتَاجُهُ بالْعَمَلِ؛ فإذا زُوِّجَ العلمُ بالعَمَلِ، تَوَالَدَ وتَنَاسَلَ مُلْكًا أبدِيًّا لا آخِرَ له[2].

وقال أبو الْأَسْوَدِ: لَيْسَ شَيءٌ أَعَزَّ من الْعِلْمِ، الْمُلُوكُ حُكَّامٌ على النَّاسِ، والْعُلَماءُ حُكَّامٌ على الْمُلوكِ[3].

وقال ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عنهما: «خُيِّرَ سُلَيْمانُ بْنُ داودَ عَلَيْهِما السَّلامُ بَيْنَ الْعِلْمِ والْمالِ والْمُلْكِ، فَاخْتَارَ الْعِلْمَ، فَأُعْطِيَ الْمَالَ والْمُلْكَ مَعَهُ»[4].

---

(1) النقل من مفاتيح الغيب: 2/ 403، مع اختلاف يسير في اللفظ.

(2) الفقيه والمتفقه: 2/ 8، مع اختلاف يسير في اللفظ.

(3) الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه: 53.

(4) الإحياء: 1/ 7، التبصرة لابن الجوزي: 2/ 193.

وقالَ أيْضًا: «تَذَاكُرُ الْعِلْمِ بَعْضَ لَيْلَةٍ أَحَبُّ إليَّ من إحْيائِهَا»[1]. وكذا رُوِيَ عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عنه، وَأَحْمَدَ بنِ حَنْبَلٍ.

قال الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: مِنْ شَرَفِ الْعِلْمِ، أَنَّ كُلَّ من نُسِبَ إليه ولو في شَيْءٍ حَقِيرٍ فَرِحَ، ومن دُفِعَ عنه حَزِنَ[2].

قالَ الْأَحْنَفُ: كادَ الْعُلَماءُ أنْ يَكونوا أَرْبابًا، وَكُلُّ عِزٍّ لم يُوَطَّدْ بِعِلْمٍ فإلى ذُلٍّ[3] مَصِيرُهُ[4].

وَقالَ عَلِيٌّ رَضِيَ الله عنه: الْعالِمُ أَفْضَلُ من الصَّائِمِ الْقائِمِ الْمُجاهِدِ. وإذا ماتَ الْعالِمُ ثُلِمَ في الإِسْلامِ ثُلْمَةٌ[5] لا يَسُدُّهَا إلَّا خَلَفٌ منه[6].

وقالَ بعضَ الْحُكَماءِ: إذا ماتَ الْعالِمُ بَكَاهُ الْحُوتُ في الْماءِ، والطَّيرُ في الْهَواءِ، ويُفْقَدُ وَجْهُهُ، ولا يُنْسَى ذِكْرُهُ[7].

---

(1) جامع معمر بن راشد: 11/ 253، وأخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله: 1/ 117 رقم: 107، والغزالي في الإحياء: 1/ 8.

(2) جامع بيان العلم وفضله: 1/ 250، الإحياء: 1/ 8.

(3) الذلّ، في قونية.

(4) جامع بيان العلم وفضله: 1/ 255، الإحياء: 1/ 8.

(5) الثُّلْمَةُ: اَلْخَلَل فِي الْحَائِطِ وَغَيْرِهِ. اللسان: ثلم.

(6) الإحياء: 1/ 7، مَنَاهِجُ التَّحصِيلِ ونتائج لطائف التَّأْوِيل في شَرحِ المدَوَّنة وحَلِّ مُشكِلاتها: 1/ 51.

(7) الإحياء: 1/ 8.

فَضيلَةُ التَّعَلُّمِ:

أَمَّا الْكِتابُ، فقولُهُ تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾[1].

وقَوْلُهُ تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[2].

وأَمَّا الأَخْبارُ، فَقَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ»[3].

وقالَ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضَاءً بِمَا يَصْنَعُ»[4].

وَقالَ: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ»[5].

وَقالَ: «اطْلُبُوا الْعِلْمَ وَلَوْ بِالصِّينِ»[6].

---

(1) سورة التوبة، الآية: 122.

(2) سورة النحل، الآية: 43.

(3) صحيح البخاري: 1/ 24، صحيح مسلم: 4/ 2074، رقم: 2699.

(4) مسند الشافعي: 17، مسند الطيالسي: 2/ 484، مسند أحمد: 30/ 9، مسند الدارمي: 1/ 164، والإحياء: 1/ 8.

(5) التاريخ الكبير للبخاري: 4/ 57، سنن ابن ماجه: 1/ 81، مسند البزار: 1/ 164، مسند أبي يعلى: 5/ 223، جامع بيان العلم وفضله: 1/ 8، الإحياء: 1/ 9.

(6) مسند البزار: 1/ 164، الضعفاء الكبير للعقيلي: 2/ 230، المجروحين لابن حبان: 1/ 382، شعب الإيمان: 3/ 193، جامع بيان العلم وفضله: 1/ 28، الإحياء: 1/ 14.

وَقالَ: «مَنْ جَاءَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ وَهُوَ يَطْلُبُ الْعِلْمَ لِيُحْيِيَ بِهِ الْإِسْلَامَ، فَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْجَنَّةِ دَرَجَةٌ وَاحِدَةٌ»(1).

وأمَّا الْآثارُ، فقد قال ابنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «ذَلَلْتُ طَالِبًا فَعَزَزْتُ مَطْلُوبًا»(2).

وقالَ أبو الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه: «لَأَنْ أَتَعَلَّمَ مَسْأَلَةً أَحَبُّ إِلَيَّ من قِيَامِ لَيْلَةٍ»(3).

وقالَ أيضًا: «الْعَالِمُ والْمُتَعَلِّمُ شَرِيكَانِ في الْخَيْرِ، وسَائِرُ النَّاسِ هَمَجٌ لا خَيْرَ فِيهِمْ»(4).

وقالَ أيضًا: «كُنْ عَالِمًا أو مُتَعَلِّمًا أو مُسْتَمِعًا، ولا تَكُنِ الرَّابِعَ فَتَهْلِكَ»(5).

قالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ الله: طَلَبُ الْعِلْمِ أفْضَلُ من النَّافِلَةِ(6).

---

(1) مسند الدارمي: 1/ 163، الترغيب في فضائل الأعمال جامع لابن شاهين: 73، بيان العلم وفضله: 1/ 206، الإحياء: 1/ 9.

(2) العقد الفريد: 2/ 80، المجالسة وجواهر العلم: 4/ 439، أدب الدنيا والدين للماوردي: 67، جامع بيان العلم وفضله: 1/ 474، الإحياء: 1/ 9.

(3) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي: 428، الإحياء: 1/ 9، مفتاح دار السعادة: 1/ 345، فتح القريب المجيب على الترغيب والترهيب: 1/ 671.

(4) الزهد والرقائق لابن المبارك: 191، الزهد لأحمد بن حنبل: 112، جامع بيان العلم وفضله: 1/ 206، جمع الجوامع: 4/ 35، كشف الخفاء: 2/ 326.

(5) كتاب الزهد لوكيع: 827، ومسند الدارمي: 1/ 313، بلفظ: اغد عالما، التاريخ الكبير للبخاري: 4/ 99، تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي: 436، الإحياء: 1/ 9.

(6) الإحياء: 1/ 9، جمال القراء وكمال الإقراء: 579.

وقالَ ابنُ عبْدِ الْحَكَمِ: كُنْتُ عِنْدَ مَالِكٍ أَقْرَأُ عليهِ الْعِلْمَ، فَدَخَلَ وَقْتُ الظُّهْرِ، فَجَمَعْتُ الْكُتُبَ لِأُصَلِّيَ، فقال: يا هذا، ما الَّذِي قُمْتَ إليهِ بأَفْضَلَ مما كنتَ فيهِ إذا صَحَّتِ النيَّةُ(1).

فَضيلَةُ التَّعْليمِ:

أمَّا الْكِتابُ، فَقَوْلُهُ تَعالى: ﴿وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾(2). والْمُرادُ هو التَّعْليمُ.

وقَوْلُهُ تَعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾(3). وهو إيجابٌ للتعليمِ.

وقالَ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ﴾(4).

وأمَّا الأَخْبارُ، فقد قال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا إلى الْيَمَنِ: «لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا واحِدًا خَيْرٌ لكَ من الدُّنْيَا ومَا فِيهَا»(5).

وقَالَ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ: «مَنْ تَعَلَّمَ بَابًا من الْعِلْمِ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ، أُعْطِيَ ثَوَابَ سَبْعِينَ صِدِّيقًا»(6).

---

(1) الإحياء: 1/ 9.

(2) سورة التوبة، الآية: 122.

(3) سورة آل عمران، الآية: 187.

(4) سورة النحل، الآية: 125.

(5) صحيح البخاري: 5/ 18، رقم: 3701، بلفظ: «خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»، واللفظ من الإحياء: 1/ 9.

(6) الإحياء: 1/ 10، الترغيب والترهيب: 1/ 98، تخريج أحاديث الإحياء: 1/ 67.

وقالَ عِيسَى عليه السَّلامُ: «من عَلِمَ وعَمِلَ وعَلَّمَ، فذلك يُدْعَى عَظِيمًا في مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ»[1].

وقالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ: «مَنْ عَلِمَ عِلْمًا فَكَتَمَهُ أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ».

وقالَ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ: «لا حَسَدَ إلا في اثْنَتَيْنِ، رَجُلٌ آتاهُ اللهُ مالًا فَسَلَّطَهُ على هَلَكَتِهِ في الْحَقِّ، ورَجُلٌ آتاهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ حِكْمَةً فهو يَقْضِي بها وَيُعَلِّمُهَا»[2].

وخَرَجَ رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ ذاتَ يَوْمٍ فَرَأى مَجْلِسَيْنِ؛ أَحَدُهُما يَدْعونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، ويَرْغَبونَ إليه، والثَّاني يُعَلِّمونَ النَّاسَ فقال: «أمَّا هَؤلاءِ فَيَسْأَلونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إنْ شاءَ أعْطاهُمْ، وإنْ شاءَ مَنَعَهُمْ، وأمَّا هؤلاء فَيُعَلِّمونَ النَّاسَ، وإنَّما بُعِثْتُ مُعَلِّمًا، ثُمَّ عَدَلَ إليهِمْ، وجَلَسَ مَعَهُمْ»[3].

وأمَّا الآثارُ، فَقَوْلُ عُمَرَ رضي الله عنه: «مَنْ حَدَّثَ بِحَدِيثٍ فَعُمِلَ به، فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ ذلكَ الْعَمَلَ»[4].

---

(1) الزهد لأحمد بن حنبل: 264، حلية الأولياء: 6/ 93، تاريخ بغداد: 3/ 17، جامع بيان العلم وفضله: 1/ 689، الإحياء: 1/ 10.

(2) صحيح البخاري: 1/ 25، رقم: 75، وصحيح مسلم: 1/ 559، رقم: 816.

(3) الزهد والرقائق لابن المبارك: 488، مسند الطيالسي: 4/ 11، مسند الدارمي: 1/ 162، سنن ابن ماجه: 1/ 83، الإحياء: 1/ 10.

(4) المدخل إلى الصحيح للحاكم: 87، جامع بيان العلم وفضله: 1/ 231، الإحياء: 1/ 11.

وقال ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «مُعَلِّمُ الخَيْرِ يَسْتَغْفِرُ له كُلُّ شَيْءٍ حتَّى الْحُوتُ في الْبَحْرِ»[1].

وقد رُوِيَ أنَّ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ قَدِمَ عَسْقَلانَ، فَمَكَثَ أَيَّامًا لا يَسْأَلُهُ إنْسَانٌ، فقالَ: اكْتَرُوا لي، هذا بَلَدٌ يَمُوتُ فيه الْعِلْمُ[2].

وقال عَطَاءٌ: دَخَلْتُ على سَعيدِ بنِ الْمُسَيَّبِ وهو يَبْكِي، فقلتُ له: ما يُبْكِيكَ؟ فقال: لَيْسَ أَحَدٌ يَسْأَلُنِي عن شَيْءٍ[3].

وإنَّمَا قالا ذَلِكَ حِرْصًا على فَضيلَةِ التَّعْليمِ، واسْتِبْقَاءِ الْعِلْمِ به.

وَاعْلَمْ أنَّ فَضْلَ الْعِلْمِ مما نَطَقَ به الْكُتُبُ السَّابِقَةُ من كُتُبِ اللهِ.

أَمَّا التَّوْرَاةُ، فقد قالَ جَلَّ وَعَلَا فيها لموسَى عليه السَّلامِ: عَظِّمِ الْحِكْمَةَ، فإنِّي لا أَجْعَلُ الْحِكْمَةَ في قَلْبِ عَبْدٍ إلَّا وأَرَدْتُ أنْ أَغْفِرَ له، فَتَعَلَّمْهَا، ثمَّ اعْمَلْ بها، ثمَّ ابْذُلْهَا، كي تَنَالَ بذلكَ كَرامَتِي في الدُّنْيَا والْآخِرَةِ[4].

وأَمَّا الزَّبورُ، فَقالَ سُبْحانَهُ: قُلْ لِأَحْبارِ بني إِسْرائِيلَ ورُهْبَانِهِمْ، حَادِثُوا مِنَ النَّاسِ الْأَتْقِيَاءَ، فإنْ لَمْ تَجِدُوا فيهم تَقِيًّا، فَحَادِثُوا الْعُلَماءَ، فإنْ لم تَجِدُوا

---

(1) مصنَّف ابن أبي شيبة: 5/ 284، مسند الدارمي: 1/ 161، الكامل في ضعفاء الرجال: 4/ 128، جامع بيان العلم وفضله: 1/ 67، رقم: 51، الإحياء: 1/ 11.

(2) مسند الإمام أحمد: 1/ 120، الجامع لأخلاق الراوي: 279، الإحياء: 1/ 11.

(3) الإحياء: 1/ 11.

(4) والأخرى: في قونيا وأنطاليا.

عالِمًا، فَحادِثُوا الْعُقَلَاءَ، فَإِنَّ التُّقَى والْعِلْمَ والْعَقْلَ ثَلاثُ مَراتِبَ، ما جَعَلْتُ واحِدَةً مِنْهُنَّ في واحِدٍ وأنَا أُرِيدُ هَلَاكَهُ[1].

وَاعْلَمْ أنَّ الْعَقْلَ كَالْبِذْرِ، والْعِلْمَ كالشَّجَرِ، والتُّقَى كالثَّمَرِ، ولذلك قَدَّمَ اللهُ سُبْحانَهُ التُّقَى على الْعِلْمِ، والْعِلْمَ على الْعَقْلِ.

وأمَّا الإنْجِيلُ[2]، فقد قالَ عَزَّ مِنْ قائِلٍ في السُّورَةِ السَّابِعَةَ عَشْرَةَ منه: وَيْلٌ لمن سَمِعَ العِلْمَ فلم يَطْلُبْهُ، كيفَ يُحْشَرُ مع الْجُهَّالِ إلى النَّارِ؟! اطْلُبُوا الْعِلْمَ وَتَعَلَّمُوهُ، فإنَّ الْعِلْمَ إنْ لم يُسْعِدْكُمْ لم يُشْقِكُمْ، وإن لم يَرْفَعْكُمْ لم يَضَعْكُمْ، وإن لم يُغْنِكُمْ لم يُفْقِرْكُمْ، وإن لم يَنْفَعْكُمْ لم يَضُرَّكُمْ، ولا تَقُولوا نَخافُ أن نَعْلَمَ فلا نَعْمَلَ، ولكنْ قولوا نَرْجو أنْ نَعْلَمَ فَنَعْمَلَ، إذِ الْعِلْمُ يَشْفَعُ لِصاحِبِهِ، وَحَقٌّ على الله أنْ لا يُخْزِيَهُ، وإنَّ الله تَعالى يَقولُ يَوْمَ الْقِيامَةِ: يا مَعْشَرَ الْعُلَماءِ، ما ظَنُّكُمْ بِرَبِّكُمْ؟ فَيَقولونَ: ظَنُّنا أنْ تَرْحَمَنا، وَتَغْفِرَ لنا، فَيَقولُ: إنِّي قَدِ اسْتَوْدَعْتُكُمْ حِكْمَتِي لا لِشَرٍّ أَرَدْتُهُ بِكُمْ، بل لِخَيْرٍ أرَدْتُهُ بِكُمْ، فَادْخُلوا في صالِحِي عِبادِي إلى جَنَّتِي بِرَحْمَتِي[3].

ثُمَّ إنَّكَ إذا عَرَفْتَ مِنَ الْأَدِلَّةَ النَّقْلِيَّةِ قَدْرًا يَحْصُلُ به التَّنْبِيهُ على الْمَرَامِ، فَلْنُورِدْ من الشَّواهِدِ[4] الْعَقْلِيَّةِ ما يُحَصِّلُ لَكَ الْيَقِينَ التَّامَّ.

---

(1) ينظر مفاتيح الغيب: 2/ 407-408.

(2) الإنجيل: عبري معرب، جاء من النجل وهو الإظهار.

(3) ينظر مفاتيح الغيب: 2/ 408.

(4) الأدلة الشواهد، في قونية.

واعْلَمْ أنَّ شَرَفَ الشَّيْءِ وَفَضِيلَتَهُ إمَّا لِذَاتِهِ أو لِغَيْرِهِ، والْعِلْمُ حائِزٌ لِكِلا الشَّرَفَيْنِ، وجامِعٌ لِكِلْتا الْفَضِيلَتَيْنِ، لِأَنَّهُ لَذِيذٌ في نَفْسِهِ، فَيُطلَبُ لِذاتِهِ، وَلِغَيْرِهِ فَيُطْلَبُ لِأَجْلِهِ.

أمَّا الأَوَّلُ، فلا يَخْفى على أَحَدٍ مِنْ مُزاوِلِيهِ، أنَّ لَهُ لَذَّةً[1] لا نِهَايَةَ لَهَا، ولا لَذَّةَ فَوْقَهَا، وكان مُحَمَّدُ بنُ الْحَسَنِ يَقولُ عِنْدَما انْحَلَّتْ[2] له مُشْكِلَاتُ الْعُلومِ: أَيْنَ أَبْناءُ الْمُلوكِ مِنْ هَذِهِ اللَّذَّةِ؟! سِيَّمَا إذا كانَتِ الْفِكْرَةُ في مَلَكوتِ السَّماواتِ وَالْأَرَضِينَ، وفي أَسْرَارِ رَبِّ الْعالَمينَ.

وَأَيْضًا إِنَّ شَرَفَ الْعِلْمِ لا يَقْبَلُ الْعَزْلَ؛ كَعَزْلِ الْوُلَاةِ والْأُمَراءِ، وَسائِرِ أَرْبابِ الْمَناصِبِ الدُّنيوِيَّةِ، ومع دَوامِها لا مُزاحَمَةَ فيها لِأَحَدٍ، لأنَّ الْمَعْلوماتِ مُتَّسِعَةٌ لِلطُّلابِ وإنْ كَثُروا، بَلْ يَزيدُ بِكَثْرَةِ الشُّرَكاءِ، بِخِلافِ حُطَامِ الدُّنْيا وجاهِها، ولهذا يَكْثُرُ فيها الْبَغْضاءُ، وَيَعْظُمُ في تَحْصيلِها الشَّحْناءُ، ومع كَوْنِها أَوْفَى اللَّذَّاتِ وَأَدْوَمَهَا، وأَشْمَلَهَا وأَعَمَّهَا، لا تَرَى أَحَدًا مِنَ الْوُلَاةِ والْأُمَرَاءِ وسائِرِ أَبْناءِ الدُّنْيا لا يَتَمَنَّوْنَ أنْ يكونَ عِزُّهُمْ كَعِزِّ الْعُلَماءِ، إلَّا أنَّ الْمَوانِعَ الشَّهْوانِيَّةَ تَمْنَعُ عن نَيْلِهَا.

هذه هي اللَّذَائِذُ الْحَاصِلَةُ في نَفْسِ الْعِلْمِ. وأمَّا اللَّذائِذُ الْحاصِلَةُ لِغَيْرِهِ[3]:

أمَّا في الْأُخْرَى، فَلِكَوْنِهِ وَسيلةً تارَةً إلى أَعْظَمِ اللَّذائِذِ الأُخْرَوِيَّةِ، وأخْرى إلى أكْمَلِ السَّعاداتِ الْأَبَدِيَّةِ.

---

(1) لأنها لذة، في الأزهرية ورئيس الكتاب. أنها لذة، في مراد ملا.

(2) انحل، في قونية ورئيس الكتاب وأنطاليا.

(3) بغيره، في قونية.

أمّا الأوّلُ، فَلَذَّةُ الْوُصولِ إلى جِوَارِ رَبِّ الْعالَمِينَ، والْبُلُوغِ إلى مَرْضاتِهِ التي هي الْمَقْصَدُ الْأقْصَى، والسَّعادَةُ الْكُبْرَى، ولَذَّةُ النَّظَرِ إلى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ، الَّتِي هي غايَةُ الْغاياتِ، ومُنْتَهَى جَمِيعِ السَّعَادَاتِ.

وأمّا الثّانِي، فَلِأنَّ الْعِلْمَ لا أقَلَّ مِنْ أنْ يَكونَ سَبَبًا لِلْوُصولِ إلى الْأفُقِ الْمُبِينِ، ولُحُوقِ زُمْرَةِ الْمَلَإِ الْأعْلى في جِوارِ رَبِّ الْعالَمِينَ، ولا يَخْفَى أنَّهُ لا بُلوغَ إلى شَيْءٍ منها إلَّا بالْعَمَلِ الْمُتَوَقِّفِ على الْعِلْمِ، فهو رَأْسُ السَّعاداتِ وَرَئِيسُهَا.

وأمَّا الْمَنافِعُ الدُّنْيَوِيَّةُ، فَالْعِزُّ والْوَقارُ، ونُفُوذُ الْحُكْمِ على الْمُلوكِ، ولُزومُ الِاحْتِرامِ في الطِّباعِ، ولَوْ ابْتُلِيَ بِداءِ الْحَسَدِ والْعِنَادِ، ألا تَرَى أنَّ بَعْضَ الْجَهَلَةِ الْمُعانِدِينَ قالوا عِنْدَ رُؤْيَةِ رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: [البسيط]

لَوْ لَمْ تَكُنْ فيهِ آياتٌ مُبَيِّنَةٌ   كانَتْ بَدِيهَتُهُ تُنْبِيكَ عَنْ خَبَرِ[1]

وأيضًا تَرَى أَغْبِياءَ التُّرْكِ، وَأَجْلافَ الْعُرْبِ، يُصَادِفُونَ طِباعَ أنْفُسِهِمْ مَجْبُولَةً على التَّوقيرِ لِشُيوخِهِمْ، لاخْتِصاصِهِمْ بِمَزِيدِ عِلْمٍ مُسْتَفادٍ من التَّجْرِبَةِ، بل الْبَهِيمَةُ تَجِدُها تُوَقِّرُ الإنْسانَ بِطَبْعِها، لِشُعورِها بِتَمَيُّزِ الْإنْسانِ بِكَمالٍ مُجاوِزٍ لِدَرَجَتِها، حتَّى إنَّها تَحْتَشِمُهُ، وتَنْزَجِرُ بزَجْرِهِ، وإنْ كانَتْ قُوَّتُهَا أضْعافَ قُوَّةِ الإنْسانِ، وما ذاك إلَّا لاخْتِصاصِهِ بالْعِلْمِ.

---

(1) البيت لعبد الله بن رواحة وهو في ديوان شعره: 160. بالخبر، في الديوان.

الْمُقَدِّمَةُ الثَّانيةُ:

فِي شَرائِطِ الْمُتَعَلِّمِ وَوَظائِفِهِ:

وهي كَثيرةٌ؛ قال زِينُونُ: سَمِعْتُ أَرِسْطو طاليسَ يَقولُ: سَمِعْتُ مُعَلِّمِي أَفْلَاطونَ يَقولُ: سَمِعْتُ مُعَلِّمِي سُقْرَاطَ يَقولُ: يَنْبَغي لِمَنْ يَتَعَلَّمَ الْحِكْمَةَ أنْ يَكونَ شابًّا، فارِغَ الْقَلْبِ، غَيْرَ مُلْتَفِتٍ إلى الدُّنْيَا، صَحِيحَ الْمِزاجِ، مُحِبًّا لِلْعِلْمِ، حيثُ لا يَخْتارُ على الْعِلْمِ شيئًا من الأشْياءِ، وَيَكونَ صَدُوقًا لا يَتكَلَّمُ بغيرِ الصِّدْقِ، وَيَكونَ مُحِبًّا للإنْصَافِ بالطَّبْعِ لا بالتَكَلُّفِ، وَيَكونَ مُتَدَيِّنًا، أَمِينًا، عَالِمًا بالْوَظائِفِ الشَّرْعِيَّةِ، وَالْأَعْمالِ الدِّينِيَّةِ، غيرَ مُخِلٍّ بِواجِبٍ فيها، ويُحرِّمَ على نَفْسِهِ ما يَحْرُمُ في مِلَّةِ نَبِيِّهِ، ويُوَافِقَ الْجُمْهورَ في الرُّسومِ والْعَاداتِ الْمُسْتَعْمَلَةِ عند أهْلِ الزَّمانِ، ولا يكونَ قَطُّ سَيِّئَ الْخُلُقِ، ويَرْحَمَ على مَنْ دونَهُ في الْمَرْتَبَةِ، ولا يَكُونَ أَكولًا ولا مُتَهَتِّكًا، ولا خاشِعًا من الْمَوْتِ، ولا جامِعًا لِلْمالِ إلَّا بِقَدْرِ الْحاجَةِ، فإنَّ الاشْتِغَالَ بِطَلَبِ أَسْبابِ الْمَعِيشَةِ مانِعٌ عنِ التَّعَلُّمِ.

واعْلَمْ أَنَّا نَكْتَفِي من الشَّرائِطِ بِعَشَرَةٍ، وَنُفَصِّلُهَا هاهُنَا في ضِمْنِ عَشَرَةِ وَظائِفَ:

الْوَظِيفَةُ الأولى:

تَزْكِيَةُ النَّفْسِ عن رَذائِلِ الأَخْلَاقِ

وهذه مُتَقَدِّمَةٌ على الْكُلِّ تَقَدُّمَ طَهَارةِ الْجَوارِحِ على عِبادَةِ الْبَدَنِ - أَعْنِي الصَّلاةَ - إذِ الْعِلْمُ عِبادَةُ الْقَلْبِ، وجَوارِحُهَا أَوْصَافُهَا وَأَخْلَاقُهَا، فلا بُدَّ من تَطْهِيرِهَا قَبْلَ الشُّروعِ في الْعِلْمِ، كما قال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ: «لا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فيهِ كَلْبٌ»[1].

فكما أنَّ الْمَلَائِكَةَ لا تَدْخُلُ الْبُيوتَ الْمَحْسُوسَةَ إذا وُجِدَ فيها الْكِلابُ الصُّورِيَّةُ، كذلك لا تَدْخُلُ الْبُيوتَ الْمَعْنَوِيَّةَ - أَعْنِي الْقُلوبَ[2] - إذا وُجِدَ فيها الْكِلَابُ الْبَاطِنِيَّةُ - أعْنِي خَبَائِثَ الْأَخْلاقِ وَأَنْجَاسَ الصِّفاتِ.

حُكِيَ عن بعضِ الأُمَمِ السَّالِفَةِ أَنَّهُمْ [كانوا][3] يَخْتَبِرونَ الْمُتَعَلِّمَ أَوَّلًا، فإنْ وَجَدوا فيه خُلُقًا رَدِيئًا مَنَعوهُ التَّعْليمَ أَشَدَّ الْمَنْعِ، وكانوا يَعْتَذِرونَ عنه بأنَّ الْعِلْمَ يَصيرُ آلَةً يَسْتَعِينُ بها في الْفَسادِ، وإنْ وَجَدوهُ مُهَذَّبَ الأخْلاقِ، قَيَّدوهُ في دارِ التَّعْليمِ، وعَلَّمُوهُ، ولا يُطْلِقونَهُ قبل الاِسْتِكْمَالِ، خِيفَةَ مِنْ أنْ يُقَصِّرَ في الْعِلْمِ فَيَفْسُدَ به دِينُهُ ودِينُ غَيْرِهِ.

---

(1) صحيح البخاري: 4/ 114، رقم: 3225، صحيح مسلم: 3/ 1665، رقم: 2106.

(2) القلب، في رئيس الكتاب.

(3) زيادة من مراد ملا.

ويُرْوَى عن بعض الْحُكَماءِ أَنَّهُ قال: لا تُعَلِّمُوا أَوْلادَ السَّفِلَةِ[1]، فإِنْ هُمْ نَالُوا الشَّرَفَ حَرَصُوا على مَذَلَّةِ الأحْرارِ[2].

والسَّبَبُ فيه غَلَبَةُ سوءِ الْخُلُقِ في أَوْلادِ السَّفِلَةِ، وأمَّا ما تَرَاهُ عالِمًا سَيِّئَ الْأَخْلاقِ فذلكَ عالِمٌ باللِّسَانِ دونَ الْقَلْبِ، وعالِمٌ بِاصْطِلاحِ هذا الزَّمانِ دونَ السَّلَفِ؛ إذْ لو ظَهَرَ نورُ الْعِلْمِ على قَلْبِهِ لَحَسُنَتْ أخْلاقُهُ، فإنَّ أقَلَ دَرَجاتِ الْعالِمِ أنْ يَعْرِفَ أنَّ الْمَعاصِيَ وَرَذائِلَ الْأَخْلاقِ سُمُومٌ مُهْلِكَةٌ، وهل تَطيبُ نَفْسُ عَاقِلٍ يَتَنَاوَلُ السُّمَّ؟!

ولهذا قالَ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ: «مَنِ ازْدَادَ عِلْمًا ولَمْ يَزْدَدْ هُدًى لَمْ يَزْدَدْ مِنَ اللهِ إِلَّا بُعْدًا»[3].

وقال بَعْضُ الْمُحَقِّقِينَ: مَعْنَى قَوْلِهِمْ: تَعَلَّمْنَا الْعِلْمَ لِغَيْرِ اللهِ، فَأَبَى الْعِلْمُ أَنْ يَكونَ إِلَّا للهِ[4]، أنَّ الْعِلْمَ امْتَنَعَ وأَبَى أَنْ يَحْصُلَ إِلَّا[5] أَنْ تَحْصُلَ النِّية للهِ تعالى، وما حَصَلَ قَبْلَهَا كانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى، وإِنَّمَا الصَّيْدُ في جَوْفِ الْفَرَا[6].

---

(1) السَّفِلة والسِّفْلةُ من القوم أراذلهم. اللسان: سفل.

(2) ينظر السلوك في طبقات العلماء والملوك: 1/ 262، وقلادة النحر في وفيات أعيان الدهر: 4/ 33.

(3) ميزان العمل: 343، الإحياء: 1/ 59، طبقات الشافعية الكبرى: 6/ 289.

(4) المصدر نفسه: 365، المصدر نفسه: 1/ 49-56، المدخل لابن الحاج: 2/ 124.

(5) إلى، في مراد ملا.

(6) كُلُّ الصَّيْدِ في جَوْفِ الفَرا، مثل عربي يُضرب لمن يُفَضَّلُ على أقرانه. جمهرة الأمثال: 1/ 165، مجمع الأمثال: 2/ 136. والفرأ: حمار الوحش، والجمع أفراء وفراء. اللسان: فرأ.

الوظيفَةُ الثَّانيةُ:

تَحْصِيلُ الإخْلاصِ في مُقاساةِ هذا الْمَسْلَكِ الْوَعْرِ، وقَطْعُ الطَّمَعِ عن قَبولِ زَيْدٍ وعَمْرٍو. ولِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوَاهُ، لا ما جَمَعَهُ صَدْرُهُ وحَوَاهُ، لا وَفْقَ عُجْبِهِ وهَوَاهُ.

أَمَا قَرَعَ سَمْعَكَ أنَّ بَعْضًا من الْعُلَمَاءِ لَمَّا سَمِعَ قَوْلَ حَبِيبِ رَبِّ الْعالَمِينَ: «مَنْ أَخْلَصَ للهِ تعالى أَرْبَعينَ صَباحًا، فُجِّرَتْ يَنابِيعُ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ على لِسانِهِ»[1]، وفَعَلَ ذلكَ طَمَعًا في الْحِكْمَةِ فَلَمْ يَحْظَ منها بِطَائِلٍ، رَأَى في الْمَنَامِ هاتِفًا يقولُ: إنَّكَ ما أَخْلَصْتَ للهِ، بَلْ لِلْحِكْمَةِ؟ و«الأَعْمالُ بالنِّياتِ وإِنَّما لِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوَى»[2].

فَيَنْبَغِي أنْ يَنْوِيَ في التَّعَلُّمِ أنْ يَعْمَلَ بِعِلْمِهِ للهِ تعالى، والْيَوْمِ الآخِرِ، وأنْ يُعلِّمَ الْجاهِلَ، وَيوقِظَ الْغافِلَ، ويُرْشِدَ الْغَوِيَّ، ويُؤَيِّدَ مَنْ لَيْسَ بِقَوِيٍّ، فإنَّ التَّعَلُّمَ لغَيْرِ اللهِ حَرامٌ باطِلٌ، وطَلَبَ الْعِلْمِ لا لِلْعَمَلِ به ضائِعٌ.

وفي الْحَديثِ: «عِلْمٌ لا يُنْتَفَعُ به كَكَنْزٍ لا يُنفَقُ منه»[3].

---

(1) مصنف ابن أبي شيبة: 7/ 80، مسند الشهاب القضاعي: 1/ 285، إكمال المعلم: 7/ 154، الموضوعات لابن الجوزي: 3/ 144، جامع الأصول: 11/ 556.

(2) صحيح البخاري: 1/ 6 رقم: 1، صحيح مسلم: 3/ 1515، رقم: 1907.

(3) مسند الدارمي: 1/ 213، تاريخ جرجان: 78، التَّدوين في أخبار قزوين: 3/ 6، مشكاة المصابيح: 1/ 92.

وَنَفْعُ الْعِلْمِ: حُسْنُ الاهْتِداءِ في الْعِبادَةِ، فَمَنْ لَمْ يَزْدَدْ بالْعِلْمِ وَرَعًا وزُهْدًا، لم يَزْدَدْ مِنَ اللهِ تعالى إلَّا مَقْتًا وَبُعْدًا.

وقَدْ كانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ يَتَعَوَّذُ بالله تعالى مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ[1].

وَكانَ يقولُ: «الْعِلْمُ عِلْمانِ، عِلْمٌ في الْقَلْبِ، فَذَلكَ الْعِلْمُ النَّافِعُ؛ وعِلْمٌ على اللِّسانِ، فَذَلِكَ حُجَّةُ اللهِ تعالى على بَنِي آدَمَ»[2].

وَقالَ: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا مَنْ لَمْ يَنْفَعْهُ اللهُ بِعِلْمِهِ»[3].

ومَنْ لَمْ يَعْمَلْ بِعِلْمِهِ زَلَّتْ مَوْعِظَتُهُ عن الْقُلُوبِ كما يَزِلُّ الْقَطْرُ عن الصَّفَا[4].

قالَ بَعْضُ الْعُلَماءِ الصَّالِحينَ: الْكَلَامُ إذا لَمْ يَخْرُجْ مِنَ الْقَلْبِ لَمْ يَصِلْ إلى الْقَلْبِ.

أَقولُ: وَلَقَدْ جَرَّبْتُهُ كَثيرا وَوَجَدْتُهُ كما قالَ.

---

(1) «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ...» الحديث، صحيح مسلم: 4/ 2088، رقم: 2722.

(2) الزهد والرقائق لابن المبارك: 407، مصنف ابن أبي شيبة: 7/ 82، عيون الأخبار: 2/ 142، جامع بيان العلم وفضله: 1/ 661، العلل المتناهية: 73.

(3) المجالسة وجواهر العلم: 1/ 392، الكامل في الضعفاء: 3/ 474، مسند الشهاب القضاعي: 2/ 171، شعب الإيمان: 3/ 274، جامع بيان العلم وفضله: 1/ 628.

(4) جامع بيان العلم وفضله: 1/ 700، الإحياء: 1/ 63.

وقالَ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ: «مَنْ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ لِأَرْبَعٍ دَخَلَ النَّارَ، لِيُبَاهِيَ به الْعَلَماءَ، ولِيُمَارِيَ به السُّفَهاءَ، ويُقْبِلَ به وُجوهُ النَّاسِ إليه، ولِيَأْخُذَ به الْأَمْوالَ»[1].

ومِنْ جُمْلَةِ التَّسْويلاتِ الشَّيْطانِيَّةِ أنْ يُؤَخِّرَ الْعَمَلَ إلى أنْ يَتَمَهَّرَ ويَتَبَحَّرَ في الْعِلْمِ، وهذا مِنْ جُمْلَةِ خِداعِ النَّفْسِ، إذْ رُبَّمَا يُفاجِئُهُ الْمَوْتُ، وَيَخْتَرِمُهُ الْأَجَلُ، قَبْلَ الْقِيَامِ بِحَقِّ الْعَمَلِ، فَيَصيرُ إلى النَّارِ مَعَ الْفُسَّاقِ والْفُجَّارِ. نَبَّهَنَا اللهُ تعالى وإِيَّاكُمْ عَنْ هذه الْغَفْلَةِ.

الْوَظيفَةُ الثَّالِثَةُ:

تَقْلِيلُ الْعَلَائِقِ[2] الدُّنْيَوِيَّةِ حَتَّى الأَهْلِ والْأَوْلادِ والْوَطَنِ

فإنَّ الْعَلَائِقَ صَارِفَةٌ وشاغِلَةٌ لِلْقُلوبِ، و﴿مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾[3]. ومهما تَوَزَّعَتِ الْفِكْرَةُ، قَصُرَتْ عَنْ دَرْكِ الْحَقائِقِ، وفَهْمِ الدَّقائِقِ.

وقَدْ قيلَ: الْعِلْمُ لا يُعْطِيكَ بَعْضَهُ حَتَّى تُعْطِيَهِ كُلَّكَ، فإذا أَعْطَيْتَهُ كُلَّكَ، فَأَنْتَ على خَطَرٍ من الْوُصولِ إلى بَعْضِهِ.

---

(1) أخرجه أبو الليث السمرقندي في تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين: 436، والحاكم في المستدرك 1/ 86، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله 1/ 187.

(2) تَقليلٌ للعلائق، في مراد ملا.

(3) سورة الأحزاب، الآية: 4.

وَأيْضًا الْفِكْرَةُ الْمُتَوزِّعَةُ كَجَدْوَلٍ تَفَرَّقَ ماؤُهُ، فَيَخْطَفُهُ[1] الْهَوَى، وتُنَشِّفُهُ[2] الأَرْضُ، فلا يَبْقَى مِنْهُ ما يَبْلُغُ الْمَزْرَعَةَ.

الْوَظِيفَةُ الرَّابِعَةُ:

تَرْكُ الْكَسَلِ والتَّشْمِيرُ[3] لِنَيْلِ الْمَعَالِي، وإيثَارُ السَّهَرِ في اللَّيالِي

وقَدْ قِيلَ: مَا اشْتَارَ[4] الْعَسَلَ مَنِ اخْتَارَ الْكَسَلَ. فعليك بحَزْمِ الْعَزْمِ، وتَطَلُّبِ الْحَزْمِ.

ومن جُمْلَةِ أَسْبَابِ الْكَسَلِ: الاِعْتِمادُ على الاِسْتِقْبَالِ، فإنَّ ذلك رُبَّما يَخْتَرِمُ الْآمالَ، ويَمْنَعُ الْأَشْغَالَ.

وَمِنَ الْمُقَرَّرِ لَدَى الْعامَّةِ والْخاصَّةِ أنَّ فَوْتَ الْفُرْصَةِ مما يورِثُ الْغُصَّةَ.

قالَ الشَّاعِرُ: [الطويل]

إِذَا هَجَعَ النُّوَّامُ أَسْبَلْتُ عَبْرَتِي ... وَأَنْشَدْتُ بَيْتًا فَهْوَ مِنْ أَحْسَنِ الشِّعْرِ[5]
أَلَيْسَ من الْخُسْرَانِ أَنَّ لَيَالِيًا ... تَمُرُّ بلا شَيءٍ وتُحْسَبُ من عُمْرِي[6]

---

(1) فيختطف، في قونية وأنطاليا. فيتخطف، في رئيس الكتاب.

(2) ويتشف، في قونية وأنطاليا ورئيس الكتاب.

(3) التَّشمر: في رئيس الكتاب وأنطاليا.

(4) شَار الْعَسَلَ يَشُوره واشْتَاره يَشْتارُه: اجْتَنَاهُ مِنْ خَلَايَاهُ وَمَوَاضِعِهِ. اللسان: شور.

(5) ينسب البيت الأول والثاني للإمام الشافعي، ولم نقف علهما في ديوان شعره، وهما في غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب: 2/ 444، والثالث ورد غير منسوب في بعض المصادر منها: اعتلال القلوب للخرائطي: 1/ 246.

(6) بلا نفع، في مراد ملا.

إذا أَنْتَ لم تَزْرَعْ وأبْصَرْتَ حَاصِدًا   نَدِمْتَ على التَّفْرِيطِ في زَمَنِ الْبَذْرِ

وَمِنْ جُمْلَةِ أَسْبَابِ الْكَسَلِ في اكْتِسَابِ الْعِلْمِ: تَذَكُّرُ الْمَوْتِ والْخَوْفُ منه، فَاعْلَمْ أنَّ تَذَكُّرَهُ يَنْبَغِي أنْ يكونَ مِنْ جُمْلَةِ أَسْبابِ التَّحْصِيلِ، إذْ لا عَمَلَ يَحْصُلُ به الاسْتِعْدَادُ لِلْمَوْتِ أفْضَلُ مِنَ الْعِلْمِ والْعَمَلِ بِهِ. وجَعْلُهُ سَبَبَ الْكَسَلِ إمَّا مِنْ عَدَمِ الْوُقُوفِ على فَضْلِ الْعِلْمِ، أو مِنْ جَعْلِهِ سَبَبًا لِلْأمورِ الدُّنيويَّةِ الْمُنْقَطِعَةِ بالْمَوْتِ.

وأمَّا الْخَوْفُ مِنَ الْمَوْتِ، فلا يَنْبَغِي أنْ يَتَسَلَّطَ على الْإنْسانِ، بِحَيْثُ يَشْغَلُهُ عن الاسْتِعْدادِ لِلْأُمورِ الْأُخْرَوِيَّةِ.

وَقَوْلُ النَّبِي صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ: «أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَادِمِ اللَّذَّاتِ»[1]، يَدُلُّ على أَنَّهُ يَنْبَغي أنْ يَكونَ ذِكْرُهُ سَبَبًا لِلانْقِطاعِ عن اللَّذَّاتِ الْفَانِيَةِ دونَ الْباقِيَةِ. وَطَرِيقُ نَفْيِ الْغَمِّ عن الْمَوْتِ أنَّهُ إمَّا لِأَجْلِ مُفارَقَةِ الدُّنْيَا، وذَلِكَ حُمْقٌ وخَرَقٌ، وإمَّا لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وذلك غَيْرُ مُفِيدٍ، إلَّا أنْ يَتَدَارَكَهُ، وتَدَارُكُهُ الاسْتِعْدَادُ له في الْحالِ، ولا نَفْعَ لِمُجَرَّدِ الْغَمِّ لذلك، بلِ اللَّائِقُ أنْ يَبْقَى سَاكِنَ الْقَلْبِ، مُنْتَظِرًا لِقَضاءِ الله وقَدَرِهِ، وَيَتَحَقَّقَ أنَّ ما قُدِّرَ فهوَ كائِنٌ، ويَتَذَكَّرَ قَوْلَهُ تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾[2]. الآية.

(1) مسند أحمد: 13/ 301، رقم: 7925، سنن ابن ماجه: 2/ 1422، رقم: 4258، المعجم الأوسط: 1/ 213، رقم: 691.

(2) سورة الحديد، الآية: 22.

ثُمَّ إنَّ الْغَمَّ لأجْلِ الْمَوْتِ، إمَّا لِفَوْتِ شَهْوَةِ بَطْنِهِ وَفَرْجِهِ، وإمَّا على ما يُخَلِّفُهُ من مَالِهِ، وإمَّا على جَهْلِهِ بِحَالِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَمَآلِهِ، وإمَّا على ما قَدَّمَهُ مِنْ عِصْيانِهِ.

ـ أمَّا الأوَّلُ، فَجَهْلٌ، لأنَّ لذَّةَ الطَّعامِ دَفْعُ[1] ألَمِ الْجُوعِ، ولَذَّةَ الْجِمَاعِ دَفْعُ ألَمِ دَغْدَغَةِ الْمَنِيِّ لِأَوْعِيَتِهِ. وطَلَبُ هاتَيْنِ اللَّذَّتَيْنِ؛ كَإِرَادَةِ دَاءٍ لِيَلْتَذَّ بِدَوائِهِ؛ وكَالْإِكْثَارِ مِنَ الْقُعُودِ في الْحَمَّامِ لِيَلْتَذَّ بِشُرْبِ مَاءٍ بارِدٍ.

ـ وأمَّا الثَّانِي، فَمِنْ جَهْلِهِ بِخَسَاسَةِ الْمَالِ، وحَقَارَةِ الدُّنْيَا، بِالْإضافَةِ إلى النَّعِيمِ الْمُقِيمِ الْمَوْعودِ لِلْمُتَّقِينَ، على أنَّكَ إنْ لَمْ تَتْرُكِ الْمَالَ، فَهُوَ يَتْرُكُكَ قَطْعًا، كما قِيلَ: [الطويل]

تُنَاضِلُهُ الْآفَاتُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ... فَتُخْطِئُهُ طَوْرًا وَطَوْرًا تُصِيبُهُ[2]

وَعَلَيْكَ أن تَعْرِفَ أنَّ الدُّنيا جَمَّةُ الْمَصائِبِ، وَكَدِرَةُ الْمَشارِبِ، تُورِثُ لِلْبَرِيَّةِ أنْواعَ الْبَلِيَّةِ، مع كلِّ لُقْمَةٍ غُصَّةٌ.

فإنْ تَأَمَّلْتَ لِمَاضٍ، فَذَلِكَ لا يَلُمُّ ما شَعَثَ، ولا يَرُمُّ ما انْتَكَثَ؛ وإنْ كانَ لِحاضِرٍ، فذلِكَ بِقَضاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ، ومع ذلك فَمُنْقَضٍ؛ وإنْ كانَ لِمُسْتَقْبَلٍ، فإنْ كانَ مِمَّا يُحْتَمَلُ وُقُوعُهُ فذلك حُمْقٌ، إذِ الْحُزْنُ الْحاضِرُ لأمْرٍ مُحْتَمَلٍ

---

(1) لدفع، في قونية.

(2) ورد البيت غير منسوب في الذَّريعة إلى مكارم الشريعة: 235، وميزان العمل: 1/ 389.

الْوُقوعِ خَارِجٌ عن طَوْرِ الْعَقْلِ؛ وإنْ كان مُحَقَّقَ الْوُقوعِ؛ كَالْمَوْتِ فَسَتَعْرِفُ حَالَهُ.

قالَ الله تَعالى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾[1]. قيل هذه الآيَةُ جامِعَةٌ لأصولِ الزُّهْدِ بتَمامِها.

- وأمَّا الثَّالِثُ، فَعَلَيْهِ أنْ يَطْلُبَ عِلْمًا يَكْشِفُ حالَهُ بَعْدَ الْمَوْتِ، كما قال حَارِثَةُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إلى عَرْشِ رَبِّي بَارِزًا، وكأَنِّي أَنْظُرُ إلى أَهْلِ الْجَنَّةِ يتَزَاوَرُونَ فِيهَا، وإلى أَهْلِ النَّارِ يَتَعَاوَوْنَ فِيهَا»[2].

وهذا الْعِلْمُ إنَّما يَحْصُلُ بِمَعْرِفَةِ حَقيقَةِ النَّفْسِ، وكَيْفِيَّةِ عَلاقَتِها بالْبَدَنِ، وَوَجْهِ خاصِّيَتِهِ التي خُلِقَ[3] الْبَدَنُ لها، وَوَجْهِ الْتِذَاذِهِ بِخاصِّيَتِهِ وكَمَالِهِ، مع مَعْرِفَةِ الرَّذائِلِ الْمانِعَةِ له من كَمالِهِ. وقد نَبَّهَ الشَّرْعُ عليه في مَواضِعَ كَثيرَةٍ، وَأَمَرَ بالتَّفَكُّرِ في النَّفْسِ، كما أمَرَ بالتَّفَكُّرِ في مَلَكوتِ السَّماواتِ والأَرْضِ.

- وأمَّا الرَّابِعُ، فلا يَنْفَعُ الغَمُّ فيه، بلِ الْمُداواةُ الْمُبادَرَةُ بالتَّوْبَةِ، وإصْلاحِ ما فَرَطَ مِنْ أمْرِهِ؛ كمَنِ انْفَجَرَ عِرْقُهُ وهو يَغْتَمُّ له ولا يُعَصِّبُهُ. وأيضًا الْفَائِتُ لا يُتدارَكُ، فليشتغلْ بالْمُسْتَقْبَلِ.

وأمَّا حالُ الإنْسانِ عند الْمَوْتِ فثَلاثَةٌ:

---

(1) سورة الحديد، الآية: 23.

(2) الجامع لمعمر بن راشد: 11/129، الزهد والرقائق لابن المبارك: 106، مصنف عبد الرزاق: 10/194، مصنف ابن أبي شيبة: 6/170، الذريعة إلى مكارم الشريعة: 237، الترغيب والترهيب: 1/73.

(3) خلقت، في رئيس الكتاب وأنطاليا والأزهرية.

ـ **الأَوَّلُ**: ذو بَصيرَةٍ، يَعْلَمُ أَنَّ الْحَيَاةَ رِقٌّ، والْمَوْتَ عِتْقٌ، وأَنَّ الدُّنْيَا كَخَطْفَةِ بَرْقٍ، وإِنْ طالَ مُكْثُهُ فيها، فهذا لا يَغْتَمُّ لِمَوْتِهِ إِلَّا لِمَا يُفَوِّتُ مِنْ خِدْمَةِ رَبِّهِ، والازْدِيَادِ مِنْ قُرْبِهِ، فإذا عَجَزَ عن خِدْمَةِ رَبِّهِ، رُبَّمَا اشْتاقَ إلى الْمَوْتِ.

قيلَ لِبَعْضِهِمْ عند مَوْتِهِ: لِمَ تَجْزَعُ؟ قال: لأنِّي أَسْلُكُ طَرِيقًا لَمْ أَعْهَدْهُ، وأَقْدُمُ رَبًّا لم أَرَهُ، ولا أَدْرِي ما أقولُ، وما يُقالُ لي.

والثَّانِي: رَدِيءُ الْبَصِيرَةِ، رَضِيَ بالْحَياةِ الدُّنْيَا، وَاطْمَأَنَّ بها، وَيَئِسَ مِنْ دارِ الآخِرَةِ، كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ[1]، فإذا خَرَجَ إلى دارِ الْخُلودِ، أَضَرَّ به **كَمَا تُضِرُّ رِياحُ الْوَرْدِ بِالْجُعَلِ**[2].

فالدُّنْيَا سِجْنُ الأَوَّلِ، وجَنَّةُ الثَّانِي، وشَتَّانَ ما بينهما. والأَوَّلُ كَعَبْدٍ دَعاهُ مَوْلاهُ للإِحْسانِ، والثَّانِي كَعَبْدٍ آبِقٍ رُدَّ إلى مولاهُ مَأسورًا مَقْهورًا، نَاكِسَ الرَّأْسِ، مَخْزِيًّا من جِنَايَتِهِ.

والثَّالِثُ، رُتْبَةٌ بين الرُّتْبَتَيْنِ، رَجُلٌ عَرَفَ غَوائِلَ الدُّنْيا، وَكَرِهَ صُحْبَتَهَا، ولكن أَنِسَ بِهِ وَأَلِفَهُ، فَيَكْرَهُ الْخُروجَ منه، فإذا خَرَجَ، ورأى ما أُعِدَّ للصَّالحين، قال: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (34) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا

---

(1) وظف المصنف الآية: 13 من سورة الممتحنة لإتمام كلامه.

(2) هو عجز بيت من شعر المتنبي يسري مسرى المثل، وأوله: بِذِي الْغَبَاوَةِ مِنْ إِنْشادِها ضَرَرٌ. شرح ديوان المتنبي: 3/ 40.

يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾[1]. وذلك كالصَّبِيِّ يَبْكِي لِلِانْتِقالِ عن رَحِمِ الأُمِّ، ثم إذا أَنِسَ فَضاءَ الْعالَمِ لا يَتَمَنَّى الِانْتِقالَ إليها.

وقَدْ ثَبَتَ عند الْمُحَقِّقينَ أنَّ الْمَوْتَ وِلادَةٌ ثانيةٌ، وأنَّ فَضاءَ الدُّنيا بالنِّسْبَةِ إلى عالَمِ الآخِرَةِ نِسْبَةُ الرَّحِمِ إلى الدُّنْيا. كما قالَ بَعْضُهُمْ: يَنْبَغي أنْ يكونَ شُكْرُنَا لِعِزْرَائِيلَ كَشُكْرِنَا لِجِبْرَائِيلَ وَمِيكائِيلَ عليهمُ السَّلامُ. كما وَرَدَ في الدُّعاء: اللَّهُمَّ صَلِّ على مُحَمَّدٍ وجِبْرَائِيلَ ومِيكَائيلَ ومَلَكِ الْمَوْتِ. فإنَّ جِبْرائيلَ ومِيكائيلَ سَبَبانِ لسَبيلِ الْخَلَاصِ في الآخِرَةِ بواسطَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ، وعِزْرَائيلَ سَبَبٌ لإخْراجِنَا إلى ذلك الْعَالَمِ، فَحَقُّهُ عَظيمٌ، وشُكْرُهُ لازِمٌ.

وقد حُكِيَ عن طائِفَةٍ من حُكَماءِ الأُمَمِ السَّالِفَةِ تَعْظِيمُ رَجُلٍ بالتَّقْدِيسِ والتَّسْبِيحِ، لأَنَّهُمْ اعْتَقَدوا أنَّهُ لا يُعِينُ على الْحَياةِ الْعَرَضِيَّةِ، بل هو سَيْفُ الْهَلَاكِ الذي به الْخَلَاصُ عن الدُّنْيا الدَّنِيَّةِ[2].

الْوظيفَةُ الْخامِسَةُ:

أَنْ تُوَطِّنَ نَفْسَكَ على التَّعَلُّمِ إلى آخِرِ الْعُمُرِ، لِمَا قيلَ: الطَّلَبُ من الْمَهْدِ إلى اللَّحْدِ.

---

(1) سورة فاطر، الآية: 34-35.

(2) ينظر ميزان العمل: 397.

ومن كَلامِ الإمامِ الشَّافِعِيِّ: صِنَاعَتُنَا هذه رِقُّ الْأَبَدِ، فَمَنْ قَصَدَ أَنْ يَتْرُكَهَا سَاعَةً فَلْيَتْرُكِ السَّاعَةَ.

وقيلَ: مَنْ ظَنَّ أَنَّ للعِلْمِ غايَةً فقد بَخَسَهُ حَقَّهُ، أَمَا سَمِعْتَ قولَهُ تعالى لحَبيبِهِ وهو أعْرَفُ الْعارِفينَ بالله تعالى وصِفَاتِهِ وأحْكامِهِ: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[1]. وقولَهُ تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[2].

وسُئِلَ عبدُ الله بْنُ الْمُبَارَكِ إلى مَتَى تتَعَلَّمُ؟ قال: لَعَلَّ الْكَلِمَةَ التي أنْتَفِعُ بها لم أسْمَعْهَا بَعْدُ.

رُوِيَ أنَّ حَسَنَ بنَ زِيَادٍ أخَذَ في التَّفَقُّهِ وهو ابْنُ ثَمانينَ سَنَةً، ولم يَبِتْ على الْفِرَاشِ أَرْبَعينَ سَنَةً، فَأَفْتَى بعد ذلك أَرْبَعينَ سَنَةً.

والْحِيلَةُ في صَرْفِ جَميعِ الْأَوْقاتِ إلى التَّحْصيلِ أَنَّهُ إذا مَلَّ مِنْ عِلْمٍ، اشْتَغَلَ بآخَرَ. كَما قالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عنهما: إذا مَلَّ مِنَ الْكَلامِ مع الْمُتَعَلِّمِينَ هاتوا ديوانَ الشِّعْرِ.

وكانَ مُحَمَّدُ بنُ الْحَسَنِ لا يَنامُ اللَّيْلَ، وكان يَضَعُ عنده دَفَاتِرَ، وكان إذا مَلَّ مِنْ نَوْعٍ يَنْظُرُ في آخَرَ، وكان يُزيلُ نَوْمَهُ بالماءِ، وكان يَقولُ: إنَّ النَّوْمَ مِنَ الْحَرارَةِ، فعليكَ أنْ تَغْتَنِمَ مِنْ أزْمانِ الْعُمُرِ أيامَ الْحَداثَةِ، وعُنْفُوانَ الشَّبابِ، ومِنَ الأوْقاتِ ما بين الْعِشاءَيْنِ، وأوْقاتَ السَّحَرِ. وأَصْلُ الْكُلِّ مُلازَمَةُ السَّهَرِ.

---

(1) سورة طه، الآية: 114.

(2) سورة يوسف، الآية: 76.

وقد قالَ موسى صَلَواتُ الله عليه وسَلامُهُ: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾[1]. لِيُعْلَمَ أنَّ سَفَرَ الْعِلْمِ لا يَخْلو عن النَّصَبِ. ولا بُدَّ مِنِ اخْتِيارِهِ، لأنَّ طَلَبَ الْعِلْمِ أَمْرٌ عَظيمٌ، بل هو أفْضَلُ مِنَ الْجِهَادِ عند الأكْثَرينَ، وأنَّ موسى عليه السَّلام مع كَوْنِهِ نَبِيًّا اخْتارَ هذا النَّصَبَ في طَلَبِ الْعِلْمِ.

وَيَنْبَغِي أنْ لا تُضَيِّقَ صَدْرَكَ، ممن يُنكرُ قَدْرَكَ. لما قال أفلاطون: لا يَضُرَّنَّ[2] جَهْلُ غَيْرِكَ بِكَ عِلْمَكَ بِنَفْسِكَ.

الْوَظِيفَةُ السَّادِسةُ:

أنْ تَخْتارَ من الْمُعَلِّمِ مَنْ هو ناصِحٌ، نَقِيُّ الْحَسَبِ، مَأْمونُ الْغِيبَةِ، عَدْلٌ في الدِّينِ، كَريمُ الْعِرْقِ، كَبيرُ السِّنِّ، لا يُخالِطُ السُّلْطانَ، ولا يُلابِسُ الدُّنْيا، بحيثُ تَشْغَلُهُ عن دِينِهِ. ويُسافِرُ في طَلَبِ الْأُسْتاذِ إلى أقْصَى الْبِلادِ الشَّاسِعَةِ، كما طَلَبَ موسى الْخَضِرَ[3] عليهما السَّلامُ بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ، ولو مَسَحَ الْأَرْضَ كُلَّها بِقَدَمِهِ، وضَرَبَ آبَاطَ الْإِبِلِ في طَلَبِهِ، لكانَ أَحَقَّ وَأَوْلَى.

قال مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ: أَوَّلُ ما يُذْكَرُ مِنَ الْمَرْءِ أَسْتاذُهُ، وإنْ كانَ جَليلًا جَلَّ قَدْرُهُ، وإنَّما خُفِضَ ذِكْرُ محمدِ بن مُقَاتِلٍ عند أهْلِ الْعِرَاقِ لأنَّهُ لم يُعْرَفْ له أستاذٌ جليل الْقَدْرِ.

(1) سورة الكهف، الآية: 62.

(2) لا يَضُرَّ، في مراد ملا.

(3) خضر، في قونية ورئيس الكتاب.

وإذا وُجِدَ مِثْلُ ما وَصَفْناهُ، فعليه أنْ لا يَتَكَبَّرَ على الْعِلْمِ، ولا يَتَأَمَّرَ على الْمُعَلِّمِ، بل يُلقِي إليه بِزِمامِ أمْرِهِ في تَفْصِيلِ طَرِيقِ التَّعْليمِ، ويُذعِنَ لِنُصْحِهِ إذْعَانَ الْمَرِيضِ لِلطَّبِيبِ؛ أمَّا التَّكبُّرُ على الْعِلْمِ، بأنْ يَسْتَنْكِفَ من اسْتِفادَتِهِ مِمَّنْ يَعْرِفُهُ، وهو عَيْنُ الْحُمْقِ، بلِ «الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ كُلِّ حَكِيمٍ، فَحَيْثُ يَجِدُهَا فهو أَحَقُّ بِها»[1].

فَيَنْبَغِي أنْ يَغْتَنِمَهَا، وَيَسْتَفِيدَهَا، وَيَتَقَلَّدَ بها الْمُنَّةَ: [الكامل]

فَالْعِلْمُ حَرْبٌ لِلْفَتَى الْمُتَعَالِي   كَالسَّيْلِ حَرْبٌ لِلْمَكَانِ الْعَالِي[2]

فَلَا بُدَّ مِنَ التَّواضُعِ.

وَلِذَلِكَ قالَ تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[3]، أي يَكونُ مُشْتَغِلًا بالْعِلْمِ، وهو الْمُرَادُ بِمَنْ له قَلْبٌ، أو كان فيه مِنَ الْعَقْلِ ما يُحْمَدُ على إلْقَاءِ السَّمْعِ، وَحُسْنِ الْإِصْغَاءِ والضَّراعَةِ.

---

(1) كشف الخفاء: 1/ 435، ويجري مجري المثل: ينظر: الأمثال والحكم للماوردي: 75، وزهر الأكم: 1/ 38.

(2) ورد غير منسوب في ميزان العمل للغزالي: 344، والإحياء: 1/ 50، وهو محرف من قول أبي تمام:

لا تُنْكِرِي عَطَلَ الْكَرِيمِ مِنَ الْغِنَى ... فالسَّيْلُ حَرْبٌ لِلْمَكانِ العَالِي

(3) سورة ق، الآية: 37.

قال النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ: «مَنْ لَمْ يَحْتَمِلْ ذُلَّ التَّعلُّمِ سَاعَةً، بَقِيَ في ذُلِّ الْجَهْلِ أبَدًا»[1].

قال الشَّاعِرُ: [الكامل]

إنَّ الْمُعَلِّمَ والطَّبِيبَ كِلَاهُمَا لا يَنْصَحَانِ إذا هُمَا لم يُكْرَمَا[2]
فَاصْبِرْ لِدَائِكَ إن جَفَوْتَ طَبِيبَهُ واصْبِرْ لِجَهْلِكَ إنْ هَجَرْتَ مُعَلِّمَا

وَيَنْبَغِي أنْ يَكونَ الْمُتَعَلِّمُ لِمُعَلِّمِهِ كَأَرْضٍ دَمِثَةٍ، نَالَتْ مَطَرًا غَزيرًا، فَتَلَقَّاهُ بالْقَبولِ مِنْ غيرِ دَفْعٍ، وليكُنِ الْمُتَعَلِّمُ مُتَّبِعًا لِمُعَلِّمِهِ، وإنْ ظَنَّ أنَّ الصَّوابَ في خِلَافِهِ، فإنَّ سَالِكَ الطُّرُقِ قد يَظُنُّ من يهديه أنَّه قد أخْطَأَ، ثم يَظْهَرُ أنَّ الصَّوابَ عنده. ألا تَرى أنَّ موسى عليه السَّلامُ لم يَصْبِرْ، وراجَعَ الْخَضِرَ عليه السَّلامَ حَتَّى حُرِمَ عن صُحْبَتِهِ، حيثُ قالَ: ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾[3].

وأيْضًا فَلْيَحْتَرِزِ الْمُتَعَلِّمُ عن أن يَتَّكِلَ على ذِهْنِهِ، فَيَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا[4]. لِمَا قِيلَ: الْعِلْمُ في الصُّدورِ لا في السُّطورِ.

---

(1) المدخل إلى علم السنن للبيهقي: 2/ 698، أدب الدنيا والدين: 67، أدب الإملاء والاستملاء: 145.

(2) وردا بدون نسبة في التمثيل والمحاضرة للثعالبي: 164، وأدب الدنيا والدين: 68، ومحاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء: 1/ 76 وغيرهما.

(3) سورة الكهف، الآية: 78.

(4) وظف المصنف الآية 29 من سورة الإسراء لإتمام معنى كلامه.

وعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ الله عنه: «العِلْمُ قُفْلٌ ومِفْتَاحُهُ السُّؤالُ»(1).

ومِنَ الآدابِ أنْ يَتَواضَعَ لِمَنْ عَلَّمَهُ حَرْفًا، وَيَتَمَلَّقَ له، ويَخْدُمَهُ وَيَنْصُرَهُ، ويَدْعُوَ له سِرًّا وَجَهْرًا.

قال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ: «مَنْ عَلَّمَ عَبْدًا آيَةً من كِتَابِ اللهِ تعالى فهو مَوْلَاهُ، ولا يَنْبَغِي [له](2) أنْ يَخْذُلَهُ، ولا يَسْتَأْثِرَ عليه أحَدًا، فإن فَعَلَ ذلك فقد قَصَمَ عُرْوَةً من عُرَى الإسْلَامِ»(3).

قُلْتُ: ومن جُمْلَةِ أسْبَابِ انْقِرَاضِ العِلْمِ في زَمانِنا: عَدَمُ تَحَرُّزِهِمْ عن مُراعاةِ حَقِّ الْمُعَلِّمِ، ولقدْ صارَ هذا سُنَّةً سيئَةً في زَمانِنا هذا. أماتَ الله تعالى هذه السُّنَّةَ من بين أَظْهُرِنَا، وقَاتَلَ مَنْ وَضَعَهَا وأَحْيَاهَا.

قيلَ: من تَأَذَّى منه أسْتَاذُهُ يُحْرَمُ بَرَكَةَ العِلْمِ، ولا يَنْتَفِعُ بِهِ إلا قَليلًا.

وَمِنِ احْتِرامِ الْمُعَلِّمِ وإجْلَالِهِ: أنْ لا يَقْرَعَ عليه بابَ دارِهِ، بل يَنْتَظِرُ خُروجَهُ، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾(4)، وَلَا يُخالفَهُ فيما يَأْمُرُهُ مِنْ مُبَاحِ الدِّينِ، ويَتَحَرَّى مَسَرَّتَهُ في ذَلِكَ كُلِّهِ. وكان النَّبي صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ يَتَخَوَّلُ الصَّحَابَةَ في الْمَوْعِظَةِ كَرَاهَةَ السَّآمَةِ عليهم(5).

---

(1) البديع في البديع: 78، إعجاز القرآن للباقلاني: 68، الفقيه والمتفقه: 2/ 62.

(2) سقطت من قونية.

(3) شعب الإيمان: 3/ 505 رقم: 2023، المعجم الكبير: 8/ 112، رقم: 7528، جمع الجوامع: 9/ 556.

(4) سورة الحجرات، الآية: 5.

(5) الحديث في صحيح البخاري: 1/ 25، رقم: 68، بلفظ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الأَيَّامِ، كَرَاهَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا»، وهو في صحيح مسلم: 4/ 2172، رقم: 2821.

فإذا كان التَّخَوُّلُ في التَّعليمِ أحَبَّ، ففي التَّعَلُّمِ أوْلَى.

ويَنْبَغِي أنْ يُقَدِّمَ حَقَّ مُعَلِّمِهِ على حَقِّ أَبَوَيْهِ وسائِرِ الْمُسْلِمِينَ.

حُكِيَ أنَّ الشَّيْخَ الإمامَ شَمْسَ الْأَئِمَّةِ الْحَلْوَانِيَّ[1]، قد كانَ خَرَجَ مِنْ بُخَارَى، [وسَكَنَ في بعض الْقُرَى أيَامًا بِحَادِثَةٍ وَقَعَتْ لَهُ][2] وقد زَارَتْهُ تَلامِذَتُهُ، إلَّا الشَّيْخَ الْإمامَ أبا بَكْرٍ الزَّرَنْجَرِيَّ[3]، فقالَ له: لِمَ لَمْ تَزُرْنِي، قالَ: مَنَعَتْنِي عنها خِدْمَةُ الْوَالِدَةِ، قالَ: تُرْزَقَ الْعُمُرَ، ولا تُرْزَقَ رَوْنَقَ الدَّرْسِ، وكانَ كذلك. فإنَّهُ كان يَسْكُنُ أكْثَرَ[4] أوْقاتِهِ في الْقُرَى.

قالَ الشَّاعِرُ: [البسيط]

آبَاءُ أَجْسَامِنَا هُمُ الَّذِينَ مَضَوْا ... قَدْ أَوْقَعُونَا هُمُ في مَوْقِعِ التَّلَفِ[5]

من عَلَّمَ القرآنَ كانَ خَيْرَ أبٍ ... وَذاكَ أَبُ الرُّوحِ لا أَبُ النُّطَفِ[6]

---

(1) عبد العزيز بن أحمد بن نصر شمس الأئمة الحلواني، نسبة لبيع الحلوى، والحلوائي في بعض المصادر، إمام الحنفية في وقته ببخارى، (ت.448هـ) ترجمته في: الأنساب: 4/ 194، سير أعلام النبلاء: 18/ 177، تاج التراجم: 179، الجواهر المضية: 2/ 429.

(2) زيادة في أنطاليا.

(3) بكر بن محمد بن علي أبو الفضل (وليس أبا بكر) الجابري البخاري الزَّرنجري، الفقيه المشهور، المعروف بشمس الأئمة، وبأبي حنيفة الأصغر (ت.512هـ). ترجمته في: الأنساب للسمعاني: 6/ 288، سير أعلام النبلاء: 19/ 415، الوافي بالوفيات: 10/ 137، النجوم الزاهرة: 5/ 316.

(4) في أكثر، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

(5) لم نقف عليهما في المصادر السابقة على مفتاح السعادة، ووردت في بعض المصادر اللاحقة مثل: بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية: 3/ 258.

(6) من علم العلم... وهو أب، في بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية.

وقالَ آخَرُ: [الطويل]

رَأَيْـتُ أحَقَّ الْـحَقِّ حَقَّ الْـمُعَلِّمِ وَأَوْجَبَهُ حِفْظًا عَلَى كُلِّ مُسْـلِمِ[1]
لَقَـدْ حَقَّ أن يُهْـدَى إليـهِ كَرَامَـةً لِتَعْلِيمِ حَرْفٍ وَاحِـدٍ أَلْفُ دِرْهَمِ

وأيْضًا لا يَتَّبِعُ زَلَّةَ الْمُعَلِّمِ وهَفْوَتَهُ، ويَحْمِلُ ما سَمِعَ منه من الْهَفَوَاتِ على أحْسَنِ الْمَحَامِلِ والتَّأوِيلَاتِ.

قال بعض الْمَشَايِخِ: مِنْ تَوْقِيرِ الْمُعَلِّمِ أن لا يَمْشِي أَمَامَهُ، ولا يَجْلِسَ مَكَانَهُ، ولا يَبْتَدِئَ الْكَلامَ عِنْدَهُ إلا بإذْنِهِ، ولا يُكْثِرَ الْكَلامَ عِنْدَهُ، ولا يَسْأَلَ شَيْئًا عِنْدَ مَلَالَتِهِ، وَيُرَاعِيَ الْوَقْتَ، [فَالْحاصِلُ أَنَّهُ يَطْلُبُ رِضَاءَهُ، ويَتَجَنَّبُ سُخْطَهُ][2] وَيَمْتَثِلُ أمْرَهُ في غير مَعْصِيَةِ اللهِ، إذْ لا طاعَةَ لِلْمَخْلوقِ في مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ.

ومِنْ تَوْقِيرِهِ، تَوْقيرُ أَوْلادِهِ، وَمَنْ يَتَعَلَّقُ به، ولِلسَّلَفِ في تَوْقِيرِ الْمُعَلِّمِ أمورٌ لا يَكادُ يَخْطُرُ فِعْلُهُ بِبَالِ أحَدٍ في زَمانِنا هذا.

يُرْوى أنَّ الشَّيْخَ أبا إسْحاقَ الشِّيرازِيَّ الْفِيروزَاباذِيَّ؛ صاحِبَ الْمُهَذَّبِ وَالتَّنبيهِ[3] لمَّا صارَ سَفِيرًا لِلْمُقْتَدِي بأَمْرِ اللهِ في خِطْبَةِ ابْنَةِ الْمَلِكِ جَلالِ الدَّولَةِ، فَسافَرَ إلى نَيْسَابورَ، نَاظَرَ هناكَ إمامَ الْحَرَمَيْنِ، وَأَرادَ الانْصِرافَ من نَيْسابورَ، فَخَرَجَ إمامُ الْحَرَمَيْنِ إلى وَدَاعِهِ، وَأَخَذَ بِرِكابِهِ، حَتَّى رَكِبَ أبو إسحاقَ بَغْلَتَهُ. وظَهَرَ له في خُراسانَ مَنْزِلَةٌ عَظيمَةٌ، وكان النَّاسُ مِنَ

(1) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية: 4/ 3.
(2) زيادة من أنطاليا، وأخلت بها سائر النسخ.
(3) المهذب والتنبيه كلاهما في فقه الإمام الشافعي وقد طُبعا.

الْمُتَعَلِّمِينَ ومَنْ دونَهُمْ يَأْخُذونَ التُّرابَ مِنْ أثَرِ مَوَاطِئِ بَغْلَتِهِ، فَيَتَبَرَّكونَ به. وكانَ رَحِمَهُ الله إمامًا عالمًا وَرِعًا زاهِدًا عابِدًا. وكانَتْ وَفاتُهُ سَنَةَ سِتٍّ وسَبْعينَ وأرْبَعِمِئَةٍ. وسَتَجِيءُ تَرْجَمَتُهُ في طَبَقاتِ الْفُقَهاءِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى.

ويُرْوى أيضًا أنَّ إمامَ الْحَرَمَيْنِ لمَّا تُوُفِّيَ، غُلِّقَتِ الْأَسْواقُ يَوْمَ مَوْتِهِ، وكُسِرَ مِنْبَرُهُ بالْجامِعِ، وكانَتْ تَلامِذَتُهُ قَريبًا من أربعمئةِ نَفَرٍ، فَكَسَّروا مَحَابِرَهُمْ وأَقْلامَهُمْ، وأقاموا على ذلك عامًا كامِلًا. وَكانَتْ وَفاتُهُ سَنَةَ ثَمانٍ وَسَبْعينَ وأرِبَعِمِئَةٍ[1].

ويُرْوى أَيْضًا أنَّ الإمامَ أبا حَنِيفَةَ، كانَ له جارٌ إسْكافٌ، كان بالنَّهارِ في صِناعَتِهِ، وإذا كان باللَّيْلِ وتَعَشَّى، جَلَسَ يَسْتَعْمِلُ الشَّرابَ، فإذا دَبَّ فيه الشَّرابُ، يُغَنِّي ويقولُ: [الوافر]

أَضَاعُونِي وأيَّ فَتًى أَضَاعُوا لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ وَسِدَادِ ثَغْرِ[2]

ولا يَزالُ يَشْرَبُ، ويُرَدِّدُ هذا الْبَيْتَ، حَتَّى يَأْخُذَهُ النَّوْمُ. والإمامُ أبو حَنِيفَةَ يَسْمَعُهُ كُلَّ لَيْلَةٍ. وكانَ الإمامُ أبو حَنِيفَةَ يُصَلِّي اللَّيْلَ كُلَّهُ. ثمَّ إنَّهُ فَقَدَ صَوْتَ جارِهِ لَيَالِيَ، فَسَأَلَ عنهُ، فقيل له: قَبَضَهُ أَصْحابُ الْعَسَسِ منذ ليالٍ، فلمَّا صَلَّى الإمامُ أبو حَنِيفَةَ صَلاةَ الْفَجْرِ مِنْ غَدِهِ، رَكِبَ بَغْلَتَهُ، وأتَى دارَ الْأَمِيرِ، فَاسْتَأْذَنَ عليه، فقال: اِئْذَنُوا له، وأَقْبِلوا به إلَيَّ راكِبًا، ولا تَدَعوهُ يَنْزِلُ حَتَّى يَطَأَ الْبِساطَ، فَفُعِلَ ذلك به، فَتَلَقَّاهُ الأميرُ، وأَجْلَسَهُ في مَجْلِسِهِ، وقال: هَلْ مِنْ حاجَةٍ؟ فقال: نَعَمْ،

---

(1) سيأتي الخبر مفصلا في ترجمته وهو منقول من وفيات الأعيان: 3/ 170.

(2) البيت للعرجي وهو في ديوان شعره: 34.

جِئْتُ لِأَشْفَعَ فِي جَارِي، فقال الأميرُ: أطْلِقوهُ، وأطْلِقوا كُلَّ مَنْ أُخِذَ في تلك اللَّيْلَةِ، فَأَطْلَقُوهُمْ. ثم رَكِبَ الإمامُ أبو حَنِيفَةَ بَغْلَتَهُ، وخَرَجَ الإسْكافِيُّ يَمْشي وَراءَهُ، فقال له الإمامُ أبو حَنِيفَةَ: هَلْ أَضَعْناكَ؟ فقال: بَلْ حَفِظْتَ وَرَعَيْتَ، فَجَزاكَ اللهُ خَيْرًا عَنْ حُرْمَةِ الْجِوَارِ. ثُمَّ تابَ إلى اللهِ تعالى، ولم يَعُدْ إلى ما كانَ يَفْعَلُ. قيل: إنَّهُ صارَ بَعْدَ ذلك مِنْ أَصْحابِ أبي حَنِيفَةَ في الْفِقْهِ[1].

وإذا عَرَفْتَ هذه الرِّواياتِ، وَكَيْفَ كانَ تَوْقيرُ الْعُلَماءِ في الزَّمانِ الْأَوَّلِ، فَأَنْصِفْ من نَفْسِكَ يا أخي، هَلْ بَقِيَ مِنْ تَوْقِيرِ الْعِلْمِ والْعُلماءِ شَيْءٌ أَصْلًا؟!

فإنِ اعْتَرَضْتَ وقُلْتَ: لم يَبْقَ مِثْلُ هؤلاء الْأَعْلامِ في هذه الْأَيَّامِ، فلا يَليقُ بهم التَّوْقيرُ.

فَنَقولُ: قَوْلُكَ: لم يَبْقَ مِثْلُ هَؤُلاءِ الْعُلَماءِ، فَمُسَلَّمٌ، وأمَّا قَوْلُكَ: لا يَلِيقُ بهم التَّوقيرُ، فَمِمَّا يَحِقُّ عليه النَّكيرُ، لأنَّ التَّوْقيرَ لأجْلِ الْعِلْمِ، فلا تُقَصِّرْ أَنْتَ في حَقِّهِمْ إنْ كُنْتَ تُحِبُّ الْعِلْمَ، وَعَدَمُ كَوْنِهِمْ أَمْثالَ هؤلاءِ لَيْسَ عَلَيْكَ، بل الْعُهْدَةُ في ذلك عليهِمْ.

وبِالْجُمْلَةِ، حُبُّ الْعِلْمِ يُوجِبُ تَوْقيرَ كُلِّ من انْتَسَبَ إليه، وإلَّا فَلَسْتَ مِنَ الْمُحِبِّينَ له.

---

(1) القصة في مجموعة من المصادر منها: وفيات الأعيان: 5/ 400.

ومِنْ تَعْظيمِ الْعِلْمِ تَعْظيمُ الْكِتابِ، حَتَّى لا يَأْخُذَهُ إلَّا بالطَّهارَةِ، ولا يَمُدَّ الرِّجْلَ إليه، ولا يَضَعَ عليه شيئًا، ويَضَعُ كُتُبَ التَّفْسيرِ فَوْقَ الْكُلِّ، وتَأَمَّلْ ما قَالَهُ ابْنُ سُرَيْجٍ[1] في مُخْتَصَرِ الْمُزَنِيِّ حيثُ قالَ: [الطويل]

لَضِيقُ فُؤَادِي مُنْذُ عِشْرِينَ حِجَّةً ... وَصَيْقَلُ ذِهْنِي وَالْمُفَرِّجُ عن غَمِّي[2]
عَزِيزٌ على مِثْلِي إعَارَةُ مِثْلِهِ ... لِمَا فيهِ مِنْ عِلْمٍ لَطِيفٍ ومِنْ نَظْمِ
جَمُوعٍ لِأَصْنَافِ الْعُلُومِ بِأَسْرِهَا ... فَأَخْلِقْ به أنْ لا يُفَارِقَهُ كُمِّي

وقيلَ: [الخفيف]

لا يُمَلُّ الْحَدِيثُ منها مُعَادَا ... كَانْتِشَاقِ الْهَوَاءِ لَيْسَ يُمَلُّ[3]

وقيل: [الكامل]

هَذَا كِتَابٌ لو يُبَاعُ بِوَزْنِهِ ... ذَهَبًا لَكَانَ الْبَائِعُ الْمَغْبُونَا[4]
أَوَمَا مِنَ الْخُسْرَانِ أَنَّكَ آخِذٌ ... ذَهَبًا وَتَتْرُكَ جَوْهَرًا مَكْنُونَا

[ومِنْ تَعْظيمِ الْعِلْمِ تَعْظِيمُ الشُّرَكاءِ][5].

---

(1) يقصد أحمد بن عمر بن سريج البغدادي، فقيه الشافعية في عصره (ت.306هـ).

(2) الخبر والأبيات في مناقب الشافعي للبيهقي: 2/ 101، وتاريخ دمشق: 5/ 191.

(3) البيت لابن حمديس، وهو في ديوان شعره: 353.

(4) البيتان في قطب السرور في أوصاف الأنبذة والخمور: 137.

(5) ما بين معقوفين سقط من قونية.

الْوَظِيفَةُ السَّابِعَةُ:

أَنْ لا يَدَعَ الْمُتَعَلِّمُ[1] فَنًّا مِنْ فُنونِ الْعِلْمِ، ونَوْعًا مِنْ أَنْواعِهِ، إلَّا وَيَنْظُرَ فيه نَظَرًا يَطَّلِعُ به على غايَتِهِ ومَقْصَدِهِ وطَرِيقَتِهِ، ثُمَّ إنْ ساعَدَهُ الْعُمُرُ، وَوَافَقَهُ الْأَسْبَابُ، طَلَبَ التَّبَحُّرَ فيه، فإنَّ الْعُلومَ كُلَّها مُتَعاوِنَةٌ مُرْتَبِطَةٌ بَعْضُها بِبَعْضٍ.

قيلَ: [الكامل]

اِحْرِصْ على جَمْعِ الْعُلُومِ مُجَاهِدًا ولَا تَمُوتَنْ بِعِلْمٍ وَاحِدٍ كَسَلَا[2]
النَّحْلُ لَمَّا رَعَتْ مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ أَبْدَتْ لَنَا الْجَوْهَرَيْنِ الشَّمْعَ وَالْعَسَلَا
الشَّمْعُ فِي اللَّيْلِ نُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ والشَّهْدُ يُبْرِي بإذْنِ الْبَارِئِ العِلَلَا

لَكِنْ عليكَ أَنْ لا تَرْغَبَ في الآخِرِ، قبل أن تَسْتَحْكِمَ الْأَوَّلَ، لِئَلَّا تَصيرَ مُذَبْذَبًا، فَتُحْرَمَ من الْكُلِّ، ولا تكنْ مِمَّنْ يَميلُ إلى الْبَعْضِ ويُعادي الْباقِي، لأنَّ ذلك جَهْلٌ عَظيمٌ. كما قيل: النَّاسُ أعْداءُ ما جَهِلوا. قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾[3].

قال الشَّاعِرُ: [الوافر]

وَمَـنْ يَـكُ ذَا فَـمٍ مُـرٍّ مَـرِيـضٍ يَـجِـدْ مُـرًّا بـه الْـمَـاءَ الـزُّلَالَا[4]

(1) المعلم، في رئيس الكتاب وأنطاليا.
(2) سبق تخريجها.
(3) سورة الأحقاف، الآية: 11.
(4) البيت للمتنبي، ينظر شرح ديوانه للعكبري: 3/ 228.

وقيلَ: [البسيط]

مَا ضَرَّ شَمْسَ الضُّحَى والشَّمْسُ طَالِعَةٌ أَنْ لا يَرَى ضَوْءَهَا مَنْ لَيْسَ ذا بَصَرِ[1]

حُكِيَ عن بعضِ فُضَلاءِ الْقُضاةِ، أنه رُئِيَ بعدما طَعَنَ في السِّنِّ، وهو يَتَعَلَّمُ أشْكَالَ الْهَنْدَسَةِ، فقيل له في ذلك، فقال: وَجَدْتُهُ عِلْمًا نَافِعًا، فَكَرِهْتُ أنْ أكونَ لِجَهْلي به مُعَاديًا.

وإيَّاكَ ثُمَّ إيَّاكَ أن تَسْتَهِينَ بِشَيْءٍ من الْعُلوم، تَقْليدًا لِمَا سَمِعْتَهُ من جَهَلَةِ أسْلافِكَ من الطَّعْنِ فيه، بل يَجِبُ أنْ تَجْعَلَ لِكُلِّ واحِدٍ حَظَّهُ الذي يَسْتَحِقُّهُ، ومَنْزِلَهُ الذي يَسْتَوْجِبُهُ، وتَشْكُرَ من هَدَاكَ إلى فَهْمِهِ، وصارَ سببًا لعِلمِهِ.

فقد حُكيَ عن بعضِ الْفُضَلاءِ أَنَّهُ قالَ: يَجِبُ أن نَشْكُرَ آباءَ الْعُلَماءِ الذين وَلَّدُوا لنا الشُّكوكَ، إذ كانوا أَسْبابًا لمن حَرَّكَ خَواطِرَنا للنَّظَرِ في الْعِلْمِ، فَضْلًا عن شُكْرِ مَنْ أَفادَنا طُرَفًا من الْعِلْمِ. ولولا مَكانُ فِكْرِ مَنْ تَقَدَّمَنا لأصْبَحَ الْمُتَأَخِّرونَ حَيارَى، قَاصِرينَ عن مَعْرِفَةِ مَصالِحِ دُنياهُمْ، فَضْلًا عن مَصالِحِ آخِرَتِهِمْ.

فَمَنْ تَأَمَّلَ حِكْمَةَ الله في أَقَلِّ شَيْءٍ يَسْتَعْمِلُهَا النَّاسُ كَالْمِقْرَاضِ، حيثُ جَمَعَ بينَ سِكِّينَيْنِ، مُرَكَّبًا على وَجْهٍ يَتَوافَى حَدَّاهُمَا على نَمَطٍ واحِدٍ لِلْقَرْضِ، أَكْثَرَ تَعْظِيمَ اللهِ وشُكْرَهُ، ويقولُ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾[2].

---

(1) نسب في طبقات الشيرازي: 107، ووفيات الأعيان: 5/ 290، لمنصور بن إسماعيل التميمي الفقيه.

(2) سورة الزخرف، الآية: 13.

فلا تَكُنْ مِنَ الَّذِينَ يَسْتَهِينُونَ من الْعُلومِ ما جَهِلُوا به، مِثْلَ اسْتِهانَتِهِمُ الْمَنْطِقَ، الَّذِي هو أَصْلُ كُلِّ عِلْمٍ، وتَقْوِيمُ كُلِّ ذِهْنٍ.

وحَكَى أبو حَيَّانَ في الْبَحْرِ أنَّ أَهْلَ الْمَنْطِقِ بِجَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ، كانوا يُعَبِّرونَ عن الْمَنْطِقِ بِالْمَفْعِلِ، تَحَرُّزًا عن صَوْلَةِ الْفُقَهَاءِ، حَتَّى إنَّ بَعْضَ الْوُزَراءِ أَرادَ أنْ يَشْتَرِيَ لابْنِهِ كِتابًا من الْمَنْطِقِ، فَاشْتَراهُ خُفْيَةً خَوْفًا مِنهُمْ[1].

ومِثْلُ ذَمِّهِمُ الْعُلومَ الْحِكْمِيَّةَ، على الْإِطْلَاقِ، من غَيْرِ مَعْرِفَةِ الْقَدْرِ الْمَذْمُومِ والْمَمْدُوحِ منها.

وَمِثْلُ ذَمِّ عِلْمِ النُّجومِ على الْإِطْلاقِ، مع أنَّ بعضًا منه فَرْضُ كِفَايَةٍ، والْبَعضَ منه مُباحٌ، وبعضٌ آخَرُ حَرامٌ.

ومِثْلُ ذَمِّهِم مَقالاتِ الصُّوفِيَّةِ الْمُوَحِّدينَ مُطْلَقًا، لِاشْتِباهِها عندهم بِكَلماتِ الْمُلْحِدينَ، وسَتَعْرِفُ تَفاصيلَ ذلك.

وَبِالْجُمْلَةِ، لا تُنْكِرْ قَدْرَ الْعُلومِ بِمُجَرَّدِ تَقْليدِ الْآباءِ والْأَجْدادِ، بلِ اطْلُبِ التَّحْقِيقَ تَصِلْ إلى الْمُرادِ.

قالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه: لا تَعْرِفِ الْحَقَّ بالرِّجالِ، اعْرِفِ الْحَقَّ تَعْرِفْ أَهْلَهُ[2].

على أنَّ الْعِلْمَ وإنْ كان مَذمومًا في نَفْسِهِ فلا يَخْلو تَحْصِيلُهُ عن فائِدَةٍ أَقَلُّها رَدُّ الْقائِلينَ بها.

---

(1) لم نقف على الخبر في البحر المحيط.

(2) أنساب الأشراف: 2/ 239، الذريعة إلى مكارم الشريعة: 171، الإحياء: 1/ 53.

ثُمَّ الْعُلومُ على تَكَثُّرِ دَرجاتِها، إمَّا مُوصِلَةٌ لِلْعَبْدِ إلى مَوْلاهُ، أو مُعِينَةٌ على أسْبابِ السُّلوكِ، ولها مَنازِلُ مُرَتَّبَةٌ في الْقُرْبِ والْبُعْدِ من الْمَقْصَدِ، ولكُلٍّ واحِدٍ منها رُتْبَةٌ، تَرْتيبًا ضَروريًّا، يَجِبُ تَنْزيلُ كُلٍّ منها في رُتْبَتِهِ، فَيَنْبَغِي أنْ يُراعِيَ التَّرتيبَ في تَحْصيلِها، فَيَبْتَدِئَ بِالْأَهَمِّ فَالْأَهَمِّ، إذِ الْبَعْضُ طريقٌ إلى الْبَعْضِ.

ومن وُفِّقَ رِعايَةَ ذلك التَّرْتِيبِ والتَّدْرِيجِ فقد فَازَ بِمَطْلُوبِهِ فَوْزًا عَظِيمًا. قالَ اللهُ تَعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾[1]. أي لا يُجَاوِزُونَ فَنًّا حتَّى يُحْكِمُوهُ عِلْمًا وعَمَلًا.

وَلْيَكُنْ قَصْدُكَ مِنْ كُلِّ عِلْمِ التَّرَقِّيَ به إلى ما فَوْقَهُ، وإيَّاكَ أنْ تَظُنَّ مِنْ كَلامِنا هذا أنْ تَعْتَقِدَ كُلَّ ما أُطْلِقَ عليه اسْمُ الْعِلْمِ حَتَّى الْحِكْمَةَ الْمُمَوَّهَةَ الَّتِي اخْتَرَعَها الْفَارَابِيُّ وابنُ سِينَا، ونَقَّحَهَا نَصِيرُ الدِّينِ الطُّوسِيُّ، هَيْهاتَ هَيْهاتَ، إنَّ كلَّ ما خالَفَ الشَّرْعَ فهو مَذْمُومٌ، سِيَّمَا طائِفَةٌ سَمَّوْا أَنْفَسَهُمْ حُكَمَاءَ الْإِسْلامِ، عَكَفُوا على دِراسَةِ تُرَّهَاتِ أَهْلِ الضَّلالِ، وَسَمَّوْها[2] الْحِكْمَةَ، ورُبَّما اسْتَجْهَلُوا مَنْ عَرِيَ عنها، وهُمْ أَعْداءُ اللهِ، وَأَعْداءُ أَنْبيائِهِ ورُسُلِهِ، والْمُحَرِّفونَ لِكَلِمِ الشَّريعَةِ عن مَواضِعِهِ، ولا تكادُ تَلْقَى أحَدًا منهم يَحْفَظُ قُرآنًا ولا حَديثًا؛ وإنَّما يَتَجَمَّلونَ بِرُسومِ الشَّريعَةِ، حَذَرًا مِنْ تَسَلُّطِ الْمُسلمينَ عليهم، وإلَّا فَهُمْ لا يَعْتَقِدونَ شَيْئًا مِنْ أحْكامِ الشَّرائِعِ، بل يُريدونَ أن يَهْدِموا قَواعِدَهُ، ويَنْقُضُوا عُرَاهُ عُرْوَةً عُرْوَةً.

---

(1) سورة البقرة، الآية: 121.

(2) ووسموها، في قونية ورئيس الكتاب وأنطاليا.

قيلَ: [الوافر]

وما انْتَسَبُوا إلى الْإِسْلَامَ إلَّا لِصَوْنِ دِمَائِهِمْ عَنْ أنْ تُسَالَا[1]
فَيَأْتُونَ الْمَنَاكِرَ في نَشَاطٍ وَيَأْتُونَ الصَّلَاةَ وهُمْ كُسَالَى

فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ منهم. وإنَّمَا الاشْتِغالُ بِحِكْمَتِهِمْ حَرامٌ في شَريعَتِنا، وهُمْ أَضَرُّ على عَوَامِّ الْمُسْلِمِينَ من الْيَهودِ والنَّصارى، لِأَنَّهُمْ يَتَسَتَّرُونَ بِزِيِّ أهْلِ الإسْلامِ.

نَعَمْ إنَّ مَنْ رَسَخَ قَواعِد الشَّريعَةِ في قَلْبِهِ، وَامْتَلَأَ قَلْبُهُ مِنْ عَظَمَةِ هذا النَّبِيِّ الْكَريمِ وشَريعَتِهِ، وَتَأَيَّدَ دينُهُ بِحِفْظِ الْكِتابِ والسُّنَّةِ، وقَوِيَ مَذْهَبُهُ في الْفُروعِ، يَحِلُّ له النَّظَرُ في عُلومِ الْفَلْسَفَةِ، لكن بِشَرْطَيْنِ:

أَحَدُهُما: أنْ لا يَتَجاوَزَ مَسائِلَهُمْ الْمُخالِفَةَ لِلشَّريعَةِ، وإنْ تَجاوَزَ فإنَّما يُطالِعُهَا للرَّدِّ لا لِغَيْرِهِ.

وَثانيهِما: أنْ لا يَمْزُجَ كَلامَهُمْ بكَلامِ عُلَماءِ الْإِسْلامِ.

ولقد حَصَلَ ضَرَرٌ عَظيمٌ على الْمُسْلِمينَ من هذه الْجِهَةِ، لِعَدَمِ قُدْرَتِهِمْ على تَمْييزِ الْجَيِّدِ من الرَّديءِ، وَرُبَّما يَسْتَدِلُّونَ بإيرادِهَا في كُتُبِ الْكَلامِ على صِحَّتِهَا. وما كان هذا الْمَزْجُ إلَّا مُنْذُ ظَهَرَ نَصيرُ الطُّوسِيُّ وَأَحْزَابُهُ ـ لا حَيَّاهمُ الله ـ وإنَّما السَّلَفُ مِثْلُ الْإِمامِ الْغَزالِيِّ، والْإِمامِ الرَّازِيِّ، مَزَجوا كُتُبَ الْكَلامِ بِالْحِكْمَةِ، لكن

---

(1) البيتان في الذيل والتكملة: 3/ 517 والبحر المحيط: 4/ 109، والنقل من معيد النعم: 64، أن لا تسالى، في قونية والذيل التكملة والبحر المحيط.

لِلرَّدِّ كما تَراهُ في تَصانِيفِهِمْ، ولا بَأْسَ بذلك، بل ذلك إعانَةٌ لِلْمُسْلِمينَ، وَحِفْظٌ لِعَقائِدِهِمْ. ثَبَّتَنَا وإِيَّاكُمْ على الصِّراطِ الْمُسْتَقِيمِ، إِنَّهُ جَوادٌ كَريمٌ.

وينْبَغِي لِطالِبِ الْعِلْمِ أنْ يُفَوِّضَ تَرْتيبَ الْعُلومِ في التَّحْصِيلِ إلى رَأْيِ الْأُسْتَاذِ النَّاصِحِ، إذِ النَّاشِئُ أَمْهَرُ من الدَّخِيلِ، وهو أَعْرَفُ بما يَلِيقُ بِطَبْعِكَ منك، ولا يَدَّخِرُ نُصْحَهُ عنك، لِأَنَّ الْأُسْتاذَ قد حَصَلَ له التَّجارِبُ، وكَيْفِيَّةُ الاِهْتِداءِ إلى الْمَطالِبِ والْمَآرِبِ.

يُحْكى أنَّ الشَّيْخَ الْإمامَ الْأَجَلَّ بُرْهَانَ الدِّينِ[1] كانَ يَقولُ: كانَ طالِبُ الْعِلْمِ في الزَّمان الْأَوَّلِ يُفَوِّضُ أَمْرَهُ في التَّعَلُّمِ إلى أُسْتاذِهِ، وكان يَصِلُ إلى مَقْصُودِهِ ومُرادِهِ، وَالآنَ يَخْتارونَ بِأَنْفُسِهِمْ، فلا يَبْلُغونَ مَقاصِدَهُمْ.

هذا الَّذِي ذَكَرْناهُ لِمَنْ ساعَدَهُ الذِّهنُ والسِّنُ والْوَقتُ، وَسامَحَهُ الدَّهْرُ عما يُفْضيهِ إلى الْحِرمانِ والْفَوْتِ، وإلَّا فعليه أن يَقْتَصِرَ على الأَهَمِّ، لأنَّ «ما لا يُدْرَكُ كُلُّهُ، لا يُتْرَكُ كُلُّهُ»[2]. وذلك الْأَهَمُّ هو قَدْرُ ما يُحْتاجُ إليه في الْحالِ، وهو ما يُحتاجُ إليه في كَمالِ النَّفْسِ وفَضيلَتِها، وما يُتَقَرَّبُ به إلى الله عزَّ وجلَّ في الآخِرَةِ، وما لا بُدَّ منه في إقامَةِ دينِهِ، وإِخْلاصِ عَمَلِهِ لله، ومُعاشَرَةِ عِبادِهِ على الشَّرْعِ الشَّريفِ، والْوَرَعِ والتَّقْوى.

---

(1) يقصد برهان الدين الزَّرْنوحي، تلميذ الإمام الفرغاني.

(2) المعجم الأوسط للطبراني: 2/ 1329، كشف الخفاء: 2/ 231، والحديث يسري مسرى المثل.

وَمَرْجِعُ الْكُلِّ مَعْرِفَةُ الله بِالْآياتِ الواضِحَةِ، والشَّواهِدِ النَّاطِقَةِ، ومَعْرِفَةُ ما وَجَبَ عليه في نَفْسِهِ ومالِهِ، ولَيْلِهِ ونَهارِهِ، ويَدْخُلُ فيه أَحْكامُ الشَّريعَةِ، مِنَ الْجَوازِ والْفَسادِ، والْحِلِّ والْحِرْمَةِ، والكَراهَةِ والِاسْتِحْبابِ، ومَعْرِفَةُ سُنَنِ النَّبِيِّ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ في إقامَةِ ما فَرَضَ الله تعالى على أَعْدَلِ السُّبُلِ، وأقْوَمِ الْمَناهِجِ، فإنه لا يُعْرَفُ إلَّا بِبَيانِ من أَدَّبَهُ فأَحْسَنَ تَأْديبَهُ.

وَيَدْخُلُ فيه أيضًا، عِلْمُ أَخْلاقِ الأنْبِياءِ والْمُرْسَلينَ[1]؛ مِنَ الْيَقِينِ والإخْلاصِ، والزُّهْدِ والتَّواضُعِ والنَّصيحَةِ، وعِلْمُ آدابِ النَّفْسِ؛ مِنَ الْعِفَّةِ والرِّفْقِ والتُّؤَدَةِ والْحَياءِ والسَّماعِ، وحُسْنِ التَّدْبيرِ والنَّظَرِ في الأمورِ، والأَخْذِ بالْحَزْمِ في الدِّينِ، ومُداراةِ الْعَدُوِّ، واحْتِمالِ أذى الْخَلْقِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ الْمَقْطوعَةِ، وَبَرِّ الْجافِي، وإعْطاءِ الْحَارِمِ، والتَّجاوُزِ عن الظَّالِمِ، والإحْسانِ إلى الْمُسِيءِ، وحُسْنِ التَّوَرُّعِ عن أذَى الْخَلَائِقِ بالْيَدِ واللِّسانِ والْجَنَانِ. وسَتَعْرِفُ تَفاصيلَ هذه الْعُلومِ.

وَبِالْجُمْلَةِ، أَصْلُ الأُصولِ، ومُنْتَهى السُّؤلِ، مَعْرِفَةُ اللهِ تَعالى، الَّتِي هي غايَةُ الْغاياتِ، وسَبَبُ الْفَوْزِ والنَّجاةِ، ورَئِيسُ جَميعِ السَّعاداتِ. وهذا الْعِلْمُ حُرٌّ لا يَخْدُمُ غَيْرَهُ أَصْلًا بِوَجْهٍ من الْوُجوهِ، وما عَداهُ خَدَمٌ له، والْمَطْلوبُ الأَهَمُّ مِمَّا عَداهُ ما يُتوسَّلُ به إليه. ولهذا قالَ الله تعالى: ﴿قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾[2].

---

(1) المرسلين، في قونية ورئيس الكتاب وأنطاليا.

(2) سورة الأنعام، الآية: 91.

وَمِنَ الظَّاهِرِ الْمَكْشوفِ أنْ ليس الْمُرادُ تَحْريكَ عَضَلاتِ اللِّسانِ بِكَلِمَةِ اللهِ تعالى، فإنَّ حَرَكَةَ الْأَطْرافِ لا تُجْدِي إذا لم تُؤَثِّرْ في الْقَلْبِ بِأَثَرٍ، هو الِاعْتِقادُ الْمُسَمَّى بِالْإِيمانِ، الَّذِي أَدْناهُ التَّصْديقُ، وله مَراتِبُ بِحَسَبِ الْقُوَّةِ، حَتَّى يَنْتَهِيَ إلى رُتْبَةٍ لو وُزِنَ بإيمانِ العالَمينَ لَرَجَحَ، وهو إيمانُ أبي بَكْرٍ رضِيَ الله عنه، كما قالَ النَّبِي صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ: «ما فَضَلَكُمْ أبو بَكْرٍ بِكَثْرَةِ صِيَامٍ، ولا بِكَثْرَةِ صَلَاةٍ، لَكِنْ بِسِرٍّ وَقَرَ في صَدْرِهِ»[1].

ولو كانَ مُنْتَهى الْعِلْمِ ما اعْتَقَدَهُ الْمُقَلِّدُ، أو ما حَصَّلَهُ المتكلِّمُ الْمُتَعَلِّمُ، لم يَعْجِزْ عنه آحادُ الصَّحابَةِ، فَضْلًا عن عُمَرَ وعُثْمَانَ وعَلِيٍّ رضِيَ الله عنهم حَتَّى كان قد فَضَلَهُمْ أبو بَكْرٍ به.

وبهذا تَبَيَّنَ أنَّ وَراءَ الْعِلْمِ الثَّابِتِ بالْأَدِلَّةِ يَقينًا يَخُصُّهُ الصُّوفِيَّةُ أُولُو الْكَراماتِ والْمُشاهَداتِ. وَناهيكَ بِشَرَفِهِمْ وفَضْلِهِمْ، أَمْثالِ ما ذُكِرَ من الشَّواهِدِ الْمُقَرَّرَةِ في الشَّرْعِ، فلا يُعاديهِمْ إلَّا الْجاهِلُ الشَّقِيُّ، أو الْمُعانِدُ الْأَشْقَى، وكيف لا؟!

[البسيط]

للهِ تَحْتَ قِبَابِ الْعِزِّ طَائِفَةٌ ... أَخْفَاهُمُ في رِدَاء الْفَقْرِ إجلَالًا[2]

---

(1) نوادر الأصول: 3/ 55، بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار: 40، 279، تخريج أحاديث الإحياء: 118.

(2) وردت الأبيات غير منسوبة في: خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي: 2/ 459، والنجوم الزاهرة: 8/ 24.

هُمُ السَّلاطِينُ في أَطْمَارِ مَسْكَنَةٍ اِسْتَعْبَدُوا من مُلُوكِ الأَرْضِ أَقْيَالَا[1]
غُبْرٌ مَلَابِسُهُمْ، شُمٌّ مَعَاطِسُهُمْ جَرُّوا على الْفَلَكِ الْخَضْرَاءِ أَذْيَالَا

وقد رُوِيَ أَنَّهُ رُئِيَ صورَتا حَكيمَيْنِ مِنَ الْحُكَماءِ الْمُتَقَدِّمِينَ في مَسْجِدٍ، وفي يَدِ أَحَدِهِما رُقْعَةٌ فيها: إنْ أَحْسَنْتَ كُلَّ شَيءٍ فلا تَظُنَنَّ أَنَّكَ أَحْسَنْتَ شَيْئًا حَتَّى تَعْرِفَ اللهَ تعالى، وَتَعْلَمَ أَنَّهُ مُسَبِّبُ الأَسْبَابِ، وَمُوجِدُ الأَشْياءِ، وفي يَدِ الآخرِ: كنتُ قبل أَنْ عَرَفْتُ الله أَشْرَبُ وأَظْمَأُ، حَتَّى إذا عَرَفْتُهُ، رَوِيتُ بلا شُرْبٍ[2].

وسَمِعْتُ بعضَ الْعُلَمَاءِ نَقَلَ عن بعض الْمُحَقِّقِينَ، أنَّ الأَرْوَاحَ لما تَجَلَّى لها الْحَقُّ في الْأَزَلِ، عَشِقَتْهُ، وتَطْلُبُهُ في الدُّنْيا، فتارَةً تَزْعُمُ أنَّ ذاكَ الْكَمالَ في حُسْنِ الصُّورَةِ والْجَمالِ، وتارَةً في الْمالِ، وتارةً في الْجاهِ؛ ثم تَقِفُ على نُقْصانِها، وتَرْغَبُ عنها في الآخرةِ، لِمَا تَعْلَمُ أنَّ الْكَمالَ الذي تَطْلُبُهُ لا يَعْتَرِيهِ نُقْصانٌ، ولا يَسْكُنُ هذا الطَّلَبُ عنها إلا عند مُشاهَدَةِ ذاكَ الْمَطلوبِ الْحَقِيقِيِّ.

وإيَّاكَ أَنْ يَكونَ شُغْلُكَ من الْعِلْمِ أن تَجْعَلَهُ صَنْعَةً يُتَهَوَّسُ بها، بَلْ يَنْبَغِي لِكُلِّ ذي دِينٍ أَنْ يَتَّخِذَهُ سَبيلًا إلى النَّجاةِ، ومَرْقَاةً إلى الزُّلْفى، يُتَوَصَّلُ بها إلى الْمَلَإِ الْأَعْلى، والْقُرْبِ من جَنابِ الْمَوْلى.

---

(1) الأطمار: جمع طِمْرٍ، وهو الثوب الخلق. لسان العرب: طمر.

(2) الإحياء: 1/ 52.

ولا تكُنْ مِنَ الَّذِينَ غَلَبَتْ صَنْعَتُهُمْ على قَلْبِهِمْ ولُبِّهِمْ، حَتَّى خُتِمَ بِتَكْرارِ ذلك عند النَّزْعِ. كما يُحْكى أنَّ أبا طاهِرِ الزِّيَادِيَّ[1] كان يُكَرِّرُ مَسْأَلَةَ ضَمَانِ الدَّرَكِ[2] عند النَّزْعِ.

حُكِيَ أنَّ امْرَأَةً جاءَتْ إلى عَروضِيٍّ بَقَّالٍ، فَقالَتْ: أُرِيدُ بِذِي الْقِطْعَةِ زَيْتًا، وبِذِي الْبَيْضَةِ حِنًّا، فَشَغَلَهُ كَلامُها عنْ مُبايَعَتِها، وأَخَذَ يَقولُ: "فاعلاتن فاعلاتن"، يُقَطِّعُ كَلامَها، فَقالَتِ الْمَرْأَةُ: أُمُّكَ الْفاعِلَةُ، وَسَبَّتْهُ، وانْصَرَفَتْ[3].

وحُكِيَ عَنْ رُكْنِ الدِّينِ ابْنِ الْقُرَيْعِ، أنَّ رجلًا سَأَلَهُ وهو في الطَّريقِ، فقال: يَفْتَحُ اللهُ، فقال: يا شيخُ قد فَتَحَ الله عليك: [الطويل]

إذا جادَتِ الدُّنْيا عَلَيْكَ فَجُدْ بِها[4]

فقال الشَّيْخُ: لِمَ قلتَ: إنَّها جادَتْ عَلَيَّ؟ وإنْ سُلِّمَ، فَلِمَ قُلْتَ: إنَّه يَجِبُ عليَّ الْجُودُ بها؟ وإنْ سُلِّمَ، فَلِمَ قلتَ: إنِّي ما جُدْتُ، وما انْحَصَرَتِ الْقِسْمَةُ فيكَ. وكان الْغالِبُ عليه الْمُناظَرَةَ، فاسْتعمَلَها مع رَجُلٍ لا يَعْرِفُها[5].

---

(1) الزبادي، في مراد ملا. وهو أيضا من أعلام القرن الرابع (ت. بعد 400هـ)، وقد أثبتنا ما ورد في مصدر النقل وهو معيد النعم: 75.

(2) ضمان الدرك عند الفقهاء: هو الكفالة برد الثمن للمشتري عند استحقاق المبيع، بأن يقول الضامن: تكفلت أو ضمنت بما يدركك في هذا المبيع أو يقول: ما لحقك من دَرَك فعلي خلاصه، ويُكتب في العقود والشروط.

(3) معيد النِّعم ومبيد النِّقم: 75-80.

(4) هو شطر بيت غير منسوب، وتمامه: على الناس طرا إنها تتقلب. ينظر: المنتخب من شيوخ السمعاني: 1827.

(5) الخبر في معيد النِّعم ومبيد النِّقم: 76.

وَأَقْبَحُ من ذلك ما يُحْكى أنَّ دَبَّاغًا خُتِمَ عند النَّزْعِ بِتكْرارِ ما يُناسِبُ صَنْعَتَهُ. وَبَعْضُ الْأُمَراءِ كانَ آخِرَ كَلامِهِ هاتوا الْقَباءَ الْفُلانِيَّ. إلى غيرِ ذلِكَ والْعِياذُ بالله تعالى.

لِأَنَّ مَنْ أَكْثَرَ من شَيْءٍ ظَهَرَ على فَلَتَاتِ لِسَانِهِ: [الطويل]

وَكُلُّ إِنَاءٍ بالذي فيهِ يَنْضَحُ[1].

فلا تُعَوِّدْ لِسَانَكَ إلَّا بما تَنْتَفِعُ بِتكْرَارِهِ عند الْمَوْتِ. وكُنْ مِثْلَ أبي زُرْعَةَ، سُئِلَ عند النَّزْعِ عن حَديثِ: «مَنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ لا إِلَهَ إلا الله دَخَلَ الْجَنَّةَ»[2]، فَساقَهُ بإِسْنادِهِ إلى أَنْ وَصَلَ "لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ"، وماتَ قَبْلَ أَنْ يَقولَ: دَخَلَ الْجَنَّةَ. اُنْظُرْ كيف نَفَعَهُ الله بِعِلْمِ الْحَديثِ[3].

فعليكَ أَنْ تَمْزِجَ[4] لَحْمَكَ وَدَمَكَ بما تَنْتَفِعُ به في الآخِرَةِ، وأن تُحَصِّلَ سائِرَ العلومِ، وَتَلْتَفِتَ إليها من حيثُ كونُها آلَةً، لا أنْ تَمْلأَ بها قَلْبَكَ ولُبَّكَ، بحيث تَخْتِمُ بها عند النَّزْعِ.

وَبِالْجُمْلَةِ، عليك أن تُنَزِّلَ كُلَّ عِلْمٍ مَنْزِلَتَهُ مِنَ الإقْبالِ عليه، والتَّوَجُّهِ به.

---

(1) هذا عجز بيت لابن الصيفي وصدره: فَحَسْبُكُمُ هذا التَّفاوُتُ بَيْنَنا، وقد جرى مجرى المثل، ينظر: مجمع الأمثال: 2/ 162، وفيه: يرشح، والمستقصى: 2/ 224، وفيه: يترشَّح. ومعجم الأدباء: 3/ 1355، ووفيات الأعيان: 2/ 365.

(2) صحيح ابن حبان: 1/ 433، سنن أبي داود: 5/ 34، رقم: 3116، سنن ابن ماجه: 2/ 437، رقم: 1444.

(3) الخبر في معيد النِّعم ومبيد النِّقم: 76.

(4) تمتزج، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

الْوَظيفةُ الثَّامِنَةُ:

مُذَاكَرَةُ الأَقْرَانِ ومُنَاظَرَتُهُمْ: لِمَا قيلَ: الْعِلْمُ غَرْسٌ، وَماؤُهُ دَرْسٌ؛ لكنْ طَلَبًا لِلثَّوابِ، وَإِظْهارًا لِلصَّوابِ، لا لِلْمُفاخَرَةِ وَالْعَصَبِيَّةِ، أو لِهَيَجانِ القوةِ الْغَضَبِيَّةِ، وما أَفْلَحَ من نَبَضَ فيه هذا الْعِرْقُ.

وفي **الْفَتَاوَى**: أنَّ مَنْ ناظَرَ لِتَخْجِيلِ الْخَصْمِ، يُخْشى عليه الْكُفْرُ.

فَيَنْبَغِي أنْ تكونَ الْمُناظَرَةُ والْمُطارَحَةُ بالْإِنْصافِ والتَّأنِّي والتَّأمُّلِ، وَيَتَحَرَّزَ عن الشَّغَبِ والْغَضَبِ، فإنَّ الْمُناظَرَةَ مُشاوَرَةٌ، والْمُشاوَرَةُ لِاسْتِخْراجِ الصَّوابِ، وذلك إنَّما يَحْصُلُ بالتَّأمُّلِ والإنْصافِ، وأما إرادَةُ التَّمْويهِ والْحيلَةِ فلا يَجوزُ أصْلًا، إلا إذا كان الْخَصْمُ مُتَعَنِّتًا لا طالبًا لِلحَقِّ.

وكان مُحَمَّدُ بن يَحْيَى إذا تَوَجَّهَ عليه الْإِشْكالُ، ولم يَحْضُرْهُ الْجَوابُ، يَقولُ: ما أَلْزَمْتَهُ لازِمٌ، وأنا فيه ناظِرٌ، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[1].

وَفائِدَةُ الْمُطارَحَةِ والْمُناظَرَةِ إذا كان مع الإنْصافِ أقْوى من فائِدَةِ مُجَرَّدِ التَّكْرارِ.

وقيلَ: مُطارَحَةُ ساعَةٍ خَيْرٌ من تَكْرَارِ شَهْرٍ، ولكنْ مع مُنْصِفٍ سَليمِ الطَّبيعَةِ. وإيَّاكَ والْمُذاكَرَةَ مع مُتَعَنِّتٍ، غيرِ مُسْتَقيمِ الطَّبْعِ، فإنَّ الطَّبيعَةَ مُسْتَرِقَّةٌ، والأخْلاقَ مُتَعَدِّيَةٌ، والْمُجاوَرَةَ مُؤَثِّرَةٌ.

---

(1) سورة يوسف، الآية: 76.

وينْبَغِي لطالِبِ العِلْمِ أن يَكونَ مُتَأَمِّلًا في جَميعِ الْأَوْقاتِ في دَقائِقِ الْعِلْمِ، ويَعْتادَ ذلك، فإنَّما تُدْرَكُ[1] الدَّقائِقُ بِالتَّأَمُّلِ.

ولِذا قيلَ: تَأَمَّلْ تُدرِكْ، خُصوصًا قَبْلَ الْكَلامِ، فإنَّ الْكَلَامَ كَالسَّهْمِ، فلا بُدَّ مِنْ تَقْويمِهِ بالتَّأَمُّلِ أَوَّلًا.

الْوَظيفَةُ التَّاسِعَةُ:

أنْ لا تُؤَخِّرَ شُغْلَ يَوْمِكَ إلى غَدِكَ، فإنَّ كُلَّ يَوْمٍ آتٍ بِمَشاغِلِهِ.

وَقيلَ: إنَّ يَوْمَ الْأَعْجَزِينَ غَدٌ[2].

وَقِيلَ: الْجِدُّ والْهِمَّةُ كَجَناحَيْنِ يَطيرُ بهما الْإنْسانُ إلى شَوَاهِقِ الْكَمالَاتِ.

رُوِيَ أنَّ أبا حَنِيفَةَ قال لأبي يوسُفَ: كُنْتَ بَلِيدًا أَخْرَجَتْكَ الْمُوَاظَبَةُ.

وإيَّاكَ والْكَسَلَ، فإنه شُؤْمٌ وآفةٌ. وعليكَ أيضًا أن تَكْتُبَ كلَّ ما اسْتَنْبَطْتَهُ من الزَّوَائِدِ، أو سمعتَهُ من الْفَوائِدِ، فإنَّ الْعِلْمَ صَيْدٌ، والْكِتابَةَ قَيْدٌ[3]، وَلله دَرُّ الإمامِ الْجَعْبَرِيِّ فيما قال: [الكامل]

---

(1) يدرك، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

(2) قسم من عجز بيت للبحتري جرى مجرى المثل، وهو:

ولا يُؤَخِّرُ شُغْلَ اليَوْمِ يَدْخَرُهُ ... إلى غَدٍ إنَّ يَوْمَ الأَعْجَزينَ غَـدُ

ينظر ديوان شعره: 1/ 496.

(3) قال الشاعر في هذا المعنى:

العلمُ صيدٌ والكتابةُ قَيْـــدُه ... قَيِّدْ صُيودَكَ بالحِبَالِ المُوثقَهْ

وَمِنَ الجَهَالة أن تصِيدَ حمامةً ... وتتركُها بَيْنَ الأوانِس مطلقهْ

وَذَكَرْتُ حَافِظَتِي عَقِيبَ شَبِيبَتِي وَعَدِمْتُ من إفْرَاطِهِ الْإِحْسَاسَا[1]
وَظَلِلْتُ مَهْمَا عَنَّ لي مِنْ حَاجَةٍ أَوْدَعْتُهَا مِنْ خَوْفِيَ الْقِرْطَاسَا
فَبَقِيتُ أَنْسَاهَا وَأَنْسَى أَنَّنِي أُنْسِيتُهَا فَنَسِيتُ مَنْ قَدْ نَاسَا

لَكِنْ عليكَ ألا تَكْتَفِيَ بثَبْتِهِ في الْقَراطيسِ، ولا تتَّكِلَ على إيداعِهِ في بُطونِ الْكَرَارِيسِ، إذِ الْعِلْمُ ما ثَبَتَ في صَحائِفِ الْخَواطِرِ، لا ما أُودِعَ في صَفائِحِ الدَّفاتِرِ، بل الْغَرَضُ من إثْباتِها فيها، الْمُراجَعَةُ إليها عند عُرُوضِ النِّسْيانِ، لا الِاعْتمادُ على الْأَوْراقِ. كما قال الشَّاعِرُ: [البسيط]

أَضْحَى الْفَقِيهُ لِجَمْعِ الْكُتْبِ مُغْتَبِطًا لا بَارَكَ اللهُ في الْبَيْتِ الذي جَمَعَهْ[2]
وظَلَّ يَحْمِلُ أَسْفَارًا فَقُلْتُ له: أَنْتَ الْحِمَارُ الَّذِي في سُورَةِ الْجُمُعَهْ

وَقَالَ آخَرُ: [المتقارب]

إذا لم تَكُنْ حَافِظًا وَاعِيًا فَجَمْعُكَ لِلْكُتْبِ لا يَنْفَعُ[3]
أَتَحْضُرُ بالْجَهْلِ في مَجْلِسٍ وَعِلْمُكَ في الْبَيْتِ مُسْتَوْدَعُ

وقِيلَ: لا بُدَّ أن يَكونَ مع الطَّالِبِ مِحْبَرَةٌ في كُلِّ وَقْتٍ، حَتَّى يَكْتُبَ ما يَسْمَعَ مِنَ الْفَوائِدِ.

قِيلَ: ما حُفِظَ فَرَّ، وما كُتِبَ قَرَّ[4].

---

(1) تنظر مقدمة جميلة أرباب المراصد في شرح عقيلة أتراب القصائد، وفيها وفي قونية: عقيب شيبتي.

(2) لم نقف عليهما.

(3) البيتان لمحمد بن بشير، ينظر: جامع بيان العلم وفضله: 1/ 293، والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: 2/ 251.

(4) ينظر روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار: 46.

ورُوي عن الْأُسْتاذِ رُكْنِ الْإِسْلامِ الْمَعْروفِ بِالْأديبِ الْمُخْتَارِ[1]، أَنَّهُ رَوَى عن هِلالِ بنِ يَسارٍ، قالَ: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ يَقولُ لِأَصْحابِهِ شَيْئًا مِنَ الْعِلْمِ والْحِكْمَةِ، فقلتُ: يا رسولَ الله، أَعِدْ لي ما قُلْتَ لهُمْ، فقال لي: هَلْ مَعَكَ مِحْبَرَةٌ؟ فقلتُ: ما معي مِحْبَرَةٌ، فقال: يا هِلالُ، لا تُفارِقِ الْمِحْبَرَةَ، فإِنَّ الْخَيْرَ فيها وفي أَهْلِها إلى يَوْمِ الْقِيامَةِ»[2].

وَوَصَّى الصَّدْرُ الشَّهيدُ حُسامُ الدِّينِ[3] لِابْنِهِ شَمْسِ الدِّينِ[4] رحمهما الله، أنْ يَحْفَظَ كُلَّ يَوْمٍ شيئًا من الْعِلْمِ والْحِكْمَةِ، فإِنَّهُ يَسيرٌ، وعن قَريبٍ يكونُ كَثيرًا.

وَاشْتَرَى عِصامُ بنُ يوسُفَ[5] قَلَمًا بدينارٍ لِيَكْتُبَ ما سَمِعَ في الْحالِ[6]. فَالْعُمُرُ قَصيرٌ، والْعِلْمُ كَثيرٌ، فَيَنْبَغِي أن لا يُضَيِّعَ الْأَوْقاتَ والسَّاعاتِ، وَيَغْتَنِمَ اللَّيالِيَ والْخَلَواتِ، وَيَنْبَغِي أن يَغْتَنِمَ الشُّيوخَ، وَيَسْتَفِيدَ منهم، وَلَيْسَ كُلُّ ما فاتَ يُدْرَكُ!

---

(1) أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرِ بْنِ يُوسُفَ الْفَرْغَانِيُّ (ت.594هـ) ينظر: تاريخ إربل: 2/ 593، الجواهر المضية: 2/ 36.

(2) تعلم المتعلم طريق التعلم: 111، والقسم الثاني من الحديث في: نشر طيّ التعريف في فضل حملة العلم الشريف والرد على ماقتهم السخيف: 167، الفواكه العديدة في المسائل المفيدة: 1/ 4.

(3) عمر بن عبد العزيز بن عمر بن مازة برهان الأئمة المعروف بالصدر الشهيد، وهو من أكابر الحنفية، (ت.536هـ). ترجمته في: سير أعلام النبلاء: 14/ 478، الوافي بالوفيات: 22/ 314، الجواهر المضية: 1/ 391.

(4) محمد بن عمر بن عبد العزيز بن عمر بن مازة شمس الدين، فقيه حنفي، شيخ بخارى وابن شيخها، (ت.560هـ). ترجمته في: الوافي بالوفيات: 4/ 172، الجواهر المضية: 2/ 101.

(5) عمر بن عبد العزيز بن عمر بن مازة برهان الأئمة المعروف بالصدر الشهيد، وهو من أكابر الحنفية، (ت.536هـ). ترجمته في: سير أعلام النبلاء: 14/ 478، الوافي بالوفيات: 22/ 314، الجواهر المضية: 1/ 391.

(6) عصام بن يوسف البلخي، الفقيه الحنفي، ومحدث بلخ، (ت.215هـ).

قالَ الشَّاعِرُ: [الوافر]

ولَسْــتُ بِمُـدْرِكٍ مَـا فَـاتَ مِنِّي بِلَهْفَ، وَلَا بِلَيْـتَ، ولا لَوَ انِّي[1]

الْوَظِيفَةُ الْعاشِرَةُ:

أنْ تَعْرِفَ مَعْنى شَرَفِ الْعِلْمِ وَرُتْبَتَهُ وَوَثاقَتَهُ في الْبُرْهانِ.

أمَّا الشَّرَفُ، فإمَّا بِشَرَفِ ثَمَرَتِهِ، أو بِوَثَاقَةِ دَلائِلِهِ؛ والأوَّلُ كَعِلْمِ الدِّينِ، فإن ثَمَرَتَهُ الْحَياةُ الْأَبَدِيَّةُ الَّتِي لا آخرَ لها، فَكانَ أَشْرَفَ مِنَ الْكُلِّ. وَالثَّانِي: كَعِلْمِ الطِّبِّ، فإنَّ ثَمَرَتَهُ حَياةُ الْبَدَنِ إلى غايَةِ الْمَوْتِ. فَعِلْمُ الدِّينِ أشْرَفُ من عِلْمِ الطِّبِّ أيضًا، وعِلْمُ الطِّبِّ أشْرَفُ من عِلْمِ الْحِسابِ، باعْتِبارِ غايَتِهِ وثَمَرَتِهِ، فإنَّ صِحَّةَ الْبَدَنِ أشْرَفُ من مَعْرِفَةِ كِمِّيَةِ الْمَقادِيرِ، وعِلْمُ الْحِسابِ أشْرَفُ منه بحسبِ وَثاقَةِ دَلائِلِهِ، لكونِها ضَروريَةً، غيرَ مُحْتاجٍ إلى تَجْرِبَةٍ بِخِلافِ الطِّبِّ.

ثُمَّ إنَّ الشَّرَفَ لَمَّا كان من جِهَةِ الثَّمَرَةِ تارَةً، ومن جهة قُوَّةِ الدَّليلِ أخرى، فاعْلَمْ أنَّ شَرَفَ الثَّمَرَةِ أوْلى مِنْ شَرَفِ قُوَّةِ الدَّلالَةِ، فأشْرَفُ الْعُلومِ ثَمَرَةً: الْعِلْمُ باللهِ ومَلائِكَتِهِ وكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وما يُعينُ عليه، فإنَّ ثَمَرَتَهُ السَّعادَةُ الأبَدِيَّةُ.

---

(1) تنسب القصة أيضا لمحمد بن سلام البيكندي شيخ البخاري، (ت.225هـ) ينظر التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن: 2/ 571.

ومِمَّا ينبغي أن يُعْلَمَ أيضًا: أنَّ لكلِّ عِلْمٍ حَدًّا، بِحَسَبِ الْبُرهانِ لا يَتَعَدَّاهُ؛ مَثَلًا لا تَقْصِدْ إقامَةَ الْبَراهينِ في النَّحْوِ، ولا تَقْصُرْ عنه أيضًا؛ كَأَنْ تَقْنَعَ بالْجَدَلِ في الْهَيْئَةِ، وكذلك مِلَاكُ الْأَمْرِ في الْمَعانِي هو الذَّوْقُ، وَإِقامَةُ الْبُرْهانِ عليه خارِجٌ عن الطَّوْقِ. ومَنْ طَلَبَ الْبُرْهانَ عليه أَتْعَبَ نَفْسَهُ، ولم يَحْصُلْ من جِدِّهِ بِطائِلٍ.

قالَ السَّكَّاكِيُّ: وقَبْلَ أنْ نَمْنَحَ هذه الْفُنونَ حَقَّها، فَلْنُنَبِّهْكَ على أَصْلٍ لِيَكونَ على ذُكْرٍ مِنْكَ، وهو أنْ لَيْسَ مِنَ الْواجِبِ في صِناعَةٍ ـ وإنْ كانَ الْمَرْجِعُ في أُصولِها وتَفاريعِها إلى مُجَرَّدِ الْعَقْلِ ـ أنْ يَكونَ الدَّخيلُ فيها كَالنَّاشِئِ عليها في اسْتِفَادَةِ الذَّوْقِ منها، فَكَيْفَ إذا كانَتِ الصِّناعَةُ مُسْتَنِدَةً إلى تَحَكُّمَاتٍ وَضْعِيَّةٍ، واعْتِباراتٍ إِلْفِيَّةٍ؟ فلا بَأْسَ على الدَّخيلِ في صِناعَةِ عِلْمِ الْمَعاني أنْ يُقَلِّدَ صاحِبَها في بَعْضِ فَتاواهُ إنْ فاتَهُ الذَّوْقُ هناكَ، إلى أنْ يَتكامَلَ له على مَهْلٍ موجِباتُ ذلك الذَّوْقِ(1).

---

(1) الإيضاح: 1/ 63.

الْمُقَدِّمَةُ الثَّالِثَةُ:

في وَظائِفِ الْمُعَلِّمِ

وهي أيْضًا عَشَرَةٌ.

الْوَظيفَةُ الأولَى:

يَنْبَغِي أنْ يَكونَ تَعْلِيمُهُ لِوَجْهِ الله تعالى، ولا يُريدَ بِذَلِكَ رِياءً ولا سُمْعَةً، ولا رَسْمًا ولا عادَةً، ولا زِيادَةَ جاهٍ، ولا حُرْمَةً، وإنَّما يُريدُ ابْتِغاءَ مَرْضاةِ الله تعالى، والِامْتِثالَ لِأوامِرِهِ، والِاجْتِنابَ عن نَواهيهِ. وَيُريدَ نَشْرَ الْعِلْمِ، وَتَكْثيرَ الْفُقَهاءِ، وَتَقْليلَ الْجَهَلَةِ، وَإرْشادَ عِبادِ اللهِ إلى الْحَقِّ، ودِلالَتَهُمْ على ما يُصلحُهُمْ في النَّشأتَيْنِ، وإظْهارَ دينِ الله، وَإقامَةَ سُنَّةِ رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ، وَتَشْييدَ قَواعِدِ الإسْلامِ، والتَّفْريقَ بين الْحَلالِ والْحَرامِ. وَيَكونَ مُخْلِصًا في ذلك، راغِبًا في الآخِرَةِ، ومُتيَقِّنًا بما وَعَدَ الله لِلْعُلَماءِ الْعامِلينَ، راجِيًا ثَوابَهُ، وخائِفًا عِقابَهُ.

وَاعْلَمْ أنَّ الْعِلْمَ كَالمالِ، له حَالُ اكْتِسَابٍ، وحَالُ ادِّخارٍ، فيكونُ به غَنِيًّا عن السُّؤال. وحالُ إنْفاقٍ على نَفْسِهِ وعلى غَيْرِهِ، فيكونُ به سَخِيًّا مُتَفَضِّلًا، وهو أَشْرَفُ أحْوَالِهِ. فلا بُدَّ لِلْعِلْمِ أيْضًا مِنْ حالِ كَسْبٍ وَاسْتِفادَةٍ، وَحالِ تَحْصيلٍ وضَبْطٍ، وَحالِ اسْتِبْصارٍ وَانْتِفاعٍ، وهو التَّفَكُّرُ فيما حَصَّلَهُ إنْ كان اعْتِقادِيًا، أو الْعَمَلُ به إن كان عَمَلِيًّا. وَحالِ نَفْعٍ وَتَعْليمٍ، وهو أشْرَفُ أحوالِهِ،

فَيَصيرُ كَالشَّمْسِ مُضيئًا لِنَفْسِهِ وَلِغَيْرِهِ، والْمِسْكِ الطَّيِّبِ الْمُطَيِّبِ لغيره. ومَنْ أَفادَ غَيْرَهُ ولم يَنْتَفِعْ به كان كَالدَّفْتَرِ الْمُفيدِ غَيْرَهُ وهو غَيْرُ مُنْتَفِعٍ به؛ وكَالْمِسَنِّ يَشْحَذُ غَيْرَهُ ولا يَقْطَعُ، وكَذُبَّالَةِ[1] الْمِصْباحِ يُضِيءُ وَيَحْتَرِقُ.

ولِيَعْلَمْ يَقينًا، لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ على يَدَيْهِ رَجُلًا، خَيْرٌ له مِمَّا طَلَعَتْ عليه الشَّمْسُ والْقَمَرُ، وَلَأَنْ يَرُدَّ عَبْدًا آبِقًا عن الله تعالى إلى طاعَتِهِ، أَحَبُّ إلى الله تعالى مِنْ عِبادَةِ الثَّقَلَيْنِ.

الْوَظيفَةُ الثَّانِيَةُ:

أن يُجْرِيَ الْمُتَعَلِّمَ منه مَجْرَى بَنِيهِ، كما قال صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ: «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ»[2]. بل ينبغي أنْ يَكونَ الْوَلَدُ الإلهِيُّ أَحَبَّ إليه من الْوَلَدِ الصُّلْبِي.

ذَكَرَ حافِظُ الدِّينِ الْبَزَّازِيُّ[3]، عن الْمَرْغِينَانِيِّ[4]، عن عِصامٍ عَنْ[5] أبي يوسُفَ، لم يَكُنْ لِأَحَدٍ عَلَيَّ مِنَ الْحَقِّ كما كانَ له، وكانَ مُشْفِقًا على أَصْحابِهِ، لو وَقَعَ الذُّبابُ على أَحَدِهِمْ، يُرَى مَشَقَّةُ ذلِكَ عَلَيْهِ، وبَلَغَ من

(1) يُقَالُ للفَتِيلة الَّتِي يُصْبَح بِهَا السِّرَاجُ ذُبَالَةٌ وذُبَّالَةٌ، وَجَمْعُهَا ذُبالٌ وذُبَّالٌ. اللسان: ذبل.

(2) سنن ابن ماجه: 1/ 114، رقم: 313، صحيح: ابن خزيمة: 1/ 43، رقم: 80.

(3) محمد بن محمد بن شهاب الدين الكردري الخوارزمي حافظ الدين البزازي، فقيه حنفي (ت.827هـ). ترجمته في: تاج التراجم: 354، الشقائق النعمانية: 21.

(4) علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني المرغيناني، من أكابر فقهاء الحنفية، (ت.593هـ). ترجمته في: تهذيب الكمال: 24/ 226، تاج التراجم: 206، شذرات الذهب: 5/ 266.

(5) ابن أبي يوسف، في قونية وأنطاليا ومراد ملا.

شَفقَتِهِ عليهم، أنَّ رَجُلًا دَخَلَ عليه مُتَغيِّرَ اللَّوْنِ، وقال: إنَّ فلانًا سَقَطَ من السَّطْحِ، وكان الإمامُ يُصَلِّي، فَسَمِعَ، وَصاحَ حَتَّى سَمِعَ مَنْ في الْمَسْجِدِ، فَلَمَّا فَرَغَ ذَهَبَ إلى الرَّجُلِ، وقالَ: إنْ قَدَرْتُ أنْ أحْمِلَ على نَفْسِي هذِهِ الْعِلَّةَ فَعَلْتُ، وخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ باكيًا، وَكانَ يَأْتِيهِ صَباحًا وَمَساءً حَتَّى بَرِئَ الرَّجُلُ.

وَلْيَعْتَقِدِ الْمُتَعَلِّمُ أنَّ حَقَّ الْمُعَلِّمِ أَكْبَرُ مِنْ حَقِّ الْأَبِ، فَإِنَّهُ سَبَبُ حياتِهِ الْباقِيَةِ، وَالْأَبُ سَبَبُ حَياتِهِ الْفانِيَةِ. ولذَلِكَ قالَ الْإِسْكَنْدَرُ لَمَّا قيلَ له: أَمُعَلِّمُكَ أَكْرَمُ عَلَيْكَ أمْ أَبوكَ؟ فَقالَ: بَلْ مُعَلِّمِي. فَكَما أَنَّ الْإِخْوَةَ يَجِبُ بينهم التَّوَادُّ[1] والتَّحَابُّ، فَكَذَلِكَ شُرَكاءُ الدَّرْسِ، بل ينبغي أنْ يَكونَ فَوْقَهُمْ. فَإنَّ الْعُلَماءَ كُلَّهُمْ مُسافِرونَ، وسالِكونَ إلى طَرِيقِ الله تعالى، والْمُعَلِّمَ الْمُرْشِدُ والْهادِي، والشُّرَكاءَ الرُّفَقاءُ، ولا يَنْتَظِمُ أَمْرُ الْمُسافَرَةِ إلَّا بِمُوافَقَتِهِمْ ومَحَبَّتِهِمْ؛ وإنَّما يَنْشَأُ الْبُغْضُ والتَّحاسُدُ لِجَعْلِهِمُ الْعِلْمَ وَسيلةً إلى الْمالِ وَالرِّئاسَةِ، فَيَخرجونَ به عن قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[2]. ويَدْخُلونَ تحت قوله تعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾[3].

ولا يَخْفى أنَّ الْمالَ والرِّئاسَةَ يوجِبانِ التَّحاسُدَ والتَّباغُضَ، كما وَقَعَ في زَمانِنا هذا ـ بِسَبَبِ حُبِّ الرِّئاسَةِ والْمالِ ـ الْعَداوَةُ والْبَغْضاءُ والتَّحاسُدُ بين

---

(1) التودد، في أنطاليا.

(2) سورة الحجرات، الآية: 10.

(3) سورة الزخرف، الآية: 67.

الْعُلَماءِ، وإلى الله الْمُشْتكى من زَمانٍ مَلأَ اللهُ تعالى قُلوبَ أَهْليهِ من الْحَسَدِ، وغَلَبَ عليهم الْعِنادُ حَتَّى جَرَى منهم مَجْرى الدَّمِ من الْجَسَدِ؛ قَوْمٌ غَلَبَ عليهم الْجَهْلُ وَطَمَّهُمْ، وَأَعْماهُمْ حُبُّ الرِّئاسَةِ وَأَصَمَّهُمْ، فَمِنْ طائِفَةٍ يُطَوِّلُونَ أَكْمَامَ الِافْتِخارِ، ويَجُرُّونَ أَذْيالَ الِاسْتِكْبارِ، يَتَرَبَّعُونَ في صُدورِ الإيوانِ، وَيَتَنافَسونَ بِاحْتِشادِ الْحَواشي[1] والْغِلمانِ، يَسْتَبْدِلونَ الْجَوابَ بالإعْراضِ، ويَسْتَقِلُّونَ[2] في مَجالِسِهِمْ هَتْكَ الْأَعْراضِ.

أَسْأَلُ اللهَ تعالى مِنْ فَضْلِهِ أَنْ يَتوبَ عليهم، وَيُسامِحَهُمْ بِبَرَكَةِ الْعِلْمِ والإسلامِ، وَيُبَوِّئَهُمْ أَحْسَنَ مُسْتَقَرٍّ وَمُقامٍ.

الْوَظِيفَةُ الثَّالِثَةُ:

أَنْ يَقْتَدِيَ بِصاحِبِ الشَّرْعِ صَلواتُ اللهِ عليه وسَلامُهُ، ولا يَطْلُبَ على إفاضَةِ الْعِلْمِ أَجْرًا وجَزاءً، قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾[3].

فَيَجِبُ عليه قَطْعُ الطَّمَعِ عن الْمُتَعَلِّمينَ، والرِّفْقُ بهم في التَّعْليمِ، والتَّواضُعُ لهم، والْعَطْفُ عليهم، بل يَجِبُ عليه تَقْريبُ الْفَقيرِ لفَقْرِهِ

(1) حَشْوُ الإبل وحَاشِيَتُها: صِغارها، وَكَذَلِكَ حَوَاشِيها، وَاحِدَتُهَا حَاشِيَةٌ، وَقِيلَ: صِغارها الَّتِي لَا كِبار فِيهَا، وَكَذَلِكَ مِنَ النَّاسِ. اللسان: حشا.

(2) ويشتغلون، في أنطاليا.

(3) سورة الشورى، الآية: 23

وانْكِسارِهِ، كما كانَ رَسولُ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ يُجالِسُ الْفُقَراءَ، ويُحِبُّ الْمَساكينَ.

وَاعْلَمْ أنَّ [مَنْ][1] طَلَبَ الْمالَ وأعْراضَ الدُّنْيا بالْعِلْمِ، كمَنْ نَظَّفَ أسْفَلَ مَداسِهِ بوجْهِهِ ومحاسِنِهِ، فجَعَلَ الْمَخْدومَ خادِمًا، والخادِمَ مَخْدومًا، فعليكَ أنْ لا تَرْكَنَ إلى حُطامِ الدُّنيا وإقْبالِهَا، وَوِلايَةِ الْمَناصِبِ وإجْلالِهَا، فإنَّ ذلك حِبالَةُ الشَّيْطانِ، يَصْطادُ بها ضُعَفاءَ الأحْلامِ من الأنامِ، كما قال عيسى بنُ مَرْيَمَ صلواتُ الله عليه وعلى نَبِيِّنَا: الْعُلَماءُ دَواءُ الدِّينِ، والْمالُ داءُ الدِّينِ، فَمَنْ جَرَّ الدَّاءَ إلى نفْسِهِ فكيف يُداوي غيرَهُ، ألا إنَّ الْعَجَبَ الْعَجيبَ[2] أنَّ الأمْرَ قَدِ انْتَهى بِحُكْمِ تَراجُعِ الزَّمانِ، وخُلُوِّ الْأَعْصَارِ عَنِ عُلَماءِ الدِّينِ، إلى عَدَمِ ابْتِهاجِ الْعُلَماءِ بانْتِهاجِ سَبيلِ الْعُلومِ[3]، بَلْ بِالرِّئاسَةِ والتَّجمُّلِ اللَّذَيْنِ لا يَنْخَدِعُ بهما إلا الْعَوامُّ والْجَهَلَةُ: [الطويل]

فَسَادٌ كَبِيرٌ عَالِمٌ مُتَهَتِّكُ ... وَأَكْبَرُ مِنْهُ جَاهِلٌ مُتَنَسِّكُ[4]
هُمَا فِتْنَةٌ لِلْعَالَمِينَ عَظِيمَةٌ ... لِمَنْ بِهِمَا فِي دِينِهِ يَتَمَسَّكُ

قال مُحَمَّدُ بنُ الْحَسَنِ: لوْ كانَ النَّاسُ كلُّهم عَبيدي لَأَعْتَقْتُهُمْ، وَتبَرَّأْتُ عن وَلائِهِمْ، ومَنْ وَجَدَ لَذَّةَ العِلْمِ والْعَمَلِ به، قَلَّما يَرْغَبُ فيما عِنْدَ النَّاسِ.

---

(1) زيادة من أنطاليا.

(2) العجاب، في مراد ملا.

(3) النجاة، في أنطاليا.

(4) وردا في مورد الظمآن إلى زوائد ابن حبان: 1/ 189، نقلا من الهداية، وفي المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية صلى الله عليه وسلم من صحيح الإمام البخاري: 2/ 144.

قال أبو حَنيفَةَ رَضِيَ الله عنه: [مُخَلَّعُ البسيط]

مَـنْ طَـلَـبَ الْـعِـلْـمَ لِـلْـمَـعَـادِ فَـازَ بِـفَـضْـلٍ مِـنَ الـرَّشَـادِ[1]
فَـيَـا لَـخُـسْـرَانَ طَـالِـبِـيـهِ لِـنَـيْـلِ فَـضْـلٍ مِـنَ الْـعِـبَـادِ[2]

اللَّهُمَّ إلَّا إذا طَلَبَ الْجاهَ، لِلْأَمْرِ بالْمَعْروفِ، والنَّهْيِ عن الْمُنْكَرِ، وتَنْفيذِ الْحَقِّ، وإعْزازِ الدِّينِ، لا لِنَفْسِهِ وهَواهُ، فَيَجوزُ ذلك بِقَدْرِ ما يُقيمُ به الأمْرَ بالمعروفِ، والنَّهْيَ عن الْمُنْكَرِ، وَيَنْبَغِي أنْ يَتَفَكَّرَ في ذلك، فإِنَّهُ يَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ بِجَهْدٍ كَثيرٍ، فلا يَصْرِفْهُ إلى الدُّنيا الْحَقِيرَةِ الْفانِيَةِ.

وقال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ: «اتَّقُوا الدُّنْيَا، فوالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إنَّهَا لَأَسْحَرُ من هَارُوتَ وَمَارُوتَ»[3].

[الوافر]

هِـيَ الـدُّنْـيَـا أَقَـلُّ مِـنَ الْـقَـلِـيـلِ وَعَـاشِـقُـهَـا أَذَلُّ مِـنَ الـذَّلِـيـلِ[4]
تُـصِـمُّ بِـسِـحْـرِهَـا قَوْمًـا وَتُـعْـمِـي فَـهُـمْ مُـتَـحَـيِّـرُونَ بِـلَا دَلِـيـلِ

(1) كذا وردت نسبتهما في تاريخ بغداد: 4/ 50، ونسبا للإمام الشافعي في مناقب الشافعي للبيهقي: 2/ 89.
(2) ويا لخسران من أتاه، في تاريخ بغداد.
(3) نوادر الأصول: 1/ 130، جمع الجوامع: 1/ 136، كشف الخفاء: 1/ 40.
(4) البيتان بدون نسبة في رسالة إنقاذ الهالكين لتقي الدين البركوي: 94، وبريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية: 3/ 16.

الْوَظِيفَةُ الرَّابعَةُ:

أنْ لا يَذَّخِرَ نُصْحَهُ عن الْمُتَعَلِّمِ، وَزَجْرَهُ عن الْأَخْلاقِ الرَّدِيئَةِ بِالتَّعْرِيضِ والتَّصْرِيحِ، ومَنْعَهُ أن يَتَشَوَّفَ إلى رُتْبَةٍ فَوْقَ اسْتِحْقاقِهِ، وأنْ يَتَصَدَّى للاشْتِغالِ فوق طاقَتِهِ، وأن يُنَبِّهَهُ على غايَةِ الْعُلومِ، وأنَّها هي السَّعادَةُ الأُخْرَوِيَّةُ دونَ أَغْراضِ الدُّنْيا. ويَنْبَغي أن لا يُزْجَرَ عن التَّعَلُّمِ، إذا رَأَى أنَّهُ يَتَعَلَّمُهُ لِأَجْلِ الرِّئاسَةِ ومُباهاةِ الْعُلماءِ، إذِ اشْتِغالُهُ ربَّما أَدَّى إلى اكْتِسابِ الْعِلْمِ، وتَنَبَّهَ بالْآخِرَةِ لِحَقائِقِ الْأُمورِ، وعَلِمَ أنَّ الطَّالِبَ بالْعِلْمِ لِأَغْراضِ الدُّنْيا مَغْبونٌ، وهو الْمَعْنِيُّ مِنْ قَوْلِهِمْ: «تَعَلَّمْنَا الْعِلْمَ لغَيْرِ اللهِ، فَأَبَى الْعِلْمُ أنْ يكونَ إلَّا للهِ».

وَلِهَذا يَنْبَغِي أَنْ يَرْغَبَ في نَوْعٍ مِنَ الْعِلْمِ تُسْتَفادُ به الرِّئاسَةُ بِالْأَطْماعِ في الرِّئاسَةِ، حتى يَسْتَدْرِجَهُمْ بعد ذلك إلى الْحَقِّ. ولهذا رَخَّصوا في عِلْمِ الْمُناظَرَةِ في الْفِقْهِيَّاتِ، لأنَّها بَواعِثُ على الْمُواظَبَةِ لِطَلَبِ الْمُباهاةِ أوَّلًا، ثُمَّ بالْآخِرَةِ يَتَنَبَّهُ لِفَسادِ قَصْدِهِ، وَيَعْدِلُ عنه إلى الْمَنْهَجِ الْقَوِيمِ، بل اللهُ سُبْحانَهُ وتعالى جَعَلَ الرِّئاسَةَ، وحُسْنَ الذِّكْرِ، حِفْظًا لِلشَّرْعِ والْعِلْمِ؛ مِثْلَ الْحَبِّ الْمُلْقى حَوالى الشَّبَكَةِ[1]، ومِثْلَ الشَّهْوَةِ الدَّاعِيَةِ إلى التَّناسُلِ. ولهذا قيلَ: لو لا الرِّئاسَةُ لبطلَ العلمُ.

---

(1) أضيف في نسخة أنطاليا: ليقتنص به الطير، دون الإشارة إلى وجوب إلحاقها بالمتن بأحد الرموز المعروفة.

لَكِنْ ينبغي أنْ يُنَبَّهَ عليه أنَّ الْمُتَعَلِّمَ إن كان طَبْعُهُ على الشَّرِّ والفسادِ، وَحُبِّ الْمالِ والْجاهِ، فلا يَحْسُنُهُ الرِّئاسَةُ، لاحْتِمالِ أنْ يَرْسَخَ في طَبْعِهِ، ثُمَّ لا يَزولَ، أو يَشُقَّ زَوَالُهُ.

الْوَظِيفَةُ الْخامِسَةُ:

أن يَزْجُرَ عَمَّا يَجِبُ الزَّجْرُ عنه[1] بالتَّعْريضِ لا بِالتَّصْريحِ، لأنَّ التَّعْريضَ يُؤَثِّرُ في الزَّجْرِ، والتَّصْريحَ رُبَّما يُغْري بِالْمَنْهِيِّ عنه، قالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ: «لو نُهِيَ النَّاسُ عَنْ فَتِّ الْبَعْرِ لَفَتُّوا، وَقالُوا: ما نُهِينَا عنه إلَّا وفِيهِ شَيْءٌ»[2].

وَيُنَبِّهُ على هذا قِصَّةُ آدَمَ وَحَوَّاءَ، وما نُهِيَا عنه.

ولذا قيلَ: الْإِنْسانُ حَريصٌ على ما مُنِعَ.

وقد قيل: رُبَّ تَعْرِيضٍ أَبْلَغُ من التَّصْرِيحِ، إذ التَّعْريضُ لا يَهْتِكُ حجابَ الْهَيْبَةِ، والتَّصْريحُ يَرْفعُهُ بالْكُلِّيَّةِ، فَيَسْتَفيدُ الْمَنْهِيُّ جُرأةً على الْمُخالَفَةِ، إذا اضْطُرَّ إلى الْمُخالَفَةِ له مَرَّةً أُخْرَى. ولقد شاهَدْنا هذا في الْمَوْلَى الْوالِدِ رَوَّحَ اللهُ رُوحَهُ، حيث ما قابَلَنا في أمْرٍ بِتَصْريحٍ، بل كان يُعَرِّضُ، وكُنَّا نَنْزَجِرُ عن ذلك الْأَمْرِ فَوْقَ ما يَنْزَجِرُ النَّاسُ عن التَّصْريحِ.

---

(1) كتب بإزائها في نسخة أنطاليا: "من سوء الأخلاق"، وهي زيادة توضح المعنى، ولم ترد الإشارة إلى وجوب إلحاقها بالمتن.

(2) عيون الأخبار: 2/ 4، الذريعة إلى مكارم الشريعة: 179، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء: 2/ 112، ميزان العمل للغزالي: 366، الإحياء: 1/ 57، كشف الخفاء: 2/ 190.

وَيَنْبَغِي أَنْ يَكونَ ناصِحًا لهم، ومُتَواضِعًا لهم مع الْوَقارِ، صابِرًا على تَعْليمِهِمْ في أَكْثَرِ النَّهارِ، ومُحَرِّضًا لهم على كَسْبِ الْعُلومِ، وَمُشْفِقًا عليهم، ومُتَحَمِّلًا منهم ما يَصْدُرُ عنهم مِنَ الْهَفَواتِ، وناظِرًا في أَحْوالِهِمُ الدُّنيويَّةِ والأُخْرويَّةِ، يَبَرُّ حُقوقَهُمْ بقَدْرِ وُسْعِهِ وطاقَتِهِ.

الْوَظِيفَةُ السَّادِسَةُ:

أنْ يَبْدَأَ في التَّعْليمِ ما يُهِمُّ لِلْمُتَعَلِّمِ في الحالِ، إمَّا في مَعاشِهِ، أو في مَعادِهِ، ويُعَيِّنَ له ما يَليقُ بِطَبْعِهِ من العلوم، إذ «كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلقَ لَهُ»[1].

ويُراعِيَ التَّرْتِيبَ الْأَحْسَنَ في تَرْتيبِ الْعُلومِ حَسْبَمَا تَقْتَضِيهِ رُتْبَتُهَا. ولا يَنْبَغِي أن يُرَقِّيَهُمْ من الْجَلِيِّ إلى الدَّقيقِ، ومن الْخَفِيِّ إلى الظاهِرِ دُفْعَةً، وفي أَوَّلِ رُتْبَةٍ، بل على قَدْرِ الِاسْتِعْدادِ، اقْتِداءً بِمُعَلِّمِ الْبَشَرِ كافَّةً، ومُرْشِدِهِمْ قاطِبَةً، حيثُ قال: «إِنَّا مَعْشَرَ الْأَنْبِيَاءِ أُمِرْنَا أن نُنَزِّلَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ، وَنُكَلِّمَ النَّاسَ بِقَدْرِ عُلُومِهِمْ»[2].

وقال عَلِيٌّ رضي الله عنه، وقد أَوْمَأَ إلى صَدْرِهِ: إنَّ هاهنا لَعُلُومًا جَمَّةً، لو وَجَدْتُ لها حَمَلَةً[3].

---

(1) صحيح البخاري: 9/ 159، رقم: 7551، صحيح مسلم: 4/ 2041، رقم: 2649.

(2) الذريعة إلى مكارم الشريعة: 180، المفردات في غريب القرآن: 35، ميزان العمل: 367، وفيهم جميعا: «ونُكَلِّمَ النَّاسَ على قَدْرِ عُقولِهِمْ».

(3) الذريعة إلى مكارم الشريعة: 180، ميزان العمل: 367، الإحياء: 1/ 57.

وقال صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ: «كَلِّموا النَّاسَ بما يَعْرِفُونَ، وَدَعُوا ما يُنْكِرُونَ، أَتُرِيدُونَ أنْ يُكَذَّبَ اللهُ ورَسُولُهُ»[1].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾[2].

وسُئِلَ بعضُ الْمُحَقِّقينَ عن شَيْءٍ فَأَعْرَضَ، فقالَ السَّائِلُ: أما سَمِعْتَ قَوْلَ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ: «مَنْ كَتَمَ عِلْمًا نَافِعًا، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلْجَمًا بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ».

فقالَ: اتْرُكِ اللِّجَامَ واذْهَبْ، فإنْ جاءَ مَنْ يَفْقَهُ فَكَتَمْتُهُ فَلْيُلْجِمْنِي بِهِ.

وقد نَبَّهَ اللهُ سبحانَهُ وتعالى بقولِهِ: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾[3] على أنَّ حِفْظَ الْعِلْمِ[4] وإمْساكَهُ عَمَّنْ لا يَكونُ أَهْلًا له أَوْلَى، وَبِقَوْلِهِ: ﴿فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾[5].

على أنَّ مَنْ بَلَغَ رُشْدَهُ في الْعِلْمِ يَنْبَغِي أنْ يُبَثَّ إليه حَقائِقُ الْعُلومِ، ويُرَقَّى مِنَ الْجَلِيِّ الظَّاهِرِ إلى الدَّقيقِ الْخَفِيِّ. وليس الظُّلْمُ في مَنْعِ الْمُسْتَحِقِّ بأقَلَّ من الظُّلْمِ في إعْطاءِ غيرِ الْمُسْتَحِقِّ.

---

(1) صحيح البخاري: 1/ 37، رقم: 127.

(2) سورة الأنفال، الآية: 23.

(3) سورة النساء، الآية: 5.

(4) المعلم، في قونيا ورئيس الكتاب وأنطاليا.

(5) سورة النساء، الآية: 6.

قال أبو بَكْرٍ الشَّاشِيُّ رَحِمَهُ الله تَعالى: رَأَيْتُ الشَّافِعِيَّ رَضِيَ الله عنه في الْمَنامِ، فأنْشَدَني هذه الأبْياتَ: [الطويل]

أَنْثُرُ دُرًّا بَيْنَ رَاعِيَةِ الْغَنَمْ ... أَأَنْظِمُ مَنْثُورًا لِسَارِحَةِ النَّعَمْ[1]
فإنْ لَطَفَ اللهُ الْكَرِيمُ بِفَضْلِهِ ... وَصَادَفْتُ أَهْلًا لِلْعُلُومِ وَلِلْحِكَمْ
بَثَثْتُ مُفِيدًا وَاسْتَعَدْتُ وِدَادَهُمْ ... وَإِلَّا فَمَخْزُونٌ لَدَيَّ وَمُكْتَتَمْ
فَمَنْ مَنَحَ الْجُهَّالَ عِلْمًا أَضَاعَهُ ... وَمَنْ مَنَعَ الْمُسْتَوْجِبِينَ فَقَدْ ظَلَمْ

فَظَهَرَ منه أنَّ بَثَّ الْمَعارِفِ إلى غَيْرِ أَهْلِهَا مَذْمُومٌ في الْعُلومِ كلِّها.

قالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ: «لَا تَطْرَحُوا الدُّرَرَ فِي أَفْوَاهِ الْكِلَابِ»[2].

وَقالَ عيسى عليه السَّلام: لا تُعَلِّقُوا الْجَواهِرَ في أعنَاقِ الخَنَازِيرِ، فإنَّ الْعِلْمَ خَيْرٌ من الْجَوْهَرِ، ومُنْكِرَهُ شَرٌّ مِنَ الْخِنْزِيرِ[3].

وَقيلَ: [البسيط]

قَدْ ضَيَّعَ اللهُ مَا جَمَّعْتُ مِنْ أَدَبٍ ... بَيْنَ الْحَمِيرِ وَبَيْنَ الشَّاءِ وَالْبَقَرِ[4]

---

(1) لم ترد الأبيات في ديوان الشافعي، ونسبت له في مجموعة من المصادر منها: طبقات الشافعية الكبرى: 1/ 294، والمقفى الكبير: 5/ 216.

(2) أخرجه البغوي في جزئه: 37، وابن المقرئ في معجمه: 403، وابن عدي في الكامل في الضعفاء: 9/ 71، وابن الجوزي في الموضوعات: 1/ 232.

(3) - إحياء علوم الدين: 1/ 57 مع تغيير في اللفظ.

(4) - أنشده ابن أبي الدنيا لشيخ من الأزد من أهل البصرة، في المجالسة وجواهر العلم: 8/ 167، برواية: "ما ضيع..."، ونسب في الوساطة بين المتنبي وخصومه: 347، وفي شرح ديوان المتنبي للعكبري: 4/ 40 للسيد الحميري.

وَأَيْضًا ادِّخارُ حَقائِقِ الْعُلوم مِنَ الْمُسْتَأْهِلينَ لها فاحِشَةٌ عظيمَةٌ، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾[1].

قالَ بَعْضُ الْمُحَقِّقينَ: وَضْعُ الْعِلْمِ في غير أَهْلِهِ إضاعَةٌ، ومَنْعُهُ عن أَهْلِهِ ظُلْمٌ وجَوْرٌ، وكلاهُما حَرامٌ على الْعُلَماءِ.

الْوَظيفَةُ السَّابعَةُ:

أن يَحُثَّ الصِّغارَ على التَّعَلُّمِ، سِيَّمَا الْحِفْظُ، لأنَّ ذلك كَالنَّقْشِ في الْحَجَرِ، والتَّعَلُّمُ في الْكِبَرِ كَالرَّقْمِ على الْمَاءِ.

وَأَيْضًا ينبغي أن يَذْكُرَ لهم ما يَحْتَمِلُهُ فَهْمُهُمْ، ولا يَذْكُرَ لِلْمُتَعَلِّمِينَ أنَّ وَراءَ ما ذُكِرَ لهم تَحْقِيقٌ وتَدْقِيقٌ[2] ادَّخَرَهُ عنهم، فإنَّ ذَلِكَ يُفَتِّرُ فَهْمَهُمْ في تَلَقُّفِ ما أُلْقِيَ إليهم، بل يُخَيِّلُ إليهم أنَّ ما ذَكَرَهُ لهم كُلُّ الْمَقْصودِ، ثم إذا اسْتَقَلَّ به رُقِّيَ إلى غَيْرِهِ.

وعلى هذا الْقِياسِ يَنْبَغِي أن يُجَنِّبَ أَسْماعَ الْعَوامِّ الْمُتَشَرِّعينَ عن كَلِماتِ الصُّوفِيَّةِ التي يَعْجِزونَ عن تَطْبيقِها بالشَّرْعِ، فإنَّ ذلك يؤدي إلى انْحِلالِ قَيْدِ الشَّرْعِ عنهم، ولا يُمْكِنُ لهم التَّطْبِيقُ بينه وبين الشَّرْعِ، فَيَنْفَتِحُ عليهم بابُ الإِلْحادِ والزَّنْدَقَةِ، فَيَنْقَلِبُ شَيْطانًا مَريدًا. كما نُشاهِدُ ذلك في بعض عَوامِّ

---

(1) سورة آل عمران، الآية: 187.

(2) ما ذَكَرَ لهم تحقيقا وتدقيقا، في أنطاليا.

زمانِنا الْمُتَتَبِّعينَ لِكَلِماتِ "**الْفُصوصِ**"(1) وغَيْرِهِ، غَيْرِ الْمُسْتَأْهِلينَ لِتَحْقِيقِها وإتْقانِها.

فَيَنْبَغِي لِلْمُعَلِّمِ أنْ يُرْشِدَ الْعَوامَّ إلى عِلْمِ الْعِباداتِ الظاهِرَةِ، وأنْ يَمْلأَ نَفْسَهُمْ إلى الرَّغْبَةِ والرَّهْبَةِ، كما يَفْعَلُهُ الْوُعَّاظُ والْمُذَكِّرونَ. وإنْ عَرَضَ لهم شُبْهَةٌ يُعالِجُ بكَلامٍ إقْناعِيٍّ، وتَقْريرٍ واضِحٍ عَامِيٍّ، ولا يَفْتَحُ عليهم بابَ الْحَقائِقِ، فإنَّ في ذلك فَسادَ النِّظامِ. وإنْ وَجَدَ ذَكِيًّا ثابِتًا على قَواعِدِ الشَّرْعِ، ومُسْتَعِدًّا لِدَرْكِ الْحَقَائِقِ الْعَقْلِيَّةِ، وَالْأَسْرارِ الْإِلَهِيَّةِ، جازَ أن يَفْتَحَ له بابَ الْمَعارِفِ الرَّبَّانِيَّةِ، بعد امْتِحاناتٍ مُتَوالِيَةٍ، وَتَجارِبَ مُتَتالِيَةٍ، حَتَّى لا يَتَزَلْزَلَ عن جادَّةِ الشَّرْعِ، ويجمَعَ بينه وبين الحقائِقِ، وماذا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ(2).

وَقَدْ أَسْلَفْنا أنَّ السَّلَفَ كانوا يَخْتَبِرونَ الْمُتَعَلِّمَ في أَخْلاقِهِ، فإنْ وَجَدوهُ مُهَذَّبَ الأخْلاقِ، اشْتَغَلوا بِتَعْليمِهِ، وإلَّا مَنَعُوهُ أَشَدَّ الْمَنْعِ، خيفَةً من أنْ يُقَصِّرَ في الْفَهْمِ، فَيَفْسُدَ به دينُهُ ودينُ غيرِهِ. ولهذا قالوا: نَعوذُ باللهِ من نِصْفِ فَقيهٍ، ونِصْفِ طَبِيبٍ، فإنَّ الْأَوَّلَ يُفْسِدُ الدِّينَ، والثَّانِي يُفْسِدُ الْبَدَنَ.

وإذا انْتَهى الْكَلامُ إلى هذا الْمَقامِ، فأنا أُوصِيكَ وَصِيَّةَ عَمَلِ مَنْ طَبَّ لِمَنْ حَبَّ، لعلك تَنْتَفِعُ بها وتَدْعُو لي بخيرٍ، وهي: أنَّ الواجِبَ عليك أَيُّهَا الطَّالِبُ لِلْحَقِّ، والرَّاغِبُ في الصِّدْقِ، أن لا تُنْكِرَ أولياءَ الله تعالى، فإِنَّهم الْوَسيلَةُ

(1) يقصد كتاب "فصوص الحكم"، للشيخ ابن العربي الحاتمي (ت.638هـ).

(2) وظف المصنِّفُ الآية 32 من سورة يونس لإتمام مراده من سياق الكلام.

بينَكَ وبينَ الله، والْخَليفَةُ من حَضْرَةِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم [وشرَّفَ وعظَّمَ][1]: [الخفيف]

فـإذا كُـنْـتَ في الْـمَـدَارِجِ غِـرًّا ثُمَّ أَبْصَـرْتَ حَاذِقًا لا تُمَارِي[2]
لا تَـكُـنْ مُـنْـكِرًا فَـثَـمَّ أُمُـورٌ لِطِوَالِ الرِّجَالِ لا لِلْقِصَـارِ
فـإذا لَـمْ تَـرَ الْـهِـلالَ فَسَـلِّـمْ لِأُنَـاسٍ رَأَوْهُ بِـالْأَبْصَـارِ

وما لا تَفْهَمُ من مقالاتِهِمُ الْخَفِيَّةِ، وأحوالِهِمُ الْغَريبَةِ، فَكِلْهُ إلى أهْلِهِ، إذْ كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِما خُلِقَ له.

وقال الله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[3].

قال بعض الْحُكَمَاءِ: كُلُّ ما قَرَعَ سَمْعَكَ من الْغَرَائِبِ، فَذَرْهُ في بُقْعَةِ الْإِمْكانِ، ما لم يَذُدْكَ عنه قائِمُ الْبُرْهانِ.

وقالَ بَعْضُ الْمُحَقِّقينَ في حَقِّ أَسْرارِ التَّوْحيدِ وَأَطْوارِ الْمُتَصَوِّفَةِ: [البسيط]

وكَانَ مَا كَانَ مِمَّا لَسْـتُ أَذْكُرُهُ فَظُنَّ خَيْرًا ولا تَسْأَلْ عنِ الْخَبَرِ[4]

فإنْ قُلْتَ: كُلُّ ما يُخالِفُ الشَّرْعَ فهو كُفْرٌ، والتَّوَقُّفُ فيه لا يَصِحُ من الْمُسْلِمِ.

(1) زيادة من مراد ملا.

(2) البيت الأول والثالث في حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع: 2/ 513، رد المحتار على الدر المختار: 1/ 192.

(3) سورة المائدة، الآية: 48.

(4) البيت لابن المعتز، وهو في ديوان شعره: 247، وفيه: فكان.

قُلْتُ: نَعَمْ، إنَّ التَّوَقُّفَ في الْكَلامِ الذي هو كُفْرٌ صريحٌ، من حيث إنَّه يَجوزُ أنْ يكونَ صَحيحًا، لا يجوزُ من مُسْلِمٍ، فَضْلًا عن عالِمٍ، لأنَّ ذلك شَكٌّ في الدِّينِ، وَخَرْمٌ لنِظامِ الإسْلامِ والشَّرْعِ، لكنَّا ـ والْعِياذُ بالله تعالى ـ لا نَتَوَقَّفُ في ذلك أبَدًا.

عَصَمَنَا الله وإيَّاكُمْ عن التَّساهُلِ في الدِّينِ والإسْلامِ. لكنَّا نَتَوَقَّفُ في كَوْنِ مُرادِهِمْ ذلك الْمَعْنى؛ إذِ الدَّليلُ الْقاطِعُ دَلَّ على أنَّ ظاهِرَهُ غير مُرادٍ، فلا بُدَّ فيه مِنْ أنْ يُصْرَفَ عن ظاهِرِهِ إلى وَجْهٍ من وُجوهِ التَّأويلِ لِوَجْهَيْنِ:

أحدُهما: تَصْريحُهُمْ بأنَّ الْمَفْهومَ من ظاهِرِ كَلامِنا كُفْرٌ وإلحادٌ، إذ التَّعْبيرُ عن أصْلِ الْمُرادِ، يُوهِمُ الْحُلولَ أو الاتِّحادَ، وليس الأمْرُ كذلك، بل ذلك لِضيقِ الْعِبارَةِ، وعُسْرِ الْإشارَةِ، "فلا يُحاوِلُ مُعَبِّرٌ أنْ يُعَبِّرَ عنها إلَّا اشْتَمَلَ لَفْظُهُ على خَطَإٍ صَريحٍ لا يُمْكِنُهُ الاحْتِرازُ عنه"[1]. كذا ذَكَرَ الإمام الْغَزالِيُّ في كِتابِ: "**الْمُنْقِذُ من الضَّلالِ**".

وثانيهما: ما ذَكَرَهُ بعض الْكامِلينَ أنَّ الْمَعارِفَ الإلهيَّةَ لم توضَعْ بإزائِها الْأَلْفاظُ، بل اقْتَصَرَ الْوَضْعُ بإزاءِ الْمُمْكِنَاتِ، وأيضًا لا يُمْكِنُ الْإشارَةُ إليها بطَرِيقِ الْكِنايَةِ والِاسْتعارَةِ [خُصوصًا في ذاتِ اللهِ تعالى][2] إذ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[3]، فَغايَةُ حالِ مَنْ أَرادَ التَّعْبيرَ عن الْأَسْرارِ الْإلَهِيَّةِ وقُصارَى أمْرِهِمْ

---

(1) المنقذ من الضلال: 178.

(2) زيادة من أنطاليا.

(3) سورة الشورى، الآية: 11.

التَّعبيرُ عنها بما يُماثِلُها(1) من جِهَةٍ من الْجِهاتِ، وإنْ كان مُخالِفًا له حَقيقَةً من سائِرِ الْجِهاتِ. فالتَّعبيرُ عن الْأسْرارِ الْإلَهِيَةِ وإنْ كان تَقْريبًا إلى الْأذْهانِ من جِهَةٍ، فهو تَبْعيدٌ عنها من وُجوهٍ كَثيرَةٍ.

وإنَّما الْغَرَضُ من التَّصْنيفِ التَّذْكِرَةُ لمن يَعْرِفُ تلك الْأَسْرارَ، لأَنَّهُ يَعْرِفُ الْعَلاقَةَ في إطْلاقِ اللَّفْظِ عليها، وكذا التَّنْبيهُ على من لا يَعْرِفُها، إنَّ لنا عِلْمًا يَجِلُّ عن الْأذْهانِ فَهْمُهُ، حتى يُرَغَّبَ في تَحْصيلِهِ، كما قالَ رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّ مِنَ الْعِلمِ كَهَيْئَةِ الْمَكْنُونِ لا يَعْرِفُهُ إلا الْعُلَمَاءُ باللهِ، وإذا نَطَقُوا لا يُنْكِرُهُ إلا أَهْلُ الْغِرَّةِ»(2).

ورُوِيَ عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ قالَ: «حَفِظْتُ من رَسُولِ الله صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ وِعَاءَيْنِ [مِنْ عِلْمٍ](3)، أمَّا أَحَدُهُمَا فَبَثَثْتُهُ، وأمَّا الْآخَرُ فَلَوْ بَثَثْتُهُ لَقُطِعَ هذا الْبُلْعُومُ»(4).

وَقيلَ: [البسيط]

إنِّي لَأَكْتُمُ مِنْ عِلْمِي جَوَاهِرَهُ كَيْ لا يَرَى الْحَقَّ ذو جَهْلٍ فَيَفْتِنَا(5)

(1) كتب بإزائها في نسخة أنطاليا: لعلها: ما يلائمها.

(2) أهل الغرة أهل الغفلة، الحديث في: الأربعون في التصوف للسلمي: 13، الترغيب والترهيب: 1/ 58، واللآلئ المصنوعة: 2/ 201، وكنز العمال 10/ 181.

(3) زيادة من أنطاليا.

(4) صحيح البخاري: 1/ 35، رقم: 120، الطبقات الكبرى: 4/ 331، تاريخ دمشق: 67/ 337.

(5) وردت الأبيات في طبقات الشافعية الكبرى: 2/ 231، منسوبة لأحد أهل البيت، ونسبت في روح المعاني: 3/ 356 لعلي زين العابدين.

وَقَـدْ تَقَـدَّمَ في هـذا أبو حَسَـــنٍ إلى الْحُسَيْنِ وَوَصَّى قَبْلَهُ الْحَسَنَا
يـا رُبَّ جَوْهَرِ عِلْمٍ لَوْ أَبُوحُ بِـهِ لَقِيـلَ لي أنْـتَ مِمَّنْ يَعْبُدُ الْوَثَنَـا
وَلَاسْـتَحَلَّ رِجَالٌ مُسْـلِمُونَ دَمِي يَرَوْنَ أَقْبَحَ مـا يَـأْتُونَـهُ حَسَــنَـا

لَكِنْ إيَّاكَ وإيَّاكَ أنْ تَظُنَّ أنَّهم أَضمَروا الْكَلِماتِ الْمُخالِفَةَ لِلشَّرْعِ، وليس كذلِكَ، فَحاشاهُمْ، ثم حاشاهُمْ عن ذلِكَ، بل غَرَضُهُمْ عَدَمُ إمْكانِ التَّعْبيرِ، وخَوْفُ مُقايَسَةِ السَّامِعينَ الْأحْوالَ الْإلَهِيَّةَ بأحْوالِ الْمُمْكناتِ، فَيَضِلُّوا وَيُضِلُّوا، وَيُسِيئُوا الظَّنَّ في قَائِلِهَا، ويُقابِلوهُ بِالْإنْكارِ، "جَلَّ جَنَابُ الْحَقِّ عن أن يَكونَ شَرِيعَةً لِكُلِّ وَارِدٍ، أو يَطَّلِعَ على سَرَائِرِ قُدْسِهِ إلَّا واحِدٌ بعد واحِدٍ"[1].

وقيلَ: [الطويل]

لَقَدْ طُفْتُ في تِلْكَ الْمَعَاهِدِ كُلِّهَا وَسَيَّرْتُ طَرْفِي بَيْنَ تِلْكَ الْمَعالِمِ[2]
فَلَمْ أَرَ إِلَّا وَاضِــعًـا كَفَّ حَـائِرٍ عَلى ذَقَنٍ أو قَـارِعًـا سِـــنَّ نَـادِمِ

قال تاجُ الدِّينِ السُّبْكِيُّ: ومِنَ الْفُقَهاءِ طائِفَةٌ يَسْتَهْزِئونَ بالْفُقَراءِ وأهْلِ التَّصَوُّفِ، ولا يَعْتَقِدونَ فيهم شَيْئًا، ويَعِيبُونَ عليهم السَّمَاعَ، وَأُمورًا كَثيرةً، والسَّماعُ قد عُرِفَ اخْتِلافُ النّاسِ فيه. وتلك الْأُمورُ قَلَّ أنْ يَفْهَمَهَا مَنْ يَعِيبُهَا.

(1) الملل والنحل: 3/ 75.
(2) المصدر نفسه: 1/ 173.

والْواجِبُ تَسْليمُ أَحْوالِ الْقَوْمِ إليهِمْ، فَإِنَّا لا نَأْخُذُ أَحَدًا إلَّا بِجَريمَةٍ ظاهِرَةٍ، وَمَتَى أَمْكَنَنا تَأْويلُ كَلامِهِمْ، وحَمْلُهُ على مَحْمَلٍ حَسَنٍ، لا نَعْدِلُ عن ذلك، لا سِيَّما مَنْ عَرَفْنا منهُمُ الْخَيْرَ، ولُزومَ الطَّريقَةِ.

ثُمَّ [إِنْ][1] بَدَرَتْ لَفْظَةٌ عَنْ غَلْطَةٍ أو سَقْطَةٍ، فإنَّها لا تَهْدِمُ عِنْدَنا ما مَضَى. وقد جَرَّبْنَا فلم نَجِدْ فَقِيهًا يُنْكِرُ على الصُّوفِيَّةِ إلَّا ويُهْلِكُهُ اللهُ، وَتَكونُ عاقِبَتُهُ وَخيمَةً، كما أَنَّا لم نَجِدْ جُنْدِيًّا يَهْزَأُ بِالْفُقَهاءِ إلَّا ويُهْلِكُهُ اللهُ، وَتكونُ عاقِبَتُهُ شَديدَةً. وَالصُّوفِيَّةُ هم أَهْلُ الْقُلوبِ، فهم أَهْلُ اللهِ تعالى وَخاصَّتُهُ، نَفَعَنا اللهُ تعالى بهم، وَأَكْثَرُ مَنْ يَقَعُ فيهم لا يُفْلِحُ[2]. هذا حاصِلُ ما ذَكَرَهُ السُّبْكِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تعالى.

الْوَظيفَةُ الثَّامِنَةُ:

يَنْبَغي أَنْ لا يُخالِفَ قَوْلُهُ فِعْلَهُ، بل يَأْمُرُ بما هُوَ أَوَّلُ عامِلٍ به، إذْ لو أَكْذَبَ مَقالَهُ بِحَالِهِ يَنْفُرُ النَّاسُ عنه، وعن الِاسْتِرْشادِ به، لأنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ مُقَلِّدونَ، يَنْظُرونَ إلى حالِ الْقائِلِ. والْمُحَقِّقُ الذي لا يَنْظُرُ إلى الْقائِلِ، بل يَقْصُرُ النَّظَرَ إلى ما قالَهُ، فهو نادِرٌ، فَلْيَكُنْ عِنَايَتُهُ بِتَزْكِيَةِ أَعْمالِهِ، أكثرَ منه بِتَحْسينِ عِلْمِهِ[3] ونَشْرِهِ.

(1) السياق يقتضي إضافة "إن" وهي ثابتة في المصدر المنقول منه، وهو معيد النعم ومبيد النقم: 71.

(2) معيد النعم ومبيد النقم: 70-71.

(3) عمله، في قونيا.

وإذا زُجِرَ الطَّبيبُ عما يَتَناوَلُهُ، إمَّا يُحْمَلُ على الْهُزْءِ والسَّفَهِ، أو يُتَّهَمُ على عِلْمِهِ وصِدْقِهِ، أو يُحْمَلُ على أنه يريدُ أنْ يَسْتَأْثِرَ به، فَيَنْقَلِبُ النَّهْيُ إغْراءً وتَحْرِيضًا. كذلك الْعامِّيُّ إذا رَأَى الْعالِمَ غَيْرَ الْعامِلِ، فهو بَيْنَ أنْ يَحْمِلَهُ على الْكَذِبِ، أو أنَّهُ يَعْرِفُ حيلَةً في فِعْلِهِ، وَيَخُصُّنا بالنَّهْيِ عنه، أو يَحْمِلَهُ على السُّمْعَةِ والرِّياءِ، نَعوذُ بالله تعالى من آفاتِ التَّساهُلِ في الْعَمَلِ.

قال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا [يَوْمَ الْقِيامَةِ][1] عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعْهُ اللهُ بِعِلْمِهِ».

وعنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوَّلُ ما يُسَعَّرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ عَالِمٌ، فَيَنْدَلِقُ لِسَانُهُ، فَيَدُورُ فيها كما يُدَوِّرُ الْحِمَارُ رَحًى[2]، فَيَجْتَمِعُ إليه أهْلُ النَّارِ فيقولونَ: يا هذا، أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فيقولُ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ ولا آتِيهِ، وأَنْهَاكُمْ عن الْمُنْكَرِ وآتِيهِ[3]»[4].

وفي الْحَديثِ أيضًا: «إنَّ أَشَدَّ النَّاسِ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلَانِ، رَجُلٌ عَلِمَ عِلْمًا فَيَرَى[5] غَيْرَهُ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ به، وهو يَدْخُلُ به النَّارَ لِتَضْييعِهِ

(1) زيادة من أنطاليا.

(2) كما يدور الحمار في الرحى، في أنطاليا. وفي صحيح البخاري: كما يدور الحمار برحاه.

(3) فآتيه، في مراد ملا.

(4) صحيح البخاري: 4/ 121، رقم: 3267، والحديث بلفظه من معيد النعم ومبيد النقم: 67 مصدر النقل.

(5) فترى، في قونية ورئيس الكتاب.

الْعَمَلَ به، وَرَجُلٌ جَمَعَ الْمَالَ من غَيْرِ وجْهِهِ، وَتَرَكَهُ لِوَارِثِهِ، فَعَمِلَ بِهِ الْخَيْرَ، فَيَرَى[1] غَيْرَهُ يَدْخُلُ به الْجَنَّةَ، وهو يَدْخُلُ به النَّارَ»[2].

وكان الشَّيْخُ أبو إسْحاقَ الشِّيرازِيُّ يَسْتَعِيذُ بالله من هذا الْعِلْمِ، حيثُ كان يقولُ: نَعوذُ بالله مِنْ علمٍ يَكونُ حُجَّةً علينا، ويُنْشِدُ: [البسيط]

عَلِمْتَ مَا حَلَّلَ الْمَوْلَى وَحَرَّمَهُ ... فَاعْمَلْ بِعِلْمِكَ إِنَّ الْعِلْمَ لِلْعَمَلِ[3]

وَمِثْلُ الْوَاعِظِ وَالْمُتَّعِظِ، مِثْلُ النَّقْشِ والطِّينِ، والْعَمُودِ[4] والظِّلِّ، وكيفَ يُنْقَشُ ما لا يُنْقَشُ فيه[5]؟! وكيف يَعْتَدِلُ الظِّلُّ والْعَمُودُ أَعْوَجُ؟! ولذلك قيل: [الكامل]

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُعَلِّمُ غَيْرَهُ ... هَلَّا لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمُ[6]
تَصِفُ الدَّوَاءَ لِذِي السَّقَامِ مِنَ الضَّنَا ... وَمِنَ الضَّنَا مُذْ كُنْتَ أَنْتَ سَقِيمُ
مَا زِلْتَ تُلْقِحُ بِالرَّشَادِ عُقُولَنَا ... صِفَةً وأَنْتَ مِنَ الرَّشَادِ عَدِيمُ
اِبْدَأْ بِنَفْسِكَ فَانْهَهَا عَنْ غَيِّهَا ... فَإِذا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَلِيمُ
فَهُنَاكَ تُقْبَلُ إنْ وَعَظْتَ وَيُقْتَدَى ... بِالْقَوْلِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ التَّعْلِيمُ

(1) فترى، في قونية ورئيس الكتاب.
(2) المدخل لابن الحاج: 1/ 6، والنقل من معيد النعم ومبيد النقم: 67.
(3) طبقات الشافية الكبرى: 3/ 94، ومعيد النعم ومبيد النقم: 68، وتاريخ الإسلام: 10/ 383.
(4) العود، فيهما معا في مراد ملا.
(5) وكيف ينقش الطِّين ما لا نقش فيه، في قونية ورئيس الكتاب ومراد ملا.
(6) اختلف في نسبة هذه الأبيات، فقد وردت في حماسة البحتري 247 منسوبة للمتوكل الليثي، وفي جامع العلم وفضله 1/ 674 لأبي الأسود الدؤلي أو للعرزمي، ووردت في معيد النعم ومبيد النقم: 68 غير منسوبة والنقل منه.

وقيل: [الكامل]

لا تَنْهَ عنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ عَارٌ عَلَيْكَ إذا فَعَلْتَ عَظِيمُ[1]

وقيل: [البسيط]

يا وَاعِظَ النَّاسِ قَدْ أصْبَحْتَ مُتَّهَمًا إذْ عِبْتَ مِنْهُمْ أمُورًا أنْتَ تَأتِيهَا[2]

بل قال الله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾[3].

ولذلك قيل: وِزْرُ العالِمِ في مَعَاصِيهِ أكْثَرُ من وِزْرِ الْجَاهِلِ لأَنَّهُ يُقْتَدَى به.

كما قال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «مَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا»[4].

فَعَلَى الْعاصِي الْجاهِلِ في كلِّ مَعْصِيَةٍ وِزْرُ الإِتْيَانِ، وعلى الْعالِمِ الْعاصي وِزْرُ الإتْيانِ، وَوِزْرُ أن يُقْتَدَى به.

ولذلك قالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه: «قَصَمَ ظَهْرِي رَجُلَانِ: جَاهِلٌ مُتَنَسِّكٌ، وعَالِمٌ مُتَهَتِّكٌ؛ فَالْجَاهِلُ يَغُرُّ النَّاسَ بِنُسْكِهِ، والْعَالِمُ يُنَفِّرُهُمْ بِتَهَتُّكِهِ»[5].

---

(1) نسب في كتاب سيبويه 3/ 42 للأخطل، وورد في ديوان أبي الأسود الدؤلي: 404 ضمن قصيدة طويلة في قسم الشعر المشكوك في نسبته إليه، ونُسِبَ لغيرهما.

(2) البيت لأبي العتاهية، وهو في ديوان شعره: 469.

(3) سورة البقرة، الآية: 44.

(4) طرف من حديث أخرجه مسلم في صحيحه: 4/ 2059، رقم: 1017، وابن حبان في صحيحه: 8/ 102، رقم: 3308، سنن ابن ماجه: 1/ 142، رقم: 207.

(5) الذريعة إلى مكارم الشريعة: 184، والحديث والذي قبله نقلا من الإحياء: 1/ 58، وميزان العمل: 372.

رُوِيَ عن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «وَيْلٌ لِلْجَاهِلِ مَرَّةً، ولِلْعَالِمِ سَبْعِينَ مَرَّةً»[1].

ومن الْعَالِمِ من لا يَتْرُكُ الْفَرائِضَ، ولكنَّهُ أحَبَّ الْمُناظَرَةَ، لِيُقالَ: فُلانٌ الْيَوْمَ فَقيهُ الْبَلَدِ، حتى اخْتَلَطَ بِلَحْمِهِ وعَظْمِهِ، فَيَتْرُكُ النَّوَافِلَ، ويَنْسَى القرآن بعد حِفْظِهِ، وإذا قامَ إلى الصَّلاةِ أَخَذَ يَتَفَكَّرُ في بابِ الْحَيْضِ، ودَقائِقِ الْجِناياتِ، وَيَعْتَذِرُ في ذلك وَيقولُ: طَلَبُ الْعِلْمِ أَفْضَلُ من صَلَاةِ النَّافِلَةِ[2].

وإنَّ الْخُشوعَ ليس مِنْ شَرائِطِ صِحَّةِ الصَّلاةِ. مع أنَّهُ رُوِيَ عن الْأُسْتاذِ أبي عليٍّ الدَّقَّاقِ أنَّهُ كان يَقولُ: مَنِ اسْتَهانَ بِأَدَبٍ من آدابِ الإِسْلامِ، عُوقِبَ بِحِرْمانِ السُّنَّةِ، ومَنْ تَرَكَ سُنَّةً، عُوقِبَ بِحِرْمانِ الْفَرِيضَةِ، ومَنِ اسْتَهَانَ بالْفَرائِضِ، قَيَّضَ الله مُبْتَدِعًا يُوقِعُ عنده باطِلًا، فيوقِعُ في قَلْبِهِ شُبْهَةً[3]. انْظُرْ أَيُّهَا الْفَقيهُ إلى أيْنَ انْتَهى تَرْكُ الأَدَبِ والنَّوافِلِ.

ولا بُدَّ لِلعالِمِ من الْوَرَعِ لِيَكونَ عِلْمُهُ أَنْفَعَ، وفَوائِدُهُ أَكْثَرَ. رُوِيَ عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قالَ: «مَنْ لَمْ يَتَوَرَّعْ فِي تَعَلُّمِهِ ابْتَلَاهُ اللهُ بِإِحْدَى ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: إِمَّا أَنْ يُمِيتَهُ فِي شَبابِهِ، أو يُوقِعَهُ فِي الرَّسَاتِيقِ، أو يَبْتَلِيَهُ بِخِدْمَةِ السُّلطانِ»[4].

(1) الكافي شرح البزودي: 5/ 2397، كشف الأسرار شرح أصول البزودي: 1/ 13.
(2) من أقوال الإمام الشافعي، تنظر حلية الأولياء: 9/ 119.
(3) طبقات الشافعية الكبرى: 4/ 330.
(4) تعليم المتعلم: 26.

وَمِنَ الْوَرَعِ: أن يَتَحَرَّزَ عن الشِّبَعِ وكَثْرَةِ النَّوْمِ، وكَثْرَةِ الكلامِ فيما لا يَعْنيهِ، وعن أَكْلِ طعامِ السُّوقِ، فإنَّهُ أقربُ إلى النَّجاسَةِ والْخَبائَةِ والْغَفْلَةِ، وأبْعَدُ عن ذِكْرِ الله، وَيُذْهِبُ بَرَكَتَهُ بِوُقوعِ أبْصارِ الْمَحَاوِيجِ والْفُقَراءِ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَتَحَرَّزَ عن الْغِيبَةِ ومُجالَسَةِ الْمِكْثَارِ. وَقيلَ: مَنْ أَكْثَرَ الْكَلامَ يُسْرَقُ عُمُرُهُ، ويُضَيِّعُ أَوْقاتَهُ؛ وَيَجْتَنِبَ مِنْ أَهْلِ الْفَسادِ وَالْمَعاصي، وَأَهْلِ الْعُطْلَةِ، إِذِ الْمُجاوِرَةُ مُؤَثِّرَةٌ. وَيَنْبَغِي أَنْ يَخْتَلِطَ مع صاحِبِ الطَّبْعِ الْمُسْتَقِيمِ وَالْأَذْكِياءِ، وَيَفِرَّ من الْكَسْلانِ والْمُفْسِدِ والْفَتَّانِ. [الطويل]

عَنِ الْمَرْءِ لا تَسْأَلْ وَسَلْ عن قَرِينِهِ فكُلُّ قَرِينٍ بالْمُقَارَنِ يَقْتَدِي[1]

ومِنَ الْعُلماءِ مَنْ يَسْتَهِينُ بِصَغائِرِ الذُّنوبِ؛ كَالْغِيبَةِ، والِاسْتِهْزاءِ بِخَلْقِ الله تعالى، وغَيْرِ ذلك، أو كان له مَعْصِيَةٌ ابْتَلاه الله بها فلم يَسْتَتِرْ، وقال: عِلْمُنَا يُغَطِّي مَعْصِيَتَنَا. وهذا جَهْلٌ لا عِلْمٌ، إذِ الْمَعْصيةُ سِتْرُهَا واجِبٌ، سِيَّمَا مِنَ الْعالِمِ، لأنه يُقْتَدى به.

وَلِذَلِكَ كان بعضُ الْعارِفينَ لا يَظْهَرُ لِتِلْمِيذِهِ إلا على أشْرَفِ أحْوالِهِ خَوْفًا أن يُقْتَدَى به. فَيَنْبَغي لِلْعالِمِ الْكَفُّ عن صِغارِ الْمَعاصي فَضْلًا عن كِبارِها، فإنْ هو لم يَكُفَّ، فلا أَقَلَّ من التَّسَتُّرِ صِيانَةً لِمَنْصِبِ الْعِلْمِ [الْجَليلِ][2].

ومن جُمْلَةِ أحْوالِهِمُ الشَّنيعَةِ: أن يَطْعَنوا في أُمَّةٍ قد سَلَفَتْ، والِاشْتِغالُ بِعُلَماءَ قد مَضَوْا، سِيَّمَا الْمُخالِفينَ في الْعَقائِدِ، حَتَّى إنَّ بَعْضًا مِنَ الْمُتَعَصِّبِينَ

---

(1) البيت لطرفة بن العبد، وهو في ديوان شعره: 32.

(2) زيادة من قونيا.

مِنَ الْأَشاعِرَةِ يُكَفِّرونَ الْحَنابِلَةَ، وَبَعْضٌ من الْحَنابِلَةِ يُكَفِّرونَ الْأَشاعِرَةَ. إلَّا أنَّ هذا مُنْكَرٌ من الْقَوْلِ وزُورٌ، إذِ الْأئِمَّةُ الْمُعْتَبَرونَ من الْحَنَفِيَّةِ والشَّافِعيَّةِ والمالِكِيَّةِ والحَنابِلَةِ والأشاعِرَةِ، مَذْهَبُهُمْ على أن لا يُكَفَّرَ أحَدٌ من أهْلِ الْقِبْلَةِ، فلم هذا التَّعَصُّبُ؟ وما لنا لا نَسْكُتُ عن أَقْوامٍ مَضَوْا إلى رَبِّهِمْ، ولم نَدْرِ على ماذا مَاتُوا[1]. هذا الَّذِي فَعَلوهُ والله مِمَّا[2] لا يَنْبَغِي.

الْوَظِيفَةُ التَّاسِعَةُ:

في آدابِ الدَّرْسِ والْفَتْوَى وَالْقَضاءِ وَالتَّذْكيرِ

أَمَّا آدابُ الدَّرْسِ: أنْ يَكْظِمَ غَيْظَهُ عِنْدَ التَّعليمِ، ولا يَخْلِطَهُ بِهَزْلٍ فَيَقْسُوَ قَلْبُهُ. ولا يَضْحَكَ فيه، ولا يَلْعَبَ فَيموتَ قَلْبُهُ. وَيَسْتَعْمِلَ الْحِلْمَ وَالْوَقَارَ والتُّؤَدَةَ والرِّفْقَ والْمُداراةَ فيما يَنْوِيهِ مِنَ الْأُمورِ، ولا يُبالِيَ إذا لم يُقْبَلْ قَوْلُهُ. وَيَقولَ: إنَّما عَلَيَّ الْبَلاغُ والْهِدايةُ والتَّوفيقُ من الله تعالى.

ولا بَأْسَ بِأَنْ يَمْتَحِنَ فَهْمَ الْمُتَعَلِّمِ، ويَبْحَثَ عن حِرصِهِ على الْعِلْمِ. فإِنَّ النَّبِيَّ صلَّى الله عليه وسَلَّمَ كان يُجَرِّبُ أَصْحابَهُ بِنَحْوٍ من ذلك. كما قالَ: «إنَّ من الشَّجَرِ شَجَرَةً لا يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وإِنَّها مِثْلُ الْمُسْلِمِ. فَحَدِّثُونِي: ما

---

(1) ينظر معيد النعم ومبيد النقم: 70.

(2) ما، في قونية ومراد ملا.

هي؟ فَوَقَعُوا في شَجَرِ الْبَوَادِي، وَوَقَعَ فِي نَفْسِ ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فاسْتَحْيَى أن يَسْبِقَ الأَكَابِرَ بِذِكْرِهَا»[1].

وفي هذا الْحَديثِ إِشارةٌ إلى أنَّ الصِّغارَ لا تَتَقَدَّمُ الْكِبارَ في الْكَلامِ، اللَّهمَّ إلَّا أنْ يُفْهَمَ الْإذْنُ الْعَامُّ.

وَيَنْبَغِي أَنْ لا يُجادِلَ في الْعِلْمِ، ولا يُمَارِيَ في الْحَقِّ، فإِنَّهُ يَفْتَحُ بابَ الضَّلالِ، ويَتَذَكَّرَ ما يَحْفَظُهُ في نَفْسِهِ لِيَنْجَحَ ويَرْسَخَ، ويُفِيدَ ما يُحتَاجُ إليه دونَ ما يُسْتَغْنى عنه. وإنْ كان الطُّلابُ مُبْتَدِئينَ لا يُلْقِي عليهم الْمُشْكِلاتِ، بل يُدَرِّبُهُمْ، ويَأْخُذُهُمْ بِالْأَهْوَنِ فَالْأَهْوَنِ. وإن كانوا مُنْتَهينَ، لا يُلْقِي عليهم الْواضِحاتِ، بل يَدْخُلُ بهم في مُشْكِلاتِ الْفِقْهِ، ويَخوضُ بهم عُبابَهُ الزَّاخِرَ.

ومِنْ أَقْبَحِ الْمُنْكَراتِ أنْ يَنْظُرَ الْمُدَرِّسُ كُلَّ يَوْمٍ في عِدَّةِ سُطورٍ ويَفْهَمَها، ويُلَقِّنَها الْمُتَعَلِّمَ، ولا يوجَدَ في ذِهْنِهِ الْمَعْلوماتُ في جَميعِ الْأَبْوابِ، أو في أَكْثَرِها. فإنَّ هذا يُطَرِّقُ[2] الْعَوامَّ إلى رَوْمِ مَنْصِبِ التَّدْريسِ، إذ قَلَّما يوجَدُ عامِّيٌّ لا يَقْدِرُ على فَهْمِ عِدَّةِ سُطورٍ[3].

وهذه الْبَلِيَّةُ شاعَتْ في زَمانِنا، ولهذا اجْتَرَأَ الْجُهَّالُ على الدُّخولِ في مَنْصِبِ التَّدريسِ. وبهذا انْدَرَسَ رَوْنَقُ الْمَدَارِسِ ورُسومُ الْعِلْمِ. ثم إنَّ مِثْلَ

---

(1) صحيح البخاري: 1/ 22، رقم: 61، صحيح مسلم: 4/ 2164.

(2) تَطَرَّقَ إلى الأمر: ابْتَغَى إليه طَرِيقًا. اللسان: طرق.

(3) معيد النعم ومبيد النِّقم: 84.

هؤلاء هم السَّبَبُ في انْدِراسِ الْعِلْمِ. ومع ذلك فَهُمْ يُعاتِبونَ الزَّمانَ. سَيَجْزيهِمُ الله تعالى بما فَعَلوهُ. والله الرَّقيبُ على كلِّ شيءٍ.

قُلْتُ في هذا الْمَعْنَى: [الطويل]

فَوَا أَسَفًا رَسْمُ الْمَدَارِسِ دَارِسٌ فَهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دارِسٍ مِنْ مُعَوَّلِ[1]

وينبغي أن يَنْوِيَ بِتَعْليمِهِ إرْشادَ عبادِ الله إلى الْحَقِّ، ودَلالَتَهُمْ على ما يُصْلِحُهُمْ، ويَقْطَعَ الطَّمَعَ عن الْمُتَعَلِّمِ. وَيَنْبَغِي: أن يُقَرِّبَ الْفَقيرَ، ويَتَواضَعَ له، ويَعْطِفَ على الْمُتَعَلِّمِ، ويَبْدَأَ بِأَقْرَبِ ما يَفْتَقِرُ، وَأَهَمِّ ما يُغْنيهِ[2] في مَعاشِهِ ومَعادِهِ، ويُكَلِّمَ كلَّ صِنْفٍ بما يَبْلُغُهُ عَقْلُهُ، ويُدْرِكُهُ فَهْمُهُ. ولا يُجيبَ مُتَعَنِّتًا في سُؤَالِهِ، ولا ما يُلْقَى عليه مِنَ الْأُغْلوطاتِ.

ومن جُمْلَةِ آدابِ الدَّرْسِ: أنْ يَنْظُرَ في الطَّالِبِ إنْ كان له زيادَةُ فَهْمٍ، بحيثُ يقدِرُ على حَلِّ الْمُشْكِلاتِ، وكَشْفِ الْمُعْضِلاتِ، يَهْتَمُّ لِتَعْليمِهِ أشَدَّ الِاهْتِمامِ، وإلَّا فَيُعَلِّمُهُ قَدْرَ ما يعرِفُ الْفَرائِضَ والسُّنَنَ، ثم يَأْمُرُهُ باشْتِغالِ الِاكْتِسابِ، ونَوافِلِ الطَّاعاتِ، لكنْ يَصْبِرُ في امْتِحانِ ذِهْنِهِ مِقْدارَ ثلاثِ سنينَ.

---

(1) البيت لطاش كبري زاده، وهو من بيتين شطر فيها معلقة امرئ القيس، ينظر: العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم الملحق بالشقائق النعمانية: 340.

(2) يعينه، في أنطاليا.

وأمَّا آدابُ الْفَتْوى: فَاعْلَمْ أنَّ السَّلَفَ لم يُجَوِّزُوا الاجْتِرَاءَ على تَقَلُّدِ الْفُتْيا لقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَجْرَؤُكُمْ على النَّارِ، أَجْرَؤُكُمْ على الْفُتْيَا»(1).

وإنَّ ظَهْرَ الْمُفْتِي جِسْرُ النَّاسِ إلى جَهَنَّمَ فيما يُحِلُّ وَيُحَرِّمُ من الْمالِ والدَّمِ والْفَرْجِ. فالسُّنَّةُ أنْ لا يَتَقَلَّدَ الْفَتْوى عن طَوْعِ قَلْبٍ، وطِيبِ نَفْسٍ، إلَّا أنْ يُكْرَهَ عليه بالْوَعيدِ الشَّديدِ، ولا يَسْتَعْمِلَ الْإمامُ أيْضًا من يَطْلُبُهُ، فإنْ طَلَبَهُ وُكِلَ إلى نَفْسِهِ، وإنْ أُكْرِهَ عليه سُدِّدَ فيه(2).

وكان السَّلَفُ يَعُدُّونَ السُّكُوتَ والاسْتِماعَ أفضَلَ من الْكَلامِ، والْخُمولَ أشرَفَ من النَّبَاهَةِ، فلم يكن أحدٌ منهم إلَّا وَدَّ أنَّ أخاهُ كَفاهُ الْحَديثَ والْفُتْيا.

وَكانَ عُمَرُ رضي الله عنه ربَّما يَجْمَعُ أهْلَ بَدْرٍ كُلَّهُمْ في واقِعَةٍ، ولا يَحْكُمُ فيها بِرَأْيِهِ. لكن إنْ لم يكنْ له بُدٌّ منها، بأنْ لا يوجَدَ أَفْضَلُ منه، أو أكْرِهَ عليه، إذ حينئذٍ يُفْتَرَضُ عليه. فعليه أنْ لا يُفْتِيَ إلَّا فيما يَقَعُ من الْمُهِمَّاتِ الدِّينيَّةِ، دونَ الْغَوامِضِ الْغَريبَةِ. وإن سُئِلَ عَمَّا يَشُكُّ فيه، يَقولُ: لا أَدْرِي، فإنَّ لا أَدْرِي نِصْفُ الْعِلْمِ.

---

(1) سنن الدارمي: 1/ 258، رقم: 159، سنن أبي داود: 5/ 403، رقم: 3577، جمع الجوامع: 1/ 157.

(2) مصنف ابن أبي شيبة: 4/ 542، سنن ابن ماجه: 2/ 774، سنن الترمذي: 3/ 7.

وسُئِلَ الإمامُ مالِكٌ عن أَرْبَعينَ مَسْأَلَةً. فَقالَ في سِتٍّ وَثَلاثينَ: لا أَدْري، مع أَنَّهُ من الْأَئِمَّةِ الْمُجْتَهِدِينَ اتِّفاقًا. وتَوَقُّفُ أبِي حَنيفَةَ في سِتِّ مَسائِلَ مَشْهورٌ[1]. وكذا يُحْكَى الْجَوابُ بلا أَدْرِي عن كَثيرٍ من عُلَماءِ السَّلَفِ.

وَيَنْبَغِي أنْ لا يَطْلُبَ بالْفُتْيا سِيادةً ولا رِئاسَةً، ولا إقبالَ النَّاسِ عليه، ولا سَبْيَ قُلوبِهِمْ لِجَلْبِ النَّفْعِ منهم، وكَسْبِ الْجاهِ منهم. بل كان نِيَّتُهُ حِسْبَةَ الثَّوابِ مِنَ الله عَزَّ وجَلَّ. وابْتِغاءً لِمَرْضاتِهِ، وإعْلاءً لِكَلِمَتِهِ، ونُصْرَةً لدينِهِ، وأداءً للأمانَةِ عندهم، إلى مَنْ يَعْقُبُهُمْ من إخْوانِ الدِّينِ، فإن ذلك فَرْضٌ عليه.

وأَمَّا شَرائِطُ الْفَتْوى: قال الْإمامُ مُحَمَّدٌ: إذا كان صَوابُهُ أَكْثَرَ مِنْ خَطَئِهِ يَحِلُّ له أنْ يُفْتِيَ ـ يعني بِرَأْيِهِ ـ رَواهُ عنه أبو نَصْرٍ الْعِراقِيُّ.

وقال أبو يوسُفَ: ـ وقد شَدَّدَ الْأَمْرَ فيه ـ لا يَحِلُّ له أن يُفْتِيَ حتَّى يَعْرِفَ[2] أَحْكامَ الْكِتابِ والسُّنَّةِ، والنَّاسِخَ والْمَنْسوخَ، وَأَقاويلَ[3] الصَّحابَةِ، والْمُتَشَابِهَ، وَوُجوهَ الْكَلامِ.

---

(1) ينظر: تيسير التَّحرير لأمير بادشاه: 1/ 11.

(2) يعلم، في مراد ملا.

(3) أقوال، في مراد ملا.

وعن أبي يوسُفَ، وَزُفَرَ، وعافِيَةَ بنِ يَزيدَ[1] أَنَّهمْ قالوا: لا يَحِلُّ لأحَدٍ أن يُفْتِيَ بِقَوْلِنا ما لم يَعْلَمْ من أينَ قُلنا، وإنْ كانَ حافِظًا كُتُبَ أَصْحابِنا لا بأسَ بالْجَوابِ على وَجْهِ الْحِكايَةِ. وإِنْ كَانَ غَيْرَ حَافِظٍ لا يَسَعُهُ الْقِياسُ، إلَّا أن يَعْرِفَ طُرُقَ الْمَسائِلِ، ومَذاهِبَ الْقَوْمِ[2].

قالَ أبو بَكْرٍ: وإن حَفِظَ جميعَ كُتُبِ أَصْحابِنا، فلا بُدَّ أن يُتَلْمِذَ لِلْفَتْوى[3] حتَّى يَهْتَدِيَ إليه.

وقيلَ: يَنْبَغِي لِكُلِّ مُفْتٍ أنْ يَنْظُرَ إلى عادَةِ أَهْلِ بَلَدِهِ فيما لا يُخالِفُ الشَّريعَةَ.

وَيَنْبَغِي أن لا يُجيبَ مُتَعَنِّتًا في السُّؤالِ، ولا مَنْ يُلْقِي إليه مِنَ الأُغْلوطاتِ والْعَويصاتِ، وَيَحْرُمُ على السَّائِلِ إلْقاءُ ذلِكَ على الْعُلَماءِ، فإِنَّ حاصِلَهُ يَؤولُ إلى اسْتِخْفافٍ بالْعُلَماءِ، وتَهاوُنٍ بالدِّينِ.

ويَنْبَغِي أنْ يَتَجَنَّبَ[4] الْمُفْتي عن تَتَبُّعِ الرُّخَصِ لِلْأُمَراءِ، وتَخْصيصِهم بذلك من بين الْعَوامِّ، مثلَ أنْ يَقولَ: لَعِبُ الشَّطْرَنْجِ حلالٌ عند الشَّافِعِيِّ، والْمُجاوَزَةُ عن الْحُدودِ في التَّعْزِيرَاتِ جَائِزَةٌ[5] عند مالِكٍ، وبَيْعُ الْوَقْفِ إذا خَرِبَ وتَعَطَّلَتْ

---

(1) عافية بن زيد، في النسخ الخطية، والصحيح عافية بن يزيد الأودي القاضي الكوفي، من جلة أصحاب الإمام أبي حنيفة (ت. نحو 180هـ)، ترجمته في: تاريخ بغداد: 2/ 307، والجواهر المضية في طبقات الحنفية: 1/ 267، 543؛ وسير أعلام النبلاء: 7/ 398؛ وتهذيب التهذيب: 5/ 53.

(2) ينظر عيون المسائل للسمرقندي: 485.

(3) المفتي للفتوى، في أنطاليا.

(4) يجتنب، في قونية ورئيس الكتاب.

(5) جائز، في رئيس الكتاب.

مَنْفَعَتُهُ، ولم يكن له ما يُعَمَّرُ به، حَلالٌ عند أَحْمَدَ بنِ حَنْبَلٍ. وتَتَبُّعُ الرُّخَصِ وَإِنْ كانَ جائِزًا على ضُعْفٍ. لكن ذلك ابْتِلاءُ الضَّعَفَةِ بِسَبَبِ عَدَمِ الإسْتِطاعَةِ.

وأمَّا تَخْصيصُ الْأُمَراءِ بِذَلِكَ، وتَخْصيصُ الْمُفْتي مَنْ يَشاؤُهُ بذلك، مِنْ غَيْرِ اعْتِقادِهِ بالصِّحَةِ، وإلَّا لَأَفْتى على الْعُمومِ مِنْ غَيْرِ تَخْصيصٍ بِالْبَعْضِ، فَمِنْ عَلاماتِ الِاسْتِهانَةِ بدينِ الله. نَعوذُ بالله من الْخِذْلانِ. وما هذا الْمُفْتي إلَّا ضالٌّ، خَارِقٌ لِحِجابِ الْهَيْبَةِ، مُسْقِطٌ لأبَّهَةِ الشَّرْعِ، مُفْسِدٌ لنظامِ الدِّينِ[1].

قالَ بعضُ السُّفهاءِ من الشُّعَراءِ وَأَهْلِ الْمُجونِ: [الكامل]

الشَّافِعِيُّ من الْأَئِمَّةِ قَائِلٌ ... اللَّعْبُ بالشَّطْرَنْجِ غَيْرُ حَرَامِ[2]
وأبو حَنِيفَةَ قالَ وَهْوَ مُصَدَّقٌ ... في كُلِّ ما يَرْوِي من الْأَحْكَامِ
شُرْبُ الْمُثَلَّثِ والْمُرَبَّعِ جَائِزٌ ... فَاشْرَبْ على أَمْنٍ مِنَ الْآثَامِ
وَأَبَاحَ مَالِكٌ الْفِقَاحَ تَكَرُّمًا ... في ظَهْرِ جَارِيَةٍ وظَهْرِ غُلَامِ[3]
والْحَبْرُ أَحْمَدُ حَلَّ جَلْدَ عُمَيْرَةٍ ... وبِذَاكَ يُسْتَغْنَى عن الْأَرْحَامِ[4]
فَاشْرَبْ وَلُطْ وَازْنِ وَقَامِرْ وَاحْتَجِجْ ... في كُلِّ مَسْأَلَةٍ بِقَوْلِ إِمَامِ

والرَّأْيُ الْحَقُّ في مِثْلِ هذا الشَّاعِرِ أَنْ يُضْرَبَ بالسِّيَاطِ، ويُطافَ به في الْأَسْواقِ، فَقَبَّحَهُ اللهُ وَأَخْزاهُ كيف اجْتَرَأَ على أئِمَّةِ الْمُسْلِمينَ، وهُداةِ الْمُؤْمِنِينَ، وقدِ افْتَرى على مالِكٍ فيما عَزاهُ إليه، وعلى غَيْرِهِ في تَسْمِيَةِ

(1) معيد النعم ومبيد النقم: 80
(2) الأبيات في المصدر نفسه بدون نسبة: 81.
(3) الفِقاح: جمع فقحة، وهي الدبر. اللسان: فقح.
(4) جلد عميرة كناية عن الاستمناء باليد.

الشَّطرنْجِ قِمارًا، وإطْلاقِ الشُّرْبِ واللِّواطِ والزِّنا على ما سَمَّاهُ[1]، ولَعَلَّ الْأصْلَ في هذا قَوْلُ أبي نُواسٍ: [الطويل]

أَبَـاحَ الْعِرَاقِيُّ النَّبِيـذَ وَشُـرْبَـهُ وَقالَ حَرَامَانِ الْمُدَامَةُ والسُّكْرُ[2]
وقالَ الْحِجَازِيُّ الشَّـرَابَانِ وَاحِدٌ فَحَلَّتْ لنا مِنْ بَيْنِ قَوْلَيْهِمَا الْخَمْرُ

أَرَادَ بالْعِرَاقِيِّ: أبا حَنيفَةَ، وبالْحِجازِيِّ: الشَّافِعِيَّ. وادَّعى الشَّاعِرُ أنَّ أبا حَنيفَةَ قالَ بِحِلِّ النَّبِيذِ، وأنَّ الشَّافعِيَّ قال النَّبيذُ والْخَمْرُ واحدٌ، فَيَلْزَمُ من قَولِهِما حِلُّ الْخَمْرِ. وليس كذلك. إذِ الشَّافِعِيُّ قال: إنَّهما واحِدٌ في الْحِرْمَةِ لا في الْحِلِّ. وهذا الْقَوْلُ إنْ صَدَرَ عن اعْتِقادٍ فَزَنْدَقَةٌ وَالْعِياذُ بالله. إلَّا أنَّ الظَّاهِرَ من حالِ أبي نُواسٍ أَنَّهُ لم يَقْصِدْ إلَّا نَوْعًا من الْمُجونِ الَّذِي لا يَخْلو عنه الْأُدَباءُ. ولَكِنَّ الْمُجونَ في هذا الْبابِ قَبيحٌ جِدًّا، لِأَنَّهُ تَلاعُبٌ بِدينِ اللهِ[3].

وَيَنْبَغِي أنْ يَكونَ الْمُفْتي بابُهُ مَفْتوحًا، ومُسْتَفْتِيهِ غَيْرَ مَرْدُودٍ.

قال الْفَقِيهُ أبو اللَّيْثِ رَحِمَهُ الله: يُرادُ مِنَ الْعُلَماءِ عَشَرَةُ أَشْياءَ: الْخَشْيَةُ، والنَّصيحَةُ، والشَّفَقَةُ، والِاحْتِمالُ، والصَّبْرُ، والْحِلْمُ، والتَّواضُعُ، والْعِفَّةُ عن أَموالِ النَّاسِ، والدَّوامُ على النَّظَرِ في الْكُتُبِ، وقِلَّةُ الْحُجَّابِ، وهو أنْ يَكونَ بابُهُ مَفْتوحًا لِلوَضيعِ والشَّريفِ، فإنَّهُ بَلَغَنا أنَّ داودَ عليه السَّلام إنَّما ابْتُلِيَ مِنْ شِدَّةِ الْحُجَّابِ.

---

(1) معيد النعم ومبيد النقم: 81.

(2) البيتان في المصدر نفسه: 81.

(3) المصدر نفسه: 81-82.

ومِنْ آدابِ الْفُتْيا: أنْ لا يُصِرَّ على الْخَطَإِ، ولا يَسْتَكْبِرَ عن قَبُولِ الْحَقِّ، وإنْ كانَ مِمَّنْ هو دونَهُ، وَقَدْ وَقَعَ مِنْ أَبِي حَنيفَةَ الرُّجوعُ إلى قَوْلِ تَلامِذَتِهِ، خُصوصًا أبو يوسُفَ ومُحَمَّدٌ. وَيَنْبَغِي أنْ لا يُنَازِعَ أَحَدًا ولا يُخَاصِمَهُ، لأَنَّهُ يُضَيِّعُ أَوْقاتَهُ.

قيلَ: الْمُحْسِنُ سَيُجْزَى بِإِحْسانِهِ، والْمُسيءُ سَتكْفيهِ مَساويهِ.

وعليه أنْ يَشْتغِلَ بِمَصالح نَفْسِهِ، لا بِقَهْرِ عَدُوِّهِ.

قيلَ: مَنْ أَرادَ أنْ يُرْغِمَ أَنْفَ عَدُوِّهِ فَلْيُحَصِّلِ الْعِلْمَ.

إيَّاكَ والْمُعاداةَ، فإنَّها تَفْضَحُكَ، وتُضَيِّعُ أوْقاتَكَ. وعليك بالتَّحَمُّلِ لا سِيَّمَا من السُّفَهاءِ.

قالَ عيسى بنُ مَريمَ عليه السَّلامُ: احْتَمِلوا من السَّفيهِ واحِدًا كي تَرْبَحوا عَشْرًا. وإيَّاكَ وظَنَّ السَّوْءِ، فإنَّهُ مَنْشَأُ الْعَداوَةِ، ولا يَحِلُّ ذلك، لِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ظُنُّوا بِالْمُؤْمِنِينَ خَيْرًا»[1].

وإنَّما يَنْشَأُ ذلِكَ من خُبْثِ النِّيَّةِ، وسُوءِ السَّريرَةِ، كما قال أبو الطَّيِّبِ: [الطويل]

إذا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ ... وَصَدَّق مَا يَعْتَادُهُ مِنْ تَوَهُّمِ[2]
وَعَادَى مُحِبِّيهِ بِقَوْلِ عُدَاتِهِ ... وأَصْبَحَ في لَيْلٍ من الشَّكِّ مُظْلِمِ

---

(1) لم نقف عليه بهذا اللفظ، ومعناه في الصحيحين بلفظ: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث»، ينظر صحيح البخاري: 7/ 19، رقم: 5143، وصحيح مسلم: 4/ 1985، رقم: 2563.
(2) البيتان في شرح ديوان المتنبي للعكبري: 4/ 135.

ثُمَّ إنَّ مِمَّا يَجِبُ على الْمُفْتي: أَنَّهُ كما لا يُرَخِّصُ لِأَرْبابِ الظُّلْمِ في الْأُمورِ الشَّرعيةِ، كذلك لا يُغَلِّظُ عَلَيْهِمْ، بِحَيْثُ يُؤَدِّي إلى نُفورِهِمْ عن الانْقِيادِ للشَّرْعِ.

وَيَنْبَغِي أن يُراعِيَ في الرُّخَصِ والتَّشْدِيدِ حَالَ السَّائِلِ. يُروى أن ابنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما سُئِلَ: هل لِلْقاتِلِ تَوْبَةٌ؟ فقال: لا. وسَأَلَهُ آخَرُ. فقال: له تَوْبَةٌ. فَسُئِلَ ابنُ عَبَّاسٍ عن ذلك فقال: رأيتُ في عَيْنَي الْأَوَّلِ إرادَةَ الْقَتْلِ فَمَنَعْتُهُ، وأَمَّا الثَّانِي فقد جاءَ مُسْتَكِينًا قد قَتَلَ فلم أُقَنِّطْهُ.

ومِنْ ثَمَّ قالَ الصَّيْمَرِيُّ(1): مَنْ سَأَلَهُ سائِلٌ: إنْ قَتَلْتُ عَبْدي فهل عَلَيَّ قِصاصٌ؟ يَسَعُهُ أنْ يَقولَ: إنْ قَتَلْتَهُ قَتَلْناكَ، لأنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ قَتَلَ عَبْدَهُ قَتَلْنَاهُ»(2).

ولِأَنَّ الْقَتْلَ له مَعانٍ، وهذا إذا لم يَتَرَتَّبْ على إطلاقِهِ مَفْسَدَةٌ(3).

وأيضًا يَنْبَغِي لِلْمُفتي أنْ يَتَجَنَّبَ في أَلْفاظِ جَوابِهِ عن الْإِلْغازِ، فَيوقِعَ الْخَلْقَ في جَهْلٍ عَظيمٍ، ويَقَعَ هو في أَلَمٍ كَبيرٍ. وَرُبَّما أَدَّاهُ ذلك إلى إراقَةِ الدِّماءِ لِغَرَضٍ، مِثْلَ قَوْلِ الْقائِلِ: أنا أَحْمَدُ النَّبِيِّ. وَيُرِيدُ بِـ"أَحْمَدُ" الْفِعْلَ، ويَجْعَلُ

---

(1) الضيمري، في رئيس الكتاب وأنطاليا ومراد ملا، ورجحنا ما ورد في نسخة قونية، ولعله يقصد أبا عبد الله الحسين بن علي بن محمد بن جعفر الصَّيْمَري الحنفي، يُنسب إلى صَيْمَرة من بلاد خوزستان، شيخ الحنفية في زمانه، وقاض وراوي حديث، (ت.436هـ). ينظر: الأنساب للسمعاني: 8/ 365، الجواهر المضية: 1/ 214، سير أعلام النبلاء: 13/ 347.

(2) سنن ابن ماجه: 3/ 674، رقم: 2662، سنن أبي داود: 6/ 570، رقم: 4515، سنن الترمذي: 3/ 78، رقم: 1414.

(3) معيد النعم ومبيد النقم: 82.

النَّبِيّ مَنْصوبًا مَفْعولًا، يَعْنِي أَحْمَدُ نَبِيَّنا صلَّى الله عليه وسلَّمَ. ومِثْلَ قَوْلِ الْقائِلِ: معي ما لم يَخْلُقْهُ اللهُ، وَيُريدُ به الْقُرْآنَ. ونَحْوَ ذَلِكَ. وَحِكايَةُ بَعْضٍ من الْعُلَماءِ مع الْخَليفَةِ الْمَأمونِ شَهيرَةٌ. ولكنْ إنْ وَقَعَ مِثْلُ هذا عن أحَدٍ لا يَنْبَغِي لِلْمُفْتِي الْإِقْدامُ على التَّكْفيرِ من غير تَأَمُّلٍ وَفَحْصٍ، وإنْ كانَ الإِطْلاقُ نَفْسُهُ مُسْتَهْجَنًا ومُسْتَقْبَحًا.

وأَمَّا آدابُ الْقَضاءِ، فَاعْلَمْ أنَّ السَّلَفَ حَذَّروا الْعُلَماءَ عن تَقَلُّدِ الْقَضاءِ، والاجْتِرَاءِ عليه، لما رُوي أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «من جُعِلَ قَاضِيًا فكَأَنَّما ذَبَحَ نَفْسَهُ بِغيرِ سِكِّينٍ»[1].

وقالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَاضِيَانِ في النَّارِ، وقَاضٍ في الْجَنَّةِ»[2].

ومِمَّا شاعَ بينَ النَّاسِ أنَّ أبا حَنِيفَةَ رَضِيَ اللهُ عنه اخْتارَ الْحَبْسَ والضَّرْبَ، ولم يَتَقَلَّدِ الْقَضاءَ. قيلَ: إنَّهُ دُعِيَ إلى الْقَضاءِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ فأبَى، حتى ضُرِبَ في كُلِّ مَرَّةٍ ثَلاثينَ سَوْطًا. فَلَمَّا كانَ في الْمَرَّةِ الثَّالِثَةِ قالَ: حتى أَسْتَشيرَ أَصْحابِي. فَاسْتَشارَ أبا يوسُفَ، فقال أبو يوسُفُ: لو تَقَلَّدْتَ لَنَفَعْتَ النَّاسَ. فَنَظَرَ إليه أبو حَنيفَةَ نَظَرَ الْمُغْضَبِ، وقالَ: أَرَأَيْتَ لو أُمِرْتُ أنْ أعْبُرَ الْبَحْرَ سِباحَةً أَكُنْتُ أَقْدِرُ عليه؟ وكأنِّي بِكَ قاضِيًا[3].

---

(1) مسند أحمد: 12/ 52، رقم: 7145، سنن ابن ماجه: 3/ 407، رقم: 2308، سنن أبي داود: 5/ 426، رقم: 3572.

(2) سنن الترمذي: 3/ 6، رقم: 1322، المستدرك على الصحيحين: 4/ 101، رقم: 7012، السنن الكبرى للبيهقي: 10/ 199، رقم: 20355.

(3) ينظر: شرح أدب القاضي للخصاف: 1/ 133.

ورُوي عنه أنَّهُ لمَّا تَقَلَّدَ نوحٌ[1] - الْجامِعُ من أَصْحابِهِ - الْقَضاءَ بِمَرْوَ، كَتَبَ إليه: يا نوحُ، وَرَدَ كِتابُكَ، ووَقَفْتُ على ما فيه، تَقَلَّدْتَ أَمانَةً عَظيمةً يَعْجِزُ عنها الْكِبارُ من النَّاسِ، وَأَنْتَ كَالْغَريقِ، واطْلُبْ لِنَفْسِكَ مَخْرَجًا، وعليكَ بالتَّقْوى، فإنَّهُ مِلَاكُ الْأَمْرِ، والْخَلاصُ في الْمَعادِ، والنَّجاةُ من كُلِّ بَلِيَّةٍ، وبه يُدْرَكُ حُسْنُ الْعَواقِبِ.

قَرَنَ الله تعالى بخيرِ الْعَواقِبِ أمورَنَا، وَوَفَّقَنَا لِمَرْضاتِهِ، إنَّهُ سميعٌ قريبٌ.

قال بعض الْفُقَهاءِ: إذا كانَ لِلسُّلطانِ أو الْقَاضِي مِنَ الْعِلْمِ ما يَجوزُ به قَضاؤُهُ، لم يَسَعْهُ أن يَمْتَنِعَ. وإلَّا - أي إنْ لم يكن له ذلك - فهو في سَعَةٍ مِنَ الِامْتِناعِ.

وَقالَ بَعْضُهُمْ: لا بَأسَ بِالدُّخولِ في الْقَضاءِ لِمَنْ يَثِقُ بِنَفْسِهِ أنْ يُؤَدِّي فَرْضَهُ، ويُكْرَهُ الدُّخولُ فيه لمن يَخافُ الْعَجْزَ عنه، ولا يَأْمَنُ على نَفْسِهِ الْحَيْفَ فيه. وَكَرِهَ بَعْضُهُمُ الدُّخولَ في الْقَضاءِ، وفَسَّرَ الْكَراهِيَةَ هنا بِعَدَمِ الْجَوازِ.

والصَّحيحُ من بين الْأَقْوالِ، أنَّ الدُّخولَ فيه رُخْصَةٌ، والتَّرْكَ عَزِيمَةٌ، إلَّا إذا كانَ هو الْأَهْلَ لِلْقَضاءِ دونَ غَيْرِهِ، فحينئذٍ يُفْتَرَضُ عليه التَّقَلُّدُ، صِيانَةً لِحُقوقِ الْعِبادِ، وإخْلاءً لِلْعَالَمِ عن الْفَسادِ. فإذا لم يكنْ له بُدٌّ من الْقَضاءِ، فعليه أنْ يَقْضِيَ بينَ النَّاسِ بالْحَقِّ والْإِنْصافِ، ويُعِينَ الْمَظْلومَ، ولا يَأْخُذَ الرِّشْوَةَ والْهَدِيَّةَ، لا هو ولا من يَتْبَعُهُ من أعْوانِهِ.

(1) يقصد نوح بن دَرَّاج النَّخعي (ت.182هـ).

وَقِيلَ: يَجوزُ قَبولُ الْهَدِيَّةِ من ذي رَحِمٍ مُحَرَّمٍ إذا لم يكن له خُصومَةٌ، لأنه صِلَةُ الرَّحِمِ، وإذا كان له خُصومَةٌ لا تُقْبَلُ هَدِيَّتُهُ، لأَنَّهُ لأجْلِ الْقَضاءِ فَيَتَحَامَاهُ. ويَجوزُ قَبولُها مِمَّنْ جَرَتْ عادَتُهُ قَبْلَ الْقَضاءِ بِمُهاداتِهِ، لأَنَّهُ ليسَ لِلْقَضاءِ، بل جَرْيُ الْعادَةِ. ولا يَقْبَلُ الزِّيادَةَ عن الْمُعْتادِ، لأَنَّهُ يصيرُ آكِلًا بِقَضائِهِ، إلَّا أنَّ الأَحْوَطَ عَدَمُ الْقَبولِ بالْكُلِّيَّةِ، لِئَلَّا تَسْتَدْرِجَهُ النَّفْسُ إلى الزِّيادَةِ.

ولا يَخافُ السُّلْطانَ، ويقولُ الْحَقَّ بين يَدَيْهِ وإنْ كان مُرًّا، ولا يَتَكَلَّمُ بِهَواهُ في غير الْحَقِّ، ويقضي بينه وبين خَصْمِهِ بالْقِسْطِ، ويكونُ السُّلطانُ والرَّعايا والأغنياءُ والْفُقَراءُ عنده سواءً في الْحُكْمِ بينهم. ولا يَميلُ إلى أَحَدٍ منهم، ويَتَفَحَّصُ عن نُوَّابِهِ وَأَعْوانِهِ كَيْلَا يَظْلِمونَ[1] النَّاسَ، وَيَقْعُدُ ظاهِرًا كي يصلَ إليه الْغَريبُ والْفَقيرُ والخامِلُ والعاجِزُ بلا كُلْفَةٍ ومَشَقَّةٍ. ويكونُ مُسْتَمِعًا لكلام الْوَضيعِ والشَّريفِ، مُجيبًا لهم باللِّينِ والإنْصافِ، غيرَ مائِلٍ في الْحُكْمِ إلى صِنْفٍ دون صِنْفٍ، ولا يتواضَعُ لأحَدٍ لِغِنَاهُ، ولا لذي جَاهٍ لجاهِهِ، بل يكونُ تواضُعُهُ لِأَجْلِ الله تعالى، وَالْأَكْرَمُ عِنْدَهُ من هو الْأَكْرَمُ عند الله تعالى. وَيَكونُ مُحِبًّا لِأَهْلِ الْخَيْرِ، وَمُحَرِّضًا لهم على خَيْراتِهِمْ، ومُبْغِضًا لِأَرْبابِ الشُّرورِ، ناهِيًا لهم عن سُوءِ فِعالِهِمْ، ويَدُلُّهُمْ على الْخَيْراتِ، ويَهْديهِمْ إلى سَبيلِ الرَّشادِ. وَيَكونُ صادِقًا في كَلامِهِ معهم، مُسْتَقيمًا في مُعامَلَتِهِ معهم، وَعادِلًا في أَحْكامِهِ بَيْنَهُمْ، وَنَاصِحًا لهم، وَداعِيًا لهم إلى الطَّاعَةِ، يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْروفِ، ويَنْهاهُمْ عن الْمُنْكَرِ.

---

(1) كذا في النسخ الخطية، والصواب حذف النون.

وَيَنْبَغِي أن يكونَ الْقاضِي وكذا الْأَمِيرُ مُحَكْمَي الرَّأْيِ، صَحِيحَيِ الْعَزْمِ، وكارِهَيْنِ لِعَمَلِهِما، وشَدِيدَيْنِ في غير عُنْفٍ، وَلَيِّنَيْنِ في غَيْرِ ضُعْفٍ، جَوَادَيْنِ مِنْ غير سَرَفٍ[1]، بَخيلَيْنِ مِنْ غير وَكَفٍ[2].

وَيَنْبَغِي أن يكونَ الْقَاضِي سَائِسَ الْوِلايَةِ بالْعِلْمِ، وَمُؤَيِّدَهَا بالْحِلْمِ، ومُزَيِّنَهَا بالْوَرَعِ. وَيَكونَ حَسَنَ السَّرِيرَةِ، وَمَرْضِيَّ السِّيرَةِ، ويَبْسُطَ يَدَيْهِ لهم بالْمَعْروفِ، وَيُؤَخِّرَ عليهم أَمْوالَهم، ويُنْصِفَ الضَّعيفَ مِنَ الْقَوِيِّ، ويَعْدِلَ بينهم. وَيَكونَ تَقِيَّ الْقَلْبِ، كَرِيمَ الْخُلُقِ، فإنَّ التُّقَى وَالْكَرَمَ رُكْنَانِ بهما صَلَاحُ الرَّعِيَّةِ. وَيَكونَ ناصِحًا لهم، رَحيمًا بهم، مُشْفِقًا عليهم، لا يَحْتَجِبُ عن ذوي الْخَلَّاتِ والْفَاقَاتِ لَيْلًا وَنَهارًا. ويكونَ دائِمَ الاِهْتِمامِ بِأَمْرِ العامَّةِ في النَّوْمِ والْيَقَظَةِ، في السَّفَرِ والْحَضَرِ. ويَعْدِلَ بين الْخَصْمَيْنِ في لَحْظِهِ وإِشَارَتِهِ ومَقْعَدِهِ، وفي كَلامِهِ، ويستعملَ معهم الْحِلْمَ، ويُكْثِرَ عنهم الْعَفْوَ والتَّجاوُزَ، ولا يُعَجِّلَ في تَغْرِيبِ الْجانِي، ويطلبَ له عن الْجِنايَةِ مَخْرَجًا، وَيَدْرَأَ الْحَدَّ عن الجاني بشُبْهَتِهِ، ويَطْلُبَ مَدْفَعًا، فإِنَّ خَطَأَهُ في الْعَفْوِ، خيرٌ من خَطَئِهِ في الْعُقوبَةِ. ولا يَقْضِيَ بين خَصْمَيْنِ إلا وهو رَيَّانُ وَشَبْعَانُ، راضٍ غيرُ غَضْبانَ.

وَالْأَوْلَى لِلْقاضِي أَنْ يُعَيَّنَ رِزْقُهُ مِنْ بَيْتِ الْمالِ، لأَنَّهُ مُشْتَغِلٌ بِحاجَةِ الْمُسْلِمينَ. وَقِيلَ: يَأْخُذُ قَدْرَ ما يَنْكِحُ زَوجةً، وَيَشْتَرِي به دابَّةً وخادِمًا ومَسْكَنًا،

---

(1) سراج الملوك: 140.

(2) والوَكَفُ، بِالتَّحْرِيكِ: الإثم، وَقِيلَ: الْعَيْبُ والنقْصُ. اللسان: وكف.

فإنْ أَصابَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فهو غَالٌّ وسارِقٌ. وَجَوَّزُوا أنْ يأْخُذَ الأجْرَ على كَتْبِ السِّجِلَّاتِ بِنَفْسِهِ، بِقَدْرِ ما أَخَذَ به غَيْرُهُ، لأنَّ ذلك ليسَ بواجِبٍ عليه.

وقيلَ: قاضٍ يَأْخُذُ الْأَجْرَ، فإِنَّهُ لا يَكونُ عامِلًا بِأَجْرٍ، لَكِنَّهُ يَعْمَلُ لله تعالى. وله أن يَسْتَوْفِيَ حَظَّهُ من مالِ الله تَعالى. وكذلك الْعُلَماءُ وَالْفُقَهاءُ وَأَرْبابُ الْإِفْتاءِ يَعْمَلونَ لله تعالى، ولَهُمْ أَنْ يَأْخُذُوا حَظَّهُمْ من بَيْتِ الْمالِ. وكَذَلِكَ مُعَلِّمُ القُرْآنِ للنَّاسِ.

وَيقُولُ حين يَجْلِسُ لِلْقَضاءِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أنْ أُفْتِيَ بِعِلْمٍ، وَأَقْضِيَ بِحِلْمٍ، وَأَسْأَلُكَ الْعَدْلَ في الْغَضَبِ والرِّضا. ولا يَقْضي لِأَحَدِ الْخَصْمَيْنِ حتى يَسْمَعَ كَلامَ الآخَرِ ويَفْهَمَهُ على وَجْهِهِ، لِيَعْرِفَ وَجْهَ الْقَضاءِ.

وأَمَّا آدابُ التَّذْكِيرِ: فَاعْلَمْ أنَّ السَّلَفَ كانوا لا يَنْتَصِبونَ لِلْمَوْعِظَةِ والتَّعليمِ، وكانوا يَعُدُّونَ السُّكوتَ والاِسْتِماعَ أَفْضَلَ من الْكَلامِ. والْخُمُولَ أَشْرَفَ من النَّباهَةِ. وكانوا يَوَدُّونَ أنَّ صاحِبَهُ كَفاهُ الْحَديثَ والْجَوابَ، وإنْ لم يكن له بُدٌّ من ذلك. فلا بُدَّ أنْ يَدْعُوَ النَّاسَ مِنْ خَمْسٍ إلى خَمْسٍ: مِنَ الشَّكِّ إلى الْيَقينِ، ومِنَ الرِّياءِ إلى الإِخْلاصِ، ومِنَ الرَّغْبَةِ إلى الزُّهْدِ، ومِنَ الْكِبْرِ إلى التَّواضُعِ، ومِنَ الْعَدَاوَةِ إلى النَّصيحَةِ(1).

وَيَنْبَغِي أنْ لا يُخالِفَ قولُهُ فِعْلَهُ، بَلْ يَأْمُرُ بما هو أَوَّلُ عامِلٍ به. كما قيلَ: [الكامل]

---

(1) الإحياء: 1/ 63.

لَا تَنْـهَ عَنْ خُلُقٍ وتَـأْتِيَ مِثْلَـهُ عَـارٌ عَلَيْـكَ إذا فَعَلْـتَ عَظِيـمُ

وَيَنْبَغِي أن يُزَيِّنَ حَديثَ النَّبي صلَّى الله عليه وسَلَّمَ بِأَحْسَنِهِ، أي يَرُدَّهُ إلى أَحْسَنِ التَّأْوِيلِ، وَيَحْمِلَهُ على أَسَدِّ الْوُجوهِ. ولا يُحَدِّثَ عَمَّنْ لا تُقْبَلُ شَهادَتُهُ، فإنَّ من رَوَى حَديثا يُرتابُ في صِحَّتِهِ فهو أَحَدُ الْكاذِبينَ. ولا يُحَدِّثَ إلَّا ما يَشْهَدُ[1] على صِحَّتِهِ أُصولُ الدِّين ويُصَدِّقُهُ، وأيضًا يُوافِقُهُ مَشاهيرُ الْأَخبارِ والْآثارِ. وممَّا يُعْرَفُ به صِحَّةُ الْحَديثِ أنْ يَعْرِفَهُ قُلوبُ أَهْلِ الْبَصائِرِ، وَيُوافِقَ ذَوْقَهُمْ، ولن يُرْزَقَ هذا الذَّوْقُ[2] إلَّا لِأَهْلِ الْخُصوصِ مِنَ الْأَصْفِياءِ الْأَتْقِياءِ. ويَجْتَنِبَ الْقَصَصَ - وهو حِكاياتُ الْأَوَّلينَ - من غير ثِقَةٍ بِثُبوتِها، ولا اعْتِبارٍ ولا اتِّعَاظٍ بها. فَذِكْرُ هذه الْقِصَصِ بِدْعَةٌ حَدَثَتْ أَيَّامَ الْفِتْنَةِ.

وَيَفْتَحَ بالْحَمْدِ لله، والصَّلاةِ على النَّبي عليه السَّلام، والتَّسميةِ والاسْتعاذَةِ. ويَجْتَنِبَ اللَّحْنَ والْغَلَطَ والتَّصْحِيفَ. وَيَخْتارَ أَفْضَلَ اللُّغاتِ، وهي الْعَرَبِيَّةُ، الَّتِي هي كَلامُ أَهْلِ الْجَنَّةِ. ويَجْتَنِبَ الرَّطَانَةَ[3] وَالْفارِسِيَّةَ إلَّا عِنْدَ الضَّرورَةِ، فإنَّهما لُغَةُ أَهْلِ النَّارِ. ويَخْفِضَ صَوْتَهُ، فإنَّ أَنْكَرَ الْأَصْواتِ أَرْفَعُهَا، إلَّا بِقَدْرِ الضَّرورَةِ. ويَتَكَلَّمَ بِفَصيحِ الْكَلامِ دونَ مُبْهَمِهِ، وَيَجْتَنِبَ التَّفَيْهُقَ والتَّشَدُّقَ، والتَّعَمُّقَ فيه، ويُرَتِّلَ الْكَلامَ تَرْتيلًا، وَيَسْرُدَهُ سَرْدًا. فقد

---

(1) شهد، في قونيا.

(2) الرزق، في رئيس الكتاب.

(3) الرَّطانة، بِفَتْحِ الرَّاءِ وَكَسْرِهَا، والتَّراطُنُ كَلَامٌ لَا يَفْهَمُهُ الْجُمْهُورُ، وَإِنَّمَا هُوَ مُواضَعةٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ أَو جَمَاعَةٍ، وَالْعَرَبُ تَخُصُّ بِهَا غَالِبًا كَلَامَ الْعَجَمِ. لسان العرب: رطن.

«كانَ كَلَامُ نَبِيِّنَا صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ فَصْلًا يَفْهَمُهُ كُلُّ مَنْ سَمِعَهُ»[1]. وَلَوْ عَدَّهُ عَادٌّ لَأَحْصَاهُ، ويُفْهِمَ السَّامِعَ، فإنَّ النَّبِيَّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ «كانَ إِذَا سَلَّمَ: سَلَّمَ ثَلَاثًا، وإِذَا تَكَلَّمَ: تَكَلَّمَ ثَلَاثًا»[2].

وَيَتَجَوَّدَ في كَلامِهِ تَجَوُّدًا، ولا يَتَكَلَّفَ النَّظْمَ والسَّجْعَ. فإن النَّبِيَّ صَلَّى الله عليه وسلَّمَ نَهَى عن ذلك، وقالَ: «أَنَا وَأَتْقِيَاءُ أُمَّتِي بَرَاءٌ مِنَ التَّكَلُّفِ»[3].

وقالَ: «إياكُمْ وَسَجْعٌ كَسَجْعِ الْكُهَّانِ»[4].

ويُكْثِرَ في كَلامِهِ الصَّلاةَ على الرَّسولِ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ، ومن الاِسْتِغْفارِ، ومن كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، لا سِيَّمَا إذا نَسِيَ الْحَديثَ الَّذِي يُرِيدُهُ. فإِنَّهُ يُصَلِّي على النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وسلَّمَ، فربَّما يَتَذَكَّرُ، أو يَكونُ ذلك عِوَضًا عن حَديثِهِ. فإذا أَرادَ أنْ لا يَنْسى حَديثًا فَلْيَقُلِ: الْحَمْدُ للّهِ مُذَكِّرِ الْخَيْرِ.

وَيَنْبَغِي أَن يُذَكِّرَ من كِتابٍ يُعْتَمَدُ عليه مِثْلَ: "**إِحياءُ الْعُلومِ**"، لِلْغَزالِيِّ؛ و"**رِياضُ الصَّالِحينَ**"، و "**الْأَذْكارُ**"، كِلاهُما لِلنَّوَوِيِّ؛ و"**سِلاحُ الْمُؤْمِنِ في**

(1) مصنف ابن أبي شيبة: 5/ 300، مسند إسحاق ابن راهويه: 3/ 983، سنن أبي داود: 7/ 208، الإحياء: 2/ 367.

(2) صحيح البخاري: 1/ 30، رقم: 94.

(3) الإحياء: 3/ 120، المقاصد الحسنة: 171، كشف الخفاء: 1/ 205.

(4) الاستذكار: 7/ 357، فتح الباري: 13/ 540، عمدة القاري: 14/ 204.

الْأَدْعِيَةِ"، لابْنِ الْإمامِ[1]؛ و"**شِفاءُ الْأَسْقامِ في زِيارَةِ خَيْرِ الأنامِ**"، لِلسُّبْكِيِّ. وكُتُبُ ابنِ الْجَوْزِيِّ في الْمَواعِظِ لا بَأْسَ بها[2].

وَيَنْبَغِي أنْ لا يَأْخُذَ على وَعْظِهِ أَجْرًا من النَّاسِ، بل إنْ كانَ لا بُدَّ له من الرِّزْقِ فَلْيَأْخُذْ من بَيْتِ الْمالِ. وقد عَرَفْتَ مِقْدَارَ حَقِّهِ من بَيْتِ الْمالِ.

الْوَظيفَةُ العاشِرَةُ:

آدابُ الْعُلَماءِ في الْمَطْعَمِ والْمَلْبَسِ

ومِنْ آدابِهِمْ: أنْ لا يَتَرَفَّهَ الْعالِمُ في الْمَطْعَمِ والْمَلْبَسِ، ولا يَتَجَمَّلَ في الْأثاثِ والْمَسْكَنِ، بل يُؤْثِرَ الاِقْتِصادَ في جَميعِ ذلِكَ. وَيَتَشَبَّهَ بِالسَّلَفِ الصَّالِحِ. وَكُلَّما ازْدادَ إلى جانِبِ الْقِلَّةِ مَيْلُهُ، ازْدادَ قُرْبُهُ من الله سُبْحانَهُ، وَارْتَفَعَ حِزْبُهُ في عُلَماءِ الْآخِرَةِ.

والتَّحْقيقُ أنَّ التَّزَيُّنَ بِالْمُباحِ ليس بِحَرامٍ، ولكنَّ الْخَوْضَ فيه يوجِبُ الْأُنْسَ به، حتى يَشُقَّ تَرْكُهُ، واسْتِدامَةُ الزِّينَةِ قد تَتَوَقَّفُ على أَسْبابٍ مَحْظورَةٍ، مِنْ مُراعاةِ الْخَلْقِ والسُّلطانِ، ومُرَاءَاتِهِمْ ومُدَاهَنَتِهِمْ، وَأَمْثالِ ذلك. فالْحَزْمُ اجْتِنَابُ ذلك، لأنَّ من خَاضَ في الدُّنيا لا يَسْلَمُ منها الْبَتَّةَ.

---

(1) أبو الفتح محمد بن محمد بن علي بن همام المصري الشافعي (ت.745هـ)، ترجمته في: توضيح المشتبه: 9/ 152، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة: 3/ 65، والدرر الكامنة 5/ 469. والكتاب مطبوع.

(2) ينظر: معيد النعم ومبيد النقم: 88-90.

وتَفْصِيلُ حالِ الْمَالِ: هو أنَّ الدُّنيا مَزْرَعَةُ الْآخِرَةِ، وأنَّ حُبَّهَا رأْسُ كُلِّ خَطيئَةٍ، فكم من غَنِيٍّ سَعيدٍ لا يُحِبُّهَا. وَكَمْ مِنْ فَقيرٍ شَقِيٍّ يُحِبُّهَا. ففيها الْخَيرُ النَّافِعُ، والسُّمُّ النَّاقِعُ. وتلك كالْحَيَّةِ تِرْياقٌ لمن عَرَفَهَا[1]، وسُمٌّ لمن جَهِلَها. ففي تَمْييزِ النَّافِعِ من الضَّارِّ منه خَمْسَةُ أَحْوالٍ:

الْأَوَّلُ: مَعْرِفَةُ رُتْبَةِ الْمالِ، واعْلَمْ أنَّ الْمُقْتَنَياتِ الْمَرغوبَ فيها، إمَّا مَخْدومٌ على الْإِطْلاقِ؛ كالْعِلْمِ الذي هو كَمالُ النَّفْسِ. أو مَخْدومٌ من جهةٍ، وخادِمٌ من جهةٍ أخرى؛ كالأحْوالِ الْبَدَنِيَّةِ، من الْمَطاعِمِ والْمَلابِسِ والْمَناكِحِ، فإنَّها تَخْدُمُ الْعِلْمَ، ويَخْدُمُها الْمالُ، الذي هو حالُ الْبَدَنِ الْخادِمِ للنَّفْسِ، أو خادِمٌ على الإطْلاقِ؛ كالدَّراهِمِ والدَّنانيرِ. فَمَنْ أنْزَلَ كلَّ واحِدٍ من هذه الْأُمورِ في مَرْتَبَتِهِ التي تَليقُ به، صارَ داخِلًا تحت قولِهِ تَعالى: ﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾[2].

وَقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ»[3].

وَمَنْ عَكَسَ الْأَمْرَ، وجَعَلَ الدَّراهِمَ والدَّنانيرَ مَخْدومًا، وَصارَ مُعْتَكِفًا بِكُنْهِ هِمَّتِهِ على تَحْصيلِهِ واقْتِنائِهِ، وَأَلْقَى شَرَاشِرَهُ[4] على حُبِّهِ، دَخَلَ تَحْتَ قَوْلِهِ

(1) علمها، في أنطاليا.

(2) سورة نوح، الآية: 12.

(3) مسند أحمد: 29/ 16، رقم: 17472، صحيح ابن حبان: 8/ 6، رقم: 3210، شعب الإيمان: 2/ 446، رقم: 1190.

(4) ألقى عليه شراشره: أي نفسه حرصا ومحبة، وهو أن يحبه حتى يستهلك في حبه. اللسان: شرر.

تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[1]. وقَوْلِهِ تعالى: ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[2].

وقالَ الْخَليلُ صَلواتُ الله عليه وسَلامُهُ: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾[3]. أيْ هَذَيْنِ الْحَجَرَيْنِ، الذَّهَبَ والْفِضَّةَ. إذْ رُتْبَةُ النُّبُوَّةِ أجَلُّ مِنْ أنْ يَخْشَى فيها أنْ يَعْتَقِدَ الْإِلَهِيَّةَ في شَيْءٍ مِنَ الْحِجارَةِ.

وَقالَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، ولا انْتَعَشَ، وإذا شِيكَ[4] فلا انْتَقَشَ[5]»[6].

فَعَلَيْكَ أنْ تَطْلُبَ الدِّرهَمَ والدِّينارَ لأجْلِ تَقْويةِ الْبَدَنِ بالْمَطاعِمِ والْمَلَابِسِ، وبَقاءِ النَّسْلِ بالْمَناكِحِ. وتَطْلُبَ تَقْوِيةَ الْبَدَنِ لأجْلِ كَسْبِ العُلومِ والْمَعارِفِ، الذي هو الْمَقْصَدُ الْأَقْصى، والْمَطْلَبُ الْأَعْلى، وإلَّا فَتَصيرُ كَمَنْ سافَرَ مع جَماعَةٍ في سَفينَةٍ مُتَوجِّهينَ إلى أشْرَفِ بَلْدَةٍ[7]، لِيَنالَ أَعْلى رُتْبَةٍ، فَخَرَجوا منها لِتَجْديدِ الطَّهارَةِ إلى جَزيرَةٍ ذاتِ أُسودٍ وَأَساوِدَ، وحَذَّروهُ منها، فَرَأَوْا حَجَرًا مُزَبْرَجًا، وزَهْرًا مُنَوَّرًا، فاشْتَغَلوا به عن رُفَقائِهِمْ،

(1) سورة التغابن، الآية: 15.

(2) سورة المنافقون، الآية: 9.

(3) سورة إبراهيم، الآية: 35.

(4) شيك الرجل يشاك شوكا: إذا وقعت شوكة. اللسان: شوك.

(5) نقش الشوكة ينقشها نقشا وانتقشها: أخرجها من رجله. اللسان: نقش. والمعنى: إذا وقع في شر فلا خلاص له منه.

(6) صحيح البخاري: 4/ 34، رقم: 2887.

(7) بلد، في قونية.

حَتَّى جَنَّ عليهم اللَّيلُ، فَثارَتْ عليهم الْأُسودُ تَفْتَرِسُهُمْ، وهَجَمَتِ عليهم الْأَساوِدُ تَنْهَشُهُمْ، فيَقولُ واحِدٌ منهم: ﴿يَالَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾[1]. والآخَرُ: ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (28) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾[2]. والآخَرُ: ﴿يَاحَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾[3].

ولهذا قالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه: يا حَمْراءُ غُرِّي غيري، ويا بَيْضاءُ غُرِّي غَيْري[4].

والثَّاني: مُراعاةُ جِهَةِ الدَّخْلِ، وهو إمَّا بالِاكْتِسابِ، أو بِالْبَخْتِ؛ كَالْمِيراثِ، أو وُجودِ دَفِينَةٍ، أو عَطِيَّةٍ غير مُتَرَقَّبَةٍ. وَأَمْرُ الْبَخْتِ لِكَوْنِهِ غَيْرَ اخْتِيارِيٍّ لا يَحْتاجُ إلى الْبَيانِ.

وأمَّا الْكَسْبُ، فَيَنْبَغِي أنْ يَأْخُذَهُ مِنَ الْوَجْهِ الْمَشْروعِ. فإِنْ وَجَدَ حَلالًا طَيِّبًا فَبِها، وإلَّا فإِنْ كانَ حَرامًا مَحْضًا فَلْيَجْتَنِبْهُ[5]، وكَذا وإنْ كانَ مُشْتَبِهًا والْحَرامُ غالِبٌ. وإنْ كانَ الْحَلالُ غالِبًا أو تَساوَيا، فإنْ قَدَرَ على الْحَلالِ الطَّيِّبِ فَلْيَتْرُكْهُ، فإِنَّ «مَنْ حامَ حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أنْ يَقَعَ فِيهِ»[6].

---

(1) سورة النبأ، الآية: 40.

(2) سورة الحاقة، الآيتان: 28-29.

(3) سورة الزمر، الآية: 56.

(4) مصنف ابن أبي شيبة: 6/ 458، رقم: 32900، حلية الأولياء: 1/ 80، الإحياء: 4/ 203.

(5) فيتجنَّبه، في مراد ملا.

(6) صحيح البخاري: 1/ 20، رقم: 52، والنقل من الإحياء: 3/ 31.

وإنْ لم يَقْدِرْ يَأْخُذُ منه قَدْرَ الْحاجَةِ، وإنْ قَدَرَ على الْحَلَالِ، لكنْ بالتَّعَبِ واستغْرَاقِ الْوَقْتِ، فَعَلَى الْعامِلِ الْعَامِّيِّ أنْ يَخْتارَ التَّعَبَ، لأنَّ تَعَبَهُ في طَلَبِ الْحَلالِ عِبادَةٌ. وإنْ كانَ من أَصْحابِ الْقُلوبِ، فإنْ كانَ ما فاتَهُ من الْعِلْمِ والْحَالِ أَكْثَرَ من الثَّوابِ الْحاصِلِ في طَلَبِ الْحَلالِ، فله أنْ يَخْتارَ الْحَلالَ غَيْرَ الطَّيِّبِ؛ كَمَنْ غَصَّ بُلُقْمَةٍ يُسِيغُهُ بالْخَمْرِ؛ وَكَآكِلِ لَحْمِ الْخِنْزِيرِ عند الْمَخْمَصَةِ، لَكِنْ يُخْفِيهِ من الْجاهِلِ مهما أمْكَنَ. ويَتَلَطَّفُ فيه كَيْلا يُحَرِّكَ سَلاسِلَ الشَّيْطانِ، لأنَّ تَناوُلَ الْعالِمِ ما زُجِرَ عنه الْجاهِلُ يُثَوِّرُ شَغَبَهُمْ.

ومِنْ هذا الْقَبيلِ ما اعْتادَهُ الْمُتَصَوِّفَةُ من الذِّكْرِ على وَجْهِ الدَّورانِ، حيث يَقولونَ: إنَّهُ حرامٌ، لكنَّهُ [قد][1] يُؤَثِّرُ في تَخْلِيَةِ الْقَلْبِ عن الشَّواغِلِ الدُّنْيَوِيَّةِ، ما لا يُمْكِنُ تَحْصيلُهُ بغيرِهِ من الْمُجاهَداتِ في أَضْعافِ ذلك الزَّمانِ.

وهذا الْكَلامُ إنْ صَدَقَ، فَيَؤُولُ إلى ما قاله صَدْرُ الشَّريعَةِ[2] في كتاب "**تَعْدِيلُ الْعُلومِ**"، في مَقاماتِ الْعارِفينَ، في بيان أنَّ الْعِشْقَ الْمَجازِيَّ قَنْطَرَةُ الْحَقيقَةِ، لأنَّ أَكْثَرَ ما زاوَلوهُ من الْمُجاهَداتِ لِتَخْلِيَةِ الْقَلْبِ عن الشَّواغِلِ الدُّنْيَوِيَّةِ.

ولا يَخْفى أنَّ الْعِشْقَ يُخْلي الْقَلْبَ عما سِوى مَحْبوبِهِ الْمَجازِيِّ. ثُمَّ نَقْلُ مَحَبَّتِهِ إلى الْمَطْلوبِ الْحَقيقِيِّ يَكونُ أيْسَرَ، لأنَّ قَطْعَ الْعَلائِقِ الْكَثيرَةِ أصْعَبُ من قَطْعِ عَلاقَةٍ واحِدَةٍ.

---

(1) سقطت من قونية.

(2) عبيد الله بن مسعود بن محمود المحبوبي البخاري الحنفي المعروف بصدر الشريعة الأصغر (ت.747هـ)، ترجمته في: الجواهر المضية: 2/ 365، وتاج التراجم: 203، والفوائد البهية في تراجم الحنفية: 109.

ثُمَّ قالَ: ولا يُبالي بِحِرْمَةِ هذا الْعِشْقِ، لأنَّ قاطِعَ الْعَوائِقِ لا يُبالي بِحِرْمَتِهِ. ثُمَّ أوْرَدَ نَظيرًا له من الشَّرْعِ، حيثُ قالَ: الدَّمُ الْيابِسُ إذا لم يُوجَدْ ماءٌ حارٌّ، وَعَسُرَ إزالَةُ أَثَرِهِ من الثَّوْبِ، يُغْسَلُ بالْبَوْلِ، ثُمَّ إزالةُ الْبَوْلِ بالْماءِ الْبارِدِ يَكونُ أَيْسَرَ.

هذا كَلامٌ وَقَعَ في الْبَيْنِ. وَلْنَرْجِعْ إلى ما كُنَّا فيه.

واعْلَمْ أنَّ طَلَبَ الْكَفَافِ من الْحَلالِ الطَّيِّبِ تَعَفُّفًا لا تَكَثُّرًا فَرْضٌ، وطَلَبَ ذلك بالْكَسْبِ الْمَشْروعِ سُنَّةٌ. وإنَّ أطْيَبَ ما يَأْكُلُ الرَّجُلُ من كَسْبِهِ. وَكانَ الأنْبِياءُ عليهم السَّلامُ يَحْتَرِفونَ ويَكْتَسِبونَ.

ويُبَاكِرُ في طَلَبِ الرِّزْقِ. قال النَّبِيُّ صَلَّى الله عليه وسلَّمَ: «بَاكِرُوا في طَلَبِ الرِّزْقِ، فإنَّ في الْغُدُوِّ بَرَكَةً ونَجاحًا»(1).

وَيَنْوِي بالِاكْتِسابِ التَّعَفُّفَ عن السُّؤالِ، والِاسْتِغْناءَ عن الْخَلْقِ، ولكن لا يُقْبِلُ على الْكَسْبِ إقْبالًا يَشْغَلُهُ عن ذِكْرِ الله تعالى، والْعِلْمِ والْعَمَلِ للآخِرَةِ.

وأَفْضَلُ الْمَكَاسِبِ الْجِهادُ في سبيل الله، إعْلاءً لكَلِمَتِهِ. ثم يَليها في الْفَضْلِ التِّجارَةُ، بشَرْطِ الْأَمانَةِ والصِّدْقِ والنَّصيحَةِ. ولْيَعْتَمِدْ على الله تعالى مُتَوَقِّعًا منه الرِّزْقَ والْفَضْلَ، وإذا رُزِقَ مِنْ شيءٍ فَلْيَلْزَمْهُ. فإنِ اتَّجَرَ في شَيْءٍ ثَلاثَ

---

(1) الكامل في ضعفاء الرجال: 1/ 490، المعجم الأوسط: 7/ 193، العلل المتناهية: 1/ 321، جمع الجوامع: 4/ 243.

مَرَّاتٍ فلم يُرْزَقْ منه فَلْيَتْرُكْهُ. هذا كلُّهُ حالُ الْمُتَوَسِّطينَ. وأمَّا الْكامِلونَ من أَهْلِ التَّوَكُّلِ فلهم في أَمْرِ الرِّزْقِ أَطْوارٌ وَأَحْوالٌ ذَكَرْناها في **رِسالَةِ الشِّفاءِ**[1].

الثَّالِثُ: في الْمِقْدارِ الْمَأْخوذِ منه، وَقَدْرِ الْحاجَةِ. وأَنْواعُ الْمالِ أَرْبَعَةٌ: الْمَسْكَنُ، والْمَطْعَمُ، والْمَلْبَسُ، والْمَنْكَحُ. وكُلٌّ منهما إمَّا أَدْنى، أو أَوْسَطُ، أو أَعْلَى.

أَمَّا الْمَسْكَنُ، فَأَدْناهُ: ما يُقِلُّكَ من الْأَرْضِ وَالسِّبَاعِ وَأَمْثالِها[2]، وما يُظِلُّكَ من الْفَوْقِ[3] من الْمَطَرِ والْحَرِّ، رِباطًا أو مَسْجِدًا وأمْثالَهُما. وَأَوْسَطُهُ: مِلْكٌ يَخُصُّكَ على حَدِّ الْكِفايَةِ كَمًّا وكَيْفًا، وتَخْلو فيه إلى آخِرِ عُمُرِكَ. وَأَعْلاهُ: دارٌ واسِعَةٌ، مُزَيَّنَةٌ، كَثيرَةُ الْمَرافِقِ، على ما هو عادَةُ الْمُتَرَفِّهينَ من أَهْلِ الدُّنْيا. والْأَوَّلُ: ما يَقْنَعُ به الْمُتَوَكِّلونَ والسَّالِكونَ لِطَريقِ الْآخِرَةِ. والْأَوْسَطُ: حَدُّ الْكِفايَةِ يُخِلُّ بِالتَّوَكُّلِ، ولا يُخِلُّ بالشَّرْعِ. وَالْأَعْلَى: مُخِلٌّ بالْوَرَعِ، ومُباحٌ في الشَّرْعِ إنْ أَدَّى على الْإِقْبالِ بِالدُّنْيا وَالابْتِهاجِ بِزَخارِفِها. وإلَّا فَمُباحٌ في الْوَرَعِ أيضًا، لَكِنَّهُ حَرامٌ عند الْمُتَوَرِّعينَ، إذِ الدُّنْيا وزَخارِفُها حَرامٌ على أَهْلِ الْآخِرَةِ.

وأَمَّا الْمَطْعَمُ، فهو أَصْلٌ عَظيمٌ، إذ الْمَعِدَةُ مِفْتاحٌ لِلْخَيْراتِ والشُّرورِ. وله ثَلاثُ دَرَجاتٍ أَيْضًا:

أَدْناها: الْقُوتُ، وهو ما يَسُدُّ الرَّمَقَ، وَيَبْقَى معه الْبَدَنُ، وَيُقَوِّي على الْعِبادَةِ. وَقَدْرُ الْقُوتِ على قَدْرِ رِياضَةِ السَّالِكينَ، منهم مَنْ يَأْكُلُ في عَشَرَةِ

---

(1) **رسالة الشِّفاءِ لِأَدْوَاءِ الْبَلَاءِ**، لطاش كبري زاده (ت.968هـ)، وهي مطبوعة.

(2) ويقيك من السباع، في الإحياء.

(3) فوق، في قونية.

أيَّام، ومنهم مَنْ يَأْكُلُ في عِشْرينَ إلى أَرْبَعِينَ. وقدِ انْتَهَى بَعْضُهُمْ إلى قَدْرِ حِمِّصَةٍ كُلَّ يَوْمٍ. وهذه رُتْبَةٌ قَلَّما يَصِلُ إليها أَحَدٌ.

وَأَوْسَطُها: ثُلُثُ الْبَطْنِ. وهو الَّذِي حَدَّ له الشَّرْعُ. وما زادَ عليه فَبَطْنُهُ مَذْمومَةٌ. وكما يَنْبَغِي أنْ يَقْتَصِرَ على الْوَسَطِ من نَوْعِهِ، فكذلكَ يَنْبَغِي أنْ يَقْتَصِرَ على الْوَسَطِ من كَمِّهِ[1]. وَأَعْلاهَا كَمًّا ادِّخَارُ القُوتِ، وَكَيْفًا التَّلَذُّذُ بِالْأَطْعِمَةِ الشَّهِيَّةِ. وَالاِدِّخارُ مَذْمومٌ مُطْلَقًا. وَأَدْناها الاِدِّخارُ لِغَدٍ وَأَوْسَطُها الاِدِّخارُ لِسَنَةٍ. وَأَعْلاها الاِدِّخارُ لِمَا يُجاوِزُ السَّنَةَ. وإنْ كانَ لا بُدَّ مِنَ الادِّخارِ فَلِيَومٍ بل لِساعَةٍ فَقَطْ. وأَمَّا الاِدِّخارُ لِسَنَةٍ فَجائِزٌ شَرْعًا، لَكِنَّهُ يُخِلُّ بالتَّوَكُّلِ لِلْمُبْتَدِئِينَ. وأمَّا الْكامِلونَ، فلا تَتَفاوَتُ عِنْدَهُمُ الْحالُ، فلا يُمْكِنُ حَصْرُ أَحْوالِهِمْ. وَأمَّا الادِّخارُ لِمَا فَوْقَ السَّنَةِ فَصاحِبُهُ من الْمَطْرودِينَ الَّذِي يَحْسِبُ أنَّ مالَهُ أَخْلَدَهُ[2].

وَأَمَّا الْمَلْبَسُ، فَأَدْناها كَمًّا ما يَسْتُرُ الْعَوْرَةَ، لِيُمْكِنَ له الْعِبادَةُ، وَكَيْفًا أَرْذَلُ الْأَنْواعِ وَأَخْشَنُها. وَأَوْسَطُها[3] ما يَليقُ بِحالِهِ من غَيْرِ حَرامٍ، ومن غَيْرِ تَرَفُّهٍ وَتَزَيُّنٍ. وَأَعْلاهُ، جَمْعُ ثَوْبِ الشُّهْرَةِ كَمًّا، وَاخْتِيارُ الْأَزْيَنِ وَالْأَلْيَنِ كَيْفًا، على ما عليه أَبْناءُ الدُّنْيا، والْمُقْبلينَ[4] على مُزَخْرَفاتِها.

---

(1) من نوعه، في قونية ورئيس الكتاب وأنطاليا.

(2) وظف المصنف الآية 3 من سورة الهمزة لتتميم مراده من الكلام.

(3) وأوسطه، في أنطاليا ومراد ملا. وأوسط، في رئيس الكتاب.

(4) كذا في النسخ الخطية وحقه الرفع في السياق.

وَأَمَّا الْمَنْكَحُ، فَاللَّائِقُ بالسَّالِكينَ إلى طَرِيقِ الْآخِرَةِ التَّجَرُّدُ والصَّبْرُ على مَضَضِ الْعُزُوبَةِ، لئلا يُفْضِيَ إلى الْحِرْمانِ عن الْمَطْلَبِ الأعْلى.

قالَ أبو حَنيفَةَ رضي الله عنه في وَصاياهُ لأبي يوسُفَ: واطْلُبِ الْعِلْمَ أوَّلًا، ثُمَّ اجْمَعِ الْمالَ من الْحَلالِ، ثُمَّ تزَوَّجْ، فإنَّكَ إنْ طَلَبْتَ الْمالَ في وَقْتِ التَّعَلُّمِ عَجَزْتَ عن طَلَبِ الْعِلْمِ. رُبَّما دَعاكَ الْمالُ إلى شِراءِ الْجَواري والْغِلْمانِ، وتَشْتَغِلُ بِالدُّنْيا والنِّساءِ قَبْلَ تَحْصيلِ الْعِلْمِ، فإنَّهُ يَضيعُ وَقْتُكَ، ويُجْمَعُ عَلَيْكَ الْوَلَدُ، ويَكْثُرُ عِيالُكَ، فَتَحْتاجُ إلى الْقِيامِ بِحَوائِجِهِمْ فَتُحْرَمُ الْعِلْمَ. فَاشْتَغِلْ بِالْعِلْمِ في عُنْفُوانِ عُمُرِكَ، وَوَقْتِ فَراغِ قَلْبِكَ وَخاطِرِكَ، ثُمَّ تَجْمَعُ الْمالَ من الْحَلالِ. هذا كَلامُهُ.

ثُمَّ إنَّ اللَّائِقَ بالْعَوامِّ الْعامِلينَ، وَبِأَهْلِ الْعِرْفانِ الْكامِلينَ، التَّأَهُّلُ، ويُفْتَرَضُ في الْعوامِّ إنْ تاقَتْ نَفْسُهُ، وإلَّا فَيُسَنُّ. وفي الْكامِلينَ مَسْنونٌ لا غَيْرُ. إذْ ليس في أَنْفُسِهِمُ التَّوَقَانُ إلى الْأُمورِ الدُّنيويَّةِ، من حيثُ إنَّها شاغِلَةٌ عن الْمَطْلَبِ. وإنَّما يَميلونَ إليها إقامَةً لِلسُّنَّةِ الْوارِدَةِ في قَوْلِهِ صَلَّى الله عليه وسَلَّم: «حُبِّبَ لِي مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثٌ: النِّسَاءُ، والطِّيبُ، وقُرَّةُ عَيْنِي في الصَّلَاةِ»[1]. وَتَكْثيرًا لِسَوادِ الإسْلامِ، وَإِبْقاءً لِنَسْلِ الْأَنامِ.

---

(1) الطبقات الكبرى: 1/ 398، مسند أحمد: 19/ 305، مسند البزار: 13/ 296، سنن النسائي: 7/ 61، السنن الكبرى للنسائي: 8/ 149.

وَبِالْجُمْلَةِ، الصَّبْرُ عن الدُّنيا مَمْدوحٌ مهما أَمْكَنَ. كما قالَ صلَّى الله عليه وسلَّمَ: «مَنْ أَصْبَحَ آمِنًا في سِرْبِهِ، مُعَافًى في بَدَنِهِ، وله قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ له الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا»[1].

الرَّابِعُ: أَحْوالُ الْخَرْجِ والْإِنْفَاقِ، فالْمَحْمودُ منه: الصَّدَقَةُ الْمَفْروضَةُ، وَالإِنْفاقُ على الْعِيالِ. ويَحْصُلُ بِهَذَيْنِ الْعَدالَةُ. ومنه ما يُكْسَبُ به الْحُرِّيَّةُ والْفَضيلَةُ، وهو إِيثارُ الْغَيْرِ على النَّفْسِ على الْوَجْهِ الْمَنْدوبِ إليه شَرْعًا. والْمَذْمومُ: إمَّا إفْراطٌ، وهو الإخْلالُ بِالْأَهَمِّ، وصَرْفُهُ إلى ما دونَهُ؛ وَتَفْرِيطُهُ الْمَنْعُ عن الْواجِباتِ بالْكُلِّيَّةِ، أو النَّقْصُ من قَدْرِ الواجِبِ.

ثُمَّ إنَّ النَّاسَ اخْتَلَفوا في أنَّ أَخْذَ الْمالِ الْحَلالِ وإنْفَاقَهُ على الْوَجْهِ الْمَشْروعِ أوْلى أمْ تَرْكُهُ رَأسًا، ولا شَكَّ أنَّ الإقْبالَ على الدُّنيا بِالْكُلِّيَّةِ مَذْمومٌ، وإنْ أَخَذَ من الْحَلالِ وَوَضَعَهُ [في][2] مَوْضِعِهِ. فَالتَّارِكُ بالْكُلِّيَّةِ، [غيرُ][3] الْمُقْبِلِ على الدُّنيا، أَفْضَلُ منه بلا شُبْهَةٍ. وَأمَّا الْمُقْبِلونَ على الْآخِرَةِ، وَالصَّارِفونَ لِلدُّنيا في مَحَلِّهِ، فَهُمُ الْأفْضَلونَ، لِكَوْنِهِمْ قِوامَ أَسْبابِ الدُّنْيا والآخِرَةِ، ومنهم عامَّةُ الْأَنْبياءِ الْمَبْعوثِينَ لإقامَةِ مَصالِحِ الْعِبادِ، في الْمَعاشِ والْمَعادِ.

فإنْ قُلْتَ: قد قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[4].

---

(1) مسند أحمد: 19/ 950، التاريخ الكبير للبخاري: 5/ 373، الأدب المفرد: 112، سنن ابن ماجه: 2/ 1387، سنن الترمذي: 4/ 167.

(2) سقطت من قونية.

(3) زيادة من أنطاليا.

(4) سورة الذاريات، الآية: 56.

فَاعْلَمْ: أنَّ مُراعاةَ مَصالِحِ الْعِبادِ مِنْ جُمْلَةِ الْعِباداتِ، بل مِنْ أفْضَلِها.

قال رَسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ: «الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عِيَالُ اللهِ، وَأَحَبُّهُمْ إلى اللهِ، أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ»[1].

إلَّا أنَّ مَنْ شَغَلَهُ مَعَادُهُ عن مَعَاشِهِ، فهو من الْفائِزينَ. ومَنْ شَغَلَهُ مَعَاشُهُ عن مَعَادِهِ، فهو مِنَ الْهالِكينَ. ومَنْ جَمَعَ بينهما فهو من الْمُخاطِرينَ.

ولا يَخْفى أنَّ الْفائِزَ أحْسَنُ من الْهالِكِ. وأمَّا النَّظَرُ الْجَليلُ فيَقْتَضي فَضْلَهُ على الْمَخاطِرِ إلا أنَّ مُقْتَضى النَّظَرِ الدَّقيقِ عَكْسُهُ، إذِ الْخَطَرُ ليس إلَّا لِصاحِبِ الْمَنازِلِ الرَّفيعَةِ، والرِّئاسَةِ التَّامَّةِ، إذ خَطَرُ الْخِلافَةِ الإلهيَّةِ في أَمْرِ عِبادِهِ بَيِّنٌ، ولا يَتَرَشَّحُ لها إلَّا الْأَفْرادُ. قالَ الله تَعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾[2].

ثُمَّ إنَّ النَّاسَ على مَراتِبَ، إمَّا ضعيفُ الْهِمَّةِ، يَنْخَدِعُ بِمُزَخْرَفاتِ الدُّنيا وَزينَتِها، فعليه اخْتيارُ طَريقِ الْفائزينَ، والتَّحَرُّزُ عن وَرْطَةِ الْهالِكينَ؛ وإمَّا قَوِيُّ الْهِمَّةِ، جَسُورٌ، لا تَخْدَعُهُ النَّفْسُ والشَّيْطانُ، وله هِمَّةٌ عَلِيَّةٌ، تُريدُ مَعالِيَ الْأُمورِ، فعليه أنْ يَجْتَهِدَ رُتْبَةَ الْمُخاطِرينَ، ويَتَحَرَّزَ عن أن يَنْخَدِعَ من حيث لا يَدْرِي.

---

(1) مسند أحمد: 4/ 104، رقم: 2234، مسند البزار: 13/ 332، 6947، مسند أبي يعلى: 6/ 65، رقم: 3315.

(2) سورة القصص، الآية: 77.

الخامِسُ: أنْ تكونَ نِيَّتُهُ صالِحَةً في الْأَخْذِ والإِنْفاقِ. أمَّا الْأَخْذُ فأنْ يَنْوِيَ فيه أنْ يَسْتَعينَ به على الْعِبادَةِ، وَيَأْكُلَ لِيَتَقَوَّى به على الْعِبادَةِ، وكذا في التَّرْكِ، يَتْرُكُهُ زُهْدًا واسْتِحْقارًا، لا عَجْزًا واضْطِرارًا.

قالَ صلَّى الله عليه وسلَّمَ: «مَنْ طَلَبَ رِزْقَهُ على ما سُنَّ فهو جِهَادٌ»[1].

وقالَ صلَّى الله عليه وسلَّمَ لابْنِ مَسْعودٍ: «إنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُؤْجَرُ في كُلِّ شَيْءٍ، حتَّى الُّلقْمَةِ يَضَعُهَا في في امْرَأَتِهِ»[2].

وَأَرادَ بالْمُؤْمِنِ: مَنْ يَقْصِدُ في كلِّ الأمور وَجْهَ الله تعالى، والاِسْتِعانَةَ بالدُّنيا على سُلوكِ طَرِيقِ[3] الآخِرَةِ. ومن هنا تَبَيَّنَ أنَّ الزَّاهِدَ من ليس مَشْغولًا بالْمالِ، وإنْ كان له أَمْوالُ الْعالَمينَ[4]. كما قالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه: لو أنَّ رَجُلًا أَخَذَ جَميعَ ما في الْأَرْضِ، وَأَرادَ به وَجْهَ الله تعالى فهو زاهِدٌ. ولو أنَّهُ تَرَكَ الْجَميعَ ولم يُرِدْ به وجْهَ الله تعالى فليسَ بزاهِدٍ[5].

وإذا تَأَمَّلْتَ مُلْكَ الْإِنْسانِ[6]، ورُتبةَ النُّبوَّةِ، تَحَقَّقْتَ أنَّ الزُّهْدَ زُهْدُ النَّفْسِ لا خُلُوُّ الْيَدِ.

---

(1) الذريعة إلى مكارم الشريعة: 279، ميزان العمل: 385.

(2) صحيح البخاري: 7/ 62، رقم: 5354، الإحياء: 2/ 32.

(3) طريقة، في أنطاليا والأزهرية.

(4) على العالمين، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

(5) الذريعة إلى مكارم الشريعة: 282، الإحياء: 3/ 264.

(6) كتب بإزائها في طرة نسخة مراد ملا صوابه: ملك سليمان.

فَاعْلَمْ أنَّ الإِنْسانَ مُسَافِرٌ، وله ثَلاثَةُ مَنازِلَ: بَطْنُ أمِّهِ، وفَضاءُ الْعالَمِ، والْبَرْزَخُ، والدُّنيا رِباطٌ يَنْتَهِي إليه الإنْسانُ في الْمَنْزِلِ الْأَوْسَطِ، والْمالُ أَوانِي وأَقْواتٌ يَأخُذُها بِشُكْرٍ، وَيَأْخُذُها بانْشِراحٍ[1]. وَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ وُهِبَ له، وتَفَجَّعَ إذا فارَقَهُ وَاسْتَرْجَعَ[2]، فهو مِنَ الْحُمَقَاءِ.

---

(1) كتب بإزائها في طرة نسخة مراد ملا صوابه: ويتركها بانشراح.

(2) ينظر ميزان العمل: 387.

الْمُقَدِّمَةُ الرَّابِعَةُ:

في بَيانِ النِّسْبَةِ بين طَرِيقِ النَّظَرِ وطَرِيقِ التَّصْفِيَةِ

اعْلَمْ أنَّ الْكُلَّ مُتَّفِقُونَ على أنَّ السَّعادَةَ الأَبَدِيَّةَ، والسِّيادَةَ السَّرْمَدِيَّةَ، لا تَتِمُّ إلا بالْعِلْمِ والْعَمَلِ. وأنَّهما تَوْأمانِ. وله تَوْجيهانِ:

أحدهما: الشَّائِعُ الْمَشْهورُ، وهو أنَّهُ لا يُعْتَدُّ بِواحِدٍ منهما بِدونِ الْآخَرِ، إذِ الْعِلْمُ بِدونِ الْعَمَلِ وَبَالٌ. والْعَمَلُ بلا عِلْمٍ ضَلالٌ. وقال الله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[1].

وثانيهما: أنَّ كُلًّا منهما ثَمَرَةٌ للآخَرِ[2]. مَثَلًا إذا تَمَهَّرَ الرَّجُلُ في اكْتِسابِ الْعِلْمِ، وحَذَقَ فيه، لا مَنْدوحَةَ له عن الْعَمَلِ بِموجِبِهِ. إذ لو قَصَّرَ في الْعَمَلِ، لم يكن في عِلْمِهِ كَمالٌ. وأيْضًا إذا باشَرَ الرَّجُلُ الْعَمَلَ، وجاهَدَ فيه، وَارْتاضَ حَسْبَمَا بَيَّنُوهُ من الشَّرائِطِ، يَنْصَبُّ على قَلْبِهِ الْعُلومُ النَّظرِيَّةُ بِكَمالِها. كما قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[3].

وهاتان طَريقَتانِ، الْأَوَّلُ[4] منهما طَرِيقَةُ الِاسْتِدْلالِ، والثَّاني طَرِيقَةُ[5] الْمُشاهَدَةِ، وَالْأَوَّلُ دَرَجَةُ الْعُلَماءِ الرَّاسخينَ. والثَّاني دَرَجَةُ الصِّدِّيقينَ. وقد

---

(1) سورة فاطر، الآية: 10.

(2) الآخرة، في رئيس الكتاب.

(3) سورة الروم، الآية: 69.

(4) والأولى، في مراد ملا.

(5) طريق، في قونية ورئيس الكتاب وأنطاليا.

يَنتَهي كُلٌّ من الطَّريقَتَيْنِ إلى الْأُخْرى، فَيَكونُ صاحِبُهُ مَجْمَعًا لِلْبَحْرَيْنِ، أي بَحْرَيِ الِاسْتِدْلالِ والْمُشاهَدَةِ، أو الْعِلْمِ والْعِرْفانِ، أو الشَّهادَةِ والْغَيْبِ.

وإذا عَرَفْتَ أنَّ السَّالِكينَ إلى الْحَقِّ - مع كَثْرَةِ الطُّرُقِ وَخُروجِها عن حَدِّ الْإِحْصاءِ - نَوْعانِ:

أحدُهما: ما يَبْتَدِئُ من طَريقِ الْعِلْمِ إلى الْعِرْفانِ، ومن طَريقِ الشَّهادَةِ إلى الْغَيْبِ.

وثانيهما: ما يَتَجَلَّى الْحَقُّ له بالْجَذْبَةِ الْإلَهِيَّةِ. فَيَبْتَدِئُ من الْغَيْبِ، ثُمَّ يَنْكَشِفُ له عالَمُ الشَّهادَةِ.

قال بعضُ الْعارِفينَ: يُشْبِهُ أنْ يَكونَ الْأَوَّلُ: طَريقةَ الْخَليلِ؛ حيث ابْتَدَأَ من الِاسْتِدْلالِ بأُفولِ الشَّمْسِ والْقَمَرِ إلى وُجودِ رَبِّ الْعالَمينَ. والثَّانِي: طَريقَةَ الْحَبيبِ؛ حيثُ ابْتَدَأَ بِشَرْحِ الصَّدْرِ، وكُشِفَ له سُبُحاتُ وَجْهِ ذي الْجَلالِ والإكْرامِ، وأحْرَقَتْهُ حتى انْمَحَقَ جميعُ ما أدْرَكَهُ، وتَلاشى في ذاتِهِ، ولم يَبْقَ له لَحْظَةٌ إلى نَفْسِهِ لِفَنائِهِ عن نَفْسِهِ. فَيَتَحَقَّقُ[1] [رُتْبَةُ][2]: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[3] ذَوْقًا وحَالًا، لا عِلْمًا وقَالًا. هذا حالُ الْجامِعينَ بين الْمَرْتَبَتَيْنِ.

وأمَّا السَّالِكونَ إلى إحْدَى الطَّريقَتَيْنِ فقد اخْتَلَفوا.

---

(1) فتحقق، في قونية وأنطاليا.

(2) سقطت من قونية.

(3) سورة القصص، الآية: 88.

وقالَ أَرْبابُ النَّظَرِ: الْأَفْضَلُ طَريقُ النَّظَرِ، لأنَّ طَريقَ التَّصْفيةِ صَعْبُ الْوُصولِ، لأنَّ مَسْلَكَهَا وَعرٌ، وإفْضاءَها إلى الْمَقْصَدِ بَعيدٌ. لأنَّ مَحْوَ الْعَلائِقِ إلى حَدٍّ يؤدي إلى انْكِشافِ الْمَعارِفِ مُتَعَذِّرٌ، بل قَريبٌ من الْمُمْتَنِعِ، وإنْ أفْضى إلى الْمَقْصَدِ فَثَباتُهُ أبْعَدُ منه، إذْ أدْنى وَسْواسٍ وَخَاطِرٍ يَمْحو ما حُصِّلَ، ويَقْطَعُ ما وُصِلَ. على أنَّهُ قد يَفْسُدُ الْمِزاجُ، ويَخْتَلِطُ الْعَقْلُ في أَثْناءِ تلك الْمُجاهَداتِ الصَّعْبَةِ، والرِّياضاتِ الشَّاقَّةِ.

وَقالَ أَرْبابُ التَّصْفِيَةِ: الْعُلومُ الْحاصِلَةُ بالنَّظَرِ لا تَصْفُو في الْأَكْثَرِ عن شَوْبِ أَحْكامِ الْوَهْمِ، ولا تَخْلُصُ عن مُخالَطَةِ الْخَيالِ في الْغالِبِ. وَلِهَذا كَثيرًا ما يَقيسونَ الْغائِبَ على الشَّاهِدِ فَيَضِلُّونَ ويُضِلُّونَ. كما تَراهُ في أَكْثَرِ مَذاهِبِ الِاعْتِزالِ، وغير ذلك مِنِ اعْتِقاداتِ الْجُهَّالِ، من أَصْحابِ الضَّلالِ.

وأيضًا لا يَتَخَلَّصُونَ في مُناظراتِهِمْ ومُباحَثاتِهِمْ عن اتِّباعِ الْأَهْواءِ والْعَاداتِ بِخِلافِ التَّصَوُّفِ. فإنَّ ذلك تَصْفيةٌ للرُّوحِ، وجِلاءٌ لِلنُّفوسِ، وتَطهيرٌ لِلقُلوبِ عن أَحْكامِ النَّفْسِ، وتَخْلِيَتِها عن الْأَوْهامِ والْخَيالاتِ، فلا يَبْقَى إلَّا الِانْتِظارُ لِلْفَيْضِ من الْعُلومِ الْإِلَهِيَّةِ الْحَقَّةِ، فتَنْكَشِفُ عليهم عُلومٌ إِلَهِيَّةٌ، وَمَعارِفُ رَبَّانِيَّةٌ. وَيَرِدُ عليهم وارِدُ إِلْهامٍ هو حَديثُ عَهْدٍ بِرَبِّهِ.

وأمَّا وُعورَةُ الْمَسْلَكِ وبُعْدُهُ، فلا يَقْدَحُ في قُوَّةِ الْيَقينِ، وصِحَّةِ الْعِلْمِ، مع أنَّهُ يَسيرٌ على مَنْ يَسَّرَهُ الله تَعالى من السَّالِكينَ سُبُلَ أَنْبيائِهِ، وَالْمُتَّبِعِينَ لكُلِّ أَوْلِيائِهِ.

وَأَمّا اخْتِلَالُ الْمِزاجِ، فإنْ وَقَعَ، فَيَقْبَلُ الْعِلاجَ، لأنَّهُمْ كما أَنَّهُمْ أَطِبَّاءُ النُّفوسِ وَالْأَرْواحِ، كذلك عارِفونَ أَحْوالَ الْأَبْدانِ وَالْأَشْباحِ، فَالرِّياضَةُ على ما شَرَطوهُ من الْآدابِ وَالْأَحْوالِ، أَمانٌ مِنَ الْفَسادِ والِاخْتِلالِ، وَخَلاصٌ من الْأَفْزَاعِ وَالْأَهْوالِ.

يُحْكى أنَّ أَهْلَ الصِّينِ والرُّومِ في زَمانٍ قَديمٍ تَباهَوْا في صِناعَةِ النَّقْشِ والتَّرْسيمِ[1]، وَطالَ بَيْنَهُمُ النِّزاعُ والْجِدالُ، وَدارَ بَيْنَهُمُ الْكَلامُ في النَّقْصِ والْكَمالِ، حتَّى أدَّى الِافْتِخارُ في هذا الشَّأْنِ، إلى الِاخْتِبارِ والِامْتِحانِ. فَعُيِّنَ لكُلٍّ من الطَّائِفَتَيْنِ جِدارٌ بينهما حِجابٌ، لِيَتَمَيَّزَ الْكامِلُ من النَّاقِصِ في هذا الْبابِ. فَجَمَعَ أَهْلُ الصِّينِ من الْأَصْباغِ الْعَجيبَةِ، وَالْأَلْوانِ الْغَريبَةِ. وَتَكَلَّفُوا الصَّنائِعَ النَّادِرَةَ، وَالرُّسُومَ الْباهِرَةَ، حتى اسْتَفْرَغُوا الْمَجهودَ، في تَحْصيلِ الْمَقْصودِ. وَاشْتَغَلَ أَهْلُ الرُّومِ عن التَّرْسِيمِ بِالتَّصْقِيلِ، وَعَرَفوا أنَّ تَرْكَ التَّحْلِيَةَ إلى التَّجْلِيَةِ هو التَّكْميلُ. فلما كُشِفَ الْغِطاءُ، وارْتَفَعَ الْحِجابُ، لِمَعْرِفَةِ الْحالِ بين الْأَصْحابِ، رَأَوْا أنَّ جانِبَ أَهْلِ الرُّومِ تَلَأْلَأَ بِجَميعِ نُقوشِ أهْلِ الصِّينِ مع زِيادَةِ الصَّفاءِ، ولَطافَةِ الصَّقالَةِ والْجَلَاءِ. فهذا مِثالُ الْعُلومِ النَّظَرِيَّةِ والْكَشْفِيَّةِ. والأوَّلُ يَحْصُلُ من طَرِيقِ الْحَواسِّ بالْكَدِّ والْعَنَاءِ، والثَّاني يَحْصُلُ من اللَّوْحِ الْمَحْفوظِ والْمَلأِ الأَعْلَى.

(1) كتب بإزائها في طرة نسخة مراد ملا: لعله الرسم.

إذا[1] عَرَفْتَ هذا فَاعْلَمْ أنَّ الْمُحاكَمَةَ بين هذين الْفَريقَيْنِ، وتَعْيينَ الْأَفْضَلِ من الطَّريقَيْنِ. هي أنَّ الْعُلومَ مع تَكَثُّرِ فُنُونِهَا، وتَعَدُّدِ شُجُونِهَا، مُنْحَصِرَةٌ في أَرْبَعَةِ أَنْواعٍ؛ وذلِكَ لِأَنَّ لِلْأشْياءِ وُجودًا[2] في أَرْبَعِ مَراتِبَ: في الْأعْيانِ، وفي الْأذْهانِ، وفي الْعِبارَةِ، وفي الْكِتابَةِ.

فَالْعُلومُ الْمُتَعَلِّقَةُ في الْأَوَّلِ من حيثُ حالُها في نَفْسِ الْأَمْرِ هي الْعُلومُ الْحَقيقيَّةُ، الَّتِي لا تتَبَدَّلُ باخْتِلافِ الْأَزْمانِ، وَتَجَدُّدِ الْمِلَلِ وَالْأَدْيانِ. وهذه تُسَمَّى عُلومًا حِكْمِيَّةً؛ إنْ جَرى الْباحِثُ عن أَحْوالِها فيها على مُقْتَضى عَقْلِهِ؛ وعُلومًا شَرْعِيَّةً إنْ بَحَثَ عنها فيها على قانُونِ الْإِسْلامِ.

وَالْعُلومُ الْمُتَعَلِّقَةُ بالثَّانيةِ هي الْعُلومُ الْآلِيَّةُ الْمَعْنَوِيَّةُ؛ كَالْمَنْطِقِ ونَحْوِهِ. والْعُلومُ الْمُتَعَلِّقَةُ بالْأَخِيرَيْنِ، هي الْعُلومُ الْآلِيَّةُ اللَّفْظِيَّةُ وَالْخَطِّيَّةُ. وهذه هي الْعُلومُ الْعَرَبِيَّةُ الْمُعْتَبَرَةُ في دِينِنَا، هذا لِوُرودِ شَريعَتِنا هذه على لِسانِ الْعَرَبِ وعلى كِتابَتِهِ. ثُمَّ إنَّ الثَّلاثَةَ الْأَخيرَةَ من هذه الْأَنْواعِ، لا سَبِيلَ إلى تَحْصيلِها إلَّا الْكَسْبُ بالنَّظَرِ. وأمَّا النَّوْعُ الْأَوَّلُ منها فقد يَتَحَصَّلُ بالنَّظَرِ، وقد يَتَحَصَّلُ بالتَّصْفِيَةِ.

ثُمَّ إنَّ أَشْخاصَ الإنْسَانِ أَرْبَعَةُ أَصْنافٍ:

ـ صِنْفٌ منهم الشُّيوخُ، وهم الَّذِينَ تَجاوَزَتْ أَسْنانُهُمْ السِّتينَ، فَاللَّائِقُ بِشَأْنِهِمْ طَريقُ التَّصْفِيَةِ والرِّياضَةِ، والانْتِظارُ لِمَا مَنَحَهُ الله تَعالى من الْعُلومِ والْمَعارِفِ على قَدْرِ مُساعَدَةِ اسْتِعْدادِهِ الْفِطْرِيِّ. إذِ الْوَقْتُ لا يُساعِدُ في حَقِّهِمْ تَقْديمَ طَريقِ النَّظَرِ.

(1) فإذا، في مراد ملا.
(2) الأشياءَ وجودٌ، في مراد ملا.

وَصِنْفٌ منهم الشُّبَّانُ الْأَغْبِياءُ، فَحُكْمُهُمْ حُكْمُ الشُّيوخِ، لكنْ بِحُكْمِ الِاضْطِرارِ الطَّبيعِيِّ، لا الِاضْطِرارِ الزَّمانِيِّ.

وصِنْفٌ منهم الشُّبَّانُ الْأَذْكياءُ؛ الْقَابِلِينَ لِلْعُلومِ الْمُسْتَعِدِّينَ لِفَهْمِ الْحَقائِقِ طَبْعُهُمْ، ولِدَرْكِ الدَّقائِقِ نَفْسُهُمْ. فلا يَخْلو إمَّا أنْ لا يُساعِدَهُمُ التَّقْديرُ في وُجودِ عالِمٍ ماهِرٍ في الْعُلومِ النَّظَرِيةِ، الْمُرْتَفِعِ عن رُتْبَةِ التَّقْليدِ في مِصْرِهِمْ أو عَصْرِهِمْ. فعليه ما على صِنْفِ الشُّيوخِ بِحُكْمِ الِاضْطِرارِ الزَّمانِيِّ. وإمَّا أنْ يُساعِدَهُمْ التَّقْديرُ في وُجودِ عَالِمٍ مَوْصوفٍ بما ذُكِرَ مع أنَّهُ أَعَزُّ من الْكِبْرِيتِ الْأَحْمَرِ[1]. بل لا يَكادُ يوجَدُ إلَّا في الْأَقَلِّ الْأَنْدَرِ. فعليه تَقْديمُ طَريقَةِ النَّظَرِ، وأنْ يُحَصِّلَ من الْعُلومِ النَّظَرِيَّةِ قَدْرًا يُساعِدُهُ اسْتِعْدادُهُمْ وَوَقْتُهُمْ، ثُمَّ الإِقْبالُ بإلْقاءِ شَراشِرِ النَّفْسِ والْفُؤادِ، وَصَرْفِ مَجامِعِ الْقِوَى مع الْأَحْشاءِ وَالْأَكْبادِ، إلى قَرْعِ بابِ الْمَلكوتِ، والْوُلوجِ إلى حَظيرَةِ الْجَبَروتِ، ليكونَ فائِزًا بالطَّريقَتَيْنِ، وَجَامِعًا بين الرِّئاسَتَيْنِ، وَحَائِزًا لِغَنيمَةٍ بارِدَةٍ لا تَفْنى أبَدًا، ونِعْمَةٍ باقيةٍ لا تُحْصى عَدَدًا.

يَسَّرَ الله لنا ولكم الْجَمْعَ بين الْعِلْمِ والْعَمَلِ. فإنَّ ذلك مُنْتَهى السُّؤْلِ[2] والْأَمَلِ، ويَرْزُقَنا حُسْنَ الْعَفْوِ والْعاقِبَةِ، تالِيا لِنِعْمَتَيِ السَّلامَةِ والْعافِيَةِ. وهو حَسْبي ونِعْمَ الْوَكيلُ، والْهادِي إلى سَواءِ السَّبيلِ، إنَّهُ مُجيبٌ قَرِيبٌ، عليه تَوَكَّلْتُ وإليه أُنِيبُ.

وَلَمَّا انْحَصَرَ كَسْبُ السَّعادَةِ في الطَّريقَيْنِ[3]، رَتَّبْتُ الرِّسالَةَ على طَرَفَيْنِ:

---

(1) مثل عربي، يضرب في طلب الشيء الممتنع. جمهرة الأمثال: 2/ 32، مجمع الأمثال: 2/ 44.

(2) السؤال، في مراد ملا.

(3) طريقين، في قونية وأنطاليا ومراد ملا.

الطَّرَفُ الأَوَّلُ من الرِّسالَةِ: في الإِرْشادِ إلى كَيْفِيَّةِ تَحْصيلِ طَريقِ النَّظَرِ

وَاعْلَمْ أنَّ تَحْصيلَ الْعُلومِ لَمَّا لم يُمْكِنْ إلَّا بِتَصَوُّرِهَا اسْمًا ورَسْمًا، ومَوْضوعًا وَنَفْعًا، أَحْبَبْنَا أن نُبَيِّنَ في هذه الرِّسالَةِ الْأُمورَ الْمَذْكورَةَ في كلِّ عِلْمٍ عِلْمٍ أَصْلًا وفَرْعًا، وَنُبَيِّنَ أَسْماءَ الْكُتُبِ الْمُؤَلَّفَةِ فيها، وَأَسْماءَ مُؤَلِّفيها، لِيَكونَ عَوْنًا لك في تَحْصيلِ الْعُلومِ، وتَرْغيبًا في طَلَبِها، وإرْشادًا إلى طُرُقِ تَحْصيلِها.

أَمَّا ذِكْرُ الْمُصَنَّفَاتِ، فَلِلتَّنْبيهِ على مَرَاتِبِهَا، وَجَلالَةِ قَدْرِهَا، والتَّفاوُتِ بين تلك الْكُتُبِ. وفي ذلك إِرْشادٌ لِلطَّالِبِ إلى تَحْصيلِها، وتَعْريفٌ له بما يَعْتَمِدُهُ منها، وتَحْذِيرُهُ مِمَّا يُخافُ من الِاغْتِرارِ.

وأَمَّا ذِكْرُ مُؤَلِّفيها:

فمنها: مَعْرِفَةُ مَناقِبِهِمْ وَأَحْوالِهِمْ، فَتَتَأَدَّبُ بآدابِهِمْ، وتَقْتَبِسُ الْمَحَاسِنَ من آثارِهِمْ.

ومنها: مَرَاتِبُهُمْ وأَعْصَارُهُمْ، فَيُنَزَّلُونَ مَنازِلَهُمْ، ولا يُقْصَرُ بالْعَالِي في الْجَلالَةِ عن دَرَجَتِهِ، ولا يُرْفَعُ غيره عن مَرْتَبَتِهِ. وقد قال الله تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[1].

---

(1) سورة يوسف، الآية: 76.

وقالَ رَسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ: «لِيَلِيَنِّي مِنْكُمْ أُولُو الْأَحْلَامِ والنُّهَى، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثَلَاثًا»(1).

وعن عائِشَةَ رضي الله عنها قالتْ: «أَمَرَنَا رَسُولُ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ أنْ نُنَزِّلَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ»(2).

ومنها: أَنَّهُمْ أئِمَّتُنَا وأسْلافُنَا؛ كَالْوَالِدِينَ لنا، وأَجْرى علينا في مَصَالِحِ آخِرَتِنَا الَّتِي هي دارُ قَرارِنا، وَأَنْصَحُ لنا فيما هو أَعْوَدُ علينا، فَيَقْبُحُ بنا أن نَجْهَلَهُمْ، وأن نُهْمِلَ مَعْرِفَتَهُمْ.

ومنها: أنْ يَكونَ الْعَمَلُ بِقَوْلِ أَعْلَمِهِمْ وَأَوْرَعِهِمْ إذا تَعَارَضَتْ أَقْوالُهُمْ.

وَغَيْرُ ذَلِكَ من الْفَوَائِدِ.

إذا عَرَفْتَ هذا، فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا بُدَّ أَوَّلًا من ذِكْرِ مُقَدِّمَةٍ في بَيانِ حَصْرِ الْعُلومِ على الْإِجْمالِ. ثُمَّ الشُّروعُ في تَفْصيلِ كُلِّ نَوْعٍ منها أُصولًا وفُروعًا.

---

(1) مصنف عبد الرزاق: 2/ 44، مسند الحميدي: 1/ 417، مسند أحمد: 7/ 380، سنن ابن ماجه: 1/ 312، سنن أبي داود: 2/ 13.

(2) صحيح مسلم: 1/ 176، رقم: 189.

مُقَدِّمَةٌ:

اِعْلَمْ أنَّ لِلأشْياءِ وُجودًا في أَرْبَعِ مَرَاتِبَ: في الْكِتابَةِ، والْعِبارَةِ، والْأَذْهانِ، وَالْأعْيانِ. وكُلُّ سَابِقٍ منها وَسِيلَةٌ إلى اللَّاحِقِ، لِأَنَّ الْخَطَّ دالٌّ على الْألْفاظِ. وهذه على ما في الْأَذْهانِ. وهذا على ما في الْأَعْيانِ. ولا يَخْفَى أنَّ الْوُجودَ الْعَيْنِيَّ هو الْوُجودُ الْحَقيقيُّ الْأَصيلُ. وفي الْوُجودِ الذِّهنيِّ خِلافٌ في أنَّهُ حَقيقيٌّ أو مَجازِيٌّ. وأمَّا الأوَّلانِ: فَمَجازِيانِ قَطْعًا. ثُمَّ الْعِلْمُ الْمُتَعَلِّقُ بالثَّلاثِ الْأُوَلِ آلِيٌّ اَلْبَتَّةَ. وأمَّا الْعِلْمُ الْمُتَعَلِّقُ بالْأَعْيانِ، فإمَّا عَمَلِيٌّ لا يُقصَدُ به حُصولُ نَفْسِهِ بل غيرِهِ، أو نَظَرِيٌّ يُقْصدُ به حُصولُ نَفْسِهِ فقط.

ثُمَّ كُلٌّ منهما إمَّا أن يُبْحَثَ فيه مِنْ حيثُ إنَّهُ مَأخوذٌ من الشَّرْعِ، فهو الْعِلْمُ الشَّرْعِيُّ، أو من حيثُ إنَّهُ مُقْتَضَى الْعَقْلِ فقط، فهو الْعِلْمُ الْحِكْمِيُّ. فهذه هي الْأُصولُ السَّبْعَةُ. وَلِكُلٍّ منها أَنْواعٌ، ولأنْواعِها فُروعٌ، يَبْلُغُ الْكُلُّ على ما اجْتَهَدْنا في الْفَحْصِ والتَّنْقِيرِ عنه بِحَسَبِ مَوْضوعاتِهِ وَأَسامِيهِ، وَتَتَبُّعِ ما وَقَعَ فيه من الْمُصَنَّفَاتِ إلى مِئَةٍ وخَمْسينَ نَوْعًا. ولَعَلِّي سَأزيدُ عليه بعد هذا إنْ شاءَ اللهُ تعالى.

قِيلَ: [الوافر]

لَقَدْ جَادَ الْإِلَـهُ على وُجُودِي   بِمَا أَخْفَاهُ عَنْ خَلْقٍ كَثِيرِ[1]
مِنَ الْعِلْمِ الَّذِي مَا فِيهِ رَيْبٌ   ولَا شَكٌّ لَدَى الْفَطِنِ الْخَبِيرِ

(1) البيتان لابن العربي الحاتمي، وهما في الفتوحات المكية: 7/ 218.

وقالَ بعض الْفُضَلَاءِ: عِلْمُ التَّفسير، لا يَتِمُّ إلَّا بِأَرْبَعٍ وَعِشرينَ عِلْمًا، على ما هو الْمُخْتارُ عند الْمُفَسِّرينَ.

وعَدَّ الإمامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ الله، في مَجْلِسِ الرَّشيدِ ثَلاثَةً وسِتِّينَ نَوْعًا من عُلومِ الْقُرآنِ.

وقال بعضُ الْعُلَماءِ: الْعُلومُ الْمُسْتَخْرَجَةُ مِنَ الْقُرْآنِ ثَمانونَ عِلْمًا، وَدَوَّنَ فيها كِتابًا.

وَقيلَ: إنَّ الْعُلومَ الْحِكْمِيَّةَ تَتَضَمَّنُ خَمْسَةَ عَشَرَ فَنًّا، إلَّا أنَّ فُروعَهَا أَكْثَرُ من خَمْسينَ. كما سَتَقِفُ عليه.

ثُمَّ قال نَقْلًا عن بعض الْعُلَماءِ: إنَّ الْعُلومَ الْمُدَوَّنَةَ ثَلاثُمِئَةٍ وَسِتَّةٌ وسِتُّونَ عِلْمًا. ثُمَّ قالَ: والْمُخْتارُ عِنْدِي أنَّ عَدَدَ الْعُلومِ أَكْثَرُ مِنْ أنْ يَضْبِطَهُ الْقَلَمُ.

ونَقَلَ الْإمامُ الْغَزالِيُّ عن بَعْضِهِمْ: أنَّ الْقُرْآنَ يَحْوِي سَبْعًا وَسَبْعِينَ أَلْفَ عِلْمٍ وَمِئَتَيْ عِلْمٍ. نَقَلَهُ في الْإحْياءِ[1] في كِتابِ آدابِ التِّلاوَةِ في الْبابِ الرَّابِعِ منه.

ونَقَلَ السُّيُوطِيُّ عن الْقَاضِي أبي بَكْرِ ابْنِ الْعَرَبِيِّ أنه ذَكَرَ في "قانونُ التَّأويلِ" أَنَّ عُلومَ الْقُرْآنِ خَمْسونَ عِلْمًا وأَرْبَعُمِئَةِ عِلْمٍ وَسَبْعَةُ آلافِ عِلْمٍ وَسَبْعونَ أَلْفَ عِلْمٍ على عَدَدَ كَلِمِ الْقُرآنِ، مَضْروبَةٌ في أَرْبَعَةٍ، إذْ لِكُلِّ عِلْمٍ ظَهْرٌ وَبَطْنٌ، وَحَدٌّ وَمَطْلَعٌ[2].

(1) الإحياء: 1/ 289.

(2) قانون التأويل: 540.

ونُقِلَ عن الْغَزالِيِّ أيْضًا أنَّ مِنَ الْعِلْمِ ما اسْتَأْثَرَ الله تعالى بِعِلْمِهِ، ولم يُطْلِعْ عليه أحَدًا. ومنها ما يَعْرِفُهُ الْمَلائِكَةُ دونَ الْبَشَرِ. ومنها ما يَعْرِفُهُ الْأَنْبِياءُ دونَ مَنْ عَداهُمْ. ومنها ما تَصَوَّرَهَا أَذْهانُ الْعُلماءِ ولم يُدَوِّنُوهَا في الْكُتُبِ. ومنها ما دَوَّنُوهَا ثم ضاعَتْ كُتُبُهَا، وانْطَمَسَتْ آثارُها، وانْقَطَعَتْ أَخْبارُها. والْعِلْمُ عند الْمَلِكِ الْعَلَّامِ.

وَقيلَ: [البسيط]

عِنْدَ الْإِلَـهِ عُلُومٌ لَيْسَ يَعْرِفُهَـا ... إلَّا لَبِيبٌ له في الْوَزْنِ رُجْحَانُ[1]

للهِ فِي ذَاكَ سِـرٌّ لَيْسَ يَعْرِفُهُ ... إلَّا فَرِيدٌ وذَاكَ الْفَرْدُ إنْسَانُ[2]

إذا عَرَفْتَ[3] هذا فَاعْلَمْ أنَّا نُرَتِّبُ الْكَلَامَ[4] في هذه الرِّسالَةِ على سَبْعِ دَوْحَاتٍ. كُلٌّ منها في بَيانِ أَصْلٍ من الْأُصولِ السَّبْعَةِ. ثمّ نَذْكُرُ في كُلِّ دَوْحَةٍ شُعَبًا لِبَيانِ الْفُروعِ.

ومِنَ اللهِ التَّوْفيقُ لِحُسْنِ الِاخْتِتامِ، إنَّهُ مُيَسِّرُ كُلِّ مَرَامٍ.

---

(1) البيتان لابن العربي الحاتمي، وهما في الفتوحات المكية: 7/ 196.

(2) ليس يعلمه، في الفتوحات المكية.

(3) علمت، في مراد ملا.

(4) أنَّ ترتيبَ الكلامِ، في مراد ملا.

الدَّوْحَةُ الأولى: في بَيانِ الْعُلومِ الْخَطِّيَّةِ

وفيها مقدمةٌ وشُعْبَتَانِ

الْمُقَدِّمَةُ: في فَضيلَةِ الْخَطِّ وَبَيانِ الْحاجةِ إليه وكَيْفِيَّةِ وَضْعِهِ

أمَّا فَضِيلَتُهُ نَقْلًا، فَقَوْلُهُ تعالى: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[1]. فأضافَ تَعْليمَ الْخَطِّ إلى نَفْسِهِ، وامْتَنَّ به على عِبادِهِ. وناهيكَ بذلك شَرَفًا.

وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾[2]، فأقْسَمَ بما يَسْطُرُونَهُ.

وعن ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، في قَوْلِه تَعالى: ﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ﴾[3]، إنَّهُ الْخَطُّ.

ويُروى أنَّ سُلَيْمانَ عليه السَّلامُ سَأَلَ عِفْريتًا عن الْكَلامِ، فقال: رِيحٌ لا تَبْقَى. قال: فما قَيْدُهُ؟ قال: الْكِتابَةُ.

وقال عبدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ: الْخَطُّ لِسَانُ الْيَدِ[4].

وقالَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى: الْخَطُّ سِمْطُ الْحِكْمَةِ، وبه يُفَصَّلُ شُذُورُهَا، وَيَنْتَظِمُ مَنْثُورُهَا[5].

---

(1) سورة العلق، الآية: 3-5.

(2) سورة القلم، الآية: 1.

(3) سورة الأحقاف، الآية: 4.

(4) البصائر والذخائر: 1/ 92.

(5) المصدر نفسه: 2/ 75.

وقال إبْراهيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الشَّيْبانِيُّ: الْخَطُّ لِسَانُ الْيَدِ، وَبَهْجَةُ الضَّمِيرِ، وَسَفِيرُ الْعُقُولِ، وَوَصِيُّ الْفِكْرِ، وسِلاحُ الْمَعْرِفَةِ، وَأُنْسُ الْإِخْوانِ عند الْفُرْقَةِ، ومُحادَثَتُهُمْ على بُعْدِ الْمَسافَةِ، وَمُسْتَوْدَعُ السِّرِّ وَديوانُ الْأُمورِ(1).

وأمَّا عَقْلًا، فلو لَمْ يَكُنْ مِنْ شَرَفِ الْخَطِّ إلَّا أنَّ الله تَعالى أَنْزَلَهُ على آدَمَ، أو هودٍ عليهما السَّلام، وَأَنْزَلَ الصُّحُفَ على الْأَنْبياءِ مَسْطورَةً، وَأَنْزَلَ الْأَلْواحَ على موسى عليه السَّلامُ مَكْتوبَةً، لكانَ فيه كِفايَةٌ.

وَأَيْضًا ليسَ يَذْكُرُ ذاكِرٌ شَيْئًا مما يَجْرِي به الْخَطُّ، أو يَمِيلُ إليه الْعَقْلُ، أو يُلْقِيهِ الْفَهْمُ، أو يَقَعُ عليه الْوَهْمُ، أو تُدْرِكُهُ(2) الْحَوَاسُّ، إلا والْكِتابُ مُوَكَّلٌ به، ومُدَبِّرٌ له، وَمُعَبِّرٌ عنه، فَلَمْ تَكْتَفِ منه أُمَّةٌ بأمَّةٍ، ولم تَسْتَغْنِ عنه مِلَّةٌ دون مِلَّةٍ.

وَأَيْضًا [به](3) ظَهَرَتْ خاصَّةُ النَّوْعِ الْإِنْسانِيِّ من الْقُوَّةِ إلى الْفِعْلِ. وَامْتازَ به عن سائِرِ الْحَيَوانِ في حِفْظِ الْعُلومِ في الْأَدْوارِ، وَاسْتِمْرارِها على الْأَكْوَارِ، وانْتِقالِ الْأَخْبارِ من زَمانٍ إلى زَمانٍ، وحَمْلِ سِرٍّ مِنْ مَكانٍ إلى مَكانٍ.

وَأَيْضًا فإِنَّ فيه من حِفْظِ الْحُقوقِ، ومَنْعِ تَمَرُّدِ ذَوِي الْعُقوقِ، بما يُسَطَّرُ عليهم من الشَّهاداتِ الَّتِي تَقَعُ في السِّجِلَّاتِ والْمُكاتَباتِ بين النَّاسِ لِحَوائِجِهِمْ من الْمَسافاتِ الْبَعيدَةِ الَّتِي لا يَنْضَبِطُ مِثْلُ ذلك لِحامِلِ رِسالَةٍ، ولا يَنالُهُ الْحاضِرُ بِمُشافَهَةٍ، وإنْ كَثُرَ حِفْظُهُ، وَزَادَتْ بَلَاغَتُهُ. ولذلك قِيلَ:

---

(1) ينظر صبح الأعشى: 3/ 3-4. وقد اعتمد عليه في مقدمته هذه اعتمادا كليا.

(2) يدركه، في قونية وأنطاليا.

(3) سقط من مراد ملا.

الْخَطُّ أَفْضَلُ من اللَّفْظِ، لِأَنَّ اللَّفْظَ يُفْهِمُ الْحاضِرَ فقط، والْخَطُّ يُفْهِمُ الْحاضِرَ والْغائِبَ.

وَلِلَّهِ دَرُّ الْقائِلِ في وَصْفِ الْقَلَمِ: [المتقارب]

وَأَخْرَسُ يَنْطِقُ بِالْمُحْكَمَاتِ وَجُثْمَانُهُ صَامِتٌ أَجْوَفُ[1]
بِمَكَّةَ يَنْطِقُ في خُفْيَةٍ وَبِالشَّامِ مَنْطِقُهُ يُعْرَفُ

ومِنْ فَضْلِ الْقَلَمِ: أَنَّهُ أَوَّلُ الْمَخْلوقاتِ. لِمَا رُوِيَ عن عُبادَةَ بن الصَّامِتِ قال، قالَ رَسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ: «أَوَّلُ ما خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ. فقال له: اكْتُبْ، فَجَرَى بما هو كَائِنٌ إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[2].

وهذا اخْتِيَارُ ابنِ عَبَّاسٍ، والْحَسَنِ، وعَطاءٍ، ومُجاهِدٍ، وَعامَّةِ الْعَلَماءِ.

وَقالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ، وقَالَ له: اِجْرِ بما هُوَ كَائِنٌ إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[3]. فَجَرَى على اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ بذلكَ.

وفي رِوايَةٍ عن ابنِ عَبَّاسٍ: «فَسَبَّحَ الله تعالى وَمَجَّدَهُ أَلْفَ عَامٍ، قَبْلَ أَنْ يَكْتُبَ الْمُقَدَّرَاتِ»[4].

---

(1) البيتان بدون نسبة في صبح الأعشى: 3/ 6.

(2) مسند الطيالسي: 1/ 471، مصنف ابن أبي شيبة: 20/ 168، مسند أحمد: 37/ 378، التاريخ الكبير: 6/ 92، سنن أبي داود: 7/ 86، سنن الترمذي: 4/ 27.

(3) مسند أحمد: 37/ 378، مسند ابن الجعد: 494، مصنف ابن أبي شيبة: 7/ 264، الإبانة الكبرى لابن بطة: 371.

(4) ينظر: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: 1/ 21.

قال: وهو من زُمُرَّدَةٍ خضرَاءَ، طولُهُ أَلْفُ عامٍ، وهو مَشْقوقٌ بِالنُّورِ، ولمَّا نَظَرَ اللهُ إليه انْشَقَّ نِصْفَينِ[1] من هَيْبَةِ الله تعالى[2].

فَإِنْ قيلَ: فهذا الْقَلَمُ مُكَلَّفٌ أم لا؟

فَالْجَوابُ: أنَّهُ مُكَلَّفٌ بأَشْياءَ مَخْصوصَةٍ. وهي الْكِتابَةُ والْجَرَيَانُ، بِخِلافِ الْإِنْسانِ فإنَّهُ مُكَلَّفٌ مُطْلَقٌ.

فإنْ قيلَ: فقد أَقْسَمَ اللهُ به، بِقَوْلِهِ: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾[3]، فمِنْ أَيْنَ تَسَلَّطَ عليه الْقَطُّ[4]؟

فَالْجَوابُ: أنَّ هذا الْقَلَمَ ما احْتاجَ قَطُّ إلى قَطٍّ، وإنَّما احْتيجَ إليه في هذا الْقَلَمِ لِيَذْهَبَ عنه الْفُضولُ والْبُؤْسُ. ألا تَرَى أنَّ حَياةَ الشَّمْعَةِ في ضَرْبِ الْعُنُقِ.

رُوِيَ عن ابْنِ الْمُقَفَّعِ أنَّهُ قال: الْأَقْلامُ مَطايا الْفُطْنِ، وَرُسُلُ الْكِرامِ، وبَيانُ الْبَنانِ[5]، وقِوامُ الْأُمورِ بِشَيْئَيْنِ بالْقَلَمِ والسَّيْفِ، والْقَلَمُ فَوْقَ السَّيْفِ. وأَنْشَدَ: [البسيط]

إِنْ يَخْدُمِ الْقَلَمُ السَّيْفَ الَّذِي خَضَعَتْ ... لـه الرِّقَـابُ وَكَلَّـتْ دُونَـهُ الأُمَمُ[6]

---

(1) بنصفين، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

(2) ينظر: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: 1/ 21.

(3) سورة القلم، الآية: 1.

(4) القطُّ: القطع عامة، وقيل: القطع عرضا، ومنه قط القلم. اللسان: قطط.

(5) بنان البيان، في مراد ملا. وبيان البنيان، في أنطاليا.

(6) البيتان في مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: 1/ 22، بدون نسبة، ونسبا في صبح الأعشى: 2/ 477 لأبي تمام، ولم نقف عليهما في ديوان شعره.

كَذَا قَضَى اللهُ لِلْأَقْلَامِ مُذْ بُرِيَتْ أَنَّ السُّيوفَ لها مُذْ أُرْهِفَتْ خَدَمُ

ولِأَبِي تَمَّامٍ الطَّائِيِّ: [الكامل]

ولَضَرْبَةٌ مِنْ كَاتِبٍ بِبَنَانِهِ أَمْضَى وَأَبْلَغُ مِنْ دَقِيقِ حُسَامِ[1]
قَوْمٌ إِذَا عَزَمُوا عَدَاوَةَ حَاسِدٍ سَفَكُوا الدِّمَاءَ بِأَسِنَّةِ الْأَقْلَامِ

قيلَ: وقد نَاقَضَ أبو تمام قولَهُ: [البسيط]

السَّيْفُ أَصْدَقُ أنْبَاءً من الْكُتُبِ[2].

قُلْتُ: لا تَناقُضَ لأَنَّهُ أرادَ بالْكُتُبِ كُتُبَ النُّجُومِ، لا مُطْلَقًا على ما شَهِدَتْ به الْواقِعَةُ.

ومِنْ أحْسَنِ ما قيلَ في هذا الْبابِ: [البسيط]

قَوْمٌ إِذَا أَخَذُوا الْأَقْلَامَ مِنْ غَضَبٍ ثُمَّ اسْتَمَدُّوا بها مَاءَ الْمَنِيَّاتِ[3]
نَالُوا بها مِنْ أَعَادِيهِمْ وإِنْ كَثُرُوا ما لا يُنَالُ بِحَدِّ الْمَشْرَفِيَّاتِ

وأمَّا وَجْهُ الْحاجَةِ إلى الْخَطِّ، فَاعْلَمْ أنَّ فائِدَةَ التَّخَاطُبِ والْمُحَاوَرَاتِ في إفَادَةِ الْعُلُومِ واستفادَتِهَا لمَّا لم تَتَبَيَّنْ للطَّالِبينَ إلَّا بالألْفاظِ وأحْوالِهَا، كان ضَبْطُ أحْوالِها مِمَّا اعْتَنى بها الْعُلماءُ الْعامِلونَ، والْفُضلاءُ الْكامِلونَ،

---

(1) البيتان في تفسير الثعلبي: 10/ 8، ومرآة الزمان في تواريخ الأعيان: 1/ 22 بالنسبة نفسها، ولم نقف عليهما في ديوان شعره.

(2) هو الشطر الأول من مطلع قصيدة مشهورة لأبي تمام في فتح عمورية، وتمامه: في حَدِّهِ الحدُّ بين الجِدِّ واللَّعبِ. ينظر ديوان شعره: 1/ 40.

(3) نسبا في مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: 1/ 23 للبحتري، ولم نقف عليهما في ديوان شعره.

فَاسْتَخْرَجوا من أَحْوالِها عُلومًا انْقَسَمَ أنواعُها إلى اثْنَيْ عَشَرَ قِسْمًا، وسَمَّوْهَا بالْعُلومِ الْأَدَبيَّةِ. لِتَوَقُّفِ أَدَبِ[1] النَّفْسِ والدَّرْسِ عليها. وبالْعُلومِ الْعَرَبيَّةِ أيْضًا، لِبَحْثِهِمْ عن الْأَلْفاظِ الْعَرَبيَّةِ فقط، لِوُقوعِ شَريعَتِنَا الَّتِي هي أَفْضَلُ الشَّرائِعَ وأَعْلاها، وَأَحْسَنُها وأَوْلاها، على أَفْضَلِ اللُّغاتِ وأَكْمَلِها ذَوْقًا وَوِجْدانًا، بَلْ يَقينًا وبُرْهانًا، وهي لُغَةُ الْعَرَبِ، الَّتِي هي أَوْسَطُ الْأُمَمِ وَأَكْرَمُهُمْ، وَفَصُّهُمْ في الصِّياغَةِ[2]، وأَخَصُّهُمْ في الْبَلاغَةِ.

ثُمَّ إنَّ أَرْبابَ الْهِمَمِ من بين الْأُمَمِ لَمَّا لم يَكْتَفوا بِالْمُحاوَرَةِ في إِشاعَةِ هذه النِّعَمِ - لِاخْتِصاصِهَا بالْحاضِرينَ - سَمَتْ هِمَّتُهُمُ السَّامِيَةُ إلى إطْلاعِ الْغائِبينَ، بلِ الَّذينَ سَيُولَدُونَ بَعْدَهُمْ على ما اسْتَنْبَطُوهُ من الْمَعارِفِ والْعُلومِ، وَأَتْعَبُوا نُفُوسَهُمْ في تَحْصِيلِهَا وتَدْوِينِهَا، لِيَنْتَفِعَ بها عُلَماءُ الْأَقْطارِ، ولِتَزْدادَ الْعُلومُ بِتَلَاحُقِ الْأَفْكارِ. بَحَثوا عن أَحْوالِ الْكِتابَةِ الثَّابِتَةِ نُقُوشُهَا على وَجْهِ كُلِّ زَمانٍ، وعَنْ حَرَكاتِها وسَكَناتِها، ونُقَطِهَا وضَوابِطِها مِنْ شَدَّاتِها وَمَدَّاتِها، وعن تَرْكيبِها وَتَسْطيرِها، لِيَنْتَقِلَ منها النَّاظِرونَ إلى الْأَلْفاظِ والْحُروفِ، ومنها إلى الْمَعانِي الْحاصِلَةِ في الْأَذْهانِ.

وإِنَّمَا لم يَضَعُوا الْكِتابَةَ بإِزاءِ ما في الْأَعْيانِ، بأَنْ يَضَعُوا لِلْجَوْهَرِ مَثَلًا نَقْشًا، ولِلْعَرَضِ نَقْشًا آخَرَ، لِئَلَّا يَلْزَمَ عَدَمُ فَهْمِ الْأَلْفاظِ من الْكِتابَةِ، إذ لا يَلْزَمُ

---

(1) فَتَوَقَّفَ أدبُ، في مراد ملا.

(2) كتب تحتها في نسخة أنطاليا: لعلها وأفصحهم في الفصاحة.

من الدَّلالَةِ على الْمَدْلولِ الدَّلالَةُ على دَوَالِّه، بِخِلافِ ما إذا وُضِعَ بإزاءِ الْأَلْفاظِ، إذْ يَلْزَمُ من الدَّلالَةِ على الدَّالِّ الدَّلالَةُ على مَدْلُولِهِ.

وأيْضًا لم يَضَعُوهَا بإزاءِ ما في الْأَذْهانِ، لِاعْتِيادِ الْمُفَكِّرَةِ بِتَخَيُّلِ الْألْفاظِ عند تَصَوُّرِ الْمَعاني، حتى كأنَّ الْمُفَكِّرَ يُناجِي نَفْسَهُ بِأَلْفاظٍ يَتَخَيَّلُهَا عند الْفِكْرِ. ولِعُسْرِ الِانْتِقالِ حِينَئِذٍ إلى اللَّفْظِ، إذِ الِانْتِقالُ من الْمَدْلولِ إلى الدَّالِّ أَصْعَبُ من عَكْسِهِ. ألَا تَرَى أنَّ إنْشاءَ الْأَلْفاظِ بِإزاءِ ما في النَّفْسِ مِنَ الْمَعاني أَشَقُّ عند النَّفْسِ من فَهْمِ الْمَعانِي من الْألْفاظِ[1].

وأمَّا كَيْفِيَّةُ وَضْعِهِ، فقيلَ: أوَّلُ مَنْ وَضَعَ الْخَطَّ آدَمُ عليه السَّلامُ، كَتَبَهُ في طِينٍ وطَبَخَهُ، فَأَصابَ بَعْدَ الطُّوفانِ كُلُّ قَوْمٍ كِتابَهُمْ وخَطَّهُمْ. وقيلَ: أَخْنُوخُ، وهو إدْريسُ عليه السَّلامُ. وقيلَ: هُودُ عليه السَّلامُ. وقيل: أُنْزِلَتْ على آدم عليه السَّلامُ في إحْدَى وعِشرينَ صَحيفَةً. والْأَصَحُّ أنَّها تَوْقِيفِيَّةٌ كلُّهَا، أو بعضُها، ولا تَبَايُنَ بين هذه الْأَقْوالِ، لِجَوازِ نُزولِ الْخَطِّ على كُلٍّ منها.

وعن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عنهما، أنَّ أوَّلَ مَنْ وَضَعَ الْخَطَّ الْعَرَبِيَّ ثَلاثَةُ رِجالٍ من بَوْلَانَ[2]، وهي قَبيلَةٌ من قَبيلَةِ طَيِّءٍ، نَزَلوا مَدينَةَ الْأَنْبَارِ، فَأَوَّلُهُمْ: مَرَّارٌ[3]، وهو وَضَعَ الصُّوَرَ. وثانيهم: أَسْلَمُ، فهو وَصَلَ وَفَصَلَ. وثالِثُهم:

---

(1) ينظر رسالة في العلوم الشرعية والعربية للتوقاتي: 23.

(2) بنو بولان - بفتح الباء وسكون الواو نون في الآخر - بطن من طيء من القحطانية، وهم بنو بولان واسمه عصين بن عمرو ابن طيء. نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب: 183.

(3) مُرامِرُ بن مُرَّةَ في صبح الأعشى: 3/ 12، مصدر النقل ومصادر أخرى.

عَامِرُ، فَوَضَعَ الْإِعْجَامَ[1]. ثم نُقِلَ هذا الْعِلْمُ إلى مَكَّةَ، وتَعَلَّمَهُ من تَعَلَّمَهُ، وَكَثُرَ في النَّاسِ، وتَدَاوَلُوهُ.

ونَقَلَ الْجَوْهَرِيُّ عن شَرْقِيِّ[2] بنِ الْقَطَامِيِّ: أَنَّ أَوَّلَ مَنْ وَضَعَهُ رِجالٌ من طَيِّءٍ، منهم مُرارَةَ بْنُ مُرَّةَ.

وقيلَ: أَوَّلُ مَنِ اخْتَرَعَهُ سِتَّةُ أَشْخاصٍ من طَسْمٍ[3]، كانوا نُزولًا عند عَدْنَانَ بنِ أُدَدٍ، وكانتْ أَسْماؤُهُمْ: أَبَجَدَ وَهَوَّزَ وحُطَيَّ وكَلَمُنَ وسَعْفَصَ وقُرِشَتَ. فَوَضَعُوا الْكِتابَةَ والْخَطَّ على أَسْمائِهِمْ، وما شَذَّ مِنْ أَسْمائِهِمْ من الْحُروفِ، أَلْحَقوهَا وسَمَّوهَا الرَّوادِفَ[4]، وهي: ثَخَذُ وضَظَغُ[5].

(1) ينظر صبح الأعشى: 3/ 12، 149.

(2) شرقي، في النسخ الخطية والصواب ما أثبتنا، وهو الوليد بن الحصين الكوفي المعروف بشرقي بن القطامي، عالم بالآداب والأنساب والأخبار، من أهل الكوفة، استقدمه المنصور إلى بغداد لتعليم ولده المهدي، (ت.نحو 155هـ). ترجمته في: التاريخ الكبير: 5/ 420، المعارف: 234، تاريخ بغداد: 15/ 612، الوافي بالوفيات: 16/ 77.

(3) بنو طَسْمٍ: قبيلة من العرب العاربة، قال ابن الكلبي، والطبري: وهم بنو طسم بن لاوذ بن سام بن نوح، وذكر الجوهري أنهم من عاد قال: وكانت منازلهم الأحقاف من اليمن مع جديس، وذكر في العبر: أن ديارهم كانت اليمامة، وأنها كانت يومئذ من أخصب البلاد وأعمرها، وسبب هلاكهم حربهم مع إخوانهم من جديس. نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب: 324.

(4) ينظر العقد الفريد: 4/ 39.

(5) ألف السيوطي رسالة في حروف الهجاء، وذكر وجوه ضبطها وإعرابها وهي مطبوعة ضمن كتاب جلال الدين السيوطي مسيرته العلمية ومباحثه اللغوية، لمصطفى الشكعة.

ويُروى أَنَّها أَسْماءُ مُلوكِ مَدْيَنَ، وأنَّ كَلَمُنَ كانَ في زَمَنِ شُعَيْبٍ عليه السَّلامُ. ثُمَّ انْتَقَلَ الْخَطُّ عنهم إلى الْأَنْبَارِ، واتَّصَلَ بِأَهْلِ الْحِيرَةِ، وفَشَا في الْعَرَبِ، ثم انْتَشَرَ بعد الْمَبْعَثِ.

وَقِيلَ: إنَّ نَفيسًا ونَصْرًا وتَيْمًا ودُومَةَ بني إسْماعيلَ، وَضَعوا كِتابًا واحِدًا، وجَعَلوهُ سَطْرًا واحِدًا، مَوْصولَ الْحُروفِ كُلِّهَا غَيْرَ مُتَفَرِّقٍ[1]، ثم فَرَّقَهُ نَبْتٌ وهَمَيْسَعُ وَقَيْذارُ، وَجَعَلوا الْأَشْباهَ والنَّظائِرَ.

وعن هِشامٍ[2] عن أَبِيهِ مُحَمَّدٍ قال: أَخْبَرَني قَوْمٌ من عُلَماءِ مِصْرَ أنَّ أوَّلَ مَنْ كَتَبَ الْخَّطَ الْعَرَبِيَّ رَجُلٌ مِنْ بني النَّضْرِ بنِ كِنانَةَ[3].

وفي السِّيرة، لابْنِ هِشامٍ: أنَّ أَوَّلَ من كَتَبَ بِالْخَطِّ الْعَرَبِيِّ حِمْيَرُ بْنُ سَبَإٍ، عُلِّمَهُ في الْمَنامِ.

قال السُّهَيْلِيُّ في "التَّعْرِيفُ والإِعْلَامُ"[4]: وَالْأَصَحُّ ما رَوَيْنَاهُ من طَرِيقِ أَبي عُمَرَ ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ يَرْفَعُهُ إلى النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ قال: «أَوَّلُ مَنْ كَتَبَ بالْعَرَبِيَّةِ إِسْمَاعِيلُ عليه السَّلامُ»[5].

---

(1) متفرقة، في رئيس الكتاب ومراد ملا.

(2) يقصد هشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت.204هـ).

(3) ينظر العقد الفريد: 4/ 39، وصبح الأعشى: 3/ 13، والنقل منه.

(4) التَّعْرِيف والإعلام فيما فِي الْقُرْآن من الْأَسْمَاء الْأَعْلَام.

(5) الروض الأنف: 1/ 78، صبح الأعشى: 3/ 14.

وَقيلَ لابْنِ عَبَّاسٍ: مِنْ أَيْنَ تَعَلَّمْتُمُ الْهِجاءَ وَالْكِتابَ وَالشَّكْلَ؟ قال: عَلَّمَناهُ حَرْبُ بنُ أُمَيَّةَ. قيلَ: مِنْ أَيْنَ عُلِّمَهُ حَرْبُ بْنُ أُمَيَّةَ؟ قال: طارِئٌ طَرَأَ عليه مِنَ الْيَمَنِ. قيلَ: مِنْ أينَ عُلِّمَهُ ذلك الطَّارِئُ؟ قال: كانَ كاتِبَ الْوَحْيِ لِهودٍ عليه السَّلامُ.

وَذَكَرَ أبو عَمْرٍو الدَّانِيُّ في كِتابِ: "التَّنْبيهُ على النَّقْطِ والشَّكْلِ" نَحْوَهُ[1].

وَقيلَ: أَوَّلُ ما ظَهَرَتْ بِالْيَمَنِ مِنْ قِبَلِ أبي سُفْيانَ بنِ أُمَيَّةَ، عَمِّ أبي سُفْيانَ ابنِ حَرْبٍ، وأَتَتْهُ من قِبَلِ رَجُلٍ من أهْلِ الْحِيرَةِ. قالَ أَهْلُ الْحِيرَةِ: أَخَذْناها من أَهْلِ الْأَنْبارِ، وَتَعَلَّمَ من أبي سُفْيانَ بنِ حَرْبٍ عُمَرُ بنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، وجَماعَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ. وتَعَلَّمَهُ مُعاويَةُ بْنُ أبي سُفْيانَ مِنْ عَمِّهِ سُفْيانَ. وأمَّا الْأَوْسُ والْخَزْرَجُ تَعَلَّمُوهُ مِنْ يَهودِيٍّ، فَجاءَ الإسْلامُ وفيهم بِضْعَةَ عَشَرَ يَكْتُبونَ؛ كَسَعْدِ بنِ زُرارَةَ، والْمُنْذِرِ بنِ عَمْرٍو، وأُبَيِّ بنِ كَعْبٍ، وزَيْدِ بنِ ثابِتٍ. وهم يَكْتُبونَ الْكِتابَيْنِ جَميعًا الْعَرَبِيَّةَ والْعِبْرانِيَّةَ. ومنهم رَافِعُ بنُ مَالِكٍ، وأُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ، ومَعْنُ بنُ عَدِيٍّ، وأبو عَبْسِ بْنُ كَثيرٍ، وَأَوْسُ بْنُ خَوْلِيٍّ، وبَشيرُ بنُ سَعْدٍ رضي الله عنهم[2].

واعْلَمْ أنَّ جَميعَ كِتاباتِ الْأُمَمِ من سُكَّانِ الشَّرْقِ والْغَرْبِ اثْنَتا عَشْرَةَ كِتابَةً: الْعَرَبِيَّةُ، والْحِمْيَرِيَّةُ، والْيونانِيَّةُ، والْفارِسِيَّةُ، والسُّرْيانِيَّةُ، والْعِبْرانِيَّةُ، والرُّومِيَّةُ، والْقِبْطِيَّةُ، والْبَرْبَرِيَّةُ، والْأَنْدَلُسِيَّةُ، والْهِنْدِيَّةُ، والصِّينِيَّةُ. فَخَمْسٌ منها اضْمَحَلَّتْ،

---

(1) صبح الأعشى: 3/ 14.

(2) المصدر نفسه: 3/ 14-15.

وذَهَبَ من يَعْرِفُها وهي: الْحِمْيَرِيَّةُ، والْيونانِيَّةُ، والْقِبْطِيَّةُ، والْبَرْبَرِيَّةُ، والْأَنْدَلُسِيَّةُ. وَثَلاثٌ بَقِيَ اسْتِعْمالُها في بِلادِها، وعُدِمَ من يَعْرِفُهَا في بِلادِ الْإِسْلَامِ وهي: الرُّومِيَّةُ، والْهِنْدِيَّةُ، والصِّينِيَّةُ. وَبَقِيَتْ أَرْبَعٌ هي مُسْتَعْمَلاتٌ في بُلْدانِ الْإِسْلامِ وهي: الْعَرَبِيَّةُ، والْفارِسِيَّةُ، والسُّريانِيَّةُ، والْعِبْرانِيَّةُ[1].

قالَ صاحِبُ **"الْأَبْحاثُ الْجَميلَةُ في شَرْحِ الْعَقيلَةِ"**[2]: والْخَطُّ الْعَرَبِيُّ هو الْمَعْروفُ الْآنَ بالْكُوفِيِّ، ومنه اسْتُنْبِطَتِ الْأَقْلامُ الَّتِي هي الآنَ. وَنُقِلَ من الْكُوفِيِّ في أَواخِرِ خِلافَةِ بني أُمَيَّةَ وأوائِلِ خِلافَةِ بني الْعَبَّاسِ، وَأَوَّلُ من كَتَبَ الْخَطَّ البَدِيعَ الْمَنْسوبَ أبو عَلِيٍّ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ حَسَنِ بْنِ مُقْلَةَ الْوَزِيرُ. وَماتَ سَنَةَ ثَمانٍ وَعِشْرينَ وثَلاثِمِئَةٍ[3].

ثُمَّ ظَهَرَ في سَنَةِ ثَلاثَ عَشْرَةَ وأَرْبَعِمِئَةٍ صاحِبُ الْخَطِّ الْبَديعِ الْمَنْسوبِ، عَلِيُّ بنُ هِلالٍ ابْنُ الْبَوَّابِ الْبَغْدادِيُّ[4].

ثُمَّ ظَهَرَ أبو الدُّرِّ يَاقوتُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْمَوْصِلِيُّ أَمِينُ الدِّينِ الْمَكِّيُّ. وتُوُفِّيَ سَنَةَ ثَمانِيَ عَشْرَةَ وسِتِّمِئَةٍ.

---

(1) وفيات الأعيان: 1/ 344.

(2) تنسب لإبراهيم بن عمر بن إبراهيم الجعبري (ت.732هـ).

(3) النقل من صبح الأعشى: 3/ 15.

(4) (ت.423هـ)، ترجمته في: معجم الأدباء: 5/ 1996، وفيات الأعيان: 3/ 342، سير أعلام النبلاء: 17/ 315، صبح الأعشى: 3/ 13.

ثُمَّ ظَهَرَ أبو الدُّرِّ يَاقُوتُ بْنُ عَبْدُ اللهِ الرُّومِيُّ الْحَمَوِيُّ شِهابُ الدِّينِ. وَتوفِّيَ سَنَةَ سَبْعٍ وَسِتِّينَ وسِتِّمِئَةٍ(1).

ثُمَّ ظَهَرَ أبو الدُّرِّ يَاقوتُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الرُّومِيُّ مُهَذَّبُ الدِّينِ. وتُوُفِّيَ سَنَةَ سَبْعٍ وسِتِّينَ وسِتِّمِئَةٍ(2).

ثُمَّ ظَهَرَ أبو الدُّرِّ ياقوتٌ الرُّومِيُّ الْمُسْتَعْصِمِيُّ، وهو الَّذِي طَبَّقَ الْأَرْضَ شَرْقًا وغَرْبًا اسْمُهُ، وسارَ ذِكْرُهُ مَسيرَ الْأَمْطارِ في الْأَمْصارِ، وَأَذْعَنَ لِصَنْعَتِهِ الْكُلُّ، وَاعْتَرَفُوا بِالْعَجْزِ عن مُداناةِ رُتْبَتِهِ فَضْلًا عن الْوُصولِ إليها. لِأَنَّهُ سَحَرَ في الْكِتابَةِ سِحْرًا لو رَآهُ السَّامِرِيُّ لَقالَ: إنَّ هذا سِحْرٌ حَلالٌ. وتُوُفِّيَ هو سَنَةَ ثَمانٍ وَتِسْعينَ وسِتِّمِئَةٍ(3). وإنَّمَا ذَكَرْتُ هذه النُّكْتَةَ لِئَلَّا يَقَعَ الِالْتِباسُ، على كَثيرٍ من النَّاسِ في أَصْحابِ الْخَطِّ الْبَديعِ الْمَنْسوبِ من بُرَعَاءِ الْكُتَّابِ.

(1) الصحيح أنه توفي سنة 626هـ.

(2) الصحيح أنه توفي سنة 622هـ.

(3) المشهور أنه توفي سنة 689هـ.

الشُّعْبَةُ الأولَى: في الْعُلومِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِكَيْفِيَّةِ الصِّناعَةِ الْخَطِّيَّةِ

عِلْمُ أَدَواتِ الْخَطِّ من الْقَلَمِ، وَطَرِيقِ اسْتِعْلام جَيِّدِهَا من رَدِيئِهَا، وطَريقِ بَرْيِهَا، وَأَحْوالِ الْفَتْحِ والنَّحْتِ، والشَّقِّ والْقَطِّ. وَمِنَ **الدَّوَاةِ** وكَيْفِيَّةِ إلَاقَتِهَا، وكَيْفِيَّةِ إصْلاحِ الْمِدَادِ. ومن **الْمِدادِ**، وكَيْفِيَّةِ صَنْعَتِهَا، وأَنْواعِها، وَكَيْفِيَّةِ إصْلاحِها. وَمِنَ **الْكاغِدِ**، ومَعْرِفَةِ[1] جَيِّدِهَا مِنْ رَديئِها، ومَعْرِفَةِ أَنْواعِها، وطَريقِ إصْلاحِها. وَغَيْرِ ذلِكَ مِنْ أَدَواتِ الْكِتابِ.

ومِنْ بَديعِ وَصْفِ الْقَلَمِ: ما حَكاهُ الْعَتَّابِيُّ[2] عن نَفْسِهِ، قالَ: سَأَلَنِي الْأَصْمَعِيُّ قالَ: أيُّ الْأنابِيبِ أَصْلَحُ لِلْكِتابَةِ وعليها أَصْبَرُ؟

قُلْتُ: ما نَشَفَ بالْهَجِيرِ ماؤُهُ، وَسَتَرَ عن تَلْوِيحِهِ غِشَاؤُهُ، من التِّبْرِيَّةِ الْقُشُورِ، الدُّرِّيَّةِ الظُّهورِ، الْفِضِّيَّةِ الْكُسُورِ.

قالَ: فأيُّ نوعٍ من الْبَرْيِ أكْتَبُ وأَصْوَبُ؟

قُلْتُ: الْبِرْيَةُ الْمُسْتَوِيَةُ الْقَطِّ، عن يَمينٍ منها بِرْيَةٌ تَأْمَنُ عليها الْمَجَّةَ عند الْمَطِّ، الْهَواءُ في مَشَقِّهَا فَتِيقٌ، والرِّيحُ في جَوْفِها حَريقٌ، والْمِدادُ في خُرْطومِها رَقيقٌ.

قالَ: فَبَقِيَ الْأَصْمَعِيُّ شاخِصًا ـ أي ضاحِكا ـ لا يُحِيرُ مَسْأَلَةَ ولا جَوابًا[3].

---

(1) من معرفة، في قونية وأنطاليا.

(2) كلثوم بن عمرو التغلبي العتابي أبو عمرو (ت.220هـ).

(3) العقد الفريد: 4/ 255، نهاية الأرب: 7/ 21، صبح الأعشى: 2/ 480.

ومن الْمُصَنَّفاتِ فيه:

تَصْنِيفُ عَلِيِّ بنِ هِلالِ ابْنِ الْبَوَّابِ الْبَغْدادِيِّ، حَيْثُ صَنَّفَ **قَصيدَةً رائِيَّةً** بَليغَةً غايَةَ الْبَلاغَةِ، واسْتَقْصى فيها أَدواتِ الْكِتابَةِ. رَأَيْتُ هذه الْقَصيدَةَ، وطالَعْتُهَا، وَانْتَفَعْتُ بها، سِيَّمَا قَوْلُهُ: [الكامل]

وَارْغَبْ لِكَفِّكَ أَنْ تَخُطَّ بَنَانُهَا خَيْرًا تُخَلِّفُهُ بِدَارِ غُرُورِ[1]
فَجَمِيعُ فِعْلِ الْمَرْءِ يَلْقَاهُ غَدًا عِنْدَ الْتِقَاءِ كِتَابِهِ الْمَنْشُورِ

ونَظِيرُ هذا قَوْلُ الشَّاعِرِ الآخَرِ: [الوافر]

وَمَا مِنْ كَاتِبٍ إلا سَيَفْنَى وَيُبْقِي الدَّهْرُ ما كَتَبَتْ يَدَاهُ[2]
فَلَا تَكْتُبْ بِخَطِّكَ غَيْرَ شَيْءٍ يَسُرُّكَ فِي الْقِيَامَةِ أَنْ تَرَاهُ

فائِدَةٌ:

اعْلَمْ أنَّ أبا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ هِلالٍ الْكاتِبَ الْبَغْدادِيَّ، الْمَعْروفَ بابْنِ الْبَوَّابِ لم يُوجَدْ في الْمُتَقَدِّمِينَ ولا الْمُتَأخرِّينَ من كَتَبَ مِثْلَهُ ولا قَارَبَهُ. وإِنْ كانَ أبو عَلِيٍّ ابنُ مُقْلَةَ، أَوَّلَ من نَقَلَ هذه الطَّريقَةِ من خَطِّ الْكوفِيِّينَ وَأَبْرَزَهَا في هذه الصُّورَةِ، وله بذلك فَضيلَةُ السَّبْقِ، وخَطُّهُ أيْضًا في نِهايَةِ الْحُسْنِ. لكنَّ ابْنَ الْبَوَّابِ هَذَّبَ طَرِيقَتَهُ، ونَقَّحَهَا، وكَساها طَلَاوَةً وَبَهْجَةً.

---

(1) البيتان من نهاية قصيدة طويلة لابن البواب، أوردها ابن خلدون في العبر: 1/ 530.

(2) نسبا لذي النون المصري في روض الرياحين في حكايات الصالحين: 43، ويكتبان كثيرا في نهاية تقييد ختام المخطوطات.

وَقِيلَ: إنَّ صاحِبَ الْخَطِّ الْمَنْسوبِ أَخوهُ أبو عَبْدِ اللهِ الْحَسَنُ. لَكِنَّ الْأَصَحَّ وَالْأَشْهَرَ ما ذَكَرْناهُ أَوَّلًا. وَالْكُلُّ مُعْتَرِفونَ لِأَبِي الْحَسَنِ بالتَّفَرُّدِ وَالسَّبْقِ وَعَدَمِ الْمُشارَكَةِ، ولا يَدَّعُونَ لُحُوقَ شَأْوِهِ، مع أَنَّ في الْخَلْقِ من يَدَّعِي ما لَيْسَ فيه.

ويُقالُ له: ابْنُ السِّتْرِيِّ أيْضًا، لأنَّ أباهُ كان بَوَّابًا، والْبَوَّابُ يُلازِمُ سِتْرَ الْبابِ[1]. وكانَ شَيْخُهُ في الْكِتابَةِ ابْنَ أَسَدِ الْكاتِبَ. وهو أبو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ ابْنُ أَسَدِ بْنِ عَلِيِّ بنِ سَعيدِ الْقَارِيُّ الْكَاتِبُ، الْبَزَّازُ الْبَغْدادِيُّ. تُوُفِّيَ ابْنُ الْبَوَّابِ سَنَةَ ثَلاثٍ وعِشْرينَ أو عَشْرٍ وأَرْبَعِمِئَةٍ بِبَغْدادَ. ودُفِنَ جِوارَ الْإمامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رَضِيَ الله عَنْهُ. وقِيلَ في مَرْثِيَّةِ ابْنِ الْبَوَّابِ: [الكامل]

اِسْتَشْعَرَ الْكُتَّابُ فَقْدَكَ سَالِفًا وَقَضَتْ بِصِحَّةِ ذَلِكَ الْأَيَّامُ[2]
وَلِذَاكَ سُوِّدَتِ الدَّوَاةُ كَآبَةً أَسَفًا عَلَيْكَ وَشُقَّتِ الْأَقْلَامُ[3]

ومن الْمُصَنَّفاتِ في الْعِلْمِ الْمَذْكورِ: تَأْليفُ ياقوتِ الْمُسْتَعْصِمِيِّ، وهو رِسالَةٌ لَطيفَةٌ في هذا الْفَنِّ نافِعٌ في الْغايَةِ.

فائِدَةٌ:

أبو الدُّرِّ ياقوتُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الرُّومِيُّ، كانَ من مَماليكِ الْخَليفَةِ الْمُسْتَعْصِمِ، كَتَبَ الْخَطَّ الْمَنْسوبَ الْبَديعَ، واشْتَغَلَ بالْعلومِ الْعَرَبِيَّةِ بِأَسْرِها،

---

(1) ينظر وفيات الأعيان: 3/ 342.
(2) البيتان بدون نسبة في معجم الأدباء: 6/ 2576، وفيات الأعيان: 3/ 343، وصبح الأعشى: 3/ 18.
(3) سُوِّدت الدُّويُّ، في صبح الأعشى: 3/ 18.

وَفاقَ في النَّظْمِ والنَّثْرِ. وأَكَبَّ على تَعْليمِ الْعِلْمِ وَتَعْليمِ الْكِتابَةِ، وَجَوْدَةُ خَطِّهِ غَنِيَّةٌ عن الْبَيانِ، يَعْرِفُها أَهْلُ كُلِّ زَمانٍ. وتُوُفِّيَ سنَةَ ثَمانٍ وتِسْعينَ وسِتِّمِئَةٍ[1].

وَغَيْرُ هذا عِدَّةُ يَواقيتَ بعضُهم مَشهورٌ بحُسْنِ الْخَطِّ أيضًا، لكِنَّهُمْ لم يَبْلُغوا هذه الْغايَةَ. ويَمْتازُ عنهم بالنِّسْبَةِ إلى الْخَليفَةِ الْمُسْتَعْصِمِ وبِالسِّنِّ.

ومن الْمُصَنَّفاتِ فيه:

الْبَابُ الواحِدُ من كِتابِ **"صُبْحُ الْأَعْشَى في كِتَابَةِ الْإِنْشَا"**، لأبي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ الْقَلْقَشَنْدِيِّ ثُمَّ الْمِصْرِيِّ. وهذا الْكِتابُ سَبْعَةُ أَجْزاءٍ في صِناعَةِ الإنْشاءِ. وكلُّ جُزْءٍ[2] منها مُجَلَّدٌ ضَخْمٌ، لم يُغادِرْ صَغيرَةً ولا كَبيرَةً ممَّا يَتَعَلَّقُ بِصِناعَةِ الْإِنْشاءِ إلَّا أَوْرَدَهَا. ولَقَدْ أَكْثَرَ فيها من الِاسْتِطْرادِ. وَزَعَمَ أَنَّ الْمُنْشِئَ لا بُدَّ له من الْمَعْرِفَةِ بِجَميعِ ما يُمْكِنُ مَعْرِفَتُهُ من الْعُلومِ والْأَحْوالِ[3] والْأَخْبارِ. فَتَعَرَّضَ ما أَمْكَنَ له التَّعَرُّضُ له. وأَوْرَدَ في الْبابِ الْمَذْكورِ ما يَتَعَلَّقُ بِعِلْمِ الْخَطِّ، وَأَجادَ فيه كُلَّ الْإِجادَةِ. وَنَقَلَ أَكْثَرَهُ عن ياقوتٍ الْمُسْتَعْصِمِيِّ.

عِلْمُ قَوانينِ الْكِتابَةِ

وهو عِلْمٌ يُعْرَفُ منه كَيْفِيَّةُ نَقْشِ صُوَرِ الْحُروفِ الْبَسَائِطِ، وكَيْفَ يوضَعُ الْقَلَمُ، وَمِنْ أيِّ جانِبٍ يُبْتَدَأُ في الْكِتابَةِ. وَكَيْفَ يَسْهُلُ تَصْويرُ تِلْكَ الْحُروفِ.

---

(1) ذكر صاحب الأعلام أنه توفي سنة 689هـ.

(2) مجلد، في قونية ورئيس الكتاب وأنطاليا.

(3) الأقوال، في قونية.

ومن الْمُصَنَّفات فيه:

الْبابُ الْواحِدُ من كِتابِ: "**صُبْحُ الأَعْشَى**"[1].

عِلْمُ تَحْسينِ الْحُروفِ

عِلْمٌ يُعْرَفُ منه تَحْسينُ تِلْكَ النُّقوشِ، وما يَتَعَلَّقُ به من أَدَواتِ الْكِتابَةِ، وكَيْفِيَّةُ اتِّخاذِها، وَتَمْييزُ جَيِّدِهَا عن رَديئِها، وأَسْبابُ الْحُسْنِ في الْحُروف آلَةً واسْتِعْمالًا وتَرْتيبًا.

وَمَشاهيرُ الْخَطَّاطينَ قد أَلَّفُوا في هذا الْعِلْمِ كُتُبًا كَثيرَةً.

وَلِياقوتِ الْمُسْتَعْصِمِيِّ: رِسالَةٌ لَطيفَةٌ في هذا الْفَنِّ، بَيَّنَ فيها طَريقَتَهُ الْخاصَّةَ.

ومَبْنَى هذا الْفَنِّ الِاسْتِحْسانَاتُ النَّاشِئَةُ من مُقْتَضَى الطِّباعِ السَّليمَةِ. ويَخْتَلِفُ بِحَسَبِ الإِلْفِ والْعادَةِ والْمِزاجِ، بَلْ بِحَسَبِ كُلِّ شَخْصٍ شَخْصٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مما يُؤَثِّرُ في اسْتِحْسانِ الصُّوَرِ واسْتِقْباحِهَا. ولهذا يَتَنَوَّعُ هذا الْعِلْمُ بِحَسَبِ قَوْمٍ قَوْمٍ، بَلْ شَخْصٍ شَخْصٍ[2]. ولِهَذا لا يَكادُ يوجَدُ خَطَّانِ مُتَماثِلانِ من كُلِّ الْوُجوهِ.

---

(1) صبح الأعشى: 1/ 175.

(2) رسالة في العلوم الشرعية والعربية: 42-43.

عِلْمُ كَيْفِيَّةِ تَوَلُّدِ الْخُطوطِ عن أُصولِها

هو عِلْمٌ يُبْحَثُ فيه عن كَيْفَيَّةِ تَوَلُّدِ فُروعِ الْخُطوطِ الْمُسْتَنْبَطَةِ عن أُصولِها بالِاخْتِصارِ والزِّيادَةِ، وغَيْرِ ذلكَ من أنْواعِ التَّغَيُّراتِ بِحَسَبِ قَوْمٍ قَوْمٍ، وغَرَضٍ غَرَضٍ مَعْلومٍ في فَنِّهِ[1].

وَحُذَّاقُ الْخَطَّاطينَ صَنَّفُوا فيها رَسائِلَ كَثيرَةً سِيَّمَا كِتابُ: "**صُبْحُ الْأَعْشَى**"[2]، فَلْيُطْلَبِ التَّفاصِيلُ[3] منها.

عِلْمُ تَرْتيبِ حُروفِ التَّهَجِّي

وهو عِلْمٌ يُبْحَثُ فيه عن كَيْفِيَّةِ تَرْتيبِ حُروفِ التَّهَجِّي في الْكِتابَةِ بهذا التَّرْتيبِ الْمَعْهودِ فيما بيننا، واشْتِراكِ بَعْضِها بِبَعْضٍ في صورَةِ الْخَطِّ، وإزالَةِ الْتِباسِهَا بالنَّقْطِ، واخْتِلافِ تلك النُّقَطِ بكَوْنِها تَحْتانِيَّةً في الْبَعْضِ، وفَوْقانِيَّةً في الْآخَرِ، أو مُثَنَّاةً، أو مُثَلَّثَةً. إلى غَيْرِ ذَلِكَ مما يَتَعَلَّقُ بهذا الشَّأْنِ؛ كَتَرْجِيحِ صورَةٍ مُعَيَّنَةٍ من تِلْكَ الصُّوَرِ الْمُشاهَدَةِ الْمَعْلُومَةِ لِحَرْفٍ حَرْفٍ[4].

وَمَوْضوعُهُ ومَبادِئُهُ وغَرَضُهُ وغايَتُهُ ومَنفَعَتُهُ ظاهِرَةٌ.

---

(1) رسالة في العلوم الشرعية والعربية: 43.

(2) صبح الأعشى: 1/ 373 وما بعدها.

(3) فَلْتَطلُبِ التَّفاصيلَ، في مراد ملا.

(4) ينظر رسالة في العلوم الشرعية والعربية: 41.

وَلِابْنِ جِنِّي[1]، والْخَبْرِيِّ[2] رِسالَةٌ في هذا الْباب. وكذا أَوْرَدَ الْقَلْقَشَنْدِيُّ ما فيه كِفايَةٌ في كتابِ: "صُبْحُ الأَعْشى"[3].

واعْلَمْ أَنَّهُ قد تَقَدَّمَ أنَّ أَوَّلَ من وَضَعَ النَّقْطَ [مَرَّارُ][4]، والإِعْجامَ عامِرُ. ويُفْهَمُ منه أَنَّهُما وُضِعَا مع وَضْعِ الْحُروفِ[5].

وقد رُوِيَ أَنَّ أَوَّلَ من نَقَطَ الْمَصاحِفَ، ووَضَعَ الْعَرَبِيَّةَ أبو الأَسْوَدِ الدُّؤَلِيُّ، مِنْ تَلْقِينِ أميرِ الْمُؤْمِنينَ عَلِيٍّ كرَّمَ الله وجْهَهُ، إِلَّا أَنَّ الظَّاهِرَ أن ما وَضَعَهُ أبو الأَسْوَدِ الإِعْجامُ، إذ يَبْعُدُ أَنَّ الْحُروفَ مع تَشابُهِ صُوَرِها كانَتْ عَرِيَّةً عن النَّقْطِ إلى حين نَقْطِ الْمُصْحَفِ.

وقد رُوِيَ أَنَّ الصَّحابةَ، رَضِيَ الله عنهم جَرَّدُوا الْمُصْحَفَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ حتَّى مِنَ النَّقْطِ والشَّكْلِ[6]. فإِنْ كانَ الْمُرادُ مِنَ التَّجْرِيدِ مِنْهُما عَدَمَ وُجودِهِما في زَمانِهِ فلا يُخالِفُ ما رُوي سابِقًا، وإِنْ كان إِخْلاؤُهُمُ الْمُصْحَفَ عنهما، فَيُخَالِفُ.

(1) له رسالة في مَدِّ الأصوات ومقادير المدَّاتِ، وهي في حكم المفقود.

(2) عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله الخَبريُّ (ت.476هـ)، كان حسن الخط، صحيح الضبط، ترجمته في: معجم الأدباء: 1486، وإنباه الرواة: 2/ 98، والوافي بالوفيات: 5/ 17، وبغية الوعاة: 2/ 29. وفي كشف الظنون: 1/ 712 الجنزي، ولعله تصحيف.

(3) ينظر صبح الأعشى: 3/ 22 وما بعدها.

(4) سقطت من قونية.

(5) الحرف، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

(6) صبح الأعشى: 3/ 149.

ذَكَرَ ابْنُ خَلِّكَانَ في تَرْجَمَةِ الْحَجَّاجِ أَنَّهُ حَكى أبو أَحْمَدَ الْعَسْكَرِيُّ في "كتابُ التَّصْحِيفِ" أنَّ النَّاسَ مَكَثوا يَقْرَأونَ في مُصْحَفِ عُثْمانَ رَضِيَ الله عنه نَيِّفًا وَأَرْبَعينَ سَنَةً، إلى أَيامِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوانَ، ثُمَّ كَثُرَ التَّصْحيفُ، وانْتَشَرَ بالْعِراقِ، فَفَزِعَ الْحَجَّاجُ إلى كُتَّابِهِ، وسَأَلَهُمْ أنْ يَضَعوا لهذه الْحُروفِ الْمُشْتَبِهَةِ عَلاماتٍ، فيُقالُ: إنَّ نَصْرَ بنَ عاصِمٍ، وقيلَ: يَحْيَى بْنَ يَعْمَرَ[1]، قامَ بذلك، فوَضَعَ النَّقْطَ أفْرادًا وأزْوَاجًا، وخَالَفَ بين أماكِنِها، فَعَبَرَ النَّاسُ بذلك زمانًا لا يكتبونَ إلا مَنْقوطًا، فكان مع ذلك أيضًا يَقَعُ التَّصْحيفُ. فَأَحْدَثوا الإعْجامَ، فكانوا يَتَّبِعُونَ النَّقْطَ من الإعْجامِ. فإذا أغْفَلَ الِاسْتِقْصاءَ على الْكَلِمَةِ فلم يُوَفِّ حُقوقَهَا اعْتَرى التَّصْحيفُ. فَالْتَمَسوا حِيلَةً فلم يَقْدِروا فيها إلَّا على الْأَخْذِ من أَفْواهِ الرِّجالِ بِالتَّلْقِينِ[2].

وإذا تَقَرَّرَ ذلك، فَاعْلَمْ أنَّ النَّقْطَ والْإِعْجامَ في زَمانِنا واجِبانِ في الْمُصْحَفِ. وأمَّا في غير الْمُصْحَفِ فعند خَوْفِ اللَّبْسِ واجِبٌ الْبَتَّةَ، لأنَّهُما ما وُضِعَا إلَّا لإزالَتِهِ. وأمَّا مع أَمْنِ اللَّبْسِ؛ فإنْ لم يَكُنْ هُناكَ مَكْتوبٌ إليه أَصْلًا فَالْأَوْلى تَرْكُهُ، لئلَّا يُظْلَمَ الْخَطُّ[3] من غيرِ فائِدَةٍ.

وَقَدْ حُكِيَ أَنَّهُ عُرِضَ على عبدِ اللهِ بنِ طاهِرٍ، خَطُّ بَعْضِ الْكُتَّابِ فَقالَ: ما أَحْسَنَهُ لَوْلَا أَنَّهُ أَكْثَرَ شُونِيزَهُ[4].

---

(1) يحيى بن يَعْمَرَ الوَشْقِيُّ الْعَدْوَانِيُّ (ت.129هـ).

(2) وفيات الأعيان: 2/ 32.

(3) لئلا يظلم الكتاب الخط، في قونية.

(4) شونيزه: نقطه وإعجامه. نهاية الأرب: 7/ 13، صبح الأعشى: 3/ 148.

وَإِنْ كانَ هُناكَ مَكْتوبٌ إليه، فإِنْ كان من أَهْلِ الْبَراعَةِ في الْخَطِّ فعليه أَنْ لا يَرْتَكِبَ إتْيانَ النَّقْطِ والإعْجامِ اَلْبَتَّةَ، لأَنَّهُمْ يَعْرِفونَ الرَّمْزَةَ وإنْ خَفِيَ مَكانُها، ويَتَفَطَّنُونَ النُّكَتَ وإن لَطُفَ شَأْنُهَا، اللَّهُمَّ إلَّا في مَوْضِعٍ يُحْتاطُ فيه جِدًّا.

وقَدْ حَكَى الْمَدَائِنِيُّ عن بَعْضِ الْأُدَباءِ أَنَّهُ قالَ: كَثْرَةُ النَّقْطِ في الْكِتَابِ سوءُ ظَنٍّ بالْمَكْتوبِ إليه. وقد يَقَعُ بالنَّقْطِ ضَرَرٌ.

كما حَكَى مُحَمَّدُ بنُ عُمَرَ الْمَدائِنِيُّ: أَنَّ جَعْفَرَ الْمُتَوَكِّلَ، كَتَبَ إلى بعض عُمَّالِهِ، أنَ أَحْصِ مَنْ قِبَلَكَ من الْمُذْنِبِينَ، وعَرِّفْنَا بِمَبْلَغِ عَدَدِهِمْ. فَوَقَعَ على الْحَاءِ نُقْطَةٌ، فَجَمَعَ الْعامِلُ مَنْ كان في عَمَلِهِ منهم وَخَصاهُمْ، فَماتوا غَيْرَ رَجُلَيْنِ أو واحِدٍ منهم[1].

وإِنْ لم يَكُنْ من أَهْلِ الْبَراعَةِ، بَلِ كانَ مِنَ الْمُتَوَسِّطينَ، فَيَجِبُ في مَوْضِعِ الاِحْتِياطِ، ويُخَيَّرُ فيما عَداهُ. وإِنْ كانَ مِنَ الْمُبْتَدِئينَ فَعَلَيْهِ النَّقْطُ، الْتَبَسَ أَمْ لا، إلَّا في حُروفٍ لا يُحْتَمَلُ غَيْرُها، فإِنَّهُ يُخَيَّرُ في نَقْطِها؛ كَصورَةِ الْياءِ والنُّونِ الْمُفْرَدَتَيْنِ وكذا الْقافِ والْفاءِ الْمُفْرَدَتَيْنِ.

ومِنْ هذا الْعِلْمِ أَيْضًا: مَعْرِفَةُ كَيْفِيَّةِ الشَّدَّاتِ والْمَدَّاتِ والْهَمْزَاتِ والصِّلَاتِ وأَمْثالِها، وَبَيانُ وَجْهِ الْحاجَةِ إليها، واخْتِلافِ النَّاسِ في وَصْفِهَا.

---

(1) مصدر النقل صبح الأعشى: 1/ 147-148. وتنظر القصة أيضا في مجمع الأمثال: 1/ 251.

الشُّعْبَةُ الثَّانِيَةُ: فيما يَتَعَلَّقُ بإِمْلاءِ الْحُروفِ الْمُفْرَدَةِ

عِلْمُ تَرْكيبِ أَشْكالِ بَسائِطِ الْحُروفِ

وهو عِلْمٌ يُبْحَثُ فيه عن التَّراكيبِ بينَ أَشْكالِ بَسائِطِ الْحُروفِ مُطْلَقًا، لا من حيثُ دَلالَتُها على الأَلْفاظِ، بل من حيث حُسْنُهَا في السُّطورِ. فكما أَنَّ لِلْحُروفِ حُسْنًا حالَ بَساطَتِها، فكذلك لها حُسْنٌ مَخْصوصٌ حالَ تَرْكِيبِها؛ مِنْ تَنَاسُبِ الشَّكْلِ، والنَّقْطِ، والْبَياضاتِ الْواقِعَةِ بينَ الْحُروفِ والْكَلِماتِ والسُّطورِ.

ومَوْضوعُ هذا الْعِلْمِ وأغراضُهُ وغاياتُهُ ظاهِرَةٌ.

ومَبادِئُها: أُمورٌ اسْتِحْسانِيَّةٌ يَرْجِعُ كلُّها أو جُلُّها إلى رِعايَةِ النِّسْبَةِ الطَّبيعِيَّةِ في الأَشْكالِ. وله اسْتِمْدادٌ من الْهَنْدَسِيَّاتِ(1).

واعْلَمْ أَنَّ تَشْكِيلَ الْكِتابَةِ على ضَرْبَيْنِ:

الأَوَّلُ: حُسْنُ التَّشْكيلِ في الْحُروفِ. وهي خَمْسَةٌ:

- **التَّوْفِيَةُ**: وهو(2) أن يُوَفَّى كُلُّ حَرْفٍ من الْحُروفِ حَظَّهُ من التَّقْوِيسِ والانْحِنَاءِ والانْبِطَاحِ.

- **والإِتْمَامُ**: وهو أن يُعْطى كُلُّ حَرْفٍ قِسْمَتَهُ من الأَقْدارِ التي يَجِبُ أنْ يَكونَ عليها مِنْ طولٍ أو قِصَرٍ أو دِقَّةٍ أو غِلَظٍ.

---

(1) ينظر رسالة في العلوم الشرعية والعربية: 43.

(2) وهو، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

ـ **والإِكْمالُ**: وهو أن يُؤْتى كُلُّ خطٍّ حَظَّهُ من الْهَيْئاتِ الَّتِي يَنْبَغِي أنْ يَكونَ عليها مِنِ انْتِصَابٍ وانْكِبَابٍ واسْتِلْقَاءٍ.

ـ **والإِشْبَاعُ**: وهو أن يُؤْتَى كُلُّ خطٍّ حَظَّهُ من صَدْرِ الْقَلَمِ حتى يَتَساوَى به، فلا يَكونَ بَعْضُ أَجْزائِهِ أَدَقَّ، وَبَعْضُها أَغْلَظَ، إلَّا فيما يَكونُ وَضْعُ الْخَطِّ عليه.

ـ **والإِرْسَالُ**: وهو أَنْ يُرْسِلَ يَدَهُ بالْقَلَمِ بِسُرْعَةٍ مِنْ غَيْرِ احْتِباسٍ يُضَرِّسُهُ، ولا تَوَقُّفٍ يُرْعِشُهُ.

الضَّرْبُ الثَّانِي: حُسْنُ الْوَضْعِ في الْكَلِمَاتِ، وهي سِتَّةٌ:

ـ **التَّرْصِيفُ**: وهو وَصْلُ كلِّ حَرْفٍ مُتَّصِلٍ إلى حَرْفٍ.

ـ **والتَّأليفُ**: وهو جَمْعُ كلِّ حَرْفٍ غَيْرِ مُتَّصِلٍ إلى غَيْرِهِ على أفْضَلِ ما ينبغي ويَحْسُنُ.

ـ **والتَّسْطِيرُ**: وهو إضافَةُ الْكَلِمَةِ إلى الْكَلِمَةِ حتى تَصيرَ مُنْتَظِمَةً في السَّطْرِ.

ـ **والتَّنْصِيلُ**: وهو مَواقِعُ الْمَدَّاتِ الْمُسْتَحْسَنَةِ من الْحُروفِ الْمُتَّصِلَةِ، ومُراعاةُ فَواصِلِ الْكَلامِ، بأنْ يُفْصَلَ بين رِسالَتَيْنِ في التَّرَسُّلِ بِبياضٍ خَفيفٍ، أو إشارَةٍ، وبين سَجْعَيْنِ بِبَياضٍ أَخَفَّ منه، أو بِعَلامَةٍ خاصَّةٍ له. لكنْ يَنْبَغي أنْ لا يَجْعَلَ الْبَياضَ أو الْعَلامَةَ في أَوَّلِ السَّطْرِ أصْلًا بأنْ يَجْتَهِدَ حتَّى يَجْعَلَهُ في آخِرِ السَّطْرِ[1].

---

(1) ينظر صبح الأعشى: 3/ 143-144.

- **وَحُسْنُ التَّدْبِيرِ في قَطْعِ كَلِمَةٍ واحِدَةٍ**، إذْ ينبغي أنْ يَتَحَرَّزَ[1] عن كَتْبِ بَعْضِ كَلِمَةٍ في آخِرِ سَطْرٍ، وَبَعْضِها في أَوَّلِ سَطْرٍ يَليهِ؛ كَجَعْلِ الْباءِ من كِتابٍ في أَوَّلِ سَطْرٍ يَلِي السَّطْرَ الْأَوَّلَ، بعدَ أنْ جَعَلَ الْباقِي[2] وَهُوَ "كِتَا" في آخِرِ السَّطْرِ الأَوَّلِ.

- **وفَصْلُ الْكَلِمَةِ التَّامَّةِ وَصِلَتِها**: مِثْلَ؛ أنْ يَفْصِلَ[3] أَيَّدَكَ اللهُ، بأنْ يَكْتُبَ[4] أَيَّدَكَ في آخِرِ سَطْرٍ، واسْمَ الله تَعالى في أَوَّلِ الذي يَليهِ؛ وكَالْفَصْلِ بين الْمُضافِ والْمُضافِ إليه، والصِّفَةِ والْمَوْصوفِ؛ وكَالْفَصْلِ بين اسْمِ رَجُلٍ وَوَصْفِهِ بابْنِ فُلانٍ، نَحْوُ: زَيْدُ بْنُ عَمْرٍو، اللَّهُمَّ إلَّا أنْ يُثْبِتَ له الْبُنُوَّةَ؛ كَقَوْلِكَ لِزَيْدٍ: إنَّهُ ابْنُ جارٍ لي؛ وكَالْفَصْلِ بين كُلِّ اسْمَيْنِ جُعِلَا اسْمًا واحِدًا، نَحْوَ: بَعْلَبَكَّ، وَحَضْرَمَوْتَ، وتَأَبَّطَ شَرًّا، وذِي يَزَنَ، وأَحَدَ عَشَرَ.

وَبابُ الْخَطِّ وَحُسْنِ تَدْبِيرِهِ مُتَّسِعٌ لا يَسَعُ اسْتِيفاؤُهُ. وإنْ أَرَدْتَ التَّفْصِيلَ فَعَلَيْكَ **بِكِتابِ ابْنِ جِنِّي**، وكِتَابِ **"صُبْحُ الأَعْشَى"**[5]، سِيَّمَا أَحْوالُ مَدِّ الْحَرْفِ في الْكَلِمَةِ في السَّطْرِ، فإنَّهُ يَحْسُنُ في الثُّلاثِيَّاتِ، وقد يَحْسُنُ فيما فَوْقَهَا، وقد يَقْبُحُ ولا يَحْسُنُ في الثُّنائِيَّاتِ اَلْبَتَّةَ.

---

(1) يحترز، في أنطاليا.

(2) الثاني، في قونية ورئيس الكتاب.

(3) تفصل: في مراد ملا.

(4) تكتب، في مراد ملا.

(5) ينظر صبح الأعشى: 3/ 145 وما بعدها.

عِلْمُ إمْلاءِ الْخَطِّ الْعَرَبِيِّ

وهو عِلْمٌ يُبْحَثُ فيه بِحَسَبِ الْإِنِّيَّةِ واللِّمِّيَّةِ عن الْأَحْوالِ الْعارِضَةِ لِنُقُوشِ الْحُروفِ[1] الْعَرَبِيَّةِ، لا مِنْ حيثُ حُسْنُهَا في السُّطورِ، بل من حَيْثُ دَلالَتُها على الْأَلْفاظِ الْعَرَبِيَّةِ، بِحَسَبِ الْآلاتِ الصِّناعَيَّةِ ـ أَعْنِي الْقَلَمَ وَأَمْثالَهُ ـ بَعْدَ رِعايَةِ حالِ بَسائِطِ الْحُروفِ من حيثُ الدَّلالَةُ على الْحُروفِ الَّتِي هي أَجْزاءُ الْأَلْفاظِ.

وهذا الْعِلْمُ من حيثُ حُصولُ الْحُروفِ بالْآلَةِ من أَنْواعِ عِلْمِ الْخَطِّ، ومن حيثُ دَلالَتُها على الألْفاظِ من فُروعِ عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ[2].

وسَتَعْرِفُ تَفاصيلَهَا إنْ شاءَ اللهُ تعالى مع ذِكْرِ الْمُصَنَّفَاتِ الواقِعَةِ فيها.

عِلْمُ خَطِّ الْمُصْحَفِ

على ما اصْطَلَحَ عليه الصَّحابَةُ، رِضْوانُ الله عَلَيْهِمْ أَجْمَعينَ، عند كِتابَةِ الْمُصْحَفِ عند جَمْعِ الْقُرْآنِ الْكَريمِ على ما اخْتارَهُ زَيْدُ بنُ ثابِتٍ رَضِيَ الله عنه.

ويُسَمَّى: الِاصْطِلاحَ السَّلَفِيَّ أيْضًا[3].

وهذا الْعِلْمُ، وإنْ كانَ من فُروعِ عِلْمِ الْخَطِّ ـ من حيثُ كَوْنُهُ باحِثًا عن نَوْعٍ من الْخَطِّ ـ لَكِنَّا نَبْحَثُ عنه في عُلومِ تَتَعَلَّقُ بالْقُرْآنِ الْكَريمِ.

---

(1) الخطوط، في مراد ملا وعاطف أفندي.

(2) ينظر رسالة في العلوم الشرعية والعربية: 43-44.

(3) صبح الأعشى: 3/ 172.

ونُفَصِّلُهُ هُناكَ إنْ شاءَ الله تعالى. وإنَّما تَعَرَّضْنَا له هاهُنا تَتْميمًا لِلْأَقْسامِ.

عِلْمُ خَطِّ الْعَرُوضِ

وهو ما اصْطَلَحَ عليه أَهْلُ الْعَروضِ في تَقْطيعِ الشِّعْرِ، واعْتِمادُهِمْ في ذلك على ما يَقَعُ في السَّمْعِ دونَ الْمَعْنى. إذِ الْمُعْتَدُّ به في صَنْعَةِ الْعَروضِ إنَّما هو اللَّفْظُ، لأنَّهُمْ يُريدونَ به عَدَدَ الْحُروفِ الَّتِي يَقومُ بها الْوَزْنُ مُتَحَرِّكًا وساكِنًا. فَيَكْتبونَ التَّنْوينَ نُونًا ساكِنَةً، ولا يُراعونَ حَذْفَهَا في الْوَقْفِ. وَيَكْتُبونَ الْحَرْفَ الْمُدْغَمَ بِحَرْفَيْنِ، ويَحْذِفونَ اللَّامَ مِمَّا يُدْغَمُ فيه في الْحَرْفِ الَّذِي بَعْدَهُ؛ كَالرَّحْمَنِ، والذَّاهِبِ، والضَّارِبِ. ويَعْتَمِدونَ في الْحُروفِ على أَجْزاءِ التَّفْعيلِ، فقد تَنْقَطِعُ الْكَلِمَةُ بحسب ما يَقَعُ من تَبْيينِ الْأَجْزاءِ. كما في قَوْلِ الشَّاعِرِ: [الطويل]

سَتُبْدِي لَكَ الْأَيَّامُ ما كُنْتَ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ بالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ[1]

فَيَكْتُبُونَهُ على هذه الصُّورَةِ:

سَتُبْدِي لَكَا لْأَيْيَا مُمَا كُنْ تَجَاهِلَنْ وَيَأْتِي كَبِلْأَخْبَارِ مَنْلَمْ تُزَوْوِدِي[2]

قال في الْكَشَّافِ: وقد اتَّفَقَتْ في خَطِّ الْمُصْحَفِ أَشْياءَ خارِجَةٌ عن الْقِياساتِ التي بُنِيَ عليها عِلْمُ الخَطِّ والْهِجاءِ، ثم ما عَادَ ذلك بِضَيْرٍ ولا

---

(1) البيت لطرفة بن العبد وهو من معلَّقته، ينظر ديوان شعره: 58.

(2) صبح الأعشى: 3/ 172-173.

نُقْصَانٍ لاسْتِقامَةِ اللَّفْظِ، وبَقاءِ الْخَطِّ. وكان اتِّباعُ خَطِّ الْمُصْحَفِ سُنَّةً لا تُخَالَفُ.

قال عبدُ اللهِ بْنُ دُرُسْتَوَيْهِ في كتابِهِ الْمُتَرْجَمِ بِكِتابِ: **"الْكِتَابُ الْمُتَمَّمُ"**[1]: في الْخَطِّ والْهِجَاءِ خَطَّانِ لا يُقاسانِ، خَطُّ الْمُصْحَفِ: لأَنَّهُ سُنَّةٌ. وخَطُّ الْعَرُوضِ: لأَنَّهُ يُثْبَتُ فيه ما أَثْبَتَهُ اللَّفْظُ، ويُسْقَطُ عنه ما أَسْقَطَهُ[2].

واعْلَمْ أنَّ خَطَّ الْعَروضِ وإنْ كانَ مِنْ أَنْواعِ عِلْمِ الْخَطِّ، لكن لَمَّا كانَ مِنْ فُروعِ عِلْمِ الْعَروضِ أيضا أَخَّرْنَا تَفْصِيلَهُ، وتَفْصيلَ ما فيه من الْمُصَنَّفَاتِ إلى هُناكَ. والْمَسْؤولُ مِنَ اللهِ تعالى الْوُصولُ إلى هذا السُّؤْلِ[3]، إنَّه أَكْرَمُ مَسْؤولٍ، ومُعْطِي كُلِّ مَأْمولٍ.

---

(1) نسبه إليه صاحب الفهرست: 1/ 185.

(2) الكشاف: 1/ 127.

(3) السؤال، في قونية ورئيس الكتاب.

الدَّوْحَةُ الثَّانِيَةُ: في علومٍ تَتَعَلَّقُ بالْألْفاظِ

وفيها مُقَدِّمَةٌ، وَعِدَّةُ شُعَبٍ:

الْمُقَدِّمَةُ

اِعْلَمْ أنَّ من الْمُقدِّماتِ الْمُقرَّرَةِ في الطِّباعِ، والْمَقْبولاتِ الْعامَّةِ في الْأَصْقاعِ، والْمُسَلَّمَاتِ الْمُسْتَحْسَنَةِ في الطِّباعِ، والْكَلِماتِ الَّتِي قَرَعَ بها جَميعَ الْأَسْماعِ، أنَّ الْإنْسانَ لَمَّا كانَ مَدَنِيًّا بالطَّبْعِ، احْتاجَ في تَعَيُّشِهِ إلى إعْلامِ ما في ضَميرِهِ إلى غَيْرِهِ، وفَهْمِهِ ما في ضَميرِ الآخَرينَ. فاقْتَضَتِ الْحِكْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ، وَالرَّحْمَةُ الْأَزَلِيَّةُ، إحْداثَ دَوَالٍّ يَخِفُّ عليه إيرادُها، ولا يُتْعِبُهُ إصْدارُها. بل لا يَحْتاجُ في تَحْصيلِها إلى آلاتٍ غيرِ الْآلاتِ الطَّبيعِيَّةِ، لئلا يَصْرِفَ أوْقاتَهُ إلا فيما يَهُمُّهُ وَيَعْنِيهِ، فقادَهُ الْإلْهامُ الْإلهِيُّ إلى اسْتِعْمالِ الصَّوْتِ الْعارِضِ لِلنَّفَسِ، الضَّرورِيِّ لِلْحَيَوانِ، بالْآلاتِ الذَّاتيةِ الطَّبيعيَّةِ، وتَقْطيعِهِ بِتَوَسُّطِ تلك الآلاتِ والْكَيْفِياتِ الْعارِضَةِ للأصْواتِ، بِتَوَسُّطِ تلك الآلاتِ على أنْحاءٍ مُخْتَلِفَةٍ، وطُرُقٍ شَتَّى، إلى حُروفٍ يَمْتازُ بعضُها عن بَعْضٍ باعْتِبارِ مَخارِجِها السِّتَّةَ عَشَرَ، وصِفاتِها؛ كَالْجَهْرِ، والْهَمْسِ، والْمُعْتَدِلَةِ، والشَّديدَةِ، والرَّخْوَةِ، والْمُعْتَلَّةِ، وَالْقَلْقَلَةِ، والْمُسْتَعْلِيَةِ، والْمُنْخَفِضَةِ، والْمُطْبَقَةِ، والْمُنْفَتِحَةِ، إلى غير ذلك. حتى يَحْصُلَ من الحُروفِ بحسب التَّرْكيباتِ الْمُتَنَوِّعَةِ كَلِماتٌ دالَّةٌ بحسبِ الأوْضاعِ الْمُخْتَلِفَةِ على الْمَعانِي الحاصِلَةِ في ضَمائِرِ الْمُتَكَلِّمينَ، الْخَفِيَّةِ عن الأَغْيارِ،

حَتَّى يَتَيَسَّرَ لهم فائِدَةُ التَّخاطُبِ والْمُحاوَراتِ، من الْوُقوفِ على ما في نُفوسِ الآخَرينَ، من الْمَقاصِدِ التي لا يَتَيَسَّرُ مَعايِشُهُمْ وضَرورِياتُ أَحْوالِهِمْ إلَّا بها. وَمِنْ إفادَةِ الْمَعارِفِ والْعُلومِ الَّتِي لا يُمْكِنُ الاطِّلاعُ عليها بدونها.

ثُمَّ إنَّ تَرْكيباتِ تلك الْحُروفِ لما أَمْكَنَتْ على وُجوهٍ مُخْتَلِفَةٍ، وأَنْحاءٍ مُتَنَوِّعَةٍ، مع التَّغايُرِ الْحاصِلِ في حُروفِها من جِهَةِ الْمَخارِجِ والأَوْصافِ، حَصَلَ لهم أَلْسِنَةٌ مُخْتَلِفَةٌ، ولُغاتٌ مُتَبايِنَةٌ، بحيث لا تُعَدُّ كَثْرَةً، إلَّا أنَّ أفْضَلَهَا وأعْلاهَا اللُّغَةُ التي خُصَّتْ بها أَوْسَطُ الأمَمِ، وهُمْ خَيْرُ أمَّةٍ أُخْرِجَتْ للنَّاسِ، وخَيْرُ الأمُورِ أَوْسَاطُهَا[1]. وقد نُزِّلَتْ[2] عليها أَشْرَفُ الْكُتُبِ وَأَعْلاها وَأَقْوَمُها وَأَدْوَمُها ـ أعْنِي التَنْزيلَ ـ الَّذِي شَرَّفَهُ الله تعالى بالْبَراءَةِ من النَّسْخِ والتَّبْديلِ؛ سِيَّمَا وقد نَطَقَ بهذه اللُّغَةِ أَفْضَلُ الأنْبياءِ وَخاتِمُهُمْ، وأشرَفُهُمُ وفَصُّ خاتَمِهِمْ. وهَلِ اتَّصَفَ لُغَةٌ غَيْرُ هذه بالْبَلاغَةِ والإِعْجازِ، وبِسِحْرِ الْكِتابَةِ والْمَجازِ؟! وهَلِ اخْتَصَّ غَيْرُ هذه بِفُنونٍ لو عُدَّ أَشْهَرُها لَبَلَغَتْ إلى أرْبعينَ؟! وهل تَشَرَّفَ ما عَداها بالتَّحَدِّي حَتَّى فاقَ واحِدٌ على مِئِينَ؟! وقُلْ لي: هَلْ ظَهَرَتِ الْعُلومُ مُنَقَّحَةً بلغَةٍ أخرى؟ أفَلَيْسَتْ هذه بالتَّعْظيمِ والتَّبْجيلِ أحْرَى! الْحَمْدُ للهِ الذي جَبَلَنِي على الْحُبِّ لهذه اللُّغَةِ الْجَليلَةِ الشَّأْنِ، والشَّغَفِ لهذا اللِّسانِ الْباهِرِ الْبُرْهَانِ.

---

(1) أوسطها، في مراد ملا. ينظر: غريب الحديث لأبي عبيد القاسم: 4/ 388، والطبقات الكبرى: 7/ 142، جمهرة الأمثال: 1/ 411.

(2) أنزل، في مراد ملا.

وإذا تَمَهَّدَ هذا التَّصْوِيرُ، فَنَقولُ: لَمَّا اخْتَلَفَتِ الْحُروفُ، باعْتِبارِ اخْتِلافِ اللُّغاتِ مَخارِجًا[1] وأوْصافًا، احْتِيجَ في تَمْييزِ اللُّغاتِ الْعَرَبِيَّةِ إلى بَيانِ كَمِّيَّاتِ حُروفِهَا وكَيْفِيَّاتِهَا بِحَسَبِ الْمَخارِجِ[2]، ثُمَّ أَحْوالِ تَرْكيباتِهَا بِحَسَبِ اشْتِقاقِ بعضِها عن بعضٍ، ثُمَّ أَحْوالِ وَضْعِ الْكَلِمِ لِلْمَعاني الْعَقْلِيَّةِ، ثُمَّ تَبْديلِ الْحُروفِ الْأُصولِ أو الزَّوائِدِ بعضِها إلى بعضٍ لِتَحْصيلِ الْخِفَّةِ، ثُمَّ كَيْفِيَّةِ إعْراباتِها، ثُمَّ تَطْبيقِها لِمُقْتَضى الْحَالِ، وإيرادِها بِعِباراتٍ جَلِيَّةٍ، فيجِبُ تَتَبُّعُ طُرُقِها لِيَخْتارَ الْأَوْضَحَ، ثُمَّ رِعايَةِ الْمُحَسِّناتِ اللَّفظِيَّةِ، وإنْ كانت عَرَضِيةً، لأنَّها تَكونُ باعِثَةً إلى قَبولِ الأذْهانِ لِمَعانيها، وَرَغْبَةِ الأسْماعِ في الِانْفِتاحِ لها، ثُمَّ مَعْرِفَةِ أَحْوالِ الْخُطوطِ الدَّالَّةِ عليها.

فَهَذِهِ جُمْلَةُ أُصولِ الْفُنونِ الْعَرَبِيَّةِ، الْمُسَمَّاةِ بالْفُنونِ الْأَدَبِيَّةِ، لِتَوَقُّفِ أدَبِ الدَّرْسِ بلا واسِطَةٍ وأدَبِ النَّفْسِ بوسائط عليها. فعلى هذا عِلْمُ الأدَبِ يُحْتَرَزُ معه عن الْخَلِلِ في كَلامِ الْعَرَبِ لَفْظًا أو كِتابَةً. ولها فُروعٌ كثيرَةٌ سَتَعْرِفُ تفاصيلَها إن شاء الله تعالى.

إذا عَرَفْتَ هذا، فَاعْلَمْ أنَّ عِلْمَ الْأَدَبِ إمَّا أنْ يَبْحَثَ عن الْمُفْرَداتِ، أو عن الْمُرَكَّبَاتِ، أو عن فُروعِها، ففيها ثَلاثُ شُعَبٍ.

---

(1) كذا في النسخ الخطية، والصواب مخارج.

(2) رسالة في العلوم الشرعية والعربية للتوقاتي: 23-68.

الشُّعْبَةُ الأولى: فيما يَتَعَلَّقُ بالْمُفْرَداتِ

عِلْمُ مَخارِجِ الْحُروفِ

وهو مَعْرِفَةُ تَصْحيحِ مَخارِجِ الْحُروفِ كَيْفِيَّةً وكِمِّيَةً، وصِفاتِهَا الْعارِضَةِ لها بحسبِ ما تَقْتَضِيهِ طِباعُ الْعَرَبِ. وإنَّما قُلْنا طِباعَ الْعَرَبِ لِشَرَفِهَا، وشِدَّةِ اهْتِمامِنا بِضَبْطِ عُلومِهِمْ.

فَمَوْضوعُهُ: بَسَائِطُ الْحُروفِ الْعَرَبِيَّةِ بحسب مَخَارِجِهَا وصِفَاتِهَا.

وَمَبادِئُهُ: بَعْضُها بَديهِيٌّ، وبعضُها اسْتِقْرائِيٌّ. ويُسْتَمَدُّ من الْعِلْمِ الطَّبيعِيِّ، وعِلْمِ التَّشْريحِ.

وَغَرَضُهُ: تَحْصيلُ مَلَكَةِ إيرادِ تلك الْحُروفِ في الْمَخارِجِ، على ما هي عليه في لِسانِ الْعَرَبِ.

وغايَتُهُ الأَوَّلِيَّةُ: الِاحْتِرازُ عن الْخَطَإِ في تَلَفُّظِ كَلامِ الْعَرَبِ، بِحَسَبِ مَخارِجِ حُروفِهِ.

وَغايَتُهُ الأَخِيرَةُ: الْقُدْرَةُ على قِراءَةِ الْقُرْآنِ كما أُنْزِلَ، بِحَسَبِ مَخارِجِ حُروفِها وصِفاتِها[1].

واعْلَمْ أنَّ الْحُروفَ تَخْتَلِفُ باخْتِلافِ اللُّغاتِ بحسب تَعَدُّدِ مَخارِجِها، فَحُروفُ السُّرْيانِيِّينَ والرُّومِ والْفُرْسِ والصَّقْلَبِ والتُّرْكِ، من أَرْبَعَةٍ وعشرينَ

---

(1) رسالة في العلوم الشرعية والعربية للتوقاتي: 23.

حرفًا، إلى سِتَّةٍ وَعِشْرينَ حَرْفًا. وحُروفُ الْعِبْرانِيِّينَ والْيونانِيِّينَ والْقِبْطِ الأُوَلِ والْهُنودِ وغيرِهِمْ، من اثنينِ وثلاثينَ إلى سِتَّةٍ وَثَلاثِينَ. فَيوجَدُ في غير الْعَرَبِيَّةِ من الْحُروفِ ما لا يوجَدُ في الْعَرَبِيَّةِ، كما يوجَدُ في الْعَرَبِيَّةِ ما لا يوجَدُ في غيرِها من اللُّغاتِ، ويَكْثُرُ في الِاسْتِعْمالِ فيها ما لا يَكْثُرُ في غيرِها. فالحاءُ الْمُهْمَلَةُ والظَّاءُ الْمُعْجَمَةُ، [والضَّادُ][1] ممَّا أُفْرِدَتْ بها الْعَرَبُ في لُغاتِها. واخْتَصَّتْ بها دونَ غيرِها مِنْ أَرْبابِ اللُّغاتِ. والْعَيْنُ الْمُهْمَلَةُ قَليلَةٌ في كلامِ بعضِ الْأُمَمِ، ومَفْقودَةٌ في كلام كثيرٍ منهم. وكذلك الصَّادُ والضادُ مَنْقوطَةً، وَغَيْرُها. والذَّالُ الْمُعْجَمَةُ ليست في الفارِسِيَّةِ. والثَّاءُ الْمُثَلَّثَةُ ليست في الرُّومِيَّةِ، ولا في الْفارِسِيَّةِ، والفاءُ ليست في التُّرْكِيَّةِ[2].

قال الشَّيخ أثيرُ الدِّينِ أبو حَيَّانَ[3] رحمه الله: ولذلكَ يَقولونَ في فَقيهٍ: بَقِيهٌ، بالباء الْمُوَحَّدَةِ الْمُشْرَبَةِ الْقَوِيَّةِ[4].

ومِنَ الْكُتُبِ الْمُخْتَصَرَةِ الْمُصَنَّفَةِ في عِلْمِ الْمَخارِجِ: "الأرجوزةُ الْمُسَمَّاةُ بالْمُقَدِّمَةِ"، للشَّيْخِ شَمْسِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْجَزَرِيِّ، رحمه الله. وعليها **شَرْحٌ** لِوَلَدِ الْمُصَنِّفِ، رحمه الله. وكَتَبْتُ عليها شَرْحًا

(1) زيادة من أنطاليا.

(2) ينظر صبح الأعشى: 3/ 19.

(3) أَثِيرُ الدِّينِ أَبُو حَيَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ يُوسُفَ الأَنْدَلُسِيُّ الْجَيَّانِيُّ (ت.745هـ).

(4) الْفَيَوِيَّةِ، في صبح الأعشى: 3/ 19. وورد بإزاء هذه العبارة في نسخة أنطاليا: "كذا في نسخة الأصل، وشك فيه المترجم هنا".

جامِعًا لِلْفَوائِدِ، خالِيًا عن الزَّوائِدِ، في زَمَنِ الشَّبابِ، وانْتَفَعَ بذلك جماعَةٌ من الأَصْحابِ.

ومُعْظَمُ الْمُصَنَّفَاتِ في هذا الْفَنِّ مَأخوذَةٌ من قصيدةِ الإمامِ الشَّاطِبِيِّ - قَدَّسَ الله روحَهُ - في عِلْمِ الْقِراءَةِ. حيث أَدْرَجَ في ذَيْلِهَا عِلْمَ الْمَخارِجِ على وَجْهِ الإتْقانِ. وتَفاصيلُها في شُروحِها. وسَنَذْكُرُ شُروحَها عند التَّعَرُّضِ لِعِلْمِ الْقِراءَةِ إن شاء الله تعالى.

عِلْمُ اللُّغَةِ

وهو عِلْمٌ باحِثٌ عن مَدْلُولَاتِ جَواهِرِ الْمُفْرَداتِ، وهَيْئاتِها الْجُزْئيَّةِ، الَّتِي وُضِعَتْ تِلْكَ الْجَواهِرُ مَعَها لِتِلْكَ الْمَدْلولاتِ بالْوَضْعِ الشَّخْصِيِّ، وعَمَّا حَصَلَ من تَرْكيبِ كُلِّ جَوْهَرٍ جَوْهَرٍ. وهَيْئاتِها الْجُزْئيَّةِ على وَجْهٍ جزئيٍّ، وعن مَعانيها الْمَوضوعِ لها بالْوَضْعِ الشَّخْصِيِّ.

ومَوْضوعُهُ: جَواهِرُ الْمُفْرَداتِ وهَيْئاتُها، من حيث الْوَضْعُ على الْمَعاني الْجُزْئيَّةِ.

وغايَتُهُ: الِاحْتِرازُ عن الْخَطَإِ في فَهْمِ الْمَعاني الوَضعيَّةِ، والْوُقوفُ على ما يُفْهَمُ من كَلِماتِ الْعَرَبِ.

ومَنْفَعَتُهُ: الْإحاطَةُ بهذه الْمَعْلوماتِ، وطَلاقَةُ الْعِبارَةِ وجَزالَتُها، والتَّمَكُّنُ من التَّفَنُّنِ في الْكَلامِ، وَإِيضاحُ الْمَعانِي بِالْبَياناتِ الْفَصيحَةِ، وَالْأقْوالِ الْبَليغَةِ[1].

وَاعْلَمْ أنَّ من أرْبابِ اللُّغَةِ من اسْتَغْرَقَ أفْكارَهُ التَّقَعُّرُ في الألْفاظِ، ومَلَأَ خَاطِرَهُ مُلازَمَةُ حُوشِيِّ اللُّغَةِ، بحيث خاطَبَ به من لا يَفْهَمُهُ. ولا يَخْفى أنَّ الْفَصاحَةَ فَنٌّ مَطْلوبٌ، واسْتِعْمالَ غَريبِ اللُّغَةِ عَزيزٌ حَسَنٌ، ولكن مع أهْلِهِ، ومع من يَفْهَمُهُ.

حُكِيَ أنَّ أبا عَمْرِو بنَ الْعَلاءِ قَصَدَهُ طالِبٌ لِيَقْرَأَ عليه، فَصادَفَهُ بِكَلَّاءِ[2] الْبَصْرَةِ، وهو مع العامَّةِ يَتَكَلَّمُ بِكَلامِهِمْ، لا يُفَرِّقُ بينه وبينهم، فَنَقَصَ من عَيْنِهِ. ثُمَّ لمَّا دَخَلَ الْجامِعَ أَخَذَ يُخاطِبُ الْفُقَهاءَ بغير ذلك اللِّسانِ، فَعَظُمَ في عَيْنِهِ، وعَلِمَ أَنَّهُ كَلَّمَ كُلَّ طائِفَةٍ بما يُناسِبُها من الْأَلْفاظِ. وهذا هو الصَّوابُ.

ومَنِ ادَّعَى مَعْرِفَةَ اللُّغَةِ، وتَكَلَّمَ مع كُلِّ أحَدٍ بِالْعالِي والْغَريبِ من اللُّغَةِ، فهو ناقِصُ الْعَقْلِ. إلَّا أنَّ بَعْضًا من الْعُلَماءِ يَصيرُ[3] بِمُلازَمَةِ اللُّغَةِ بحيث يَخْتَلِطُ بِلَحْمِهِمْ ودَمِهِمْ، ويَسْبِقُ لِسانُهُمْ إلى الْغَريبِ، وإنْ كانوا يُخاطِبونَ من لا يَفْهَمُهُ[4].

---

(1) إرشاد القاصد: 111، ورسالة في العلوم الشرعية واللغوية: 25.

(2) الكَلَّاء والمكلأ: شاطئ النهر ومرفأ السفن، ومنه سوق الكلاء، وهو موضع بالبصرة لأنهم يكلئون سفنهم بها أي يحبسونها. اللسان: كلأ.

(3) بصير، في نور عثمانية 1.

(4) معيد النعم ومبيد النقم: 72.

كَما يُحْكَى أنَّ عِيسَى بنَ عُمَرَ النَّحْوِيَّ سَقَطَ عن حِمَاره، وغُشِيَ عليه، فلمَّا أفاقَ، وأخَذَ في الِاسْتِواءِ لِلجُلوسِ، قال: ما لكم تَكَأْكَأْتُمْ عَلَيَّ تَكَأْكُؤَكُمْ على ذي جِنَّةٍ، افْرَنْقِعُوا عَنِّي. معنى تَكَأْكَأْتُمْ: تَجَمَّعْتُمْ. افْرَنْقِعُوا: تَنَحَّوْا بِلُغَةِ أَهْلِ الْيَمَنِ[1].

وحُكِيَ أنَّ يوسُفَ بْنَ عُمَرَ لمَّا وَلِيَ العِراقَ، أخَذَ عيسى بنُ عُمَرَ النَّحْوِيُّ يطالِبُهُ بِوَديعَةٍ أَوْدَعَهُ ابنُ هُبَيْرَةَ الْوَزيرُ إيَّاها، فَأَمَرَ بِضَرْبِهِ. فَقالَ والسِّياطُ تَأْخُذُهُ: إنْ كانَتْ إلَّا أُثَيَّابًا في أُسَيْفَاطٍ[2] قَبَضَهَا عَشَّارُوكَ[3]. وله من هذا النَّمَطِ شَيْءٌ كثيرٌ.

يُحْكى أن عَلِيَّ ابنَ الْهَيْثَمِ[4] مَرَّ به فارِسِيٌّ، قد رَكِبَ حِمارًا خَلْفَهُ جَحْشٌ، وبِيَدِهِ عِذْقٌ قد ذَهَبَ بُسْرُهُ إلا قليلًا، يقودُ به بَقَرَةً يَتْبَعُهَا عِجْلٌ لها. فَناداهُ عليُّ ابنُ الْهَيْثَمِ: يا صاحِبَ الْبَيْدَانَةِ الْقَمْرَاءِ، يَتْلوهَا تَوْلَبٌ بِيَدِهِ شُمْلُولٌ، يَطْبِي[5] بها خَزُومَةً[6] يَقْفُوهَا عِجَّوْلٌ، أَتُقَايِضُ بِعِجَّوْلِكَ جُخْجَحًا زَهِمًا. قال: فَالْتَفَتَ إليه الْفارِسِيُّ، وَقالَ: يا بابا فارسي هم ندانم[7].

---

(1) معيد النعم ومبيد النقم: 72.

(2) أسيفاط: تصغير أسفاط، جمع سفط، كالجوالق. اللسان: سفط.

(3) العشَّار: قابض العشر. اللسان: عشر.

(4) كذا في النسخ ومعيد النعم ومبيد النقم: 72.

(5) طبيته عن الأمر: صرفته، وكل شيء صرف شيئا عن شيء فقد طباه عنه. اللسان: طيب.

(6) الحرزمة، في رئيس الكتاب وقونية.

(7) معناه: أنا لا أعرف الفارسية.

الْبَيْدَانَةُ: الْأتانُ. والْقَمْراءُ: الْبَيْضاءُ الْوَجْهِ. والتَّوْلَبُ: وَلَدُ الْحِمارِ. والشُّمْلُولُ: الْعِذْقُ. ويَطْبِي: يَدْعو. والْخَزُومَةُ: الْبَقَرَةُ الْوَحْشيَّةُ. والْجُحْجُحُ: الْكَبْشُ. والزَّهِمُ: السَّمينُ. ولعله قَصَدَ بهذه الْمُؤانَسَةَ لبعضِ الحاضِرينَ، أو بَدَرَتْ منه هذه الْأَلْفاظُ بِغَيْرِ قَصْدٍ، وإلَّا فَهُوَ سَخِيفُ الْعَقْلِ[1].

حُكي أنَّ أبا عَلْقَمَةَ الْواسِطِيَّ مَرِضَ، فأتاهُ أَعْيَنُ الطَّبيبُ، فَسَأَلَهُ عن سَبَبِ عِلَّتِهِ، فقال: أَكَلْتُ من لُحومِ هذه الْجَوَازِلِ، فَطَسِئْتُ طَسْأَةً، فأصابَني وَجَعٌ بَيْنَ الْوَابِلَةِ إلى دَأْيَةِ الْعُنُقِ. فما زال يَتَمَامَى[2] وَيَتَنَمَّى حَتَّى خالَطَ الْخِلْبَ، وَتَأَلَّمَتْ له الشَّرَاسِيفُ. فقالَ له أَعْيَنُ: خُذْ شِرْفقًا وسِرْقًا[3] فَزَهْزِقْهُ وَدَهْدِقْهُ. فقال أبو عَلْقَمَةَ: أَعِدْ لي فإنِّي ما فَهِمْتُ. فقال الطَّبيبُ: قَبَّحَ اللهُ أَقَلَّنا إفْهامًا لصاحِبِهِ.

الْجَوَازِلُ: فِراخُ الْحَمامِ، الواحِدَةُ جَوْزَلٌ. والطَّسْأَةُ: الْهَيْضَةُ. والْوابِلَةُ: طَرَفُ الْكَتِفِ، وهو رَأْسُ الْعَضُدِ. ودَأْيَةُ الْعُنُقِ: فِقَارُهَا. ويَتَمَامَى: يَتَمَدَّدُ. ويَتَنَمَّى: يَتَزَايَدُ. والْخِلْبُ بِالْكَسْرِ: حِجَابُ الْقَلْبِ، ويُقال: مُضْغَةٌ فوق الْكَبِدِ. والشَّرَاسِيفُ: غَضَارِيفُ مُتَّصِلَةٌ بالأَضْلاعِ[4].

---

(1) النقل من معيد النعم ومبيد النقم: 73.

(2) يتمأى، في المصدر نفسه: 73.

(3) وشبرقا، في المصدر نفسه: 73.

(4) المصدر نفسه: 73.

حَكَى ابنُ دُرَيْدٍ عن الأصْمَعِيِّ: أنَّ أعْرابِيًّا شَهِدَ لرَجُلٍ مَشْجُوجٍ عند صاحِبِ الشُّرْطَةِ فقالَ: بينا أنا على كَوْدَنٍ يُضَهْزِزُنِي، إذْ مَرَرْتُ بِوَصِيدِ دَارٍ، فإذا أنا بهذا الْأُخَيْشِبِ يَدُعُّ هذا دَعًّا مُتَرَاشِفًا فَعَلَاهُ بِمِنْسَأَتِهِ، فَقَهْقَرَ، ثم بَدَرَهُ بِمِثْلِهَا، فَقَطَرَ، ثُمَّ أَدْبَرَ، وبِرَأْسِهِ جَدِيعٌ يَسُحُّ[1] نَجِيعًا على كَتِدِهِ. فقال صاحِبُ الشُّرْطَةِ: شُجَّنِي وأعْفِنِي من سَمَاعِ شَهادَةِ هذا الْأعْرابِيِّ.

الْكَوْدَنُ: الْبِرْذَوْنُ. يُضَهْزِزُنِي: يُحَرِّكُنِي، الْوَصِيدُ: الْبابُ، الدَّعُّ: الدَّفْعُ. الْمِنْسَأَةُ: الْعَصا. الْأُخَيْشِبُ: تَصْغيرُ الْأَخْشَبِ، وهو الْغَلِيظُ. قَهْقَرَ: رَجَعَ الْقَهْقَرَى. قَطَرَهُ: أَلْقَاهُ على أحد قُطْرَيْهِ، وهما جانِباهُ. السَّحُّ: الصَّبُّ. النَّجِيعُ: الدَّمُ. الكَتِدُ: ما بين الكاهِلِ إلى الظَّهْرِ، وهو بُعَيْدَ مَغْرِزِ الْعُنُقِ.

وذَكَرَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ أنَّ بعضَ الْمُتَقَعِّرِينَ كَتَبَ إلى وَكِيلٍ له بناحِيَةِ الْبَصْرَةِ: اِحْمِلْ إلينا من الْخَوْزَجِ والْكَنْعَدِ الْمَمْهورَيْنِ[2]، والإِوَزِّ الْمَمْهُوجِ، ولَحْمِ مَهَا الْبِيدِ، ما يَصْلُحُ لِلتَّشْزِيزِ[3] والْقَدِيدِ. فكَتَبَ إليه وَكِيلُهُ: إنْ لم تَكُفَّ عن هذا الْكَلامِ بَارَتْ قَرْيَتُكَ، فإنَّ الْفَلاحينَ يَنْسُبُونَ من يَنْطِقُ هذه الألْفاظَ إلى الْجُنونِ.

الْكَنْعَدُ: ضَرْبٌ من سَمَكِ الْبَحْرِ. والشَّزَارَةُ[4]: الْيُبْسُ.

(1) يثج، في معيد النعم ومبيد النقم: 73.
(2) الممقورين، في المصدر نفسه: 74.
(3) التشرير، في المصدر نفسه: 74.
(4) الشيرارة، في المصدر نفسه: 74.

حُكِيَ أنَّ لِصًّا قَصَدَ دارَ نَحْوِيٍّ فاطَّلَعَ وناداهُ: أيَّها الطَّارِقُ ما الذي أوْلَعَكَ بنا؟ إنْ أرَدْتَ المالَ فعليك بابْنِ الْجَصَّاصِ، وَفُلانٍ وَفُلانٍ، أقْوامًا ذَوِي مَالٍ. وَإنْ أَرَدْتَ الْجاهَ فَعَلَيْكَ بِالْقُضاةِ. وإنْ أَرَدْتَ الْكِتابَةَ فعليكَ بفلانٍ وفلانٍ، أَقْوامًا يَكْتُبونَ. وإنْ أرَدْتَ اللُّغَةَ والنَّحْوَ فَعَلَيْكَ بي. وإنْ كُنْتَ تَبْغِي الْقِرى، فَلِجِ الدَّارَ، وادْخُلِ الْمَخْدَعَ، وأَصِبْ من الزَّادِ ما يُمْسِكُ حُشَاشَةَ[1] رَمَقِكَ، فرَفَعَ اللِّصُّ رَأْسَهُ وقال: لو كانَتِ الْجَنَّةُ دارَك ما دَخَلْتُها.

حُكِيَ أنَّ طبيبًا دَخَلَ إلى نَحْوِيٍّ مَريضٍ فقال: ما كانَ أَكْلُكَ أَمْسِ؟ قال: أَكَلْتُ لَحْمَ عُطْعُطٍ، وساقَةَ خِرْنِقٍ، وجُؤْجُؤَ حَيْقُطَانٍ اقْتَنَصَهُ بَازِيٌّ، فَلَمَّا كانَ في الدُّجَى أَصَبْتُ منه مَعْمَعَةً في الْحَشَا، وقَرْقَرَةً في الْمِعَى. فقال الطَّبيبُ للحاضِرينَ: هذه خِفَّةٌ ارْتَفَعَتْ إلى الدِّماغِ، فَأَصْلِحوا الْغَذاءَ له قَبْلَ أنْ يُجَنَّ.

الْعُطْعُطُ: الْجَدْيُ. الْخِرْنِقُ: وَلَدُ الْأَرْنَبِ. الْجُؤْجُؤُ: الصَّدْرُ. والْحَيْقُطَانُ بالطَّاءِ الْمُهْمَلَةِ: الدُّرَّاجُ الذَّكَرُ.

حَكَى أبو القاسِمِ الرَّاغِبُ قالَ: ابْتاعَ تِلْميذٌ ليَعْقوبَ بنِ إسْحاقَ الْكِنْدِيِّ جارِيَةً فاغْتَاضَتْ[2] عليه: فَشَكَا حالَهَا إلى يَعْقوبَ. فقال له: جِئْنِي بها. قال، فَلَمَّا حَضَرَتْ عنده قال لها: يا لَعوبَةُ[3] ما هذه الِاخْتياراتُ الدَّالاتُ على الْجَهالاتِ؟

(1) خشاشة، في معيد النعم ومبيد النقم: 74.

(2) فاعتاصت، في المصدر نفسه: 75.

(3) لغوبة، في مراد ملا، ومعيد النعم ومبيد النقم: 75.

أما عَلِمْتِ أن فَرْطَ الاِغْتِيَاضَاتِ[1] من الْمُوَاقَعَاتِ على طالِبِي الْمَوَدَّاتِ، مُؤْذِنَاتٌ بِعَدَمِ الْمَعْقولاتِ؟ فقالتِ الْجارِيَةُ: حَيَّاكَ الله وَبَيَّاكَ، أما عَلِمْتَ أنَّ هذه الْعُفُونَاتِ الْمُتَيَسِّرَاتِ[2] على صُدورِ ذَوِي الرَّقَاعَاتِ، مُحْتاجاتٌ إلى الْمَوَاسِي الْحَالِقَاتِ. فقالَ يَعْقوبُ: للهِ دَرُّهَا لقد قَسَّمَتِ الْكَلامَ تَقْسِيمًا![3]

وَاعْلَمْ أنَّ الْحِكاياتِ في هذا الْبابِ تَخْرُجُ عن حَدِّ الْحَصْرِ، وتَقْتَضي الْخُروجَ عن الْجِدِّ إلى ضَرْبٍ من الْهَزْلِ.

والْحَاصِلُ أنَّ ما كان الحامِلُ عليه غَلَبَةَ هذه الصِّناعَةِ مَذْمومٌ، من جهة أنَّ ذا الصِّناعَةِ كانَ ينبغي أن يُقَوِّمَ قَلْبَهُ ودِينَهُ قَبْلَ أن يُقَوِّمَ أَلْفاظَهُ، فاللَّحْنُ في اللَّفظِ ولا اللَّحْنُ في الدِّينِ، وأيًّا ما كانَ الْحامِلُ عليه مُجَرَّدَ التَّقَعُّرِ فهو رُعُونَةٌ[4].

ومنهم من تَكَلَّفَ الْمَسجوعَ من الْكَلامِ حتَّى انْتَهَى به الْحالُ إلى أنْ وَقَعَ في الْكَنِيفِ، فَجاءوهُ[5] بكَنَّافَيْنِ، فَكَلَّمَهُ أحدُهُمْ لِيَنْظُرَ أهو حَيٌّ، فقالَ: اطْلُبَا لي حَبْلًا دَقيقًا، وشُدَّانِي شَدًّا وثِيقًا، واجْذِبَانِي جَذْبًا رَفِيقًا. فقالَ أَحَدُهُمْ: أنا والله لا أُنْقِذُهُ فإِنَّهُ في الْكَنِيفِ إلى الْحَلْقِ، ولا يَدَعُ الْفُضُولَ. حَكاها صاحِبُ الْبَصَائِرِ[6].

---

(1) الاعتياصات، في معيد النعم ومبيد النقم: 75.

(2) العثنونات المنتشرات، في المصدر نفسه: 75، وهي رواية راجحة على ما ورد في النسخ الخطية.

(3) المصدر نفسه: 74-75.

(4) المصدر نفسه: 74-75.

(5) فجاءوا له، في مراد ملا.

(6) البصائر والذخائر لأبي حيان التَّوحيدي: 3/ 90، والنقل من معيد النعم ومبيد النقم: 79.

ثُمَّ اعْلَمْ أنَّ مَقْصِدَ عِلْمِ اللُّغَةِ مَبْنِيٌّ على أُسْلُوبَيْنِ؛ لأنَّ منهم من يَذْهَبُ من جانِبِ الَّلفْظِ إلى الْمَعْنى، بأنْ يَسْمَعَ لَفْظًا ويَطْلُبَ مَعْناهُ، ومنهم من يَذْهَبُ من جانِبِ الْمَعْنى إلى اللَّفْظِ. فبِكُلٍّ من الطَّريقَيْنِ قد وَضَعوا كُتُبًا لِيَصِلَ كُلٌّ إلى مُبْتَغاهُ، إذْ لا يَنْفَعُهُ ما وُضِعَ في الْبابِ الْآخَرِ، فمَنْ وُضِعَ بالاعْتِبارِ الْأَوَّلِ فَطَريقُهُ تَرْتيبُ حُروفِ التَّهَجِّي، إمَّا باعْتِبارِ أواخِرِها أَبوابًا، وَبِاعْتِبارِ أوائِلِها فُصولًا، تَسْهيلًا لِلظَّفَرِ بالْمَقْصودِ، كما اخْتارَهُ الْجَوْهَرِيُّ في **الصَّحَاحِ**، ومَجْدُ الدِّينِ الشِّيرازِيُّ في **الْقاموسِ**. وإمَّا بالْعَكْسِ، أيْ باعْتِبارِ أوائِلِها أبْوابًا، وبِاعْتِبارِ غير أوائِلِها فُصولًا، كما اخْتارَه ابنُ فارِسٍ في **الْمُجْملِ**، والْمُطَرِّزِيُّ في **الْمُغْرِبِ**[1].

وَمَنْ وُضِعَ بالاعْتِبارِ الثَّانِي: فَالطَّريقُ إليه، أنْ يَجْمَعَ الْأَجْناسَ بِحَسَبِ الْمَعاني، ويَجْعَلَ لِكُلِّ[2] جِنْسٍ بابًا، كما اخْتارَهُ الزَّمَخْشَرِيُّ في قِسْمِ الْأَسْماءِ من كِتابِ **"مُقَدِّمَةُ الْأَدَبِ"**.

ثم إنَّ اختلافَ الْهِمَمِ قد أَوْجَبَ إحْداثَ طُرُقٍ شَتّى، فمن واحِدٍ أدَّى رأْيُهُ إلى أنْ يُفْرِدَ لُغاتِ الْقُرْآنِ الْمَجيدِ، ومن آخَرَ إلى أن يُفْرِدَ غَريبَ الْحَديثِ، وآخَرَ إلى أنْ يُفْرِدَ لُغاتِ الْفِقْهِ؛ كَالْمُطَرِّزِيِّ في كتابِ **الْمُغْرِبِ**. وإلى أنْ يُفْرِدَ

(1) المغرب في ترتيب المعرب، لأبي الفتح ناصر بن عبد السيد المطرزي الخوارزمي (ت.610هـ)، وهو مطبوع.

(2) كل، في الأزهرية.

اللُّغاتِ الْواقِعَةَ في أَشْعارِ الْعَرَبِ وَقَصائِدِهِمْ وما يَجْري مَجْراها كَنِظَامِ الْغَرِيبِ. والْمَقْصودُ هو الْإِرْشَادُ عند مَسَاسِ أَنْواعِ الْحَاجَاتِ.

واعْلَمْ أَنَّ أَوَّلَ من دَوَّنَ عِلْمَ اللُّغَةِ، أبو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى التَّيْمِيُّ.

فائدة:

هو مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى، اللُّغَوِيُّ، الْبَصْرِيُّ، أبو عُبَيْدَةَ، مَوْلَى بَنِي تَيْمٍ، تَيْمِ قُرَيْشٍ رَهْطِ أبي بَكْرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه. أَخَذَ عن يونُسَ، وأبي عَمْرٍو، وهو أَوَّلُ مَنْ صَنَّفَ غَرِيبَ الْحَدِيثِ. أَخَذَ عنه أبو عُبَيْدٍ[1]، وأبو حاتِمٍ[2]، والْمَازِنِيُّ، وَالْأَثْرَمُ[3]، وعَمْرُو بْنُ شَبَّةَ.

وكان أَعْلَمَ من الْأَصْمَعِيِّ وأبي زَيْدٍ بالأنسابِ والأَيَّامِ. وكان أبو نُوَاسٍ يَتَعَلَّمُ منه ويَصِفُهُ ويَذُمُّ الْأَصْمَعِيَّ.

قيلَ: دَأْبُ الْأَصْمَعِيِّ الإِنْشادُ والزَّخْرَفَةُ[4]، قَليلُ الْفائِدَةِ، وأبو عُبَيْدَةَ بِضِدِّ ذلك.

وقال يَزيدُ بْنُ مُرَّةَ: ما كانَ أبو عُبَيْدَةَ يُفَتِّشُ عن عِلْمٍ من الْعُلومِ إلا يُظَنُّ أنه لا يُحْسِنُ غَيْرَهُ.

أَقْدَمَهُ الرَّشيدُ من الْبَصْرَةِ إلى بغدادَ، وقَرَأَ عليه. وكان شُعوبِيًّا.

---

(1) أبو عبيد القاسم مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى (ت.224هـ).

(2) أبو حاتِمٍ سَهْلُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عُثْمانَ السِّجِسْتانِيُّ (ت.248هـ) وقيل: (ت.250هـ).

(3) علي بن المغيرة أبو الحسن الأثرم (ت.232هـ).

(4) التفرقة، في مراد ملا.

قُلْتُ: الشُّعوبيَّةُ فِرْقَةٌ لا تُفَضِّلُ الْعَرَبَ على الْعَجَمِ.

وقيل: كانَ يَرَى رَأْيَ الْخَوارِجِ الإباضِيَّةِ[1].

قُلْتُ: هؤلاء مُتَابِعُونَ لعبد اللهِ بنِ إباضٍ. يَقولونَ: مُخالِفونا من أهْلِ الْقِبْلَةِ كُفَّارٌ غيرُ مُشْرِكينَ، وإنَّ مُرْتكِبَ الْكَبيرَةِ مُوَحِّدٌ غيرُ مُؤْمِنٍ، ومُرْتكِبَ الْكَبيرَةِ كافِرٌ كُفْرَ نِعْمَةٍ لا كُفْرَ مِلَّةٍ، وكَفَّروا عَلِيًّا رضي الله عنه وأكْثَرَ الصَّحابَةِ رضوانُ الله تعالى عليهم أجْمَعينَ. إلى غيرِ ذلك مِنَ الْجَهالاتِ.

قيلَ: قال الْجاحِظُ في حَقِّ أبي عُبَيْدَةَ: لم يَكُنْ في الْأَرْضِ خارِجِيٌّ أعْلَمَ بجميعِ الْعُلومِ مِنْهُ.

وقالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: كانَ الْغَريبُ أَغْلَبَ عليه وَأَيَّامُ الْعَرَبِ وأخْبارُها.

قالَ أبو حاتِمٍ: وكانَ مع عِلْمِهِ، إذا قَرَأَ الْبَيْتَ لم يُقِمْ إعْرَابَهُ[2]، ويُنْشِدُهُ مُخْتَلِفَ الْعَروضِ.

صَنَّفَ: **"الْمَجازُ في غَريبِ القرآنِ"، و"الْأَمْثالُ في غَريبِ الْحَديثِ"، و"الْمَثالِبُ"، في أَيَّامِ الْعَرَبِ، و"مَعاني القرآنِ"، و"طَبَقاتُ الْفُرْسانِ"، و"نَقائِضُ جَريرٍ والْفَرَزْدَقِ"، و"الْخَيْلُ" و"الْإِبِلُ"، و"السَّيْفُ"، و"اللُّغاتُ"، و"الْمَصادِرُ"، و"خَلْقُ الإنْسانِ"، و"فَعَلَ وَأَفْعَلَ"، و "ما يَلْحَنُ فيه الْعامَّةُ"**. وَغَيْرَ ذَلِكَ. وَكانَ يَقولُ شِعْرًا ضَعيفًا[3].

---

(1) ينظر معجم الأدباء: 6/ 2705، والنقل من بغية الوعاة: 2/ 294-295.

(2) لم يقم بإعرابه، في أنطاليا ورئيس الكتاب.

(3) ينظر معجم الأدباء: 6/ 2705، بغية الوعاة: 2/ 294-295.

وقالَ هو: إنَّ أبي حَدَّثني أنَّ أباهُ كانَ يَهودِيًّا.

وُلِدَ أبو عبيدَةَ سنة ثِنْتَيْ عَشَرَةَ ومِئَةٍ. وَماتَ سَنَةَ ثَمانٍ أو تِسْعٍ أو عَشْرٍ أو إِحْدَى عَشْرَةَ وَمِئَتَيْنِ.

وَمِنَ الْكُتُبِ الْمُخْتَصَرَةِ في عِلْمِ اللُّغَةِ: "كِتابُ الْعَيْنِ"، لِلخَليلِ بنِ أَحْمَدَ. هذا هو الصَّحيحُ.

وَقالَ أبو الطَّيِّبِ اللُّغَوِيُّ: هو لِلَّيْثِ بنِ نَصْرِ بنِ سَيَّارٍ. وقيلَ: عَمِلَ الْخَليلُ قِطْعَةً منه ـ أي "كِتابُ الْعَيْنِ" ـ وكَمَّلَهُ اللَّيْثُ. لِأَنَّ أولَهُ لا يُناسِبُ آخِرَهُ.

قال ابْنُ الْمُعْتَزِّ: إنَّ الْخَليلَ صَنَّفَهُ لِلَّيْثِ، وكانَ هو مُكِبًّا على حِفْظِهِ وقِراءَتِهِ، وَاتَّفَقَ أنَّ امْرَأَةَ لَيْثٍ غَارَتْهُ لِأَجْلِ جارِيَةٍ، فَأَرادَتْ أن تُغِيظَهُ؛ وكانت تَعْرِفُ أَنَّهُ لا يُبالي بالْمالِ؛ فَأَحْرَقَتِ الْكِتابَ، فلمَّا عَلِمَ اشْتَدَّ أَسَفُهُ، ولم يكنْ عند غَيْرِهِ نُسْخَةٌ غيرَ تلك النُّسْخَةِ التي احْتَرَقَتْ، وكان الْخَليلُ ماتَ، فَأَمْلى النِّصْفَ من حِفْظِهِ، وجَمَعَ عُلَماءَ عَصْرِهِ، وأَمَرَهُمْ أن يُكَمِّلوهُ على نَمَطِهِ. فَعَمِلوا هذا الَّذِي بِأَيْدي النَّاسِ اليوم، ولم يُماثِلوهُ وإنِ اجْتَهَدوا.

فائِدَةٌ:

الْخَليلُ هو ابْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَمْرِو بنِ تَمِيمٍ الْأَزْدِيُّ الْفَرَاهِيدِيُّ، الْبَصْرِيُّ، أبو عبد الرَّحْمنِ، صاحِبُ الْعَرَبِيَّةِ والْعَروضِ. وهو أَوَّلُ منِ اسْتَخْرَجَ الْعَروضَ، وَحَصَرَ أشعارَ الْعَرَبِ بها. وكان دَعَا بِمَكَّةَ أن يَرْزُقَهُ الله عِلْمًا لم

يُسْبَقْ إليه. فرجَعَ، وَفُتِحَ عليه بِالْعَروضِ. وكانت له معرفَةٌ بالإيقاعِ والنَّغَمِ، وهو الذي أحْدَثَ له عِلْمَ الْعَروضِ، فهما[1] مُتَقارِبانِ في الْمَأْخَذِ.

وهو أُسْتاذُ سِيبَوَيْهِ. وَعامَّةُ الْحِكايَةِ في كِتابِهِ عنه. وكُلَّمَا قالَ سِيبَوَيْهِ: وسَأَلْتُهُ، أو قالَ مِنْ غَيْرِ أنْ يَذْكُرَ قَائِلَهُ؛ فهو الْخَليلُ. وكان من الزُّهَّادِ في الدُّنْيَا، والْمُنْقَطِعينَ إلى الْعِلْمِ.

وطَلَبَهُ سُلَيْمانُ بنُ عَلِيٍّ من الأهْوازِ لِتَأْديبِ أَوْلادِهِ، فَأَخْرَجَ الْخَلِيلُ إلى رَسُولِهِ خُبزًا يابِسًا. وقالَ: ما عِنْدِي غَيْرُهُ، وما دُمْتُ أَجِدُهُ فلا حاجَةَ لي إلى سُلَيْمانَ.

وقالَ النَّضْرُ بنُ شُمَيْل: أَقامَ الْخَليلُ في خُصٍّ[2] بالْبَصْرَةِ لا يَقْدِرُ على فِلْسَيْنِ، وتَلامِذَتُهُ يَكْتَسِبُونَ بِعِلْمِهِ الأمْوالَ.

وكانَ النَّاسُ يَقولونَ: لم يَكُنْ في الْعَرَبِ بعد الصَّحابَةِ أَزْكى منه. وكانَ يَحُجُّ سَنَةً، وَيَغْزو سَنَةً.

وَأَبوهُ أَوَّلُ من سُمِّيَ أَحْمَدَ بعد النَّبي صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ.

ويُقالُ: إنَّه كان عند رجُلٍ دَواءٌ لِظُلْمَةِ الْعَيْنِ يَنْتَفِعُ به النَّاسُ، فَماتَ واحْتاجَ النَّاسُ إليه، ولم يكن له نُسْخَةٌ، وكان له آنِيةٌ يَعْمَلُ فيها الدَّواءَ. فَأَخْرَجَ الْخَليلُ يَشُمُّهَا نَوْعًا نَوْعًا، حتى أَخرَجَ خَمْسَةَ عَشَرَ نَوْعًا، فَعَمِلَهُ فانْتَفَعَ به النَّاسُ. ثم وُجِدَتِ النُّسْخَةُ، فَوَجَدوا الأَخْلاطَ سِتَّةَ عَشَرَ[3] لم يَفُتْهُ منها إلَّا واحِدٌ.

---

(1) فإنهما، في مراد ملا.

(2) الخُصُّ: البيت من القصب. اللسان: خصص.

(3) ستة عشر جزءا، في مراد ملا.

والفَرَاهِيدِيُّ، ويُقال الْفَرْهُودِيُّ أيضا، وهو مُفْرَدُ الْفَراهيدِ، نِسْبَةً إلى فَراهيدَ بْنِ مالِكِ بْنِ فَهْمِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ مالكِ بنِ مُضَرَ بنِ الْأَزْدِ.

وله تَصانيفُ غَيْرَ "كتابُ الْعَيْنِ": **"كتابُ النَّغَمِ"**، **"الْجُمَلُ"**، **"الْعَروضُ"**، **"الشَّواهِدُ"**، **"النَّقْطُ والشَّكْلُ"**، كِتابُ **"فَائِتُ الْعَيْنِ"**، **"كِتابُ الإِيقاعِ"**.

تُوُفِّيَ الْخَليلُ سَنَةَ خَمْسٍ وسَبْعينَ ومِئَةٍ، أو سَبْعينَ أو سِتِّينَ، وله أَرْبَعٌ وسَبْعونَ. وَسَبَبُ مَوْتِهِ أَنَّهُ قالَ: أُريدُ أنْ أعْمَلَ نَوْعًا من الْحِسابِ تَمْضِي به الْجارِيَةُ إلى الْبَقَّالِ[1]، فلا يُمْكِنُ أنْ يَظْلِمَهَا. فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ وهو يُعْمِلُ فِكْرَهُ فَصَدَمَتْهُ سارِيَةٌ وهو غافِلٌ، فانْصَدَعَ وماتَ.

وَرُئِيَ في النَّوْمِ فقيل له: ما صَنَعَ الله بك؟ فقال: أَرَأَيْتَ ما كُنَّا فيه؟ لم يَكُنْ شَيْئًا، وما وَجَدْتُ أَفْضَلَ مِنْ "سُبْحانَ اللهِ، والْحَمْدُ لله، ولا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، واللهُ أَكْبَرَ"[2].

وَمِنَ الْكُتُبِ الْمُخْتَصَرَةِ في اللُّغَةِ:

- **"الْمُنْتَخَبُ"** و**"الْمُجَرَّدُ"**، لعَلِيِّ بنِ الْحَسَنِ الْهُنَائِيِّ، الْمَعْروفِ بِكُرَاعِ النَّمْلِ؛ بضَمِّ الكافِ؛ أبو الْحَسَنِ النَّحْوِيُّ الُّلغَوِيُّ[3].

قالَ يَاقوتٌ: هو منْ أَهْلِ مِصْرَ، أَخَذَ عن البَصْرِيِّينَ، وكان نَحْوِيًّا كوفِيًّا.

(1) القاضي، في بغية الوعاة: 1/ 560.

(2) المصدر نفسه: 1/ 559-560.

(3) توفي سنة 316هـ. النقل من إرشاد القاصد: 111.

صَنَّفَ: "**الْمُنَضَّدُ فِي اللُّغَةِ**"، "**الْمُجَرَّدُ**"، **مُخْتَصَرُهُ**، "**الْمُهَجَّدُ**"[1] **مُخْتَصَرُهُ**، "**أَمْثِلَةُ غَرِيبِ اللُّغَةِ**"، "**الْمُصْحَفُ الْمُنَظَّمُ**"، رَأَيْتُ خَطَّهُ على **الْمُنَضَّدِ**، وقد كَتَبَهُ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلاثِمِئَةٍ. انتهى[2].

ومن الْمُتَوَسِّطَاتِ:

- "**الْمُجْمَلُ**"، لابْنِ فارِسٍ، وهو أحْمَدُ بنُ فارسِ بْنِ زَكَرِيَّا، أبو الْحُسَيْنِ اللُّغَوِيُّ الْقَزْوِينِيُّ. كان نَحْوِيًّا على طَرِيقَةِ الْكُوفِيِّينَ. سَمِعَ أباهُ، وَعَلِيَّ بْنَ إبْراهِيمَ بنِ سَلَمَةَ الْقَطَّانَ. وقَرَأَ عليه الأَدِيبُ الْهَمَذَانِيُّ. وكانَ مُقِيمًا بِهَمَذَانَ، فَحُمِلَ منها إلى الرَّيِّ لِيَقْرَأَ عليه أبو طالِبٍ ابْنُ فَخْرِ الدَّوْلَةِ فَسَكَنَهَا.

وكانَ شافِعِيًّا، فَتَحَوَّلَ مالكيًّا. وقال: أَخَذَتْنِي الْحَمِيَّةُ لهذا الإمامِ أنْ يَخْلُوَ مِثْلُ هذا الْبَلَدِ عن مَذْهَبِهِ.

وكانَ الصَّاحِبُ بنُ عَبَّادٍ تِلْمِيذَهُ[3]. ويقولُ: شَيْخُنَا ممن رُزِقَ حُسْنَ التَّصنيفِ.

وكانَ كَرِيمًا جَوادًا، رُبَّما سُئِلَ فَيَهَبُ ثِيَابَهُ وفُرُشَ بَيْتِهِ.

صَنَّفَ: "**الْمُجْمَلُ فِي اللُّغَةِ**"، "**فِقْهُ اللُّغَةِ**"، "**مُقَدِّمَةٌ فِي النَّحْوِ**"، "**ذَمُّ الْخَطَإِ فِي الشِّعْرِ**"، "**فَتَاوَى فَقِيهِ الْعَرَبِ**"، "**الإِتْبَاعُ وَالْمُزَاوَجَةُ**"، "**اخْتِلافُ**

(1) المنجد، في معجم الأدباء، والمجهد، في بغية الوعاة.

(2) ينظر بغية الوعاة: 2/ 158.

(3) تلمذ له، في رئيس الكتاب وأنطاليا وعاطف أفندي.

النَّحْوِيِّينَ"، "الِانْتِصارُ لثَعْلَبِ النَّحْوِيِّ"، "اللَّيْلُ والنَّهارُ"، "خَلْقُ الإنْسانِ"، "تَفْسيرُ أسْماءِ النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وسَلَّمَ". وَغَيْرَ ذلك.

قال الذَّهَبِي: ماتَ سنَةَ خَمْسٍ وتِسْعينَ وثَلاثِمِئَةٍ. وهو أصَحُّ ما قيلَ في وَفاتِهِ[1].

ومن شِعْرِهِ: [المتقارب]

إذَا كُنْتَ في حَاجَةٍ مُرْسِلًا وَأَنْتَ بِهَا كَلِفٌ مُغْرَمُ[2]
فَأَرْسِلْ حَكِيمًا ولا تُوصِهِ وذاكَ الْحَكِيمُ هو الدِّرْهَمُ

ـ ومنها: **"دِيوَانُ الْأَدَبِ"**، لِلْفَارَابِيِّ، وهو إسْحاقُ بنُ إبْراهيمَ الْفارابِيُّ أبو إبْراهيمَ، وخَالُ أبي نَصْرٍ الْجَوْهَرِيِّ. وتَرَامَى به الاغْتِرَابُ إلى أَرْضِ الْيَمَنِ، وسَكَنَ زَبِيدَ، وبها صَنَّفَ: **"كتابُ الْمُجْمَلِ"**.

وَماتَ قَبْلَ أن يُرْوى عنه قَرِيبًا من سَنَةِ خَمْسينَ وثَلاثِمِئَةٍ وقيلَ: في حُدودِ السَّبْعينَ.

وقالَ ياقوتٌ: رَأَيْتُ نُسْخَةً من هذا الْكِتابِ بِخَطِّ الْجَوْهَرِيِّ، وقد ذَكَرَ فيها أنَّه قَرَأَهُ على أبي إبراهيمَ بِفَارَابَ.

وقال الْحَاكِمُ: قَرَأْتُ بَعْضَهُ على يوسُفَ بنِ مُحَمَّدِ بنِ إبراهيمَ الفَرْغَانِيِّ. قال: قَرَأْتُهُ على أبي عليٍّ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ سَعيدِ الزَّامِينِيِّ. قال: قَرَأْتُهُ على

---

(1) بغية الوعاة: 1/ 352.

(2) البيتان في وفيات الأعيان: 1/ 119، وبغية الوعاة: 1/ 352.

مُؤَلِّفِهِ أبي إِبْراهيمَ. فهذا يُبْطِلُ الْقَوْلَ الْمَذْكورَ، أعْنِي أَنَّهُ لَمْ يُرْوَ عنه هذا الْكِتابُ.

وله أيْضًا: "شَرْحُ أدَبِ الكَاتِبِ"، و"بَيَانُ الإِعْرَابِ"[1].

ومن الْمَبْسوطاتِ[2]:

- **"الْعَالَمُ في اللُّغَةِ"**، لِأَحْمَدَ بْنِ أَبانَ بْنِ سيِّدِ اللُّغَوِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ. أَخَذَ عن أبي عَلِيٍّ القَالِيِّ وغَيْرِهِ. وكانَ عالِمًا إمامًا في اللُّغَةِ والْعَربِيَّةِ، حاذِقًا أَديبًا سَريعَ الْكِتابَةِ. رَوَى عنه الإِفْلِيلِيُّ.

وَصَنَّفَ: **"الْعَالَمُ - بفتح اللَّامِ - في اللُّغَةِ"**، مِئَةَ مُجَلَّدٍ. مُرَتَّبٌ على الْأَجْناسِ، بَدَأَ فيه بالْفَلَكِ، وخَتَمَ بالذَّرَّةِ، و**"شَرْحُ كِتَابِ الْأَخْفَشِ"**. وَغَيْرَ ذَلِكَ.

مات سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وثَمانينَ وثَلاثِمِئَةٍ.

قُلْتُ: أَسْمَعُ هذا الْكِتابَ ولم أَرَهُ[3].

- **ومنها: "التَّهذِيبُ" و "الْجَامِعُ"**، لِلْأَزْهَرِيِّ، وهو مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بنِ الْأَزْهَرِ بنِ طَلْحَةَ بنِ نوحٍ الْأَزْهَرِيُّ اللُّغَوِيُّ الأديبُ الْهَرَوِيُّ الشَّافِعِيُّ، أبو منصورٍ. وُلِدَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وثَمانينَ ومِئَتَيْنِ. وَأَخَذَ عن الرَّبيعِ بْنِ سُلَيْمانَ، ونِفْطَوَيْهِ، وابْنِ السَّرَّاجِ، وَأَدْرَكَ ابْنَ دُرَيْدٍ، ولم يَرْوِ عنه. وَوَرَدَ بغدادَ،

---

(1) بغية الوعاة: 1/ 438.

(2) ينظر: إرشاد القاصد: 111.

(3) بغية الوعاة: 1/ 291.

وأَسَرَتْهُ الْقَرَامِطَةُ، فَبَقِيَ فيهم دَهْرًا طويلًا، وكانَ رَأْسًا في اللُّغَةِ. أخَذَ عنه الْهَرَوِيُّ صاحِبُ "الْغَرِيبَيْنِ".

وله من التَّصانيفِ: "التَّهْذِيبُ في اللُّغَةِ"، "تَفْسِيرُ ألفاظِ مُخْتَصَرِ الْمُزَنِيِّ"، "التَّقْرِيبُ في التَّفْسِيرِ"، وَغَيْرُ ذَلِكَ.

وكانَ عارِفًا بالحديثِ، عَالِيَ الإسْنَادِ، ثَخِينَ الْوَرَعِ.

ماتَ في رَبيعِ الْآخِرِ سَنَةَ سَبْعينَ وثَلاثِمِئَةٍ[1].

ـ ومنها: "الْعُبَابُ الزَّاخِرُ"، للصَّغَانِيِّ، ويُقالُ: الصَّاغَانِيُّ بالْأَلِفِ، وهو الْحَسَنُ بنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ حَيْدَرَ بنِ علي الْعَدَوِيُّ الْعُمَرِيُّ، الإمامُ رَضِيُّ الدِّينِ أبو الفضائِلِ الصَّغَانِيُّ؛ بِفَتْحِ الصَّادِ الْمُهْمَلَةِ، وَتَخْفِيفِ الْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ؛ ويُقالُ: الصَّاغَانِيُّ بالْأَلِفِ، الْحَنَفِيُّ، حامِلُ لِواءِ اللُّغَةِ في زَمانِهِ.

قال الذَّهَبِيُّ: وُلِدَ بِمَدينَةِ لَوْهُورَ سَنَةَ سَبْعٍ وَسَبْعينَ وخَمْسِمِئَةٍ. ونَشَأَ بِغَزْنَةَ، ودَخَلَ بَغْدادَ سنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ وسِتِّمِئَةٍ. وذَهَبَ منها بالرِّئاسَةِ الشَّريفَةِ إلى صاحِبِ الْهِنْدِ، فَبَقِيَ مُدَّةً وحَجَّ، ودَخَلَ الْيَمَنَ، ثمَّ عادَ إلى بَغْدادَ، ثم إلى الْهِنْدِ، ثمَّ إلى بَغْدادَ. وسَمِعَ من النِّظامِ الْمَرْغِينَانِيِّ، وكان إليه الْمُنْتَهى في اللُّغَةِ.

كان يقولُ لأصْحابِهِ: اِحْفَظُوا غَريبَ أبي عُبَيْدٍ، فمن حَفِظَهُ مَلَكَ أَلْفَ دينارٍ، فإنِّي حَفِظْتُهُ فَمَلَكْتُها، وأشَرْتُ على بعض أصحابي بِحِفْظِهِ فَحَفِظَها

---

(1) بغية الوعاة: 1/ 20.

ومَلَكَها. حَدَّثَ عنه الشَّرَفُ الدِّمْيَاطِيُّ، كانَ شَيْخًا صالِحًا صَدوقًا، صَموتًا عن فُضولِ الْكَلامِ، إمامًا في اللُّغَةِ والْفِقْهِ والْحَديثِ.

وله من التَّصانيفِ: **"مَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ"** في اللُّغَةِ، اثْنَيْ عَشَرَ مُجَلَّدًا، **"التَّكْمِلَةُ على الصَّحَاحِ"**، و**"الْعُبَابُ الزَّاخِرُ"**، وَصَلَ فيه إلى باب "بَكَمَ". وفيه[1] قيلَ: [مجزوء الرجز]

إنَّ الصَّـــغَـانِـيَّ الَّـذِي ... حَـازَ الْعُلومَ والْحِكَمْ[2]
كـانَ قُصَـــارَى أَمْـرِهِ ... أنِ انْـتَـهَـى إلـى بَـكَـمْ

وَصَنَّفَ: **"الشَّوَارِدُ في اللُّغاتِ"**، و **"تَوْشِيحُ الدُّرَيْدِيَّةِ"**، و **"التَّرَاكِيبُ"**، و**"فَعَّالٌ وفَعْلانُ"**، و **"الأَضْدَادُ"**، وكِتابَ **"أَسْماءُ السَّعادَةِ"**، و **"كِتابُ الأَثَرِ"**، وكِتابَ **"أَسْماءُ الدِّينِ"**[3]، و **"مَشارِقُ الأنْوارِ"**، في الْحَديثِ، و**"شَرْحُ الْبُخارِي"**، مُجَلَّدٌ، و **"دُرُّ السَّحابَةِ في وَفَياتِ الصَّحابَةِ"**، و **"الْعَروضُ"**، و**"شَرْحُ أَبْياتِ الْمُفَصَّلِ"**، و**"نَقْعَةُ الصَّدْيَانِ"**، و **"كتابٌ في التَّصْريفِ"**، و**"كِتابُ مَناسِكِ الْحَجِّ"**، وغَيْرَ ذلِكَ.

قالَ الدِّمْيَاطِيُّ: وكان معه مَوْلودٌ، وقد حَكَمَ فيه بِمَوْتِهِ في وَقْتِهِ، فكان يَتَرَقَّبُ ذلك الْيَوْمَ، فَحَضَرَ ذلك الْيَوْمُ، وهو مُعَافَى. فَعَمِلَ لأصْحابِهِ طَعامًا شُكْرَانَ ذلك، وَفارَقْناهُ، وعَدَّيْتُ إلى الشَّطِّ، فَلَقِيَني شَخْصٌ أخْبَرَني بِمَوْتِهِ.

---

(1) وقد، في مراد ملا.

(2) البيتان مع سائر الترجمة منقولة من بغية الوعاة: 1/ 519-520.

(3) كذا في النسخ الخطية وفي بغية الوعاة: 1/ 520، ولعل الصواب كتاب أسماء الذئب، منه نسخة خطية في دار الكتب رقم: 1852 أدب، والكتاب مطبوع.

فقلتُ له: السَّاعَةَ فارَقْتُهُ. فقال: والسَّاعَةَ وَقَعَ الْحِمَامُ يُخْبِرُ بِمَوْتِهِ فَجْأَةً. وذلك سَنَةَ خَمْسِينَ وَسِتِّمِئَةٍ.

ـ ومنها: "**الْمُحْكَمُ**"، لابْنِ سِيدَه، وهو عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ سِيدَه، اللُّغَوِيُّ النَّحْوِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ، أبو الْحَسَنِ الضَّريرُ. وقيلَ: اسْمُ أَبِيهِ مُحَمَّدٌ. وَقيلَ: إسْماعِيلُ. كانَ حافِظًا، لم يكنْ في زَمانِهِ أعْلَمَ منه بالنَّحْوِ واللُّغَةِ والأشْعارِ وأيَّامِ الْعَرَبِ وما يَتَعَلَّقُ بها، مُتَوَفِّرًا[1] على عُلومِ الْحِكْمَةِ.

رَوى عن أَبيهِ، وصاعِدِ بنِ الْحَسَنِ الْبَغْدادِيِّ.

قال أبو عُمَرَ الطَّلَمَنْكِيُّ: دَخَلْتُ مُرْسِيَةَ، فَتَشَبَّثَ بي أَهْلُها لِيَسْمَعوا عَلَيّ غَريبَ الْمُصَنَّفِ. فقلتُ لهم: انْظُروا من يَقْرَأُ لكم، فَأَتَوْا بِرَجُلٍ أعْمى يُعْرَفُ بابْنِ سِيدَه، فَقَرَأَهُ[2] عَلَيَّ من أوَّلِهِ إلى آخِرِهِ من حِفْظِهِ فَعَجِبْتُ منه.

صَنَّفَ: "**الْمُحْكَمُ والْمُحِيطُ الْأَعْظَمُ**"، في اللُّغَةِ، "**شَرْحُ إصْلَاحِ الْمَنْطِقِ**"، "**شَرْحُ الْحَمَاسَةِ**"، "**شَرْحُ كِتَابِ الْأَخْفَشِ**"، وَغَيْرَ ذَلِكَ.

ماتَ سنَةَ ثَمانٍ وخَمْسينَ وأَرْبَعِمِئَةٍ عن نَحْوِ سِتِّينَ سَنَةٍ[3].

ـ ومنها: "**الصَّحَاحُ**"، لِلْجَوْهَرِيِّ، وهو الْمَشْهورُ عند الْجُمْهورِ، واسْمُهُ إسْماعيلُ بْنُ حَمَّادٍ، الإمامُ أبو نَصْرٍ الْفَارَابِيُّ.

---

(1) متوافرا، في أنطاليا.

(2) فقرأ، في قونية.

(3) بغية الوعاة: 2/ 143.

قال ياقوتٌ: كانَ مِنْ أعاجيبِ الزَّمانِ ذَكاءً وفِطْنَةً وعِلْمًا. وأصْلُهُ من فَارَابِ التُّرْكِ، وكانَ إمامًا في اللُّغَةِ والْأَدَبِ، وَخَطُّهُ يُضْرَبُ به الْمَثَلُ، لا يَكادُ يُفَرَّقُ بينه وبينَ خَطِّ ابْنِ مُقْلَةَ. وهو مع ذلِكَ من فُرْسانِ الزَّمَانِ والْأُصولِ[1]. وكان يُؤْثِرُ السَّفَرَ على الْحَضَرِ، ويُطَوِّفُ الْآفاقَ.

ودَخَلَ الْعِراقَ، فَقَرَأَ الْعَرَبِيَّةَ على أبي عَلِيٍّ الفَارِسِيِّ والسِّيرَافِيِّ، وَسافرَ إلى الْحِجازِ وشَافَهَ باللُّغَةِ الْعَرَبَ الْعارِبَةَ، وطَوَّفَ بِلادَ رَبِيعَةَ ومُضَرَ، ثم عادَ إلى خُرَاسَانَ، ونَزَلَ الدَّامَغَانَ عند أبي الحُسين ابنِ عَلِيٍّ، أَحَدِ أعْيانِ الكُتَّابِ والْفُضَلاءِ. ثمَّ أَقامَ بِنَيْسابورَ مُلازِمًا لِلتَّدْريسِ والتَّأليفِ، وتَعَلُّمِ الْخَطِّ وَكِتابَةِ الْمَصَاحِفِ وَالدَّفَاتِرِ، حتَّى مَضَى لِسَبيلِهِ عن آثارٍ جَميلَةٍ.

وَصَنَّفَ: كِتابًا في الْعَروضِ، ومُقَدِّمَةً في النَّحْوِ، و "الصَّحَاحُ" في اللُّغَةِ، وهو الْكِتابُ الَّذِي بأَيْدِي النَّاسِ الْيَوْمَ، وعليه اعْتِمادُهُمْ، أَحْسَنَ تَصْنِيفَهُ، وَجَوَّدَ تَأْلِيفَهُ. وفيه يَقولُ إسْماعيلُ بْنُ عَبْدوسٍ النَّيْسَابُورِيُّ: [المنسرح]

هَذَا كِتَابُ الصَّحَاحْ سَيِّدُ مَا ... صُنِّفَ قَبْلَ الصَّحَاحِ في الْأَدَبِ[2]
يَشْمَلُ أَبْوَابَهُ وَيَجْمَعُ مَا ... فُرِّقَ في غَيْرِهِ من الْكُتُبِ

هذا مع تَصْحِيفٍ فيه في مَوَاضِعَ عِدَّةٍ، تَتَبَّعَهَا عليه الْمُحَقِّقونَ.

---

(1) كذا في جميع النسخ، وفي معجم الأدباء: من فرسان الكلام في الأصول. وفي بغية الوعاة مصدر الترجمة: والأصول، ولعله الأقرب للصواب، وأحسن منه التوليف بينهما، فتصير العبارة: وهو من فرسان الزمان في الكلام والأصول.

(2) بغية الوعاة: 1/ 447.

وَقِيلَ: إنَّ سَبَبَهُ أنّه لما صُنِّفَ سُمِعَ عليه إلى بابِ الضَّادِ الْمُعْجَمَةِ، وعَرَضَ له وَسْوَسَةٌ، فانْتَقَلَ إلى الْجامِعِ الْكَبِيرِ بِنَيْسَابُورَ، فَصَعِدَ سَطْحَهُ وقال: أيُّها النَّاسُ، إنِّي عَمِلْتُ في الدُّنْيا شَيْئًا لم أُسْبَقْ إليه، فَسَأَعْمَلُ للآخِرَةِ أَمْرًا لم أُسْبَقْ إليه؛ وَضَمَّ إلى جَنْبَيْهِ مِصْرَاعَيْ بابٍ، وتَأَبَّطَهُمَا بِحَبْلٍ، وصَعِدَ مَكانًا عالِيًا، وزَعَمَ أَنَّهُ يَطِيرُ، فَوَقَعَ ومَاتَ. وبَقِيَ سائِرُ الْكِتَابِ مُسَوَّدَةً غَيْرَ مُنَقَّحٍ ولا مُبَيَّضٍ، فَبَيَّضَهُ تِلْمِيذُهُ إبراهيمُ بنُ صالِحٍ الْوَرَّاقُ، فَغَلِطَ فيه في مَواضِعَ.

قال ياقوتٌ: وقد بَحَثْتُ عن مَوْلِدِهِ وَوَفَاتِهِ بَحْثًا شَافِيًا فلم أَقِفْ عليهما. وقد رَأَيْتُ نسخةً من الصَّحَاحِ عند الْمَلِكِ الْمُعَظَّمِ بِخَطِّهِ، وقد كَتَبَها في سَنَةِ سِتٍّ وَتِسْعِينَ وثَلاثِمِئَةٍ.

وقالَ ابنُ فَضْلِ اللهِ[1] في الْمَسَالِكِ: ماتَ سنَةَ ثَلاثٍ وَتِسْعينَ وَثَلاثِمِئَةٍ. وقيلَ: في حُدودِ الأَرْبَعِمِئَةِ.

ومن شِعْرِهِ: [السريع]

لَوْ كَانَ لِي بُدٌّ مِنَ النَّاسِ قَطَعْتُ حَبْلَ النَّاسِ بالْيَاسِ[2]
الْعِزُّ فِي الْعُزْلَةِ لَكِنَّهُ لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنَ النَّاسِ

هذا ما ذَكَرَهُ السُّيوطِيُّ[3].

---

(1) أبو العباس شهاب الدين أحمد بن فضل الله بن يحيى العمري، صاحب كتاب "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار"، (ت.749هـ).

(2) البيتان في يتيمة الدهر: 4/ 469، ومعجم الأدباء: 2/ 659، وبغية الوعاة: 1/ 447.

(3) بغية الوعاة: 1/ 447.

قُلْتُ: رَأَيْتُ في ظَهْرِ بعض نُسَخِ **الصَّحَاحِ** أَنَّ الْجَوْهَرِيَّ ابْنُ أُخْتِ الْفَارَابِيِّ، وهو أبو إبراهيمَ إسْحاقُ بْنُ إِبْراهِيمَ الْفارابِيُّ صاحِبُ "**دِيوانُ الأَدَبِ**"، ذَكَرَهُ أبو سَهْلٍ الْهَرَوِيُّ بِخَطِّهِ. ثُمَّ قالَ: تُوُفِّيَ رَحِمَهُ اللهُ في سنَةِ ثَلاثٍ وَسَبْعينَ وَثَلاثِمِئَةٍ، وقدْ تَلَقَّتِ الْأُمَّةُ كِتابَهُ بالْقَبُولِ.

ولابْنِ بَرِّي عليه **حَواشٍ** مُفيدَةٌ، وله **تَكْمِلَةٌ وحواشٍ**، لِلصَّغَانِي، ويَجْمَعُ بينهما وبينَ **الصَّحَاحِ** في **مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ**، إِلَّا أَنَّهُ قالَ ابْنُ الصَّلَاحِ في: **مُشْكِلِ الْوَسيطِ**: لا يُقْبَلُ ما تَفَرَّدَ به، وأَنْكَرَ عليه قَوْلَهُ: سائِرُ النَّاسِ جَميعُهُمْ. وقالَ: إنَّه تَفَرَّدَ به، وَرُدَّ بأَنَّ التِّبْريزيَّ والْجَوَالِيقِيَّ وغيرَهُمَا نَقَلُوا ذلك.

قال نَصْرُ بنُ عيسى بْنِ عَلِيٍّ خُزَرِيٌّ[1]: وَصَلْتُ إلى الْمَوْصِلِ في سَنَةَ خَمْسٍ وَثَمانِينَ وخَمْسِمِئَةٍ، فَوَجَدْتُ ثَمَّةَ "**صَحَاحُ اللُّغَةِ**" بِخَطِّ الشَّيخِ أبي زَكرِيَّاءَ يَحْيَى بْنِ عَلِيٍّ الْخَطيبِ التِّبْرِيزِيِّ، وعلى ظَهْرِهَا مَكْتوبٌ:

عَارَضْتُهُ مِنْ أَوَّلِهِ إلى آخِرِهِ، وهو كِتابٌ حَسَنُ التَّرْتِيبِ، سَهْلُ الْمَطْلَبِ لما يُرَادُ منه. وقد أَتَى بِأَشْياءَ حَسَنَةٍ، وتَفاسيرَ مُشْكِلاتٍ من اللُّغَةِ، إِلَّا أَنَّهُ مع ذَلِكَ فيه تَصْحِيفٌ كَثيرٌ لا يُشَكُّ أنه من الْمُصَنِّفِ لا من النَّاسِخِ، لأَنَّ الْكِتابَ مَبْنِيٌّ على الْحُروفِ[2]. فَمِنْ جُمْلَتِهِ الْمَسْأَلَةُ الْمَعْروفَةُ من "**كتاب سِيبَوَيْهِ**":

(1) ابن خرويٍّ كذا في جميع النسخ، ولعلها خُزَرِيٌّ كما ضبطها صاحب توضيح المشتبه: 2/ 325، وتنظر أيضا ترجمة ابنه في قلائد الجمان: 1/ 131.

(2) الحرف، في أنطاليا. ينظر المزهر: 1/ 75.

"ما أَغْفَلَهُ عنك شَيْئًا؛ أي دَعِ الشَّكَّ"[1]. ولَفْظُ سِيبَوَيْهِ بالْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ والْفاءِ، فأَثْبَتَهُ في فَصْلِ الْعَيْنِ الْمُهمَلَةِ والْقافِ. وإنَّما فَسَّرَهُ سِيبَوَيْهِ بِقَوْلِهِ: دَعِ الشَّكَّ، إِشارَةً إلى أنَّ شَيْئًا لَيْسَ مَفْعولَ أَفْعَلَ، لأنَّهُ اسْتَوْفَى مَفْعولَهُ، ومَعْناهُ أنَّ إنْسانًا تَوَهَّمَ أنَّ إنسانًا مُعِينٌ بِأَمْرِهِ، كافِلٌ له، فقيل له: ما أَغْفَلَ هذا الذي تَظُنُّهُ مُعِينًا بِأَمْرِكَ عنك، ودَعِ الشَّكَّ فيما أَقولُهُ. فَقَوْلُهُ: شَيْئًا، مَفْعولُ دَعْ "الْمُقدَّرِ" كأَنَّهُ قالَ: دَعْ أَمْرًا يُشَكِّكُكَ فيه، كذا بَيَّنَهُ ابْنُ جِنِّي. وقد بَيَّنْتُ ما صُحِّفَ فيه، وأَثْبَتُّهُ في مَتْنِ الْكِتابِ بعلامَةِ "ط"[2] -قُلْتُ: أَرادَ به الْخَطِيبَ- ولا يَخْلُو الْكُتُبُ الْكِبَارُ من سَهْوٍ يَقَعُ فيها أو غَلَطٍ. وهذا أبو عُبَيْدٍ كَمْ رُدَّ عليه في "الْغَريبُ"، غير أنَّ الْقَليلَ من الْغَلَطِ في جَنْبِ الْكَثيرِ الَّذِي اجْتَهَدوا فيه، وَأَتْعَبوا نُفوسَهُمْ في تَصْحيحِهِ وتَنْقيحِهِ مَعْفُوٌّ عنه.

أَنْشَدَ الإمامُ رَشيدُ الدِّينِ عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ بْنِ نَصْرٍ الْفَرْغَانِيُّ رحمه الله: [مجزوء الرجز]

لَيْسَتْ صَحَاحُ الْجَوْهَرِي إلَّا صِحَاحَ الْجَوْهَرِ[3]
مَا فِيهِ مِنْ مُكَسَّرِ حَاشَاهُ مِنْ مُكَسَّرِ

وَلِبَعْضِ الْأُدَباءِ في اسْتِعارَةِ هذا الْكِتابِ مُخاطِبًا لِبَعْضِ الرُّؤَساءِ: [الكامل]

(1) كتاب سيبويه: 2/ 129.

(2) ظاهرة، في أنطاليا وعاطف أفندي.

(3) لم نقف عليهما.

مَوْلَايَ إِنْ وَافَيْتُ بَابَكَ طَالِبًا مِنْكَ الصَّحَاحَ فَلَيْسَ ذَاكَ بِمُنْكَرِ[1]
الْبَحْرُ أَنْتَ وَهَلْ يُلَامُ فَتًى سَعَى لِلْبَحْرِ كَيْ يَلْقَى صَحَاحَ الْجَوْهَرِي

قيلَ: يُقالُ: كِتابُ **"الصَّحاحُ"** بِفَتْحِ الصَّادِ، وهو اسْمٌ مُفْرَدٌ بمعنى الصَّحيحِ. يُقالُ: صَحَّحَهُ اللهُ فهو صَحِيحٌ وصَحَاحٌ، والْجَارِي على أَلْسِنَةِ الْأَكْثَرينَ كَسْرُ الصَّادِ، على أَنَّهُ جَمْعُ صَحِيحٍ؛ مِثْلَ: ظَرِيفٍ وظِرَافٍ، وبَعْضُهُمْ يُنْكِرُ الْكَسْرَ بالنِّسْبَةِ إلى تَسْمِيَةِ هذا الْكِتابِ، ولا مُسْتَنَدَ له إلَّا أنْ يُقالُ: إنَّهُ ثَبَتَ رِوَايَةً عن مُصَنِّفِهِ. واللهُ أَعْلَمُ.

قُلْتُ: وقد عَلَّقَ ابنُ بَرِّي نُكَتًا مُفِيدَةً على **"الصَّحَاحُ"**[2]. وهو عَبْدُ اللهِ ابنُ بَرِّي بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ، أبو مُحَمَّدٍ الْمَقْدِسِيُّ الْمِصْرِيُّ النَّحْوِيُّ اللُّغَوِيُّ. شاعَ ذِكْرُهُ واشْتَهَرَ، وَلَمْ يَكُنْ في الدِّيارِ الْمِصْرِيَّةِ مِثْلُهُ. قَرَأَ **"كتاب سِيبَوَيْهِ"** على مُحَمَّدِ بنِ عبدِ الْمَلِكِ الشَّنْتَرِينِيِّ، وتَصَدَّرَ لِلإِقْراءِ بِجامِعِ عَمْرٍو. وكان مع عِلْمِهِ وغَزارَةِ فَهْمِهِ ذا غَفْلَةٍ. يُحْكى عنه حِكاياتٌ عَجيبَةٌ، منها: أَنَّهُ جَعَلَ في كُمِّهِ عِنَبًا، فَجَعَلَ يَعْبَثُ به، ويُحَدِّثُ شَخْصًا حتى نَقَّطَ على رِجْلَيْهِ، فقال لِرَفيقِهِ: تُحِسُّ الْمَطَرَ، فقال: لا، وإنَّمَا هو مِنَ الْعِنَبِ، فَخَجِلَ ومَضَى.

وكان قَيِّمًا بالنَّحْوِ واللُّغَةِ والشَّوَاهِدِ، ثِقَةً، قَرَأَ عليه الْجُزُولِيُّ، وَأَجازَ لأَهْلِ عَصْرِهِ، وكان له تَصَفُّحٌ على ديوانِ الإنْشَاءِ.

---

(1) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين: 8/ 500، خلاصة الأثر: 3/ 327.

(2) سماها: "التَّنبيه والإفصاح عما وقع من الوهم في كتاب الصَّحاح".

وَصَنَّفَ: **"اللُّبَابُ لِلرَّدِّ على ابنِ الْخَشَّابِ"**[1]، في رَدِّهِ على **"دُرَّةُ الْغَوَّاصِ"**، لِلْحَرِيرِيِّ. وله **حواشٍ على الصَّحاحِ**.

قال الصَّفَدِيُّ: لم يُكْمِلْهَا بل وَصَلَ إلى وَقَش، وهو رُبُعُ الْكِتَابِ، فأَكْمَلَهَا الشَّيخ عبد الله بن محمد الْبَسْطِيُّ.

ماتَ ابْنُ بَرِّي لَيْلَةَ السَّابِعَةِ والْعِشْرينَ من شَوَّالٍ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَمانينَ وَخَمْسِمِئَةٍ[2].

قُلْتُ: لِلصَّحاحِ تَكْمِلَةٌ وحَوَاشٍ لِلصَّغَانِيِّ، وَيَجْمَعُ بينهما وبينَ **الصَّحاحِ** في **مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ**.

وَمِنَ الْمَبْسوطاتِ مِنْ كُتُبِ اللُّغَةِ[3]:

- **"اللَّامِعُ الْمُعْلِمُ الْعُجَابُ الْجَامِعُ بينَ الْمُحْكَمِ والْعُبَابِ"**، وقد بَلَغَ تَمامُهُ سِتِّينَ مُجَلَّدَةً[4]، ثُمَّ لَخَّصَهُ مُؤَلِّفُهُ مَجْدُ الدِّينِ الشِّيرَازِيُّ في مُجَلَّدَتَيْنِ[5] وسَمَّاهُ: **"الْقاموسُ الْمُحيطُ والْقابوسُ الْوَسيطُ الْجامِعُ لما ذَهَبَ من لُغَةِ الْعَرَبِ شَماطيطَ"**.

---

(1) ردّ فيه على أبي محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد بن الخشّاب النحويّ (ت.567هـ)، وانتصر للحريري، وألف موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي الموصلي البغدادي (ت.629هـ) كتاب: الإنصاف بين ابن بري وابن الخشاب في كلامهما على المقامات.

(2) ينظر: بغية الوعاة: 2/ 34.

(3) ينظر: إرشاد القاصد: 111.

(4) مجلدا، في قونية. والكتاب في حكم المفقود.

(5) في مجلدين، في قونية.

قُلْتُ: الْقاموسُ: مُعْظَمُ ماءِ الْبَحْرِ، والْقابوسُ: الرَّجُلُ الْجَميل الْحَسَنُ الْوَجْهِ، الْحَسَنُ اللَّوْنِ. ويُقالُ: رَجُلٌ وَسيطٌ فيهم: أي أَوْسَطُهُمْ نَسَبًا، وَأَرْفَعُهُمْ مَحَلًّا. ويُقالُ: قَوْمٌ شَماطيطُ: أَيْ مُتَفَرِّقَةٌ، وَجاءَتِ الْخَيْلُ شَماطيطَ أي مُتَفَرِّقَةً أَرْسَالًا.

واعْلَمْ أَنَّ صاحِبَ **الْقاموسِ** زادَ على **"الصَّحاحُ"** مِثْلَ ما فيه. ومَيَّزَ زِياداتِهِ بالْحُمْرَةِ، وَأَخَذَ على **"الصَّحاحُ"** في كَثيرٍ من الْمَواضِعِ، وبَيَّنَ أَغْلَاطَهُ وَأَوْهامَهُ.

وهو: مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقوبَ بْنِ مُحَمَّدِ بنِ إِبْراهيمَ بنِ مُحَمَّدِ بْنِ أبي بَكْرِ بْنِ إِدْريسَ بنِ فَضْلِ اللهِ الشِّيرَازِيُّ الْفِيرُوزَابَاذِيُّ الْعَلامَةُ مَجْدُ الدِّينِ أبو الطَّاهِرِ، إمامُ عَصْرِهِ في اللُّغَةِ.

قالَ ابْنُ حَجَرٍ: كان يَرْفَعُ نَسَبَهُ إلى الشَّيخِ أبي إِسْحاقَ الشِّيرَازِيِّ صاحِبِ **"التَّنْبِيهُ"**. ويَذْكُرُ بعد إِبْراهيمَ بنِ عُمَرَ بنِ أَحْمَدَ بنِ مَحْمودِ بنِ إِدْريسَ فَضْلَ اللهِ بنَ الشَّيْخِ أبي إِسْحاقَ، وَكانَ النَّاسُ يَطْعَنُونَ في ذَلِكَ مُسْتَنِدِينَ إلى أن الشَّيْخَ لم يُعْقِبْ، وكان لا يُبالي من ذلك. ثم ارْتَقَى، فادَّعَى بعد أن وَلِيَ قَضاءَ الْيَمَنِ، أَنَّهُ من ذُرِّيَّةِ أبي بَكْرِ الصِّدِّيقِ رَضِيَ الله عنه، وكَتَبَ بِخَطِّهِ **"الصِّدِّيقِيُّ"**.

قال ابن حَجَرٍ: ولم يَكُنْ مَدْفُوعًا عن مَعْرِفَةٍ، إلا أنَّ النَّفْسَ تَأْبَى قَبُولَ ذلك.

وُلِدَ [في رَبيعِ الْأَوَّلِ][1] سَنَةَ تِسْعٍ وَعِشْرينَ وَسَبْعِمِئَةٍ بِكَازَرُونَ[2]، وتَفَقَّهَ بِبِلَادِهِ، وسَمِعَ بها من مُحَمَّدِ بنِ يوسُفَ الزَّرَنْدِيِّ الْمَدَنِيِّ، ونَظَرَ في اللُّغَةِ، فَمَهَرَ فيها إلى أَنْ بَهَرَ وفَاقَ، وَاشْتَهَرَ اسْمُهُ ـ وهو شابٌّ ـ في الآفاقِ، وطَلَبَ الْحَديثَ، وسَمِعَ من الشُّيوخِ، وقَدِمَ الشَّامَ بعد الْخَمْسينَ، إمَّا سَنَةَ خَمْسٍ أو في السَّنَةِ الَّتِي بَعْدَها، فَسَمِعَ بها من ابْنِ الْخَبَّازِ، وابْنِ الْقَيِّمِ، والتَّقِيِّ السُّبْكِيِّ، وَوَلَدِهِ تاجِ الدِّينِ، والْعَرَضِيِّ، وابْنِ نُبَاتَةَ، والشَّيْخِ خَلِيلِ الْمَالِكِيِّ، وعن الْقاضِي عِزِّ الدِّينِ ابْنِ جَمَاعَةَ، وخَلْقٍ كَثِيرٍ. ودَخَلَ الْقُدْسَ، وَسَمِعَ من الْحافِظِ صَلاحِ الدِّينِ الْعَلَائِيِّ[3].

ثُمَّ دَخَلَ مِصْرَ، وسَمِعَ بها، وقَدِمَ مَكَّةَ، وسَمِعَ بها، وجالَ في الْبِلادِ، ولَقِيَ جماعَةً من الْفُضَلاءِ، وَأَخَذَ عنهم، وأَخَذُوا عنه، وظَهَرَتْ فَضائِلُهُ، وكَتَبَ النَّاسُ تَصَانِيفَهُ.

وذَكَرَهُ الصَّفَدِيُّ في تَذْكِرَتِهِ، وكَتَبَ عنه في سَنَةِ سَبْعٍ وَخَمْسينَ بِدِمَشْقَ. وجَالَ في الْبِلادِ الشَّماليَّةِ[4] والشَّرْقِيَّةِ، ودَخَلَ الْهِنْدَ، ثمَّ زَبِيدَ، فَتَلَقَّاهُ مَلِكُها الْأَشْرَفُ إسْماعيلُ بالْقَبُولِ، وقَرَّرَهُ في قَضائِهَا، وبالَغَ في إكرامه، ووافَقَ دُخولُهُ بها وَفاةَ الْقَاضِي جَمالِ الدِّينِ الرِّيمِيِّ شارِحِ التَّنبيهِ، فَقَرَّرَهُ الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ إسْماعيلُ في الْقَضاءِ بِالْبِلادِ الْيَمَنِيَّةِ، فلمْ يَزَلْ ذلك بِاسْمِهِ إلى أنْ

---

(1) زيادة من أنطاليا.

(2) بكارزين، في بغية الوعاة وكلاهما حاضرتان من بلاد فارس.

(3) الحافظ صلاح الدين خليل بن كيكلدي بن عبد الله العلائي الدمشقي (ت. 761هـ) ينظر: تهذيب الكمال: 1/ 101، معجم الشيوخ للسبكي: 178، وفيات ابن رافع: 2/ 226.

(4) كتب تحتها في نسخة أنطاليا في البلاد الشامية الشمالية والشرقية.

ماتَ. وكانَ الْأَشْرَفُ يُكْرِمُهُ كَثِيرًا، وصَنَّفَ له كِتابًا، وَأَهْداهُ على أَطْباقٍ، فَمَلأَها له فِضَّةً. ولم يُقَدَّرْ أنه دَخَلَ بَلْدَةً إلا وأكْرَمَهُ مُتَوَلِّيهَا.

وكان مُعَظَّمًا عند الْمُلوكِ، أَعْطَاهُ تَيْمُورُلَنْكُ خَمْسَةَ آلافِ دينارٍ، ودَخَلَ الرُّومَ، فَأَكْرَمَهُ مَلِكُهُ ابنُ عُثْمانَ، وحَصَلَ له منه دُنْيَا طائِلَةٌ.

ومَعَ ذلِكَ إنَّهُ كانَ قَليلَ الْمالِ لِسَعَةِ نَفَقَاتِهِ، وكان يَدْفَعُهُ إلى من يَمْحَقُهُ بِالْإِسْرَافِ، ولا يُسافِرُ إلَّا وَصُحْبَتَهُ عِدَّةُ أَحْمالٍ من الْكُتُبِ، ويُخْرِجُ أَكْثَرَها في كُلِّ مَنْزِلَةٍ يَنْظُرُ فيها وَيُعيدُها إذا رَحَلَ، وكانَ إذا أَمْلَقَ باعَهَا. وكان سَرِيعَ الْحِفْظِ. يُحْكَى عنه أَنَّهُ كانَ يَقولُ: ما كُنْتُ أنامُ حتَّى أَحْفَظَ مِئَتَيْ سَطْرٍ. وأمَّا مَعْرِفَتُهُ باللُّغَةِ واطِّلَاعُهُ على نَوادِرِها، فَأَمْرُهُ مُسْتَفِيضٌ.

ومُصَنَّفاتُهُ كثيرَةٌ: وقد عُدَّ منها بِضْعٌ وأَرْبَعونَ مُصَنَّفًا، منها: **"اللَّامِعُ الْمُعْلِمُ الْعُجابُ الْجامِعُ بين الْمُحْكَمِ والْعُبابِ"**. لم يَكْمُلْ؛ و **"الْقاموسُ الْمُحيطُ"**، بالَغَ في اخْتِصارِهِ وتَحْرِيرِهِ، وحَذَفَ الشَّوَاهِدَ، و **"فَتْحُ الباري بالسَّيْحِ الْفَسِيحِ الْجارِي في شَرْحِ صَحيحِ الْبُخارِيِّ"**.

قالَ ابْنُ حَجَرٍ: مَلَأَهُ بِغَرَائِبِ الْمَنْقُولَاتِ، ونَوَادِرِ اللُّغَاتِ. كَمَّلَ منه رُبُعَ الْعِباداتِ، في عِشْرينَ جُزْءًا.

قالَ السُّيُوطِيُّ: وقد أَخَذَ ابْنُ حَجَرٍ منه اسْمَهُ، وسَمَّى به شَرْحَ الْبُخارِيِّ تَأْلِيفَهُ.

وَصَنَّفَ: "**شَوارِقُ الأَسْرارِ في شَرْحِ مَشارِقِ الأَنْوارِ**"(1)، أَرْبَعَ مُجَلَّداتٍ، وَصَنَّفَ لِلأَشْرَفِ كِتابًا سَمَّاهُ: "**الإِصْعادُ إلى رُتْبَةِ الاِجْتِهادِ**"(2)، في أَرْبَعَةِ أَسْفارٍ. وَصَنَّفَ لِوَلَدِهِ النَّاصِرِ كِتابًا سَمَّاهُ: "**تَسْهيلُ الْوُصولِ إلى الأَحاديثِ الزَّائِدَةِ على جامِعِ الأُصولِ**"، أَرْبَعَ مُجَلَّداتٍ. و"**بَصائِرُ ذَوي التَّمْييزِ في لَطائِفِ الْكِتابِ الْعَزيزِ**"، مُجَلَّدانِ، و"**شَرْحُ عُمْدَةِ الأَحْكام**"(3) مُجَلَّدانِ، وكِتابُ: "**الْمِرْقاةُ الأَرْفَعِيَّةُ في طَبَقاتِ الشَّافِعِيَّةِ**"، وكِتابُ: "**الْمَرْقاةُ الْوَفِيَّةُ**(4) **في الْطَبَقاتِ الْحَنَفِيَّةِ**"، و"**الْبُلْغَةُ في تاريخِ أَئِمَّةِ اللُّغَةِ**"، كِتابٌ لَطيفٌ في الْغايَةِ، وَأَلَّفَ كِتابًا على **الْمُجْمَلِ**، لابْنِ فارِسٍ، أَخَذَ عليه فيه أَلْفَ مَكانٍ، ومع هذا كانَ يُثْنِي على صاحِبِهِ ابْنِ فارِسٍ.

وصَنَّفَ: "**تَحْبيرُ الْمُوَشِّينَ فيما يُقالُ بالسِّينِ والشِّينِ**"، "**الرَّوضُ الْمَسْلوفُ فيما له اسْمانِ إلى الأُلوفِ**"، و"**شَرْحُ الْفاتِحَةِ**"(5)، و"**كُورَةُ الْخَلاصِ في تَفْسيرِ سورَةِ الإِخْلاصِ**"(6)، و"**الْمُتَّفِقُ وَضْعًا الْمُخْتَلِفُ صُقْعًا**"(7)، و["**تُحْفَةُ الْقَمَاعِيلِ**(8) **فيمَنْ تَسَمَّى من الْمَلائِكَةِ والنَّاسِ**

---

(1) لم يذكره صاحب بغية الوعاة، وذكره له ابن قاضي شهبة في طبقات الشافعية: 4/ 66، وابن حجر في إنباء الغمر: 3/ 49.

(2) الإسعاد بالإصعاد إلى درجة الاجتهاد، في درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة: 3/ 143.

(3) شرح عدة الأحكام، في طبقات الشافعية: 4/ 66.

(4) المرقاة الرضية، في رئيس الكتاب، المرقاة الرقية، في طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة: 4/ 66.

(5) تيسير فائحة الإهاب في شرح فاتحة الكتاب، في أزهار الرياض: 3/ 43.

(6) حاصل كورة الخلاص في فضائل سورة الإخلاص، في البلغة: 17.

(7) صنعا، في رئيس الكتاب ومراد ملا.

(8) القماعيل: مفرده قمعال، وهو سيد القوم. اللسان: قمعل.

بإسْماعيلَ"[1]، و"**أَسْماءُ السَّراحِ في أَسْماءِ النّكاحِ**"[2]، و"**أَسْماءُ اللَّيْثِ**"[3]، و"**أَسْماءُ الْخَنْدَريسِ**"[4]، و"**أَسْماءُ الْغادَةِ**"[5]، و"**مَقْصودُ ذَوِي الْألْبابِ في عِلْمِ الإعْرابِ**"][6]، و"**شَرْحُ خُطْبَةِ الْكَشَّافِ**"[7]، و"**شَرْحُ عُمْدَةِ الْأَحْكامِ**"[8]. وغَيْرَ ذلِكَ من الْمُصَنَّفَاتِ الْكَثيرَةِ.

وَلَمَّا اشْتَهَرَتْ مَقالَةُ ابنِ الْعَرَبِيِّ بالْيَمَنِ، صارَ يُدْخِلُ منها فيه[9]، فَشَانَهُ، ولم يَكُنْ مُتَّهَمًا بالْمَقالَةِ الْمَذكورَةِ إلا أنه كان يُحِبُّ الْمُداراةَ[10].

تُوُفِيَ بِزَبِيدَ لَيْلَةَ الْعِشْرينَ من شَوَّالٍ سَنَةَ سِتَّ أو سَبْعَ عَشْرَةَ وثَمانِمِئَةٍ، وهو مُمَتَّعٌ بحَوَاسِّهِ. ودُفِنَ بِتُرْبَةِ الشَّيْخِ إسْماعيلَ الْجَبَرْتِيِّ. وهو آخِرُ من ماتَ من الرُّؤَساءِ الَّذينَ انْفَرَدَ كُلٌّ منهم بِفَنٍّ فاقَ فيه أَقْرانَهُ على رَأْسِ الْقَرْنِ الثَّامِنِ، وهم: الشَّيْخُ سِرَاجُ الدِّينِ الْبُلْقِينِيُّ في الْفِقْهِ على مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ. والشَّيْخُ زَيْنُ الدِّينِ الْعِرَاقِيُّ في الْحَدِيثِ. والشَّيْخُ سِراجُ الدِّينِ ابن الْمُلَقِّنِ

---

(1) ومن تسمى بإسماعيل، في رئيس الكتاب والأزهرية وعاطف أفندي.

(2) أسماء النكاح، في رئيس الكتاب ومراد ملا والأزهرية وعاطف أفندي. أسمى البراح في أسماء النكاح: في العقد الثمين: 2/ 428، ودرر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة: 3/ 143، ولعله الصواب.

(3) أنواء الغيث في أسماء الليث، في البلغة: 19.

(4) الجليس الأنيس في أسماء الخندريس، في البلغة: 19.

(5) أسماء الغادة في أسماء العادة، في البلغة: 19.

(6) ما بين معقوفين سقط من قونية.

(7) شرح قطبة الخشاف في شرح خطبة الكشاف، في البلغة: 19.

(8) سبق ذكره، وكرر هنا.

(9) أي يدخل من كلام ابن العربي في شرحه على البخاري.

(10) ينظر الضوء اللامع: 10/ 83-84، والبلغة: 22.

في كَثْرَةِ التَّصَانِيفِ في فَنِّ الْفِقْهِ والْحَديثِ. والشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ الْفَنَارِيُّ في الاطِّلاعِ على كُلِّ الْعُلومِ الْعَقْلِيَّةِ والنَّقليَّةِ والْعَرَبِيَّةِ. والشَّيْخُ أبو عبدِ اللهِ ابْنُ عَرَفَةَ، في فِقْهِ الْمالِكِيَّةِ، وفي سائِرِ الْعُلومِ بالْمَغْرِبِ. والشَّيْخُ مَجْدُ الدِّينِ الشِّيرَازِيُّ في اللُّغَةِ[1].

قُلْتُ: رَوَى لنا غَيْرُ واحِدٍ، وسُئِلَ بالرُّومِ عن قَوْلِ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ لِكاتِبِهِ: أَلْصِقْ رَوَانِفَكَ بالْجَبُوبِ، وخُذِ الْمِزْبَرَ بِشَنَاتِرِكَ، واجْعَلْ حُنْدُورَتَيْكَ إلى قَيْهَلِي حتى لا أَنْغِيَ نُغْيَةً إلَّا أَوْدَعْتُهَا حُمَاطَةَ جُلْجُلَانِكَ. ما مَعْنَاهُ؟ فقال: مَعْنَاهُ أَلْزِقْ عِضْرِطَكَ[2] بالصَّلَّةِ[3]، وخُذِ الْمُسَطَّرَ بِأَبَاخِسِكَ[4]، واجْعَلْ جَحْمَتَيْكَ إلى ثُعْبَانِي[5]، حتى لا أَنْبِسَ نَبْسَةً إلا رَعَيْتُهَا في نَمْطَةِ[6] رَبَاطِكَ[7]. فَتَعَجَّبَ الْحَاضِرُونَ من سُرْعَةِ الْجَوَابِ، مع هذا الإبْدَاعِ والإِغْرَابِ.

قُلْتُ: الرَّوَانِفُ: الْمَقْعَدَةُ. والْجَبُوبُ: الْأَرْضُ. والْمِزْبَرُ: الْقَلَمُ. والشَّنَاتِرُ: الأَصَابِعُ. والْحُنْدُورَتَانِ: الْحَدَقَتَانِ. وَقَيْهَلِي: أي وَجْهِي. وأَنْغِي: أي أَنْطِقُ. والْحُمَاطَةُ: الْحَبَّةُ. والْجُلْجُلَانُ: الْقَلْبُ.

---

(1) ينظر: بصائر ذوي التمييز: 1/ 12، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة: 4/ 65، والشقائق النعمانية: 22.

(2) العضرط: العجز والاست.

(3) الصَّلَّةُ: الأرض.

(4) الأباخس: الأصابع.

(5) أثعباني، في بغية الوعاة: 1/ 274، وتاج العروس: 1/ 45.

(6) لمظة، في بغية الوعاة: 1/ 274.

(7) الرِّبَاط: الفؤاد، رُبُط.

هذا ما ذَكَرَهُ السُّيُّوطِيُّ[1].

ومن الْكُتُبِ الْجامِعَةِ في اللُّغَةِ:

كِتابُ: "**لِسانُ الْعَرَبِ**"، الَّذي جَمَعَ فيه بينَ **التَّهْذِيبِ** و**الْمُحْكَمِ** و**الصَّحاحِ** وَحَواشيهِ، و**الْجَمْهَرَةِ** و**النِّهايَةِ**، لِلشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ مُكَرَّمِ بْنِ عَلِيٍّ. وَقيلَ: رَضْوانُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أبي الْقاسِمِ بْنِ حَبَقَةَ بنِ مَنْظُورٍ الْأَنْصارِيُّ الْإفْرِيقِيُّ الْمِصْرِيُّ، جَمالُ الدِّينِ أبو الْفَضْلِ.

وُلِدَ في الْمُحَرَّمِ سَنَةَ ثَلاثينَ وسِتِّمِئَةٍ، وَسَمِعَ من ابْنِ الْمُقَيِّرِ وَغَيْرِهِ، وَجَمَعَ وعَمَّرَ وحَدَّثَ، واخْتَصَرَ كَثيرًا من كُتُبِ الأدَبِ الْمُطَوَّلَةِ؛ كـ "**الأغاني**"، و**الْعِقْدِ**، و**الذَّخيرَةِ**، و"**مُفْرَداتُ ابْنِ الْبَيْطارِ**"، وَيُقالُ: إنَّ مُخْتَصَراتِهِ خَمْسُمِئَةِ مُجَلَّدٍ. وَخَدَمَ في ديوانِ الْإِنْشاءِ مُدَّةَ عُمُرِهِ، وَوَلِيَ قَضاءَ طَرابُلُسَ، وكانَ صَدْرًا رَئيسًا فاضِلًا في الْأَدَبِ، مَليحَ الإِنْشاءِ.

رَوَى عنه السُّبْكِيُّ والذَّهَبِيُّ وَقالَ: تَفَرَّدَ بالْعَوَالِي. وَكانَ عارِفًا بالنَّحْوِ واللُّغَةِ والتَّاريخِ والْكِتابَةِ. واخْتَصَرَ "**تاريخُ دِمَشْقَ**" في نَحْوِ رُبُعِهِ. وعِنْدَهُ تَشَيُّعٌ بلا رَفْضٍ.

ماتَ في شَعْبانَ سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ وسَبْعِمِئَةٍ.

ومِنْ نَظْمِهِ: [السريع]

بِاللهِ إنْ جُزْتَ بِوَادِي الْأَرَاكْ ... وَقَبَّلَتْ عِيدَانُهُ الْخُضْرُ فَاكْ[2]

(1) بغية الوعاة: 1/ 274.

(2) البيتان والترجمة من بغية الوعاة: 1/ 248.

اِبْعَثْ إلى عَبْدِكَ مِنْ بَعْضِهَا فَإِنَّنِي واللهِ مَا لِي سِوَاكْ

ومن الْمُخْتَصَراتِ في اللُّغَةِ[1]:

- **"السَّامِي في الأَسَامِي"**، لِلْمَيْدَانِيِّ، وهو أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بنِ أَحْمَدَ بْنِ إِبْراهيمَ الْمَيْدَانِيُّ النَّيْسَابُورِيُّ أبو الْفَضْلِ الإمامُ الْفاضِلُ الْأَدِيبُ النَّحْوِيُّ اللُّغَوِيُّ.

قالَ ياقوتُ: قَرَأَ على الْوَاحِدِيِّ وغَيْرِهِ. وَأَتْقَنَ اللُّغَةَ والْعَرَبِيَّةَ.

وَصَنَّفَ: **"الْأَمْثالُ"**، و**"السَّامي في الأَسامِي"**، و**"الْأُنموذَجُ في النَّحْوِ"**، و**"الْمَصادِرُ"**، و**"نُزْهَةُ الطَّرْفِ في عِلْمِ الصَّرْفِ"**، و**"شَرْحُ الْمُفَضَّلِيَاتِ"**، وَغَيْرَ ذَلِكَ.

وَوَقَفَ الزَّمَخْشَرِيُّ على كتابِهِ **"الْأَمْثالُ"**، فَحَسَدَهُ عليه. فَزادَ في لَفْظَةِ الْمَيْدَانِيِّ نونًا قَبْلَ الْمِيمِ، فَصارَ: النُّمَيْدانِيَّ، وَمَعْناهُ بالْفارِسِيَّةِ: الذي لا يَعْرِفُ شَيْئًا، فَعَمَدَ إلى بعضِ كُتُبِ الزَّمَخْشَرِيِّ فَجَعَلَ الْمِيمَ نونًا، فَصارَ: الزَّنَخْشَرِيَّ وَمَعْناهُ: بائِعُ زَوْجَتِهِ.

قَرَأَ عليه أَئِمَّةٌ. وماتَ في رَمَضانَ سَنَةَ ثَمانَ عَشْرَةَ وخَمْسِمِئَةٍ[2].

قُلْتُ: الْمَعْنى الْمَذْكورُ - أَعْنِي بائِعَ زَوْجَتِهِ - ليس يَحْصُلُ بِتَبْديلِ الْمِيمِ نونًا فَقَطْ، بل يَجِبُ مع ذلك مِنْ تَقْديمِ الشِّينِ على الْخاءِ، ويُقالُ: زَنَشْخِرِيٌّ. وأمَّا بِدونِ هذا التَّقْديمِ فَمَعْناهُ أَمْرٌ قَبيحٌ شَنيعٌ، وهو تَغَوَّطَ على ذَقْنِهِ.

---

(1) ينظر: إرشاد القاصد: 111.

(2) الترجمة من بغية الوعاة: 1/ 257.

والْمَيْدَانِيُّ نِسْبَةٌ إلى مَيْدانِ زِيادِ بنِ عبد الرَّحْمَنِ، وهي مَحَلَّةٌ في نَيْسَابورَ.

ومِنَ الْمُخْتَصَراتِ:

"الدُّسْتورُ"[1]، و**"مِرْقاةُ الْأَدَبِ"**[2].

وَمِمَّا يَخْتَصُّ بِلُغَةِ الْفِقْهِيات:

- **"الْمُغْرِبُ"**، لِلْمُطَرِّزِيِّ. وهو ناصِرُ بنُ عَبْدِ السَّيِّدِ بْنِ عليٍّ بن الْمُطَرِّزِ، أبو الفتح النَّحْوِيُّ الأديبُ المشهورُ بالْمُطَرِّزِيِّ، من أَهْلِ خُوَارَزْمَ. قَرَأَ على الزَّمَخْشَرِيِّ[3] والْمُوَفَّقِ[4]، أَخْطَبِ خُوَارَزْمَ. وَبَرَعَ في النَّحْوِ واللُّغَةِ والْفِقْهِ على مَذْهَبِ الْحَنَفِيَّةِ، وكانَ لهم كَالْأَزْهَرِيِّ لِلشَّافِعِيَّةِ. وكانَ يُقالُ: هو خَليفَةُ الزَّمَخْشَرِيِّ، وَكانَ مُعْتَزِلِيًّا.

صَنَّفَ: **"شَرْحُ الْمَقاماتِ"**، و**"الْمُعْرِبُ"**، **في لُغَةِ الْفِقْهِ**، و**"الْمُغْرِبُ في شَرْحِ الْمُعْرِبِ"**، و**"الإِقْناعُ"**، **في اللُّغَةِ**، **والْمُخْتَصَرَ الْمَوْسومَ: بـ "الْمِصباحُ"**، **في النَّحْوِ. وهو مَشْهورٌ بِأَيْدِي النَّاسِ الْيَوْمَ، ومُخْتَصَرَ الإِصْلاحِ، لابْنِ السِّكِّيتِ.**

---

(1) الدستور في اللغة، لحسين بن إبراهيم النَّطَنْزي الأصفهاني النحوي الملقب بذي اللِّسانين (ت.499هـ).

(2) مرقاة الأدب، كتاب منظوم في اللغة بالفارسية، لأحمد بن عبد الله الكرماني (ت.815هـ).

(3) هذا لا يصح عقلا لأن المطرزي وُلد – كما سيذكر طاش كبري زاده فيما يأتي- في السنة التي توفي فيها الزمخشري وهي 538هـ فكيف يأخذ عنه؟

(4) أبو الْمُؤيَّد الْموفَّق بن أحمد الْمَكِّيُّ الْخُوَارَزْمِيُّ (ت.568هـ).

وُلِدَ في رَجَبٍ سَنَةَ ثَمانٍ وثَلاثينَ وخَمْسِمِئَةٍ. وَماتَ بِخُوارَزْمَ في يَوْمِ الثُّلاثاءِ الْحادي والْعِشْرينَ[1] من جُمادى الأولى سَنَةَ عَشْرٍ وسِتِّمِئَةٍ[2].

ـ ومما يَخْتَصُّ بِلُغَةِ الْفِقْهِياتِ أيضًا كتابُ: **"طَلِبَةُ الطَّلَبَةِ"**، لِلشَّيْخِ الإمامِ الْأَجَلِّ الزَّاهِدِ نَجْمِ الدِّينِ أبو[3] حَفْصٍ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدِ بنِ أَحْمَدَ بنِ إسماعيلَ بنِ محمدِ بنِ عَلِيٍّ بنِ لُقْمَانَ. سَمِعَ الْحَديثَ، له كتاب: **"طَلِبَةُ الطَّلَبَةِ"**. **قُلْتُ**: الطَّلِبَةُ بِكَسْرِ اللَّامِ ما طَلَبْتَهُ من شَيْءٍ، والطَّلَبَةُ بِفَتْحِ اللَّامِ جَمْعُ طالِبٍ، ذَكَرَ فيه أَلْفاظَ الْفِقْهِ الْواقِعَةَ في كُتُبِ الْحَنَفِيَّةِ، و**"نَظْمُ الجامِعِ الصَّغير"**. وله كتاب: **"الْمَنْظومَةُ"**، في **الْخِلافِيَّاتِ**. وله كِتابُ: **"الْقَنْدُ[4] في عُلَماءِ سَمَرْقَنْدَ"**. وغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ التَّصانيفِ.

قالَ السَّمْعَانِيُّ: كانَ إمامًا فاضِلًا، مُبَرِّزًا مُتْقِنًا، سَمِعَ أبا مُحَمَّدٍ النُّوحِيَّ[5]، وأبا الْحُسَيْنِ مُحَمَّدَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْبَزْدَوِيَّ، وغَيْرَهُما. وصَنَّفَ في كُلِّ نَوْعٍ من الْعِلْمِ في التَّفْسيرِ والْحَديثِ والشُّروطِ. صَنَّفَ قَريبًا من مِئَةِ مُصَنَّفٍ. وقد اسْتَقْرَأْتُ مُصَنَّفاتِه فَرَأَيْتُ فيها أَوْهامًا كَثيرَةً. فَعَرَفْتُ أَنَّهُ كانَ مِمَّنْ أَحَبَّ الْحَديثَ وطَلَبَهُ، ولم يُرْزَقْ مُهْلَةَ التَّجْريدِ[6].

---

(1) الحادي عشر في قونية ورئيس الكتاب والأزهرية.

(2) الترجمة من بغية الوعاة: 2/ 311.

(3) كذا في النسخ الخطية.

(4) القند: عسل قصب السكر. اللسان: قند.

(5) في الأصل التنوخي، والصواب ما أثبتنا، وهو إسماعيل بن محمد النُّوحي (ت.481هـ). كما في تاريخ الإسلام: 11/ 674، ولسان الميزان: 6/ 139.

(6) ينظر تاريخ الإسلام: 11/ 674، وتاج التراجم: 220.

قالَ صاحِبُ "تاجُ التَّراجِمِ": ومَنْ ذَا سَلِمَ مِنْ ذَا[1].

قُلْتُ: وَلَقَدْ أَنْصَفَ في هذا الْقَوْلِ. فَرَضِيَ الله عنه وعن سائِرِ الْمُصَنِّفِينَ.

وَوُلِدَ بِنَسَفَ في شُهورِ سَنَةِ إِحْدى أو اثْنَتَيْنِ وسِتِّينَ وأَرْبَعِمِئَةٍ. **وتُوُفِّيَ** لَيْلَةَ الْخَميسِ ثانِي عَشَرَ جُمادَى الْأولَى سَنَةَ ثَمانٍ وثَلاثينَ وخَمْسِمِئَةٍ[2].

وفي هذه السَّنَةِ تُوُفِّيَ أيْضًا الْعَلَّامَةُ أبو القاسِمِ الزَّمَخْشَرِيُّ.

- **ومما يَخْتَصُّ** بِغَريبِ الْحَدِيثِ: **"الْفائِقُ"**، لِمَحْمودِ بنِ عُمَرَ بنِ محمَّدِ ابنِ أَحْمَدَ الزَّمَخْشَرِيِّ؛ أبو القاسِمِ جارُ اللهِ. وسَتَسْمَعُ تَفْصيلَهُ في بابِ التَّفْسيرِ في ذِكْرِ كتابِ **"الْكَشَّافُ"**، لأَنَّهُ أَشْهَرُ بذلك مِنْهُ بِغَيْرِهِ.

- **ومما يَخْتَصُّ** بغَريبِ الْحَديثِ: **"نِهايَةُ الأَثَرِ"**، لِلْجَزَرِيِّ، وهو الْمُبارَكُ ابْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْكَريمِ بْنِ عَبْدِ الْواحِدِ الشَّيْبانِيُّ، الْعَلَّامَةُ مَجْدُ الدِّينِ أبو السَّعاداتِ الْجَزَرِيُّ الْإِرْبِلِيُّ الْمَشْهورُ بِابْنِ الْأَثِيرِ، مِنْ مَشاهيرِ الْعُلَماءِ، وَأَكابِرِ النُّبَلاءِ، وَأَوْحَدِ[3] الْفُضَلاءِ.

وُلِدَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وأَرْبَعينَ وَخَمْسِمِئَةٍ بِالْجَزيرَةِ، وانْتَقَلَ إلى الْمَوْصِلِ، وَأَخَذَ النَّحْوَ عن ابْنِ الدَّهَّانِ، ويَحْيى بنِ سَعْدونَ الْقُرْطُبِيِّ، وَسَمِعَ الْحَديثَ مُتَأَخِّرًا من ابْنِ عبد الْوَهَّابِ ابْنِ سُكَيْنَةَ وَغَيْرِهِ.

---

(1) يسلم من ذا، في تاج التَّراجم: 220.

(2) الصحيح أن النَّسفي توفي سنة 537هـ.

(3) وواحد، في قونية.

وتَنَقَّلَ في الْوِلاياتِ، وكَتَبَ في الإنْشاءِ، ثُمَّ عَرَضَ له مَرَضٌ كَفَّ يَدَيْهِ ورِجْلَيْهِ ومَنَعَهُ من الْكِتابَةِ[1]، فانْقَطَعَ في بَيْتِهِ يَغْشاهُ الأكابِرُ والْعُلَماءُ. فجاءَهُ مَغْرِبِيٌّ فَالْتَزَمَ أَنَّهُ يُداويهِ ولا يَأْخُذُ أُجْرَةً إلا بعد بُرْئِهِ، وأخذ في مُعالَجَتِهِ بِدُهْنٍ صَنَعَهُ، وَلانَتْ رِجْلاهُ، وأشْرَفَ على الْبُرْءِ، فَأَرْضَى الْمَغْرِبِيَّ بشيءٍ وَصَرَفَهُ، فَلامَهُ أخوهُ عِزُّ الدِّينِ فقال: أنا كُنْتُ في راحَةٍ مما كنتُ فيه من صُحْبَةِ هؤلاء الْقَوْمِ، وَالْتِزامِ أَخْطَارِهِمْ، وقد سَكَنَتْ روحي إلى الِانْقِطاعِ والدَّعَةِ، فإذا طَرَأَتْ لهم أُمورٌ ضَرورِيةٌ جاءوني بِأَنْفُسِهِمْ لِيَأْخُذوا رَأْيِي.

وله من التَّصانِيفِ: **"النِّهَايَةُ في غَريبِ الْحَديثِ"**، وهو كِتابٌ غَريبٌ لم يُعْهَدْ نَظِيرُهُ في بابِهِ، **"جامِعُ الْأُصولِ في أَحاديثِ الرَّسولِ"**، وهذا الْكِتابُ أَحَدُ أَرْكانِ الْحَديثِ، وَعَوْنُ دينِ الْإِسْلامِ، **"الْبَديعُ في النَّحْوِ"**، **"الْباهِرُ في الْفُروقِ"**، في النَّحْوِ، **"تَهْذيبُ فُصولِ ابْنِ الدَّهَّانِ"**، **"الإِنْصافُ بين الثَّعْلَبِيِّ وصاحِبِ الْكَشَّافِ"**، **"شَرْحُ مُسْنَدِ الشَّافِعِيِّ"**[2]، **"الْبَنينُ والْبَناتُ وَالآباءُ والأُمَّهاتُ"**، و**"الأَدْواءُ والذَّواتُ"**. قالَ السُّيوطِيُّ: وَقَفْتُ عليه، ولَخَّصْتُ منه الْكُنَى في كُرَّاسَةٍ.

ماتَ يَوْمَ الْخَميسِ سَلْخَ ذي الْحِجَّةِ سَنَةَ سِتٍّ وسِتِّمِئَةٍ[3].

---

(1) ومنعه الكتابة، في رئيس الكتاب ومراد ملا.

(2) سماه: الشافي في شرح مسند الشافعي، ينظر وفيات الأعيان: 4/ 143.

(3) الترجمة من بغية الوعاة: 2/ 274.

عِلْمُ الْوَضْعِ

وهو عِلْمٌ باحِثٌ عن تَفْسيرِ الْوَضْعِ، وتَقْسِيمِهِ إلى الشَّخْصِيِّ، والنَّوْعِيِّ، والعامِّ والخَاصِّ، وبيانِ حالِ وَضْعِ الذَّواتِ، والهيئاتِ، إلى غيرِ ذلك من الأحْوالِ.

ومَوْضوعُهُ وغايَتُهُ ومَنْفَعَتُهُ لا تَخْفى على الْمُتَدَرِّبِ.

وهذا عِلْمٌ نافِعٌ في الْغايَةِ، إلَّا أَنَّهُ لم يُدَوَّنْ بَعْدُ.

وَلَقَدْ ذَكَرَ نُبَذًا منها مولانا عَضُدُ الدِّينِ في رِسالَتِهِ الْوَضْعِيَّةِ، لَكِنَّها قَطْرَةٌ من الْبَحْرِ، ورَشْفَةٌ من ذلك النَّهْرِ. واللهُ أَعْلَمُ.

وَلَئِنْ وَقَعَ في الْأَجَلِ فُسْحَةٌ، وسَاعَدَنِي التَّوْفِيقُ، لَانْتَصَبْتُ في إيفاءِ هذا الْفَنِّ حَقَّهُ. وبالله التَّوفيقُ، وهو مُيَسِّرُ كُلِّ عَسِيرٍ.

عِلْمُ الاِشْتِقَاقِ

هو الْعِلْمُ الْباحِثُ عن كَيْفِيَّةِ خُروجِ الْكَلِمِ بعضِها عن بعضٍ، بِسَبَبِ مُناسَبةٍ بين الْمَخْرَجِ والْخَارِجِ بالأَصَالَةِ والْفَرْعِيَّةِ بِاعْتِبارِ جَوْهَرِها. وإنَّما ذَكَرْنا هذا الْقَيْدَ إذ يُبْحَثُ في الصَّرْفِ أيضًا عن الأصالَةِ والفرعِيَّةِ بين الْكَلِمِ، لَكِنْ لا بِحَسَبِ الْجَوْهَرِيَّةِ، بل بِحَسَبِ الْهَيْئَةِ؛ مَثَلًا يُبْحَثُ في الِاشْتِقاقِ عن مُناسَبَةِ نَعَقَ ونَهَقَ[1]، وهذا مُخْتَصٌّ بالْجَوْهَرِ فقط. ويُبْحَثُ في الصَّرْفِ عن

(1) نهق ونعق، في مراد ملا.

الْمُناسَبَةِ، لا بِحَسَبِ الْجَوْهَرِيَّةِ، بل بِحَسَبِ الْهَيْئَةِ، لأَنَّهُ باحِثٌ عن الْهَيْئاتِ بالاتِّفاقِ. وبهذا يَظْهَرُ امْتِيازُ الْعِلْمَيْنِ.

ومَنْ تَوَهَّمَ انْدِرَاجَ الِاشْتِقاقِ في الصَّرف لَزِمَ[1] أن يُؤْخَذَ فيه ما ليس له مَدْخَلٌ[2] في الْهَيْئَةِ، لكنه ليس كذلك اتِّفاقًا. وبهذا عَرَفْتَ ما في بعض **شُروحِ الْمِفْتاحِ**، حيث تَوَهَّمَ دَرْجَ الِاشْتِقاقِ في الصَّرْفِ، والتَّفصيلُ هناك في تَعْليقاتِنا على "**شرح الْمِفْتاحِ**".

ومَوْضوعُهُ: الْمُفْرَداتُ من الْحَيْثِيَةِ الْمَذْكورَةِ.

ومن جُمْلَةِ مَبادِئِهِ: قَواعِدُ مَخارِجِ الْحُروفِ.

وَمَسائِلُهُ: الْقَواعِدُ التي يُعْرَفُ منها أنَّ الأصالَةَ والفرعِيَّةَ بين الْمُفْرَداتِ بأيِّ طَريقٍ يكونُ، وبأيِّ وَجْهٍ يُعْلَمُ.

ودلائِلُهُ: مُسْتَنْبَطَةٌ من قَواعِدِ عِلْمِ الْمَخارِجِ، وتَتَبُّعِ مُفْرَداتِ أَلْفاظِ الْعَرَبِ واسْتِعْمالاتِها.

وغَرَضُهُ: تَحْصيلُ مَلَكَةٍ يُعْرَفُ بها الانْتِسَابُ، على وَجْهِ الصَّوابِ.

وغايَتُهُ: الِاحْتِرازُ عن الْخَلَلِ في الانْتِسابِ، الذي يوجِبُ الْخَلَلَ في أَلْفاظِ الْعَرَبِ[3].

(1) للزم، في قونية ورئيس الكتاب. يلزم، في مراد ملا.

(2) مدخلا له، في رئيس الكتاب.

(3) ينظر رسالة في العلوم الشرعية والعربية: 26.

واعْلَمْ أنَّ مَدْلولَ الْجَواهِرِ بِخُصوصِها يُعْرَفُ من اللُّغَةِ. وانْتِسابُ الْبَعْضِ إلى الْبَعْضِ على وَجْهٍ كُلِّيٍّ إنْ كانَ في الْجَوْهَرِ فَالِاشْتِقاقُ. وإنْ كانَ في الْهَيْئَةِ، فالصَّرْفُ. ويُعْلَمُ من هذا الْفَرْقُ بين هذه الْعُلومِ الثَّلاثَةِ، وأنَّ الِاشْتِقاقَ كالْبَرْزَخِ بين الْباقِيَيْنِ. ولهذا اسْتَحْسَنوا تَقْدِيمَهُ على الصَّرْفِ، وتَأْخِيرَهُ عن اللُّغَةِ.

وهذا الْفَرْقُ قد اشْتَبَهَ على كَثيرٍ من الْفُضَلاءِ حتى شُرَّاحِ الْمِفْتاحِ. فَتَدَبَّرْ فيه فإنَّهُ من الْفَوائِدِ الْمُهِمَّةِ.

واعْلَمْ أنَّ هذا الْعِلْمَ كثيرا ما يُذْكَرُ في كُتُبِ التَّصْريفِ، وقَلَّما يُدَوَّنُ مُفْرَدًا عنه، إمَّا لِقِلَّةِ قَواعِدِهِ، أو لاتِّصالِهِما في الْقَواعِدِ، واشْتِراكِهِما في الْمَبادِئِ. حتى إنَّ هذا من جُمْلَةِ الْبَواعِثِ على اتِّحادِهِما، حيث لم يَعْرِفوا أنَّ الاتِّحادَ في التَّدْوِينِ، لا يَسْتَلْزِمُ الاتِّحادَ في نَفْسِ الْأَمْرِ، إذْ كَثيرًا ما يُدَوَّنُ عِدَّةُ فُنونٍ في كِتابٍ واحِدٍ. ولهذا لم نَذْكُرْ مُصَنَّفَاتِ عِلْمِ الاشْتِقَاقِ، واكْتَفَيْنَا بِذِكْرِ مُصَنَّفَاتِ عِلْمِ الصَّرْفِ.

عِلْمُ الصَّرْفِ

عِلْمٌ يُعْرَفُ منه أَنْواعُ الْمُفْرَداتِ الْمَوْضوعَةِ بالْوَضْعِ النَّوْعِيِّ[1] ومَدْلولاتُها، والْهَيْئاتُ الأَصْلِيَّةُ الْعامَّةُ لِلْمُفْرَداتِ، والْهَيْئاتُ التَّغَيُّرِيَّةُ[2]، وكَيْفِيَّةُ تَغَيُّراتِها عن هَيْئاتِها الأَصْلِيَّةِ على الْوَجْهِ الْكُلِّيِّ بالْمَقاييسِ الْكُلِّيَّةِ.

ومَوْضوعُهُ: الصِّيَغُ الْمَخْصوصَةُ من الْحَيْثِيَّةِ الْمَذْكورَةِ.

---

(1) كبيان هيئة المعتلات قبل الاعتلال وبعد الاعتلال. طرة من نسخة مراد ملا.

(2) كصيغ الماضي والمضارع ومعانيهما ومدلولاتهما. طرة من نسخة مراد ملا.

وغَرَضُهُ: تَحْصيلُ مَلَكَةٍ يُعْرَفُ بها ما ذُكِرَ من الْأَحْوالِ.

وغايَتُهُ: الِاحْتِرازُ عن الْخَطَإِ من تلكَ الْجِهاتِ.

ومبَادِئُهُ: مُقَدِّماتٌ مُسْتَنْبَطَةٌ من تَتَبُّعِ اسْتِعْمالِ[1] الْعَرَبِ[2].

فائدة:

يُسْأَلُ في كُلٍّ من الْماضِي، والْمُضارِعِ، والْأَمْرِ عن أَرْبَعَةِ أَسْئِلَةٍ: حَدِّهِ، وحُكْمِهِ، وَأَقْسامِهِ، وعَلاماتِهِ.

حَدُّ الماضي: ما وَقَعَ وانْقَطَعَ، والْمُضارِعِ: ما لم يَقَعْ، أو وَقَعَ وما انْقَطَعَ، وَالْأَمْرِ: ما دَلَّ على الطَّلَبِ، وقَبِلَ نُونَ التَّأْكيدِ[3].

وحُكْمُ الماضي: أنْ يُبْنى على الْفَتْحِ، والْمُضارِعِ: أنْ يُعْرَبَ ما لم يَتَّصِلْ به نونُ تَأْكيدٍ[4]، أو إناثٍ فَيُبْنَى، وَالْأَمْرِ: أنْ يُبنى على السُّكونِ.

وَأَقْسامُ الْماضِي: صَحيحٌ، ومُعْتَلٌّ، والْمُضارِعِ: حاضِرٌ، ومُسْتَقْبَلٌ، وَالْأَمْرِ: ما كان على وَزْنِ افْعَلْ، وعلى وَزْنِ لِيَفْعَلْ.

وَعَلاماتُ الماضي: دُخولُ التَّاءِ عليه مَضْمومَةً كانت أو مَكْسورةً، أو مَفْتوحةً، أو ساكِنَةً. وَالْمُضارِعِ: دُخولُ أَحَدِ حُروفِ تَأْنِيثٍ عليه. وَالْأَمْرِ: دُخولُ نونِ التَّأْكِيدِ عليه.

---

(1) استعمالات، في أنطاليا.

(2) ينظر رسالة في العلوم الشرعية والعربية: 69.

(3) التوكيد، في مراد ملا.

(4) توكيد، في مراد ملا.

واعْلَمْ أنَّ أَوَّلَ مَنْ دَوَّنَ عِلْمَ الصَّرْفِ أبو عُثْمانَ بَكْرُ بْنُ حَبيبِ الْمَازِنِيُّ، وَكانَ قَبْلَ ذَلِكَ مُنْدَرِجًا في عِلْمِ النَّحْوِ.

وَهُوَ بَكْرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ بَقِيَّةَ، وقيل: ابْنُ عَدِيِّ بْنِ حَبيبٍ، الْإِمامُ أبو عُثْمانَ الْمَازِنِيُّ، مَازِنَ بَنِي شَيْبَانَ بْنِ ذُهْلٍ. وَقيلَ: هو مَوْلَى بَنِي سَدُوسٍ[1]. نَزَلَ في بَنِي مازِنٍ، فَنُسِبَ إليهم، وهو بَصْرِيٌّ.

رَوَى عن أبي عُبَيْدَةَ، والْأَصْمَعِيِّ، وأبي زَيْدٍ[2]. وعنه الْمُبَرِّدُ، والْفَضْلُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْيَزِيدِيُّ، وجَماعَةٌ.

وكانَ إمامًا في الْعَرَبِيَّةِ، مُتَّسِعًا في الرِّوايَةِ، يَقولُ بالْإِرْجَاءِ. وكان لا يُنَاظِرُهُ أَحَدٌ إلا قَطَعَهُ، لِقُدْرَتِهِ على الْكَلامِ. وقد ناظَرَ الأَخْفَشَ في أَشْياءَ كَثيرَةٍ فَقَطَعَهُ.

وَقالَ الْمُبَرِّدُ: لم يَكُنْ بَعْدَ سِيبَوَيْهِ أَعْلَمَ بِالنَّحْوِ من أبي عُثْمانَ.

وَأَخَذَ عن الْأَخْفَشِ، وَقِيلَ: بل عَنِ الْجَرْمِيِّ، واخْتَلَفَ إليه إلى أنْ بَرَعَ، وكانَ يُناظِرُهُ.

وحَكَى الْمُبَرِّدُ أنَّ يَهودِيًّا بَذَلَ لِلْمازِنِيِّ مِئَةَ دِينارٍ لِيُقْرِئَهُ "كتاب سِيبَوَيْهِ"، فامْتَنَعَ من ذلك. فقيل له: لِمَ امتنَعْتَ مع حاجَتِكَ وعائلَتِكَ؟ فقال: إنَّ في "كتاب سِيبَوَيْهِ" كذا وَكَذا آيَةً مِنَ الْقُرْآنِ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُقْرِئَ الْقُرْآنَ له، فَلَمْ

(1) بنو سَدوس -بفتح السّين- بطن من ذهل بن شيبان من العدنانية، وهم بنو سدوس بن ذهل بن شيبان. نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب: 283.

(2) يقصد أبا زيد الأنصاري سعيد بن أوس (ت.215هـ).

يَمْضِ على ذَلِكَ إلَّا مُدَّةٌ قَليلَةٌ حَتَّى طَلَبَهُ الْواثِقُ، وَأَعْطاهُ ثَلاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، وأَخْلَفَ اللهُ عليه أَضْعافَ ما تَرَكَهُ للهِ.

وسَبَبُ طَلَبِهِ أنَّ جاريةً غَنَّتْ بِحَضْرَةِ الواثِقِ: [الكامل]

أَظَلُومُ إنَّ مُصَابَكُمْ رَجُلًا أَهْدَى السَّلَامَ تَحِيَّةً ظُلْمُ[1]

فَرَدَّ التَّوَّزِيُّ عليها نَصْبَ "رَجُلًا" ظَانًّا أنه خَبَرُ إنَّ. فقالت: قد قَرَأْتُهُ على أَعْلَمِ النَّاسِ بالْبَصْرَةِ أبي عُثْمانَ الْمَازِنِيِّ، فَأُحْضِرَ مِنْ سُرَّ مَنْ رَأَى. قالَ: فَلَمَّا دَخَلْتُ على الْخَليفَةِ قالَ لي: مِمَّنِ الرَّجُلُ؟ قلتُ: من بَنِي مَازِنٍ. قال: مَازِنِ تَميمٍ، أم شَيْبَانَ؟ قُلْتُ: مَازِنِ شَيْبَانَ. فقالَ: بَسْمُكَ؟ يُريدُ ما اسْمُكَ؟ وهي لُغَةُ قَوْمِنَا، يُبْدِلُونَ الْمِيمَ بَاءً، وَعَكْسَهُ. فكَرِهْتُ أنْ أَقولُ مَكْرٌ مُواجَهَةً له بالْمَكْرِ. فَقُلْتُ: بَكْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ. فَأَعْجَبَهُ ذلك. فقالَ: اجْلِسْ فَاطْبَئِنْ - أي اطْمَئِنَّ - فَجَلَسْتُ، ثم سَأَلَنِي عن الْبَيْتِ، فقلتُ: "مُصَابُكُمْ" مَصْدَرٌ مُضافٌ إلى فاعِلِهِ. وَرَجُلًا: مَفْعولُهُ. وَخَبَرُ إنَّ "ظُلْمُ". فَأَخَذَ التَّوَّزِيُّ في مُعَارَضَتِي. فقلتُ: هو كَقَوْلِكَ: "إن ضَرْبَكَ زَيْدًا ظُلْمٌ". والدَّليلُ عليه أنَّ الْكَلامَ مُعَلَّقٌ إلى أنْ تَقولَ: "ظُلْمٌ" فَيَتِمَّ. فَقالَ التَّوَّزِيُّ: حَسْبِي، وفَهِمَ. وَاسْتَحْسَنَهُ الْواثِقُ[2].

---

(1) اختلف في نسبة هذا البيت، فقد نُسب للعرجي، وهو في ديوان شعره: 193، ونُسب لأبي دهبل الجمحي، ينظر ديوان شعره: 66، ونسب في بعض المصادر؛ كمعجم الأدباء: 2/ 759، للحارث بن خالد المخزومي.

(2) ورد الخبر في عدة مصادر، والنقل من بغية الوعاة: 1/ 465.

وسُئِلَ الْمَازِنِيُّ عن أَهْلِ الْعِلْمِ فَقالَ: أَصْحابُ الْقُرْآنِ فِيهِمْ تَخْلِيطٌ وَضَعْفٌ. وَأَهْلُ الْحَديثِ فيهِمْ حَشْوٌ وَرَقَاعَةٌ. وَالشُّعراءُ: فِيهِمْ هَوَجٌ. وَالنُّحَاةُ: فيهم ثِقْلٌ. وفي رُوَاةِ الْأَخْبارِ الظَّرْفُ كُلُّهُ. والْعِلْمُ هو الْفِقْهُ[1].

وله من التَّصانيفِ: "كِتابٌ في الْقُرْآنِ"، و"عِلَلُ النَّحْوِ"، و"تفاسيرُ كتابِ سِيبَوَيْهِ"، وكتابُ "ما يَلْحَنُ فيه الْعامَّةُ"، و"كِتابُ الْأَلِفِ واللَّامِ"، و"التَّصريفُ"، و"الْعَروضُ" و"الْقَوافِي"، وكتابُ "الدِّيباجُ في جامعِ كِتابِ سِيبَوَيْهِ". وكُلُّهَا لِطَافٌ.

وكانَ يَقولُ: مَنْ أَرادَ أنْ يُصَنِّفَ كِتابًا كَبيرًا في النَّحْوِ بعد "كِتابُ سِيبَوَيْهِ" فَلْيَسْتَحْيِ.

ماتَ في سَنَةِ تِسْعٍ أو ثَمانٍ وأَرْبَعينَ ومِئَتَيْنِ. كذا قالَ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ. وقالَ غَيْرُهُ سَنَةَ ثَلاثينَ ومِئَتَيْنِ[2].

ومن شِعْرِهِ: [الكامل]

شَيْئَانِ يَعْجِزُ ذُو الرِّيَاضَةِ عَنْهُمَا ... رَأْيُ النِّسَاءِ وَإِمْرَةُ الصِّبْيَانِ[3]
أَمَّا النِّسَاءُ فَإِنَّهُنَّ عَوَاهِرٌ ... وَأَخُو الصِّبَا يَجْرِي بِغَيْرِ عِنَانِ

(1) بغية الوعاة: 1/ 465.
(2) الترجمة من بغية الوعاة: 1/ 463.
(3) البيتان والخبر في معجم الأدباء: 2/ 759، وبغية الوعاة: 1/ 465.

وصَنَّفَ في التَّصْريفِ: أبو الْفَتْحِ ابْنُ جِنِّي مُخْتَصَرًا سَمَّاهُ: "التَّصْرِيفُ الْمُلُوكِيُّ"(1) وهو عُثْمانُ ابْنُ جِنِّي(2) ـ بِسُكونِ الْياءِ مُعَرَّبُ كِنِّي ـ أبو الْفَتْحِ النَّحْوِيُّ مِنْ أَحْذَقِ أَهْلِ الْأَدَبِ وأعْلَمِهِمْ بالنَّحْوِ والتَّصْريفِ، وعِلْمُهُ بالتَّصْريفِ أقْوى وأكْمَلُ من عِلْمِهِ بالنَّحْوِ. وسَبَبُهُ أنه كان يُقْرِئُ النَّحْوَ بجامع الْمَوْصِلِ، فَمَرَّ به أبو عَلِيٍّ الفَارِسِيُّ فسأله عن مَسْأَلَةٍ في التَّصْريفِ، فَقَصَّرَ فيها. فقال له أبو عَلِيٍّ: زَبَّبْتَ قَبْلَ أنْ تُحَصْرِمَ، فَلَزِمَهُ من يَوْمَئِذٍ مُدَّةَ أربعينَ سنةً، واعْتَنَى بالتَّصريفِ(3).

ولمَّا ماتَ أبو عَلِيٍّ، تَصَدَّرَ ابنُ جِنِّي مَكَانَهُ بِبَغْدادَ، وَأَخَذَ عنه الثَّمَانِينِيُّ(4)، وَعَبْدُ السَّلامِ الْبَصْرِيُّ، وأبو الْحَسَنِ السِّمْسِمِيُّ(5).

قال في "دُمْيَةُ الْقَصْرِ": وليس لأحَدٍ من أئِمَّةِ الأدَبِ في فَتْحِ الْمُقْفَلَاتِ، وَشَرْحِ(6) الْمُشْكِلَاتِ ما له، سِيَّمَا في عِلْمِ الإعْرابِ(7).

---

(1) ينظر: إرشاد القاصد: 113.

(2) لعل أصلها باللاتيني genius، وبقيت بالإنجليزية محتفظة بأصلها اللاتيني، وبالفرنسية: génie.

(3) بغية الوعاة: 2/ 132.

(4) أبو القاسم عمر بن ثابت بن إبراهيم الثمانيني النَّحوي (ت.442هـ)، نسبة إلى ثمانين: وهي مدينة بالجزيرة بناحية الموصل. ينظر أنساب السَّمعاني: 3/ 149.

(5) السِّمْسِمَاني، في تاريخ بغداد: 13/ 453، علي بن عبيد الله بن عبد الغفار، أبو الحسن اللغوي المعروف بالسِّمْسِمي (ت.415هـ)، وقد صُحفت في كل طبعات مفتاح السعادة ومصباح السيادة. ترجمته في: معجم الأدباء: 4/ 1817، إنباه الرواة: 2/ 288، وفيات الأعيان: 3/ 312، بغية الوعاة: 2/ 178.

(6) وحل، في قونية.

(7) دمية القصر: 3/ 1481، والنقل من بغية الوعاة: 2/ 132.

وكان يَحْضُرُ عند الْمُتَنَبِّي، ويُنَاظِرُهُ في النَّحْوِ من غير أن يَقْرَأَ عليه شَيْئًا من شِعْرِهِ أَنَفَةً وَإِكْبارًا لِنَفسِهِ. وَكانَ الْمُتَنَبِّي يقولُ فيه: هذا رَجُلٌ لا يَعْرِفُ قَدْرَهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ.

صَنَّفَ: "الْخَصائِصُ"، في النَّحْوِ، "سِرُّ الصِّناعَةِ"، "شَرْحُ تَصْرِيفِ الْمَازِنِيِّ"، "شَرْحُ مُسْتَغْلَقِ الْحَماسَةِ"[1]، "شَرْحانِ" على ديوانِ الْمُتَنَبِّي، "اللُّمَعُ في النَّحْوِ"[2]، "مَحاسِنُ الْعَرَبِيَّةِ"، "الْمُحْتَسَبُ في إعْرابِ الشَّواذِّ"[3]، و"شَرْحُ الْفَصيحِ". وغَيْرَ ذلِكَ.

مَوْلِدُهُ قَبْلَ الثَّلاثِينَ وثَلاثِمِئَةٍ. ماتَ لِلَيْلَتَيْنِ بَقِيَتَا من صَفَرٍ سَنَةَ ثِنْتَيْنِ وَتِسْعينَ وثَلاثِمِئَةٍ[4].

ولابْنِ مَالِكٍ: مُخْتَصَرٌ في ضَروريِّ التَّصْريفِ، وشَرَحَهُ وَوَسَمَهُ بالتَّعْرِيفِ. وهو مُحَمَّدُ بْنُ عبدِ اللهِ بْنِ عبد الله بن مَالِكٍ، الْعَلَّامَةُ جمالُ الدِّينِ أبو عبدِ اللهِ الطَّائِيُّ الْجَيَّانِيُّ الشَّافِعِيُّ النَّحْوِيُّ، نَزيلُ دِمَشْقَ، إمامُ النُّحاةِ، وحافِظُ اللُّغَةِ.

قال الذَّهَبِيُّ: وُلِدَ سَنَةَ سِتِّمِئَةٍ أو إحْدَى وسِتِّمِئَةٍ. وسَمِعَ بِدِمَشْقَ من السَّخَاوِيِّ، والْحَسَنِ بنِ الصَّبَّاحِ، وجَماعَةٍ. وَأَخَذَ العربيَّةَ عن غَيْرِ واحِدٍ،

---

(1) يعرف بكتاب "التنبيه على شرح مشكلات الحماسة"، وهو مطبوع.

(2) ذكر صاحب بغية الوعاة: 2/ 132 بعد هذا الكتاب "كتاب المذكر والمؤنث"، ولم يُذكر هنا.

(3) يعني شواذ القراءات، وهو مطبوع.

(4) الترجمة من بغية الوعاة: 2/ 132.

وجالَسَ بِحَلَبَ ابْنَ عَمْرُونَ[1] وغيرَهُ. وتَصَدَّرَ بها لِإِقْرَاءِ الْعَرَبِيَّةِ، وَصَرَفَ هِمَّتَهُ إلى إتْقانِ لِسانِ الْعَرَبِ حَتَّى بَلَغَ فيه الْغايَةَ، وَحازَ قَصَبَ السَّبْقِ، وَأَرْبَى على الْمُتَقَدِّمِينَ. وكانَ إمامًا في الْقِراءاتِ وعِلَلِهَا.

وأَمَّا اللُّغَةُ، فكانَ إليه الْمُنْتَهَى في الإكْثارِ من نَقْلِ غَرِيبِهَا، والِاطِّلاعِ على وَحْشِيِّهَا. **وأَمَّا النَّحْوُ والتَّصْرِيفُ**، فكان فيه بَحْرًا لا يُجَارَى، وحَبْرًا لا يُبَارَى. **وأَمَّا أَشْعارُ الْعَرَبِ**، الَّتِي يَسْتَشْهِدُ بها على اللُّغَةِ والنَّحْوِ، فكان الْأَئِمَّةُ الْأَعْلامُ يَتَحَيَّرُونَ فيه، ويَتَعَجَّبُونَ مِنَ أَيْنَ يَأْتِي بها. وَكانَ نَظْمُ الشِّعْرِ سَهْلًا عليه، رَجَزِهِ وطَوِيلِهِ وبَسِيطِهِ، وغيرِ ذلك. هذا مع ما هو عليه من الدِّينِ الْمَتينِ، وصِدْقِ اللَّهْجَةِ، وكَثْرَةِ النَّوافِلِ، وحُسْنِ السَّمْتِ، ورِقَّةِ الْقَلْبِ، وكَمالِ الْعَقْلِ، والْوَقارِ والتُّؤَدَةِ.

أقامَ بِدِمَشْقَ مُدَّةً يُصَنِّفُ ويَشْتَغِلُ، وتَصَدَّرَ بالتُّرْبَةِ الْعَادِلِيَّةِ والجامِعِ الْمَعْمورِ، وتَخَرَّجَ به جَماعَةٌ كثيرةٌ. وصَنَّفَ تَصانيفَ مَشْهورَةً.

رَوَى عنهُ ابْنُهُ الإمام بَدْرُ الدِّينِ، والشَّمْسُ ابْنُ أبي الْفَتْحِ، والْبَدْرُ ابنُ جَماعَةَ، والْعَلاءُ ابْنُ الْعَطَّارِ، وَخَلْقٌ. انْتَهَى كَلامُ الذَّهَبِيِّ[2].

قالَ أبو حَيَّانَ: لم يَكُنْ لابْنِ مالِكٍ شَيْخٌ مشهورٌ يَعْتَمِدُ عليه، إلَّا أنَّ بعضَ تَلامِذَتِهِ ذَكَرَ أَنَّهُ قالَ: قَرَأْتُ على ثابِتِ بْنِ حَيَّانَ. وجَلَسْتُ في حَلْقَةِ أبي عَلِيٍّ

---

(1) محمد بن محمد بن أبي علي ابن عمرون الحلبي النحوي، المعروف بالْجَمَّال (ت.649هـ)، ترجمته في: سير أعلام النبلاء: 23/ 251، الوافي بالوفيات: 1/ 197، بغية الوعاة: 1/ 231.

(2) تاريخ الإسلام: 15/ 249، والنقل من بغية الوعاة: 1/ 130.

الشَّلَوْبِينِ[1] نَحْوًا مِنْ ثَلاثَةَ عَشَرَ يَوْمًا. ولم يَكُنْ ثابِتُ بنُ حَيَّانَ مِنْ أَئِمَّةِ النَّحْوِ، وإنَّما كانَ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْمُقْرِئينَ[2].

قالَ السُّيُوطِيُّ: وله شَيْخٌ جَليلٌ وهو: ابنُ يَعِيش الْحَلَبِيُّ.

وأما تَصانيفُهُ: فكَثيرةٌ جِدًّا. نَظَمَهَا بَعْضُهُمْ في أَبْياتٍ ذَكَرَ فيها: **الْأَلْفِيَّةَ** في النَّحْوِ، تُسَمَّى: "**الْخُلاصَةُ**"، و"**الْعُمْدَةُ**"[3]، و"**إكْمالُ الْعُمْدَةِ**"، وشَرْحُها[4]، و"**التَّسهيلُ**"، وشَرْحُهُ، ولم يَتِمَّ، و"**قَصيدَةٌ في الْأفْعالِ**"[5]، و"**أُرْجوزَةٌ في الْمُثَلَّثِ**"، و"**قَصيدَةٌ في الْمَقْصورِ والْمَمْدودِ**"، وشَرْحُها، و"**إعْرابُ بَعْضِ أَحاديثِ صَحيحِ الْبُخارِيِّ**"، و"**قَصيدَةٌ في الضَّادِ والظَّاءِ**"، وأُخْرى في: "**ما هُوَ مَهْموزٌ وغيرُ مَهْموزٍ**"، و"**التَّعْريفُ في الصَّرْفِ**"[6]، وشَرْحُهُ، و"**كِتابٌ فيما جاءَ أَفْعَلَ وفَعَلَ**"، و"**مُخْتَصَرٌ في الْإبْدالِ**"، و"**الْقَصيدَةُ الْمالِكِيَّةُ في عِلْمِ الْقِراءاتِ**"، هذا ما ضُمِّنَتْهُ تلك الْأبْياتُ.

وله تصانيفُ غَيْرُ هَذِهِ، كِتابُ "**نَظْمُ الْفَوائِدِ**"، وفَتاوَى له في الْعَرَبِيَّةِ، ومَجْموعٌ يُسَمَّى: "**الْفَوائِدُ في النَّحْوِ**"، و"**شَرْحُ الْجُزولِيَّةِ**"، و"**سَبْكُ الْمَنْظومِ وَفَكُّ الْمَخْتومِ**"، و"**الْمُقَدِّمَةُ الْأَسَدِيَّةُ**"، وضَعَها باسْمِ ولَدِهِ تَقِيِّ الدِّين الْأَسَدِ.

---

(1) أبو علي عمر بن محمد بن عمر الأزدي الشَّلَوبين (ت.645هـ).

(2) بغية الوعاة: 2/ 130.

(3) عُمْدةُ الحافظ وعُدَّةُ اللَّافظ، وهو مطبوع.

(4) شرح عُمْدةِ الحافظ وعُدَّةِ اللَّافظ، وهو مطبوع أيضا.

(5) تعرف بلامية الأفعال.

(6) مطبوع بعنوان: "التعريف في ضروري التَّصريف".

ويُرْوَى أَنَّهُ كانَ إذا صَلَّى في الْعَادِلِيَّةِ ـ وكَانَ إمَامَهَا ـ يُشَيِّعُهُ قاضي الْقُضاةِ شَمْسُ الدِّينِ ابْنُ خَلِّكَانَ إلى بَيْتِهِ، تَعْظيمًا له. وكانَ آيةً في الاطِّلاعِ على الْحَديثِ، فإذا لم يَجِدْ شاهِدًا في الْقُرْآنِ عَدَلَ إلى الْحَديثِ، ثُمَّ إلى أَشْعارِ الْعَرَبِ.

وَكانَ كَثيرَ الْعِبادَةِ والنَّوافِلِ، حَسَنَ السَّمْتِ، كامِلَ الْعَقْلِ. وَانْفَرَدَ عن الْمَغارِبَةِ بِشَيْئَيْنِ: الْكَرَمِ، ومَذْهَبِ الشَّافِعِيَّةِ.

وَكانَ الشَّيْخُ رُكْنُ[1] الدِّينِ ابْنُ الْقَوْبَعِ يَقولُ: إنَّ ابْنَ مالِكٍ ما خَلَّى للنَّحْوِ حُرْمَةً.

تُوُفِّيَ ابْنُ مالِكٍ ثاني عَشَرَ شَعْبانَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وسَبْعينَ وسِتِّمِئَةٍ[2].

ومن الْمُتَوَسِّطَاتِ في عِلْمِ الصَّرْفِ[3]:

كِتابُ ابْنِ الْحَاجِبِ الْمُسَمَّى بـ "**الشَّافِيةُ**"، وهو: عُثْمانُ بنُ عُمَرَ بنِ أبي بَكْرِ بنِ يونُسَ الْعَلَّامَةُ جَمالُ الدِّينِ أبو عمرٍو ابْنُ الْحَاجِبِ الْكُرْدِيُّ الدُّوِينِيُّ الْأَصْلِ، الْإِسْنَائِيُّ الْمَوْلِدِ، الْمُقْرِئُ النَّحْويُّ الْمالِكِيُّ الْأصوليُّ الْفَقيهُ، صاحِبُ التَّصانيفِ الْمُنَقَّحَةِ.

وُلِدَ سَنَةَ سَبْعينَ أو إحْدى وَسَبْعينَ وخَمْسِمِئَةٍ بـ إسْنَا من الصَّعِيدِ.

---

(1) زكي، في قونية.

(2) الترجمة من بغية الوعاة: 1/ 130.

(3) التصريف، في قونية.

قال الذَّهَبِيُّ: وكان أبوه جُنْدِيًّا كُرْدِيًّا، حاجِبًا للأميرِ عِزِّ الدِّين الصَّلاحِيِّ، اشْتَغَلَ في صِغَرِهِ بالْقاهِرَةِ، وحَفِظَ الْقُرْآنَ، وأخَذَ بعض الْقِراءاتِ عن الشَّاطِبِيِّ، وَسِمَع منه الْيَسِيرَ[1]. وَقَرَأَ بالسَّبْعِ على أبي الْجودِ[2]، وسَمِعَ مِنَ الْبُوصِيرِيِّ، وَجَماعَةٍ. وَتَفَقَّهَ على أبي مَنْصورٍ الْأَبْيَارِيِّ، وَغَيْرِهِ. وَتَأَدَّبَ على الشَّاطِبِيِّ وَابْنِ الْبَنَّاءِ، ولَزِمَ الِاشْتِغالَ حتَّى بَرَعَ في الْأُصولِ والْعَرَبِيَّةِ، وَكانَ مِنْ أَذْكِياءِ الْعالَمِ. ثُمَّ قَدِمَ دِمَشْقَ، ودَرَّس بجامِعِها في زاوِيَةِ الْمالِكِيَّةِ، وأَكَبَّ الْفُضَلاءُ على الْأَخْذِ عنه، وَكانَ الْأَغْلَبَ عليه النَّحْوُ.

وصَنَّفَ في الْفِقْهِ: **مُخْتَصَرًا**، وفي الْأُصولِ **مُخْتَصَرًا**، وآخَرَ أَكْبَرَ منه سَمَّاهُ: "**الْمُنْتَهى**"، وفي النَّحْوِ: "**الْكافِيَةُ**"، وشَرْحَها، ونَظْمَها "**الْوافِيَةُ**"، وشَرْحَها، وفي التَّصْريفِ: "**الشَّافِيَةُ**"، وشَرْحَها، وفي الْعَروضِ: "**قَصيدَةٌ**"[3]، و"**شَرْحُ الْمُفَصَّلِ**"، سَمَّاهُ: "**الإيضاحُ**"، وله "**الْأَمَالِي**" في النَّحْوِ، مُجَلَّدٌ ضَخْمٌ في غايَةِ التَّحْقيقِ، بعضُها على أَبْياتٍ، وبَعْضُها على مَواضِعَ من "**الْمُفَصَّلُ**"، وَمَواضِعَ من **كافِيَتِهِ**، وأَشْياءُ نَثْرِيَّةٌ.

ومُصَنَّفَاتُهُ في غايَةِ الْحُسْنِ، ورُزِقَتْ قَبُولًا تَامًّا لحُسْنِها وجَزالَتِها. وقد خالَفَ النُّحاةَ في مَواضِعَ، وَأَوْرَدَ عليهم إشْكالاتٍ وإلْزاماتٍ مُفْحِمَةً يَعْسُرُ الْجَوابُ عنها. وكان فَقيهًا مُناظِرًا، مُفْتِيًا مُبَرِّزًا في عِدَّةِ عُلومٍ، مُتَبَحِّرًا ثِقَةً دَيِّنًا

(1) التيسير، في أنطاليا.

(2) أَبُو الجُودِ غِيَاثُ بنُ فَارِسِ بنِ مَكِّيٍّ اللَّخْمِيُّ الـمُنْذِرِيُّ المِصْرِيُّ (ت.605هـ). ترجمته في: التكملة لوفيات النقلة: 2/ 162، سير أعلام النبلاء: 16/ 38، 21/ 473، نكت الهميان: 225.

(3) تعرف بالمقصد الجليل في علم الخليل، وهي مطبوعة.

وَرِعًا، متواضِعًا مُطَّرِحًا لِلتَّكَلُّفِ. ثمَّ دَخَلَ مِصْرَ هو والشَّيْخُ عِزُّ الدِّين ابنُ عبد السَّلامِ، وتَصَدَّرَ هو بالْفَاضِلِيَّةِ، ولازَمَهُ الطَّلَبَةُ.

قال ابنُ خَلِّكَانَ: وكانَ من أحْسَنَ خَلْقِ الله ذِهْنًا، وجاءَنِي مِرارًا بِسَبَبِ أداءِ شَهاداتٍ، وَسَأَلْتُهُ عن مَواضِعَ في الْعَرَبِيَّةِ مُشْكِلَةٍ، فَأَجابَ أبْلَغَ جَوابٍ، بِسُكونٍ كَثِيرٍ، وتَثَبُّتٍ تَامٍّ.

انْتَقَلَ إلى الْإسْكَنْدَرِيَّةِ لِيُقيمَ بها، فَلَمْ تَطُلْ مُدَّتُهُ، وماتَ بها في ضاحي نَهارِ الْخَميسِ سادِسَ عَشَرَ من شَوَّالٍ سَنَةَ سِتٍّ وأَرْبَعينَ وسِتِّمِئَةٍ[1].

وأَمْثَلُ الْمَبْسوطاتِ:

"**الْمُمْتِعُ**"، لابْنِ عُصْفُورٍ، وهو عليُّ بنُ مُؤْمِنِ بنِ مُحَمَّدِ بْنِ عليٍّ، أبو الْحَسَنِ ابْنُ عُصْفُورٍ النَّحْوِيُّ الْحَضْرَمِيُّ الْإشْبِيلِيُّ. كاتِبُ[2] لِواءِ الْعَرَبِيَّةِ في زَمانِهِ[3] بِالْأَنْدَلُسِ.

قال ابْنُ الزُّبَيْرِ: أَخَذَ عن الدَّبَّاجِ[4]، والشَّلَوْبِينِ، ولازَمَهُ مُدَّةً، ثم كانَتْ بينهما مُنَافَرَةٌ ومُقاطَعَةٌ، وتَصَدَّرَ لِلِاشْتِغالِ مُدَّةً، وأَقْبَلَ عليه الطَّلَبَةُ، وكانَ أصْبَرَ النَّاسِ على الْمُطالَعَةِ، لا يَمَلُّ من ذلك، ولم يكنْ عِنْدَهُ ما يُؤْخَذُ عنه غَيْرَ النَّحْوِ، ولا تَأَهَّلَ لِغَيْرِ ذَلِكَ.

---

(1) الترجمة من بغية الوعاة: 2/ 134.

(2) حامل، في المصدر نفسه: 2/ 210.

(3) كانت لواء العربية بيده في زمانه، في أنطاليا.

(4) أبو الحسن علي بن جابر ابن الدَّبَّاح الإشبيليُّ (ت.646هـ).

قالَ الصَّفَدِيُّ: ولم يَكُنْ عِنْدَهُ وَرَعٌ. وجَلَسَ في مَجْلِسِ شَرابٍ، فلم يَزَلْ يُرْجَمُ بِالنَّارَنْجِ إلى أَنْ ماتَ في رابِعَ عَشَرَ مِنْ ذي الْقَعْدَةِ سنَةَ ثَلاثٍ أو تِسْعٍ وسِتِّينَ وسِتِّمِئَةٍ. ومَوْلِدُهُ سَنَةَ سَبْعٍ وتِسْعينَ وخَمْسِمِئَةٍ.

وصَنَّفَ: **"الْمُمْتِعُ في التَّصْريفِ"** كان أبو حَيَّانَ لا يُفارِقُهُ، **"الْمُقَرِّبُ"**، شَرْحَهُ، لم يَتِمَّ، **"شَرْحُ الْجُزولِيَّةِ"**، **"مُخْتَصَرُ الْمُحْتَسَبِ"**، ثَلاثَةَ **شُروحٍ على الْجُمَلِ**، **"شَرْحُ الْأشْعارِ السِّتَّةِ"**، وَغَيْرَ ذَلِكَ[1].

ومن الْمَبْسوطاتِ:

"شَرْحُ الشَّافيةِ"، لِلإمامِ الْجارَبَرْدِيِّ، وهو أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ، الشَّيْخُ فَخْرُ الدِّينِ.

قالَ السُّبْكِيُّ في "طَبَقاتُ الشَّافِعِيَّةِ": نَزيلُ تِبْريزَ، كانَ إمامًا فاضِلًا دَيِّنًا خَيِّرًا وَقورًا، مُواظِبًا على الْعِلْمِ وإفادَةِ الطَّلَبَةِ. أَخَذَ عن الْقاضِي ناصِرِ الدِّين الْبَيْضاوِيِّ.

وصَنَّفَ: **شَرْحَ مِنْهاجِهِ، شَرْحَ الْحاوِي**[2] **في الْفِقْهِ**، لم يَكْمُلْ، **شَرْحَ الشَّافِيَةِ**، لابْنِ الْحاجِبِ، **شَرْحَ الْكَشَّافِ**[3].

وَماتَ في رَمَضانَ سَنَةَ سِتٍّ وَأَرْبَعينَ وسَبْعِمِئَةٍ بِتِبْريزَ[4].

---

(1) الترجمة من بغية الوعاة: 2/ 210.

(2) سماه: "الهادي في شرح الحاوي الصغير".

(3) الصحيح أنه حاشية، ينظر كشف الظنون: 2/ 1478، توجد منها نسخ خطية.

(4) الترجمة من بغية الوعاة: 1/ 303.

و"**شَرْحُ الشَّافِيةِ**"، لِرَضِيِّ الدِّينِ الْأَسْتَرَابَاذِيِّ. وسَتَعْرِفُ تَرْجَمَتَهُ في النَّحْوِ.

و"**شَرْحُ الشَّافِيةِ**"، لِحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ النَّيْسَابُورِيِّ، الْمَشْهورِ بِالنِّظَامِ الْأَعْرَجِ[1]، وشَرْحُهُ مَمْزوجٌ مَشْهورٌ مُتَدَاوَلٌ.

قالَ السُّيُوطِيُّ: لم أَقِفْ له على تَرْجَمَةٍ[2].

وَمِمَّا اشْتَهَرَ في دِيَارِنَا مُخْتَصَرٌ مُسَمًّى بِالْمَقْصودِ، لم نَقِفْ على اسْمِ مُصَنِّفِهِ[3]. إلَّا أَنَّهُ كِتابٌ مُبارَكٌ مَشْهورٌ بِأَيْدِي النَّاسِ الْيَوْمَ. وعليه شُروحٌ مُفيدَةٌ مَشْهورَةٌ عند أَبْناءِ الزَّمانِ[4].

و"**مُخْتَصَرٌ**"، لِعِزِّ الدِّينِ الزَّنْجَانِيِّ، وهو عبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ إبْراهيمَ بْنِ عبدِ الْوَهَّابِ بْنِ أبي الْمَعالي الْخَزْرَجِيُّ الزَّنْجَانِيُّ، صاحِبُ "**شَرْحُ الْهَادِي**" الْمَشْهورِ، الَّذِي أَكْثَرَ الْجَارْبَرْدِيُّ مِنَ النَّقْلِ عنه في "**شَرْحُ الشَّافيةِ**". قالَ السُّيُوطِيُّ: وَقَفْتُ عليه بِخَطِّهِ، وذَكَرَ في آخِرِهِ أَنَّهُ فَرَغَ منه بِبَغْدادَ في الْعِشْرينَ من ذي الْحِجَّةِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وخَمْسينَ وسِتِّمِئَةٍ.

---

(1) من رجال القرن التاسع توفي بعد 850هـ ترجمته في: سلم الوصول: 2/ 36، هدية العارفين: 1/ 283.

(2) بغية الوعاة: 1/ 525.

(3) كتاب المقصود في الصرف، يُنسب للإمام أبي حنيفة النعمان، وهو غير صحيح إليه.

(4) منها إمعان الأنظار على المقصود، للمولى محمد بن بير المعروف ببركلي، وعنقود الجواهر، لابن سماونه، وغيرهما. ينظر: كشف الظنون: 2/ 1806.

وَمَتْنُ "**الهادِي**"، له أيْضًا، وله التَّصْريفُ الْمَشْهورُ بـ: "**تَصْريفُ الْعِزِّي**"[1]. وله مُؤَلَّفاتٌ في الْعَروضِ والْقَوافِي. وخَطُّهُ في غايَةِ الْجَوْدَةِ.

وعلى **مُخْتَصَرِهِ في التَّصْريفِ** شُروحٌ مُفيدةٌ مَشْهورَةٌ عند أَبْناءِ الزَّمانِ، أَفْضَلُها وأَحْسَنُها: **شَرْحَا الفاضِلِ سَعْدِ الدِّينِ التَّفْتَازَانِيِّ، والفاضِلِ السَّيِّدِ الشَّريفِ الْجُرْجَانِيِّ**. وسَتَقِفُ على تَرْجَمَتِهِما إنْ شاءَ اللهُ تعالى.

ومِنَ الْمُخْتَصَراتِ:

مُخْتَصَرُ: "**مَرَاحُ الأَرْوَاحِ**"، لِأَحْمَدَ بنِ عَلِيٍّ بنِ مَسْعودٍ.

قالَ السُّيُوطِيُّ: لَمْ أَقِفْ له على تَرْجَمَةٍ[2].

وَعَلَيْهِ **شُروحٌ** مُفيدَةٌ يَعْرِفُها الْمُتَأَدِّبونَ مِنَ الصِّبْيانِ[3].

وأَكْثَرُ الْمُصَنَّفاتِ في عِلْمِ النَّحْوِ مُذَيَّلَةٌ بعلم التَّصْريفِ. وسَنَذْكُرُ نُبَذًا منها هناك. إن شاء الله تعالى.

وَ"**مُخْتَصَرُ النَّجاحِ**"، مُفيدٌ في الْغايَةِ، لَكِنَّهُ غَيْرُ مَشْهورٍ، وهو لِحُسامِ الدِّينِ السِّغْنَاقِيِّ[4]، شارِحِ "**الْهِدايَةُ**"، وسَتَعْرِفُ تَرْجَمَتَهُ هناكَ.

و"**مُخْتَصَرُ نُزْهَةِ الطَّرْفِ في علم الصَّرْفِ**"، لِلْمَيْدَانِيِّ. وقد عَرَفْتَ تَرْجَمَتَهُ.

---

(1) بغية الوعاة: 2/ 122.

(2) المصدر نفسه: 1/ 347.

(3) ذكر بعضها صاحب كشف الظنون: 2/ 1651.

(4) السُّغناقي: في تاج العروس: 25/ 450، والسِّغناقي في الفوائد البهية: 62.

الشُّعْبَةُ الثَّانيةُ: فيما يَتَعَلَّقُ بِالْمُرَكَّبَاتِ

عِلْمُ النَّحْوِ

عِلْمٌ باحِثٌ عن أحْوالِ الْمُرَكَّبَاتِ الموضوعَةِ وَضْعًا نَوْعِيًّا، لنوعٍ نوعٍ من المعاني التَّرْكِيبِيَّةِ النِّسْبِيَّةِ من حيث دَلالَتُهَا عليها.

وغَرَضُهُ: تَحْصيلُ مَلَكَةٍ يُقْتَدَرُ بها على إيرادِ تَرْكيبٍ[1] وُضِعَ وَضْعًا نَوْعِيًّا لِمَا أَرادَهُ الْمُتَكَلِّمُ مِنَ الْمَعْنَى، وعلى فَهْمِ مَعْنَى أيِّ مُرَكَّبٍ كانَ بِحَسَبِ الْوَضْعِ الْمَذْكورِ.

وَغايتُهُ: الِاحْتِرازُ عن الْخَطَإِ في تَطْبيقِ التَّراكيبِ الْعَرَبِيَّةِ على الْمَعانِي الْوَضْعِيَّةِ الْأَصْلِيَّةِ.

ومَبادئُهُ: الْمُقَدِّمَاتُ الْحَاصِلَةُ من تَتَبُّعِ الألفاظِ الْمُرَكَّبَةِ في مواردِ الِاسْتِعْمالاتِ.

ومَوْضوعُهُ: الْمُرَكَّبَاتُ والْمُفْرَداتُ من حيث وُقوعُهَا في التَّراكيبِ والأدَواتِ، لكونها رَوابِطَ التَّراكيبِ. وإنما يُبْحَثُ عنها في النَّحْوِ على وَجْهِ الْمَبْدَئِيَّةِ، لأنَّها من مَسائِلِ اللُّغَةِ حَقيقةً[2].

---

(1) تراكيب، في قونية.

(2) ينظر رسالة في العلوم الشرعية والعربية: 26.

وَاعْلَمْ أنَّ عِلْمَ النَّحْوِ من فُروضِ الْكِفَايَاتِ[1]، إذْ يَحْتاجُ إليه الإِسْتِدْلَالُ بِالْكِتَابِ والسُّنَّةِ، وإذ[2] ليسَ فَرْضًا عَيْنًا فكَذا النَّحْوُ. إلَّا أنَّهُ يَجِبُ أنْ يكونَ مُتَواتِرًا، إذِ اشْتِراطُ تَوَاتُرِ الشَّرْعِ يوجِبُ اشْتِراطَهُ في اللُّغَةِ أيْضًا، ومن جُمْلَةِ أقْسامِها النَّحْوُ.

وهاهنا إشْكالٌ من وَجْهَيْنِ:

ـ **أحَدُهُما**: أنَّ هذا بِدْعَةٌ، وكُلُّ بِدْعَةٍ حَرامٌ.

ـ **وثانيهِما**: أنَّ النَّحْوَ يَحْتاجُ إلى الْأَلْفاظِ الْمُحْتاجِ إلى النَّحْوِ فَيَدورُ.

وَالْجَوابُ: أنَّ الصَّحابَةَ كانوا يَعْرِفونَ النَّحْوَ، وإنَّما الْمُبْتَدَعُ الِاصْطِلاحاتُ، ولا مُشَاحَّةَ فيها، بل هذه بِدْعَةٌ حَسَنَةٌ.

كما قيلَ: النَّحْوُ عِلْمٌ مُبْتَدَعٌ، وقِياسٌ مُخْتَرَعٌ. وأيْضًا بعضُ قَواعِدِ النَّحْوِ مَعْلومٌ بالضَّرورَةِ، وبعضُها مُكْتَسَبٌ. والذي يَتَوَقَّفُ عليه تَعَلُّمُ النَّحْوِ هو الْأَوَّلُ، والَّذِي يُكْتَسَبُ به هو الثَّانِي، فلا دَوْرَ.

ولله دَرُّ الْكِسَائِيِّ يَمْدَحُ النَّحْوَ[3]: [الرمل]

إنَّمَا النَّحْوُ قِيَاسٌ يُتَّبَعْ   وَبِهِ في كُلِّ عِلْمٍ يُنْتَفَعْ[4]
وإذا مَا أَتْقَنَ النَّحْوَ الْفَتَى   مَرَّ فِي الْمَنْطِقِ مَرًّا فَاتَّسَعْ
وَاتَّقَاهُ كُلُّ مَنْ يَعْرِفُهُ   مِنْ جَلِيسٍ نَاطِقٍ أو مُسْتَمِعْ

---

(1) الكفاية، في مراد ملا.

(2) كتب بإزائها في نسخة أنطاليا: لعلها: وذا ليس... أي الاستدلال.

(3) في النَّحْوِ، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

(4) الأبيات في أخبار النحويين لأبي طاهر البزار: 54، ومعجم الأدباء: 4/ 1774، وإنباه الرواة: 2/ 267.

وإذا لَـمْ يَعْـرِفِ الـنَّـحْـوَ الْـفَـتَـى هَـابَ أنْ يَنْطِقَ جُبْنًـا فَـانْقَـمَعْ
فَـتَـرَاهُ يَـنْصِـــبُ الـرَّفْـعَ ومَـا كَانَ مِنْ نَصْـبٍ وَمِنْ خَفْضٍ رَفَعْ
أهُـمَـا فِـيـهِ سَـــوَاءٌ عِـنِـدَكُـمْ لَيْسَـــتِ السُّـنَّـةُ فِينَا كَـالْبِـدَعْ

واعْلَمْ أنَّ كَثيرًا من النَّاسِ بِسَبَبِ جَهْلِهِمْ بِعِلْمِ النَّحْوِ وَقَعوا في مَضَاحِكَ يَضْحَكُ منها الصِّبْيانُ.

حَكَى أبو حَيَّانَ التَّوْحِيدِيُّ أنَّ رَجُلًا سُئِلَ عن قَوْمٍ فقالَ: هم خُرُوجٌ ـ أرادَ هم خارِجونَ ـ قيلَ: هذا غيرُ صَحيحٍ. قال: كما قال تعالى: ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾[1]؛ أي قاعِدونَ، فَضُحِكَ به.

قالَ أبو الْفَرَجِ الْبَغْدادِيُّ يُقال لعارِفِ اللُّغَةِ: لَغَوَي بِفَتْحِ اللَّامِ، فقيلَ: هذا غَيْرُ مَسْموعٍ. قالَ: أمَا سَمِعْتُمْ قَوْلَهُ تَعالى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾[2]، فَضُحِكَ منه.

وأَعْرَبَ بعضُهُمْ "قَيِّمًا" صِفَةً "لِعِوَجًا" في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿عِوَجًا (1) قَيِّمًا﴾[3]. وهذه غَفْلَةٌ، إذ الْمُعْوَجُّ لا يكون قَيِّمًا، وإنَّما "قَيِّمًا" حالٌ من مَحْذوفٍ، أي أَنْزَلَهُ قَيِّمًا، أو من الْكِتابِ.

---

(1) سورة البروج، الآية: 6.
(2) سورة القصص، الآية: 18.
(3) سورة الكهف، الآية: 1-2.

وقالَ بعضُهُمْ في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى﴾[1]، أنَّ "ثمود" مَفْعولٌ مُقَدَّمٌ، وهذا خَطَأٌ، فإنَّ ما النَّافِيَةَ [يَقْتَضِي][2] الصَّدْرَ، فلا يَعْمَلُ ما بَعْدَها فيما قَبْلَها.

وقالَ بَعْضُهُمْ في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾[3]، أنَّ ما بِمَعْنى مَنْ، ولو كانَ كَذَلِكَ لَرُفِعَ قَليلٌ على أنَّهُ خَبَرٌ.

وقالَ بَعْضُهُم في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾[4]. أنَّ قَوْلَهُ: "أن نفعل" مَعْطوفٌ على أن نَتْرُكَ، وذلِكَ باطِلٌ، لأنَّهُ لم يَأْمُرْهُمْ أنْ يَفْعَلوا في أَمْوالِهِمْ ما يَشاؤونَ، وإنَّما هو عَطْفٌ على ما، فهو مَعْمولٌ لِلتَّرْكِ. والْمَعْنى أنْ نَتْرُكَ أنْ نَفْعَلَ.

وقالَ بَعْضُهُمْ في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾[5]، إنَّ "مِنَ" مُتَعَلِّقَةٌ بأَغْنِياءَ، وهو فاسِدٌ، لأنَّهُ متى ظَنَّهُمْ ظانٌّ أَغْنِياءَ من التَّعَفُّفِ، عَلِمَ أنَّهُمْ فُقَراءُ من الْمالِ، ولا يَكونُ جاهِلًا بِحالِهِمْ، وإنَّما هي مُتَعَلِّقَةٌ بـ "يَحْسَبُ"، وهي لِلتَّعْليلِ.

وقالَ بَعْضُهُمْ في قَوْلِ الشَّاعِرِ: [الطويل]

أَقُولُ لِعَبْدَ اللهَ لَمَّا سِقَاؤُنَا ... وَنَحْنُ بِوَادِي عَبْدِ شَمْسٍ وهَاشِمِ[6]

(1) سورة النجم، الآية: 51.

(2) زيادة من أنطاليا.

(3) سورة البقرة، الآية: 88

(4) سورة هود، الآية: 87.

(5) سورة البقرة، الآية: 273.

(6) البيت والخبر في معيد النعم ومبيد النقم: 77.

هذا لَحنٌ. فأينَ فِعْلَا "لَمَّا"؟ وعَلامَ نُصِبَتِ "اللهَ"؟ ولأيِّ شيء فُتح الدَّالُ مِنْ "عَبْدَ"؟ وَجَوابُهُ: أنَّ عَبْدَ تَرْخيمُ عَبْدَةَ، و"اللهَ" نُصِبَ على الإغْرَاءِ، وفِعْلَا لَمَّا سِقَاؤُنَا مَرْفوعٌ بِفِعْلٍ مَحْذوفٍ، فَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ: وَهَى أيْ ضَعُفَ، والْجَوَابُ مَحْذوفٌ تَقْدِيرُهُ: قُلْتُ، بِدَليلِ قَوْلِهِ: "أَقولُ[1] لمَّا سَقَطَ سِقَاؤُنَا، وَنَحْنُ بِوادِي عَبْدِ شَمْسٍ، قُلْتُ لِعَبْدَةَ: اِحْذَرِ اللهَ شِمِ الْبَرْقَ.

وَقَرِيبٌ من هذا الْبَيْتِ قَوْلُ الشَّاعِرِ: [الطويل]

أقُـولُ لِـعَـبْـدَ اللهَ لَـمَّـا لَـقِـيـتُـهُ ونَحْنُ على جَنْبِ الظِّبَا والْقَنَاطِرِ[2]

"الْقَنَا": الرِّمَاحُ. وَ"طِرْ": فِعْلُ أَمْرٍ مِنَ الطَّيَرَانِ.

ونَظِيرُ هذينِ الْبَيْتَيْنِ في إِلْغَازٍ: [الخفيف]

عَـافَـتِ الْـمَـاءَ في الشِّـتَـاءِ فَقُلْنَـا بَرِّدِيـهِ تُصَـادِفِيـهِ سَـخِـينَـا[3]

يُقالُ: كَيْفَ تُبَرِّدُهُ ثم تصادِفُهُ سَخِينًا، وهذه غَفْلَةٌ، وَالْأَصْلُ: بَلْ رِدِيهِ، ثم كَتَبَ جُمْلَةً واحِدَةً لِأَجْلِ الْإِلْغَازِ.

وقَوْلُ الشَّاعِرِ: [الكامل]

لَـمَّـا رَأَيْـتُ أبَـا يَـزِيـدَ مُـقَـاتِـلًا أَدَعَ الْقِتَـالَ وأشْـهَـدَ الْهَيْجَـاءَ[4]

---

(1) وقوله شم فعل أمر من قوبك شِمْتَ البرقَ، إذا نظرت إليه، والمعنى أقول، كذا في معيد النعم: 77. وهو أوضح في المعنى.

(2) البيت لابن شهاب الزهري، وهو من الشواهد، والنقل من معيد النعم ومبيد النقم: 77.

(3) البيت من الشواهد المعروفة في كتب النحو، والنقل من المصدر نفسه: 77.

(4) البيت لأعصر بن سعد، وهو من الشواهد، والنقل من المصدر نفسه: 77.

يُقالُ: أينَ جَوابُ "لَمَّا"؟ وبِمَ انْتُصِبَ "أَدَعَ"؟ وهَذِهِ غَفْلَةٌ، فَالْأَصْلُ: لَنْ مَا، أُدْغِمَتِ النُّونُ في الْمِيمِ، وَوُصِلَا في الْخَطِّ لِلْإِلْغَازِ، وحَقُّهُمَا الْفَصْلُ، وانْتِصَابُ أَدَعَ بِلَنْ، ومَا الظَّرْفِيَّةِ وصِلَتُهَا ظَرْفٌ له فَاصِلٌ بَيْنَهُ وبَيْنَ لَنْ للضَّرورَةِ. فَيُسْأَلُ حِينَئِذٍ كَيْفَ يَجْتَمِعُ قَوْلُهُ: "لَنْ أَدَعَ الْقِتَالَ"، مع قَوْلِهِ: "لَنْ أَشْهَدَ الْهَيْجَاءَ"، والْهَيْجَاءُ: مُشْتَجَرُ الْحَرْبِ؟

والْجَوابُ: "أَنْ أَشْهَدَ" لَيْسَ مَعْطُوفًا على "أَدَعَ"، بل نَصْبُهُ بِأَنْ مُضْمَرَةً، وأنْ والْفِعْلُ عَطْفٌ على "الْقِتالَ"؛ أيْ لَنْ أدَعَ الْقِتَالَ، وَأَشْهَدَ الْهَيْجَاءَ، على حَدِّ قَوْلِ الشَّاعِرِ: [الوافر]

لَلُبْسُ عَبَاءَةٍ وَتَقَرَّ عَيْنِي[1].

وقَوْلُ الشَّاعِرِ: [الخفيف]

وَيْحَ مَنْ لَامَ عَاشِقًا فِي هَوَاهُ إِنَّ لَوْمَ الْمُحِبِّ كَالإِغْرَاءُ[2]

يُقالُ: كَيْفَ ارْتَفَعَ "الْإِغْرَاءُ" بَعْدَ كافِ التَّشبيهِ؟ والْجَوابُ: أنَّ الكافَ ضَمِيرُ الْمُخاطَبِ مُتَّصِلَةٌ بِالْمُحِبِّ، والْأَلِفُ واللَّامُ في الْمُحِبِّ بِمَعْنَى الَّذِي. والْإِغْراءُ خَبَرُ إنَّ. والمعنى: إنَّ لَوْمَ الْمُحِبِّ هو الإغْراءُ، وحَقُّ الكاف أن تُوصَلَ في الْخَطِّ بالْمُحِبِّ، ولكن فُصِلَتْ لِلُّغْزِ.

(1) صدر بيت من الشواهد النحوية وتمامه: أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ لُبْسِ الشُّفُوفِ. والنقل من معيد النعم ومبيد النقم: 77.

(2) البيت من الشواهد النحوية والنقل من معيد النعم ومبيد النقم: 78.

وقَوْلُ الشَّاعِرِ: [الكامل]

يَا صَــاحِبِ مَلَكَ الْفُؤَادَ عَشِــيَّةً زَارَ الْحَبِيــبَ بها خَلِيـلٌ نَـائِي[1]
لَـمَّـا بَـدَا لَـمْ أَدْرِ بَـدْرَ دُجَـيَّـةٍ أَمْ وَجـهَ مَنْ أَهْوَاهُ طَرْفِي رَائِي[2]

فقالَ: كَيْفَ جُرَّ "صاحِبِ" وهو مُنَادى مُفْرَدٌ؟ وجَوابُهُ: إنَّ يا صاح مُرَخَّمٌ، وبِنْ: فعل أمْرٍ من بَانَ يَبِينُ، إذا فارَقَ، وكُتِبَتْ هكذا على نَحْوِ صاحِبِ لِأَجْلِ الْإِلْغَازِ. ويُقال: على مَا نُصِبَ بَدْرٌ في قوله: "بَدْرَ دُجَيَّةٍ" وما قَبْلَ الِاسْتِفْهامِ لا يَعْمَلُ فيه؟ وَجَوابُهُ: مَنْصوبٌ بِـ"رائي". والْمَعْنى: لَمْ أَدْرِ طَرْفِي رَأَى بَدْرَ دُجَيَّةٍ أم وَجْهَ من أهْواهُ.

وَقَوْلُ الشَّاعِرِ: [البسيط]

لا تَقْنَطَنَّ وكُنْ بِـالله مُحْتَسِــبًـا فَبَيْنَمَا أَنْتَ ذَا يَأْسٍ أَتَى الْفَرَجَا[3]

الْفَرَجُ: مَفْعولٌ، الْعامِلُ فيه اسْمُ الفاعِلِ، وهو مُحْتَسِبٌ. والمعنى: فَكُنْ في اللهِ مُحْتَسِبًا الْفَرَجَ، فبينما أنت ذا يأسٍ أتى.

وقال الْعَبَّاسُ بْنُ مِرْداسٍ: [الطويل]

ومِنْ قَبْـلُ آمَنَّـا وقَـدْ كَـانَ قَوْمُنَـا يُصَــلُّونَ للأَوْثَانِ قَبْلَ مُحَمَّدَا[4]

---

(1) البيتان في معيد النعم: 78.

(2) دُجُنَّةٍ، في أنطاليا.

(3) في الله، في أنطاليا. والبيت في الانتخاب لكشف الأبيات المشكلة الإعراب: 29، ومعيد النعم: 78.

(4) البيت والخبر من معيد النعم: 78.

قال ابْنُ السُّبْكِيِّ: قال لي طالِبٌ نَحْوِيٌّ مَرَّةً، كَيْفَ نَصَبَ مُحمدًا وهو مُضافٌ إليه؟ فقلتُ: فَفَكِّرْ فإنَّ أحَدًا لم يُصَلِّ لِلنَّبِيِّ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ لا قَبْلَ الأوْثانِ ولا بَعْدَها. والْجَوابُ: أنَّ آمَنَّا في الْبَيْتِ مَعْناهُ صَدَّقْنَا، ومُحَمَّدًا مفعولُ آمَنَّا، أي ومِنْ قَبْلُ صَدَّقْنَا مُحَمَّدًا، وقَدْ كانَ قَوْمُنا يُصَلُّونَ لِلْأَوْثانِ قَبْلَ، و"قَبْلَ" مَقْطوعَةٌ عن الإضافَةِ بُنِيَتْ على الْفَتْحِ وهي لُغَةٌ. واللُّغَةُ الْعالِيَةُ بِناؤُها على الضَّمِّ. وَقِيلَ: أَرادَ النَّكِرَةَ، أي قَبْلًا، ثم حَذَفَ التَّنْوِينَ مُضْطَرًّا.

وَقالَ آخَرُ: [البسيط]

فِرْعَوْنُ مَالِي وهَامَانُ الْأُلَى زَعَمُوا   أَنِّي بَخِلْتُ بِمَا يُعْطِيهِ قَارُونَا[1]

"فِرْ": فِعْلُ أَمْرٍ من وَفَرَ له الْعَطِيَّةَ، ومنه عَطاءٌ مَوْفُورٌ، وَعَوْنَةُ امْرَأَةٌ رَخَّمَهَا فقال عَوْنُ. والْمَعْنى: أَعْطِ عَوْنَةَ مَالِي. وأَمَّا "وهَا" فَدُعاءٌ، من وَهَى يَهِي إذا ضَعُفَ. و"مَانُ" جَمْعُ مَانَةٍ: الْبَطْنُ، وهي أَسْفَلُ السُّرَّةِ. يَقولُ: ضَعُفَ مانُ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنِّي بَخِلْتُ، وَقارونُ الْمَفْعولُ الثَّانِي لِـ "يُعْطِيهِ"، وَالْأَوَّلُ الْهاءُ الْعائِدَةُ إلى ما الْمَوصولَةِ، وَفاعِلُ "يُعْطِيهِ" مُضْمَرٌ لِلْعِلْمِ به، كَأَنَّهُ يُريدُ يُعْطيهِ الله قارونَ.

وَاعْلَمْ أنَّ هذا بَحْرٌ لا ساحِلَ له. ولو اسْتَقْصَيْنَا هذا الْبابَ لَأَدَّى الْكِتابُ إلى الْإسْهَابِ. وَاللهُ أَعْلَمُ بالصَّوَابِ.

---

(1) البيت في المسائل البصريات: 2/ 795، والانتخاب لكشف الأبيات المشكلة الإعراب: 71، والنقل من معيد النعم ومبيد النقم: 79.

فَصْلٌ في واضِعِ عِلْمِ النَّحْوِ:

يُرْوى أنه دَخَلَتْ بنتُ خُوَيْلِدٍ الأسَدِيِّ على مُعاوِيَةَ فقالت: إنَّ أَبويَ[1] مَاتَ، وتَرَكَ لي مالًا، بإمالَةِ مالٍ. فاسْتَقْبَحَ منها معاويةُ ذلك. وبَلَغَ الْخَبَرُ عليًّا كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، فَرَسَمَ لِأَبِي الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيِّ بابَ إنَّ، وبابَ الْإِضافَةِ، وَبابَ الْإِمالَةِ.

ثُمَّ سَمِعَ أبو الْأَسْوَدِ رَجُلًا يَقْرَأُ: ﴿أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾[2]، بِخَفْضِ "رَسُولُهُ"، فَصَنَّفَ بابَ الْعَطْفِ، وَبابَ النَّعْتِ.

ثُمَّ إنَّ ابْنَتَهُ قالَتْ له يومًا: يا أَبَتِ ما أَحْسَنُ السَّمَاءِ، على طَرِيقِ الِاسْتِفْهامِ. فقالَ: أي بُنَيَّةُ نُجُومُهَا فقالتْ: إنَّمَا أتَعَجَّبُ من حُسْنِهَا. فقالَ: قُولِي ما أَحْسَنَ السَّمَاءَ. وافْتَحِي فَمَكِ.

وَقالَتْ يومًا آخَرَ له: يا أبَتِ ما أَشَدُّ الْحَرِّ. على لَفْظِ الِاسْتِفْهامِ. فقالَ لها: أي بُنَيَّة، وغُرَّةُ الْقَيْظِ، ومَعْمَعَانُ الصَّيْفِ. فَقالَتْ له: إنَّمَا أَتَعَجَّبُ منه. فقالَ لها: قُولِي: ما أَشَدَّ الْحَرَّ، بالنَّصْبِ. ثم صَنَّفَ بابَ التَّعَجُّبِ والاسْتِفَهَامِ.

فَعُلِمَ من هذه الرِّواياتِ: أنَّ أوَّلَ من وَضَعَ النَّحْوَ أبو الْأَسْوَدِ. أَخَذَهُ عن عَلِيٍّ بنِ أبي طالِبٍ، كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ.

---

(1) أبي، في قونية ورئيس الكتاب.

(2) سورة التوبة، الآية: 3.

وأبو الأَسْوَدِ، اسْمُهُ ظَالِمُ بنُ عَمْرِو بنِ ظالِمٍ، وقيلَ: ابْنُ سُفْيانَ بْنِ عَمْرِو ابْنِ حِلْسِ بْنِ نُفَاثَةَ بْنِ عَدِّي بْنِ الدِّئِلِ بْنِ بَكْرِ بْنِ كِنَانَةَ، أبو الأَسْوَدِ الدُّؤَلِيُّ، الْكوفِيُّ الْمَوْلِدِ، الْبَصْرِيُّ الْمَنْشَأِ. أَوَّلُ مَنْ أَسَّسَ النَّحْوَ.

كانَ مِنْ ساداتِ التَّابِعينَ، ومِنْ أَكْمَلِ الرِّجالِ رَأْيًا، وَأَسَدِّهِمْ عَقْلًا، شِيعِيًّا شاعِرًا، سَرِيعَ الْجَوابِ، ثِقَةً في حَديثِهِ.

رَوَى عن عُمَرَ، وعَلِيٍّ، وابنِ عَبَّاسٍ، وأبي ذَرٍّ، وغيرِهِمْ. وَرَوَى عنه ابْنُهُ، ويَحْيَى بْنُ يَعْمَرَ، وصَحِبَ عَلِيَّ بنَ أبي طالِبٍ، وَشَهِدَ معه صِفِّينَ. وقَدِمَ على مُعاوِيَةَ فأَكْرَمَهُ، وأعْظَمَ جائِزَتَهُ. وَوَلِيَ قَضاءَ الْبَصْرَةِ. وهو أَوَّلُ مَنْ نَقَطَ الْمُصْحَفَ وَقَدْ أَسَنَّ.

وماتَ سنَةَ تِسْعٍ وسِتِّينَ لِلْهِجْرَةِ بِطاعونِ الْجارِفِ(1).

وتَخَرَّجَ بأبي الأَسْوَدِ مُعَاذُ بنُ مُسْلِمٍ الْهَرَّاءُ، أبو مُسْلِمٍ، وقيلَ: أبو عَلِيٍّ، مولى مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ، وعَمُّ مُحَمَّدِ بْنِ سَارَةَ الرُّؤاسِيِّ، وهو أَوَّلُ مَنْ وَضَعَ التَّصريفَ، وَأَدَّبَ عَبْدَ الْمَلِكِ بنَ مَرْوانَ، وَوُلِدَ في أَيَّامِهِ.

قالَ السُّيُوطِيُّ: وقد وَقَعَ في "**شَرْحُ الْقَواعِدِ**"، لِشَيْخِنا الْكَافِيَجِي: أَوَّلُ من وَضَعَ التَّصريفَ مُعاذُ بْنُ جَبَلٍ، وهو خَطَأٌ بلا شَكٍّ. وقد سَأَلْتُهُ عنه، فلم يُجِبْني بشيءٍ. وكان مُعاذُ شِيعِيًّا.

---

(1) بغية الوعاة: 2/ 22.

ماتَ سنةَ سَبْعٍ وثَمانينَ ومِئَةٍ. وقيلَ: سَنَةَ تِسْعينَ، بِبَغْدادَ. وكانَ شَدَّ[1] أَسْنانَهُ بالذَّهَبِ من طولِ عُمُرِهِ، وَماتَ أَوْلادُهُ وأَوْلادُ أَوْلادِهِ وهو باقٍ. وَرَوَى عن جَعْفَرٍ الصَّادِقِ. وله كُتُبٌ في النَّحْوِ. عاشَ مِئَةً وَخَمْسِينَ سَنَةً[2].

وَقالَ ابْنُ النَّجَّارِ في "**تاريخُ بَغْدادَ**": كانَ مِنْ أَعْيانِ النُّحاةِ، أَخَذَ عنه أبو الْحَسَنِ الْكِسَائِيُّ وَغَيْرُهِ. وَرَوَى الْحَديثَ عن جَعْفَرٍ الصَّادِقِ، وعَطاءِ بنِ السَّائِبِ. رَوَى عنه: عبدُ الرَّحْمَنِ الْمُحَارِبِيُّ، والْحَسَنُ بنُ الْحُسَيْنِ الْكوفِيُّ. وَكانَ يَبِيعُ الثِّيَابَ الْهَرَوِيَّةَ، فَلِذَلِكَ قيلَ له: الْهَرَّاءُ[3].

ثُمَّ إنَّ أبا الْأَسْوَدِ خَلَّفَ خَمْسَةَ نَفَرٍ قَعَدُوا أَدَّبوا النَّاسَ:

- **أَوَّلُهم**: عَنْبَسَةُ بنُ مَعْدَانَ الْفِيلُ، ولم يَكُنْ فِيمَنْ أَخَذَ عنه النَّحْوَ أَبْرَعَ منه. ورَوَى الْأَشْعارَ سِيَّمَا جَريرٍ والْفَرَزْدَقِ. وَكانَ لِزِيَادِ بْنِ أَبِيهِ فِيلَةٌ يُنْفِقُ عليها كُلَّ يَوْمٍ عَشَرَةَ دَراهِمَ. فَقالَ مَعْدانُ: ادْفَعوها إِلَيَّ وَأَكْفيكُمُ الْمُؤْنَةَ، وَأُعْطيكُمْ عَشَرَةَ دَراهِمَ كُلَّ يَوْمٍ. فَدَفَعوهَا إِلَيْهِ. فَأَثْرَى، وَبَنَى قَصْرًا. فَلِذَا قِيلَ: مَعْدانُ الْفِيلُ[4].

وَقِيلَ: قَتَلَ مَعْدانُ فِيلًا لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عامِرِ بْنِ كُرَيْزٍ، فَسُمِّيَ مَعْدانَ الْفِيلَ.

---

(1) يَشُدُّ، في بغية الوعاة.

(2) النقل من المصدر نفسه: 2/ 291.

(3) المصدر نفسه: 2/ 292.

(4) المصدر نفسه: 2/ 233.

ـ **وَثانِيهِمْ**: مَيْمونُ الْأَقْرَنُ: أَخَذَ النَّحْوَ عن عَنْبَسَةَ، وَقيلَ عن أَبِي الْأَسْوَدِ، وأنَّ عَنْبَسَةَ أَخَذَ عنه(1).

ـ **وَثالِثُهُمْ**: يَحْيَى بْنُ يَعْمَرَ الْعَدْوَانِيُّ التَّابِعِيُّ. قالَ الْحاكِمُ: فَقِيهٌ، أَدِيبٌ، نَحْوِيٌّ مُبَرِّزٌ. سَمِعَ ابْنَ عُمَرَ وَجابِرًا وَأَبَا هُرَيْرَةَ. وَأَخَذَ النَّحْوَ عن أبي الْأَسْوَدِ. وَلَمَّا بَنَى الْحَجَّاجُ واسِطًا، سَأَلَ النَّاسَ ما عَيْبُها؟ قالوا: ما نَعْرِفُ عَيْبًا، وسَنَدُلُّكَ على من يَعْرِفُ عَيْبَهَا، يَحْيَى بنُ يَعْمَرَ. فَبَعَثَ إليه فَسَأَلَهُ فقالَ: بَنَيْتَها من غير مَالِكَ، ويَسْكُنُهَا غَيْرُ وَلَدِكَ. فَغَضِبَ الْحَجَّاجُ وقال: ما حَمَلَكَ على ذلك؟ قال: ما أَخَذَ الله تَعَالى على الْعُلَماءِ في عِلْمِهِمْ أن لا يَكْتُموا النَّاسَ حَديثًا. فَنَفاهُ إلى خُراسانَ، فَوَلَّاهُ قُتَيْبَةُ بنُ مُسْلِمٍ قَضاءَها، فَقَضَى في أَكْثَرِ بِلادِها، نَيْسابورَ، ومَرْوَ، وهَرَاةَ، وآثارُهُ ظاهِرَةٌ(2).

وقيلَ: كان يَحْيَى أديبًا فقيهًا، خَدَمَ الْعَبادِلَةَ، واسْتَقْضاهُ الْخُلَفاءُ الْأُمَوِيُّونَ.

ـ **وَرابِعُهُمْ وَخامِسُهُمْ**: ابْنَا أَبِي الْأَسْوَدِ عَطاءٌ وأبو حَرْبٍ، ثُمَّ خَلَّفَ هَؤُلاءِ رِجالًا.

ـ **أَحَدُهُمْ**: عَبْدُ الله بْنُ أَبِي إِسْحاقَ زَيْدٍ الْحَضْرَمِيُّ: أَحَدُ الْأَئِمَّةِ في الْقِراءاتِ وَالْعَرَبِيَّةِ. أَخَذَ الْقِراءاتِ عن يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ، وَنَصْرِ بْنِ عاصِمٍ. وَرَوَى عَنْ أَبِيهِ زَيْدٍ عن جَدِّهِ الْحَارِثِ عن عَلِيٍّ. وتَناظَرَ هو وأبو عَمْرِو بنُ الْعَلَاءِ.

---

(1) بغية الوعاة: 2/ 309.

(2) المصدر نفسه: 2/ 345.

قال السِّيرافِيُّ: وكانَ أشَدَّ تَجْويدًا لِلْقِياسِ، وأبو عَمْرٍو أوْسَعَ عِلْمًا بِكَلامِ الْعَرَبِ ولغاتِهَا.

قال: وسُئِلَ عن يونُسَ، فقال: هو والنَّحْوُ سواءٌ. أي هو الْغايَةُ فيه.

قال: وكانَ يَطْعَنُ على الْعَرَبِ، ويَعيبُ الْفَرَزْدَقَ، ويَنْسُبُهُ إلى اللَّحْنِ، فَهَجاهُ الْفَرَزْدَقُ بِقَوْلِهِ: [الطويل]

وَلَوْ كانَ عَبْدُ اللهِ مَوْلًى هَجَوْتُهُ ... ولَكِنَّ عَبْدَ اللهِ مَوْلَى مَوَالِيَا[1]

فقالَ له: لَحَنْتَ. يَنْبَغِي أنْ تقولَ: مَوْلَى مَوالٍ. وكان مَوْلَى آلِ الْحَضْرَمِيِّ[2]، وهُمْ حُلَفاءُ لبني عَبْدِ شَمْسٍ.

ماتَ سَنَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ ومِئَةٍ. عن ثَمانٍ وثَمانينَ سَنَةً[3].

وَثانيهم: عِيسَى بنُ عُمَرَ الثَّقَفِيُّ أبو عَمْرٍو، مَوْلَى خالِدِ بن الْوَليدِ، نَزَلَ في ثَقيفٍ، فَنُسِبَ إليهم. إمامٌ في النَّحْوِ والصَّرْفِ والْقِراءَةِ، مَشْهورٌ، أَخَذَ عن أبي عَمْرِو بنِ الْعَلاءِ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ أبي إِسْحاقَ. وروى عن الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، والْعَجَّاجِ بنِ رُؤْبَةَ، وجَماعَةٍ. وأَخَذَ عنه الْأَصْمَعِيُّ وغَيْرُهُ.

وَصَنَّفَ في النَّحْوِ: الْإِكْمالَ، والْجامِعَ.

قالَ السِّيرافِيُّ: ولم يَقَعا إِلَيْنَا، ولا رَأَيْنا أَحَدًا ذَكَرَ أَنَّهُ رَآهُما. وَيُقالُ: إنَّ له نَيِّفًا وَسَبْعينَ مُصَنَّفًا ذَهَبَتْ كُلُّها. وَكانَ يَتَقَعَّرُ في كَلامِهِ.

---

(1) ديوان الفرزدق: 263.

(2) مولى الحضرمي، في مراد ملا.

(3) بغية الوعاة: 2/ 42.

حَكَى عنه الْجَوْهَرِيُّ في الصَّحاحِ وَغَيْرُهُ: أَنَّهُ سَقَطَ عن حِمارٍ فَاجْتَمَعَ عليه النَّاسُ فَقالَ: ما لي أَراكُمْ تَكَأْكَأْتُمْ عَلَيَّ تَكَأْكُؤَكُمْ على ذي جِنَّةٍ، افْرَنْقِعُوا عَنِّي.

واتَّهَمَهُ عَمْرُو بنُ هُبَيْرَةَ بِوَديعَةٍ فَضَرَبَهُ نَحْوَ أَلْفِ سَوْطٍ. فَجَعَلَ يقولُ: والله إنْ كانَتْ إلا أُثَيَّابًا في أُسَيْفَاطٍ قَبَضَهَا عَشَّارُوكَ.

ماتَ سَنَةَ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ أو خَمْسينَ وَمِئَةٍ[1].

ـ وَثالِثُهُمْ: أبو عَمْرِو بْنُ الْعَلَاءِ بنِ عَمَّارِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْمَازِنِيُّ النَّحْوِيُّ الْمُقْرِئُ، أَحَدُ الْقُرَّاءِ السَّبْعَةِ الْمَشْهورينَ. اخْتُلِفَ في اسْمِهِ على أَحَدٍ وعِشْرينَ قَوْلًا، والْأَصَحُّ أَنَّ اسْمَهُ رَيَّانُ[2]. وسَبَبُ الِاخْتِلافِ أَنَّهُ كانَ لِجَلالَتِهِ لا يُسْأَلُ عنه. كانَ إِمامَ أَهْلِ الْبَصْرَةِ في الْقِراءَةِ والنَّحْوِ واللُّغَةِ.

أَخَذَ عَنْ جَماعَةٍ مِنَ التَّابِعينَ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ على سَعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ومُجاهِدٍ. ورَوَى عن أَنَسِ بنِ مالِكٍ، وأبي صالِحِ السَّمَّانِ، وعَطاءٍ، وطائِفَةٍ.

قالَ أبو عُبَيْدَةَ: أبو عَمْرٍو أَعْلَمُ النَّاسِ بالْقِراءاتِ والْعَرَبِيَّةِ وأيامِ الْعَرَبِ والشِّعْرِ. وكانتْ دَفاتِرُهُ مِلْءَ بَيْتِهِ إلى السَّقْفِ، ثمَّ تَنَسَّكَ فَأَحْرَقَها.

وكان مِنْ أَشْرافِ الْعَرَبِ وَوُجوهِها. مَدَحَهُ الْفَرَزْدَقُ. وَوَثَّقَهُ يَحْيَى بن مَعينٍ وغيرُهُ.

---

(1) بغية الوعاة: 2/ 238.

(2) في المصدر نفسه: 2/ 231: زبان، وهو كذلك في غيرها من المصادر.

وقال الذَّهَبِيُّ: قَليلُ الرِّوايَةِ لِلْحَديثِ. وهو صَدوقٌ، حُجَّةٌ في الْقِراءَةِ.

وكان نَقْشُ خاتَمِهِ: [الطويل]

وإنَّ امْـرَأً دُنْيـاهُ أَكْبَـرُ هَـمِّـهِ لَمُسْـتَمْسِـكٌ منها بِحَبْلِ غُرورِ[1]

قَرَأَ عليه الْيَزيدِيُّ، وعبدُ اللهِ بن الْمُبارَكِ، وخَلْقٌ. وأَخَذَ عنه الأدَبَ وغيرَه أبو عُبَيْدَةَ، والْأَصْمَعِيُّ، وخَلْقٌ.

وَقالَ سُفْيانُ بنُ عُيَيْنَةَ: رَأيتُ النَّبِيَّ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ في النَّوْمِ، فقلتُ: يا رَسولَ الله، قد اخْتَلَفَتْ عَلَيَّ الْقِراءاتُ فَبِقِراءَةِ مَنْ تَأْمُرُنِي؟ فقال: بِقِراءَةِ أبي عَمْرِو بنِ الْعَلاءِ.

ماتَ سنَةَ أربعٍ أو تِسْعٍ وخَمْسينَ ومِئَةٍ[2].

ثُمَّ خَلَفَهُمْ: الْخَليلُ بنُ أحْمَدَ، وقد سَبَقَ تَرْجَمَتُهُ. ويُقالُ له: فَيْلَسوفُ الْوَقْتِ. فاقَ مَنْ قَبْلَهُ وما أدْرَكَهُ مَنْ بَعْدَهُ.

ثم أخَذَ عنه[3] سِيبَوَيْهِ، وجَمَعَ العلومَ الّتي اسْتَفادَها منه في "كِتابِهِ"، فجاءَ كِتابُهُ أحْسَنَ من كُلِّ كِتابٍ صُنِّفَ في النَّحْوِ إلى الآن.

وَلِلَّه دَرُّ الْقائِلِ: [الوافر]

ألَا صَـلَّى الْمَليكُ صَـلَاةَ صِـدْقٍ على عَمْرِو بنِ عُثْمَـانَ بْنِ قَنْبَرْ[4]

---

(1) البيت في طبقات النحويين واللغويين: 38، ومعجم الأدباء: 3/ 1318، ووفيات الأعيان: 3/ 118.

(2) بغية الوعاة: 2/ 231.

(3) منه، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

(4) البيتان للزمخشري وهما في البلغة: 224، وبغية الوعاة: 2/ 230.

فَإِنَّ كِتَابَهُ لَمْ يُغْنِ عَنْهُ ذَوُو قَلَمٍ ولا أَبْنَاءُ مِنْبَرْ

وسِيبَوَيْهِ، وهو عَمْرُو بن عُثْمانَ بنِ قَنْبَرٍ، إمامُ الْبَصْرِيِّينَ أبو بِشْرٍ، وقيلَ: أبو الْحَسَنِ مولى بني الْحارِثِ بنِ كَعْبٍ، ثُمَّ تَوَلَّى الرَّبيعَ بنَ زَيادٍ الْحارِثِيَّ.

وَسِيبَوَيْهِ لَقَبٌ، ومَعْناهُ: رائِحَةُ التُّفَّاحِ. وَقيلَ: كانَتْ أُمُّهُ تُرَقِّصُهِ بِذَلِكَ في صِغَرِهِ. وَقيلَ: كانَ يُشَمُّ منه رائِحَةُ الطِّيبِ بِذَلِكَ سُمِّيَ. وَقِيلَ: كانَ يَعْتادُ شَمَّ التُّفَّاحِ. وَقيلَ: سُمِّيَ بِذَلِكَ لِنَظافَتِهِ، لِأَنَّ التُّفاحَ مِنْ لَطيفِ الْفَوَاكِهِ.

كانَ أَصْلُهُ مِنَ الْبَيْضاءِ، مِنْ أَرْضِ فارِسَ، وَنَشَأَ بِالْبَصْرَةِ.

وَأَخَذَ عن الْخَليلِ، وَيونُسَ، وَأَبِي الْخَطَّابِ الْأَخْفَشِ، وعيسى بنِ عُمَرَ. وسَبَبُ طَلَبِهِ النَّحْوَ أنه كان يَسْتَمْلِي على حَمَّادِ بنِ سَلَمَةَ الْحَديثَ، فقالَ يَوْمًا: قالَ رَسولُ الله صلَّى الله عليه وسَلَّمَ: «ما أَحَدٌ مِنْ أَصْحابِي إلَّا وَقَدْ أَخَذْتُ عليه ليسَ أبا الدَّرْداءِ»[1].

فقال سِيبَوَيْهِ: ليس أبو الدَّرْداءِ. فقال حَمَّادُ: لَحَنْتَ يا سِيبَوَيْهِ، فقال: لا جَرَمَ، لَأَطْلُبَنَّ عِلْمًا لا تُلَحِّنُنِي فيه أبَدًا، ثم لَزِمَ الْخَليلَ. انْتَهى ما ذَكَرَهُ السِّيرافِيُّ.

قال أبو عُبَيْدَةَ: قيل ليونُسَ بعد مَوْتِ سِيبَوَيْهِ: إن سِيبَوَيْهِ صَنَّفَ كِتابًا في أَلْفِ وَرَقَةٍ من عِلْمِ الْخَليلِ فاسْتَبْعَدَ هذا. فلما نَظَرَ في كِتابِهِ قال: يَجِبُ أن يكونَ صَدَقَ فيما حَكاهُ عن الْخَليلِ، كما صَدَقَ فيما حَكاهُ عَنِّي.

---

(1) أخبار النحويين البصريين للسيرافي: 35، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: 2/ 67، وأدب الإملاء والاستملاء: 105، والنقل من بغية الوعاة: 1/ 548.

ويُحْكى أَنَّهُ تَخَرَّقَ كِتابُهُ في كُمِّ الْمَازِنِيِّ بِضْعَ عَشْرَةَ مَرَّةً.

وَكانَ الْمُبَرِّدُ يقولُ لِمَنْ أَرادَ أَنْ يَقْرَأَهُ عليه: هَلْ رَكِبْتَ الْبَحْرَ؟ تَعْظيمًا واسْتِصْعابًا.

قال بَعْضُهُمْ: كُنْتُ عِنْدَ الْخَليلِ فَأَقْبَلَ سِيبَوَيْهِ فَقالَ: مَرْحَبًا بِزائِرٍ لا يُمَلُّ. قالَ: وما سَمِعْتُ الْخَليلَ يَقولُهَا لغَيْرِهِ، وَكانَ شابًّا نَظيفًا جَميلًا، وَكانَ في لِسانِهِ حُبْسَةٌ، وقَلَمُهُ أَبْلَغُ مِنْ لِسانِهِ.

قالَ الْجَرْمِيُّ: في كِتابِهِ أَلْفٌ وَخَمْسون بَيْتًا، سَأَلْتُ عنها، فَعُرِفَ أَلْفٌ ولم يُعْرَفْ خَمْسونَ.

حُكِيَ أَنَّهُ وَرَدَ بَغْدَادَ على يَحْيَى الْبَرْمَكِيِّ، فَتَناظَرَ هو والْكِسائِيّ في قولِهِمْ: كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ الْعَقْرَبَ أَشَدُّ لَسْعَةً من الزُّنْبورِ. فإذا هُوَ هِيَ، أوْ هُوَ إِيَّاهَا. فاخْتارَ سِيبَوَيْهِ الرَّفْعَ ولم يُجَوِّزِ النَّصْبَ. وقال الْكِسائِيُّ: أَخْطَأْتَ، الْعَرَبُ تَرْفَعُ ذلك وتَنْصِبُهُ، وجَعَلَ يورِدُ أَمْثِلَتَهُ من ذلك، خَرَجْتُ فإذا زَيْدٌ قائِمٌ أو قائِمًا، وسِيبَوَيْهِ يَمْنَعُ النَّصْبَ. فقال يحيى: قدِ اخْتَلَفْتُما وأنتما رَئِيسَا بَلَدَيْكُما فَمَنْ يَحْكُمُ بينكما؟ فقال الْكِسائِيُّ: هذه الْعَرَبُ ببابِكَ، قد وَفَدوا عليكَ، وهُمْ فُصَحاءُ النَّاسِ. فقال يَحْيَى: أَنْصَفْتَ. فَسُئِلوا فَاتَّبَعوا الْكِسائِيَّ، فَاسْتَكانَ سِيبَوَيْهِ. وَقالَ سِيبَوَيْهِ: أَيُّها الْوَزيرُ مُرْهُمْ أَنْ يَنْطِقوا بذلك، فإنَّ أَلْسِنَتَهُمْ لا تُطاوِعُ خِلافَ الصَّوابِ. وَكانُوا إنَّما قالوا: الصَّوابُ ما قالَهُ هذا الشَّيْخُ.

يُقالُ: إنَّ هَؤُلاءِ الْأَعْرابَ قد أُرْشُوا على تَرْجيحِ جانِبِ الْكِسائِيِّ. فقال الْكِسائِيُّ لِيَحْيَى: أَصلَحَ اللهُ الْوَزِيرَ، إنَّهُ قد وَفَدَ عليكَ من بَلَدِهِ مُؤَمِّلًا، فإنْ رَأَيْتَ أن لا تَرُدَّهُ خائِبًا، فَأَمَرَ له بِعَشَرَةِ آلافِ دِرْهَمٍ. فَخَرَجَ إلى فارِسَ، ولم تَطُلْ مُدَّتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ. وَماتَ بِالْبَيْضاءِ، وَقِيلَ: بِشيرازَ سَنَةَ ثَمانينَ ومِئَةٍ.

قالَ الْخَطيبُ: وَعُمُرُهُ اثْنَتانِ وثَلاثونَ سَنَةً. وَقِيلَ: نَيَّفَ على الْأَرْبعينَ. وقيلَ: ماتَ بِالْبَصْرَةِ سنَةَ إحْدى وَسِتِّينَ. وقيلَ: سنَةَ ثَمانٍ وَثَمانينَ.

وقالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: ماتَ بِسَاوَةَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وتِسْعينَ[1].

قيلَ: إذا رأيتَ سِيبَوَيْهِ يَقولُ: سَأَلْتُ يونُسَ، فهو ابنُ حَبيبٍ. وإذا رأَيْتَهُ يقولُ: حَدَّثَنِي الثِّقَةُ، فهو أبو زَيْدٍ أَوْسٌ الأنْصارِيُّ.

وأَمَّا عَلِيُّ بْنُ حَمْزَةَ بن عبدِ اللهِ بنِ عُثْمانَ الإمامُ أبو الْحَسَنِ الْكِسائِيُّ، من وَلَدِ بَهْمَنَ بْنِ فَيْروزَ، مَوْلَى بني أَسَدٍ، إمَامُ الْكوفِيِّينَ في النَّحْوِ واللُّغَةِ، وَأَحَدُ الْقُرَّاءِ السَّبْعَةِ الْمَشْهورينَ. وما ظَنُّكَ بِرَجُلٍ غُلامُهُ الْفَرَّاءُ!

وسُمِّيَ الْكِسائِيَّ لِأَنَّهُ أَحْرَمَ في كِساءٍ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ.

وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْكوفَةِ، واسْتَوْطَنَ بَغْدادَ. وَقَرَأَ على حَمْزَةَ، ثُمَّ اخْتارَ لِنَفْسِهِ قِراءَةً، وسَمِعَ من سُلَيْمانَ بْنِ أرْقَمَ، وأبي بَكْرِ بْنِ عَيَّاشٍ.

قال الْخَطِيبُ: وتَعَلَّمَ النَّحْوَ على كِبَرٍ، فَلَزِمَ مُعاذًا الْهَرَّاءَ حَتَّى أَنْفَدَ ما عندَهُ. وَخَدَمَ أبا عَمْرِو بنَ الْعَلَاءِ نَحْوًا من سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً، ثم خَرَجَ إلى

---

(1) بغية الوعاة: 2/ 229-230

الْبَصْرَةِ، فَلَقِيَ الْخَليلَ، وجَلَسَ في حَلْقَتِهِ، فقالَ له رَجُلٌ من الأعْرابِ: تَرَكْتَ أَسَدَ الْكوفَةِ وتَميمًا وعندهما الْفَصاحَةُ، وجِئْتَ إلى البَصْرَةِ. فقال لِلْخَليلِ: من أيْنَ أخَذْتَ عِلْمَكَ هذا؟ فقال: مِنْ بَوادِي الْحِجازِ ونَجْدٍ وتِهامَةَ، فَخَرَجَ وَرَجَعَ وَقَدْ أَنْفَدَ خَمْسَ عَشْرَةَ قِنِّينَةً حِبْرًا في الْكِتابَةِ عن الْعَرَبِ، سِوى ما حَفِظَ. فقَدِمَ الْبَصْرَةَ فوَجَدَ الْخَليلَ قد ماتَ، وفي موضِعِهِ يونُسُ. فَمَرَّتْ بينَهُما مَسائِلُ أَقَرَّ له فيها بِالْفَضْلِ يونُسُ وَصَدَّرَهُ[1] في مَوْضِعِهِ.

وَقالَ ابْنُ الْأَعْرابِيِّ: كانَ الْكِسائِيُّ أَعْلَمَ النَّاسِ، ضابِطًا عالِمًا بالْعَرَبِيَّةِ، قارِئًا صَدوقًا، إلَّا أَنَّهُ كانَ يُديمُ شُرْبَ النَّبيذِ، وَيَأْتِي الْغِلْمانَ، وَأَدَّبَ وَلَدَ الرَّشيدِ. وَجَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ أبي يوسُفَ الْقاضِي مَجالِسُ حَكَيْناها في **طَبَقاتِ النُّحاةِ**[2].

وَقالَ ابْنُ دُرُسْتَوَيْهِ: كانَ الْكِسائِيُّ يَسْمَعُ الشَّاذَّ الَّذِي لا يَجوزُ إلَّا في الضَّرورَةِ، فَيَجْعَلُهُ أَصْلًا، فَيَقيسُ عليه، وَاخْتَلَطَ بِأَعْرابِ الْأُبُلَّةِ[3]، فَأَفْسَدَ بِذَلِكَ النَّحْوَ.

صَنَّفَ: **"مَعانِي الْقُرْآنِ"**، **مُخْتَصَرًا في النَّحْوِ**، **"الْقِراءاتُ"**، **"النَّوادِرُ الكبيرُ"**، **"الْأَوْسَطُ"**، **"الْأَصْغَرُ"**، **"الْعَدُّ والْهِجاءُ"**، **"الْمَصادِرُ"**، **"الْحُروفُ"**، **"أَشْعارُ الْمُعاياةِ**[4]**"**. وغَيْرَ ذلِكَ.

---

(1) وقَدَّمَهُ وصدَّرهُ، في قونية.

(2) الطبقات الكبرى، في بغية الوعاة: 2/ 162.

(3) الأبلّة: بلدة على شاطئ دجلة البصرة. معجم البلدان: 1/ 76.

(4) أشعار المعاياة وطرائقها، في معجم الأدباء: 4/ 1752، وعايى صاحبه معاياة إذا ألقى عليه كلاماً أو عملاً لا يهتدي لوجهه. وتقول: إياك ومسائل المعاياه، فإنها صعبة المعاناه. أساس البلاغة: 1/ 691.

وَماتَ هو ومُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بِالرَّيِّ في يَوْمٍ واحِدٍ. وكانا خَرَجا مع الرَّشيدِ فقال: دَفَنْتُ النَّحْوَ والْفِقْهَ[1] في يومٍ واحِدٍ. وذلك سنَةَ ثِنْتَيْنِ أو ثَلاثٍ أو تِسْعٍ وثَمانينَ ومِئَةٍ، أو اثْنَتَيْنِ وتِسْعينَ ومِئَةٍ[2].

ثمَّ صارَ النَّاسُ فَريقَيْنِ: كوفِيًّا، وشَيْخُهُمْ الْكِسائِيُّ وتِلْميذُهُ الْمُبَرِّدُ. وبَصْرِيًّا، وشَيْخُهُمْ سِيبَوَيْهِ والْأَخْفَشُ تِلْميذُهُ.

أمَّا الْمُبَرِّدُ، فهو مُحَمَّدُ بنُ يَزيدَ بنِ عَبْدِ الْأَكْبَرِ الأزْدِيُّ الْبَصْرِيُّ، أبو الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدُ، إمامُ الْعَرَبِيَّةِ ببغدادَ في زَمانِهِ. أَخَذَ عن الْكِسائِيِّ، والأَزْدِيِّ، وأبي حاتِمٍ السِّجِسْتانِيِّ.

وَرَوَى عنه إِسْماعيلُ الصَّفَّارُ[3] وَنِفْطَوَيْهِ والصُّولِيُّ، وكان فَصيحًا بَليغًا مُفَوَّهًا، ثِقَةً أَخْبارِيًّا عَلَّامَةً، صاحِبَ نَوادِرَ وظَرافَةٍ، وكان جَميلًا لا سِيَّمَا في صِباهُ.

وَكانَ النَّاسُ بِالْبَصْرَةِ يَقولونَ: ما رَأَى الْمُبَرِّدُ مِثْلَ نَفْسِهِ.

ولمَّا صَنَّفَ الْمَازِنِيُّ "كِتابُ الْأَلِفِ واللَّامِ"، سَأَلَ الْمُبَرِّدَ عن دَقيقِهِ وعَويصِهِ، فَأَجابَهُ بِأَحْسَنِ جَوابٍ. فقال له: قُمْ فأنتَ الْمُبَرِّدُ بكسرِ الرَّاءِ، الْمُثَبِّتُ لِلْحَقِّ، فَغَيَّرَهُ الْكوفِيونَ، وفَتَحُوا الرَّاءَ[4].

---

(1) الفقه والنحو، في قونية.

(2) بغية الوعاة: 2/ 162-164.

(3) أَبُو عَلِيٍّ إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الصَّفَّارُ، عالم بالنحو وغريب اللغة، (ت.341هـ)، ترجمته في: تاريخ بغداد: 7/ 301، نزهة الألباء في طبقات الأدباء: 211، معجم الأدباء: 2/ 732، إنباه الرواة: 1/ 246.

(4) بغية الوعاة: 1/ 269.

وله من التَّصانيفِ: "مَعانِي الْقُرْآنِ"، "الْكامِلُ"، "الْمُقْتَضَبُ"، "الرَّوْضَةُ"، "الْمَقْصورُ والْمَمْدودُ"، "الِاشْتِقاقُ"، "الْقَوافِي"، "إِعْرابُ الْقُرْآنِ"، "نَسَبُ عَدْنانَ وقَحْطانَ"، "الرَّدُّ على سِيبَوَيْهِ"، "شَرْحُ شَواهِدِ الْكِتابِ"، "ضَرورَةُ الشِّعْرِ"، "الْعَروضُ"، "ما اتَّفَقَ لَفْظُهُ وَاخْتَلَفَ مَعناهُ"، "طَبَقاتُ النُّحاةِ الْبَصْريينَ"، وغَيْرُ ذلِكَ.

قالَ السِّيرافِيُّ: وَكانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ثَعْلَبٍ مِنَ الْمُنافَرَةِ ما صارَ مَثَلًا حَتَّى قالَ الشَّاعِرُ: [الطويل]

فَأَبْدانُنا في بَلْدَةٍ والْتِقاؤُنا عَسيرٌ كَأَنَّا ثَعْلَبٌ وَمُبَرِّدُ[1]

وأَمَّا الْأَخْفَشُ تِلْمِيذُ سِيبَوَيْهِ، فهو سَعِيدُ بنُ مَسْعَدَةَ، أبو الْحَسَنِ الْأَخْفَشُ الْأَوْسَطُ، وهو أَحَدُ الْأَخافِشِ الثَّلاثَةِ الْمَشْهورينَ، إِلَّا أَنَّ الْحَقَّ أَنَّ الأخافِشَ أَرْبَعَةٌ وسَنَذْكُرُهُمْ.

كان مَوْلى بني مُجاشِعِ بنِ دارِمٍ[2]، مِنْ أَهْلِ بَلْخَ. وَكانَ أَضْلَعَ[3] لا يَنْطَبِقُ شَفَتاهُ على لِسانِهِ. سَكَنَ الْبَصْرَةَ، وَقَرَأَ النَّحْوَ على سِيبَوَيْهِ، وَكانَ أَسَنَّ مِنْهُ. ولم يَأْخُذْ عن الْخَليلِ.

وكانَ مُعْتَزِلِيًّا، حَدَّثَ عن الْكَلْبِيِّ، والنَّخَعِيِّ، وهِشامِ بنِ عُرْوَةَ. **ورَوَى عنه** أبو حاتِمٍ السِّجِسْتَانِيُّ. ودَخَلَ بَغْدادَ، وأقامَ بها مُدَّةً. **ورَوَى وصَنَّفَ** بها.

---

(1) البيت مستل من مقطعة أوردها صاحب بغية الوعاة في ترجمة المبرد: 1/ 269.

(2) مُجاشِعُ بنُ دارِمِ بْنِ مَالِكِ بْنِ حَنْظَلَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ مَناةَ بْنِ تَميم. أنساب الأشراف: 1/ 538.

(3) يُقَالُ: رَجُلٌ ضَليع الثَّنَايَا غَلِيظُهَا. اللسان: ضلع.

قالَ: ولمَّا ناظَرَ سِيبَوَيْهِ الْكِسائِيَّ ورَجَعَ، وجَّهَ إليَّ فعَرَّفَنِي خَبَرَهُ، ومَضَى إلى الأَهْوازِ وَوَدَّعَني. فَوَرَدْتُ بَغْدادَ فرأيْتُ مَسْجِدَ الْكِسائِيِّ، فَصَلَّيْتُ خَلْفَهُ الْغَداةَ. فلمَّا انْفَتَلَ[1] من صَلاتِهِ، وقَعَدَ، وبينَ يَدَيْهِ الْفَرَّاءُ والْأَحْمَرُ وابْنُ سَعْدانَ[2]، سَلَّمْتُ عليه، وسَأَلْتُهُ عن مِئَةِ مَسْأَلَةٍ، فَأَجابَ بِجَواباتٍ خَطَّأْتُهُ في جَميعِها، فَأَرادَ أَصْحابُهُ الْوُثوبَ عَلَيَّ، فَمَنَعَهُمْ عَنِّي، ولم يَقْطَعْنِي ما رَأَيْتُهُمْ عليه مِمَّا كُنْتُ فيه. وَلَمَّا فَرَغْتُ قالَ لي: بِاللهِ أَنْتَ أبو الْحَسَنِ سَعيدُ بنُ مَسْعَدَةَ؟ فَقُلْتُ: نعم. فَقام إِلَيَّ، وَعانَقَنِي، وَأَجْلَسَني إلى جَنْبِهِ، ثُمَّ قالَ لِي: أَوْلادٌ أُحِبُّ أَنْ يَتَأَدَّبوا بكَ، وَيَتَخَرَّجُوا عَلَيْكَ، وَتكونَ مَعِي[3] غَيْرَ مُفارِقٍ لي، فَأَجَبْتُهُ إلى ذَلِكَ. فَلَمَّا اتَّصَلَتِ الْأَيَّامُ بِالِاجْتِماعِ، سَأَلَنِي أَنْ أُؤَلِّفَ له كِتابًا في مَعانِي الْقُرْآنِ، فَأَلَّفْتُ كِتابًا في الْمَعاني فَجَعَلَهُ إِمامَهُ، وَعَمِلَ عليه كِتابًا في الْمَعانِي، وَعَمِلَ الْفَرَّاءُ كِتابًا في ذَلِكَ عَلَيْهِما. وَقَرَأَ عَلَيْهِ الْكِسائِيُّ كِتابَ سِيبَوَيْهِ سِرًّا، وَوَهَبَ له سَبْعِينَ دِينارًا[4].

وَكانَ الْأَخْفَشُ أَعْلَمَ النَّاسِ بِالْكَلامِ، وَأَحْذَقَهُمْ بِالْجَدَلِ.

صَنَّفَ: "الْأَوْسَطُ في النَّحْوِ"، "مَعانِي الْقُرْآنِ"، "الْمَقاييسُ في النَّحْوِ"، "الاشْتِقاقُ"، "الْمَسائِلُ الْكَبِيرُ"، "الصَّغير"، "الْعَروضُ"، "الْقَوافي"، "الْأَصْواتُ". وَغَيْرَ ذلكَ.

---

(1) يُقالُ: انفَتَلَ فُلَانٌ عَنْ صَلاتِهِ أي انصَرَفَ. اللسان: فتل.

(2) محمد بن سعدان الضرير، أبو جعفر الكوفي النحوي المقرئ (ت. 231هـ)، ترجمته في: طبقات النحويين للزبيدي: 139، إنباه الرواة: 3/ 140، بغية الوعاة: 1/ 111.

(3) لي، في قونية.

(4) طبقات النحويين واللغويين للزبيدي: 70، إنباه الرواة: 2/ 37، والنقل من بغية الوعاة: 1/ 590.

ماتَ سَنَةَ عَشْرٍ[1]، أو إِحْدَى وعِشْرينَ، أو خَمْسَ عَشْرَةَ ومِئَتَيْنِ.

فائِدَةٌ:

الأَخافِشُ ثَلاثَةٌ: الْأَكْبَرُ، عَبْدُ الْحَميدِ بْنُ عَبْدِ الْمَجِيدِ، والْأَوْسَطُ، سَعيدُ ابنُ مَسْعَدَةَ، وَالْأَصْغَرُ، عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمانَ.

وَقِيلَ: أَرْبَعَةٌ: وَالرَّابِعُ أَحْمَدُ بْنُ عِمْرانَ.

وَقِيلَ: أَحَدَ عَشَرَ؛ وَالْخامِسُ: أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَوْصِلِيُّ، والسَّادِسُ: خَلَفُ بنُ عُمَرَ، والسَّابِعُ: عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، وَالثَّامِنُ: عَبْدُ الْعَزيزِ بْنُ أَحْمَدَ، والتَّاسِعُ: عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ الْمَغْرِبِيُّ الشَّاعِرُ، والْعاشِرُ: عَلِيُّ بنُ إِسْماعيلَ الْفاطِمِيُّ، والحادي عَشَرَ: هارونُ بنُ موسى بنُ شُرَيكٍ.

ومن جُمْلَةِ تَلامِذَةِ سِيبَوَيْهِ:

قُطْرُبٌ، مُحَمَّدُ بنُ الْمُسْتَنيرِ أبو عَلِيٍّ النَّحْوِيُّ. لازَمَ سيبَوَيْهِ، وكان يُدْلِجُ إليهِ، فإذا خَرَجَ رَآهُ على بابِهِ، فقالَ له: ما أَنْتَ إلا قُطْرُبُ لَيْلٍ، فَلُقِّبَ به.

وَأَخَذَ عن عِيسَى بْنِ عُمَرَ. وَكانَ يَرَى رَأْيَ الْمُعْتَزِلَةِ النَّظَّامِيَّةِ، فَأَخذَ عَنِ النَّظَّامِ مَذْهَبَهُ. وَاتَّصَلَ بِأَبِي دُلَفٍ الْعِجْلِيِّ، وَأَدَّبَ وَلَدَهُ. ولم يَكُنْ ثِقَةً.

قالَ ابْنُ السِّكِّيتِ: كَتَبْتُ عنه قِمَطْرًا، ثم تَبَيَّنْتُ أنه يَكْذِبُ في اللُّغَةِ، فلم أَذْكُرْ عنه شيئًا.

---

(1) إحدى عشر، في قونية.

وله مِنَ التَّصانيفِ: **"مَعانِي الْقُرْآنِ"**، لم يُسْبَقْ إِلَيْهِ، وَعَلَيْهِ احْتَذَى الْفَرَّاءُ، **"الِاشْتِقاقُ"**، **"الْقَوافِي"**، **"الْمُثَلَّثُ"**، **"النَّوادِرُ"**، **"الصِّفاتُ"**، **"الْأَصْواتُ"**، **"الْعِلَلُ فِي النَّحْوِ"**، **"الْأَضْدادُ"**، **"الْهَمْزُ"**، **"خَلْقُ الإنسانِ"**، **"خَلْقُ الْفَرَسِ"**، **"إعْرابُ الْقُرْآنِ"**، **"الْمُصَنَّفُ الْغَرِيبُ"** في اللُّغَةِ، **"مَجازُ الْقُرْآنِ"**. وَغَيْرُ ذَلِكَ.

ماتَ سنَةَ سِتٍّ ومِئَتَيْنِ.

ثُمَّ جاءَ صالِحُ بنُ إسحاقَ أبو عَمْرٍو الْجَرْمِيُّ الْبَصْرِيُّ، مَوْلَى جَرْمِ بنِ رَيَّانَ، مِنْ قَبائِلِ الْيَمَنِ. وَكانَ يُلَقَّبُ بِالْكَلْبِ، وبِالنَّبَّاحِ لِصُياحِهِ حالَ مُناظَرَةِ أبي زَيْدٍ.

قالَ الْخَطيبُ: كانَ فَقيهًا عالِمًا بالنَّحْوِ واللُّغَةِ، دَيِّنًا، وَرِعًا، حَسَنَ الْمَذْهَبِ، صَحيحَ الِاعْتِقادِ. قَدِمَ بَغْدادَ، وأَخَذَ عن الأَخْفَشِ ويونُسَ، واللُّغَةَ عن الْأَصْمَعِيِّ وأبي عُبَيْدَةَ.

وَحَدَّثَ عنه الْمُبَرِّدُ، وكان جَليلًا في الْحَديثِ والأَخْبارِ، وَناظَرَ الْفَرَّاءَ، وانْتَهى إليه عِلْمُ النَّحْوِ في زَمانِهِ.

وَماتَ سنَةَ خَمْسٍ وعِشْرينَ ومِئَتَيْنِ.

وله مِنَ التَّصانِيفِ: **"التَّنْبيهُ"**، وغَيْرُهُ[1].

ومِنْ شُرَكاءِ صالِحٍ، بَكْرُ بنُ عُثْمانَ الْمازِنِيُّ. وَقَدْ عَرَفْتَ تَرْجَمَتَهُ.

ثُمَّ جاءَ بَعْدَهُما مُحَمَّدُ بنُ يَزيدَ الْمُلَقَّبُ بالْمُبَرِّدِ. وقد عَرَفْتَ تَرْجَمَتَهُ.

---

(1) بغية الوعاة: 2/ 8.

ثُمَّ جاءَ بَعْدَهُ أبو إِسْحاقَ الزَّجاجُ، وأبو بَكْرِ ابنُ السَّرَّاجِ، وابْنُ دُرُسْتَوَيْهِ، [وأبو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ مَزْيَدٍ][1] وأبو بَكْرٍ محمَّدُ مَبْرَمانُ، وابْنُ كَيْسانَ، وهو أَخَذَ عن الْمُبَرِّدِ، وثَعْلَبٍ، إِلَّا أَنَّ أَخْذَهُ عن الْمُبَرِّدِ أَغْلَبُ. وَابْنُ مُجاهِدٍ، صاحِبُ الْقِراءاتِ أَخَذَ عنهما، إلَّا أنَّ أَخْذَهُ عن ثَعْلَبٍ أَغْلَبُ.

وَاعْلَمْ أنَّ الزَّجَّاجَ هو إبْراهيمُ بنُ السَّرِيِّ بنِ سَهْلٍ أبو إسْحاقَ الزَّجَّاجُ.

قالَ الْخَطِيبُ: كانَ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالدِّينِ، حَسَنَ الِاعْتِقادِ، جَميلَ الْمَذْهَبِ. كانَ يَخْرُطُ الزُّجاجَ.

وَقالَ لِلْمُبَرِّدِ: كَسْبِي كُلَّ يَوْمٍ دِرْهَمٌ ونِصْفٌ، وأريدُ أَنْ تُبالِغَ في تَعْليمي، وأنا أُعْطِيكَ كلَّ يَوْمٍ درهما، إلى أَنْ يُفَرِّقَ الْمَوْتُ بيننا. ثم صارَ مُعَلِّمًا لأولادِ بعض بني مارِقَةَ[2]، فَنَفَّذَ إليه في كُلِّ شَهْرٍ ثلاثينَ درهمًا. ثم طَلَبَ من الْمُبَرِّدِ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ سُلَيْمانَ [بنِ وَهْبٍ الوزيرُ][3] مُؤَدِّبًا لابْنِهِ القاسِمِ. فقال له: لا أعْرِفُ لك إلَّا رَجُلًا زَجَّاجًا عند بني فُلانٍ. فَكَتَبَ إليهم عَبَيْدُ الله فاسْتَنْزَلَهُمْ عَنِّي، وأُحْضِرْتُ، وأَسْلَمَ الْقاسِمَ إليَّ، وَكُنْتُ أُعْطِي الْمُبَرِّدَ بعد ذَلِكَ أَلْفَ دِرْهمٍ كُلَّ يَوْمٍ إلى أَنْ ماتَ، ولا أُخَلِّيهِ مِنَ التَّفَقُّدِ[4].

---

(1) سقط من رئيس الكتاب ومراد ملا. ترجمته في: الفهرست: 238، وتاريخ بغداد: 3/ 288، وسير أعلام النبلاء: 15/ 41، والوافي بالوفيات: 5/ 18، وبغية الوعاة: 1/ 242.

(2) بنو مارمة: في معجم الأدباء: 1/ 52، وتاريخ الإسلام: 6/ 613، وبنو مارية، في مرآة الزمان: 6/ 498.

(3) زيادة من أنطاليا.

(4) النقد، في قونية. والخبر من بغية الوعاة: 1/ 411.

ثُمَّ إنَّ الْقاسِمَ نَذَرَ لي عِشْرِينَ أَلْفَ دينارٍ إنْ وَلِيَ الْوِزارَةَ مَكانَ أَبِيهِ، فما مَضَتْ إلا قليلٌ حتى وَلِيَ الوِزارَةَ، وصِرْتُ مُلازِمًا له ونَديمَهُ. وهِبْتُ من إِذْكَارِهِ بالْوَعْدِ، فلمَّا كان في اليومِ الثالِثِ من وِزارَتِهِ قال لي: يا أبا إسْحاقَ لم أَرَكَ أَذْكَرْتَنِي بالنَّذْرِ. فقلتُ: عَوّلْتُ على رِعايَةِ الْوَزِيرِ أَيَّدَهُ اللهُ تعالى، وأَنَّهُ لا يَحْتاجُ إلى إِذْكارٍ بِنَذْرٍ عليه في أمْرِ خادِمٍ واجِبِ الْحَقِّ. فقال: أخافُ مَقالَةَ أَهْلِ النِّفاقِ في دَفْعِهِ إليكَ دُفْعَةً، فَخُذْهُ[1] مُتَفَرِّقًا، وجَعَلَني على رِقاعِ النَّاسِ في الْحَوائِجِ الْكِبارِ، وآخُذُ منهم جُعْلًا. وربَّمَا قال لي: حَصَلَ مالُ النَّذْرِ؟ فكنتُ أقولُ: لا، مع أنه قد حَصَلَ في أَقَلِّ مُدَّةٍ، إلى أنْ سألني يومًا، فاسْتَحْيَيْتُ من الْكَذِبِ الْمُتَّصِلِ. فقلتُ: قد حَصَلَ بِبَرَكَةِ الْوَزِيرِ. فقال: فَرَّجْتَ واللهِ عنِّي، فقد كُنْتُ مَشْغولَ الْقَلْبِ، ثم وَقَّعَ لي بثلاثَةِ آلافِ دينارٍ صِلَةً. فَلَمَّا كانَ مِنَ الْغَدِ لم أَعْرِضْ عليه شَيْئًا، فقالَ: هاتِ ما مَعَكَ مِنَ الرِّقاعِ. قُلْتُ: النَّذْرُ وقَعَ الْوَفاءُ به، فقال: سبحانَ اللهِ، أَتُرانِي أَقْطَعُ كَرَمًا صارَ عادَةً لي ولك، وعَرَفَكَ النَّاسُ به، وصار لك به عندهم جاهٌ، وربَّمَا يَظُنُّونَ ذلك لِضُعْفِ جاهِكَ عِنْدِي. اعْرِضْ عَلَيّ، وخُذْ بلا حِسابٍ. فَقَبَّلْتُ يَدَهُ، ودُمْتُ على عَمَلي إلى أنْ ماتَ.

وله من التَّصانيفِ: **"مَعانِي الْقُرْآنِ"، "الِاشْتِقاقُ"، "خَلْقُ الإنْسانِ"، "فَعَلْتُ وَأَفْعَلْتُ"، "مُخْتَصَرُ النَّحْوِ"، "خَلْقُ الْفَرَسِ"، "شَرْحُ أَبْياتِ سِيبَوَيْهِ"، "الْقَوافِي"، "الْعَروضُ"، "النَّوادِرُ"، "تَفْسيرُ جامِعِ النُّطْقِ"**[2]، وَغَيْرُ ذَلِكَ.

---

(1) فخذ، في رئيس الكتاب وأنطاليا وعاطف أفندي.

(2) تفسير جامع المنطق، في بغية الوعاة: 1/ 411.

ماتَ في جمادى الآخِرَةِ سنَةَ إحْدى عَشْرَةَ وثَلاثِمِئَةٍ. وسُئِلَ عن سِنِّهِ عند الْوَفاةِ فَعَقَدَ سَبْعينَ. وآخِرُ ما سُمِعَ منه: اللَّهُمَّ احْشُرْني على مَذْهَبِ أَحْمَدَ ابنِ حَنْبَلٍ، رضي الله عنه.

واعْلَمْ أنَّ أبا بَكْرٍ ابنَ السَّرَّاجِ، وهو مُحَمَّدُ بن السَّرِيِّ الْبَغْدَادِيُّ النَّحْوِيُّ[1].

قال الْمَرْزُبانِيُّ: كانَ أَحْدَثَ أَصْحابِ الْمُبَرِّدِ، مَعَ ذَكاءٍ وفِطْنَةٍ. قَرَأَ عليه "كِتابُ سِيبَوَيْهِ"، ثُمَّ اشْتَغَلَ بِالْموسِيقَى، فَسُئِلَ عن مَسْأَلَةٍ بِحَضْرَةِ الزَّجَّاجِ، فَأَخْطَأَ في جَوابِها، فَوَبَّخَهُ الزَّجَّاجُ، وَقالَ: مِثْلُكَ يُخْطِئُ في مِثْلِ هذه الْمَسْأَلَةِ! واللهِ لو كنتَ في مَنْزِلي ضَرَبْتُكَ، وَلَكِنَّ الْمَجْلِسَ لا يَحْتَمِلُ ذَلِكَ. فَقالَ: قد ضَرَبْتَني يا أبا إسْحاقَ. وكان عِلْمُ الْمُوسِيقَى قد شَغَلَني عن هذا الشَّأْنِ. ثم رَجَعَ إلى "الكتاب"، ونَظَرَ في دَقائِقِهِ، وعَوَّلَ على مَسائِلِ الْأَخْفَشِ والْكوفِيِّينَ، وخالَفَ أصولَ الْبَصْرِيِّينَ في مَسائِلَ كَثيرَةٍ.

ويُقالُ: ما زالَ النَّحْوُ مَجْنونًا حَتَّى عَقَّلَهُ ابْنُ السَّرَّاجِ بِأُصولِهِ.

أَخَذَ عنه أبو القاسِمِ الزَّجَّاجِيُّ، والسِّيرافِيُّ، والْفارِسِيُّ، والرُّمَّانِيُّ. ولم تَطُلْ مُدَّتُهُ، ومات شابًّا في ذي الْحِجَّةِ سَنَةَ سِتَّةَ عَشَرَ وَثَلاثِمِئَةٍ.

وله مِنَ الْكُتُبِ: "**الْأُصولُ الْكَبِيرُ**"، "**جُمَلُ الْأُصولِ**"، "**الْموجَزُ**"، "**شَرْحُ سِيبَوَيْهِ**"، "**الِاشْتِقاقُ**"، لم يَتِمَّ، "**احْتِجاجُ الْقِراءَةِ**"[2]، "**الشِّعْرُ والشُّعَراءُ**"،

(1) بغية الوعاة: 1/ 411.

(2) احتجاج القراءات، في الفهرست: 1/ 182. وفي كشف الظنون: 1/ 15: احتجاج القراء في القراءة.

"الْجُمَلُ"، "الرِّياحُ والْهَواءُ والنَّارُ"، "الْخَطُّ والْهِجاءُ"، "الْمُواصَلاتُ والْمُذاكَراتُ"، في الْأَخْبارِ[1].

واعْلَمْ أنَّ ابْنَ دُرُسْتَوَيْهِ، هُوَ عَبْدُ اللهِ أبو مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ دُرُسْتَوَيْهِ، بضمِّ الدَّالِ والرَّاءِ الْمُهْمَلَتَيْنِ، ابْنُ الْمَرْزُبانِ النَّحْوِيُّ، أَحَدُ مَنِ اشْتَهَرَ، وعَلَا قَدْرُهُ، وكَثُرَ عِلْمُهُ، جَيِّدُ التَّصْنِيفِ. صَحِبَ الْمُبَرِّدَ، ولَقِيَ ابْنَ قُتَيْبَةَ. وأَخَذَ عنه الدَارَقُطْنِيُّ وغيرُهُ. وكانَ شَديدَ الِانْتِصارِ لِلْبَصْرِيِّينَ في النَّحْوِ واللُّغَةِ. وثَّقَهُ ابْنُ مَنْدَه وَغَيْرُهُ، وضَعَّفَهُ هِبَةُ اللهِ اللَّالَكائِيُّ.

وُلِدَ سنَةَ ثَمانٍ وخَمْسينَ ومئتينِ. **وماتَ** سَنَةَ سَبْعٍ وَأَرْبَعينَ وَثَلاثِمِئَةٍ.

وَصَنَّفَ: "الإرْشادُ في النَّحْوِ"، "شَرْحُ الْفَصيحِ"، "الرَّدُّ على الْمُفَضَّلِ في الرَّدِّ على الْخَليلِ"، "غَريبُ الْحَديثِ"، "الْمَقْصورُ والْمَمْدودُ"، "مَعاني الشِّعْرِ"، "أَخْبارُ النُّحاةِ". وَغَيْرَ ذَلِكَ[2].

واعْلَمْ أنَّ مُحَمَّدَ بْنَ مَزْيَدٍ، هو مُحَمَّدُ بنُ مَزْيَدِ بنِ مَحْمودِ بنِ مَنْصورِ بنِ راشِدٍ، أبو بَكْرٍ الْخُزاعِيُّ، الْمَعْروفُ بِابْنِ أبي الْأَزْهَرِ النَّحْوِيِّ، وسَمَّاهُ بَعْضُهُمْ: مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ مَزْيَدٍ.

قال الْخَطيبُ في "تاريخُ بَغْدادَ": حَدَّثَ عن الْمُبَرِّدِ، وكانَ مُسْتَمْلِيَهُ، والزُّبَيْرِ ابنِ بَكَّارٍ وجَماعَةٍ.

---

(1) بغية الوعاة: 1/ 109.

(2) المصدر نفسه: 2/ 36.

ورَوَى عنه أبو الْفَرَجِ الْأَصْفَهانِيُّ، والْمُعافَى بنُ زَكَرِيَّا، وأبو بَكْرِ ابنُ شَاذانَ، والدَّارَقُطْنِيُّ. وقال: كان ضَعيفًا يَرْوي الْمَناكِيرَ[1].

وقالَ غَيْرُهُ: كانَ كذَّابًا قَبيحَ الْكَذِبِ.

صَنَّفَ: "الْهَرْجُ والْمَرْجُ في أَخْبارِ الْمُسْتَعينِ والْمُعْتَزِّ"، و"أَخْبارُ عُقَلاءِ الْمَجانينِ".

وماتَ سنَةَ خَمْسٍ وعِشْرينَ وثَلاثِمِئَةٍ عن نَيِّفٍ وتِسْعينَ[2].

واعْلَمْ أنَّ مُحَمَّدَ بْنَ مَبْرَمَانَ، هو مُحَمَّدُ بنُ عَلِيِّ بنِ إسْماعيلَ، أبو بَكْرٍ الْعَسْكَرِيُّ، الْمَعْروفُ بِمَبْرَمَانَ.

وُلِدَ بطَرِيقِ رامَهُرْمُزَ، وأخَذَ عن الْمُبَرِّدِ، وأَكْثَرَ بَعْدَهُ عن الزَّجَّاجِ، وكان قَيِّمًا بالنَّحْوِ، أخَذَ عنه الْفَارِسِيُّ والسِّيرافِيُّ.

وكان ضَنينًا، لا يُقْرِئُ "كتاب سِيبَوَيْهِ" إلا بمئة دينارٍ، فوَعَدَهُ أبو هاشِمٍ الْجُبَّائِيُّ أَضْعافَ ما أَرَادَهُ، على شَرْطِ أَنْ يُمْهَلَ في أَداءِ الْمالِ، فَلَمَّا تَمَّ "الْكِتابُ"، أَرْسَلَ إليه زِنْفيلجَةً[3] حَسَنَةً مُغَشَّاةً بالْأَدَمِ، مُحَلَّاةً، فَمَلَأَها حِجارَةً وقَفَلَها وخَتَمَها، وحَمَلَها في مِنْديلٍ، فقالَ: فَلْيَكُنْ عِنْدَكَ إلى أنْ يَجيئَني مالٌ لي بِبَغْدادَ، فلمَّا رأى مَنْظَرَهَا وَثِقْلَهَا، لم يَشُكَّ في أنَّهَا دراهِم بل

(1) بغية الوعاة: 1/ 242.

(2) المصدر نفسه: 1/ 242.

(3) زِنفِيلجة الرَّاعِي وزَنفَلِيجته الَّتِي يحمِل فِيهَا أداته. المخصص: 2/ 172.

ذَهَبٌ، ثم كَتَبَ إليه رُقْعَةً فيها: قد تَعَذَّرَ عليّ حُضورُ الْمالِ، وأرْهَقَنِي السَّفَرُ، وقد أبَحْتُكَ التَّصَرُّفَ فيما عِنْدَكَ، من الْمالِ. وخَرَجَ أبو هاشِمٍ لِوَقْتِهِ إلى الْبَصْرَةِ، فَفَتَحَها، فإذا فيها حِجَارَةٌ، فَقالَ: سَخِرَ مِنَّا أبو هاشِمٍ لا حَيَّاهُ اللهُ.

وكان مَبْرَمَانُ ـ مع عِلْمِهِ ـ ساقِطَ الْمُروءَةِ، سَخيفًا، إذا أرادَ أن يَمْضِيَ إلى مَكانٍ بَعيدٍ، طَرَحَ نَفْسَهُ في طَبَقِ حَمَّالٍ، وشَدَّهُ بِحَبْلٍ، ورُبَّمَا كان مَعَهُ نَبَقٌ أو غَيْرُهُ، فَيَأْكُلُ، ويَرْمِي النَّاسَ بِالنَّوَى يَتَعَمَّدُ رُؤوسَهُمْ، وَرُبَّما بالَ على رَأْسِ الْجَمَلِ، فإذا قيلَ له يَعْتَذِرُ.

وله: **"شَرْحُ كِتابِ سِيبَوَيْهِ"**، لم يَتِمَّ، **"شَرْحُ شواهِدِهِ"**، **"شَرْحُ الأَخْفَشِ"**، **"النَّحْوُ الْمَجْموعُ على الْعِلَلِ"**، **"الْعُيونُ"**، **"التَّلْقِينُ"**، **"الْمَجاري"**، **"صِفَةُ شُكْرِ الْمُنْعِمِ"**.

قالَ الزُّبَيْدِيُّ: **تُوُفِّيَ** مَبْرَمانُ سنَةَ خَمْسٍ وأرْبَعينَ وثَلاثِمِئَةٍ[1].

وَاعْلَمْ أنَّ ابنَ كَيْسَانَ، هو مُحَمَّدُ بنُ أحْمَدَ بنِ إبْراهيمَ بنِ كَيْسانَ، أبو الْحَسَنِ النَّحْوِيُّ.

قالَ الزُّبَيْدِيُّ: وليسَ هذا بالْقَديمِ الذي له: **"الْعَروضُ والْمُعَمَّى"**[2].

قالَ الْخَطيبُ: كانَ يَحْفَظُ الْمَذْهَبَيْنِ الْبَصْرِيَّ والْكُوفِيَّ في النَّحْوِ، لأنه أخَذَ عن الْمُبَرِّدِ وثَعْلَبٍ.

---

(1) النقل من بغية الوعاة: 1/ 175-177.

(2)"له في العروض والمعمى كتاب"، في معجم الأدباء: 5/ 2306. وإنباه الرواة: 3/ 59.

وَكانَ أبو بكر ابنُ مُجاهِدٍ يقولُ: إنَّهُ أنْحَى منهما.

قالَ ياقوتٌ: لَكِنَّهُ إلى مَذْهَبِ الْبَصْرِيِّينَ أَمْيَلُ.

وكان الْأنْبَارِيُّ يَقولُ: خَلَطَ الْمَذْهَبَيْنِ، فلمْ يَضْبِطْ منهما شَيْئًا.

قال أبو حَيَّانَ التَّوْحِيدِيُّ: ما رأيْتُ مَجْلِسًا أكْثَرَ فائِدَةً[1]، وأجْمَعَ لِأَصْنافِ الْعُلومِ والتُّحَفِ والنُّتَفِ من مَجْلِسِهِ. وكان يَجْتَمِعُ على بابِهِ نَحْوٌ من مِئَةِ رَأْسٍ من الدَّوابِّ لِلرُّؤساءِ والْأشْرافِ الَّذينَ يَقْصِدونَهُ، وكان إقْبالُهُ على صاحِبِ الْمُرَقَّعَةِ والْخِلَقِ، كإقْبالِهِ على صاحِبِ الدِّيباجِ والدَّابَّةِ والْغُلامِ.

ومِنْ تَصانيفِهِ في النَّحْوِ: **"الْمُهَذَّبُ"، "غَلَطُ أَدَبِ الْكاتِبِ"، "اللَّاماتُ"**[2]، **"الْبُرْهانُ"، "غَريبُ الْحَديثِ"، "مَعاني الْقُرْآنِ"، "عِلَلُ النَّحْوِ"، "مَصابيحُ الْكِتابِ"، "ما اخْتَلَفَ فيه الْبَصْرِيُّونَ والْكوفِيُّونَ"**. وغَيْرُ ذَلِكَ.

ماتَ لِثَمانٍ خَلَوْنَ من ذي الْقَعْدَةِ سَنَةَ تِسْعٍ وتِسْعينَ ومِئَتَيْنِ. لكنَّ هذا سَهْوٌ، والأَصَحُّ أنَّهُ ماتَ سنَةَ عِشْرينَ وثلاثِمِئَةٍ[3].

ثم جاءَ بَعْدَ هؤلاء، أبو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بنُ أَحْمَدَ بنِ عبدِ الْغَفَّارِ الْفارِسِيُّ. ويُقالُ له: الْفَسَوِيُّ أيضًا، لأنَّهُ وُلِدَ بمدينة فَسَا، من أَعْمالِ فارِسَ، وأبو سَعيدٍ الْحَسَنُ بنُ عبدِ اللهِ السِّيرافِيُّ، وعَلِيُّ بنُ عيسى الرُّمَّانِيُّ، ثُمَّ تِلْميذٌ لأبي عَلِيٍّ، وهو أبو

(1) من فائدة، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

(2) السلامات، في قونية.

(3) بغية الوعاة: 1/ 18.

الْفَتْحِ عُثْمانُ ابنُ جِنِّي، وابْنُ أُخْتِهِ مُحَمَّدُ بنُ الْحُسَيْنِ، ثُمَّ تِلْميذٌ له عبدُ الْقاهِرِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمنِ الْجُرْجانِيُّ، وَفاقَ أَكْثَرَ من تَقَدَّمَهُ في التَّحْقِيقِ والتَّدْقيقِ. ولو لم يَكُنْ له سِوَى كِتابِ "**أَسْرارُ الْبَلاغَةِ**"، و"**دَلائِلُ الإعْجازِ**" لَكَفاهُ شَرفًا وفَخْرًا.

وَاعْلَمْ أَنَّ الْفارِسِيَّ، هو الْحَسَنُ بنُ أَحْمَدَ بنِ عبدِ الْغَفَّارِ، الإمامُ أبو عَلِيٍّ الْفَارِسِيُّ الْفَسَوِيُّ الْمَشْهورُ، أوْحَدُ زَمانِهِ في عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ. أَخَذَ عن الزَّجَّاجِ، وَابْنِ السَّرَّاجِ، وطَوَّفَ بلادَ الشَّامِ. وَكانَ يَقولُ كَثِيرٌ مِنْ تَلامِذَتِهِ: إِنَّهُ أَعْلَمُ مِنَ الْمُبَرِّدِ. وَبَرَعَ مِنْ طَلَبَتِهِ جَماعَةٌ، كَابْنِ جِنِّي، وَعَلِيِّ بْنِ عِيسَى الرَّبَعِيِّ. وَكانَ مُتَّهَمًا بالِاعْتِزالِ.

وتَقَدَّمَ عِنْدَ عَضُدِ الدَّوْلَةِ، وله صَنَّفَ: "**الْإِيضاحُ**" في النَّحْوِ، و"**التَّكْمِلَةُ**" في التَّصْريفِ.

وَيُقالُ: إِنَّهُ لَمَّا عَمِلَ "**الْإِيضاحُ**" اسْتَقْصَرَهُ، وقالَ له: ما زِدْتَ على ما أَعْرِفُ شيئًا، وإِنَّما يَصْلُحُ هذا لِلصِّبْيانِ، فَمَضى وَصَنَّفَ "**التَّكْمِلَةُ**"، وحَمَلَها إليه، فَلَمَّا وَقَفَ عليها قالَ: غَضِبَ الشَّيْخُ، وجاءَ بما لا نَفْهَمُهُ نحنُ ولا هُوَ[1].

ومِنْ تَصانيفِهِ: "**الْحُجَّةُ**"[2]، "**التَّذْكِرَةُ**"[3]، "**أبياتُ الإعْرابِ**"، "**تَعْليقَةٌ على كِتابِ سِيبَوَيْهِ**"، "**الْمَسائِلُ الْحَلَبِيَّةُ**"، "**الْبَغْدادِيَّةُ**"، "**الْقَصْرِيَّةُ**"، "**الْبَصْرِيَّةُ**"،

---

(1) بغية الوعاة: 1/ 496.

(2) كتاب في القراءات طبعت بعض أجزائه.

(3) كتاب هذَّبه ابن جني.

"الشِّيرازِيَّةُ"، "الْعَسكريَّةُ"، "الْكَرْمانِيَّةُ"، "الْمَقْصورُ والْمَمْدودُ"، و"الإغْفَالُ"، وهو مَسائِلُ أَصْلَحَها على الزَّجَّاجِ. وَغَيْرُ ذَلِكَ.

تُوُفِّيَ بِبَغْدادَ سنةَ سَبْعٍ وَسَبْعينَ وَثَلاثِمِئَةٍ(1).

وَأَمَّا زَيْدُ بنُ عَلِيِّ بنِ عَبْدِ اللهِ الْفارِسِيُّ، أبو الْقاسِمِ الْفَسَوِيُّ النَّحْوِيُّ اللُّغَوِيُّ.

قال ابْنُ عَساكِرَ في "تاريخُ دِمَشْقَ"، وابنُ الْعَديمِ في **"تاريخُ حَلَبَ"**: كان فاضِلًا يَعْلَمُ(2) اللُّغَةَ والنَّحْوَ، عارِفًا بعلومٍ كَثيرَةٍ. **شَرَحَ الإيضاحَ، وَحَماسَةَ أبي تمامٍ.** وَأَقْرَأَ النَّحْوَ بحَلَبَ، وَرَوى بها **"الإيضاحُ"**، عن أبي الْحَسَنِ ابْنِ أخْتِ الْفارِسِيِّ، عن خالِهِ؛ والْحَديثَ عن أبي نُعَيْمٍ الْهَرَوِيِّ وغيره. قَرَأَ عليه الشَّريفُ أبو الْبَرَكاتِ عُمَرُ بنُ إبراهيمَ الْكوفِيُّ، وسَمِعَ منه أبو الْحَسَنِ عَلِيُّ ابنُ طاهِرٍ النَّحْوِيُّ وغيرُهُ.

وسَكَنَ دِمَشْقَ، وأَقْرَأَ بها. **وماتَ بِطَرابُلُسَ في ذي الْحِجَّةِ أو ذي الْقَعْدَةِ** سَنَةَ سَبْعٍ وسِتِّينَ وأربعمِئَةٍ(3).

وأَمَّا حَسَنُ بنُ عبد الله السِّيرافِيُّ، هو حَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْمَرْزُبانِ الْقاضِي، أبو سَعيدٍ السِّيرافِيُّ النَّحْوِيُّ.

قالَ ياقوتٌ: كانَ أَبوهُ مَجوسِيًّا اسْمُهُ بَهْزادُ، فَسَمَّاهُ أبو سَعيدٍ عبدَ اللهِ، وكان أبو سَعيدٍ يُدَرِّسُ ببغدادَ عُلومَ الْقُرآنِ والنَّحْوَ واللُّغَةَ والْفِقْهَ

(1) بغية الوعاة: 1/ 497.

(2) بعلم، في قونية ومراد ملا. في بغية الوعاة 1/ 573: فاضلا عالما بعلم.

(3) بغية الوعاة: 1/ 573.

والْفَرائِضَ. قَرَأَ القرآنَ على أبي بكر ابنِ مُجاهِدٍ، واللُّغَةَ على ابْنِ دُرَيْدٍ، وقَرَءا هُمَا عليهِ النَّحْوَ، وأَخَذَ هو النَّحْوَ عن ابنِ السَّرَّاجِ، ومَبْرَمانَ، وأَخَذا عنه القُرْآنَ والْحِسابَ. وَوَلِيَ الْقَضاءَ بِبَغْدادَ.

وقال أبو حَيَّانَ التَّوْحِيدِيُّ في "تَقْرِيظُ الْجاحِظِ": أبو سَعِيدٍ السِّيرافِيُّ شَيْخُ الشُّيوخِ، وإمامُ الْأَئِمَّةِ، له مَعْرِفَةٌ بالنَّحْوِ والفِقْهِ واللُّغَةِ والشِّعْرِ والْعَروضِ والْقَوافي والْقُرآنِ والفَرائِضِ والْحَديثِ والْكَلامِ والْحِسابِ والْهَنْدَسَةِ. أَفْتى في جامِعِ الرُّصافَةِ خَمْسينَ سَنَةً على مَذْهَبِ أبي حَنيفَةَ، فما وُجِدَ له خَطَأٌ، ولا عُثِرَ له على زَلَّةٍ. وقَضَى بِبَغْدادَ، هذا مع الثِّقَةِ والدِّيانَةِ والأمانَةِ والرَّزانَةِ، صامَ أَرْبَعينَ سَنَةً، أو أَكْثَرَ الدَّهْرِ كُلِّهِ[1].

وقالَ في "مُحاضَراتُ الْعُلَماءِ": شَيْخُ الدَّهْرِ، وقَريعُ[2] الْعَصْرِ، الْعَديمُ الْمِثْلِ، الْمَفْقودُ الشَّكْلِ، ما رَأَيْتُ أَحْفَظَ منه لِجَوامِعِ الزُّهْدِ نَظْمًا ونَثْرًا! وَكانَ دَيِّنًا وَرِعًا تَقِيًّا نَقِيًّا، زاهِدًا عابِدًا خاشِعًا. له دَأْبٌ بِالنَّهارِ مِنَ الْقِراءَةِ وَالْخُشوعِ، وَوِرْدٌ باللَّيْلِ مِنَ الْقِيامِ وَالْخُضوعِ، ما قُرِئَ عليه شَيْءٌ قَطُّ فيه ذِكْرُ الْمَوْتِ والْبَعْثِ ونَحْوِهِ إلَّا بَكَى وجَزِعَ، ونَغَّصَ عليه يَوْمَهُ ولَيْلَتَهُ، وامْتَنَعَ من الْأَكْلِ والشُّرْبِ، وما رَأَيْتُ أَحَدًا من الْمَشايِخِ كان أَذْكَرَ لحالِ الشَّبابِ وأَكْثَرَ تَأَسُّفًا على ذَهابِهِ منه[3]، وكانَ إذا رَأى أَحَدًا من أَقْرانِهِ عاجَلَهُ الشَّيْبُ تَسَلَّى به.

---

(1) النقل من بغية الوعاة: 1/ 507-508.

(2) القريع: السيد، يقال: فلان قريع دهره. الصحاح: 3/ 1263.

(3) منه، في رئيس الكتاب.

وَقالَ في "**الإِمْتاعُ**": هو أَجْمَعُ لِشَمْلِ الْعِلْمِ، وَأَنْظَمُ لِمَذاهِبِ الْعَرَبِ، وَأَدْخَلُ في كُلِّ بابٍ، وَأَخْرَجُ مِنْ كُلِّ طَرِيقٍ، وأَلْزَمُ لِلْجادَّةِ الْوُسْطى في الْخُلُقِ وَالدِّينِ، وَأَرْوى لِلحَديثِ، وَأَقْضى في الْأَحْكامِ[1]، وَأَفْقَهُ في الْفَتْوى، كَتَبَ إليه مُلوكٌ عِدَّةٌ كُتُبًا مُصَدَّرَةً بِتَعْظيمِهِ، تَسْأَلُهُ فيها عن مَسائِلَ في الْفِقْهِ والْعَرَبِيَّةِ واللُّغَةِ، وكان حَسَنَ الْخَطِّ. طُلِبَ أن يُقَرَّرَ في ديوانِ الإِفْتاءِ، فَامْتَنَعَ، وقال: هذا أَمْرٌ يَحْتاجُ إلى دُرْبَةٍ وأنا عارٍ منها، وسِياسَةٍ وأنا غَريبٌ فيها.

وَقالَ الْخَطِيبُ: كانَ زاهِدًا وَرِعًا، لم يَأْخُذْ على الْحُكْمِ أَجْرًا، إنَّما كان يَأْكُلُ من كَسْبِ يَمينِهِ، فَكانَ لا يَخْرُجُ إلى مَجْلِسِهِ حَتَّى يَنْسَخَ عَشْرَ وَرَقاتٍ بِعَشَرَةِ دَراهِمَ تَكونُ قَدْرَ مُؤْنَتِهِ. وكان أبو عَلِيٍّ وأَصْحابُهُ يَحْسُدونَهُ كثيرًا[2].

مَوْلِدُهُ بِسِيرافَ[3] قَبْلَ السَّبعينَ ومِئَتَيْنِ، وفيها ابْتَدَأَ طَلَبَ العلم. وخَرَجَ إلى عُمَانَ، وتَفَقَّهَ بها، وأقام بالْعَسْكَرِ[4] مُدَّةً، ثم بِبَغْدادَ، إلى أنْ ماتَ بها في خِلافَةِ الطَّائِعِ، يَوْمَ الإِثْنَيْنِ ثانِيَ رَجَبٍ سَنَةَ ثَمانٍ وسِتِّينَ وَثَلاثمِئَةٍ.

وله مِنَ التَّصانيفِ: "**شَرْحُ كِتابِ سِيبَوَيْهِ**"؛ لم يُسْبَقْ إلى مِثْلِهِ؛ وَحَسَدَهُ عليه أبو عَلِيٍّ الْفَارِسِيُّ وغَيْرُهُ من مُعاصِريهِ، و"**شَرْحُ الدُّرَيدِيَّةِ**"، "**أَلِفاتُ الْقَطْعِ والْوَصْلِ**"، "**الإِقْناعُ في النَّحْوِ**"، لم يَتِمَّ، فَأَتَمَّهُ وَلَدُهُ يوسُفُ. وكانَ

(1) للأحكام، في قونية.

(2) بغية الوعاة: 1/ 508.

(3) سيراف: بكسر أوّله، وآخره فاء، مدينة جليلة على ساحل بحر فارس. معجم البلدان: 3/ 294.

(4) العسكر: يقصد عسكر المهدي وهي المحلة المعروفة اليوم ببغداد بالرّصافة من محال الجانب الشرقي. معجم البلدان: 4/ 124.

يَقولُ: وَضَعَ والدي النَّحْوَ في الْمَزابِلِ بـ "الإقناع"، يَعْني أنه سَهَّلَهُ جِدًّا، فلا يَحْتاجُ إلى مُفَسِّرٍ. "شَواهِدُ سِيبَوَيْهِ"، "الْمَدْخَلُ إلى كِتابِ سِيبَوَيْهِ"، "الْوَقْفُ والِابْتِداءُ"، "صَنْعَةُ الشِّعْرِ وَالْبَلاغَةِ"، "أَخْبارُ النُّحاةِ الْبَصْرِيِّينَ"، وهو كُرَّاسَةٌ كَبيرَةٌ[1].

وَأَمَّا الرُّمَّانِيُّ، فهو عَلِيُّ بنُ عيسى بنِ عَلِيِّ بنِ عَبْدِ اللهِ، أبو الْحَسَنِ الرُّمَّانِيُّ. وَكانَ يُعْرَفُ أيْضًا بِالْإخْشِيدِيِّ، وَبِالْوَرَّاقِ، وهو بِالرُّمَّانِيِّ أَشْهَرُ.

كانَ إمامًا في الْعَرَبِيَّةِ، عَلَّامَةً في الْأَدَبِ، في طَبَقَةِ الْفَارِسِيِّ والسِّيرافِيِّ، مُعْتَزِلِيًّا.

وُلِدَ سَنَةَ سِتٍّ وسَبْعينَ ومِئَتَيْنِ. وَأَخَذَ عن الزَّجَّاجِ، وابْنِ السَّرَّاجِ، وابنِ دُرَيْدٍ.

قال أبو حَيَّانَ التَّوْحِيدِيُّ: لم يُرَ مِثْلُهُ قَطُّ عِلْمًا بالنَّحْوِ، وغَزارَةً بالْكَلام، وبَصَرًا[2] بالْمَقالاتِ، واسْتِخْراجًا لِلْعَويصِ[3]، وإيضاحًا لِلْمُشْكِلِ، مع تَأَلُّهٍ وَتَنَزُّهٍ، ودِينٍ وفَصَاحَةٍ، وعَفافٍ ونَظافَةٍ.

وكانَ يَمْزِجُ النَّحْوَ بالْمَنْطِقِ، حتى قال الْفارِسِيُّ: إنْ كان النَّحْوُ ما يَقولُهُ الرُّمَّانِيُّ، فَلَيْسَ مَعَنا منه شَيْءٌ، وإنْ كانَ النَّحْوُ ما نَقولُهُ نَحْنُ، فَلَيْسَ معه منه شَيْءٌ.

قال السُّيوطِيُّ: النَّحْوُ ما يَقولُهُ الْفارِسِيُّ، وهذه مُؤَلَّفاتُ الْخَليلِ وسِيبَوَيْهِ ومُعاصِرِيهِمَا، وَمَنْ بَعْدَهُمَا بِدَهْرٍ، لم يُعْهَدْ فيها شيءٌ من ذلك[4].

---

(1) بغية الوعاة: 1/ 508.

(2) وبصيرا، في قونية ومراد ملا.

(3) للغويص، في مراد ملا.

(4) بغية الوعاة: 2/ 180.

صَنَّفَ الرُّمَّانِيُّ: "التَّفْسيرُ"، "الْحُدودُ الأَكْبَرُ"، "الأَصْغَرُ"، "شَرْحُ أُصولِ ابْنِ السَّرَّاجِ"، "شَرْحُ موجَزِهِ"، "شَرْحُ سِيبَوَيْهِ"، "شَرْحُ مُخْتَصَرِ الْجَرْمِيِّ"، "شَرْحُ الأَلِفِ واللَّامِ لِلْمازِنِيِّ"، "شَرْحُ الْمُقْتَضَبِ"، "شَرْحُ الصِّفاتِ"، "مَعانِي الْحُروفِ". وغَيرَ ذلك.

ماتَ في حادِي عَشَرَ جُمادَى الْأُولَى، سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَمانِينَ وَثَلاثِمِئَةٍ[1].

وَأَمَّا أبو الْفَتْحِ عُثْمانُ ابْنُ جِنِّي فقد عَرَفْتَ حالَهُ.

وأَمَّا ابنُ أُخْتِ أبي عَلِيٍّ الفارِسِيِّ، فهو مُحَمَّدُ بنُ الْحُسَيْنِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ الْوارِثِ، أبو الْحُسَيْنِ الْفارِسِيُّ النَّحْوِيُّ[2].

قالَ ياقوتٌ: أَخَذَ عن خالِهِ أبي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ عِلْمَ الْعَرَبِيَّةِ، وطَوَّفَ الْآفاقَ، ورَجَعَ إلى الْوَطَنِ. وكانَ خالُهُ أَوْفَدَهُ على الصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ إلى الرَّيِّ، فَارْتَضاهُ، وَأَكْرَمَ مَثْواهُ؛ وَوَرَدَ خُراسانَ، وَنَزَلَ نَيْسابورَ دَفَعاتٍ، وَأَمْلى بها من الْأَدَبِ والنَّحْوِ ما سارَتْ به الرُّكْبانُ.

وَآلَ أَمْرُهُ إلى أَنِ اخْتَصَّ بِالْأَمِيرِ إِسْماعيلَ بْنِ سُبُكْتُكِينَ بِغَزْنَةَ، وَوَزَرَ له، ثُمَّ عادَ إلى نَيْسابورَ، ثُمَّ جاوَرَ بِمَكَّةَ، ثُمَّ عادَ إلى غَزْنَةَ، ورَجَعَ إلى نَيْسابورَ. ثُمَّ انْتَقَلَ إلى أَسْفَرَايِينَ، ثُمَّ اسْتَوْطَنَ جُرْجانَ إلى أَنْ ماتَ. وَقَرَأَ عليه أَهْلُها، مِنْهُمْ عَبْدُ الْقاهِرِ الْجُرْجانِيّ، وليس له أُسْتاذٌ سِواهُ.

---

(1) بغية الوعاة: 2/ 180.

(2) ترجمته في: نزهة الألباء: 235، معجم الأدباء: 6/ 2523، إنباه الرواة: 3/ 116، بغية الوعاة: 1/ 94.

وله تَصانيفُ منها: "كِتابٌ في الْهِجاءِ"، "كِتابٌ في ماهية الشِّعْرِ"[1].

مات سَنَةَ إحْدَى وعِشْرينَ وأَرْبَعِمِئَةٍ[2].

وَأَمّا عَبْدُ الْقاهِرِ الْجُرْجانِيُّ، فهو عَبْدُ الْقاهِرِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْجُرْجانِيُّ النَّحْوِيُّ، الْإِمامُ الْمَشْهورُ أبو بَكْرٍ. أَخَذَ النَّحْوَ عَنِ ابْنِ أُخْتِ أبي عَلِيٍّ الْفارِسِيِّ، ولم يَأْخُذْ عن غَيْرِهِ، لأنَّهُ لم يَخْرُجْ عن بَلَدِهِ. وَكانَ من كِبارِ أَئِمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْبَيَانِ، شافِعِيًّا أَشْعَرِيًّا.

صَنَّفَ: **"الْمُغْنِي في شَرْحِ الْإِيضاحِ"**، **"الْمُقْتَصِدُ"** في شَرْحِهِ، **"إعْجازُ الْقُرْآنِ الْكَبيرُ"**، **"الصَّغيرُ"**، **"الْجُمَلُ"**، **"الْعَوامِلُ الْمِئَةُ"**، **"الْعُمْدَةُ في التَّصْريفِ"**. وَمِنْ جُمْلَةِ مُصَنَّفاتِهِ: **"دَلائِلُ الإعْجازِ"**، و**"أَسْرارُ الْبَلاغَةِ"**، في عِلْمَيِ الْمَعانِي والْبَيانِ، وهما الْآيَةُ الْكُبْرى، والْيَدُ الْبَيْضاءُ في الْعِلْمَيْنِ الْمَذْكورَيْنِ، وإلَيْهِمَا يَنْتَهي عِلْمُ مَنْ تَأَخَّرَ في ذَيْنِكَ الْعِلْمَيْنِ. وَغَيْرُ ذلِكَ من التَّصانيفِ.

مات سنَةَ إحْدى أو أَرْبَعٍ وَسَبْعينَ وأَرْبَعِمِئَةٍ.

ومن شِعْرِهِ رحمه الله: [مخلع البسيط]

كَبِّرْ عَلَى الْعِلْمِ يا خَليلِي ... ومِلْ إلى الْجَهْلِ مَيْلَ هائِمْ[3]
وعِشْ حِمارًا تَعِشْ سَعيدًا ... فالسَّعْدُ في طالِعِ الْبَهائِمْ

---

(1) كتاب الشعر، في معجم الأدباء: 6/ 2523، وبغية الوعاة: 2/ 180.

(2) النقل من بغية الوعاة: 2/ 94.

(3) البيتان والخبر من بغية الوعاة: 2/ 106.

قُلْتُ: هؤلاءِ الْأَعْلامُ الَّذِينَ ذَكَرْتُهُمْ كُلُّهُمْ من تَلَامِذَةِ سِيبَوَيْهِ، إمامِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ.

وأَمَّا تَلامِذَةُ الْكِسَائِيِّ إِمامِ أَهْلِ الْكوفَةِ فَأَشْهَرُ هؤلاء الْفَرَّاءُ. وبَعْدَهُ أبو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بنُ يَحْيى ثَعْلَبٍ. وبَعْدَهُ الْقاسِمُ بنُ مُحَمَّدٍ الْأَنْبارِيُّ.

أَمَّا الْفَرَّاءُ، فهو يَحْيَى بْنُ زِيَادِ بنِ عبدِ اللهِ بْنِ مَرْوانَ الدَّيْلَمِيُّ، إمامُ الْعَرَبِيَّةِ، أبو زَكَرِيَّا الْمَعْروفُ بالْفَرَّاءِ. كان أَعْلَمَ الْكوفِيِّينَ بالنَّحْوِ بعد الْكِسائِيِّ. أَخَذَ عنه، وعليه اعْتَمَدَ، وَأَخَذَ عن يونُسَ، وَأَهْلُ الْكوفَةِ يَدَّعونَ أَنَّهُ اسْتَكْثَرَ عنه، وَأَهْلُ الْبَصْرَةِ يَدْفَعونَ ذلك.

وكانَ يُحِبُّ الْكَلامَ، ويَمِيلُ إلى الِاعْتِزالِ. وكان مُتَدَيِّنًا مُتَوَرِّعًا على تِيهٍ وعُجْبٍ وتَعَظُّمٍ. وكانَ زائِدَ الْعَصَبِيَّةِ على سِيبَوَيْهِ، وكِتابُهُ تَحْتَ رَأْسِهِ، وكانَ يَتَفَلْسَفُ في تَصانيفِهِ، ويَسْلُكُ أَلْفاظَ الْفَلاسِفَةِ.

وَكانَ أَكْثَرُ مُقامِهِ بِبَغْدادَ، فإذا كانَ آخِرُ السَّنَةِ أَتَى الْكوفَةَ فَأَقامَ بها أَرْبَعينَ يَوْمًا، يُفَرِّقُ في أَهْلِهِ ما جَمَعَهُ. وَكانَ شَديدَ الْمَعاشِ، لا يَأْكُلُ ما لَمْ[1] يَمَسَّهُ الْجوعُ، وجَمَعَ مالًا خَلَّفَهُ لابْنٍ له شاطِرٍ، صاحِبِ سَكاكينَ. وَأَبوهُ زِيادُ هو الْأَقْطَعُ، قُطِعَتْ يَدُهُ في الْحَرْبِ مع الْحُسَيْنِ بنِ عَلِيٍّ، وكانَ مَوْلًى لأبي ثَرْوانَ، وأبو ثَرْوانَ مَوْلَى بَنِي عَبْسٍ.

---

(1) لا، في رئيس الكتاب وعاطف أفندي، ولا، في أنطاليا. إلَّا أنْ، في قونية وأنطاليا. حتى يمسه، في بغية الوعاة 2/ 233 مصدر النقل.

صَنَّفَ الْفَرَّاءُ: **"مَعانِي الْقُرْآنُ"، "الْبَهاءُ فيما تَلْحَنُ فيه الْعامَّةُ"، "اللُّغاتُ"، "الْمَصادِرُ في الْقُرآنِ"، "الْجَمْعُ والتَّثْنِيَةُ في الْقُرْآنِ"، "آلَةُ الْكِتابِ"، "النَّوادِرُ"، "الْمَقْصورُ والْمَمْدودُ"، "فَعَلَ وَأَفْعَلَ"، "الْمُذَكَّرُ والْمُؤَنَّثُ"، "الْحُدودُ"**، يَشْتَمِلُ على سِتَّةٍ وَأَرْبَعينَ حَدًّا في الْإِعْرابِ. وله غَيْرُ ذَلِكَ.

ماتَ بطَريقِ مَكَّةَ سَنَةَ سَبْعٍ وَمِئَتَيْنِ، عن سَبْعٍ وسِتِّينَ سَنَةً[1].

وَأَمَّا أبو الْعَبَّاسِ ثَعْلَبُ، فهو أَحْمَدُ بنُ يَحْيَى بنِ يَزيدَ بنِ سَيَّارٍ الشَّيْبانِيُّ، مَوْلاهُمْ الْبَغْدادِيُّ، الإمامُ أبو الْعَبَّاسِ ثَعْلَبُ، إمامُ الْكوفِيِّينَ في النَّحْوِ واللُّغَةِ.

وُلِدَ سنَةَ مِئَتَيْنِ، وَابْتَدَأَ النَّظَرَ في الْعَرَبِيَّةِ والشِّعْرِ واللُّغَةِ سَنَةَ سِتَّ عَشْرَةَ، وحَفِظَ كُتُبَ الْفَرَّاءِ، فلم يَشِذَّ منها حَرْفٌ.

وَعُنِيَ بالنَّحْوِ أَكْثَرَ من غَيْرِهِ، فَلَمَّا أَتْقَنَهُ أَكَبَّ على الشِّعْرِ والْمَعانِي وَالْغَريبِ. وَلازَمَ ابْنَ الْأَعْرَابِيِّ بِضْعَ عَشْرَةَ سَنَةً، وسَمِعَ من مُحَمَّدِ بنِ سَلَّامٍ الْجُمَحِيِّ، وعَلِيِّ بنِ الْمُغيرَةِ الْأَثْرَمِ، وَسَلَمَةَ بنِ عاصِمٍ، وعُبَيْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ الْقَوارِيرِيِّ الْأَصْغَرِ، ونِفْطَوَيْهِ، وأبي عُمَرَ الزَّاهِدِ، وجَمْعٍ.

قالَ بَعْضُهُمْ: إنَّمَا فَضَلَ أبو الْعَبَّاسِ أَهْلَ عَصْرِهِ بالْحِفْظِ لِلْعُلومِ التي تَضيقُ عنها الصُّدورُ.

قالَ أبو الطَّيِّبِ اللُّغَوِيُّ: كانَ ثَعْلَبُ يَعْتَمِدُ على ابْنِ الْأَعْرابِيِّ في اللُّغَةِ، وعلى سَلَمَةَ بنِ عاصِمٍ في النَّحْوِ، ويَرْوِي عن ابنِ نَجْدَةَ كُتُبَ أبي زَيْدٍ، وعن الْأَثْرَمِ كُتُبَ

---

(1) بغية الوعاة: 2/ 333.

أبي عُبَيْدَةَ، وعن أبي نَصْرٍ[1] كُتُبَ الأصْمَعِيِّ، وعن عَمْرِو بنِ أبي عَمْرٍو كُتُبَ أبيهِ. وكانَ ثِقَةً، مُتَفَنِّنًا، يَسْتَغْنِي بِشُهْرَتِهِ عن نَعْتِهِ. وكان ضَيِّقَ النَّفَقَةِ، مُقَتِّرًا على نَفْسِهِ.

قال أبو بَكْرٍ ابْنُ مُجاهِدٍ: قال لي ثَعْلَبُ: يا أبا بَكْرٍ، اشْتَغَلَ أَصْحَابُ الْقُرْآنِ بِالْقُرْآنِ فَفازُوا، وَأَصْحابُ الْحَديثِ بِالْحَديثِ فَفَازُوا، وَأَصْحابُ الْفِقْهِ بالْفِقْهِ ففازوا، واشْتَغَلْتُ أنا بِزيْدٍ وَعَمْرو، فليتَ شِعْري ماذا يكونُ حالي؟ فانْصَرَفْتُ من عندِهِ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ صلَّى الله عليه وسَلَّمَ تلك اللَّيْلَةِ، فقالَ لي: أَقْرِئْ أبا الْعَبَّاسِ مِنِّي السَّلامَ، وقُلْ له: أَنْتَ صاحِبُ الْعِلْمِ الْمُسْتَطِيلِ.

وقالَ أبو عَمْرٍو الزَّاهِدُ: سُئِلَ ثَعْلَبُ عن شَيْءٍ فقالَ: لا أَدْرِي، فقيلَ له: أَتَقولُ لا أَدْرِي، وإليكَ تُضْرَبُ أكْبادُ الْإِبِلِ من كُلِّ بَلَدٍ، فقالَ: لو كانَ لِأُمِّكَ بِعَدَدِ لا أَدْرِي بَعْرٌ لَاسْتَغْنَتْ[2].

صَنَّفَ: "الْمَصونُ فِي النَّحو"، "اخْتِلافُ النَّحْوِيِّينَ"، "مَعانِي الْقُرْآنِ"، "مَعانِي الشِّعْرِ"، "الْقِراءاتُ"، "التَّصْغيرُ"، "الْوَقْفُ والابْتِداءُ"، "الْهِجاءُ"، "الْأمالِي"، "غَريبُ الْقُرآنِ"، "الْفَصيحُ". وقيلَ: هو لِلْحَسَنِ بْنِ داوُدَ الرَّقِّيِّ، وقيلَ: لِيَعْقوبَ ابنِ السِّكِّيتِ. وله أَشْياءُ أُخَرُ.

وثَقُلَ سَمْعُهُ بِأَخَرَةٍ، ثُمَّ صُمَّ، فانْصَرَفَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنَ الْجامِعِ بعد الْعَصْرِ، وإذا بِدَوَابَّ مِنْ وَرائِهِ، فلم يَسْمَعْ صَوْتَ حافِرِها، فَصَدَمَتْهُ، فَسَقَطَ على رَأسِهِ

---

(1) قص، في قونية. فص، في رئيس الكتاب. ولعله يقصد أحمد بن حاتم أبا نصر الباهلي ابن أخت الأصمعي (ت.231هـ).

(2) بغية الوعاة: 1/ 396-397.

في هُوَّةٍ من الطَّريقِ، فلم يَقْدِرْ على الْقِيامِ، فَحُمِلَ إلى مَنْزِلِهِ، وماتَ منه يَوْمَ السَّبْتِ لِعَشْرٍ خَلَوْنَ أو لِثَلاثَ عَشْرَةَ بَقينَ مِنْ جُمَادَى الأولى سَنَةَ إحْدَى وَتِسْعينَ ومِئَتَيْنِ. وخَلَّفَ كُتُبًا تُساوي جُمْلَةَ أَلْفَيْ دينارٍ وأَحَدًا وعِشْرينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ؛ ودَكاكينَ تُساوي ثَلاثَةَ آلافِ دينارٍ، فَرُدَّ مالُهُ على ابْنَتِهِ.

وذَكَرَهُ الدَّانِي في "طَبَقاتُ الْقُرَّاءِ"، فقالَ: رَوَى الْقِراءَةَ عن سَلَمَةَ بنِ عاصِمٍ، عن أبي الْحارِثِ، عن الْكِسائِيِّ، وعن الْفَرَّاءِ، وله كتابٌ حَسَنٌ فيها.

رَوَى الْقِراءَةَ عنه ابْنُ مُجاهِدٍ، وَابْنُ الْأَنْبارِيِّ، وَغَيْرُهُما[1].

وَأَمَّا ابْنُ الْأَنْبارِيِّ، فهو قاسِمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ بَشَّارٍ، أبو مُحَمَّدٍ الْأَنْبارِيُّ النَّحْوِيُّ. كانَ مُحَدِّثًا أَخْبارِيًّا، عارِفًا بِالْأَدَبِ والْغَريبِ، ثِقَةً، صاحِبَ عَرَبِيَّةٍ. أَخَذَ عن سَلَمَةَ بنِ عاصِمٍ، وأبي عِكْرِمَةَ الضَّبِّيِّ.

وَصَنَّفَ: "خَلْقُ الإنْسانِ"، "خَلْقُ الْفَرَسِ"، "الْأَمْثالُ"، "الْمَقْصورُ والْمَمْدودُ"، "الْمُذَكَّرُ والْمُؤَنَّثُ"، "غَريبُ الْحَديثِ"، "شَرْحُ السَّبْعِ الطِّوالِ".

ماتَ في غُرَّةِ ذي الْقَعْدَةِ سَنَةَ أَرْبَعٍ، أو صَفَرٍ سَنَةَ خَمْسٍ وثَلاثِمِئَةٍ[2].

قُلْتُ: هذه مَشاهيرُ عُلَماءِ الْأَدَبِ، ولم يُخَلِّفْ من بَعْدَهُمْ مِثْلَهُمْ إلَّا قَليلًا، وسَتَعْرِفُهُمْ إنْ شاءَ الله تعالى.

---

(1) بغية الوعاة: 1/ 397.

(2) المصدر نفسه: 2/ 261.

خاتِمَةٌ في ذِكْرِ الْكُتُبِ الْمَشْهورَةِ الْمُعْتَنَى بِشَأْنِها في عِلْمِ النَّحْوِ وبَيانِ أَحْوالِ مُصَنِّفيها:

ومن الْكُتُبِ الْمُخْتَصَرَةِ فيه:

مُقَدِّمَةُ ابْنِ الْحاجِبِ الْمُسَمَّاةُ بـ "الْكافِيَةُ"، وقد عَرَفْتَ تَرْجَمَةَ ابنِ الْحاجِبِ في عِلْمِ الصَّرْفِ عند ذِكْرِ كِتابِ **"الشَّافِيَةُ"**. والنَّاسُ قد اعْتَنَوْا بِكِتابِ **"الْكافِيَةُ"** أَشَدَّ الاِعْتِناءِ، بحيث لا يُمْكِنُ إحْصاءُ شُروحِها، وهي حَقيقَةٌ بذلك.

وَأَجَلُّ شُروحِها الَّذِي سارَ ذِكْرُهُ في الْأَمْصارِ وَالْأَقْطارِ، مَسِيرَ الصَّبا وَالْأَمْطارِ: **شَرْحُ الْعَلامَةِ نَجْمِ الأَئِمَّةِ رَضِيِّ الدِّينِ الْأَسْتَراباذِيِّ**، وهو شَرْحٌ عَظيمُ الشَّأْنِ، جامِعٌ لكلِّ بَيانٍ وبُرْهانٍ، تَضَمَّنَ من الْمَسائِلِ أَفْضَلَها وأَعْلاها، ولم يُغادِرْ من الْفَوائِدِ صَغيرَةً ولا كَبيرَةً إلَّا أَحْصاها.

قالَ السُّيوطِيُّ في **"طَبَقاتُ النُّحاةِ"**: الرَّضِيُّ الْإِمامُ الْمَشْهورُ، صاحِبُ **"شَرْحُ الْكافِيَةِ"**، لِابْنِ الْحاجِبِ. الَّذِي لم يُؤَلَّفْ عليها ولا في غالِبِ كُتُبِ النَّحْوِ مِثْلُهُ، جَمْعًا وتَحْقِيقًا، وحُسْنَ تَعْلِيلٍ. وقد أَكَبَّ النَّاسُ عليه وَتَداوَلوهُ، واعْتَمَدَهُ شُيوخُ هذا الْعَصْرِ فمن قَبْلَهُمْ في مُصَنَّفاتِهِمْ ودُروسِهِمْ. وله فيه أَبْحاثٌ كَثيرَةٌ مع النُّحاةِ، وَاخْتِياراتٌ جَمَّةٌ، ومَذاهِبُ يَنْفَرِدُ بها. ولَقَبُهُ نَجْمُ الْأَئِمَّةِ، ولم أَقِفْ على اسْمِهِ، ولا على شَيْءٍ من تَرْجَمَتِهِ، إلَّا أَنَّهُ فَرَغَ من تَأليفِ هذا الشَّرْحِ، سَنَةَ ثَلاثٍ وَثَمانينَ وَسِتِّمِئَةٍ. وَأَخْبَرَني صاحِبُنا الْمُؤَرِّخُ

شَمْسُ الدِّينِ ابْنُ عَزْمٍ بِمَكَّةَ أَنَّ وَفاتَهُ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَمانِينَ أو سِتٍّ -الشَّكُّ مِنِّي - وله: **شَرْحٌ**[1] **على الشَّافِيَةِ**. انْتَهَى ما ذَكَرَهُ السُّيوطِيُّ[2].

قُلْتُ: أمَّا ما سَمِعْتُهُ من شَأْنِ هذا الْكِتابِ، أنَّ السَّعْدَ التَّفْتازانِيَّ سَأَلَ بَعْضًا من الطَّلَبَةِ، أنَّ الشَّريفَ الْجُرْجانِيَّ بأيِّ شَيْءٍ يَشْتَغِلُ؟ قال: **بِشَرْحِ الْكافِيَةِ**، لِلشَّيْخِ رَضِيِّ الدِّينِ، قالَ: لَعَلَّهُ يُريدُ أنْ يُصَنِّفَ شَرْحًا **لِلْمِفْتاحِ**. ولِلشَّريفِ الْجُرْجانِيِّ **تَعْليقاتٌ وحَواشٍ على هذا الشَّرْحِ**، رَأَيْناها وَاسْتَفَدْنا منها.

ويُرْوى أنَّ نَجْمَ الْأَئِمَّةِ رَضِيَّ الدِّينِ، كان على مَذْهَبِ الرَّفْضِ.

ويُحْكَى عنه أنَّهُ كانَ يَقولُ: الْعَدْلُ في عُمَرَ ليس بِتَحْقيقٍ، مَوْضِعَ قَوْلِهِ: الْعَدْلُ في عُمَرَ تَقْديرِيٌّ. نَعوذُ باللهِ من الْغُلُوِّ في الْبِدْعَةِ، والْعَصَبِيَّةِ في الْباطِلِ.

يُقالُ: إنَّهُ ليس في الْمُتَأَخِّرينَ من اطَّلَعَ على تَدْقيقاتِ **"كِتابُ سِيبَوَيْهِ"** مِثْلُهُ.

ومِنْ شُروحِ "الْكافِيَةُ": شَرْحُ السَّيِّدِ رُكْنِ الدِّينِ ثَلاثَةَ شُروحٍ: **كَبيرٍ، ومُتَوَسِّطٍ، وصَغيرٍ**.

وهذا **"الْمُتَوَسِّطُ"**، مُتَداوَلٌ بينَ النَّاسِ على أيدي الْمُبْتَدِئينَ. وصاحِبُهُ الْحَسَنُ بنُ محمد بْنِ شَرَفْشاه الْعَلَوِيُّ **الْأَسْتَرَاباذِيُّ**، أبو الْفَضائِلِ السَّيِّدُ رُكْنُ الدِّينِ.

قال ابْنُ رَافِعٍ في "ذَيْلُ تاريخِ بَغْدادَ": قَدِمَ مَراغَةَ، واشْتَغَلَ على مَولانا نَصيرِ الدِّينِ، وكانَ يَتَوَقَّدُ ذَكاءً وفِطْنَةً. وكانَ الْمَوْلى قُطْبُ الدِّينِ حِينَئِذٍ في

(1) شروح، في مراد ملا.

(2) بغية الوعاة: 1/ 567-568.

مَمالِكِ الرُّومِ، فَقَدَّمَهُ النَّصيرُ، وصارَ رَئيسَ الْأَصْحابِ بمَراغَةَ. وكانَ **يُجيدُ** دَرْسَ الْحِكْمَةِ، وكَتَبَ **الْحَواشي على التَّجْريدِ** وَغَيْرَهُ، وكَتَبَ لِوَلَدِ النَّصيرِ **شَرْحًا على قَواعِدِ الْعَقائِدِ**.

ولمَّا تَوَجَّهَ النَّصيرُ إلى بَغْدادَ، سنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعينَ وسِتِّمِئَةٍ، لازَمَهُ، فَلَمَّا ماتَ النَّصيرُ في هذه السَّنَةِ، صَعِدَ إلى الْمَوْصِلِ، واسْتَوْطَنَها، ودَرَّسَ بالْمَدْرَسَةِ النُّورِيَّةِ بها، وفُوِّضَ إليه النَّظَرُ في أَوْقافِها. **وشَرَحَ مُقَدِّمَةَ ابْنِ الْحاجِبِ** بِثَلاثَةِ شُروحٍ؛ أَشْهَرُها **"الْمُتَوَسِّطُ"**. وتَكَلَّمَ في أُصولِ الْفِقْهِ، وَأَخَذَ على السَّيْفِ الْآمِدِيِّ، ثُمَّ فُوِّضَ إليه تَدْرِيسُ **"الشَّافِيَةُ"** بِالسُّلْطانِيَّةِ.

وَماتَ في رابِعَ عَشَرَ صَفَرٍ سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ وسَبْعِمِئَةٍ.

وذَكَرَهُ الْإِسْنَوِيُّ في: **"طَبَقاتُ الشَّافعيَّةِ"**، وقالَ: **شَرَحَ "الْحَاوِي"**[1]، **وَماتَ** سَنَةَ ثَمانِيَ عَشْرَةَ.

وَقالَ الصَّفَدِيُّ: كان شَديدَ التَّواضُعِ، يَقومُ لِكُلِّ أحَدٍ حَتَّى السَّقَّاءِ، شَديدَ الْحِلْمِ، وافِرَ الْجَلالَةِ عند التَّتارِ. **شَرَحَ مُخْتَصَرَ ابنِ الْحاجِبِ الْأَصْلِيَّ، وشَرَحَ الشَّافِيَةَ** في التَّصْريفِ. وعاشَ بِضْعًا وسَبْعينَ سَنَةً[2].

ومِنْ شُروحِ **"الْكافِيَةُ"**: شَرْحُ مولانا الْخَبيصِيّ الْمُسَمَّى بـ**"الْوِشاحُ"**، وهو قد بَلَغَ النِّهايَةَ في حُسْنِ الإيجازِ، مع تكْثيرٍ لِلْفَوائِدِ، والِاسْتِقْصاءِ في الشَّواهِدِ.

---

(1) شرح الحاجبية، في بغية الوعاة: 1/ 522.

(2) المصدر نفسه: 1/ 521-522.

قال السُّيوطِيُّ: أبو بَكْرٍ الْخَبِيصِيُّ صاحِبُ **شَرْحِ الْحاجِبِيَّةِ**، الْمَشْهورِ. وهو مَمْزوجٌ مُخْتَصَرٌ مُتَداوَلٌ بينَ النَّاسِ، سَمَّاهُ "**الْمُوَشَّحُ**"، ولا أعْرِفُ من تَرْجَمَتِهِ زِيادَةً على هذا(1).

قُلْتُ: خَبِيصُ، قَرْيَةٌ من قُرَى كَرْمانَ(2)، ونِسْبَتُهُ إليها لا إلى بائِعِ الْخَبِيصَةِ كما تَوَهَّمَهُ بعضُ النَّاسِ.

وعلى هذا الشَّرْحِ **تَعْليقاتٌ** و**فَوائِدُ** مُهِمَّةٌ للسَّيِّدِ الشَّريفِ الْجُرْجانِيِّ.

ومِنْ شُروحِ "**الْكافِيَةُ**": "**شَرْحُ الْهِنْدِيِّ لِلْكافِيَةِ**"، ولَعَلَّهُ لِسِراجِ الدِّينِ الْهِنْدِيِّ. وسَتَعْرِفُ تَرْجَمَتَهُ في فَنِّ أُصولِ الْفِقْهِ، لِأَنَّهُ أَشْهَرُ بِذَلِكَ مِنَ النَّحْوِ.

ومِنْ شُروحِها: "**شَرْحُ الْفاضِلِ السَّامي مَوْلانا عَبْدِ الرَّحْمنِ الْجامِي**"، بَلَغَ غايَةً لا يُمْكِنُ الزِّيادَةَ عليها، في لُطْفِ التَّحْريرِ، وحُسْنِ التَّرْتيبِ، وشُهْرَةُ حالِهِ في بِلادِنا أَغْنَتْنا عن التَّعَرُّضِ لِتَرْجَمَتِهِ(3). قُدِّسَ سِرُّهُ.

ومِنْ شُروحِها: "**شَرْحُ الْكافِيَةِ**"، لِجَلالِ الدِّينِ الْغُجْدُوانِيِّ، وهو أَحْمَدُ ابنُ عَلِيِّ بنِ مَحْمودٍ، جَلالُ الدِّينِ الْغُجْدُوانِيُّ.

قالَ السُّيوطِيُّ: لم أَقِفْ له على تَرْجَمَةٍ، إلَّا أنَّ هذا الشَّرْحَ مَشْهورٌ بِأَيْدِي النَّاسِ لَطيفٌ، ذَكَرَ فيه أَنَّهُ قَرَأَ على الْحُسامِ السِّغْناقِيِّ(4).

---

(1) بغية الوعاة: 1/ 475.

(2) ينظر معجم البلدان: 2/ 345.

(3) له ترجمة مفصلة في الشقائق النعمانية: 152.

(4) بغية الوعاة: 1/ 347.

وَمِنْ شُروحِ "الْكَافِيَةُ": "شَرْحُ النَّجْمِ السَّعيدِيِّ"، وهو سَعيدٌ الْعَجَمِيُّ الْمَشْهورُ بالنَّجْمِ سَعِيدِ[1]، شارِحِ الْحاجِبيَّةِ.

قالَ السُّيوطِيُّ: لم أَقِفْ له على تَرْجَمَةٍ. وشَرْحُهُ هذا كَبيرٌ، جَعَلَهُ شَرْحًا لِلْمَتْنِ، ولِشَرْحِ الْمُصَنِّفِ لِلْمَتْنِ، وفيه أَبْحاثٌ حَسَنَةٌ[2].

وَمِنْ شُروحِ الْكافِيَةِ: "شَرْحُ تَقِيِّ الدِّينِ النِّيلِيِّ"[3]، وهو إِبْراهيمُ بنُ الْحُسَيْنِ بنِ عبد الله بنِ إِبْراهيمَ بنِ ثابِتِ الطَّائِيُّ[4].

وَمِنَ الْمُخْتَصَراتِ في عِلْمِ النَّحْوِ:

"لُبُّ الْأَلْبابِ"[5]، وعليه شُروحٌ، أَحْسَنُها وَأَفْضَلُها: شَرْحُ السَّيِّدِ عبدِ الله ابنِ محمَّدٍ الْحُسَيْنِيِّ الْعَجَمِيِّ، السَّيِّدِ جمالِ الدِّين النُّقْرَةِ كار، بضَمِّ النُّونِ، وسُكونِ القافِ، وبالرَّاءِ المُهْمَلَةِ، مَعْناهُ: صانِعُ الْفِضَّةِ. صاحِبُ "شَرْحُ اللُّبِّ"، و"شَرْحُ اللُّبابِ"[6]، و"شَرْحُ الشَّافِيَةِ"، في التَّصْريفِ، وهي تَصانِيفُ مَشْهورَةٌ مَمْزوجَةٌ مُتَداوَلَةٌ بأَيْدِي النَّاسِ.

---

(1) السعيد، في أنطاليا

(2) بغية الوعاة: 1/ 591.

(3) سَمَّاهُ: "التحفة الشافية في شرح الكافية"، وهو مطبوع.

(4) بغية الوعاة: 1/ 410.

(5) ويرد في بعض النسخ الخطية من شرح الكتاب: "لب اللباب في علم الإعراب"، لمحمد بن محمد الأسفراييني (ت.684هـ).

(6) "العباب في شرح لباب الإعراب"، وهو مطبوع.

قالَ السُّيوطِيُّ: لَمْ أَقِفْ له على تَرْجَمَةٍ، إلَّا أَنَّهُ ذَكَرَ في "**شَرْحُ الشَّافِيَةِ**"، أنَّهُ أَلَّفَهُ لِلْأَميرِ الْجَامِي، وهو قَرِيبٌ من الثَّمانِمِئَةِ. ثم وَقَفْتُ له على "**شَرْحُ التَّلْخيصِ**"، مَمْزوجٍ. ذَكَرَ فيه أنَّهُ أَلَّفَهُ لِلْأَميرِ مَنْكَلي بُغَاي[1]. وله: "**شَرْحٌ على التَّنْقِيحِ**"، في أُصولِ الْفِقْهِ، لِلفاضِلِ صَدْرِ الشَّريعَةِ. ورَأَيْتُ في بعض نُسَخِ هذا الشَّرْحِ أَنَّهُ أَتَمَّ تَصْنيفَهُ في يَوْمِ الْعيدِ من شَوَّالٍ سَنَةَ إحْدَى وسَبْعينَ وسَبْعِمِئَةٍ.

ومِنَ الْمُخْتَصَراتِ في عِلْمِ النَّحْوِ:

"**لُبابُ الإِعْرابِ**"، لِلإمامِ الْفاضِلِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بنِ أَحْمَدَ، تاجِ الدِّينِ الْأَسْفَرايِينِيِّ، صاحِبِ "**اللُّبابُ**"[2]، وصاحِبِ **شَرْحِ الْمِصْباحِ** الْمُسَمَّى بـ "**ضَوْءُ الْمِصْباحِ**" في النَّحْوِ.

قال السُّيوطِيُّ: لم أَقِفْ له على تَرْجَمَةٍ[3].

وله شُروحٌ كَثيرَةٌ منها: "**شَرْحُ السَّيِّدِ عبدِ اللهِ**" شارِحِ **اللُّبِّ**. وقد تَقَدَّمَ[4].

و"**شَرْحُ قُطْبِ الدِّينِ الْفَالِيِّ**"، وهو مُحَمَّدُ بنُ سَعيدِ بنِ مَحْمودِ بنِ أبي الْفَتْحِ السِّيرافِيِّ الْمَعْروفِ بالْفالِيِّ ـ بالْفاءِ ـ صاحِبُ "**شَرْحُ اللُّبابِ**".

قالَ السُّيوطِيُّ: لم أَقِفْ له على تَرْجَمَةٍ[5].

---

(1) بغية الوعاة: 2/ 70.

(2) كتاب اللباب في علم الإعراب.

(3) بغية الوعاة: 1/ 219.

(4) يقصد جمال الدين النقرة كار.

(5) بغية الوعاة: 2/ 381، وترجمته في هدية العارفين: 2/ 142.

و"شَرْحُ الإمامِ الزَّوْزَنِيِّ"، وهو مُحَمَّدُ بنُ عُثْمَانَ بنِ محمَّدِ بنِ أبي عليٍّ الْعَرَضِ، بفتح الرَّاء، الزَّوْزَنِيُّ. وزَوْزَنُ: بَلَدٌ بين هَرَاةَ ونَيْسابورَ.

وشَرْحٌ آخَرُ مَوْسومٌ بـ "الْعُبابُ"، ولم نَتَحقَّقِ اسْمَ[1] مُؤَلِّفِهِ[2].

و"شَرْحُ مولانا شَيْخِ عَلِيٍّ الشَّهيرِ بِـ "مُصَنِّفَكَ"، كانَ رَحِمَهُ الله مِنْ أَوْلادِ الْإمامِ فَخْرِ الدِّينِ الرَّازِيِّ، وَكانَ لِلإمامِ الرَّازِيِّ وَلَدٌ اسْمُهُ مُحَمَّدٌ، وكان الإمامُ يُحِبُّهُ كَثيرًا، وَأَكْثَرُ مُصَنَّفاتِهِ صُنِّفَتْ لِأَجْلِهِ، وقد ذَكَرَ اسْمَهُ في بَعْضِها.

وماتَ مُحَمَّدٌ في عُنْفُوانِ شَبابِهِ. وَوُلِدَ له وَلَدٌ بعد وفاتِهِ، وسَمَّوْهُ أيضًا مُحَمَّدًا، وبَلَغَ رُتْبَةَ أَبِيهِ في الْعِلْمِ، ثُمَّ ماتَ، وخَلَّفَ وَلَدًا اسْمُهُ مَحْمودٌ، وبَلَغَ هو أيضًا رُتْبَةَ الْكَمالِ. ثُمَّ عَزَمَ على سَفَرِ[3] الْحِجازِ، وخَرَجَ من هَرَاةَ، ولمَّا وَصَلَ بِسْطامَ، أَكْرَمَهُ أَهْلُها، لِمَحَبَّتِهِمْ في الْعُلَماءِ، سِيَّمَا أولادِ فَخْرِ الدِّينِ الرَّازِيِّ، فأقامَ هناك بِحُرْمَةٍ وافِرَةٍ.

وَخَلَّفَ ولدًا اسْمُهُ مَسْعودٌ، وسَعَى في تَحْصيلِ الْعِلْمِ، لكنَّهُ لم يَبْلُغْ رُتْبَةَ آبائِهِ، وَقَنِعَ بِرُتْبَةِ الْوَعْظِ، لأنه لم يُهاجِرْ وَطَنَهُ. وخَلَّفَ وَلَدًا اسْمُهُ مُحَمَّدٌ أَيْضًا، وَحَصَّلَ هو من الْعُلومِ ما يَقْتَدي به أَهْلُ تلك الْبَلْدَةِ[4].

---

(1) يَتَحَقَّقْ اسْمُ، في قونية ورئيس الكتاب وأنطاليا.

(2) هو لجمال الدين النقرة كار، وقد فرغ من تأليفه في جمادى الأولى سنة 735هـ.

(3) عزمَ سَفَرَ، في قونية وأنطاليا.

(4) البلاد، في رئيس الكتاب والأزهرية ونور عثمانية.

ثم خَلَّفَ وَلَدًا اسْمُهُ مَجْدُ الدِّينِ مُحَمَّدٌ، وَصارَ هو أيضًا مُقْتَدَى النَّاسِ في الْعِلْمِ. وَوُلِدَ له وَلَدٌ اسْمُهُ "شَيْخُ عَلِيٌّ"، وهو الَّذِي اشْتَهَرَ بمولانا "مُصَنِّفَكَ"، لأَنَّهُ صَنَّفَ كُتُبًا شَريفَةً في حَداثَةِ سِنِّهِ كما سَنَذْكُرُهُ[1].

والْكافُ في لُغَةِ الْعَجَمِ لِلتَّصْغيرِ، فهو شَيْخُ عَلِيُّ بنُ مَجْدِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بنِ مَسْعودِ بنِ مَحْمودِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عُمَرَ الشَّاهْروديُّ الْبِسْطامِيُّ الْهَرَوِيُّ الرَّازِيُّ الْعُمَرِيُّ الْبَكْرِيُّ.

وكان الإمامُ الرَّازِيُّ يُصَرِحُ في مُصَنَّفاتِهِ، بأنه منْ أولادِ عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ رضِيَ الله عنه. وَذَكَرَ أَهْلُ التَّاريخِ، أَنَّهُ من أولادِ أبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، رضي الله عنه.

وَوُلِدَ الْمَوْلَى مُصَنِّفَك في سَنَةِ ثَلاثٍ وثَمانِمِئَةٍ، وَسافَرَ مع أَخيهِ إلى هَراةَ لِتَحْصيلِ الْعِلْمِ في سنةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَثَمانِمِئَةٍ.

وصَنَّفَ: "شَرْحُ الإِرْشادِ" في سَنَةِ ثَلاثٍ وعِشْرينَ، و"شَرْحُ الْمِصْباحِ"، في النَّحْوِ، في سنَةِ خَمْسٍ وعِشْرينَ، و"شَرْحُ آدابِ الْبَحْثِ" في سَنَةِ سِتٍّ وعِشْرينَ بإشارَةِ رَسولِ الله صلَّى الله عليه وسَلَّمَ. و"شَرْحُ اللُّبابِ" سَنَةَ ثَمانٍ وعِشْرينَ، و"شَرْحُ الْمُطَوَّلِ"، في سنَةِ اثْنَيْنِ وثَلاثينَ، و"شَرْحُ شَرْحِ الْمِفْتاحِ"، لِلتَّفْتازانِيِّ سَنَةَ أَرْبَعٍ وثَلاثينَ.

وصَنَّفَ: "حاشِيَةُ التَّلْويحِ"، سَنَةَ خَمْسٍ وثَلاثينَ، و"شَرْحُ الْبُرْدَةِ"، في تلك السَّنَةِ أيْضًا، وكذا شَرَحَ فيها الْقَصيدَةَ الرّوحِيَّة، لابْنِ سِينا. ثُمَّ ارْتَحَلَ

---

(1) الترجمة في الشقائق النعمانية: 100.

في سَنَةَ تِسْعٍ وثَلاثينَ إلى هَراةَ، وشَرَحَ هناك "**الْوِقايَةُ**"، وشَرَحَ "**الْهِدايَةُ**" سَنَةَ تِسْعٍ وثَلاثينَ. وصَنَّفَ في هذه السَّنَةِ أيْضًا: "**حَدائِقُ الإيمانِ لأهْلِ الْعِرْفانِ**". ثُمَّ ارْتَحَلَ سَنَةَ ثَمانٍ وأَرْبَعينَ إلى مَمالِكِ الرُّومِ. وصَنّفَ هناكَ في سَنَةِ خَمْسينَ وثَمانِمِئَةٍ "**شَرْحُ الْمَصابيحِ**" **لِلْبَغَوِيِّ**، بإِشارَةِ حَضْرَةِ الرِّسالَةِ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ. وَشَرَحَ في تلك السَّنَةِ أيضًا "**شَرْحُ الْمِفْتاحِ الشَّريفِيِّ**"(1). وصَنَّفَ في هذه السَّنَةِ أيْضًا "**حاشِيَةُ شَرْحِ الْمَطالِعِ**"، وَأَيْضًا شَرَحَ بَعْضًا من **أُصولِ فَخْرِ الإِسْلامِ الْبَزْدَوِيِّ**، وصَنَّفَ في سَنَةِ سِتٍّ وخَمْسينَ "**شَرْحُ الْكَشَّافِ للزَّمَخْشَرِيِّ**".

وَصَنَّفَ من الْكُتُبِ على اللِّسانِ الْفارِسِيِّ: "**أنْوارُ الأَحْداقِ**"، و"**حَدائِقُ الإيمانِ**"، و"**تُحْفَةُ السَّلاطينِ**".

وصَنَّفَ في تاريخِ إِحْدَى وسِتِّينَ كِتابَ "**التُّحْفَةُ الْمَحْمودِيَّةُ**"، صَنّفَهُ لأَجْلِ الوَزيرِ مَحْمودِ باشا، صَنَّفَهُ على اللِّسانِ الْفارِسِيِّ في نَصيحَةِ الْوُزَراءِ، وذَكَرَ هذه التَّواريخَ في هذا الْكِتابِ. وذَكَرَ فيه أنه عَزَمَ على أن لا يُصَنِّفَ شيئًا بَعْدَهُ، اعْتِذارًا عنه بِكِبَرِ السِّنِّ، سِيَّمَا الْكُتُبُ الْفارِسِيَّةُ، وكان سِنُّهُ إذ ذاك على ما ذَكَرَهُ في ذلك الْكِتابِ ثَمانٍ وخَمْسينَ، إلا أنَّ له تَصانيفَ أُخَرَ غير ما ذَكَرَهُ، ولم نَدْرِ أنَّهُ نَقَضَ عَزيمَتَهُ وصَنَّفَها بعد ذلك التَّاريخِ، أو صَنَّفَ قَبْلَهُ ولم يُذْكَرْ عند ذِكْرِ مُصَنَّفاتِهِ، وذلك كـ**التَّفْسِيرِ الفارِسِيِّ**، رَأَيْنا منه الْمُجَلَّدَةَ الأولى، وهي في تَفْسيرِ الْفاتِحَةِ خاصَّةً، والْمُجَلَّدَةَ الأَخيرَةَ، وهي من سورَةِ

---

(1) يعرف بشرح المصباح.

النَّبَأِ إلى آخِرِ الْقُرْآنِ. ولقد أَجادَ في تَرْتِيبِهِ، واعْتَذَرَ هو عن تَأْليفِهِ على ذلك اللِّسانِ، وقالَ: كَتَبْتُهُ بأَمْرِ السُّلْطانِ مُحَمَّدِ خان، والْمَأمورُ مَعْذورٌ.

وله أيْضًا: "**شَرْحُ الشَّمْسِيَّةِ**"، على اللِّسانِ الْفارِسِيِّ. وله أيْضًا: "**حاشِيَةٌ على شَرْحِ الْوِقايَةِ**" لِصَدْرِ الشَّرِيعَةِ، وَغَيْرُ ذلِكَ[1].

ثُمَّ قالَ في "**التُّحْفَةُ الْمَحْمودِيَّةُ**" بعد ذِكْرِ نَسَبِهِ: هؤلاء آباءُ الْأَبْدانِ، وأمَّا آباءُ الْأَرْواحِ فَكَثيرَةٌ، أمَّا في الْعُلومِ الْعَرَبِيَّةِ، فلي أُسْتاذانِ:

ـ **أوَّلُهما**، مولانا جَلالُ الدِّينِ يوسُفُ الْأَوْبَهِيُّ، رحمه الله. كان مِنْ مُقَدَّمِي عُلَماءِ خُراسانَ والْعِراقِ وما وَراءَ النَّهْرِ، وكان وَحيدَ دَهْرِهِ في عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ، سِيَّما في حَلِّ الْكَشَّافِ، والْمِفْتاحِ، وكان يُضْرَبُ به الْمَثَلُ في ذَكاءِ الطَّبيعَةِ، وَقُوَّةِ الْقَريحَةِ. وكانَ من تَلامِذَةِ مولانا سَعْدِ الدِّينِ التَّفْتازانِيِّ، وقد أجازَهُ التَّفْتازانِيُّ من بين تَلامِذَتِهِ بِتَغْييرِ مُصَنَّفاتِهِ، وقال:

أمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللهِ، والصَّلاةِ على رَسولِ اللهِ، فقد أَجَزْتُ لِلْمَوْلَى الْعالِمِ الفاضِلِ الْكامِلِ، جلالِ الدِّينِ يوسُفَ ابْنِ الإمامِ الْمَرْحومِ رُكْنِ الدِّينِ مَسيحٍ، أن يَرْوِيَ عَنِّي مَقْروءاتِي ومَسْموعاتِي ومُسْتَجازاتِي عُمومًا، ومُصَنَّفاتِي خُصوصًا، فقد قَرَأَ الْكَثيرَ، وَسَمِعَ الْكَثيرَ؛ مثلَ: "**شَرْحُ الْكَشَّافِ**" و"**الْمِفْتاحُ**"، وَغَيْرِهِما، وأنْ يُدَرِّسَهُمَا، ويُصْلِحَ ما تَيَقَّنَ أنه مِنْ سَهْوِ الْبَنانِ، أو الْبَيانِ، بعد التَّأَمُّلِ والِاحْتِياطِ، والْمُراجَعَةِ والْمُطالَعَةِ الْوافِرَةِ.

---

(1) الشقائق النعمانية: 101.

وهذا خَطُّ الْفَقيرِ سَعْدِ التَّفْتازانِيِّ، كَتَبَهُ في آخِرِ سَفَرِ حَياتِهِ، والاتِّصالِ بِوَفاتِهِ، وهو: الْأواخِرُ من مُحَرَّمٍ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وتِسْعينَ وَسَبْعِمِئَةٍ بِسَمَرْقَنْدَ.

ـ **والْأُسْتاذُ الثَّاني في هذه الْعُلومِ**: الْفاضِلُ الْعَلاَّمَةُ، قُطْبُ الْمِلَّةِ والدِّينِ، أَحْمَدُ بنُ محمَّدِ بنِ مَحْمودٍ الْإماميُّ الْهَرَوِيُّ، بَلَّغَهُ الله إلى أقْصى ما يَتَمَنَّاهُ في دينِهِ ودُنْياهُ، وفي آخِرَتِهِ وعُقْباهُ. وهو في هذه الْعُلومِ تِلْميذُ الْإمامِ الْمُحَقِّقِ، الْفاضِلِ الْمُدَقِّقِ، الذي كان مع كِبَرِ سِنِّهِ يُضيءُ بين الْعُلَماءِ كَالْبَدْرِ بين النُّجومِ، مَوْلانا جَلالِ الْمِلَّةِ والدِّينِ يوسُفَ الْأَوْبَهِيِّ الْمَذْكورِ، نَوَّرَ الله رُوحَهُ، وكَثَّرَ في كلِّ لَحْظَةٍ فَتْحَهُ وفُتوحَهِ. وهو تِلْميذُ الإمامِ إمامِ الدُّنْيا، الذي أشْرَقَتِ الأرْضُ بنورِ عُلومِهِ وتَصْنيفاتِهِ وتَأْليفاتِهِ، سَعْدِ الْحَقِّ والْمِلَّةِ والشَّريعَةِ التَّفْتازانِيِّ، أَحَلَّهُ اللهُ دارَ رِضوانِهِ، وأَلْبَسَهُ لِباسَ عَفْوِهِ وغُفْرانِهِ.

وأمَّا أُسْتاذي في الْفِقْهِ، أمَّا في فِقْهِ الشَّافِعِيِّ، فهو الْفاضِلُ الْكامِلُ، الَّذي كان تَسْتَضيءُ الْآفاقُ في حَياتِهِ بِنورِ تَقْواهُ، ويَسْتَفيدُ الْعالِمونَ بِنورِ فَتْواهُ، الْإمامُ الْهُمامُ عَبْدُ الْعَزيزِ بنُ أَحْمَدَ بنِ عَبْدِ الْعَزيزِ الْأَبْهَرِيُّ، فقد قَرَأْتُ **كتابَ الْحاوِي** عِنْدَهُ، وَكَتَبَ لي إِجازَتي في الدَّرْسِ والْفَتْوى. وكِتابُ إِجازَتِهِ طَويلٌ، إلا أنَّ من جُمْلَةِ ما كَتَبَ في شَأني، أنَّهُ قالَ:

بَعْدَما سابَقَ أقْرانَ قَرْنِهِ في هذه الْحَلْبَةِ، وفاقَ على أبْناءِ عَصْرِهِ في التَّحَلِّي بهذه الْحِلْيَةِ، وصارَ مِمَّنْ يُعَوَّلُ عليه، وغُصْنُ شَبابِهِ نَضيرٌ، ويُراجَعُ إليه ومَا لَهُ في الْآفاقِ نَظيرٌ، فَأَجَزْتُ له أن يُدَرِّسَ جَميعَ الْكُتُبِ الْمُتَداوَلَةِ من كُتُبِ

الْفُروعِ والأصولِ، ونُسَخِ الْمَعْقولِ والْمَنْقولِ، وأنْ يَرْوِيَ التَّفْسِيرَ والْحَديثَ والْفِقْهَ عَنِّي، وكُلَّ ما وَضَحَ وصَحَّ عِنْدَهُ أنه من مَقْروءاتِي ومَسْموعاتِي ومَجازاتِي بِشَرْطِ الرِّعايَةِ، لِمَا شَرَطَ أهْلُ الصِّناعَةِ في الرِّوايَةِ، وأن يَكْتُبَ في الْحَوادِثِ الدِّينِيَّةِ والْوَقائِعِ الشَّرْعِيَّةِ جوابَ الْفَتْوى بِشَرْطِ الِاحْتِياطِ، والرُّجوعِ إلى الْكُتُبِ مَرَّةً بَعْدَ أخْرى، واخْتِيارِ ما هو الأَصَحُّ والأَقْوى. واللهُ يَعْصِمُهُ وإيَّايَ من الْمَيْلِ واتِّباعِ الْهَوَى.

ثُمَّ قالَ: ثُمَّ إنِّي أَخَذْتُ الْفِقْهَ عن شَيْخي وَوَالِدِي قُدْوَةِ الْمُحَقِّقينَ، زُبْدَةِ الْمُدَقِّقينَ، سَيْفِ الْحَقِّ والشَّريعَةِ وَالدِّينِ، أَحْمَدَ بْنِ الْمَوْلَى الْفاضِلِ الْكامِلِ الْعالِمِ الْعامِلِ نِظامِ الدِّينِ عَبْدِ الْعَزيزِ الأَبْهَرِيِّ؛ وهو عن الشَّيْخِ الْفَقيهِ النَّبيهِ غِياثِ الدِّينِ مُحَمَّدٍ سِبْطِ صاحِبِ "**الْحَاوِي**"، وهو: عن خالِهِ جَلالِ الْحَقِّ والدِّينِ، عن أبيهِ نَجْمِ الدِّينِ عبدِ الْغَفَّارِ الْقَزْوينِيِّ؛ عن الْإمامِ الْمُحَقِّقِ، والْحَبْرِ الْمُدَقِّقِ، أبي الْقاسِمِ عبدِ الْكَريمِ الرَّافِعِيِّ، عن أبيهِ الإمامِ نورِ الدِّينِ الرَّافِعِيِّ، عن الإمامِ أبي مَنْصورٍ؛ عن الإمامِ الْهُمامِ حُجَّةِ الإسْلامِ أبي حامِدٍ مُحَمَّدِ بنِ مُحَمَّدٍ الْغَزالِيِّ؛ عن إمامِ الْحَرَمَيْنِ؛ عن أبيهِ الْإمامِ أبي مُحَمَّدٍ الْجُوَيْنِيِّ؛ عن الإمامِ أبي بَكْرٍ الْقَفَّالِ؛ عن الإمامِ أبي زَيْدٍ الْمَرْوَزِيِّ؛ عن الْإمامِ أبي إسْحاقَ الأَسْفَرايِينِيِّ؛ عن ابْنِ سُرَيْجٍ؛ عن أبي الْقاسِمِ الأَنْماطِيِّ؛ عن الْإمامَيْنِ إسْماعيلَ والرَّبيعِ؛ عن الإمامِ الأَعْلَمِ، والْهُمامِ الْمُكَرَّمِ، مُحَمَّدِ ابنِ إدْرِيسَ الشَّافِعِيِّ، رضِيَ الله عنه وأرْضاهُ؛ عن مُسْلِمٍ؛ عن ابن جُرَيْجٍ؛

عن عَطاءٍ؛ عن ابْنِ عَبَّاسٍ، وبِروايَتِهِ أيضا عن نافِعٍ؛ عن ابْنِ عُمَرَ؛ وهما رَضِيَ الله عنهما عن حَضْرَةِ رسولِ اللهِ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ.

وأمَّا في فِقْهِ أبي حَنيفَةَ رضي الله عنه: فَشَيْخِي وسَنَدِي وَأُسْتاذِي هو الْإمامُ قُدْوَةُ عُلَماءِ الْأنامِ، فَصيحُ الْحَقِّ والْمِلَّةِ والشَّريعَةِ والدِّينِ، مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدٍ عَلَا، أنْزَلَهُ في دارِ إكْرامِهِ مَنازِلَ الْعُلَى، فلقد كانَ آيَةً باهِرَةً في الْفَتْوَى، وحُجَّةً قاهِرَةً في التَّقْوَى. ومن جُمْلَةِ ما قال هذا الفاضِلُ في إجازَتِهِ لي:

وإِنَّ مِنْ جُمْلَةِ مَنْ خَصَّ اللهُ شَأْنَهُ بالْعِلْمِ، الذي هو الْفَضْلُ الْعَظيمُ، والطَّوْلُ الْجَسيمُ، الْمَوْلى الْأعْظَمَ، الْمُتَحَلِّيَ بِأَكارِمِ الْأَخْلاقِ وأَحاسِنِ الشِّيَمِ، مُحَقِّقَ مُعْضِلاتِ الْأصولِ والْفُروعِ، مُوَضِّحَ مُشْكِلاتِ الْمَعْقولِ والْمَسْموعِ، صاحِبَ النِّصابِ الْكامِلِ من الْعُلومِ، الْغالِبَ بِوُفورِ فَضْلِهِ على الْقُرُومِ، الذي مُجْمَلُ الْعلُومِ عِنْدَهُ مُفَصَّلٌ، ولُبابُ الْفُنونِ له مُحَصَّلٌ، ذِهْنُهُ الْفائِقُ الرَّائِقُ كَنْزٌ مَشْحونٌ بِجَواهِرِ الدَّقائِقِ، الْأَخُ في اللهِ، السَّالِكُ في مَحَجَّةِ الِانْتِباهِ، أبو الْمَحامِدِ شَرَفُ الْمِلَّةِ والدِّينِ، شَيْخُ عَلِيُّ بْنُ الْإمامِ الْمَرْحومِ الْمَبْرورِ مولانا مَجْدِ الدِّينِ مُحَمَّدٍ الشَّاهْرُودِيِّ الْبِسْطَامِيِّ، مَتَّعَ الله الْمُسْتَفيدِينَ بأَنْفاسِهِ النَّفيسَةِ مُدَّةً طَويلَةً.

إلى أنْ قالَ: وسَمِعَ مِنِّي، وقَرَأَ عَلَيَّ، وحَقَّقَ لَدَيَّ الدَّفْتَرَ الْأَوَّلَ من "**الْهِدايَةُ**"، لِلشَّيْخِ الرَّبانِيِّ، والْحَبْرِ الْهُمامِ الصَّمَدانِيِّ، شَيْخِ الْإِسْلامِ بُرْهانِ الشَّريعَةِ والْمِلَّةِ والدِّينِ الْمَرْغِينانِيِّ، جَعَلَ اللهُ سَعْيَهُ مَشْكورًا، ولَقَّاهُ نَضْرَةً وسُرورًا، وجَرَى بَيْنَنا

مُباحَثاتٌ كَثيرَةٌ بَثِيرَةٌ[1]، ومُناظَراتٌ غَزيرَةٌ، فَوَقَفْتُ بِتَفْتِيشِهِ على دَقائِقَ، كانت مَسْتورَةً في خِيامِ الاِسْتِتارِ، واطَّلَعْتُ بِتَنْقِيرِهِ على حَدائِقَ ذاتِ بَهْجَةٍ تَروقُ عُيونَ أولي الْأَبْصارِ. ثم قالَ: فَأَجَزْتُ له أنْ يَرْوِيَ عَنِّي التَّفْسيرَ وَالْحَديثَ والْكَلامَ، والْفِقْهَ وَأُصولَهُ، والْأَدَبَ وما يَنْخَرِطُ في ذلك النِّظامِ، وأن يُجيبَ بالْبَنانِ والْبَيانِ في الْحَوادِثِ الْيَوْمِيةِ، والنَّوازِلِ الشَّرْعِيَّةِ، بعد الْإتْقانِ والإيقانِ، وتَتَبُّعِ مُخْتاراتِ الرِّواياتِ بِقَدْرِ الْوُسْعِ والْإِمْكانِ، على مَذْهَبِ الْإِمامِ الْأَعْظَمِ أبي حَنيفَةَ، عليه شَآبيبُ الرَّحْمَةِ والرِّضْوانِ.

ومن الْمُخْتَصَراتِ في علم النَّحْوِ:

"**الْمِصْباحُ**"، لِلإمامِ الْمُطَرِّزِيِّ، وقد سَبَقَ تَرْجَمَتُهُ في عِلْمِ اللُّغَةِ، عند ذِكْرِ "**الْمُغْرِبُ**"، في لُغَةِ الْفِقْهِياتِ.

وله شُروحٌ منها: شَرْحٌ مُسَمًّى بـ "**ضَوْءُ الْمِصْباحِ**"، لِلْأَسْفَرايِينِيِّ، وقد تَقَدَّمَ هو. وله شَرْحٌ آخَرُ له سَمَّاهُ بـ "**الْمِفْتاحُ**"، واخْتَصَرَ منه "**الضَّوْءُ**". وله شَرْحٌ آخَرُ، لمولانا مُصَنِّفَك، وهو شَرْحٌ لَطيفٌ نافِعٌ في الْغايَةِ.

ومن كُتُبِ النَّحْوِ:

"**الْعُمْدَةُ**"، لابْنِ مالِكٍ، وقد ذَكَرْنا تَرْجَمَتَهُ؛ و"**تَسْهيلُ الْفَوائِدِ**"، له أيضًا، يَكادُ أن لا يُخِلَّ بِمَسْأَلَةٍ من النَّحْوِ، لَكِنْ عِباراتُهُ صَعْبَةٌ، لا يَنْتَفِعُ به الْمُبْتَدِئُ.

(1) اَلْبَثْرُ: اَلْكَثِيرُ، يُقَالُ: كَثِيرٌ بَثِيرٌ، إِتباع لَهُ وَقَدْ يُفْرَدُ. اللسان: بثر.

وله أيضًا: **"أَلْفِيَّةٌ"** أَوْرَدَ فيها مُهِمَّاتِ **"التَّسْهيلُ"**، وعليها شُروحٌ مُفيدَةٌ سِيَّمَا **"شَرْحُ ابْنِ أمِّ قاسِمٍ"**. وَمِنْ جُمْلَةِ شُروحِها: **"شَرْحُ وَلَدِ الْمُصَنِّفِ"**، وهو: مُحَمَّدُ بْنُ محمَّدِ بْنِ عبدِ اللهِ بنِ مالِكٍ، الْإمامُ بَدْرُ الدِّينِ ابْنُ الإمامِ جَمالِ الدِّينِ، الطَّائِيُّ الدِّمَشْقِيُّ الشَّافِعِيُّ النَّحْوِيُّ ابْنُ النَّحْوِيِّ.

قال الصَّفَدِيُّ: كانَ إمامًا ذَكِيًّا فَهِمًا، حادَّ الْخاطِرِ، إمامًا في النَّحْوِ والْمَعانِي والْبَيانِ والْبَديعِ والْعَروضِ، جَيِّدَ الْمُشارَكَةِ في الْفِقْهِ والْأصولِ. أَخَذَ عن والِدِهِ، وَوَقَعَ بينه وبينَهُ شَيْءٌ، فَسَكَنَ بَعْلَبَكَّ، فَقَرَأَ عليه جَماعَةٌ: منهم بَدْرُ الدِّينِ بنُ زَيْدٍ، فلمَّا ماتَ والِدُهُ طُلِبَ إلى دِمَشْقَ، وَوَلِيَ وَظيفَةَ والِدِهِ، وتَصَدَّى لِلِاشْتِغالِ والتَّصْنيفِ. وكان اللَّعِبُ يَغْلِبُ عليه، وَعِشْرَةُ من لا يَصْلُحُ، وكانَ إمامًا في مَوادِّ النَّظْمِ من النَّحْوِ والْمَعانِي والْبَيانِ والْعَروضِ والْبَديعِ، ولم يَقْدِرْ على نَظْمِ بَيْتٍ واحِدٍ بخِلافِ والِدِهِ.

وله من التَّصانيفِ: **"شَرْحُ أَلْفِيَةِ والِدِهِ"**، **"شَرْحُ كافِيَتِهِ"**، **"شَرْحُ لامِيَّتِهِ"**، **"تَكْمِلَةُ شَرْحِ التَّسْهيلِ"**، لم يُتِمَّهُ، **"الْمِصْباحُ في اخْتِصارِ الْمِفْتاحِ"**، في المعاني، **"رَوْضُ الأزْهارِ"** فيه، **"شَرْحُ الْمُلْحَةِ"**، **"شَرْحُ الْحاجِبِيَّةِ"**، **"مُقَدِّمَةٌ في الْعَروضِ"**، **"مُقَدِّمَةٌ في الْمَنْطِقِ"**، وَغَيْرُ ذَلِكَ. ماتَ بِالْقُولَنْجِ بدِمَشْقَ، يَوْمَ الْأَحَدِ ثامِنِ الْمُحَرَّمِ، سَنَةَ سِتٍّ وثَمانينَ وسِتِّمِئَةٍ، وتَأَسَّفَ النَّاسُ عليه(1).

ومِنْ جُمْلَةِ شُروحِها: **"شَرْحُ ابْنِ جابِرٍ"**، وهو مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بنِ عَلِيٍّ ابنِ جابِرٍ الْأَنْدَلُسِيُّ الْهَوَّارِيُّ الْمالِكِيُّ، أبو عبدِ اللهِ الْأَعْمَى النَّحْوِيُّ.

---

(1) بغية الوعاة: 2/ 225.

وُلِدَ سنَةَ ثَمانٍ وتِسْعينَ وسِتِّمِئَةٍ، وقَرَأَ الْقُرْآنَ والنَّحْوَ على مُحَمَّدِ ابْنِ يَعِيشَ[1]، والْفِقْهَ على مُحَمَّدِ بن سَعيدٍ الرُّنْدِيِّ، والْحَديثَ على أبي عَبْدِ اللهِ الزَّواوِيِّ. ثم رَحَلَ إلى الدِّيارِ الْمِصْرِيَّةِ، صُحْبَةَ أَحْمَدَ بْنِ يوسُفَ الرُّعَيْنِيِّ. وهذانِ هما الْمَشْهورانِ بالْأَعْمَى والْبَصيرِ. فكان ابْنُ جابِرٍ يُؤَلِّفُ وَيَنْظِمُ والرُّعَيْنِيُّ يَكْتُبُ، ولم يَزالا هكذا على طولِ عُمُرِهِما، وسَمِعا بِمِصْرَ مِنْ أبي حَيَّانَ، ودَخَلا الشَّامَ، وسَمِعا الْحَديثَ من الْمِزِّي، والْجَزَرِيِّ، وابْنِ كامِيارَ[2]، ثمَّ قَطَنا حَلَبَ، وحَدَّثا بها عن الْمِزِّيِّ بـ **"صحيح البخاري"**، وسَمِعَ منهما الْبُرْهانُ الْحَلَبِيُّ.

ومن تَصانيفِ ابْنِ جابِرٍ: **"شَرْحُ الْأَلْفِيَّةِ لابْنِ مالِكٍ"**، وهو كِتابٌ مُفيدٌ، يَعْتَني بالإعْرابِ للأبياتِ، هو جَليلٌ جِدًّا نافِعٌ لِلْمُبْتَدِئينَ. وله: **"نَظْمُ الْفَصيحِ"**، و**"نَظْمُ كِفايَةِ الْمُتَحَفِّظِ"**، و**"الْحُلَّةُ السِّيَرا في مَدْحِ خَيْرِ الْوَرى"**؛ وهي بَديعِيَّةٌ[3]، ونَظْمُهَا عَالٍ، لكنَّهُ أَخَلَّ فيها بِذِكْرِ أنْواعٍ من الْبَديعِ كَثيرَةٍ جِدًّا. وأَخْبَرَني بعض أُدَباءِ صَفَدَ قَدِمَ علينا الْقاهِرَةَ، أنه رأى له **شَرْحًا على أَلفيةِ ابن مُعْطٍ**، في ثَمانِ مُجَلَّداتٍ، ولم أَقِفْ عليه. كذا ذَكَرَ السُّيوطِيُّ.

(1) نقل هنا طاش كبري زاده ما في بغية الوعاة: 1/ 34، وفي الوافي بالوفيات: 2/ 110، ونكت الهميان: 245، والنحو على أبي الحسن علي بن محمد بن أبي العيش.

(2) عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ كَامِيَارَ بْنِ أَبِي نَصْرٍ الْقَزْوِينِيُّ الدِّمَشْقِيُّ الشَّافِعِيُّ (ت.743هـ)، ترجمته في: معجم الشيوخ للسبكي: 230، الوفيات لابن رافع: 1/ 421، الدرر الكامنة: 3/ 145.

(3) بديعة، في مراد ملا.

ماتَ في سَنَةَ ثَمانٍ وسَبْعِمِئَةٍ، وأَجازَ لمَنْ أدْرَكَ حَياتَهُ[1].

وَرَفيقُهُ هو: أبو جَعْفَرٍ أحْمَدُ بنُ يوسُفَ بنِ مالِكٍ الرُّعَيْنِيُّ الْأنْدَلُسِيُّ، الْغَرْناطِيُّ، أديبٌ ماهِرٌ، وُلِدَ بعد السَّبْعِمِئَةِ. وَكانَ من حالِهِ ما سَبَقَ في تَرْجَمَةِ ابنِ جابِرٍ. وَكانَ مُقْتَدِرًا على النَّظْمِ والنَّثْرِ، عارِفًا بالْبَديعِ وفُنونِهِ، دَيِّنًا، حَسَنَ الْخُلُقِ، حُلْوَ الْمُحاضَرَةِ. شَرَحَ بَديعِيَّةَ رَفيقِهِ.

وماتَ قَبْلَهُ بسَنَةٍ في رَمَضانَ سَنَةَ تِسْعٍ وَسَبْعينَ. وأجازَ أيضًا لمن أَدْرَكَ حَياتَهُ[2].

وَقَبْلَ هذا "الْأَلْفِيَةُ[3] لابْنِ الْمُعْطِي"، وهو يَحْيَى بنُ مُعْطِ بنِ عبد النُّورِ، أبو الْحُسَيْنِ زَيْنُ الدِّينِ الزَّواوِيُّ الْمَغْرِبِيُّ النَّحْوِيُّ الْحَنَفِيُّ. كان إمامًا مُبَرِّزًا في الْعَرَبِيَّةِ، شاعِرًا مُحْسِنًا، قَرَأَ على الْجُزولِيِّ، وسَمِعَ من ابْنِ عَساكِرَ، وأقْرَأَ النَّحْوَ بدِمَشْقَ مُدَّةً، ثم بِمِصْرَ، وتَصَدَّرَ بالْجامِعِ الْعَتيقِ، وحَمَلَ النَّاسُ عنه.

وصَنَّفَ: "الْأَلْفِيَةُ في النَّحْوِ"، "الْفُصولُ"، له.

وُلِدَ سنَةَ أَرْبَعٍ وسِتِّينَ وخَمْسِمِئَةٍ، وماتَ في سَلْخِ ذي الْقَعْدَةِ سَنَةَ ثَمانٍ وعِشْرينَ وسِتِّمِئَةٍ[4].

و"أَلْفِيَةُ جَلالِ الدِّينِ السُّيوطِيِّ" أتى ما فيهما وزِيادَةً عليهما مِقْدارَ الثُّلُثِ.

---

(1) بغية الوعاة: 1/ 34-35.

(2) المصدر نفسه: 1/ 35.

(3) ألفية، في أنطاليا وعاطف أفندي.

(4) بغية الوعاة: 2/ 344.

ومِنَ الْمَنْظوماتِ:

"**مُلْحَةُ الإِعْرابِ**"، لِلْحَرِيرِيِّ، وهو الْقاسِمُ بنُ عَلِيٍّ بنِ مُحَمَّدِ بْنِ عُثْمانَ الْبَصْرِيُّ الْحَرِيرِيُّ. وَسَتَقِفُ على تَرْجَمَتِهِ عند ذِكْرِ "**الْمَقاماتِ**"، لأَنَّهُ بها أَشْهَرُ من غيرِها.

و"**أرْجوزَةُ الشَّيْخِ ابْنِ الْحاجِبِ**"، نَظَمَ **الْكَافِيَةَ**[1] على أَحْسَنِ وَجْهٍ، خالِيًا عن تَكَلُّفِ النَّظْمِ.

ومن الْمَبْسوطاتِ في كُتُبِ النَّحْوِ:

"**الْمُفَصَّلُ**"، لِلزَّمَخْشَرِيِّ، صاحِبِ "**الْكَشَّاف**". وسَتَقِفُ على تَرْجَمَتِهِ عند ذِكْرِ "**الكَشَّاف**" لأَنَّه أَشْهَرُ مُصَنَّفاتِهِ.

و"**الْمُقَرِّبُ**"، لابْنِ عُصْفورٍ، وهو عَلِيُّ بنُ مُؤْمِنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عليٍّ، أبو الْحَسَنِ ابنُ عُصْفورٍ النَّحْوِيُّ الْحَضْرَمِيُّ الإِشْبِيلِيُّ، حامِلُ لِواءِ الْعَرَبِيَّةِ في زَمانِهِ بِالْأَنْدَلُسِ. وقد عَرَفْتَ تَرْجَمَتَهُ عند ذِكْرِ "**الْمُمْتِع**" في التَّصْريفِ.

ومِنَ الْمَبْسوطاتِ:

شُروحُ الْمُفَصَّلِ؛ منها:

"**الإِيضاحُ**"، لابْنِ الْحاجِبِ. وقد مَرَّتْ تَرْجَمَتُهُ.

---

(1) سمَّاه: "الوافية في نظم الكافية".

و"شَرْحُ ابْنِ يَعيشَ"، وهو يَعيشُ بنُ عَلِيِّ بنِ يَعيشَ بنِ مُحَمَّدِ بنِ أبي السَّرايا محمدِ بنِ عليِّ بنْ الْمُفَضَّلِ بنِ عبدِ الْكَريمِ بنِ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى النَّحْوِيُّ الْحَلَبِيُّ، مُوَفَّقُ الدِّينِ أبو الْبَقاءِ، الْمَشْهورُ بابْنِ يَعيشَ، وكان يُعْرَفُ بابْنِ الصَّانِعِ أيضًا، بصادٍ مُهْمَلَةٍ ونونٍ.

وُلِدَ في رَمَضانَ سَنَةَ ثَلاثٍ وَخَمْسينَ وخَمْسِمِئَةٍ بِحَلَبَ، وقَرَأَ النَّحْوَ على فِتْيانَ الْحَلَبِيِّ، وأبي الْعَبَّاسِ الْبَيْزورِيِّ[1]، وسَمِعَ الْحَديثَ على الرِّضَى التَّكْريتِيِّ، وأبي الْفَضْلِ الطُّوسِيِّ. ورَحَلَ إلى بَغْدادَ لِيُدْرِكَ أبا الْبَرَكاتِ الْأَنْبارِيَّ، فَبَلَغَهُ خَبَرُ وفاتِهِ بالْمَوْصِلِ.

وكانَ من كِبارِ أئِمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ، ماهِرًا في النَّحْوِ والتَّصْريفِ، قَدِمَ دِمَشْقَ، وجالَسَ الْكِنْدِيَّ، وتَصَدَّرَ بِحَلَبَ لِلْإِقْراءِ زَمانًا، وطالَ عُمُرُهُ، وشاعَ ذِكْرُهُ، وَغالِبُ فُضَلاءِ حَلَبَ تَلامِذَتُهُ. وكان حَسَنَ الْفَهْمِ، لَطيفَ الْكَلامِ، طَويلَ الرُّوحِ على الْمُبْتَدِئِ والْمُنْتَهِي، ظَريفَ الشَّمائِلِ، كَثيرَ الْمُجونِ مع سَكينَةٍ وَوَقارٍ. حَدَّثَ عنه جَماعَةٌ آخِرُهُمْ أبو بَكْرٍ الدَّشْتِيُّ.

وصَنَّفَ: "شَرْحُ الْمُفَصَّلِ"، "شَرْحُ تَصْريفِ ابْنِ جِنِّي".

ماتَ في الْخامِسِ والْعِشْرينَ من جُمادى الأولى سَنَةَ ثَلاثٍ وأَرْبَعينَ وسِتِّمِئَةٍ[2].

---

(1) كذا في بغية الوعاة: 2/ 351 مصدر النقل، وفي وفيات الأعيان: النيروزي، وفي مرآة الجنان: 4/ 106، التبريزي.

(2) بغية الوعاة: 2/ 351-352.

وَمِنْ شُروحِ "**الْمُفَصَّلُ**": "**الإِقْليدُ**"، لِلْجَنْدِيِّ[1]؛ وشَرْحٌ آخَرُ مُسَمَّى بـ "**الْمُوَصَّلُ**"[2]، ولم أَقِفْ على تَرْجَمَةِ مُؤَلِّفِهِمَا.

ومن الْكُتُبِ الْمَبْسوطَةِ:

كِتابُ "**مُغْني اللَّبيبِ عن كُتُبِ الأَعارِيبِ**"، لابْنِ هِشامٍ. وله مُخْتَصَرٌ سَمَّاهُ: "**قَواعِدُ الإِعْرابِ**". وعليهما شُروحٌ نافِعَةٌ. وهو عبدُ اللهِ بنُ يوسُفَ ابنِ أحْمَدَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ هِشامٍ الْأَنْصارِيُّ، الشَّيْخُ جَمالُ الدِّينِ الْحَنْبَلِيُّ، النَّحْوِيُّ الْفاضِلُ، الْعَلَّامَةُ الْمَشْهورُ، أبو مُحَمَّدٍ.

قال في الدُّرَرِ: **وُلِدَ** في ذي الْقَعْدَةِ سَنَةَ ثَمانٍ وسَبْعِمِئَةٍ، ولَزِمَ الشِّهابَ عبدَ اللَّطيفِ ابْنَ الْمُرَحِّلِ، وتَلَا على ابْنِ السَّرَّاجِ، وسَمِعَ على أبي حَيَّانَ "**ديوانُ زُهَيْرِ بنِ أبي سُلْمَى**"، ولم يُلازِمْهُ ولا قَرَأَ عليه. وَحَضَرَ دُروسَ التَّاجِ التِّبْريزِيِّ، وقَرَأَ على التَّاجِ الْفاكِهانِيِّ "**شَرْحُ الإِشارَةِ**" له، إلَّا الْوَرَقَةَ الْأَخيرَةَ، وتَفَقَّهَ للشَّافِعِيِّ ثم تَحَنْبَلَ، فَحَفِظَ "**مُخْتَصَر الْخِرَقِيِّ**"، في دون أربعة أشهر، وذلِكَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِخَمْسِ سِنينَ. وَأَتْقَنَ الْعَرَبِيَّةَ، فَفاقَ الْأَقْرانَ بل الشُّيوخَ، وحَدَّثَ عن ابْنِ جَماعَةَ بـ "**الشَّاطِبِيَّةِ**"، وتَخَرَّجَ به جَماعَةٌ من أَهْلِ مِصْرَ، وغيرِهِمْ.

تَصَدَّرَ لِنَفْعِ الطَّالِبينَ، وانْفَرَدَ بالْفَوائِدِ الْغَريبَةِ، والْمَباحِثِ الدَّقيقَةِ، والِاسْتِدْراكاتِ الْعَجيبَةِ، والتَّحْقيقِ الْبالِغِ، والِاطِّلاعِ الْمُفْرِطِ، والِاقْتِدارِ على

(1) الإقليد: المفتاح. اللسان: قلد. وهو لتاج الدين أحمد بن محمود بن عمر الْجَنْدِي (ت.700هـ)، نِسْبَة إِلَى جَند: الْمَدِينَة الْمَشْهُورَة فِي بِلَاد تركستان. يُنظر: توضيح المشتبه: 2/ 473، وتاج التراجم: 125.
(2) الموصَّلُ في شرح المفصَّل، للحسام حسين بن علي بن حجاج السِّغْناقِيّ الحنفي (ت. 711هـ).

التَّصَرُّفِ في الْكَلامِ، والْمَلَكَةِ التي كان يَتَمَكَّنُ من التَّعْبيرِ بها عن مَقْصودِهِ بما يُريدُ، مُسْهِبًا وموجِزًا، مع التَّواضُعِ والْبِرِّ والشَّفَقَةِ، ودَماثَةِ الْخُلُقِ، ورِقَّةِ الْقَلْبِ.

قال ابْنُ خَلْدونَ: ما زِلْنا ونَحْنُ بالْمَغْرِبِ نَسْمَعُ أنه ظَهَرَ بِمِصْرَ عالِمٌ بالْعَرَبِيَّةِ يُقالُ له ابْنُ هِشامٍ أَنْحَى من سِيبَوَيْهِ.

وكان كثيرَ الْمُخالَفَةِ لأبي حَيَّانَ، شَديدَ الِانْحِرافِ عنه. صَنَّفَ: "**مُغْني اللَّبيبِ عن كُتُبِ الأعاريبِ**"، اشْتَهَرَ في حياتِهِ، وأَقْبَلَ النَّاسُ عليه[1].

قال السُّيوطِيُّ: وقد كَتَبْتُ عليه حاشِيَةً[2] وشَرْحًا لِشَواهِدِهِ.

وصَنَّفَ: "**التَّوْضيحُ على الأَلْفِيَّةِ**"، مُجَلَّدٌ. "**رَفْعُ الْخَصاصَةِ عن قُرَّاءِ الْخُلاصَةِ**"، أَرْبَعُ مُجَلَّداتٍ. "**عُمْدَةُ الطَّالِبِ في تَحْقيقِ تَصْريفِ ابْنِ الْحاجِبِ**"، مجلدان. "**التَّحْصيلُ والتَّفْصيلُ لكتابِ التَّذْييلِ والتَّكْميلِ**"، عِدَّةُ مُجَلَّداتٍ. "**شَرْحُ التَّسْهيلِ**"، مُسَوَّدَةٌ. "**شَرْحُ الشَّواهِدِ الْكُبْرى والصُّغْرى**"، "**الْقَواعِدُ الكُبْرى والصُّغْرى**"، "**شُذورُ الذَّهَبِ**"، "**شَرْحُهُ**".

قال السُّيوطِيُّ: وقد كَتَبْتُ عليه حَاشِيَةً لَمَّا قُرِئَ عَلَيَّ.

"**قَطْرُ النَّدَى**"، "**شَرْحُهُ**"، "**الْجامِعُ الْكَبيرُ**"، "**الْجامِعُ الصَّغيرُ**"، "**شَرْحُ الْمُلْحَةِ لأبي حَيَّانَ**"[3]، "**شَرْحُ بانَتْ سُعادُ**"، "**شَرْحُ الْبُرْدَةِ**"، "**التَّذْكِرَةُ**"،

(1) الدرر الكامنة: 3/ 92-93، والنقل من بغية الوعاة: 2/ 68-69.

(2) سمَّاها: "الفتح القريب على مغني اللبيب".

(3) اللمحة، في الدرر الكامنة: 3/ 93، وبغية الوعاة: 2/ 69، وهو كتاب معروف لأبي حيان الأندلسي.

خَمْسَةَ عَشَرَ مُجَلَّدًا. "الْمَسَائِلُ السَّفَرِيَّةُ في النَّحْوِ". وَغَيْرَ ذَلِكَ. وله عِدَّةُ حَواشٍ على الْأَلْفِيَّةِ والتَّسْهِيلِ.

تُوُفِّيَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ خامِسِ ذي الْقَعْدَةِ سنَةَ إحْدَى وَسِتِّينَ وسَبْعِمِئَةٍ(1).

وَأَصْلُ هذه الْكُتُبِ وَأَجْمَعُها، وَأَحْسَنُها وَأَنْفَعُها، ومَقْبولُ أَفاضِلِ الْآفاقِ، وَمُقْتَدَى الْأُدَباءِ على الْإِطْباقِ، كِتابُ الشَّيْخِ الإمامِ، والْفاضِلِ الْهُمامِ، الشَّيْخِ الْأَكْبَرِ [سِيبَوَيْهِ](2) عَمْرِو بنِ عُثْمانَ بنِ قَنْبَرٍ، رَوَّحَ اللهُ روحَهُ، وجَزاهُ اللهُ عَنَّا وعن كافَّةِ الْمُسْلِمينَ خَيْرَ الْجَزاءِ. وقد عَرَفْتَ تَرْجَمَةَ سِيبَوَيْهِ فلا نُعيدُها.

عِلْمُ الْمَعانِي

وهو تَتَبُّعُ خَواصِّ تَراكيبِ الْكَلامِ، ومَعْرِفَةُ تَفاوُتِ الْمَقاماتِ، حتى يَتَمَكَّنَ من الِاحْتِرازِ عن الْخَطَإِ في تَطْبيقِ الأوَّلِ على الثَّاني، وذلك لأنَّ لِلتَّراكِيبِ خَواصَّ مُناسِبَةً لها، يَعْرِفُها الْبُلَغاءُ إمَّا بِسَليقَتِهِمْ، أو بِمُمارَسَةِ عِلْمِ الْبَلاغَةِ.

وتلك الْخَواصُّ، بَعْضُها ذَوْقِيَّةٌ، وبَعْضُها اسْتِحْسانِيَّةٌ، وبَعْضُها تَوابِعُ ولَوازِمُ لِلْمَعاني الْأَصْلِيَّةِ، لَكِنْ لُزومًا مُعْتَبَرًا في عُرْفِ الْبُلَغاءِ، وإلَّا لَمَا اخْتَصَّ فَهْمُها بِصاحِبِ الْفِطْرَةِ السَّليمَةِ. وكذا مَقاماتُ الْكَلامِ مُتَفاوِتَةٌ؛ كَمَقامِ الشُّكْرِ والشِّكايَةِ والتَّهْنِئَةِ والتَّعْزِيَةِ والْجِدِّ والْهَزْلِ وغَيْرِ ذلِكَ من الْمَقاماتِ. وكَيْفِيَّةُ تَطْبيقِ الْخَواصِّ على الْمَقاماتِ تُسْتَفادُ من عِلْمِ الْمَعاني، ومَدارُهُ على الاِسْتِحْساناتِ الْعُرْفِيَّةِ.

(1) بغية الوعاة: 2/ 68-69.

(2) زيادة من أنطاليا.

ومَوْضوعُهُ: التَّراكِيبُ الْخَبَرِيَّةُ والطَّلَبِيَّةُ، من حيث تَطْبِيقُ خَواصِّهَا على مُقْتَضَى الْحَالِ.

ومَسائِلُهُ: الْقَواعِدُ التي يُتَعَرَّفُ منها أنَّ أيَّ مَقَامٍ يَقْتَضِي أيَّ خَواصٍّ من الْخَواصِّ.

وَمَبادِئِهُ: الْمَسائِلُ النَّحْوِيَّةُ واللُّغَوِيَّةُ. **وبِالْجُمْلَةِ** الْمَسائِلُ الْأَدَبِيَّةُ كُلُّهَا.

ودَلائِلُهُ: اسْتِقْراءُ تَراكيبِ الْبُلَغاءِ.

وَالْغَرَضُ منه: تَطْبيقُ الْكَلامِ على مُقْتَضَى الْحالِ.

وغَايَتُهُ: الِاقْتِدارُ على التَّطْبيقِ الْمَذْكورِ. وتَمامُ تَفْصيلِ هذا الْمَقامِ، لا يَسَعُهُ نِطاقُ الْكَلامِ.

وأَمَّا الْكُتُبُ الْمُصَنَّفَةُ في عِلْمِ الْمَعانِي، فلمَّا لم يُفْرَزْ عن الْبَيانِ والْبَديعِ، رَأَيْنا أنْ نَذْكُرَها بَعْدَ ذِكْرِ الْجَميعِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى. ولِابْنِ الْهَيْثَمِ الْبَحْرَيْنِيِّ **"كتابٌ في عِلْمِ الْمَعانِي"** فَقَطْ.

عِلْمُ الْبَيانِ

وهو مَعْرِفَةُ إيرادِ الْمَعْنَى الْواحِدِ في طُرُقٍ مُخْتَلِفَةٍ في وُضوحِ الدَّلالَةِ.

ومَوْضوعُهُ: اللَّفْظُ الْعَرَبِيُّ من حيث وُضوحُ الدَّلالَةِ على الْمَعْنى الْمُرادِ.

وغَرَضُهُ: تَحْصيلُ مَلَكَةِ الْإفادَةِ بالدَّلالَةِ الْعَقْلِيَّةِ، وفَهْمِ مَدْلولاتِها، لِيُختارَ الْأَوْضَحُ منها مع فَصاحَةِ الْمُفْرَداتِ.

وغايَتُهُ: الِاحْتِرازُ عن الْخَطَإِ في تَعْيينِ الْمَعْنى الْمُرادِ بالدَّلالاتِ الْواضِحَةِ.

ومَبادِئُهُ: بَعْضُها عَقْلِيَّةٌ؛ كأقْسامِ الدَّلالاتِ، والتَّشْبيهاتِ، والْعَلاقاتِ الْمَجازِيَّةِ، ومَراتِبِ الْكِناياتِ، وبَعْضُها وِجْدانِيَّةٌ ذَوْقِيَّةٌ؛ كَوُجوهِ التَّشْبيهاتِ، وأقْسامِ الِاسْتِعاراتِ، وكَيْفِيَّةِ حُسْنِهَا ولُطْفِها. وإنَّما اخْتاروا في عِلْمِ الْبَيانِ وُضوحَ الدَّلالَةِ، لأنَّ بَحْثَهُمْ لمَّا اقْتَصَرَ على الدَّلالَةِ الْعَقْلِيَّةِ أَعْني التَّضَمُّنِيَّةَ[1] والِالْتِزامِيَّةَ، وَكانَتْ تِلْكَ الدَّلالاتُ خَفِيَّةً، سِيَّمَا إذا كانَ اللُّزومُ بِحَسَبِ الْعاداتِ والطَّبائِعِ، وبِحَسَبِ الْإِلْفِ، فَوَجَبَ التَّعْبيرُ عنها بِلَفْظٍ أوْضَحَ؛ مثلًا إذا كان الْمَرْئِيُّ دَقيقًا في الْغايَةِ، يَحْتاجُ الْحاسَّةَ في إبْصارِهَا إلى شُعاعٍ قَوِيٍّ، بِخِلافِ الْمَرْئِيِّ الْجَلِيِّ، وكذا الْحالُ في الرُّؤْيَةِ الْقَلْبِيَّةِ، أعْني الْإِدْراكَ.

والْحاصِلُ: أنَّ الْمُعْتَبَرَ في عِلْمِ الْبَيانِ دِقَّةُ الْمَعانِي الْمُعْتَبَرَةِ فيها؛ من الِاسْتِعاراتِ والْكِناياتِ، مع وُضوحِ الْأَلْفاظِ الدَّالَّةِ عليها.

ومن الْكُتُبِ الْمُفْرَدَةِ فيه:

"**الْجامِعُ الْكَبيرُ**"، لابْنِ الْأثيرِ الْجَزَرِيِّ، وقد عَرَفْتَ تَرْجَمَةَ الْجَزَرِيِّ. و"**نِهايَةُ الْإِعْجازِ**"، للإمامِ فَخْرِ الدِّينِ الرَّازِيِّ، وسَتَعْرِفُ تَرْجَمَتَهُ في عِلْمِ التَّفْسيرِ، لأنَّ أَجَلَّ مُصَنَّفاتِهِ "**التَّفْسيرُ الْكَبيرُ**".

---

(1) التَّضْمينيَةَ، في أنطاليا.

عِلْمُ الْبَديعِ

وهو عِلْمٌ باحِثٌ عن التَّراكيبِ الْعَرَبِيَّةِ من حَيْثُ وُجوهُ تَحْسينِ الْكَلامِ بالْحُسْنِ الْعَرَضِيِّ، بعد رِعايَةِ الْمُطابَقَةِ، وَوُضوحِ الدَّلالَةِ.

ومَوْضوعُهُ: اللَّفْظُ الْعَرَبِيُّ من حَيْثُ التَّحْسينُ والتَّزْيِينُ الْعَرَضِيَّيْنِ[1]، بعد تَكْميلِهِ دائِرَتَي الْفَصاحَةِ والْبَلاغَةِ.

وَغَرَضُهُ: تَحْصيلُ مَلَكَةِ تَحْلِيَةِ الْكَلامِ بالْمُحَسِّناتِ الْعَرَضِيَّةِ.

وغايَتُهُ: الِاحْتِرازُ عن خُلُوِّ الْكَلامِ عن التَّحْلِيَةِ الْمَذْكورَةِ.

وَمَنْفَعَتُهُ: التَّطْرِيَةُ لِنَشاطِ السَّامِعِ، وزِيادَةُ الْقَبولِ في الْعُقولِ.

وَمبادِئُهُ: تَتَبُّعُ الْخُطَبِ والرَّسائِلِ والْأَشْعارِ الْمُتَحَلِّيَةِ بالصَّنائِعِ الْبَديعِيَّةِ[2].

وإنَّما دَوَّنوا هذا الْعِلْمَ، واعْتَبَروا هذه الصَّنائِعَ، لأنَّ الْأَصْلَ وإنْ كانَ الْحُسْنَ الذَّاتِيَّ، وكانَ ذلك مما يَكْفِي في تَحْصيلِهِ الْمَعانِي والْبَيانُ، لَكِنَّهُمُ اعْتَنَوْا بِشَأْنِ الْحُسْنِ الْعَرَضِيِّ أيْضًا، لأنَّ الْحَسْناءَ إذا عَرِيَتْ عن الْمُزَيِّناتِ، رُبَّما يَذْهَلُ بعضُ الْقاصِرينَ عن تَتَبُّعِ مَحاسِنِها الشَّريفَةِ، فَيَفوتُهُ التَّمَتُّعُ بها، وأمَّا إذا طابَقَتِ الصُّورَةُ والْمَعْنَى والذاتُ والْأَوْصافُ، يَسْتَوفي منها الْحَظَّ كُلَّ النَّاظِرينَ والْمُطالِعينَ جَمالَها الْحَقيقِيَّ والْمَجازِيَّ. ولهذا اشْتَرَطوا فيها

---

(1) العرضيين، كذا في النسخ الخطية للكتاب، وحقها الرفع في سياقها.

(2) ينظر رسالة في العلوم الشرعية والعربية: 35.

الْحُسْنَ الذَّاتِيَّ أَوَّلًا وبالذَّاتِ، لِئَلَّا يَكونَ كَالثِّيابِ الْحَسَنَةِ الْمُزَخْرَفَةِ، على الشَّوْهاءِ الْقَبِيحَةِ الْخَرِفَةِ، أو كَغِمْدٍ من ذَهَبٍ، على نَصْلٍ من خَشَبٍ والْحُسْنَ الْعَرَضِيَّ ثانِيًا وبالتَّبَعِ، ليكونَ مَقْبولًا في الْبَدْءِ وَالْمُخْتَتَمِ.

ومن الكتب الْمُخْتَصَّةِ بِعِلْمِ الْبَديعِ:

"**زَهْرُ الرَّبيعِ**"، لِلْمُطَرِّزِيِّ، وقد عَرَفْتَهُ. و"**كتابُ الْبَديعِ**"، لِلتِّيفاشِيِّ، [**وشَرْحُ الْقَصائِدِ الْبَديعِيَّةِ لِلْحِلِّي**][1]، و"**تَحْريرُ التَّحْبيرِ**"، لِابْنِ أبي الْإِصْبَعِ[2]. و"**شَرْحُ الْبَديعِياتِ**"، لابْنِ حِجَّةَ[3].

ومن الْكُتُبِ الْمُشْتَمِلَةِ على الْفُنونِ الثَّلاثَةِ:

"**رَوْضُ الْأَذْهانِ**"، وكذا "**الْمِصْباحُ**"، لابْنِ مالِكٍ، وقد عَرَفْتَهُ، وكِتابُ "**مِفْتاحُ الْعُلومِ**"، لِلسَّكَّاكِيِّ اشْتَمَلَ هذه الثَّلاثَةَ، وقَدَّمَ عليها الِاشْتِقاقَ والصَّرْفَ والنَّحْوَ، وأَوْرَدَ عَقِيبَ الثَّلاثَةِ الْمَذْكورَةِ بِطَريقِ التَّكْمِلَةِ عِلْمَ الِاسْتِدْلالِ، وعِلْمَ الْعَروضِ والْقَوافِي، ودَفْعَ مَطاعِنِ الْقُرْآنِ.

قُلْتُ: السَّكَّاكِيُّ، هو أبو يَعْقوبَ يوسُفُ السَّكَّاكِيُّ الْعَلَّامَةُ، كان عَلَّامَةً بارِعًا في عُلومٍ شَتَّى، خُصوصًا الْمَعانِيَ والْبَيانَ.

---

(1) زيادة من أنطاليا.

(2) عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن أبي الإصبع العدواني البغدادي ثم المصري (ت.654هـ)، ترجمته في: قلائد الجمان: 3/ 159، ذيل مرآة الزمان: 1/ 21، فوات الوفيات: 2/ 363، النجوم الزاهرة: 7/ 37.

(3) أبو بكر علي بن عبد الله ابن حجة الحموي الأزراري (ت.837هـ).

وله كِتابُ "مِفْتاحُ الْعُلومِ"، جَمَعَ فيه[1] اثْنَيْ عَشَرَ عِلْمًا من عُلومِ الْعَرَبِيَّةِ.

وَنَقَلَ عنه أبو حَيَّانَ في "الِارْتِشافُ" في مَواضِعَ. وقال فيه: ابْنُ السَّكَّاكِيِّ من أَهْلِ خُوارَزْمَ.

وذَكَرَ الشَّيْخُ سِراجُ الدِّينِ الْبُلْقِينِيُّ فقال: يُوسُفُ بنُ أبي بَكْرِ بنِ محمدِ بنِ عليٍّ، أبو يَعْقوبَ السَّكَّاكِيُّ، سِراجُ الدِّينِ الْخُوارَزْمِيُّ، إمامٌ في النَّحْوِ والتَّصْريفِ والْمَعانِي والْبَيانِ والِاسْتِدْلالِ والْعَروضِ والشِّعْرِ، وله النَّصيبُ الْوافِرُ من عِلْمِ الْكَلامِ، وسائِرِ الْعُلومِ، من رأى مُصَنَّفَهُ عَلِمَ تَبَحُّرَهُ ونُبْلَهُ وفَضْلَهُ.

ماتَ بِخُوارَزْمَ في أَوائِلِ شَهْرِ الله الْأَصَمِّ رَجَبٍ، سنَةَ سِتٍّ وعِشْرينَ وسِتِّمِئَةٍ. وكانَتْ وِلادَتُهُ ليلةَ الثلاثاءِ من شَهْرِ جُمادى الأولى، سنَةَ خَمْسٍ وخَمْسينَ وخَمْسِمِئَةٍ.

"شَرْحُ الْمِفْتاحِ"، لِلْمَوْلى الْمُؤَذِّنِيِّ[2].

وشَرَحَ الْقِسْمَ الثَّالِثَ من "المفتاح" ـ وذَكَرَ فيه الْعُلومَ الثَّلاثَةَ الْمُخْتَصَّةَ بِعِلْمِ الْبَلَاغَةِ ـ جَماعَةٌ كَثيرَةٌ، منهم: ناصِرُ الدِّينِ التِّرْمِذِيُّ، والْخَلْخالِيُّ، وعِمادُ الدِّينِ الْكاشِيُّ[3]، ولم أَقِفْ على تَرْجَمَتِهِمْ، إلَّا أنَّ الْخَلْخالِيَّ هو مُحَمَّدُ بنُ مُظَفَّرٍ الْخَطِيبِيُّ الْخَلْخالِيُّ شَمْسُ الدِّينِ. كان إمامًا في الْعُلومِ

---

(1) ذكر فيه، في مراد ملا.

(2) ذكره صاحب كشف الظنون: 2/ 1762، ضمن شروح المفتاح.

(3) يحيى بن أحمد الكاشي (أو الكاشاني) (ت.بعد 745هـ)

الْعَقْلِيَّةِ والنَّقْلِيَّةِ، وله من التَّصانيفِ الْمَشْهورَةِ: كـ **"شَرْحُ الْمَصابيحِ"**، و**"شَرْحُ الْمُخْتَصَرِ"**، و**"شَرْحُ الْمِفْتاحِ"**، و**"شَرْحُ التَّلْخيصِ"**.

مَاتَ سَنَةَ خَمْسٍ وأَرْبَعينَ وسَبْعِمِئَةٍ[1].

وأَفْضَلُ الشُّروحِ وأعْلاهَا ثَلاثَةٌ: **شَرْحُ الْعَلَّامَةِ قُطْبِ الدِّينِ الشِّيرازِيِّ، وشَرْحُ سَعْدِ الدّينِ التَّفْتازانِيِّ، وشَرْحُ السَّيِّدِ الشَّريفِ الجُرْجانِيِّ**.

أَمَّا الْعَلَّامَةُ قُطْبُ الدِّينِ الشِّيرازِيُّ، فهو مَحْمُودُ بْنُ مَسْعود بنِ مُصْلِحٍ الْفارِسِيُّ، قُطْبُ الدِّينِ الشِّيرازِيُّ الشَّافِعِيُّ الْعَلَّامَةُ.

وُلِدَ بشِيرازَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَلاثينَ وسِتِّمِئَةٍ، وكانَ أبوهُ طَبيبًا، فَقَرَأَ عليه وعلى عَمِّهِ، والزَّكِيِّ الرَّكْشاوِيِّ، والشَّمْسِ الْكُتُبِيِّ[2]، ثم سافَرَ إلى النَّصيرِ الطُّوسِيِّ، فَقَرَأَ عليه وبَرَعَ، ثم دَخَلَ الرُّومَ فَأَكْرَمَهُ صاحِبُها، وَوَلِيَ قَضاءَ سِيواسَ[3] ومَلَطْيَةَ[4]، وقَدِمَ الشَّامَ، ثم سَكَنَ تِبْرِيزَ، وأَقْرَأَ بها الْعُلومَ الْعَقْلِيَّةَ. وحَدَّثَ بـ **"جامِعُ الأُصولِ"** عن الصَّدْرِ الْقُونَوِيِّ، عن يَعْقوبَ الْهَذَبانِيِّ[5]، عن الْمُصَنِّفِ. وكان يَنْظُرُ في **"شَرْحُ السُّنَّةِ"**، لِلْبَغَوِيِّ.

---

(1) بغية الوعاة: 1/ 247.

(2) إبراهيم بن أبي بكر بن عبد العزيز الجزري، الكتبيّ (ت.700هـ) ترجمته في تاريخ البرزالي: 1/ 187، أعيان العصر: 1/ 66.

(3) مدينة سيواس وبالتركية Sivas: تقع بين العاصمة أنقرة ومنطقة كارس.

(4) مَلَطْيَةُ: بفتح أوله وثانيه، وسكون الطاء، وتخفيف الياء، والعامّة تقوله بتشديد الياء وكسر الطاء، هي من بناء الإسكندر، وجامعها من بناء الصحابة، وهي بلدة شرق الأناضول في تركيا. ينظر معجم البلدان: 5/ 192.

(5) الأمير شرف الدّين أبو يوسف يعقوب بن محمد بن الحسن بن عيسى بن درباس الكرديّ الهذباني الأربليّ ثم الموصليّ (ت.645هـ)، ترجمته في: صلة التكملة: 1/ 174، تاريخ الإسلام: 14/ 537.

وَكانَ يُخالِطُ الْمُلوكَ، مُتَحَرِّزًا ظَرِيفًا مَزَّاحًا لا يَحْمِلُ هَمًّا، ولم يُغَيِّرْ زِيَّ الصُّوفِيَّةِ. وكان يُجيدُ لَعِبَ الشَّطْرَنْجِ ويُديمُهُ، ويُتْقِنُ الشَّعْبَذَةَ، ويَضْرِبُ بالرَّبابِ. وكان من بُحورِ الْعِلْمِ، ومن أذْكِياءِ الْعالَمِ، يَخْضَعُ لِلْفُقَهاءِ، ويُلازِمُ الصَّلاةَ في الْجَماعَةِ. وإذا صَنَّفَ كِتابًا صامَ وَلازَمَ السَّهَرَ، وَمُسَوَّدَتُهُ مُبَيَّضَةٌ. وكان يُصاحِبُ الْمُلوكَ، ثم انْقَطَعَ عن أبْوابِ الْأُمَراءِ إلى أن ماتَ.

وله: "شَرْحُ الْمُخْتَصَرِ"، لابْنِ الْحاجِبِ. "شَرْحُ الْمِفْتاحِ"، "شَرْحُ كُلِّياتِ القانونِ"، لابْنِ سِينَا. وله "شَرْحُ حِكْمَةِ الْإِشْراقِ"، وَصَنَّفَ كِتابَ "دُرَّةُ التَّاجِ"، على لِسانِ الْفارِسِيَّةِ، أَدْرَجَ فيه جَميعَ أَقْسامِ الْحِكْمَةِ النَّظَرِيَّةِ والْعَمَلِيَّةِ.

وَصَنَّفَ في الْهَيْئَةِ: "التُّحْفَةُ"، و"نِهايَةُ الْإِدْراكِ". وَغَيْرَ ذَلِكَ. وَمُصَنَّفاتُهُ كَثيرَةٌ، كُلُّهَا في غايَةِ الْحُسْنِ والْإِتْقانِ.

ماتَ في رابِعَ عَشَرَ رَمَضانَ سَنَةَ سِتَّةَ عَشْرَةَ وَسَبْعِمِئَةٍ[1].

وأَمَّا سَعْدُ الدِّينِ التَّفْتَازانِيُّ، فهو مَسْعودُ ابْنُ القاضِي فَخْرِ الدِّينِ عُمَرَ بنِ الْمَوْلى الْأَعْظَمِ بُرْهانِ الدِّينِ عبدِ اللهِ، ابنِ الْإِمامِ الرَّبَّانِيِّ شَمْسِ الْحَقِّ والدِّينِ القارِّي؛ الشَّيْخُ سَعْدُ الدِّينِ التَّفْتَازانِيُّ، الإمامُ الْعَلَّامَةُ، عالِمٌ بالنَّحْوِ والتَّصْريفِ والْمَعاني والْبَيانِ والْأَصْلَيْنِ والْمَنْطِقِ وَغَيْرِها، شافِعِيٌّ.

قال ابن حَجَرٍ: وُلِدَ سنةَ اثْنَتَيْ عَشَرَةَ وسبعمئةٍ، وأَخَذَ عن الْقُطْبِ والْعَضُدِ[2]، وتَقَدَّمَ في الْفُنونِ، واشْتَهَرَ ذِكْرُهُ، وَطارَ صِيتُهُ، وانْتَفَعَ النَّاسُ بِتَصانِيفِهِ.

---

(1) بغية الوعاة: 2/ 282.

(2) يقصد قُطْبَ الدِّينِ محمَّد بن محمَّد الرَّازيّ التَّحتاني (ت.766هـ)، وعضد الدين الإيجي (ت.756هـ).

وله: "**شَرْحُ الْعَضُدِ**"، "**شَرْحُ التَّلْخيصِ**" مُطَوَّلٌ، وآخَرُ مُخْتَصَرٌ؛ "**شَرْحُ الْقِسْمِ الثَّالِثِ مِنَ الْمِفْتاحِ**"، "**التَّلْويحُ في شَرْحِ التَّوْضيحِ**"، في الْأُصولِ؛ "**شَرْحُ الْعَقائِدِ النَّسَفِيَّةِ**"، "**الْمَقاصِدُ**"[1]، و"**شَرْحُهُ**" في الْكَلامِ، "**شَرْحُ الشَّمْسِيَّةِ**" في الْمَنْطِقِ. "**شَرْحُ تَصْريفِ الزَّنْجانِيِّ**"، "**الْإِرْشادُ في النَّحْوِ**"، و"**تَهْذيبُ الْمَنْطِقِ والْكَلامِ**"، "**حاشِيَةُ الْكَشَّافِ**"، لم تَتِمَّ؛ و"**حاشِيَةُ شَرْحِ الْعَضُدِ لِمُخْتَصَرِ ابْنِ الْحاجِبِ**". وغَيْرُ ذلِكَ. وتَصانِيفُهُ كَثيرَةٌ.

وكان في لِسانِهِ لُكْنَةٌ، وانْتَهَتْ إليه مَعْرِفَةُ الْعُلومِ بِالْمَشْرِقِ.

ماتَ بِسَمَرْقَنْدَ سنةَ إحْدى وتِسْعينَ وسَبْعِمِئَةٍ[2].

قُلْتُ: ذَكَرَ مَوْلانا فَتْحُ اللهِ الشَّرْوانِيُّ في أَوائِلِ **شَرْحِهِ لِلْإِرْشادِ**، لِلْفاضِلِ سَعْدِ الدِّينِ التَّفْتازانِيِّ - رَوَّحَ اللهُ رُوحَهُ - وقال: لا بَأْسَ بِذِكْرِ تاريخِ تَأْليفِ **الْإِرْشادِ**، بل سائِرِ مُؤَلَّفاتِ الْمُصَنِّفِ، رَحِمَهُ الله. لقد زُرْتُ مَرْقَدَهُ الْمُقَدَّسَ بِسَرَخْسَ[3]، فَوَجَدْتُ مَكْتوبًا على صُنْدوقِ مَرْقَدِهِ من جانِبِ الْقَدَمِ: **وُلِدَ** عليه الرَّحْمَةُ والرِّضْوانُ، في صَفَرٍ سنَةَ اثْنَتَيْنِ وعِشْرينَ وسَبْعِمِئَةٍ. وفَرَغَ من تَأْليفِ: "**شَرْحُ التَّصْريف لِلزَّنْجانِيِّ**"، حين بَلَغَ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً، في اللَّيْلَةِ الْخامِسَةَ عَشْرَةَ من شَعْبانَ سَنَةَ ثَمانٍ وثَلاثينَ وَسَبْعمِئَةٍ؛ ومن "**شَرْحُ**

---

(1) سمَّاها: "مقاصد الطَّالبين في علم أصول الدين".

(2) بغية الوعاة: 2/ 285.

(3) سَرَخْس: مدينة تاريخية تقع في تركمانستان، ولقد بنت إيران مدينة جديدة بالاسم نفسه قبالتها على الحدود.

تَلْخيصِ الْمِفْتاحِ"، في يَوْمِ الْأَرْبِعاءِ الْحادِي عَشَرَ من صَفَرٍ سَنَةَ ثَمانٍ وأَرْبَعينِ وَسَبْعمئةٍ بِهَراةَ ـ قُلْتُ: وكانَ الِافْتِتاحُ في يَوْمِ الْإِثْنَيْنِ الثَّاني من رَمَضانَ، الْواقِعِ في سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وأَرْبَعينَ وسَبْعِمِئَةٍ بجُرْجانِيَّةِ خُوارَزْمَ ـ ومن **اخْتِصارِهِ**، في سَنَةِ سِتٍّ وخَمْسينَ وسَبْعِمِئَةٍ بغُجْدُوانَ[1]؛ ومن "**شَرْحُ الرِّسالَةِ الشَّمْسِيَّةِ**"، في جُمادى الآخِرَةِ سنَةَ اثْنَتَيْنِ وخَمْسينَ وسَبْعِمِئَةٍ بِمَزارِ جامَ[2]؛ ومن "**شَرْحُ التَّنْقيحِ**"، في ذي الْقَعْدَةِ سَنَةَ ثَمانٍ وخَمْسينَ وسَبْعِمِئَةٍ، بِكُلُسْتانِ[3] تُرْكِسْتانَ؛ ومِنْ "**شَرْحُ الْعَقائِدِ**"، في شَعْبانَ سَنَةَ ثَمانٍ وسِتِّينَ وسَبْعِمِئَةٍ؛ ومن "**شَرْحُ الْمُخْتَصَرِ**" في الأصولِ، في ذي الْحِجَّةِ حِجَّةِ سَبْعينَ وسَبْعِمِئَةٍ؛ ومن "**الرِّسالَةُ الْكَريمَةُ**" ـ "**الْإِرْشادُ**" ـ سَنَةَ ثَمانٍ وسَبْعينَ وسَبْعِمِئَةٍ، كُلِّهَا بِخُوارَزْمَ. ومن "**مَقاصِدُ الْكَلامِ**" وشَرْحِهِ، في ذي الْقَعْدَةِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وثَمانينَ وسَبْعِمِئَةٍ بِسَمَرْقَنْدَ؛ ومن "**تَهْذيبُ الْكَلامِ**"، في رَجَبٍ. ومن **شَرْحِ الْقِسْمِ الثَّالِثِ من مِفْتاحِ الْعُلومِ**، في شَوَّالٍ، كِلَيْهِما في سَنَةَ تِسْعٍ وثَمانينَ وَسَبْعِمِئَةٍ بِظاهِرِ سَمَرْقَنْدَ.

وشَرَعَ في تَأْليفِ "**الْفَتاوَى الْحَنَفِيَّةِ**"، يَوْمَ الْأَحَدِ التَّاسِعِ مِنْ ذي القَعْدَةِ سَنَةَ تِسْعٍ وخَمْسينَ وسَبْعِمِئَةٍ بِهَراةَ. وفي تَأْليفِ "**مِفْتاحُ الْفِقْهِ**"، سَنَةَ اثْنَتَيْنِ

---

(1) غُجْدُوانَ: Gijduvan بضم أوله، وسكون ثانيه، وضم الدال، وآخره نون: من قرى بخارى، تقع في دولة أوزبكستان حاليا.

(2) قبر الشيخ أحمد جامي أو تربة جام، مدينة في إيران قرب مشهد.

(3) كلستان: قرية تقع في محافظة غورانبوي في غرب جمهورية أذربيجان، بالأذرية Gülüstan، اشتهرت تاريخيا بأنها مكان توقيع معاهدة كلستان والتي خرجت بموجبها معظم مناطق غرب بحر قزوين من سلطة إيران بشكل نهائي.

وثَمانينَ وسَبْعِمِئَةٍ. وفي **"شَرْحُ تَلْخيصِ الْجامِعِ"**، سَنَةَ خَمْسٍ وثَمانينَ وسَبْعِمِئَةٍ، كِلَيْهِما بِسَرَخْسَ؛ وفي **"شَرْحُ الْكَشَّافِ"**، في الثَّامِنَ عَشَرَ من رَبيعِ الْآخِرِ سنةَ تِسْعٍ وثَمانينِ وسَبْعِمِئَةٍ، بِظاهِرِ سَمَرْقَنْدَ.

وتُوُفِّيَ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ الثَّانِي والْعِشْرينَ من الْمُحَرَّمِ سنَةَ اثْنَتَيْنِ وتِسْعينَ وسَبْعِمِئَةٍ بِسَمَرْقَنْدَ، ونُقِلَ إلى سَرَخْسَ، ودُفِنَ بها يومَ الْأَرْبِعاءِ التَّاسِعِ من جُمادَى الْأُولَى بهذه السَّنَةِ، رَوَّح اللهُ روحَهُ، وَزادَ في غُرَفِ الْجِنانِ فُتوحَهُ.

وأمَّا السَّيِّدُ الشَّريفُ الْجُرْجانِيُّ، فهو عَلِيُّ بنُ محمدِ بنِ عليٍّ الْحَنَفِيُّ الشَّريفُ الْجُرْجانِيُّ.

قالَ الْعَيْنِيُّ في تارِيخِهِ: عالِمُ بِلادِ الشَّرْقِ، كانَ عَلَّامَةَ دَهْرِهِ، وكانت بَيْنَهُ وبينَ الشَّيْخِ سَعْدِ الدِّينِ مُباحَثاتٌ ومُحاوَراتٌ في مَجْلِسِ تَيْمُورلَنْكَ.

وله تَصانيفُ مُفيدَةٌ منها: **"شَرْحُ الْمَواقِفِ لِلْعَضُدِ"**؛ و**"حَواشِي شَرْحِ الْأَصْفَهانِي لِلتَّجْريدِ لِلنَّصيرِ الطُّوسِيِّ"**؛ ويُقالُ: إنَّ مُصَنَّفاتِهِ زادَتْ على خَمْسينَ مُصَنَّفًا.

ماتَ سَنَةَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ وثَمانمِئَةٍ. هذا ما ذَكَرَهُ الْعَيْنِيُّ.

قال السُّيوطِيُّ: ومِنْ مُصَنَّفاتِهِ: **"شَرْحُ الْقِسْمِ الثَّالِثِ من الْمِفْتاحِ"**، و**"حَاشِيَةُ الْمُطَوَّلِ"**، و**"حاشِيَةُ الْمُخْتَصَرِ"**، و**"حاشِيَةُ الْكَشَّافِ"**، لم تَتِمَّ؛ وله **"رِسالَةٌ في تَحْقيقِ مَعْنى الْحَرْفِ"**[1].

---

(1) بغية الوعاة: 2/ 196-197.

وَأَفادَنِي سَيِّدُنا الْمُؤَرِّخُ شَمْسُ الدِّينِ ابْنُ عَزْمٍ، أنَّ مَوْلِدَ الشَّرِيفِ الْجُرْجانِيِّ بِجُرْجانَ من وِلايَةِ أَسْتَراباذَ، سَنَةَ أَرْبَعِينَ وسَبْعِمِئَةٍ، وأنَّهُ تُوُفِّيَ بِشيرازَ، في سادِسِ رَبيعِ الثَّاني سنَةَ سِتَّ عَشْرَةَ وثَمانِمِئَةٍ.

قُلْتُ: فَمُدَّةُ عُمُرِهِ ـ تَغَمَّدَهُ اللهُ بِغُفْرانِهِ ـ سِتٌّ وسَبْعونَ سَنَةً.

نَقَلَ السُّيوطِيُّ عن شَيْخِهِ مُحَمَّدٍ الْكافِيَجِي أَنَّهُ قالَ: السَّيِّدُ الشَّرِيفُ، وقُطْبُ الدِّينِ الرَّازِيُّ التَّحْتانِيُّ لم يَذوقَا عِلْمَ الْعَرَبِيَّةِ، بل كانا حَكِيمَيْنِ[1].

قُلْتُ: هذا الْكَلامُ خُروجٌ عن الْإنْصافِ، ولا يَلْزَمُ من عَدَمِ انْفِرادِهِما بِعِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ، ومُشارَكَتِهِمَا لِسائِرِ[2] الْعُلومِ عَدَمُ مَعْرِفَتِهِما، فَانْظُرْ بِالْإنْصافِ تَجِدْ في تَصانيفِهِما مَباحِثَ تَتَعَلَّقُ بالْعَرَبِيَّةِ، قد عَجَزَ عنها الْقُدَماءُ مِنْ أَرْبابِ الْعُلومِ الْعَرَبِيَّةِ: [الوافر]

وَعَيْنُ الْبُغْضِ تُبْرِزُ كُلَّ عَيْبٍ ... وَعَيْنُ الْحُبِّ لا تَجِدُ الْعُيوبَا[3]

ومن الْكُتُبِ النَّافِعَةِ في الْعُلومِ الْمَذْكورَةِ:

"تَلْخيصُ الْمِفْتاحِ"، و"الإيضاحُ"، وهو يَجْرِي مَجْرَى الشَّرْحِ لِلتَّلْخيصِ. كِلاهما للشَّيخِ مُحَمَّدِ بنِ عبدِ الرَّحْمنِ بنِ عُمَرَ بنِ أَحْمَدَ بنِ

---

(1) بغية الوعاة: 2/ 281

(2) سائر، في رئيس الكتاب.

(3) ورد بدون نسبة في عدة مصادر؛ منها ثمار القلوب للثعالبي: 327، وهو مأخوذ من قول الشافعي، ونُسِبَ لغيره:

وَعَينُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَليلَةٌ ... وَلَكِنَّ عَيْنَ السُّخطِ تُبْدِي الْمَساوِيَا.

محمدِ بنِ عبدِ الْكَريمِ بنِ الْحَسَنِ بن عليِّ بنِ إبْراهيمَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ بنِ دُلَفَ بنِ أبي دُلَفَ الْعِجْلِيِّ، أبو الْمَعالي قاضِي الْقُضاةِ جَلالِ الدِّينِ الْقَزْوينِيُّ الشَّافِعِيُّ الْعَلَّامَةُ.

قالَ ابْنُ حَجَرٍ: وُلِدَ سَنَةَ سِتِّينَ وسِتِّمِئَةٍ، واشْتَغَلَ وتَفَقَّهَ، حتَّى وَلِيَ قَضاءَ ناحِيَةٍ بِالرُّومِ، وله دُونَ الْعِشرينَ، ثُمَّ قَدِمَ دِمَشْقَ، وَاشْتَغَلَ بِالْفُنونِ، وَأَتْقَنَ الْأُصولَ والْعَرَبِيَّةَ، وَالْمَعانِيَ وَالْبَيانَ، وَأَخَذَ عن الْأَيْكِيِّ[1] وغَيْرِهِ، وسَمِعَ الْحَديثَ مِنَ الْعِزِّ الْفارُوقِيِّ وغَيْرِهِ، وخَرَّجَ له الْبِرْزالِيُّ جُزْءًا حَدَّثَ بِهِ.

وَكانَ فَهِمًا ذَكِيًّا فَصِيحًا مُفَوَّهًا، حَسَنَ الْإيرادِ، جَميلَ الذَّاتِ والْهَيْئَةِ والْمَكارِمِ، جَميلَ الْمُحاضَرَةِ، حَسَنَ الْمُلْتَقَى، جَوادًا، حُلْوَ الْعِبارَةِ، حادَّ الذِّهْنِ، مُنْصِفًا في الْبَحْثِ، مع الذَّكاءِ والذَّوْقِ في الْأَدَبِ وحُسْنِ الْخَطِّ.

وَنابَ عن ابْنِ صَصْرَى، ثُمَّ عَزَلَهُ. ثم وَلِيَ خَطابَةَ جامِعِ دِمَشْقَ، ثم طَلَبَهُ النَّاصِرُ، وقَضَى دَيْنًا كان عليه، وَوَلَّاهُ قاضِيًا بالشَّامِ، ثُمَّ طَلَبَهُ إلى مِصْرَ، وَوَلَّاهُ قَضاءَهَا بعد صَرْفِ ابْنِ جَمَاعَةَ، فَصَرَفَ أَمْوالَ الْأَوْقافِ على الْفُقَراءِ والْمُحْتاجِينَ، وَعَظُمَ أَمْرُهُ جِدًّا، وَكانَ لِلْفُقَراءِ ذُخْرًا وَمَلْجَأً. ثُمَّ أُعيدَ إلى قَضاءِ دِمَشْقَ بِسَبَبِ أَوْلادِهِ، وخُصوصًا ابْنَهُ عَبْدَ اللهِ، فإنَّهُ أَسْرَفَ في اللَّهْوِ والرِّشْوَةِ، فَفَرِحَ به أَهْلُ الشَّامِ، فأقامَ قَليلًا وتَعَلَّلَ وَأَصابَهُ فالِجٌ، فَماتَ منه، وأَسِفُوا عليه كَثيرًا.

---

(1) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الفارسيُّ، الصوفيُّ الأصوليُّ المتكلِّمُ (ت.697هـ)، ترجمته في العِبر في خبر من غبر: 3/ 390، أعيان العصر: 4/ 351، البداية والنهاية: 17/ 706.

وَكانَ مَليحَ الصُّورَةِ، فَصِيحَ الْعِبارَةِ، كَبيرَ الذَّقْنِ، مُوَطَّأَ الْأَكْنافِ، جَمَّ الْفَضيلَةِ، مُحِبَّ الْأَدَبِ يُحاضِرُ به، ويَسْتَحْضِرُ نُكَتَهُ، قَوِيَّ الْخَطِّ. ويُقالُ: إِنَّهُ لم يُوجَدْ لِأَحَدٍ من الْقُضاةِ مَنْزِلَةٌ عند سُلْطانٍ تُرْكِيٍّ نَظيرَ مَنْزِلَتِهِ، وله في ذلك وَقائِعُ.

قُلْتُ: ولا أَعْلَمُهُ نَظَمَ شَيْئًا، مع قُوَّةِ باعِهِ في الْأَدَبِ.

وله مِنَ التَّصانِيفِ: "**تَلْخيصُ الْمِفْتاحِ**"، في الْمَعانِي وَالْبَيانِ. وهو مِنْ أَجَلِّ الْمُخْتَصَراتِ فيه وَأَنْفَعِها لِلنَّاسِ.

قالَ السُّيوطِيُّ: وقَدْ مَلَكْتُهُ بِخَطِّهِ الْحَسَنِ الْمَليحِ، ونَظَمْتُهُ في أَرْجوزَةٍ.

وله: "**إيضاحُ التَّلْخيصِ**"، وَذَلِكَ يَجْرِي مَجْرى الشَّرْحِ له. و"**السُّورُ الْمَرْجانِيُّ مِنْ شِعْرِ الْأَرْجانِيِّ**".

ماتَ في مُنْتَصَفِ جُمادَى الْأُولَى سَنَةَ تِسْعٍ وَثَلاثينَ وَسَبْعِمِئَةٍ[1].

ثُمَّ إِنَّ التَّلْخيصَ عليه شُروحٌ مُفيدَةٌ، منها: "**شَرْحُ الْخَلْخالِيِّ**"، وقد عَرَفْتَهُ؛ و"**شَرْحُ الزَّوْزَنِيِّ**"؛ وشَرْحُ **التَّفْتازانِيِّ الْمُطَوَّلُ والْمُخْتَصَرُ**. وقد عَرَفْتَ تَرْجَمَتَهُما.

وَأَمَّا "الإيضاحُ"، فلم نَعْرِفْ له شَرْحًا غَيْرَ شَرْحِ مَوْلانا جَمالِ الدِّينِ مُحَمَّدِ ابْنِ مُحَمَّدٍ الأَقْسَرائِيِّ[2]، ولم نَعْرِفْ تَرْجَمَتَهُ. وغَيْرَ **شَرْحِ مَوْلانَا حَيْدَرٍ**

(1) الدرر الكامنة: 5/ 250-251، والنقل من بغية الوعاة: 1/ 156-157.

(2) ترجمته في: الشقائق النعمانية: 14؛ وكشف الظنون: 2/ 1900، سلم الوصول: 3/ 250، هدية العارفين: 2/ 165.

الشِّيرازِيِّ ثُمَّ الرُّومِيِّ برهانِ الدِّينِ[1]. كانَ عَلَّامَةً بِالْمَعانِي وَالْبَيانِ وَالْعَرَبِيَّةِ، أَخَذَ عن التَّفْتازانِيِّ. وشَرَحَ الإيضاحَ، لِلْقَزْوِينِيِّ شَرْحًا مَمْزوجًا، وقَدِمَ الرُّومَ، وأَقْرَأَ وأفْتَى على مَذْهَبِ أبي حَنيفَةَ. وَماتَ بَعْدَ الْعِشْرينَ وَثَمانِمِئَةٍ[2].

قالَ السُّيوطِيُّ: أَخَذَ عنه شَيْخُنا مُحْيِي الدِّينِ الْكَافِيَجِي، وذَكَرَهُ لنا هو وغَيْرُهُ[3].

وَمِنْ جُمْلَةِ مَنِ اخْتَصَرَ الْمِفْتاحَ: مَوْلانَا عَضُدُ الدِّينِ سَمَّاهُ بـ "الْفَوائِدُ الْغِياثِيَّةُ". وهو عَبْدُ الرَّحْمنِ بنُ أَحْمَدَ بنِ عبدِ الْغَفَّارِ، الْقاضِي عَضُدُ الدِّينِ الْإِيجِيُّ، الْعَلَّامَةُ الشَّافِعِيُّ، الْمَشْهورُ بِالْعَضُدِ.

قالَ في الدُّرَرِ: كانَ إِمامًا في الْمَعْقولِ، قائِمًا بِالْأُصولِ وَالْمَعانِي وَالْعَرَبِيَّةِ، مُشارِكًا في الْفُنونِ، كَريمَ النَّفْسِ، كَثيرَ الْمالِ جِدًّا، كَثيرَ الْإِنْعامِ على الطَّلَبَةِ.

وُلِدَ بعد السَّبْعِمِئَةِ، وَأَخَذَ عن مَشايِخِ عَصْرِهِ، ولازَمَ الشَّيخَ[4] زَيْنَ الدِّينِ الْهِنْكِيَّ[5] تِلْميذَ الْبَيْضاوِيِّ، وَغَيْرَهُ. وَوَلِيَ قَضاءَ الْمَمالِكِ، وأَنْجَبَ تَلامِذَةً عِظامًا اشْتَهَروا في الْآفاقِ؛ منهم: الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ الْكَرْمانِيُّ، وسَيْفُ الدِّينِ الْأَبْهَرِيُّ، والتَّفْتازانِيُّ، وَالضِّياءُ الْقَرْمِيُّ.

---

(1) أبجد العلوم: 598.

(2) حيدر بن مُحَمَّد بن إبراهيم بن الشِّيرَازِيّ الخوافي برهَان الدين، المعروف بالصدر الهروي، ولد سنة 780 هـ وَتوفي سنة 854 هـ أَرْبَع وَخمسين وَثَمَانمِئَةٍ. كما ذُكِر في: البدور المضية في تراجم الحنفية: 7/ 74.

(3) بغية الوعاة: 1/ 549.

(4) الإمام، في قونية.

(5) كذا ورد في طبقات الشافعية الكبرى: 10/ 46، والدرر الكامنة: 3/ 110، وبغية الوعاة مصدر النقل: 2/ 76، وليس الهيكي ولا الهبكي كما ورد في بعض النسخ الخطية والمطبوع.

وصَنَّفَ: "شَرْحُ مُخْتَصَرِ ابْنِ الْحاجِبِ"، و"الْمَواقِفُ"، و"الْفَوائِدُ الْغِياثِيَّةُ"، في الْمَعانِي والْبَيانِ، و"رِسالَةٌ في الْوَضْعِ".

وجَرَتْ له مِحْنَةٌ مع صاحِبِ كَرْمانَ(1)، فَحَبَسَهُ بالْقَلْعَةِ، ومات مَسْجونًا سَنَةَ سِتٍّ وخَمْسينَ وسَبْعِمِئَةٍ(2).

وَأَوْرَدَ ابْنُ السُّبْكِيِّ في "طَبَقاتُ الشَّافِعِيَّةِ"، ما كَتَبَهُ عَضُدُ الدِّينِ، يُسْتَفْتى به أَهْلُ عَصْرِهِ، فيما وَقَعَ في الْكَشَّافِ في قَوْلِهِ تعالى: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾(3) حيثُ قالَ: ﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾، مُتَعَلِّقٌ ﴿بِسُورَةٍ﴾ صِفَةٌ لها، أي بِسورَةٍ كائِنَةٍ من مِثْلِهِ، والضَّميرُ، لِـ (مَا نَزَّلْنَا) أو لِعَبْدِهِ، ويَجوزُ أن يَتَعَلَّقَ بقولِهِ: ﴿فَأْتُوا﴾، والضَّميرُ لِلْعَبْدِ، حيثُ جَوَّزَ في الْوَجْهِ الْأَوَّلِ كَوْنَ الضَّميرِ لِـ (مَا نَزَّلْنَا) تَصْريحًا، وَحَظَرَهُ في الْوَجْهِ الثَّانِي تَلْويحًا. فَلَيْتَ شِعْري ما الْفَرْقُ بين ﴿فَأْتُوا﴾ بِسورَةٍ كائِنَةٍ مِنْ مِثْلِ (ما نَزَّلْنا)، و﴿فَأْتُوا﴾ من مِثْلِ ما نَزَّلْنَا بِسورَةٍ. وكَتَبَ الْجَوابَ كَثيرٌ من الْفُضَلاءِ، سِيَّمَا فَخْرُ الدِّينِ الْجَارَبَرْدِيُّ، إذْ تَعَرَّضَ عَضُدُ الدِّينِ جَوابَ الْجارَبَرْدِيِّ، ثم رَدَّ جَوابَ عَضُدِ الدِّينِ إبْراهِيمُ وَلَدُ فَخْرِ الدِّينِ الْجارَبَرْدِيِّ، وأطالوا الْكَلامَ فيه، تَرَكْنا ذِكْرَها لِطولِها، ولِعَدَمِ تَعَلُّقِ غَرَضِنا بها(4).

---

(1) كرمان: Kerman اسم مدينة ومحافظة في إيران تقع وسط البلاد.

(2) بغية الوعاة: 2/ 76.

(3) سورة البقرة، الآية: 23.

(4) طبقات الشافعية الكبرى: 10/ 47-48.

وعلى **الْفَوائِدِ الْغِياثِيَّةِ** شُروحٌ كَثيرَةٌ، منها: **"شَرْحُ شَمْسِ الدِّينِ الْكَرْمانِيِّ"**. من تَلامِذَتِهِ، وهو مُحَمَّدُ بنُ يوسُفَ بنِ عَلِيِّ بنِ سَعيدٍ الْكَرْمانِيُّ، ثُمَّ الْبَغْدادِيُّ، شَمْسُ الدِّينِ، صاحِبُ **شَرْحِ الْبُخارِيِّ**، الْإمامُ الْعَلَّامَةُ في الْفِقْهِ والْحَديثِ والتَّفْسيرِ والْأَصْلَيْنِ والْمَعانِي والْعَرَبِيَّةِ.

قالَ ابْنُهُ في ذَيْلِ الْمَسالِكِ[1]: **وُلِدَ** يَوْمَ الْخَميسِ سادِسَ عَشَرَ جُمادَى الآخِرَةِ، سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ وَسَبْعِمِئَةٍ. وقَرَأَ على والِدِهِ بهاءِ الدِّينِ، ثم انْتَقَلَ إلى كَرْمانَ، وأخَذَ عن الْعَضُدِ وغَيْرِهِ، وبَهَرَ وفاقَ أقْرانَهُ، وفَضَلَ غالِبَ أهْلِ زَمانِهِ. ثم دَخَلَ دِمَشْقَ ومِصْرَ، وَقَرَأَ بهما **الْبُخارِيَّ** على ناصِرِ الدِّينِ الْفارِقِيِّ، وسَمِعَ من جَماعَةٍ، وحَجَّ ورَجَعَ إلى بَغْدادَ واسْتَوْطَنَهَا. وكان تامَّ الْخَلْقِ، فيه بَشاشَةٌ وتَواضُعٌ لِلْفُقَراءِ والْعُلَماءِ، غَيْرَ مُكْتَرِثٍ بِأَهْلِ الدُّنْيا ولا مُلْتَفِتٍ[2] إليهم، يَأْتِي إليه السَّلاطِينُ في بَيْتِهِ، ويَسْأَلونَهُ الدُّعاءَ والنَّصيحَةَ.

وله من التَّصانيفِ: **"شَرْحُ الْبُخارِيِّ"**، أَرْبَعُ مُجَلَّداتٍ؛ **"شَرْحُ الْمَواقِفِ"**، **"شَرْحُ مُخْتَصَرِ ابنِ الْحاجِبِ"**، سَمَّاهُ: **"السَّبْعَةُ السَّيَّارَةُ"**، **"شَرْحُ الْفَوائِدِ الْغِياثِيَّةِ"**، في الْمَعانِي والْبَيانِ. و**"شَرْحُ الْجَواهِرِ"**، **"أُنْموذَجُ الْكَشَّافِ"**، **"حاشِيَةٌ على تَفْسيرِ الْبَيْضاوِيِّ"**، وَصَلَ فيها إلى سُورَةِ يوسُفَ؛ **"رِسالَةٌ في مَسْأَلَةِ الْكُحْلِ في الْكافِيَةِ"**.

---

(1) ذيل مسالك الأبصار، لابن الكرماني يحيى بن محمد تقي الدين (ت.833هـ).

(2) يلتفت، في قونية.

ماتَ بُكْرَةَ يَوْمِ الْخَميسِ، سَادِسَ عَشَرَ الْمُحَرَّمِ، سنةَ سِتٍّ وَثَمانينَ وَسَبْعِمِئَةٍ، بِطَرِيقِ الْحَجِّ، فَنُقِلَ إلى بَغْدادَ، ودُفِنَ بِقَبْرٍ أعَدَّهُ لِنَفْسِهِ، بِقُرْبِ الشَّيْخِ أبي إسْحاقَ الشِّيرازِيِّ[1].

ومن شُروحِ الْفَوائِدِ الْغِياثِيَّةِ:

"شَرْحُ ابْنِ السَّيِّدِ الشَّريفِ الْجُرْجانِيِّ"، وهو مُحَمَّدُ بنُ عَلِيٍ الْجُرْجانِيُّ ابنُ السَّيِّدِ الشَّريفِ الْمَشْهورِ صاحِبِ التَّصانِيفِ. قَرَأَ على والِدِهِ وبَرَعَ. وكَمَّلَ حاشِيَةَ أبيهِ على الْمُتَوَسِّطِ، وشَرَحَ الْإِرْشادَ[2] في النَّحْوِ، لِلتَّفْتازانِيِّ[3]؛ و"شَرْحُ الْفَوائِدِ الْغِياثِيَّةِ"، وهو شَرْحٌ مَمْزوجٌ لَطيفٌ في الْغايَةِ، رَأَيْناهُ وَاسْتَفَدْنا منه؛ و"شَرْحُ هِدايَةِ الْحِكْمَةِ"، وهو مَمْزوجٌ أَيْضًا.

وله: "رِسالَةٌ مُخْتَصَرَةٌ في الْمَنْطِقِ"، أَوْرَدَ ما يُحتاجُ إليه، كَتَبَها على أُسْلوبِ رِسالَةِ والِدِهِ في الْمَنْطِقِ، مع زِياداتٍ شَريفَةٍ، لكن كَتَبَها والِدُهُ بِالْفارِسِيَّةِ.

ومن شُروحِ الْفَوائِدِ: "شَرْحُ سَعْدِ الدِّينِ الْحَلالِ"[4]، بالْمُهْمَلَةِ، ولم أَقِفْ على تَرْجَمَتِهِ. وشَرْحٌ آخَرُ مَمْزوجٌ لَطيفٌ في الْغايَةِ، لَكِنْ لم أَعْرِفِ اسْمَ مُصَنِّفِه.

واللهُ أَعْلَمُ.

---

(1) بغية الوعاة: 1/ 279-280.

(2) سماه: الرشاد في شرح الإرشاد، وهو مطبوع.

(3) بغية الوعاة: 1/ 196.

(4) عبد الرَّحْمَنِ بنُ زين الدّين بنِ سعد الدّين الْحَلَالُ. الضوء اللامع: 4/ 162.

ومن الْكُتُبِ الْمُعْتَبَرَةِ في هذه الْفُنونِ:

"**كِتابُ الْوِشاحِ**"[1]، لِلْمَوْلى صَدْرِ الشَّريعَةِ. وسَنَذْكُرُهُ في عِلْمِ الْفِقْهِ أو الْأُصولِ لِأَنَّهُ بهما أَشْهَرُ.

ومَنْ أرادَ الْوُقوفَ في عِلْمِ الْبَلاغَةِ على الْعَجَبِ الْعُجابِ، والتَّبَحُّرِ في هذا البابِ، فَعَلَيْهِ بِكِتابَيْ: "**دَلائِلُ الإعْجازِ**"، و"**أَسْرارُ الْبَلاغَةِ**"، كلاهما من مُؤَلَّفاتِ الشَّيخِ عبدِ القاهِرِ الْجُرْجانِيِّ، لا زالَ من أن يَتَدارَكَهُ اللُّطْفُ السُّبْحانِيُّ.

وقيلَ: إنَّ كِتابَيْهِ في هذه الْفُنونِ، بَحْرانِ تَنْشَعِبُ منهما الْعُيونُ.

واللهُ ولِيُّ التَّوفيقِ.

عِلْمُ الْعَروضِ

وهو عِلْمٌ يُبْحَثُ فيه عن أَحْوالِ الْأَوْزانِ الْمُعْتَبَرَةِ لِلشِّعْرِ، الْعارِضَةِ لِلأَلْفاظِ والتَّراكيبِ الْعَرَبِيَّةِ.

وَمَوْضوعُهُ: الْأَلْفاظُ الْعَرَبِيَّةُ، من حيثُ إنَّها مَعْروضٌ لِلْإيقاعاتِ الْمُعْتَبَرَةِ في الْبُحورِ السِّتَّةَ عَشَرَ عند الْعَرَبِ، على ما وَضَعَهُ واضِعُ هذا الْفَنِّ الْخَليلُ ابنُ أَحْمَدَ. فَعَلَى الْأَوَّلِ يكونُ علمُ الْعَروضِ من فُروعِ الْموسِيقَى؛ وعلى الثَّانِي من فُروعِ عِلْمِ الشِّعْرِ على مَذْهَبِ الْمُتَأَخِّرينَ؛ وإنِ اعْتُبِرَتْ في الْأَشْعارِ الْعَرَبِيَّةِ يكونُ من فُروعِ الْعُلومِ الْأَدَبِيَّةِ، والْمُخْتارُ عندنا هذا.

---

(1) طبع كتاب الوشاح مع شرح عبد الرحمن بن أبي بكر بن العز الحنفي (ت.893هـ) له.

وَغايَتُهُ: الِاحْتِرازُ عن الْخَطَإِ في إيرادِ الْكَلامِ على الْإيقاعاتِ الْمُعْتَبَرَةِ.

وَمَبادِئُهُ: مُقَدِّماتٌ حاصِلَةٌ من تَتَبُّعِ أَشْعارِ الْعَرَبِ[1].

وإنَّما جَعَلوا هذا الْعِلْمَ جُزْءًا من عِلْمِ الْبَلاغَةِ، لأنَّ الْإيقاعَ بِمَنْزِلَةِ الْحُسْنِ الْعَرَضِيِّ، لِتَنْشيطِ السَّامِعينَ، وتَطْريبِهِمْ زِيادَةَ طَرَبٍ، فَيَتَمَكَّنُ الْكَلامُ الْمُعْتَبَرُ هو فيه في النَّفْسِ أَشَدَّ تَمَكُّنٍ، وَتَتَأَثَّرُ منه النَّفْسُ، فَتَقْبَلُها أَشَدَّ قَبولٍ، سِيَّما إذا تَضَمَّنَ تَخْييلًا، سِيَّمَا إذا كان ذلكَ التَّخْييلُ والْوَزْنُ مُناسِبَيْنِ لِطَبْعِ السَّامِعِ وَحالِهِ، كما يَعْرِفُ تلكَ الْمُناسَبَةَ الْمُتَدَرِّبونَ في ذلكَ الْعِلْمِ.

وقَدْ يُقالُ: لمَّا تَوَقَّفَ عِلْمُ الْمَعانِي على تَتَبُّعِ التَّراكيبِ الْعَرَبِيَّةِ، وكانت التَّراكيبُ قِسْمَيْنِ: مَنْظومٌ وَمَنْثورٌ؛ وَتَوَقَّفَ مَعْرِفَةُ الْمَنْظومِ على عِلْمِ الْعَروضِ، جَعَلوهُ من الْعُلومِ الْعَرَبِيَّةِ، لكن يَكونُ حِينَئِذٍ من مَبادِئِ عِلْمِ الْمَعانِي؛ كَالْمُحاضَراتِ والتَّواريخِ، لا قِسْمًا بِرَأْسِهِ من عِلْمِ الْمَعانِي، كما ذَكَرْناهُ أَوَّلًا، لكنَّ الصَّحيحَ أنَّهُ قِسْمٌ بِرَأْسِهِ منه؛ لأَنَّهُ من الْمُحَسِّناتِ الْعَرَضِيَّةِ لِلْكَلامِ كما ذَكَرْناهُ.

واعْلَمْ أنَّ الْعَروضَ يَسْتَغْنِي عنه السَّليمُ الطَّبْعِ، الْمُسْتَكْثِرُ لِأَنْواعِ الشِّعْرِ، ولا يَنْتَفِعُ به الْبَليدُ، ويَحْتاجُ إليه مَنْ عَداهُما وهُمُ الْأَكْثَرونَ. وإنِ اجْتَمَعَ الطَّبْعُ والْكَسْبُ، فَذَلِكَ غايَةُ الْحِذْقِ والْمَهارَةِ.

---

(1) ينظر رسالة في العلوم الشرعية والعربية: 36.

وَاعْلَمْ أَنَّ الشِّعْرَ عند الْحُكَماءِ كَلامٌ مُخَيِّلٌ مَوْزونٌ أو غَيْرُ مَوْزونٍ، وَجَعَلوا مَدارَ الشِّعْرِ على الْمُخَيَّلاتِ الَّتِي تَتَأَثَّرُ منها النَّفْسُ قَبْضًا وَبَسْطًا، حتَّى قيلَ: النَّفْسُ في بابِ الْإِقْدامِ والْإِحْجَامِ أَطْوَعُ على التَّخْيِيلِ مِنَ التَّصْديقِ.

وَعِنْدَ الْمُتَأَخِّرِينَ: كَلامٌ مَوْزونٌ مُقَفًّى، فَاعْتَبَروا الْقافِيَةَ والْوَزْنَ وَتَرَكوا التَّخْيِيلَ.

وَعِنْدَ بَعْضِهِمْ: كَلامٌ مَوْزونٌ عَمْدًا، فَهُمْ تَرَكوا التَّقْفِيَةَ والتَّخْيِيلَ، إِلَّا أَنَّهُمْ اعْتَبَروا الْعَمْدَ، لِيَخْرُجَ ما وَقَعَ في التَّنْزيلِ من الآياتِ الْمَوْزونَةِ عن حَدِّ الشِّعْرِ، إذْ لا عَمْدَ فيها، بِدَليلِ قَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾[1].

لَكِنَّ الْحَقَّ - وَهُوَ الْمُخْتارُ عِنْدِي - اعْتِبارُ الْقُيودِ الْمَذْكورَةِ جَميعًا من التَّخْيِيلِ، وأَلَّا يَصيرَ الْكَلامُ كَتَزْيِينِ الشَّوْهاءِ وَالْوَزْنِ، وأَلَّا يَنْقُصَ لَذَّةَ الطَّبْعِ والتَّقْفِيَةِ، وألا يَنْقُصَ لَذَّةَ السَّمْعِ والْعَمْدِ، وأَلَّا يَلْزَمَ وُجود الشِّعْرِ في الْقُرْآنِ، ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾[2].

فَالشِّعْرُ: كَلامٌ مُخَيِّلٌ، مَوْزونٌ، مُقَفًّى، بِطَريقِ الْعَمْدِ.

والتَّخْيِيلُ: تَأْثِيرُ الْكَلامِ في النَّفْسِ بِالْقَبْضِ أَوِ الْبَسْطِ، أو غَيْرِهِمَا، بِحَسَبِ الْمَعْنَى الْمُرادِ مِنْهُ.

وَالْوَزْنُ: عِبارَةٌ عن هَيْئَةٍ تَتْبَعُ نِظامَ تَرْتِيبِ الْمُتَحَرِّكاتِ والسَّاكِناتِ، وَتَناسُبِهَا في الْعَدَدِ والْمِقْدارِ، بِحَيْثُ تَجِدُ النَّفْسُ عند سَماعِها لَذَّةً مَخْصوصَةً ذَوْقِيَّةً.

---

(1) سورة يس، الآية: 69.

(2) سورة الحاقة، الآية: 41.

وَاعْلَمْ أَنَّ واضِعَ هذا الْفَنِّ الْخَلِيلَ بْنَ أَحْمَدَ تتَبَّعَ أَشْعارَ الْعَرَبِ، وَحَصَرَها في خَمْسَةَ عَشَرَ وَزْنًا، وَسَمَّى كُلًّا منها بَحْرًا، وَاعْتَبَرَ في هذه الْبُحورِ أَرْبَعًا وَثلاثينَ عَروضًا، وَثَلاثَةً وَسِتِّينَ ضَرْبًا، وَذَكَرَ مِنْ عِلَلِ الزِّحافِ ثَلاثًا وَعِشْرينَ عِلَّةً.

قِيلَ: إِنَّما وَضَعَهُ الْخَليلُ بنُ أَحْمَدَ، وَهَذَّبَهُ الْجَوْهَرِيُّ، وَزادَ الْأَخْفَشُ بَحْرًا آخَرَ سَمَّاهُ الْمُتَدارَكَ.

قِيلَ: اسْتَمْسَكَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ بِأَسْتارِ الْكَعْبَةِ، وَسَأَلَ اللهَ تَعالى أَنْ يَرْزُقَهُ عِلْمًا لَمْ يَسْبِقْ إليه أَحَدٌ، فَأَجابَ اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى دَعْوَتَهُ، فَأَعْطاهُ هذا الْعِلْمَ، حَتَّى إِنَّهُ سَمَّاهُ بِاسْمِ الْعَروضِ تَبَرُّكًا وَتَيَمُّنًا، لأنَّ الْعَروضَ من أسْماءِ الْكَعْبَةِ.

رُوِيَ أَنَّ ابْنَ الْمُعْتَزِّ قالَ: كان سَبَبُ اسْتِخْراجِ الْخَلِيلِ هذا الْعِلْمَ، أَنَّهُ مَرَّ بِالْبَصْرَةِ في سِكَّةِ الْقَصَّارِينَ، فَسَمِعَ دَقَّ الكُذِينَقِ بِأَصْواتٍ مُخْتَلِفَةٍ، فَسَمِعَ مِنْ دارٍ دَقْ، ومِنْ أخرَى دَقْ دَقْ، ومن أُخرَى دَقَقْ دَقَقْ، فَأَعْجَبَهُ ذلك، وقال: واللهِ لَأَضَعَنَّ على هذا الْمَعْنى عِلْمًا غامِضًا، فَوَضَعَ الْعَروضَ على حُدودِ الشِّعْرِ.

قُلْتُ: الْكُذِينَقُ، بِضَمِّ الْكافِ، وَكَسْرِ الْمُعْجَمَةِ، وسُكونِ الْمُثَنَّاةِ التَّحْتانِيَّةِ، وَفَتْحِ النُّونِ: شَيْءٌ من جُلودٍ يُدَقُّ به كَالْهاوُنِ.

ومِنَ الْكُتُبِ الْمُخْتَصَرَةِ في عِلْمِ الْعَروضِ:

"**كِتابٌ لِابْنِ مالِكٍ**"، وقد عَرَفْتَ تَرْجَمَتَهُ؛ و"**عَروضُ الْوَرَقَةِ**"، لِلْجَوْهَرِيِّ؛ و"**لامِيَّةُ ابْنِ الْحاجِبِ**"، وقد عَرَفْتَهُمَا. ولِلْأَيْكِي **مُخْتَصَرٌ** بَديعٌ؛ و"**عَروضُ ابْنِ الْقَطَّانِ**"، وهو أبو الْقاسِمِ هِبَةُ اللهِ بنُ الْفَضْلِ بْنِ عبدِ الْعَزيزِ،

الْمَعْروفُ بابْنِ الْقَطَّانِ، الشَّاعِرُ الْبَغْدادِيُّ. سَمِعَ الْحَديثَ من جَماعَةٍ، وسُمِعَ عليه، وكانَ غايَةً في الْخَلاعَةِ وَالْمُجونِ، كَثيرَ الْمِزاحِ والْمُداعَبَةِ والْهِجاءِ، ولم يَسْلَمْ منه أَحَدٌ، لا الْخَليفَةُ ولا غَيْرُهُ. وله في ذَلِكَ نَوادِرُ ووَقائِعُ وَحِكاياتٌ ظَريفَةٌ. وله "**دِيوانُ شِعْرٍ**" أَكْثَرُهُ جَيِّدٌ.

وُلِدَ ضاحِيَ نَهارِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، سابِعِ ذي الْحِجَّةِ، سَنَةَ ثَمانٍ أو سَبْعٍ وَسَبْعينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ. **وَتُوُفِّيَ** يَوْمَ السَّبْتِ الثَّامِنِ والْعِشْرينَ من شَهْرِ رَمَضانَ، سَنَةَ ثَمانٍ وَخَمْسينَ وخَمْسِمِئَةٍ بِبَغْدادَ(1).

و"**لامِيَّةُ صَدْرِ الدِّينِ السَّاوِيِّ**"، وَشَرْحُها لِلْإِمامِ الْقَزْوينِيِّ، و"**شَرْحُ لامِيَّةِ ابْنِ الْحاجِبِ**"، لِجَمالِ الدِّينِ ابْنِ واصِلٍ. و"**شِفاءُ الْعَليلِ في عِلْمِ الْخَليلِ**"، لِأَمينِ الدِّينِ الْمَحَلِّيِّ. وقد مَدَحَهُ سِراجُ الدِّينِ الْوَرَّاقُ في قِطْعَةٍ له يَمْدَحُ بها الْمَحَلِّيَّ وهي هَذِهِ: [الوافر]

جَزاكَ اللهُ عن عِلْمِ الْخَليلِ ... مُجازاةَ الْجَليلِ عن الْخَليلِ(2)
وَكُنَّا قد أَيِسْنا منه حَتَّى ... شَفَيْتَ غَليلَنا بِشِفَا الْعَليلِ

وَالْمَحَلِّيُّ، هو مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ موسى بْنِ عَبْدِ الرَّحْمنِ، أبو بَكْرٍ الْأَنْصارِيُّ، الشَّيْخُ أمينُ الدِّينِ الْمَحَلِّيُّ.

قالَ الذَّهَبِيُّ: أَحَدُ أَئِمَّةِ النَّحْوِ بالْقاهِرَةِ، تَصَدَّرَ لِإِقْرائِهِ، وانْتَفَعَ به النَّاسُ، وله شِعْرٌ حَسَنٌ وتَصانيفُ حَسَنَةٌ، منها: "**أُرْجوزَةٌ في الْعَروضِ**".

---

(1) وفيات الأعيان: 6/ 54.

(2) ينظران في شفاء الغليل في علم الخليل: 34.

ماتَ في ذي الْقَعْدَةِ، سَنَةَ ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ وَسِتِّمِئَةٍ، عن ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ[1].

ومِنَ الْكُتُبِ النَّافِعَةِ:

عَروضُ الْخَطيبِ التِّبْريزِيِّ[2]، وهو يَحْيَى بْنُ عِلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ ابنِ مُحَمَّدِ بنِ موسى بنِ بِسْطامٍ الشَّيْبانِيُّ، أبو زَكَرِيَّا ابْنُ الْخَطيبِ التِّبْرِيزِيُّ.

قال ياقوتٌ: ورُبَّما يُقالُ له الْخَطيبُ، وهو وَهْمٌ.

وَكانَ أَحَدَ الْأَئِمَّةِ في النَّحْوِ واللُّغَةِ والْأَدَبِ، حُجَّةً صَدوقًا ثَبْتًا، هاجَرَ إلى أبي الْعَلاءِ الْمَعَرِّيِّ، وَأَخَذَ عنه، وعن عُبَيْدِ اللهِ الرَّقِّيِّ، والْحَسَنِ بنِ رَجاءِ بنِ الدَّهَّانِ، وابْنِ بُرْهانَ، والْمُفَضَّلِ الْقَصْبانِيِّ، وعَبْدِ الْقاهِرِ الْجُرْجانِيِّ، وغَيْرِهِمْ.

وَسَمِعَ الْحَديثَ، وَكُتُبَ الْأَدَبِ على خَلْقٍ؛ منهم: الْقاضِي أبو الطَّيِّبِ الطَّبَرِيُّ، وأبو الْقاسِمِ التَّنوخِيُّ، والْخَطيبُ الْبَغْدادِيُّ.

وَأَخَذَ عنه الْعِلْمَ مَوْهوبُ الْجَوالِيقِيُّ وغَيْرُهُ، وَرَوَى عنه السِّلَفِيُّ، وأبو الْفَضْلِ ابْنُ ناصِرٍ. وَوَلِيَ تَدْريسَ الْأَدَبِ بِالنِّظامِيَّةِ، وَخِزانَةَ الْكُتُبِ بها.

وَانْتَهَتْ إليه الرِّئاسَةُ في فَنِّهِ، وَشاعَ ذِكْرُهُ في الْأَقْطارِ، وكانَ يُدْمِنُ شُرْبَ الْخَمْرِ، وَيَلْبَسُ الْحَريرَ وَالْعَمائِمَ الْمُذَهَّبَةَ، وكانَ النَّاسُ يَقْرَأونَ عليه تَصانِيفَهُ وهو سَكْرانُ، وكانَ أَكولًا نَهِمًا.

---

(1) بغية الوعاة: 1/ 192.

(2) هو "الْكافِي في الْعَروض والْقَوافِي"، وهو من أشهر كتبه.

صَنَّفَ: "شَرْحُ الْقَصائِدِ الْعَشْرِ"، "تَفْسيرُ الْقُرْآنِ"، و"الإِعْرابُ"[1]، و"شَرْحُ اللُّمَعِ"، و"الْكافِي في الْعَروض والْقَوافِي"، ثَلاثَةَ شُروحٍ على الْحَماسَةِ، "شَرْحُ شِعْرِ الْمُتَنَبِّي، وشِعْرِ أبي تَمَّام"، و"شَرْحُ الدُّرَيْدِيَّةِ"، "شَرْحُ سَقْطِ الزَّنْدِ"، "شَرْحُ الْمُفَضَّلِياتِ"، "تَهْذيبُ الإِصْلاحِ لابْنِ السِّكِّيتِ". وَغَيْرَ ذَلِكَ.

وُلِدَ سَنَةَ إِحْدَى وَعِشْرينَ وأَرْبَعِمِئَةٍ، ماتَ فُجاءَةً في جُمادَى الْأُولَى سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وخَمْسِمِئَةٍ[2].

ومِنَ الْكُتُبِ النَّافِعَةِ الْمُفيدَةِ:

"عَروضُ أَبِي الْجَيْشِ الْأَنصارِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ"، وهو أبو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدٍ. وشَرَحَهُ داودُ الْقَيْصَرِيُّ، الْمُدَرِّسُ بِمَدْرَسَةِ إِزْنيقَ[3]؛ من بِلادِ الرُّومِ. وشَرَحَهُ أَيْضًا إِلْياسُ بنُ إِبْراهِيمَ الرُّومِيُّ؛ سَمَّاهُ: "فَتْحُ النُّقُوضِ في شَرْحِ الْعَروضِ".

ومن الْكُتُبِ النَّافِعَةِ في الْغايَةِ:

الْقَصيدَةُ الْخَزْرَجِيَّةُ[4]، وشَرَحَها ابْنُ داوُدَ الْمَغْرِبِيُّ[5]. وَفِيمَا أَوْرَدَهُ السَّكَّاكِيُّ في "تَكْمِلَةُ مِفْتاحِ الْعُلومِ" كِفايَةٌ في هذا الْعِلْمِ. وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

(1) طبع له "الملخص في إعراب القرآن".

(2) بغية الوعاة: 2/ 338.

(3) إزنيق (İznik) مدينة تركية، تقع بالقرب من مدينة نيقية التاريخية في أقصى شمال غرب الأناضول، وهي تابعة لمحافظة بورصة.

(4) كتب بإزائها في الطرة بنسخة مراد ملا فيها: "صنف المؤلف شرحا لطيفا على المنظومة المذكورة أملاه بعد ابتلائه بالعمى رحمه الله". اللوحة: 72.

(5) لعله أحمد بن علي بن داود البلوي الغرناطي الأندلسي (ت.938هـ)، ينظر: نيل الابتهاج: 138، هدية العارفين: 1/ 140، من هذا الكتاب نسخة خطية محفوظة بالخزانة الملكية بالرباط.

عِلْمُ الْقَوافِي

عِلْمٌ يُبْحَثُ فيه عن تَناسُبِ أَعْجازِ الْبَيْتِ وَعُيوبِها.

وغَرَضُهُ: تَحْصيلُ مَلَكَةِ إيرادِ الْأَبْياتِ، على أعْجازٍ مُتَناسِبَةٍ خالِيَةٍ عن الْعُيوبِ الَّتِي يَنْفِرُ[1] عنها الطَّبْعُ السَّليمُ، على الْوَجْهِ الذي اعْتَبَرَهُ الْعَرَبُ.

وَغايَتُهُ: الِاحْتِرازُ عن الْخَطَإِ فيه.

وَمَبادِئُهُ: مُقَدِّماتٌ حاصِلَةٌ من تَتَبُّعِ أعْجازِ أَشْعارِ الْعَرَبِ.

ومِنَ الْكُتُبِ الْمُخْتَصَرَةِ فيه:

"كِتابُ الْأَيْكِيِّ"[2].

ومِنَ الْمُتَوَسِّطَةِ:

"كِتابٌ لِابْنِ الْقَطَّاعِ"[3]، وهو عَلِيُّ بنُ جَعْفَرِ بْنِ عَلِيٍّ السَّعْدِيُّ، الْمَعْروفُ بابْنِ الْقَطَّاعِ الصِّقِلِّيِّ.

قالَ ياقوتٌ: كانَ إمامَ وَقْتِهِ بِمِصْرَ في عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ وَفُنونِ الْأَدَبِ. قَرَأَ على أبي بَكْرٍ الصِّقِلِّيِّ، وَرَوَى عنه "الصَّحاحُ" لِلْجَوْهَرِيِّ. وكانَ نُقَّادُ الْمِصْرِيِّينَ يَنْسُبونَهُ إلى التَّساهُلِ في الرِّوايَةِ، وذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا قَدِمَ مِصْرَ، سَأَلوهُ عن

---

(1) يتنفر، في رئيس الكتاب وأنطاليا وعاطف أفندي.

(2) ينظر صبح الأعشى: 1/ 542.

(3) يسمى: "الشافي في علم القوافي"، وله كتاب: "العروض البارع بالاختصار الجامع"، طبع بعنوان: "البارع في علم العروض". والنقل من إرشاد القاصد: 121.

"**الصَّحاحُ**"، فَذَكَرَ أَنَّهُ لم يَصِلْ إليهم، ثم لَمَّا رَأى اشْتِغالَهُمْ به، رَكَّبَ لهم إسْنادًا، وَأَخَذَهُ النَّاسُ عنه مُقَلِّدينَ له.

صَنَّفَ: "**الْأَفْعالُ**"، "**أَبْنِيَةُ الْأَسْماءِ**"، "**حَواشي الصَّحاحِ**"، "**تاريخُ صِقِلِّيَّةَ**"، "**الدُّرَّةُ الْخَطيرَةُ في شُعراءِ الْجَزيرَةِ**". وَغَيْرَ ذَلِكَ.

وُلِدَ سنَةَ ثَلاثٍ وثَلاثينَ وأَرْبَعِمِئَةٍ. وَماتَ سَنَةَ خَمْسٍ أو أَرْبَعَ عَشْرَةَ وَخَمْسِمِئَةٍ، ودُفِنَ بِقُرْبِ ضَريحِ الْإِمامِ الشَّافِعِيِّ[1].

ومن الْمَبْسوطَةِ:

كِتابٌ لابْنِ سِيدَه، وكِتابُ "**الْكافِي في عِلْمَيِ الْعَروضِ والْقَوافِي في شَرْحِ الْقَصيدَةِ الْغَرَّاءِ والْخَريدَةِ الْحَسْناءِ**"، لصَدْرِ الدِّينِ السَّاوِيِّ؛ ولِابْنِ عُصْفورٍ كِتابٌ جَمُّ الْفَوائِدِ[2].

وما أوْرَدَهُ السَّكَّاكِيُّ في كِتابِ الْمِفْتاحِ كافٍ فيه. وأَكْثَرُ كُتُبِ الْعَروضِ مُذَيَّلَةٌ بِعِلْمِ الْقَوافِي.

عِلْمُ قَرْضِ الشِّعْرِ

عِلْمٌ باحِثٌ عن أَحْوالِ الْكَلِماتِ الشِّعْرِيَّةِ، لا مِنْ حيثُ الْوَزْنُ والْقافِيَةُ، بل من حيثُ حُسْنُها وقُبْحُها من حيثُ إنَّها شِعْرٌ.

---

(1) النقل من بغية الوعاة: 2/ 153.

(2) إرشاد القاصد: 121.

وَحاصِلُهُ: تتبُّعُ أَحْوالِ خاصَّةٍ بالشِّعْرِ، مِنْ حَيْثُ الْحُسْنُ والْقُبْحُ والْجَوازُ والامْتِناعُ وَأَمْثالُها.

وَغَرَضُهُ: تَحْصيلُ مَلَكَةِ إيرادِ الشِّعْرِ على تلك الْأَحْوالِ الْخاصَّةِ.

وَغايَتُهُ: الِاحْتِرازُ عن الْخَطَإِ في ذلكَ الْإيرادِ.

وَمَبادِئُهُ: مُقَدِّماتٌ حاصِلَةٌ من تتبُّعِ أَشْعارِ الْعَرَبِ[1]، وَاسْتِحْساناتٌ تَقْبَلُهَا الطِّباعُ السَّليمَةُ.

وَرَأَيْتُ كِتابًا مَنْظومًا في هذا الْعِلْمِ، وأنا في عُنْفُوانِ الشَّبابِ، في زَمَنِ اشْتِغالي بِالْعُلومِ الْأَدَبِيَّةِ، لكن لم أَتَذَكَّرِ اسْمَهُ، وَاسْمَ مُصَنِّفِهِ[2] في هذا الْآنِ. واللهُ الْمُسْتَعانُ.

عِلْمُ مَبادِئِ الشِّعْرِ

عِلْمٌ باحِثٌ عن مُقَدِّماتٍ تَخْييلِيَّةٍ، يَحْصُلُ منها التَّرْغِيبُ أو التَّرْهيبُ، وتَخْتَلِفُ تلك بِحَسَبِ قَوْمٍ قَوْمٍ.

وَمَوْضوعُهُ: الشِّعْرُ من حيثُ مُقَدِّماتُهُ الْمُناسِبَةُ من تَتَبُّعِ الْأُمورِ التَّخْييلِيَّةِ.

وَمَبادِئُهُ: تَحْصُلُ من تتبُّعِ أَشْعارِ النَّاسِ بِحَسَبِ قَوْمٍ قَوْمٍ.

وَالْغَرَضُ منه: تَحْصيلُ مَلَكَةِ إيرادِ الْكَلامِ الشِّعْرِيِّ على مَوادَّ مُتَناسِبَةٍ.

---

(1) ينظر رسالة في العلوم الشرعية والعربية: 35.

(2) مؤلفه، في رئيس الكتاب.

وَغايَتُهُ: الاِحْتِرازُ عن الْخَطَإِ فيها[1].

وَكِتابُ الشِّعْرِ مِنْ مَوادِّ الْأَقْيِسَةِ الْمَذْكورَةِ في الْكُتُبِ الْحِكْمِيَّةِ نافِعَةٌ في هذا الْبابِ.

عِلْمُ الْإِنْشاءِ

عِلْمٌ يُبْحَثُ فيه عن الْمَنْثورِ، من حيث إِنَّهُ بَليغٌ وَفَصيحٌ، وَمُشْتَمِلٌ على الْآدابِ الْمُعْتَبَرَةِ عندهم في الْعِباراتِ الْمُسْتَحْسَنَةِ واللَّائِقَةِ بالْمَقامِ.

وَمَوْضوعُهُ وَغَرَضُهُ وَغايَتُهُ ظاهِرَةٌ مما ذُكِرَ.

وَمَبادِئُهُ مَأْخوذَةٌ من تَتَبُّعِ الْخُطَبِ والرَّسائِلِ، بل له اسْتِمْدادٌ من جَميعِ الْعُلومِ، سِيَّمَا الْحِكْمِيَّةِ[2] الْعَمَلِيَّةِ، والْعُلومِ الشَّرْعِيَّةِ، وَسِيَرِ الْكُمَّلِ، وحِكاياتِ الْأُمَمِ، وَوَصايا الْعُقَلاءِ[3]. وغيرِ ذلِكَ من أُمورٍ لا تَتَناهَى.

ومن الْكُتُبِ الْمُصَنَّفَةِ في هذا الْبابِ:

كِتابُ **"الْمَثَلُ السَّائِرُ في أَدَبِ الْكاتِبِ والشَّاعِرِ"**، لأبي الْفَتْحِ ابْنِ الْأَثِيرِ الْجَزَرِيِّ، وهو أبو الْفَتْحِ نَصْرُ الله بْنُ أبي الْكَرَمِ، مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بنِ عبدِ الْكَريمِ بنِ عَبْدِ الْواحِدِ الشَّيْبانِيُّ، الْمَعْروفُ بِابْنِ الْأَثِيرِ الْجَزَرِيِّ، الْمُلَقَّبُ ضِياءَ الدِّينِ.

---

(1) ينظر رسالة في العلوم الشرعية والعربية: 37.

(2) الحكمة، في رئيس الكتاب.

(3) ينظر رسالة في العلوم الشرعية والعربية: 37-38.

كانَ مَوْلِدُهُ بِجَزيرَةِ ابْنِ عُمَرَ، وَنَشَأَ بها، وَانْتَقَلَ مع والِدِهِ إلى الْمَوْصِلِ، وبها اشْتَغَلَ وَحَصَّلَ الْعُلومَ، وَحَفِظَ كِتابَ اللهِ الْكَريمَ، وَكَثيرًا من الْأَحادِيثِ النَّبَوِيَّةِ، وَطَرَفًا صالِحًا من النَّحْوِ واللُّغَةِ وعِلْمِ الْبَيانِ، وشَيْئًا كَثيرًا من الْأَشْعارِ. ثُمَّ قَصَدَ الْمَلِكَ النَّاصِرَ صَلاحَ الدِّينِ، وَأَقامَ عندَهُ مُدَّةً، ثُمَّ طَلَبَهُ وَلَدُهُ الْمَلِكُ الْأَفْضَلُ نورُ الدِّينِ من والِدِهِ، فَاسْتَوْزَرَهُ، وَحَسُنَتْ حالُهُ عِنْدَهُ[1]. وله أَحْوالٌ أُخَرُ فيها طولٌ.

وله من التَّصانيفِ:

"الْمَثَلُ السَّائِرُ في أَدَبِ الْكاتِبِ والشَّاعِرِ"، وهو في مُجَلَّدَيْنِ. جَمَعَ فيه فَأَوْعَبَ، ولم يَتْرُكْ شَيْئًا يَتَعَلَّقُ بِفَنِّ الْكِتابَةِ إلَّا أَوْرَدَهُ.

وُلِدَ في يَوْمِ الْخَميسِ لعِشْرينَ من شَعْبانَ سَنَةَ ثَمانٍ وَخَمْسينَ وَخَمْسِمِئَةٍ، بِجَزيرَةِ ابْنِ عُمَرَ. **وتُوُفِّيَ** في إحْدَى الْجُمادَيْنِ أو في التَّاسِعِ والْعِشْرينَ من ربيعِ الآخِرِ ـ وهو الأَصَحُّ ـ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلاثينَ وسِتِّمِئَةٍ بِبَغْدادَ[2].

وَكانَ له أَخَوانِ:

ـ أَحَدُهُما مَجْدُ الدِّينِ أبو السَّعاداتِ الْمُبارَكُ، صاحِبُ كتابِ **"نِهايَةُ الْحَديثِ والْأَثرِ"**، وقد تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ في عِلْمِ اللُّغَةِ.

---

(1) وفيات الأعيان: 5/ 389.

(2) المصدر نفسه: 5/ 389.

ـ وَالْآخَرُ أبو الْحَسَنِ عَلِيٌّ الْمُلَقَّبُ عِزَّ الدِّينِ، وَسَنَذْكُرُهُ عند ذِكْرِ التَّوارِيخِ لأَنَّهُ صَنَّفَ كِتابَ "الْكامِلُ"، وَهُوَ أَجَلُّ التَّواريخِ وَأَحْسَنُها، وَأَنْفَعُها.

وَكانَ الْإِخْوَةُ الثَّلاثَةُ كُلُّهُمْ فُضَلاءَ نُجَباءَ رُؤَساءَ، أَرْبَابَ التَّصانيفِ الْمَقْبولَةِ، وَقَلَّما يَتَّفِقُ إِخْوَةٌ مِثْلَ هَؤلاءِ.

وَمِنْ كُتُبِ الْإِنْشاءِ:

"**كِتابُ الْمَعانِي الْمُخْتَرَعَةِ في صِناعَةِ الْإِنْشاءِ**"، لِمُوَفَّقِ الدِّينِ[1]. وُلِدَ هو في آخِرِ الْجُمادَيْنِ، أو أَوَّلِ الرَّبِيعَينِ، سَنَةَ تِسْعينَ وخَمْسِمِئَةٍ بِالْمَدائِنِ.

وله: كِتابُ "**الْوَشْيُ الْمَرْقومُ في حَلِّ الْمَنْظومِ**"؛ ومَجْموعٌ اخْتارَ فيه شِعْرَ أَبِي تَمَّامٍ والْبُحْتُرِيِّ والْمُتَنَبِّي وَدِيكِ الْجِنِّ؛ مُجَلَّدٌ كَبيرٌ. وله "**ديوانُ التَّرَسُّلِ**"، في عِدَّةِ مُجَلَّداتٍ[2].

ومن الْعَجَبِ الْعُجابِ في عِلْمِ الْإِنْشاءِ:

"**الْمَقاماتُ**"، لِلْحَريرِيِّ، وقد عَمِلَ على أُسْلوبِها كَثيرٌ من النَّاسِ رَأَيْتُ منها ثَلاثَةً، و"**تَواريخُ الْعُتْبِيِّ**"، وهَذانِ يُمْكِنُ عَدُّهُما من الْمُحاضَراتِ أَيْضًا. و"**قَهْوَةُ الْإِنْشاءِ**"، لأبي بَكْرِ ابْنِ حِجَّةَ أيْضًا.

---

(1) الصحيح أنه لضياء الدين أبي الفتح ابن الأثير (ت.637هـ) وليس لموفق الدين أحمد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن حسين ابن أبي الحديد (ت.656هـ)، المولود بالتاريخ المذكور بالمدائن كما ذُكر في مصادر ترجمته؛ كوفيات الأعيان: 5/ 392، والوافي بالوفيات: 8/ 225، وفوات الوفيات: 1/ 154.

(2) وفيات الأعيان: 5/ 392.

واعْلَمْ أنَّ الْحَرِيرِيَّ هو الْقَاسِمُ بنُ عليِّ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عُثْمانَ الْبَصْرِيُّ، الإمامُ أبو محمدٍ الْحَرِيرِيُّ.

وُلِدَ في حُدودِ سَنَةِ سِتٍّ وأَرْبَعينَ وأَرْبَعِمِئَةٍ، وكانَ غايَةً في الذَّكاءِ والْفِطْنَةِ، والْفَصاحَةِ والْبَلاغَةِ.

وتَصانِيفُهُ تَشْهَدُ بِفَضْلِهِ، وتُقِرُّ بِنُبْلِهِ، وكَفى بِفَضْلِهِ شاهِدًا "**الْمَقاماتُ**" الَّتِي فاقَ بها الْأَوائِلَ، وأَعْجَزَ الْأَواخِرَ.

قالَ الْبَنْدَهِيُّ[1]: كان سَبَبُ وَضْعِها أنَّ أبا زَيْدٍ السَّروجِيَّ وَرَدَ الْبَصْرَةَ، وكانَ شَيْخًا شَحَّاذًا بَليغًا فَصيحًا، فَوَقَفَ في مَسْجِدِ بني حَرامٍ[2]، فَسَلَّمَ، ثم سَأَلَ النَّاسَ، والْمَسْجِدُ غاصٌّ بِالْفُضَلاءِ، فَأَعْجَبَهُمْ فَصاحَتُهُ، وَحُسْنُ صِياغَةِ كَلامِهِ، وَذَكَرَ أَسْرَ الرُّومِ وَلَدَهُ، كما ذَكَرَ في الْمَقامَةِ الْحَرامِيَّةِ.

قالَ الْحَريرِيُّ: فَاجْتَمَعَ عِنْدِي عَشِيَّةَ ذلِكَ الْيَوْمِ فُضَلاءُ، فَحَكَيْتُ لهم ما شاهَدْتُ من ذلِكَ السَّائِلِ، فَحَكَى كُلُّ واحِدٍ منهم، أَنَّهُ سَمِعَ من هذا السَّائِلِ في مَسْجِدِهِ، في مَعْنًى آخَرَ، فَصْلًا أَحْسَنَ مما سَمِعْتُ، وكان يُغَيِّرُ في كلِّ

---

(1) أبو سعيد محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مسعود البندهي، الأديب اللغوي، الفقيه الشافعي، (584هـ). ترجمته في: وفيات الأعيان: 4/ 390 وإنباه الرواة 3/ 166، والوافي بالوفيات: 3/ 233، وبغية الوعاة: 1/ 158.

(2) مسجد بني حرام: أحد مساجد المدينة المنورة التاريخية، صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم أثناء حفر الخندق، يقع المسجد غربي جبل سلع، وعلى يمين القادم من شارع السيح والمتجه إلى منطقة المساجد السبعة. ينظر: المعالم الأثيرة في السنة والسيرة: 253.

مَسْجِدِ زِيَّهُ وشَكْلَهُ، ويُظْهِرُ في فُنونِ الْحِيلَةِ فَضْلَهُ، فتَعَجَّبوا منه، فَأَنْشَأْتُ الْمَقامَةَ الْحَرامِيَّةَ، ثم بَنَيْتُ عليها سائِرَ الْمَقاماتِ، وكانَتْ أَوَّلَ شَيْءٍ صَنَعْتُهُ.

وَذَكَرَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ بَعْدَ هذا الْكَلامِ: أَنَّهُ عَرَضَ الْحَرامِيَّةَ على الْوَزيرِ أَنوشِرْوانَ[1] فَاسْتَحْسَنَها، وأَمَرَهُ أَنْ يُضيفَ إليها ما شاكَلَها، فَأَتَمَّها خَمْسينَ.

وقالَ ياقوتٌ: بَلَغَنِي أَنَّهُ لَمَّا صَنَعَ الْحَرامِيَّةَ، أَصْعَدَ إلى بَغْدادَ، فَدَخَلَ إلى السُّلْطانِ، ومَجْلِسُهُ غاصٌّ بِالْفُضَلاءِ، فَطَلَبوا منه شَيْئًا يَدُلُّ على فَضْلِهِ في الْكِتابَةِ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ قَلَمًا وقال: سَلُوا كلَّ ما يَتَعَلَّقُ بهذا، وَأَشارَ إلى الْقَلَمِ، فَأجابَ كلَّ من سَأَلَهُ شَيْئًا بما اسْتَحْسَنَهُ، حتى بَهَرَهُمْ. فَبَلَغَ الْخَبَرُ الْوَزيرَ أنوشِرْوانَ، فَطَلَبَهُ، فَانْتَهى حَديثُهُما إلى الْمَقامَةِ الْحَرامِيَّةِ، فَأَوْرَدَها إِيَّاهُ، فَاسْتَحْسَنَها جِدًّا، وقالَ: يَنْبَغي لَكَ أن تَزيدَ على هذه، فقال: أَصْنَعُ بِالْبَصْرَةِ إذ يَجْتَمِعُ خاطِري، فَعَمِلَ أَرْبَعينَ مَقامَةً، فَعَرَضَها على الْوَزيرِ.

وقالَ بَعْضُ حُسَّادِهِ: إِنَّها لِرَجُلٍ اسْتَضافَ به، وَماتَ عِنْدَهُ، فَامْتَحَنوهُ بِمَقامَةٍ أُخْرَى يَضَعُها عِنْدَهُمْ، فَجَلَسَ في مَنْزِلِهِ بِبَغْدادَ أَرْبَعينَ لَيْلَةً، فلم يَتَهَيَّأْ له تَرْتيبُ كَلِمَتَيْنِ، مع أَنَّهُ سَوَّدَ كَثيرًا من الْكاغِدِ، فَعادَ إلى الْبَصْرَةِ، وَعَمِلَ عَشْرَ مَقاماتٍ وَأَضافَها إليها، وَأَصْعَدَ إلى بَغْدادَ، فَحينَئِذٍ بانَ فَضْلُهُ، وعَلِموا أَنَّهُ من عَمَلِهِ.

---

(1) شَرَفُ الدّينِ أنوشِرْوَانَ الْقَاشَانِيُّ، وزير المسترشد بالله أبو منصور الفضل بن المستظهر بالله أحمد بن المقتدي بأمر الله العباسي، ينظر: المنتظم: 10/ 77، والبداية والنهاية: 12/ 191.

وَكانَ مَوْلِدُهُ بِبَلَدٍ قَريبٍ من الْبَصْرَةِ يُقالُ لها الْمَشانُ[1].

وكان الْحَريرِيُّ ذَميمًا، مُبْتَلًى بِنَتْفِ لِحْيَتِهِ، فَقِيلَ فيه: [المنسرح]

شَيْخٌ لنا من رَبِيعَةِ الْفَرَسِ يَنْتِفُ عُثْنونَهُ من الْهَوَسِ[2]
أَنْطَقَهُ اللهُ بِالْمَشانِ وقَدْ أَلْجَمَهُ في الْعِراقِ بِالْخَرَسِ

قيلَ: إنَّهُ كَتَبَ سَبْعَمِئَةِ نُسْخَةٍ من الْمَقاماتِ بِخَطِّهِ، وَقُرِئَتْ عليه.

وله أَيْضًا: "دُرَّةُ الْغَوَّاصِ في أَوْهامِ الْخَواصِّ"، و"الْمُلْحَةُ"، وشَرْحُها، و"رَسائِلُهُ"، و"ديوانُ شِعْرِهِ".

ماتَ بِالْبَصْرَةِ في سادِسِ رَجَبٍ سنَةَ سِتَّ عَشْرَةَ وخَمْسِمِئَةٍ[3].

وأَمَّا "تَواريخُ الْعُتْبِيِّ"، فَهُوَ لِأَبِي النَّصْرِ مُحَمدِ بنِ عبد الْجَبَّارِ الْعُتْبِيِّ. ذَكَرَ فيه أَحْوالَ السُّلطانِ مَحمودِ بنِ سُبُكْتِكِينَ، وَحُروبَهُ مع الْأَعْداءِ. وهذا الْكِتابُ عَلَمٌ في الْفَصاحَةِ والْبَلاغَةِ واللَّطافَةِ[4].

(1) المَشَانُ: بالفتح، وآخره نون: هي بليدة قريبة من البصرة كثيرة التمر والرطب والفواكه. معجم البلدان: 5/ 131.

(2) نسبهما ياقوت في معجم الأدباء: 5/ 2204، وابن خلكان في وفيات الأعيان: 4/ 65، لابن جكينا الحريمي البغدادي. وربيعة الفرس هو ابن نزار بن معد بن عدنان.

(3) بغية الوعاة: 2/ 257-259.

(4) كتب بإزاء هذا الخبر في طرة نسخة أنطاليا: يُقرأ فيه كالمقامات بالعراق.

وأَمَّا ابْنُ حِجَّةَ، فهوَ تَقِيُ الدِّينِ أبو بَكْرِ ابْنُ حِجَّةَ، صاحِبُ "شَرْحُ الْبَديعِيَّاتِ"، وغَيْرِ ذَلِكَ من التَّصانِيفِ.

عِلْمُ مَبادِئِ الإِنْشاءِ وأَدَواتِهِ

وهو عِلْمٌ باحِثٌ عمَّا يَحْتاجُ إليه الْمُنْشِئُ من الْخَطِّ والْعَرَبِيَّةِ والْعُلومِ الشَّرْعِيَّةِ والتَّواريخِ، وما يُناسِبُ ذلك.

ومَوْضوعُهُ وغايَتُهُ وغَرَضُهُ ظاهِرٌ لِلْمُتَدَبِّرِ.

ومِنَ الْمُصَنَّفاتِ في هذا الْعِلْمِ، بِحَيْثُ لا يُغادِرُ قَليلًا ولا كَثِيرًا إلَّا أَحْصاهَا[1]، ولا يَدَعُ شَيْئًا من الْمُهِمَّاتِ إلَّا كَشَفَ عنها وَاسْتَقْصاهَا، كِتابُ: "صُبْحُ الأَعْشى في صِناعَةِ الإِنْشا"، لِلشَّيْخِ الإمامِ الْعَلَّامَةِ، جامِعِ أَشْتاتِ الْفُنونِ، أبي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بنِ عَلِيٍّ الْقَلْقَشَنْدِيِّ الشَّافِعِيِّ. وهو كِتَابٌ نافِعٌ في بابِهِ في الْغايَةِ، ولقد طالَعْتُ بَعْضًا منه، وانْتَفَعْتُ به، لكن لم أَقِفْ على تَرْجَمَةِ مُصَنِّفِهِ إلَّا أنَّهُ مِصْرِيُّ الدَّارِ، وَكاتِبُ الإِنْشاءِ بالدِّيارِ الْمِصْرِيَّةِ.

ماتَ في جُمادى الآخِرَةِ سَنَةَ إحْدَى وعِشْرينَ وثَمانِمِئَةٍ عن خَمْسٍ وسِتِّينَ. كذا في تاريخ السَّخاوِيِّ.

---

(1) فيه اقتباس من قوله تعالى من سورة الكهف الآية: 49: ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾.

ومن الْكُتُبِ النَّافِعَةِ الْمُخْتَصَرَةِ في صِناعَةِ الإِنْشاءِ:

كتابُ "مَناظِرُ الإِنْشاءِ"، لِمَحْمودِ الشَّهيرِ بِخَواجَةَ جِهانَ[1]، إلَّا أنه وَقَعَ بالِّلسانِ الْفارِسِيِّ، وصاحِبُهُ من مَشاهِيرِ الدُّنْيا، وكانَ ذا ثَرْوَةٍ ومالٍ عَظيمٍ، وكانَ يَصِلُ إِحْسانُهُ من الْهِنْدِ إلى عُلَماءِ الرُّومِ وفُضَلاءِ الْعَجَمِ.

ويُقالُ: إنَّهُ كانَ وَزيرًا في بِلادِ الْهِنْدِ.

عِلْمُ الْمُحاضَرَةِ

وهو عِلْمٌ يَحْصُلُ منه مَلَكَةُ إيرادِ كَلامٍ لِلْغَيْرِ، مُناسِبٍ لِلْمَقامِ من جِهَةِ مَعانيها الْوَضْعِيَّةِ، أو من جِهَةِ تَرْكِيبِهِ[2] الْخاصِّ.

وَغَرَضُهُ: تَحْصيلُ تلك الْمَلَكَةِ.

وَفائِدَتُهُ: الِاحْتِرازُ عن الْخَطَإِ في تَطْبيقِ كَلامٍ مَنْقولٍ عن الْغَيْرِ، على ما يَقْتَضيهِ مَقامُ التَّخاطُبِ من جِهَةِ مَعانيها الْأَصْلِيَّةِ، ومن جِهَةِ خُصوصِ ذاتِ التَّرْكيبِ نَفْسِهِ[3]. وَالْفَرْقُ بينه وبين عِلْمِ الْمَعاني [أنَّ الْمَعَانِيَ][4] تَطْبيقُ الْمُتَكَلِّمِ كَلامَهُ

(1) كتب بإزائه في طرة بنسخة أنطاليا: محمود بن محمد بن سيح الكيلاني نَوَّرَ اللهُ قَلْبَهُ بِتَجَلِّياتِ الجمال، وجعل صورة مآله مشهودة في البال. (ت.887هـ). من وزراء نظام شاه البهمني. ينظر: الضوء اللامع: 10/ 144، سلم الوصول: 4/ 401، أبجد العلوم: 500.

(2) تركيبها، في رئيس الكتاب.

(3) ومن جهة تركيبه خصوص ذات التركيب نفسه، في عاطف أفندي.

(4) سقطت من قونية.

على مُقْتَضى الْحالِ، وَكلامَ الْغَيْرِ على خَواصَّ لائِقَةٍ بِحالِهِ؛ والْمُحاضَراتُ اسْتِعْمالُ كَلامِ الْبُلَغاءِ أَثْناءَ الْكَلامِ في مَحَلٍّ مُناسِبٍ له على طَريقِ الْحِكايَةِ[1].

وَمَوْضوعُهُ وَغايَتُهُ وَغَرَضُهُ وَمبادِئُهُ ظاهِرَةٌ لِلْمُتَدَبِّرِ.

ومن الْكُتُبِ الْمُصَنَّفَةِ فيه:

"**رَبيعُ الأَبْرارِ**"، لِجارِ اللهِ الْعَلَّامَةِ الزَّمَخْشَرِيِّ، وَسَتَقِفُ على تَرْجَمَتِهِ عند ذِكْرِ "**الْكَشَّافُ**" في التَّفاسيرِ.

و"**فُنونُ الْمُحاضَرَةِ**"، لِلرَّاغِبِ الْأَصْفَهانِيِّ، وهو الْمُفَضَّلُ بنُ مُحَمَّدٍ الْأَصْبَهانِيُّ[2]، أبو القاسِمِ الرَّاغِبُ، صاحِبُ الْمُصَنَّفاتِ. كان في أوائِلِ الْمِئَةِ الْخامِسَةِ.

له: "**مُفْرَداتُ الْقُرْآنِ**"، و"**أفانِينُ الْبَلاغَةِ**"، و"**الْمُحاضَراتُ**"، وله "**تَفْسيرٌ**"، سَمِعْناهُ من بعض الثِّقاتِ، وله: "**تَفْصيلُ النَّشْأَتَيْنِ**". وله: كتاب "**الذَّريعَةُ في أَحْكامِ الشَّريعَةِ**".

والنَّاسُ يَظُنُّونَ أنه مُعْتَزِلِيٌّ، لَكِنْ قالَ السُّيوطِيُّ: رَأَيْتُ بِخَطِّ الشَّيْخِ بَدْرِ الدِّينِ الزَّرْكَشِيِّ، على ظَهْرِ نُسْخَةٍ من "**الْقَواعِدُ الصُّغْرى**"، لابْنِ عَبْدِ السَّلامِ، ما نَصُّهُ: ذَكَرَ الْإِمامُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ في "**تَأْسيسُ التَّقْديسِ**"، في

---

(1) ينظر رسالة في العلوم الشرعية والعربية: 26.

(2) اختلف في تسميته فقيل: الحسين بن محمد بن المفضل. وقيل غير ذلك.

الْأُصولِ، أَنَّ أبا الْقَاسِمِ الرَّاغِبَ مِنْ أَئِمَّةِ السُّنَّةِ، وَقَرَنَهُ بِالْغَزالِيِّ. وَهَذِهِ فائِدَةٌ حَسَنَةٌ فلا عِبْرَةَ بِظُنونِ النَّاسِ[1]، و﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾[2].

ومن كُتُبِ الْمُحاضَراتِ:

"التَّذْكِرَةُ الْحَمْدونِيَّةُ"، وهي لِأَبي الْمَعالي مُحَمَّدِ بنِ أبي سَعْدِ بنِ الْحَسَنِ بنِ محمدِ بنِ عَلِيِّ بنِ حَمْدونَ، الكاتِبِ الْمُلَقَّبِ: كافِي الْكُفاةِ، بهاءِ الدِّينِ الْبَغْدادِيِّ.

كانَ فاضِلًا ذا مَعْرِفَةٍ تامَّةٍ بالْأَدَبِ والْكِتابَةِ، من بَيْتٍ مَشْهورٍ بالرِّئاسَةِ والْفَضْلِ، هو وأبوهُ وأَخَواهُ أبو نَصْرٍ وأبو الْمُظَفَّرِ.

وَسَمِعَ أبو الْمَعالِي مِنْ أبي الْقَاسِمِ إسْماعِيلَ الْفَضْلِ الْجُرْجانِيِّ وغَيْرِهِ.

وَصَنَّفَ كِتابَ "التَّذْكِرَةُ"، وهو من أَحْسَنِ الْمَجاميعِ، يَشْتَمِلُ على التَّاريخِ، والْأَدَبِ، والنَّوادِرِ، والْأَشْعارِ، لم يَجْمَعْ أَحَدٌ من الْمُتَأَخِّرينَ مِثْلَهُ، وهو من الْكُتُبِ الْمُمْتِعَةِ، مَشْهورٌ، كَثيرُ الْوُجودِ بِأيْدي النَّاسِ.

وُلِدَ في رَجَبٍ سَنَةَ خَمْسٍ وَتِسْعينَ وأَرْبَعِمِئَةٍ، وتُوُفِّيَ يَوْمَ الثُّلاثاءِ حادي عَشَرَ ذي الْقَعْدَةِ، سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِئَةٍ، ودُفِنَ يَوْمَ الْأَرْبِعاءِ بِمَقابِرِ قُرَيْشٍ بِبَغْدادَ. وكانَ مَوْتُهُ في الْحَبْسِ[3].

---

(1) بغية الوعاة: 2/ 297.

(2) سورة الحجرات، الآية: 12.

(3) وفيات الأعيان: 4/ 380-382.

ومن كُتُبِ الْمُحاضَراتِ:

"**رَيْحَانَةُ الْأَدَبِ**"، لِابْنِ سَعْدٍ[1]، ولـم أَقِفْ على تَرْجَمَتِهِ.

و"**الْعِقْدُ**"، لِابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ، وهو أبو عَمْرٍو أَحْمَدُ بنُ محمَّدِ بنِ عَبْدِ رَبِّهِ، مولى هِشامِ بنِ عبدِ الرَّحْمنِ بنِ مُعاوِيةَ بنِ هِشامِ بنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بنِ مروانَ ابنِ الْحَكَمِ الْأُمَوِيِّ. كانَ مِنَ الْعُلَماءِ الْمُكْثِرِينَ مِنَ الْمَحْفوظاتِ، والْاطِّلاعِ على أَخْبارِ النَّاسِ، وَصَنَّفَ كِتابَهُ "**الْعِقْدُ**"، وهو مِنَ الْكُتُبِ الْمُمْتِعَةِ، حَوَى مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. وله "**دِيوانُ شِعْرٍ**" جَيِّدٌ، تَشْتَمِلُ أَشْعارُهُ كُلَّ مَعْنًى مَليحٍ، وَكُلَّ لَفْظٍ فَصيحٍ.

وَكانَتْ وِلادَتُهُ في عاشِرِ شَهْرِ رَمَضانَ سَنَةَ سِتٍّ وأَرْبَعينَ ومِئَتَيْنِ. **وتُوُفِّيَ** يَوْمَ الْأَحَدِ ثامِنَ عَشَرَ جُمادى الْأولَى، سَنَةَ ثَمانٍ وعِشْرينَ وثَلاثِمِئَةٍ. وَكانَ قَدْ أَصابَهُ الْفَالِجُ قَبْلَ ذَلِكَ بِأَعْوامٍ[2].

وَمِنْ كُتُبِ الْمُحاضَراتِ:

"**فَصْلُ الْخِطابِ**"[3]، لِلتِّيفاشِيِّ؛ و"**نَثْرُ الدُّرِّ**"، لِلْآبِيِّ[4]؛ و"**الْأَغاني**"، لأبي الْفَرَجِ الْأَصْبَهانِيِّ، وهو عَلِيُّ بنُ الْحُسَيْنِ بنِ محمَّدِ بنِ أَحْمَدَ الْقُرَشِيُّ الْأُمَوِيُّ الْكاتِبُ الْأَصْبَهانِيُّ، صاحِبُ كِتابِ "**الْأَغانِي**".

---

(1) كذا في جميع النسخ، ولعل الصواب ابن سعيد، عَليّ بن مُوسَى بن مُحَمَّد بن عبد الْملك بن سعيد أَبُو الْحسن الأندلسي (ت.610هـ) له كتاب بهذا العنوان ذكره جل من ترجمه ك: الذيل والتكملة: 3/ 347، الوافي بالوفيات: 22/ 253، فوات الوفيات: 3/ 103، نفح الطيب: 2/ 262.

(2) وفيات الأعيان: 1/ 110.

(3) فصل الخطاب في مدارك الحواس الخمس لأولي الألباب، أحمد بن يوسف بن أحمد شرف الدين القيسي التيفاشي (ت.651هـ)

(4) منصور بن الحسين الآبي، الوزير أبو سعد (ت. 421هـ).

وُلِدَ بأصْبَهانَ، وَنَشَأَ بِبَغْدادَ، كان من أعْيانِ أُدَبائِهَا، وعَالِمًا بِأَيام النَّاسِ وَالْأنْساب وَالسِّيَرِ، وَكانَ مِنَ الْمُتَشَيِّعينَ، وَكانَ يَحْفَظُ اللُّغَةَ والنَّحْوَ وَالصَّرْفَ والسِّيَرَ والْمَغازِيَ والشِّعْرَ والْأَغانِيَ، وَكانَ يَعْرِفُ مِنْ آلَةِ الْمُنادَمَةِ شَيْئًا كَثيرًا؛ مِثْلَ عِلْمِ الْجَوارِحِ وَالْبَيْطَرَةِ، وَالطِّبِّ وَالنُّجومِ. وَشِعْرُهُ يَجْمَعُ إتْقانَ الْعُلَماءِ، وإِحْسانَ الظُّرَفاءِ.

وله الْمُصَنَّفاتُ الْمُسْتَمْلَحَةُ؛ منها: كِتابُ **"الأَغانِي"**، الَّذِي وَقَعَ الِاتِّفاقُ على أنَّهُ لم يُعْمَلْ في بابِهِ مِثْلُهُ. يُقالُ: جَمَعَهُ في خَمْسِينَ سَنَةً، وَحَمَلَهُ إلى سَيْفِ الدَّوْلَةِ، فَأَعْطاهُ أَلْفَ دِينارٍ، واعْتَذَرَ إليهِ.

وَحُكِيَ عن الصَّاحِبِ بنِ عَبَّادٍ، أَنَّهُ كان في أَسْفارِهِ وتَنَقُّلاتِهِ، يَسْتَصْحِبُ حِمْلَ ثَلاثينَ جَمَلًا من الْكُتُبِ، فلمَّا وَصَلَ إليه كِتابُ **"الأَغانِي"** اسْتَغْنى به عنها.

وَمِنْ مُصَنَّفاتِهِ:

كِتابُ **"جَمْهَرَةُ النَّسَبِ"**، وَ**"كِتابُ الغِلْمانِ الْمُغَنِّينَ"**، وَكِتابُ **"الإِماءُ الشَّواعِرُ"**. وَغَيْرِ ذلِكَ. وَأَشْعارُهُ كَثيرَةٌ، ومَآثِرُهُ شَهيرَةٌ.

وُلِدَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَمانِينَ ومِئَتَيْنِ. وفي هذه السَّنَةِ ماتَ الْبُحْتُرِيُّ الشَّاعِرُ.

وَتُوُفِّيَ في يَوْمِ الْأَرْبَعاءِ رابِعِ عِشَرَ ذي الْحِجَّةِ، سَنَةَ سِتٍّ وخَمْسِينَ وثَلاثِمِئَةٍ بِبَغْدادَ، وَقيلَ: سَنَةَ سَبْعٍ وخَمْسِينَ، والْأَوَّلُ أَصَحُّ[1].

---

(1) وفيات الأعيان: 3/ 307-309.

ومن كُتُبِ الْمُحاضَراتِ:

"السُّكُرْدَانُ"[1]، لِابْنِ أبي حَجَلَةَ؛ وهو أَحْمَدُ بنُ يَحْيى بنِ أبي بَكْرِ بنِ عبدِ الواحِدِ التِّلِمْسانِيُّ، الْمَعْروفُ بِابْنِ أبي حَجَلَةَ، نَزيلُ دِمَشْقَ، ثُمَّ الْقاهِرَةِ، شِهابُ الدِّينِ أبو الْعَبَّاسِ.

وُلِدَ بِزاوِيَةِ جَدِّهِ بِتِلِمْسانَ سَنَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَسَبْعِمِئَةٍ، وَاشْتَغَلَ، ثُمَّ قَدِمَ إلى الْحَجِّ فلم يَرْجِعْ. وَمَهَرَ في الْأَدَبِ، وَنَظَمَ الْكَثيرَ، وَنَثَرَ فَأَجادَ، وتَرَسَّلَ فَفاقَ، وَعَمِلَ الْمَقاماتِ وغيرها. وَكانَ حَنَفِيَّ الْمَذْهَبِ، حَنْبَلِيَّ الْمُعْتَقَدِ. وَكانَ كَثيرَ الْحَطِّ على الِاتِّحادِيَةِ.

وَصَنَّفَ كِتابًا عارَضَ به قَصائِدَ ابْنِ الْفارِضِ، كُلُّها نَبَوِيَّةٌ. وَكانَ يَحُطُّ عليه لِكَوْنِهِ لم يَمْدَحِ النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، ويَحُطُّ على نِحْلَتِهِ ويَرْميهِ وَمَنْ يَقولُ بِمَقالَتِهِ بِالْعَظائِمِ. وقد امْتُحِنَ بِسَبَبِ ذلك على يَدِ السِّراجِ الْهِنْدِيِّ[2].

وَكانَ يَقولُ الشِّعْرَ مع أَنَّهُ لا يُحْسِنُ الْعَروضَ. وَكانَ كَثيرَ الْعِشْرَةِ لِلظَّلَمَةِ ومُدْمِنِي الْخَمْرِ. وكانَ جَدُّهُ من الصَّالِحينَ. وسُمِّيَ بأَبِي حَجَلَةَ، لأَنَّ حَجَلَةً أَتَتْ إليه وَباضَتْ على كُمِّهِ. وَكانَ كَثيرَ النَّوادِرِ والنُّكَتِ ومَكارِمِ الْأَخْلاقِ.

وَجَمَعَ مَجاميعَ حَسَنَةً منها: **"دِيوانُ الصَّبابَةِ"**، و**"مَنْطِقُ الطَّيْرِ"**، و**"السَّجْعُ الْجَليلُ فيما جَرَى من النِّيلِ"**، و**"السُّكُرْدانُ"**، و**"الْأَدَبُ الْغَضُّ"**،

---

(1) يقصد كتاب سُكُرْدانِ السُّلطان، وهو مطبوع، ضبطناها وفق أصلها الفارسي، وإذا عُرِّبت تضبط: سُكُرُّدان.

(2) سراج الدين أبو حفص عمر بن إسحاق بن أحمد الهندي (ت.773هـ).

و"أَطْيَبُ الطِّيبِ"، و"مَواصيلُ الْمَقاطيعِ"، و"النِّعْمَةُ الشَّامِلَةُ في الْعِشْرَةِ الْكَامِلَةِ"، و"حاطِبُ لَيْلٍ"، عَمِلَهُ كـ "التَّذْكِرَة" في مُجَلَّداتٍ كَثيرَةٍ. و"نَحْرُ أَعْداءِ الْبَحْرِ"[1]، و"عُنْوانُ السَّعادَةِ ودَليلُ الْمَوْتِ على الشَّهادَةِ"، و"قَصيراتُ الْحِجالِ".

ماتَ في مُسْتَهَلِّ ذي الْحِجَّةِ، سنةَ سِتٍّ وسَبْعِينَ وسَبْعِمِئَةٍ، وله إِحْدَى وخَمْسونَ سَنَةً[2].

ومن كُتُبِ الْمُحاضَراتِ:

"حَياةُ الْحَيَوانِ"، لِكَمالِ الدِّينِ الدَّمِيرِيِّ، ولها كُبْرَى وصُغْرَى. وهو كَمالُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بنُ موسى الدَّمِيرِيُّ الشَّافِعِيُّ الْمِصْرِيُّ، صاحِبُ التَّصانِيفِ الْمُفيدَةِ في عُلومٍ عَديدَةٍ. كانَ كَثيرَ الْعِبادَةِ، قائِمًا لِلصَّوْمِ، عَديمَ النَّظيرِ في وَقْتِهِ. وكان يَكْتَسِبُ أَوَّلًا بِالْخِياطَةِ ثم تَرَكَهُ. ولم يَتَقَلَّدِ الْقَضاءَ أَصْلًا، ولا لَبِسَ ثِيابًا فاخِرَةً تَواضُعًا، وما رُئِيَ راكِبًا قَطُّ.

أَخَذَ عن الْإِسْنَوِيِّ والْعِراقِيِّ وأَعْيانِ الْعُلَماءِ. ومن تَأَمَّلَ كِتابَهُ الْمَذْكورَ وما أَوْدَعَهُ فيه من الْغَرائِبِ والْفَوائِدِ والْعُلومِ الْمُفيدَةِ عَرَفَ فَضْلَهُ.

وُلِدَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعينَ وسَبْعِمِئَةٍ. وَتُوُفِّيَ بِالْقاهِرَةِ سَنَةَ ثَمانٍ وَثَمانِمِئَةٍ.

---

(1) بحر، في رئيس الكتاب ومراد ملا وعاطف أفندي.

(2) الدرر الكامنة: 1/ 391.

قُلْتُ: الدَّميرِيُّ، منهم من يَقولُ بِكَسْرِ الْمُهْمَلَةِ وكَسْرِ الْميمِ، ومنهم من يَقولُ بِضَمٍّ الْأَوَّلِ وفَتْحِ الثَّانِي على زِنَةِ التَّصْغيرِ، ومنهم من يَقولُ بِفَتْحِ الدَّالِ وكَسْرِ الْميمِ. ولَعَلَّ الصَّوابَ هو الْأَخيرُ، لأنِّي وَجَدْتُهُ مَضْبوطًا كذلك بِخَطٍّ بعضِ الثِّقاتِ.

قُلْتُ: وَبَعْدَ مُدَّةٍ رَأَيْتُ في كِتابِ "**الْجَواهِرُ الْمُضيَّةُ في الطَّبَقاتِ الْحَنَفِيَّةِ**"، في كِتابِ الْأَنْسابِ الذي أَوْرَدَهُ ذَيْلًا لِلْكِتابِ، ما صورَتُهُ الدَّمِيرِيُّ بِفَتْحِ الدَّالِ وكَسْرِ الْمِيمِ وَسُكونِ الْيَاءِ الْمُثَنَّاةِ من تَحْتِها وفي آخِرِها راءٌ، قَرْيَةٌ بِمِصْرَ. هذا ما ذَكَرَهُ، والله أَعْلَمُ.

ومن كُتُبِ الْمُحاضَراتِ:

"**مُؤْنِسُ الْوَحيدِ**"، لِلثَّعالِبِيِّ، صاحِبِ كتابِ "**يَتيمَةُ الدَّهْرِ في مَحاسِنِ أَهْلِ الْعَصْرِ**"، وهو أَكْبَرُ كُتُبِهِ وأَحْسَنُهَا وأَجْمَعُهَا. والثَّعالِبِيُّ، هو أبو مَنْصورٍ عبدُ الْمَلِكِ بنُ محمَّدِ بنِ إِسْماعيلَ الثَّعالِبِيُّ النَّيْسابورِيُّ، والثَّعالِبِيُّ نِسْبَةً إلى خِياطَةِ جُلودِ الثَّعالِبِ.

ولَه: كتابُ "فِقْهُ اللُّغَةِ"، و"سِحْرُ الْبَلاغَةِ ونَشْرُ الْبَراعَةِ"(1). **و"مَنْ غابَ عنه الْمُطْرِبُ"**.

قال ابنُ بَسَّامٍ صاحِبُ "الذَّخيرَةُ" في حَقِّهِ: كان في وَقْتِهِ رَاعِيَ تَلَعَاتِ الْعِلْمِ، وجامِعَ أَشْتاتِ النَّثْرِ والنَّظْمِ، رَأْسَ الْمُؤَلِّفينَ في زَمانِهِ، وإِمامَ

---

(1) سحر البلاغة وسر البراعة وهو مطبوع.

الْمُصَنِّفينَ بِحُكْمِ قِرانِهِ، سارَ ذِكْرُهُ مَسيرَ الْمَثَلِ، وضُرِبَتْ إليه آباطُ الْإِبلِ، وطَلَعَتْ دَواوينُهُ في الْمَشارِقِ والْمَغارِبِ، طُلوعُ النَّجْمِ في الْغَياهِبِ[1].

وُلِدَ سَنَةَ خَمْسِينَ وَثَلاثِمِئَةٍ. وَتُوُفِّيَ سنةَ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ[2].

ومن لَطائِفِ كُتُبِ الْمُحاضَراتِ:

"مُحاضَرَةُ الْأَبْرارِ وَمُسامَرَةُ الْأَخْيارِ"، لِلشَّيْخِ الْإمامِ الْعالِمِ الرَّبَّانِيِّ، والْبَحْرِ الصَّمَدانِيِّ، مُرْشِدِ السَّالِكينَ، ومُنْقِذِ الْهالِكينَ، الشَّيْخِ أبي عَبْدِ اللهِ محيي الدِّينِ مُحَمَّدِ بنِ عليِّ بنِ محمَّدِ بنِ الْعَرَبِيِّ، الْحاتِمِيِّ الطَّائِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ، قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ الْعَزيزَ. كانَ جَليلَ الشَّأْنِ، نَسيجَ وَحْدِهِ في الْعِرْفانِ.

وله الْمُصَنَّفاتُ الْوافِرَةُ، والْمُؤَلَّفاتُ الزَّاخِرَةُ. وتَصانِيفُهُ لا تُحْصَى، ومنها:

"الْفُتوحاتُ الْمَكِّيَّةُ"، التي ضَمَّنَ فيها غَرائِبَ الْمَعارِفِ الْكَشْفِيَّةِ والذَّوْقِيَّةِ.

تُوُفِّيَ سَنَةَ ثَمانٍ وَثلاثِينَ وَسِتِّمِئَةٍ. ومَوْلِدُهُ في رَمَضانَ سَنَةَ سِتِّينَ وخَمْسِمِئَةٍ بِمُرْسِيَةَ.

وعنه أَخَذَ الشَّيْخُ شَرَفُ الدِّينِ ابْنُ الْفَارِضِ، وسَتَعْرِفُهُ، والشَّيْخُ صَدْرُ الدِّينِ الْقُونَوِيُّ، وسَنَذْكُرُهُ إنْ شاءَ الله تعالى.

قال الْجَزَرِيُّ: قَرَأَ الْقِراءاتِ بالْأَنْدَلُسِ، رَوَى عن الْمَشايِخِ، ورَوَى عنه الْمَشايِخُ. تُوُفِّيَ بِدِمَشْقَ، ودُفِنَ بالصَّالِحِيَّةِ بِتُرْبَةِ بني الذَّكِيِّ، وقَبْرُهُ بها ظاهِرٌ يُزارُ.

---

(1) الذخيرة لابن بسام: 8/ 560.

(2) وفيات الأعيان: 3/ 178-180.

ومن كُتُبِ الْمُحاضَراتِ:

"**سُلْوانُ الْمُطاعِ في عُدْوانِ الأَتْباعِ**"، لِابْنِ ظَفَرٍ، وهو أبو عَبْدِ اللهِ محمَّدُ بنُ أبي محمَّدِ بنِ ظَفَرِ الصِّقِلِيُّ، الْمَنْعوتُ بِحُجَّةِ الدِّينِ، أَحَدُ الْأُدَباءِ الْفُضَلاءِ، صاحِبُ التَّصانِيفِ الْمُمْتِعَةِ، منها: "**سُلْوانُ الْمُطاعِ في عُدْوانِ الأَتْباعِ**"، صَنَّفَهُ لبعضِ الْأُمَراءِ بِصِقِلِّيَةَ. "**خَيْرُ الْبِشَرِ بِخَيْرِ الْبَشَرِ**"، وتَفْسيرٌ كَبيرٌ اسْمُهُ: "**الْيَنْبوعُ**"، و"**نُجَباءُ الأَبْناءِ**"، و"**حاشِيَةُ دُرَّةِ الْغَوَّاصِ لِلْحَريرِيِّ**"، و"**شَرْحُ الْمَقاماتِ لِلْحَريرِيِّ**"، وهو اثْنانِ صَغيرٌ وكَبيرٌ، وَغَيْرُ ذَلِكَ.

وَكانَ قَصيرَ الْقامَةِ، ذَميمَ الْخِلْقَةِ، غيرَ صَبيحِ الْوَجْهِ. وله شِعْرٌ. وكانت نَشْأَتُهُ بِمَكَّةَ. ومَوْلِدُهُ بِصِقِلِّيَةَ، وتَنَقَّلَ في الْبِلادَ، وسَكَنَ آخِرَ الْوَقْتِ بِمَدينَةِ حَماةَ، وتوفي بها سنةَ خَمْسٍ وسِتِّينَ وَخَمْسِمِئَةٍ. ولم يَزَلْ يُكابِدُ الْفَقْرَ إلى أن ماتَ.

قِيلَ: زَوَّجَ ابْنَتَهُ في حَماةَ بِغَيْرِ كُفْءٍ من الْحاجَةِ وَالضَّرورَةِ، وأنَّ الزَّوْجَ رَحَلَ بها من حَماةَ، وباعَها في بعض الْبِلادِ[1].

وَمِنْ كُتُبِ الْمُحاضَراتِ:

كِتابُ "**الْمُحاضَراتُ والْمُناظَراتُ**"، وكتابُ "**الْإِمْتاعُ والْمُؤانَسَةُ**"، كِلاهُما لأبي حَيَّانَ التَّوْحِيدِيِّ، وهو عَلِيُّ بنُ محمَّدِ بنِ الْعَبَّاسِ، أبو حَيَّانَ التَّوْحيدِيُّ، نِسْبَةً إلى نَوْعٍ من التَّمْرِ يُسَمَّى التَّوْحيدَ.

---

(1) وفيات الأعيان: 4/ 395-396.

قال ابْنُ حَجَرٍ: يُحْتَمَلُ أنْ يُنْسَبَ إلى التَّوْحيدِ الَّذي هو الدِّينُ، فَإِنَّ الْمُعْتَزِلَةَ يُسَمُّونَ أَنْفُسَهُمْ أَهْلَ الْعَدْلِ والتَّوْحيدِ.

شِيرازِيُّ الأَصْلِ، وقِيلَ: نَيْسَابورِيٌّ.

كانَ مُتَفَنِّنًا في جَميعِ الْعُلومِ، من النَّحْوِ واللُّغَةِ والشِّعْرِ والْأَدَبِ والْفِقْهِ والْكَلامِ، مُعْتَزِلِيًّا، يَسْلُكُ مَسْلَكَ الْجاحِظِ، شَيْخَ الصُّوفِيَّةِ، فَيْلَسوفَ الْأُدَباءِ، أَديبَ الْفَلاسِفَةِ، إمامَ الْبُلَغاءِ، لكن كان سَخيفَ اللِّسانِ، قَليلَ الرِّضَى عند الْإِساءَةِ إليه والْإِحْسانِ، فَرْدَ الدُّنْيا الَّذِي لا نَظيرَ له ذَكاءً وَفِطْنَةً وفَصاحَةً، واسِعَ الرِّوايَةِ والدِّرايَةِ، يَتَشَكَّى من زَمانِهِ، وَيَبْكِي في تَصانِيفِهِ على حِرْمانِهِ. أَقامَ بِبَغْدادَ مُدَّةً، ومَضَى إلى الرَّيِّ، وصَحِبَ أبا الْفَضْلِ ابنَ الْعَميدِ، والصَّاحِبَ بْنَ عَبَّادٍ، فلم يَحْمَدْهُما، وصَنَّفَ في مَثالِبِهِمَا كِتابًا[1].

وَصَنَّفَ: **"الرَّدُّ على ابْنِ جِنِّي في شِعْرِ الْمُتَنَبِّي"**، **"الْمُحاضَراتُ والْمُناظَراتُ"**، **"الْإِمْتاعُ والْمُؤانَسَةُ"**، **"الْحَنِينُ إلى الْأَوْطانِ"**، **"تَعْرِيضُ الْجاحِظِ"**، **"الْبَصائِرُ"**. وَغَيْرَ ذَلِكَ.

وَأَحْرَقَ كُتُبَهُ في آخِرِ عُمُرِهِ لِقِلَّةِ جَدْواها، وَضَنًّا بها على من لا يَعْرِفُ مِقْدارَها، وما وُجِدَ من تَصانِيفِهِ كُتِبَتْ عنه في حَياتِهِ.

قال ياقوتٌ: وكانَ يَتَأَلَّهُ، والنَّاسُ على ثِقَةٍ من دِينِهِ.

وقالَ ابْنُ النَّجَّارِ: كانَ صَحيحَ الْعَقيدَةِ.

---

(1) بغية الوعاة: 2/ 190.

وقال الذَّهَبِيُّ: كانَ سَيِّءَ الْعَقِيدَةِ، كَذَّابًا، قَلِيلَ الدِّينِ وَالْوَرَعِ عن الْقَذْفِ والْمُجاهَرَةِ بِالْبُهْتانِ، والْقَدْحِ في الشَّريعَةِ.

وقال ابْنُ الْجَوْزِيُّ: زَنادِقَةُ الإِسْلامِ ثَلاثَةٌ: ابْنُ الرَّاوَنْدِيِّ، والتَّوْحِيدِيُّ، وأبو الْعَلاءِ الْمَعَرِّيُّ، وَشَرُّهُمْ على الإِسْلامِ التَّوْحِيدِيُّ، لِأَنَّهُما صَرَّحَا، وهو مُجَمْجِمٌ[1] ولم يُصَرِّحْ.

مات في حُدودِ الثَّمانينَ والثَّلاثِمِئَةِ[2].

وكُتُبُ الْمُحاضَراتِ كَثيرَةٌ مِثْلَ:

"نُزْهَةُ الأَصْحابِ في مُعاشَرَةِ الأَحْبابِ"[3]، و**"رَوْنَقُ الْمَجالِسِ"**[4]، و**"أَنيسُ الْمُحاضَرَةِ"**[5]، و**"الرَّوْضُ الْخَصيبُ ومُؤْنِسُ الْحَبيبِ"**[6]، و**"نَظْمُ**

---

(1) جَمْجَمَ الرَّجُلُ وتَجَمْجَمَ إذا لَمْ يُبَيِّنْ كَلَامَهُ. اللسان: جمم.

(2) بغية الوعاة: 2/ 190-191.

(3) كتاب "نُزْهَةُ الأَصْحابِ في مُعاشَرَةِ الأَحْبابِ"، للسموأل بن يحيى بن عباس المغربي (ت.نحو 570هـ).

(4) كتاب "رونق المجالس"، لأبي حفص عمر بن حسن النيسابوري (ت. بعد 840هـ).

(5) كتاب "أنس المحاضرة بما يستحسن في المذاكرة"، لعبد العزيز بن محمد بن إبراهيم ابن جماعة الكناني (ت.764هـ).

(6) نقله منه صاحب كشف الظنون: 1/ 918 ولم يشر هو أيضا إلى مؤلفه.

السُّلوكِ في مُسامَرَةِ الْمُلوكِ"[1]، و"نَشْوانُ الْمُحاضَراتِ"[2]، و"عَجائِبُ الْغَرائِبِ"[3]، و"تَرْويحُ الأَرْواحِ"[4]. وَغَيْرِ ذَلِكَ مما يَطولُ تَعْدادُها.

عِلْمُ الدَّواوينِ

واعْلَمْ أَنَّ الْكَلامَ إمَّا مَنْثورٌ، أو مَنْظومٌ. ولمَّا كانتِ الْمُحاضَرَةُ تَقَعُ بالْمَنْظومِ كما تَقَعُ بِالْمَنْثورِ، دَوَّنوا الدَّواوينَ الْمُشْتَمِلَةَ بِالْقَصائِدِ والْمَقاطِيعِ، والْأَراجِيزِ والْمَجامِيعِ.

وَمَوْضوعُهُ وغايَتُهُ وغَرَضُهُ وَمَنْفَعَتُهُ ظاهِرَةٌ مما تَقَدَّمَ.

ولا يَخْفَى أَنَّ أَفْضَلَ الشُّعَراءِ شَرَفًا وفَضْلًا، وَأَوْلاهُمْ بالتَّقْدِيمِ، هو حَسَّانُ ابنُ ثابِتٍ، لِفَضيلَتِهِ بِشَرَفِ صُحْبَةِ النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ، وَشَرَفِهِ بِمَدِحِهِ صلَّى الله عليه وسَلَّمَ. وهو حَسَّانُ بنُ ثابِتِ بنِ الْمُنْذِرِ بنِ حَرامٍ الْخَزْرَجِيُّ، شاعِرُ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسَلَّمَ، الْمُنافِحُ عنه، والْمُناضِلُ الْمُؤَيَّدُ بِروحِ

---

(1) كتاب "نظم السلوك في مسامرة الملوك"، لإبراهيم بن القاسم الكاتب المشهور بالرقيق القيرواني (ت.383هـ).

(2) كذا ورد في كل النسخ الخطية "نشوان"، ولعله يقصد كتاب "نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة"، للقاضي المحسن بن علي التَّنوخي (ت.384هـ). وقد وقف محقق هذا الكتاب على نسخة بعنوان "نشوان المحاضرة"، لسبط ابن الجوزي (ت.654هـ). ولابن النجار كتاب بعنوان: "نشوار المحاضرة"، وهو في حكم المفقود.

(3) لعله يقصد كتاب "عجائب الغرائب وغرائب العجائب"، لحمزة بن عبد الله بن محمد الناشري اليمني (ت.926هـ).

(4) "ترويح الأرواح ومفتاح السرور والأفراح"، لأحمد بن محمد بن علوية السِّجْزي المعروف بجراب الدولة (ت. في حدود 300هـ).

الْقُدُسِ، يُكْنَى أبا عَبْدِ الرَّحْمنِ، أو أبا الْوَلِيدِ، وبأبي الْحُسامِ أيضًا، لِمُناضَلَتِهِ عن رَسولِ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّمَ، الْغَازِي به أَعْراضَ الْمُشْرِكينَ.

عاشَ مِئَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً؛ سِتِّينَ في الْجاهِلِيَّةِ، وَسِتِّينَ في الْإِسْلامِ، وكذا أَبُوهُ وَجَدُّهُ وأبو جَدِّهِ، لا يُعْرَفُ في الْعَرَبِ أَرْبَعَةٌ مِنْ صُلْبٍ واحِدٍ اتَّفَقَتْ مُدَّةُ عُمُرِهِمْ غَيْرُهُمْ.

كانَ شُجاعَ اللِّسانِ، جَبانَ الْجَنانِ، لم يَكُنْ مِمَّنْ يَشْهَدُ الْوَغَى، ولا يَهْتَزُّ إلى اللِّقَا، وَكانَ يُرْفَعُ إلى الْآجامِ مع النِّساءِ والصِّبْيانِ[1].

قالَتْ عائِشَةُ رَضِيَ الله عنها: «كانَ رَسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ يَضَعُ لِحَسانَ مِنْبَرًا في الْمَسْجِدِ، يَقومُ عليه قائِمًا، يُفاخِرُ عن رَسولِ الله صلَّى الله عليه وسَلَّمَ، ويَقولُ رَسولُ الله صلَّى الله عليه وسَلَّمَ: إنَّ اللهَ تَعالَى يُؤَيِّدُ حَسَّانَ بِروحِ الْقُدُسِ ما نافَحَ أو فاخَرَعن رَسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ»[2].

ومن دِيوانِ الْعَرَبِ:

"نِهايَةُ الْأَرَبِ في أَشْعارِ الْعَرَبِ"، يَشْتَمِلُ على أَلْفِ قَصيدَةٍ مُخْتارَةٍ.

ومنها: "الْحَماسَةُ"، اخْتِيارُ أبي تَمَّامٍ الطَّائِيِّ، وهو حَبيبُ بنُ أَوْسٍ، الشَّاعِرُ الْمَشْهورُ. كانَ واحِدَ عَصْرِهِ في دِيباجَةِ لَفْظِهِ، وصِناعَةِ[3] شِعْرِهِ، وحُسْنِ أسْلوبِهِ.

(1) معرفة الصحابة لأبي نعيم: 2/ 845.

(2) مسند أحمد: 40/ 495، سنن أبي دواد: 4/ 304، سنن الترمذي: 4/ 528، المستدرك للحاكم: 3/ 554.

(3) ونصاعة، في رئيس الكتاب وعاطف أفندي.

وله: كِتابُ "**الْحَماسَةِ**"، التي دَلَّتْ على غَزارَةِ فَضْلِهِ، وإتْقانِ مَعْرِفَتِهِ. وله مَجْموعٌ آخَرُ سَمَّاهُ: "**فُحولُ الشُّعَراءِ**"، جَمَعَ فيه بين طائِفَةٍ كَثيرَةٍ من شُعَراءِ الْجاهِلِيَّةِ والْمُخَضْرَمينَ والْإِسْلامِيِّينَ. و"**كِتابُ الِاخْتِياراتِ من شِعْرِ الشُّعَراءِ**".

وكانَ له من الْمَحْفوظاتِ ما لا يَلْحَقُهُ فيه غَيْرُهُ. قيل: إنَّهُ كانَ يَحْفَظُ أَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْفِ أُرْجوزَةٍ لِلْعَرَبِ، غيرَ الْقَصائِدِ والْمَقاطِيعِ. ومَدَحَ الْخُلَفاءَ، وأَخَذَ جَوائِزَهُمْ، وجابَ الْبِلادَ، وقَصَدَ الْبَصْرَةَ.

قالَتِ الْعُلَماءُ: خَرَجَتْ من قَبيلَةِ طَيِّءٍ ثَلاثَةٌ، كُلُّ واحِدٍ مُهِمٌّ مُجِيدٌ في بابِهِ، حاتِمٌ في جُودِهِ، وَداودُ الطَّائِيُّ في زُهْدِهِ، وأبو تَمَّامٍ الطَّائِيُّ في شِعْرِهِ[1].

وُلِدَ سَنَةَ تِسْعينَ، أو اثْنَتَيْنِ وتِسْعِينَ، أو اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ، أو ثَمانٍ وثَمانِينَ وَمِئَةٍ. وتُوُفِّيَ بالْمَوْصِلِ سنَةَ إحْدَى وثَلاثينَ وَمِئَتَيْنَ. وَقيلَ: تُوُفِّيَ في ذي الْقَعْدَةِ، أو جُمادى الأولَى سَنَةَ ثَمانٍ أو تِسْعٍ وعِشْرينَ وَمِئَتَيْنِ. وَقِيلَ: في الْمُحَرَّمِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وثَلاثينَ ومِئَتَيْنِ.

وَوُضِعَ بإِزائِها "**الْحَماسَةُ الْبَصْرِيَّةُ**".

وَمِنَ الدَّواوينِ:

"**الذَّخِيرَةُ**"، لابْنِ بَسَّامٍ، وهو أبو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مَنْصورِ بْنِ بَسَّامٍ، الْمَعْروفُ بِالْبَسَّامِيِّ، الشَّاعِرُ الْمَشْهورُ. كانَتْ أُمُّهُ أُمامَةُ ابْنَةَ حَمْدونَ النَّديمِ. كانَ مِنْ أَعْيانِ الشُّعَراءِ، وَمَحاسِنِ الظُّرَفاءِ، لَسِنًا

---

(1) الوافي بالوفيات: 11/ 226.

مَطْبوعًا في الْهِجاءِ، لم يَسْلَمْ منه أمِيرٌ ولا وَزيرٌ، ولا صَغيرٌ ولا كَبيرٌ، وهَجا أباهُ وإخْوَتَهُ وسائِرَ أَهْلِ بَيْتِهِ.

تُوُفِّيَ في صَفَرٍ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ أو ثَلاثٍ وثَلاثِمِئَةٍ، عن نَيِّفٍ وسَبْعِينَ سَنَةً[1].

ومن الدَّواوينِ:

"ديوانُ أبي الْعَلاءِ الْمَعَرِّيِّ"، وهو أَحْمَدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ سُلَيْمانَ بنِ داودَ التَّنوخِيُّ، أبو الْعَلاءِ الْمَعَرِّيُّ، من مَعَرَّةِ النُّعْمانِ من الشَّامِ. كان غَزيرَ الْفَضْلِ، شائِعَ الذِّكْرِ، وافِرَ الْعِلْمِ، غايَةً في الْفَهْمِ، عالِمًا باللُّغَةِ، حاذِقًا بالنَّحْوِ، جَيِّدَ الشِّعْرِ، جَزْلَ الْكَلامِ، شُهْرَتُهُ تُغْنِي عن صِفَتِهِ.

وُلِدَ يَوْمَ الجمعة عند الْغُروبِ، لِثَلاثٍ بَقِينَ مِنْ رَبيعِ الْأَوَّلِ، سَنَةَ ثَلاثٍ وسِتِّينَ وثَلاثِمِئَةٍ، وَجُدِرَ مِنَ السَّنَةِ الثَّالِثَةِ مِنْ عُمُرِهِ فَعَمِيَ منه. وَكانَ يَقولُ: لا أَعْرِفُ مِنَ الْأَلْوانِ إِلَّا الْأَحْمَرَ، لِأَنِّي أُلْبِسْتُ في الْجُدَرِيِّ ثَوْبًا مَصْبوغًا بِالْعُصْفُرِ.

وقال الشِّعْرَ وهو ابْنُ إحْدَى أو اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً، وَأَخَذَ النَّحْوَ واللُّغَةَ عن أبيهِ، ومُحَمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ سَعْدٍ النَّحْوِيِّ بِحَلَبَ، وحَدَّثَ عن أبيهِ وجَدِّهِ. وهو من بَيْتِ عِلْمٍ ورِئاسَةٍ.

وكان مُتَّهَمًا في دينِهِ، يَرَى رَأْيَ الْبَراهِمَةِ، لا يَرَى أَكْلَ اللَّحْمِ، ولا يُؤْمِنُ بالْبَعْثِ والنُّشورِ وبَعْثِ الرُّسُلِ. وشِعْرُهُ الْمُتَضَمِّنُ لِلْإِلْحادِ كَثيرٌ.

---

(1) وفيات الأعيان: 3/ 363.

قال ابْنُ الْعَديمِ في كِتابِهِ "دَفْعُ التَّجَرِّي على أبي الْعَلاءِ الْمَعَرِّيِّ": كان يَرْميهِ أهْلُ الْحَسَدِ بالتَّعْطيلِ، ويَعْملونَ على لِسانِهِ الْأَشْعارَ، ويُضَمِّنونَها أَقاويلَ الْمَلاحِدَةِ قَصْدَ الْهَلاكَةِ. وقد نَقَلَ عنه أشْعارًا تَتَضَمَّنُ صِحَّةَ عَقيدَتِهِ، وَكَذَّبَ ما يُنْسَبُ إليه.

وقال الذَّهَبِيُّ: إنَّهُ مُلْحِدٌ، وحَكَمَ بِزَنْدَقَتِهِ.

وقال السِّلَفِيُّ: أَظُنُّهُ تابَ وأنابَ.

وله من التَّصانِيفِ: "شَرْحُ شِعْرِ الْمُتَنبِّي"، "شَرْحُ شِعْرِ الْبُحْتُرِيِّ"، "شَرْحُ شِعْرِ أبي تَمَّامٍ"، "سَقْطُ الزَّنْدِ"، من نَظْمِهِ. **"لُزومُ ما لا يَلْزَمُ"**. وَغَيْرُ ذَلِكَ.

ماتَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ، ثالِثَ أو ثانِي أو ثالِثَ عَشَرَ رَبيعِ الأوَّلِ، سنَةَ تِسْعٍ وأَرْبَعينَ وأرْبَعِمِئَةٍ[1].

ومن الدَّواوينِ:

"ديوانُ أبي الطَّيِّبِ الْمُتَنبِّي"، وهو أَحْمَدُ بنُ الْحُسَيْنِ بنِ الْحَسَنِ بنِ عبد الصَّمَدِ الْجُعْفِيُّ الْكِنْدِيُّ الْكُوفِيُّ، الْمَعْروفُ بالْمُتَنَبِّي، الشَّاعِرُ الْمَشْهورُ. وقيل: أحْمَدُ بنُ الْحُسَيْنِ بنِ مُرَّةَ بنِ عبدِ الْجَبَّارِ. هو من أَهْلِ الْكُوفَةِ، قَدِمَ الشَّامَ في صِباهُ، وجالَ في أَقْطارِهِ، واشْتَغَلَ بفُنونِ الْأَدَبِ ومَهَرَ فيها. وكانَ من الْمُكْثِرِينَ من نَقْلِ اللُّغَةِ، والْمُطَّلِعينَ على غَرِيبِهَا وَحُوشِيِّها[2]. وكانَ

(1) بغية الوعاة: 1/ 316-317.

(2) ووحشيها، في قونية.

شِعْرُهُ في الْغايَةِ والنِّهايَةِ من الْفَصاحَةِ والْبَلاغَةِ والْحِكْمَةِ وسائِرِ الْمَحاسِنِ، بحيث لا حاجَةَ إلى مَدْحِهِ.

والنَّاسُ في شِعْرِهِ على اخْتِلافٍ، منهم من يُرَجِّحُهُ على أبي تَمَّامٍ ومن بَعْدَهُ؛ ومنهم من يُرَجِّحُ أبا تَمامٍ عليه.

واعْتَنى الْعُلَماءُ بِشَرْحِ ديوانِهِ، حتى قال بَعْضُهُمْ: وَقَفْتُ له على أكْثَرَ من أرْبَعينَ شَرْحًا ما بين مُطَوَّلٍ ومُخْتَصَرٍ. وكان رَجُلًا مَسْعودًا، وَرُزِقَ السَّعادَةَ في شِعْرِهِ.

وإنَّما قيلَ له الْمُتَنَبِّي، لأَنَّهُ ادَّعى النُّبُوَّةَ حتى حُبِسَ، ثم تابَ وأُطْلِقَ. وقيل: لِقَوْلِهِ أنا أوَّلُ من تَنَبَّأَ بالشِّعْرِ. وَقِيلَ: لِقَوْلِهِ: [الخفيف]

أَنـا فِـي أُمَّـةٍ تَـدارَكَـهـا الـلَّـ ـــهُ غَريبٌ كَصالِحٍ في ثَمودِ[1]

وَلَمَّا رَجَعَ مِنْ بَغدادَ إلى الْكوفَةِ، عَرَضَ له فاتِكُ بْنُ أبي الْجَهْلِ الْأَسَدِيُّ في جَماعَةٍ مِنْ أَصْحابِهِ، وَكانَ مع الْمُتَنَبِّي أَيْضًا جَماعَةٌ مِنْ أَصْحابِهِ، فَقاتَلوهُمْ، فَقُتِلَ الْمُتَنَبِّي وابْنُهُ مُحَسَّدٌ وغُلَامُهُ مُفْلِحٌ، في مَوْضِعٍ يُقالُ له الصَّافِيَةُ[2].

وقيلَ: إنَّهُ لمَّا رَأى الْغَلَبَةَ فَرَّ، قال له غُلامُهُ: لا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ عنك بالْفِرارِ، وأنْتَ الْقائِلُ: [البسيط]

الْخَيْـلُ واللَّيْـلُ والْبَيْـداءُ تَعْرِفُنِي والْحَرْبُ والضَّرْبُ والْقِرْطاسُ والْقَلَمُ[3]

---

(1) شرح ديوان المتنبي للعكبري: 1/ 324، وهو في يتيمة الدهر: 1/ 142، ووفيات الأعيان: 1/ 401.

(2) الصَّافية: بليدة كانت قرب دير قنا في أواخر النهروان قرب النُّعمانية، كانت مشرفة على دجلة. معجم البلدان: 3/ 389.

(3) شرح ديوان المتنبي للعكبري: 3/ 369، وفيه: والضرب والطعن.

فَكَرَّ رَاجِعًا حتى قُتِلَ، وَكانَ سَبَبَ قَتْلِهِ هذا الْبَيْتُ، وذلك يَوْمَ الْأَرْبعاءِ، لِستٍّ أو لِثَلاثٍ بَقِينَ، أو لِلَيْلَتَيْنِ بَقِيَتا مِنْ رَمَضانَ، سَنَةَ أَرْبَعٍ وخَمْسينَ وثلاثِمِئَةٍ؛ وَقِيلَ: يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ لِثَمانٍ بَقِينَ من رَمضانَ، أو يَوْمَ الإِثْنَيْنِ لِخَمْسٍ بَقِينَ مِنْ رَمَضانَ، أو يَوْمَ الْأَرْبعاءِ، لِلَيْلَتَيْنِ بَقِيَتَا مِنْهُ. ومَوْلِدُهُ في سَنَةِ ثَلاثٍ وَثَلاثِمِئَةٍ بِمَحَلَّةِ كِنْدَةَ في الْكوفَةِ. واللهُ أَعْلَمُ(1).

وَمِنَ الدَّواوينِ:

"ديوانُ الْبُحْتُرِيِّ"، وهو أبو عُبادَةَ وَليدُ بنُ عُبَيْدِ بنِ يَحْيى الطَّائِيُّ الْبُحْتُرِيُّ؛ الشاعِرُ الْمَشْهورُ. مَدَحَ كَثيرًا من الْخُلَفاءِ، أَوَّلُهُمْ الْمُتَوَكِّلُ على الله، وكَثيرًا من الْأَكابِرِ والرُّؤَساءِ. وَأَقامَ ببغدادَ زَمانًا، ثم عادَ إلى الشَّامِ. وشَبَّبَ في أَشْعارِهِ بِعَلْوَةَ بِنْتِ زُرَيْقَةَ، وَزُرَيْقَةَ أُمِّهَا.

وَكانَ يَقولُ: كانَ الشُّعَراءُ يَعْرِضونَ أَشْعارَهُمْ على أبي تَمَّامٍ، فَلَمَّا عَرَضْتُ عليه شِعْرِي، أَقْبَلَ عَلَيَّ، وتَرَكَ سائِرَ النَّاسِ، فلمَّا تَفَرَّقوا قال لي: أَنْتَ أَشْعَرُ من أَنْشَدَنِي، فكيفَ حالُكَ؟ فَشَكَوْتُ خَلَّةً، فَكَتَبَ إلى أَهْلِ مَعَرَّةِ النُّعْمانِ، وشَهِدَ لي بِالْحِذْقِ، فَأَكْرَموني بِكِتابِهِ، وَوَظَّفوا لي أَرْبَعَةَ آلافِ دِرْهَمٍ، فَكانَتْ أَوَّلَ مالٍ أَصَبْتُهُ.

وَكانَ يُقالُ لِشِعْرِ الْبُحْتُرِيِّ: سَلاسِلُ الذَّهَبِ، وهو في الطَّبَقَةِ الْعُلْيَا.

---

(1) وفيات الأعيان: 1/ 120-125.

وقيلَ له: أَنْتَ أَشْعَرُ أم أبو تَمَّامٍ؟ قال: جَيِّدُهُ خيرٌ من جَيِّدي، وَرَدِيئي خَيْرٌ من رَدِيئِهِ.

وَقِيلَ لِلْمَعَرِّيِّ: أَيُّ الثَّلَاثَةِ أَشْعَرُ أبو تَمَّامٍ أمِ الْبُحْتُرِيُّ أم الْمُتَنَبِّي؟ فقالَ: حَكيمانِ والشَّاعِرُ الْبُحْتُرِيُّ. وشِعْرُ الْبُحْتُرِيِّ سائِرٌ، وَديوانُهُ مَوْجودٌ، فلا حاجَةَ إلى الْإِكْثارِ في مَدْحِ شِعْرِهِ.

وَجَمَعَ شِعْرَهُ على الْحُروفِ أبو بَكْرٍ الصُّوليُّ، وعلى الْأَنْواعِ عَلِيُّ بنُ حَمْزَةَ.

ولِلْبُحْتُرِيِّ كِتابُ الْحَماسَةِ على مِثالِ حَماسَةِ أَبِي تَمَّامٍ. وله كِتابُ "مَعانِي الشِّعْرِ".

وُلِدَ سَنَةَ سِتٍّ، أو سَبْعٍ، أو خَمْسٍ، أو اثْنَتَيْنِ، أو إحْدَى ومِئَتَيْنِ، أو مِئَتَيْنِ. وَتُوُفِّيَ سَنَةَ أَرْبَعٍ، أو خَمْسٍ، أو ثَلاثٍ وَثَمانِينَ ومئتيْنِ، والأَوَّلُ أصَحُّ. وكان مَوْتُهُ بمَنْبِجَ[1] أو بِحَلَبَ، وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ[2].

ومن الدَّواوينِ:

"ديوانُ جَريرٍ"، وهو أبو حَزْرَةَ بالْحاءِ الْمُهْمَلَةِ والرَّاءِ الْمُهْمَلَةِ ثم الْمَنْقوطَةِ، جَريرُ بنُ عَطِيَّةَ الْخَطَفِيُّ، واسْمُهُ حُذَيْفَةُ التَّميمِيُّ، الشَّاعِرُ

---

(1) مَنْبِجُ: بالفتح ثم السكون، وباء موحدة مكسورة، وجيم، مدينة شمال شرق محافظة حلب في شمال سوريا.

(2) وفيات الأعيان: 6/ 21-31.

الْمَشْهورُ. كان من فُحولِ شُعَراءِ الْإِسْلامِ، وكانَتْ بَيْنَهُ وبين الْفَرَزْدَقِ مُهاجَاةٌ ونَقائِضُ، وهو أَشْعَرُ مِنَ الْفَرَزْدَقِ عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ بهذا الشَّأْنِ.

وأَجْمَعَتِ الْعُلَماءُ على أَنَّهُ لَيْسَ في شُعَراءِ الْإِسْلامِ مِثْلُ ثَلاثَةٍ: جَريرٍ والْفَرَزْدَقِ والْأَخْطَلِ.

ويُقالُ: إنَّ بُيوتَ الشِّعْرِ أَرْبَعَةٌ: فَخْرٌ ومَديحٌ ونَسيبٌ وهِجاءٌ، وفي الْأَرْبَعَةِ فاقَ جَريرٌ على غَيْرِهِ.

حَكَى أبو عُبَيْدَةَ أَنَّ أُمَّ جَريرٍ رَأَتْ في نَوْمِها - وهي حامِلٌ به - كَأَنَّها وَلَدَتْ حَبْلًا من شَعْرٍ أَسْوَد، فَجَعَلَ يَنْزو، فَيَقَعُ في عُنُقِ هذا وهذا، حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ بِرِجالٍ كَثيرَةٍ، فَأَوَّلوا الرُّؤْيا بِأَنَّها تَلِدُ غُلامًا شاعِرًا ذا شَرٍّ وشِدَّةِ شَكيمَةٍ وبَلاءٍ على النَّاسِ. فلما وَلَدَتْهُ سَمَّتْهُ جَريرًا باسْمِ الْحَبْلِ. والْجَريرُ: الْحَبْلُ.

ويُلَقَّبُ جَريرٌ بابْنِ الْمَراغَةِ، وهذا لَقَبٌ لِأُمِّهِ، هَجاهُ به الْأَخْطَلُ، ونَسَبَها إلى أَنَّ الرِّجالَ يَتَمَرَّغونَ عليها.

ولمَّا ماتَ الْفَرَزْدَقُ وبَلَغَ خَبَرُهُ جَريرًا بَكى وقالَ: أَمَا واللهِ إنِّي لَأَعْلَمُ أنِّي قَليلُ الْبَقاءِ بَعْدَهُ، وَلَقَدْ كانَ نَجْمُنا واحِدًا، وقَلَّمَا ماتَ ضِدٌّ أو صَديقٌ إلَّا تَبِعَهُ صاحِبُهُ. وَكَذَلِكَ كانَ.

تُوُفِّيَ في سَنَةِ عَشْرٍ وَمِئَةٍ، وفيها ماتَ الْفَرَزْدَقُ، وعَمَّرَ نَيِّفًا وثَمانينَ سَنَةً(1).

---

(1) وفيات الأعيان: 1/ 321-326.

ومِنَ الدَّواوينِ:

"**دِيوانُ الْفَرَزْدَقِ**"، وهو أبو فِراسٍ هَمَّامُ أو هَميمُ بنُ غالِبٍ، وكُنْيَتُهُ أبو الْأَخْطَلِ، التَّميمِيُّ، الشَّاعِرُ الْمَشْهورُ بِالْفَرَزْدَقِ، صاحِبُ جَريرٍ. كان أبوهُ من جِلَّةِ قَوْمِهِ وسَرَواتِهِمْ، وأُمُّهُ لَيْلى بِنْتُ حابِسٍ أُخْتُ الْأَقْرَعِ بنِ حابِسٍ. ولِلْفَرَزْدَقِ في مَفاخِرِ أبيهِ أشْياءُ كَثيرَةٌ.

وقدِ اخْتَلَفَ الْعُلَماءُ بالشِّعْرِ، في الْمُفاضَلَةِ بين جَريرٍ والْفَرَزْدَقِ. والْأَكْثَرونَ على أنَّ جَريرًا أَشْعَرُ منه. وَكانَ بَيْنَهما من الْمُهاجاةِ والْمُعاداةِ ما هو الْمَشْهورُ، وفي كُتُبِ الْمُحاضَراتِ مَذْكورٌ، فلا نُضيعُ بِذِكْرِها السُّطورَ.

وَشَهِدَ الْفَرَزْدَقُ عند بعض الْقُضاةِ شَهادَةً، فقالَ: قَدْ أَجَزْناكَ، فلمَّا انْفَصَلَ عن الْمَجْلِسِ قالَ الْقاضِي: زِيدونَا في الشُّهودِ، فَأُخْبِرَ الْفَرَزْدَقُ بِذَلِكَ، فَقالَ: وما يَمْنَعُهُ مِنْ ذَلِكَ، وَقَدْ قَذَفْتُ أَلْفَ مُحْصَنَةٍ.

وأَخْبارُ الْفَرَزْدَقِ كَثيرَةٌ مَذْكورَةٌ في كُتُبِ الْمُحاضَراتِ والتَّواريخِ فَالِاخْتِصارُ أَوْلَى.

تُوُفِّيَ بالْبَصْرَةِ، سنةَ عَشْرٍ ومِئَةٍ، قبل جَريرٍ بِأَرْبَعينَ أو بِثَمانِينَ يَوْمًا. وَقيلَ: إنَّهُما تُوُفِّيا سَنَةَ إحْدَى عَشْرَةَ ومِئَةٍ.

قِيلَ: لَقِيَ الْفَرَزْدَقُ عَلِيَّ بنَ أَبِي طالِبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، وتُوُفِّيَ سنة اثْنَتَيْ أو أَرْبَعَ عَشْرَةَ أو عَشْرٍ ومِئَةٍ، ماتَ وقد قارَبَ الْمِئَةَ.

والْفَرَزْدَقُ: قِطَعُ الْعَجينِ، وإنَّمَا لُقِّبَ به لِغِلَظِهِ وقِصَرِهِ. وقيل: لُقِّبَ به لأنَّهُ كانَ جَهْمَ الْوَجْهِ، وقد أَصابَهُ جُدَرِيٌّ في وَجْهِهِ، وهذا الْقَوْلُ أَصَحُّ. وخَبَرُهُ مع زَوْجَتِهِ النَّوارُ - وهي ابْنَةُ عَمِّهِ - تَزَوَّجَا وطُلِّقا[1]، ونَدَامَتُهُ على الطَّلاقِ شَهيرَةٌ في كُتُبِ الْمُحاضَراتِ[2].

ومن الدَّواوينِ:

"**ديوانُ أبي نُواسٍ**"، وهو أبو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بنُ هانِئِ بْنِ عَبْدِ الْأَوَّلِ، الْمَعْروفُ بأَبِي نُواسٍ، الشَّاعِرُ الْمَشْهورُ. كانَ جَدُّهُ مَوْلَى الْجَرَّاحِ بنِ عبدِ اللهِ الْحَكَمِيِّ وَالِي خُراسانَ. وَسَأَلَ الْخَصِيبُ - صاحِبُ ديوانِ الْخَراجِ بِمِصْرَ - أبا نُوَاسٍ عن نَسَبِهِ، فَقالَ: أَغْنانِي أَدَبِي عن نَسَبِي، فَأَمْسَكَ عنه.

وُلِدَ بالْبَصْرَةِ، ونَشَأَ بها. وقيل: وُلِدَ بالْأَهْوازِ، ثُمَّ خَرَجَ إلى الْكوفَةِ، ثم صارَ إلى بَغْدادَ، فَأَسْلَمَتْهُ أمُّهُ وهو طِفْلٌ إلى بَعْضِ الْعَطَّارينَ، فَرَآهُ أبو أُسامَةَ والِبَةُ بنُ الْحُبابِ، فَاسْتَحْلاهُ، فقال له: إنِّي أرَى فيك مَخائِلَ، وسَتَقولُ الشِّعْرَ. فَصارَ معه، وَقَدِمَ به بَغْدادَ حتَّى صارَ من الطَّبَقَةِ الْأولَى من الْمُوَلَّدينَ. وشِعْرُهُ عَشَرَةُ أنْواعٍ، وهو مُجيدٌ في الْعَشَرَةِ.

وَقَدِ اعْتَنَى بِجَمْعِ شِعْرِهِ طائِفَةٌ، ولهذا يوجَدُ دِيوانُهُ مُخْتَلِفًا؛ منهم: أبو بَكْرٍ الصُّولِيُّ، وعَلِيُّ بنُ حَمْزَةَ، وإبْراهِيمُ بنُ أَحْمَدَ بنِ محمَّدٍ الطَّبَرِيُّ الْمَعْروفُ بِتُوزُونَ.

---

(1) تزوجها وطلقها، في مراد ملا.

(2) وفيات الأعيان: 6/ 86-100.

وأَخْبارُهُ كَثيرَةٌ، وأَشْعارُهُ شَهيرَةٌ، وإصاباتُهُ في الْأمورِ في الْأَلْسِنَةِ مَذْكورَةٌ، ولا حاجَةَ إلى التَّطْويلِ.

وَذَكَرَ الْإِمامُ الْيافِعِيُّ في "تاريخه"[1] أُمورًا غَريبَةً، يَكادُ يَسْتَحيلُها الْعَقْلُ، لولا صِحَّةُ النَّقْلِ.

وُلِدَ في سنة خَمْسٍ وأربعينَ، أو سِتَّةٍ وثَلاثينَ ومئةٍ. **وتُوُفِّيَ** سنة خَمْسٍ أو سِتٍّ أو ثَمانٍ وتِسْعِينَ وَمِئَةٍ بِبَغْدادَ.

وإنَّما قيل له أبو نُواسٍ، لِذُؤابَتَيْنِ كانَتا له تَنوسُ على عاتِقَيْهِ.

قال الْخَلْكانِيُّ: وما أَحْسَنَ ظَنَّهُ بِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ حيثُ يقولُ: [الوافر]

تَكَثَّرْ ما اسْتَطَعْتَ من الْخَطايَا ... فإنَّكَ بالِغٌ رَبًّا غَفورًا[2]
سَتُبْصِرُ إنْ وَرَدْتَ عليه عَفْوًا ... وَتَلْقَى سَيِّدًا مَلِكًا كَبيرَا
تَعَضُّ نَدامَةً كَفَّيْكَ مِمَّا ... تَرَكْتَ مَخافَةَ النَّارِ السُّرورَا

قيلَ: وَكانَ الْمَأْمونُ يَقولُ: لو وَصَفَتِ الدُّنْيا نَفْسَها، لما وَصَفَتْ بِمِثْلِ قَوْلِ أبي نُواسٍ: [الطويل]

أَلَا كُلُّ حَيٍّ هالِكٌ وابْنُ هالِكٍ ... وذو نَسَبٍ في الْهالِكينَ عَرِيقِ[3]
إذا امْتَحَنَ الدُّنْيا لَبيبٌ تَكَشَّفَتْ ... له عَنْ عَدُوٍّ في ثِيابِ صَديقِ

---

(1) عنوانه الكامل: "مرآةُ الجنان وعبرةُ اليقظَانِ في معرفَةِ ما يُعتبَرُ من حوادِثِ الزَّمانِ وتقلُّبِ أحوالِ الإنسان وتاريخِ موتِ بعضِ المشهورينَ من الأعيانِ".

(2) ديوان شعره: 97.

(3) البيتان في ديوان شعره: 192، وفي رواية الصولي 741: كُلُّ حُرٌّ.

وَمِنَ الدَّواوينِ:

"دِيوانُ مُؤَيَّدِ الدِّينِ الطُّغْرائِيِّ"، وهو عَمِيدُ الْمُلْكِ، فَخْرُ الكُتَّابِ، أبو إسْماعِيلَ الْحُسَيْنُ بنُ عَلِيِّ بنِ محمَّدِ بنِ عبد الصَّمَدِ، الْمُلَقَّبُ مُؤَيَّدَ الدِّينِ، الْأَصْبهانِيُّ الْمُنْشِئُ، الْمَعْروفُ بِالطُّغْرائِيِّ. كانَ غَزيرَ الْفَضْلِ، لَطيفَ الطَّبْعِ، فاقَ أَهْلَ عَصْرِهِ بِصَنْعَةِ النَّظْمِ والنَّثْرِ. وله ديوانُ شِعْرٍ جَيِّدٍ. ومن مَحاسِنِ شِعْرِهِ قَصيدَتُهُ الْمَعْروفَةُ بِلَامِيَّةِ الْعَجَمِ، وَكانَ عَمِلَها بِبَغْدادَ سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِمِئَةٍ، يَصِفُ حالَهُ، ويَشْكو زَمانَهُ.

وَشَرَحَها صَلاحُ الدِّينِ الصَّفَدِيُّ في مُجَلَّدَيْنِ، وسَمَّاهُ: "الْغَيْثُ الَّذِي انْسَجَمَ في شَرْحِ لامِيَّةِ الْعَجَمِ"، وَقَدْ مَلأَ شَرْحَهُ بِالْفَوائِدِ الْأَدَبِيَّةِ، والْغَرائِبِ الْجِدِّيَّةِ والْهَزْلِيَّةِ. وبالْجُمْلَةِ، إِنَّهُ مِنْ أَحْسَنِ الْمَجامِيعِ وأَنْفَعِهَا.

وَوَلِيَ الطُّغْرائِيُّ الْوِزارَةَ مُدَّةً بمَدينَةِ إرْبِلَ لِلسُّلْطانِ مَسْعودِ بنِ مُحَمَّدٍ السَّلْجوقِيِّ، وَكانَ يُنْعَتُ بِالْأُسْتاذِ. ولمَّا جَرَى بين السُّلْطانِ مَسْعودٍ وَأَخيهِ مَحْمودٍ الْمَصافُّ[1] بِالْقُرْبِ من هَمَذَانَ، وكانَتِ النُّصْرَةُ لِمَحْمودٍ، فَنَسَبوا الْأُسْتاذَ إلى الْإِلْحادِ، وكانوا خافوا منه لِفَضْلِهِ، فَقُتِلَ سَنَةَ ثَلاثٍ، أو أَرْبَعٍ، أو ثَمانِيَ عَشْرَةَ وخَمْسِمِئَةٍ، وقد جاوَزَ سِتِّينَ سنةً. والطُّغْرائِيُّ نِسْبَةٌ إلى مَنْ يَكْتُبُ الطُّغْراءَ، وهي الطُّرَّةُ التي تُكْتَبُ في أَعْلَى الْكُتُبِ فَوْقَ الْبَسْمَلَةِ بِالْقَلَمِ الْغَلِيظِ، وَمَضْمونُهَا نُعوتُ الْمَلِكِ الَّذِي صَدَرَ الْكِتابُ عنه، وهي لَفْظَةٌ أَعْجَمِيَّةٌ[2].

(1) المصاف: جمع مَصَفٍّ، وهو الموقف في الحرب. اللسان: صفف.

(2) وفيات الأعيان: 185-190.

قالَ ابْنُ الْأَثيرِ في "**الْكامِلُ**": كانَ الْأُسْتاذُ يَميلُ إلى صَنْعَةِ الْكِيمِياءِ، وله فيها تَصانيفُ قد ضَيَّعَتْ مِنَ النَّاسِ أَمْوالًا لا تُحْصَى. قِيلَ: وتِلْكَ التَّصانيفُ مُعْتَبَرَةٌ عِنْدَ أَهْلِها. منها: كِتابُ "**مَفاتيحُ الرَّحْمَةِ ومَصابيحُ الْحِكْمَةِ**". ومنها: "**جامِعُ الْأَسْرارِ**"، وكِتابُ "**تَراكيبُ الْأَنْوارِ**"، و"**رِسالَةُ ذاتِ الْفَوائِدِ**"[1]، وكِتابُ "**حَقائِقُ الِاسْتِشْهاداتِ**"، يُبَيِّنُ فيه إِثْباتَ صِناعَةِ الْكِيمِياءِ، والرَّدَّ على ابْنِ سِينَا في إِبْطالِها بِمُقَدِّماتٍ من كِتابِ "**الشِّفاءُ**".

ويُقالُ: إنَّ الْأُسْتاذَ أَلْقَى الْمِثْقالَ من الْإِكْسيرِ أَوَّلًا على سِتِّينَ أَلْفًا ذَهَبًا، وآخِرًا على ثَلاثِمِئَةِ أَلْفٍ.

وإنَّمَا سُمِّيَتْ قَصيدَتُهُ **بِلَامِيَّةِ الْعَجَمِ**، تَشْبيهًا لها **بِلَامِيَّةِ الْعَرَبِ**، ومَطْلَعُ **لامِيَّةِ الْعَرَبِ** هذه: [الطويل]

أَقيمُوا بَنِي أُمِّي صُـــدورَ مَطِيِّكُمْ فَإِنِّي إلى قَوْمٍ سِـــواكُمْ لَأَمْيَلُ[2]

ومَطْلَعُ لامِيَّةِ الْعَجَمِ هذه: [البسيط]

أَصالَةُ الرَّأْيِ صانَتْنِي عنِ الْخَطَلِ وحِلْيَةُ الْفَضْلِ زَانَتْنِي لَدَى الْعَطَلِ[3]

رُوِيَ عن أمِيرِ الْمُؤْمِنينَ عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ، رضِيَ الله عنه، أنَّه قالَ: عَلِّموا أَوْلادَكُمْ **لامِيَّةَ الْعَرَبِ**، فإنَّها تَرْفَعُ هِمَمَهُمْ، وَتُصْلِحُ كَلِمَهُمْ.

---

(1) ذوات الفوائد، في قونية.

(2) ديوان الشنفرى: 158.

(3) ديوان الطغرائي: 301.

وَرَأَيْتُ لها شَرْحًا حَسَنًا تامَّ الْمَقاصِدِ، كَثيرَ الْفَوائِدِ، وهو مُجَلَّدٌ جَيِّدٌ. وحَسْبُكَ تَسْمِيَةُ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ بِلَامِيَّةِ الْعَجَمِ، وَعَدُّهَا نَظيرَةً لِلَامِيَّةِ الْعَرَبِ، وَإِضافَةُ الشَّيْءِ إلى شَيْءٍ مَشْهورٍ أو عَظيمٍ يَدُلُّ على شَرَفِ الْمُضافِ.

ومن الدَّواوينِ:

"دِيوانُ ابْنِ نُبَاتَةَ" بالضَّمِّ، وهو أبو نَصْرٍ عَبْدُ الْعَزيزِ بْنُ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدِ بنِ أَحْمَدَ بْنِ نُباتَةَ. كانَ شاعِرًا مُجِيدًا، جَمَعَ بَيْنَ حُسْنِ السَّبْكِ، وَجَوْدَةِ الْمَعْنَى.

طافَ الْبِلادَ، ومَدَحَ الْمُلوكَ والْوُزَراءَ والرُّؤَساءَ. وله في سَيْفِ الدَّوْلَةِ بنِ حَمْدانَ غُرُّ الْقَصائِدِ، وَنُخَبُ الْمَدائِحِ. ومُعْظَمُ شِعْرِهِ جَيِّدٌ، وله ديوانٌ كَبيرٌ.

وُلِدَ في سَنَةِ سَبْعٍ وعِشْرينَ وَثَلاثِمِئَةٍ.

وتُوُفِّيَ يَوْمَ الْأَحَدِ، ثالِثَ شَوَّالٍ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِمِئَةٍ بِبَغْدادَ.

رُوِيَ عنه أَنَّهُ قالَ: كُنْتُ يَوْمًا قائِمًا في دِهْليزِي، فَدُقَّ عَلَيَّ الْبابُ، فقلتُ: من؟ فقال: رَجُلٌ من أَهْلِ الشَّرْقِ، فقلتُ: ما حاجَتُكَ؟ فقال: أَنْتَ القائِلُ:

[الطويل]

وَمَنْ لم يَمُتْ بالسَّيْفِ ماتَ بِعِلَّةٍ تَنَوَّعَتِ الْأَسْبابُ وَالدَّاءُ واحِدُ[1]

(1) ديوان ابن نباتة: 235.

فَقُلْتُ: نَعَمْ، فقالَ أَرْوِيهِ عنكَ؟ فقلتُ: نَعَمْ. فَلَمَّا كانَ آخِرَ النَّهارِ دُقَّ عَلَيَّ الْبَابُ، فَقُلْتُ: مَنْ؟ فَقالَ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ تاهَرْتَ[1] مِنَ الْغَرْبِ، فَقُلْتُ: ما حاجَتُكَ؟ فَقالَ: أَنْتَ الْقائِلُ: [الطويل]

وَمَنْ لم يَمُتْ بِالسَّيْفِ ماتَ بِعِلَّةٍ تَنَوَّعَتِ الْأَسْبابُ والدَّاءُ واحِدُ

فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقالَ: أَرْوِيهِ عَنْكَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، وَعَجِبْتُ كَيْفَ وَصَلَ إلى الشَّرْقِ والْغَرْبِ[2].

قُلْتُ: وَنَظيرُ هذه الْحِكايَةِ في الِاتِّفاقِ، أَنَّ أبا الْفَرَجِ الْمُعَافَى بْنَ زَكَرِيَّا النَّهْرَوانِيَّ، كانَ بِمِنَى أَيَّامَ التَّشْرِيقِ، فَسَمِعَ مُنادِيًا يُنادِي: يا أبا الْفَرَجِ، فقلتُ: لَعَلَّهُ يُنادِي غَيْرِي، فلم أُجِبْهُ، ثم نَادَى: يا أبا الْفَرَجِ الْمُعافَى، فَقُلْتُ: يَجوزُ أن يَتَّفِقَ آخَرُ في الِاسْمِ والْكُنْيَةِ، فلم أُجِبْهُ، فَرَجَعَ فَنادَى: يا أبا الْفَرَجِ الْمُعافَى ابْنَ زَكَرِيَّا النَّهْرَوانِيَّ، فَقُلْتُ: لم يَبْقَ شَكٌّ. فَقُلْتُ ها أنا ذا فما تُرِيدُ؟ قال: لَعَلَّكَ من نَهْرَوانِ الشَّرْقِ فَقُلْتُ: نعم، فقالَ: نَحْنُ نُرِيدُ نَهْرَوانَ الْغَرْبِ، فَعَجِبْتُ من اتِّفاقِ الِاسْمِ والْكُنْيَةِ واسْمِ الْأَبِ وما انْتَسَبَ إليه، وَعَلِمْتُ أَنَّ [في الْأَرْضِ][3] نَهْرَوانًا آخَرَ بالْغَرْبِ غيرَ ما بالْعِراقِ[4].

---

(1) تاهرت: مدينة في المغرب الأوسط كانت عاصمة للدولة الرستمية، وتعرف اليوم بتيارت.

(2) وفيات الأعيان: 3/ 190-193.

(3) زيادة من أنطاليا.

(4) وفيات الأعيان: 5/ 223-224.

ومن الدَّواوين:

"**دِيوانُ ابنِ الْمُعْتَزِّ**"، وهو أبو الْعَبَّاسِ عبدُ اللهِ بنُ الْمُعْتَزِّ بنِ الْمُتَوَكِّلِ بنِ الْمُعْتَصِمِ بنِ هارونَ الرَّشيدِ. أَخَذَ الْأَدَبَ عن الْمُبَرِّدِ وثَعْلَبٍ وغيرِهِما. كان أَدِيبًا بَليغًا، شاعِرًا مَطْبوعًا، مُقْتَدِرًا على الشِّعْرِ، قَريبَ الْمَأْخَذِ، سَهْلَ اللَّفْظِ، جَيِّدَ الْقَريحَةِ، حَسَنَ الإِبْداعِ لِلْمَعانِي، مُخالِطًا لِلْعُلَماءِ والْأُدَباءِ، مَعْدودًا من جُمْلَتِهِمْ. وكان شَديدَ السُّمْرَةِ، مَسْنونَ الْوَجْهِ، يَخْضِبُ بالسَّوادِ. وكانَ رَخِيَّ الْبالِ في عَيْشٍ رَغيدٍ، إلى أَنْ خُلِعَ الْمُقْتَدِرُ، وَبُويِعَ عَبْدُ اللهِ بنُ الْمُعْتَزِّ، ولَقَّبوهُ الْمُرْتَضَى باللهِ، أو الْمُنْصِفَ بِاللهِ، أو الْغالِبَ باللهِ، أو الرَّاضِيَ باللهِ. وَأَقامَ يَوْمًا وَلَيْلَةً، ثُمَّ أُعِيدَ الْمُقْتَدِرُ، وَاخْتَفَى ابْنُ الْمُعْتَزِّ، ثُمَّ أَخَذَهُ الْمُقْتَدِرُ وَقَتَلَهُ يَوْمَ الْخَميسِ ثانِيَ شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ، سَنَةَ سِتٍّ وَتِسْعِينَ وَمِئَتَيْنِ.

وَلِابْنِ الْمُعْتَزِّ مِنَ التَّصانِيفِ: كِتابُ "الزَّهْرُ والرِّياضُ"، وكِتابُ "الْبَديعُ"، وكتابُ "مُكاتَباتُ الإِخْوانِ بالشِّعْرِ"، وكتاب "الْجَوارِحُ والصَّيْدُ"، وكِتابُ "السَّرِقاتُ"، وكتابُ "أَشْعارُ الْمُلوكِ"، و"كتابُ الآدابِ"، وكتابُ "طَبَقاتُ الشُّعَراءِ". وَغَيْرُ ذَلِكَ. وَلَهُ أَشْعارٌ رائِقَةٌ، وَتَشْبيهاتٌ بَديعَةٌ.

وله الْبَيْتُ الْمَشْهورُ وهو: [البسيط]

وَكانَ ما كان مِمَّا لَسْتُ أَذْكُرُهُ   فَظُنَّ خَيْرًا ولا تَسْأَلْ عن الْخَبَرِ

وَقِيلَ: الرِّوايَةُ عنه: "فَظُنَّ شَرًّا"، قالَهُ في مَليحٍ جاءَهُ لَيْلًا، واصْطَبَحَ معه في غُرَّةِ الْفَجْرِ، والْأَبْياتُ طَويلَةٌ، أَوْرَدَها ابْنُ خَلِّكانَ في كِتابِهِ "وَفَيَاتُ الأَعْيانِ"[1].

وَمِنَ الدَّواوينِ:

"**دِيوانُ ابْنِ الْفارِضِ**"، وَهُوَ أَبُو حَفْصٍ وأبو الْقاسِمِ عُمَرُ بْنُ أبي الْحَسَنِ عَلِيِّ بنِ الْمُرْشِدِ بْنِ عَلِيٍّ، الْحَمَوِيُّ الْأَصْلِ، مِصْرِيُّ الْمَوْلِدِ والدَّارِ والْوَفاةِ، الْمَعْروفُ بابْنِ الْفارِضِ، الْمَنْعوتُ بِالشَّرَفِ.

له: ديوانُ شِعْرٍ لَطيفٌ، وأُسْلوبُهُ فيه رائِقٌ ظَريفٌ، يَنْحو مَنْحَى طَرِيقَةِ الْفُقَراءِ، وله قَصيدَةٌ مِقْدارَ سِتِّمِئَةِ بَيْتٍ مُشْتَمِلَةٌ على اصْطِلاحِهِمْ وَمَنْهَجِهِمْ[2]، وله دُوبِيتٌ ومَوالِيًا[3] وأَلْغازٌ.

قال الْخَلِّكانِيُّ: سَمِعْتُ أَنَّهُ كانَ رَجُلًا صالِحًا، كَثيرَ الْخَيْرِ على قَدَمِ التَّجَرُّدِ، جاوَرَ بِمَكَّةَ - زادَها اللهُ شَرَفًا - زَمانًا، وكان حَسَنَ الصُّحْبَةِ، مَحْمودَ الْعِشْرَةِ.

أَخْبَرَنِي بعضُ أصْحابِهِ أنه تَرَنَّمَ يومًا وهو في خَلْوَةٍ، بِبَيْتِ الْحَريرِيِّ صاحِبِ "**الْمَقاماتُ**" وهو: [مجزوء الكامل]

---

(1) وفيات الأعيان: 3/ 76-77.

(2) نهجهم، في رئيس الكتاب.

(3) فن شعري يتحرر فيه الشاعر من القيود النحوية وهو رباعي الأشطر على البحر الوسيط. ينظر المعجم المفصل في الأدب: 2/ 835.

مَـنْ ذا الَّـذِي مـا سـاءَ قَـطْ ومَـنْ لـه الْـحُسْـنَى فَقَـطْ[1]

قال: فَسَمِعَ قائِلًا، ولم يَرَ شَخْصَهُ، وَقَدْ أَنْشَدَ: [مجزوء الكامل]

مُـحَـمَّـدُ الْـهـادِي الَّـذِي عَـلَـيْـهِ جِـبْـرِيـلُ هَـبَـطْ

وُلِدَ في الرَّابِعِ مِنْ ذي الْقَعْدَةِ، سَنَةَ سِتٍّ وَسَبْعينَ وَخَمْسِمِئَةٍ بِالْقاهِرَةِ. **وتُوُفِّيَ** بها يَوْمَ الثُّلاثاءِ، الثَّانِي مِنْ جُمادَى الْأُولَى، سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلاثِينَ وَسِتِّمِئَةٍ.

الْفارِضُ: الَّذي يَكْتُبُ الْفُروضَ لِلنِّساءِ على الرِّجالِ[2].

وَمِنَ الدَّواوينِ:

"**دِيوانُ بهاءِ الدِّينِ زُهَيْرٍ**"، وهو أبو الْفَضْلِ زُهَيْرُ بنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْكَاتِبُ، من فُضلاءِ عَصْرِهِ، وأَحْسَنِهِمْ نَظْمًا ونَثْرًا وخَطًّا، وأَكْبَرِهِمْ مُروءَةً، واتَّصَلَ بِخِدْمَةِ السُّلْطانِ الصَّالِحِ نَجْمِ الدِّينِ أبي الْفَتْحِ أَيُّوبَ، وتَوَجَّهَ في خِدْمَتِهِ إلى الْبِلادِ الشَّرْقِيَّةِ، ثم عادَ معه إلى الْقاهِرَةِ.

قالَ الْخَلِّكانِيُّ: وكنتُ يَوْمَئِذٍ بالْقاهِرَةِ، وَرَأَيْتُهُ فوقَ ما سَمِعْتُ عنه من مَكارِمِ الْأَخْلاقِ، وكَثْرَةِ الرِّياضَةِ، ودَماثَةِ السَّجايا. وكان كَبيرَ الْقَدْرِ عند صاحِبِهِ، ومُطَّلِعًا على سَرائِرِهِ، ونَفَعَ خَلْقًا كَثيرًا بِحُسْنِ وَساطَتِهِ، وَجَميلِ سِفارَتِهِ.

وَكانَ مَوْلِدُهُ في خامِسِ ذي الْحِجَّةِ، سنةَ إحْدَى وَثَمانينَ وخَمْسِمِئَةٍ بِمَكَّةَ، حَرَسَها اللهُ تعالى.

---

(1) البيت في مقامات الحريري: 230.

(2) وفيات الأعيان: 3/ 354-356.

وتُوُفِّيَ بِمِصْرَ يَوْمَ الْأَحَدِ، رابع ذي الْقَعْدَةِ، سَنَةَ سِتٍّ وخَمْسينَ وسِتِّمِئَةٍ[1].

وَمِنَ الدَّواوينِ:

"دِيوانُ أبي عَلِيٍّ"، دِعْبِلُ بنُ عَلِيٍّ الْخُزاعِيُّ الشَّاعِرُ الْمَشهورُ. أَصْلُهُ من الْكوفَةِ، وَأَقامَ بِبَغْدادَ. وَقِيلَ: دِعْبِلٌ لَقَبٌ، وَاسْمُهُ الْحَسَنُ أو عبدُ الرَّحْمنِ أو مُحَمَّدُ، وكُنْيَتُهُ أبو جَعْفَرٍ. وَكانَ أُطْروشًا[2]، وفي قَفاهُ سَلْعَةٌ[3]. كانَ شاعِرًا مَجيدًا، إلَّا أنَّهُ كانَ بَذِيءَ اللِّسانِ، مُولَعًا بالْهَجْوِ والْحَطِّ من أقْدارِ النَّاسِ. وهَجَا الْخُلَفاءَ ـ منهم الْمَأْمونُ ـ ومن دونَهُمْ. وطالَ عُمُرُهُ.

وَكانَ يَقولُ: لي خَمْسونَ سَنَةً، أَحْمِلُ خَشَبَتِي على كَتِفِي، أَدورُ على من يُصَلِّبُنِي عليها، فما أَجِدُ من يَفْعَلُ ذلك.

وَكانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُسْلِمِ بنِ الْوَليدِ الْأَنْصارِيِّ اتِّحادٌ كثيرٌ، وعليه تَخَرَّجَ دِعْبِلٌ في الشِّعْرِ.

وَكانَ يَقولُ: مِنْ فَضْلِ الشِّعْرِ أَنَّهُ كُلَّمَا زادَ كَذِبُ الشَّاعِرِ زادَ الْمَدْحُ له، ثُمَّ لا يُقْنَعُ له بِذَلِكَ حَتَّى يُقالَ له: أَحْسَنْتَ واللهِ، فلا يُشْهَدُ له شَهادَةُ زُورٍ إلَّا وَمَعَهَا يَمِينٌ باللهِ تعالى.

وُلِدَ دِعْبِلٌ في سَنَةِ ثَمانٍ وَأَرْبَعينَ وَمِئَةٍ. وَتُوُفِّيَ سَنَةَ سِتٍّ وَأَرْبَعينَ وَمِئَتَيْنِ.

---

(1) وفيات الأعيان: 2/ 332-338.

(2) الأطروش: الأصم.

(3) السَّلعة: الضّواة، وهي زيادة تحدث في الجسد مثل الغدة. اللسان: سلع.

ودِعْبِلٌ، بِكَسْرِ الدَّالِ اسْمُ النَّاقَةِ الشَّارِفِ[1].

وَمَدَحَ دِعْبِلٌ عَلِيَّ بنَ موسى الرِّضَى بقَصيدَةٍ أَوَّلُها: [الطويل]

مَـدارِسُ آيـاتٍ خَلَـتْ عن تِلاوَةٍ ومَهْبِطُ وَحْيٍ مُقْفِرُ الْعَرَصـاتِ[2]

وَأَمَرَ له عَلِيُّ بنُ موسى الرِّضَى بِجائِزَةٍ سَنِيَّةٍ، فقال: ما قُلْتُها إلَّا لِوَجْهِ اللهِ تعالى، وسَأَلَ منه قَميصًا يُباشِرُ جَسَدَهُ، لِيَجْعَلَهُ في كَفَنِهِ، لَعَلَّ اللهَ يُبَرِّدُ به مَضْجَعَهُ، فَأَعْطاهُ ذلك. ولمَّا سَمِعَهُ فَضْلُ بنُ سَهْلٍ، حَمَلَ إلى دِعْبِلٍ ثَلاثينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، وحَمَلَ إليه الْمَأمونُ مَالًا جَزيلًا، فانْصَرَفَ بِأَرْبَحِ صَفْقَةٍ، وَأَثْرَى حَالِ لشَّاعِرِ[3]. وَلِهَذَا الْبَيْتِ حِكايَةٌ طَويلةٌ تَرَكْناها لِلِاخْتِصارِ.

ومن الدَّواوينِ:

"دِيوانُ الْقاضِي التَّنوخِيّ"، وهو الْقاضِي أبو عَلِيٍّ الْمُحَسِّنُ بنُ أبي الْقاسِمِ عَلِيِّ بنِ مُحَمَّدٍ التَّنوخِيُّ.

وله: كِتابُ "الْفَرَجُ بَعْدَ الشِّدَّةِ"، وله "دِيوانُ شِعْرٍ" أَكْبَرُ من دِيوانِ أَبِيهِ. وَكِتابُ "نَشْوانُ الْمُحاضَرَةِ". وله: كِتابُ "الْمُسْتَجادُ من فَعَلاتِ الْأَجْوادِ".

ونَزَلَ بَغْدادَ وَأَقامَ بها، وَحَدَّثَ إلى حِينِ وَفاتِهِ. وَكانَ سَماعُهُ صَحيحًا، وَكانَ أَديبًا شاعِرًا أَخْبارِيًا، تَقَلَّدَ الْقَضاءَ والْأَعْمالَ مِنْ قِبَلِ الْإمامِ الْمُطيعِ للهِ.

---

(1) وفيات الأعيان: 2/ 266-270.

(2) ديوان دعبل بن علي الخزاعي: 89، وفيه: ومَنْزِلُ وَحْيٍ.

(3) حالُ الشاعرِ، في قونية وأنطاليا.

وُلِدَ لَيْلَةَ الْأَحَدِ، لِأَرْبَعٍ بَقِينَ من رَبِيعِ الْأَوَّلِ، سَنَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَثَلاثِمِئَةٍ بِالْبَصْرَةِ. وَتُوُفِّيَ لَيْلَةَ الْإِثْنَيْنِ، لِخَمْسٍ بَقِينَ من الْمُحَرَّمِ، سَنَةَ أَرْبَعٍ وثمانينَ وَثَلاثِمِئَةٍ بِبَغْدادَ.

وأَمَّا وَلَدُهُ أبو الْقَاسِمِ عَلِيُّ بنُ الْمُحَسِّنِ، كان أَدِيبًا فاضِلًا، له شِعْرٌ، وكان يَصْحَبُ أبا الْعَلاءِ الْمَعَرِّيَّ، وأَخَذَ عنه، وَهُمْ أَهْلُ بَيْتٍ، كُلُّهُمْ فُضَلاءُ أُدَباءُ ظُرَفاءُ.

وُلِدَ في مُنْتَصَفِ شَعْبانَ، سَنَةَ خَمْسٍ وسِتِّينَ وثَلاثِمِئَةٍ بالْبَصْرَةِ، وتُوُفِّيَ يَوْمَ الْأَحَدِ، مُسْتَهَلَّ الْمُحَرَّمِ، سَنَةَ سَبْعٍ وَأَرْبَعينَ وأربَعِمِئَةٍ[1].

وإذا انْتَهَيْتَ إلى هذا الْمَقامِ، فَلَعَلَّكَ تَسْأَمُ من هذا النَّوْعِ من الْكَلامِ، مع أنَّ إحْصاءَ شُعَراءِ الْإِسْلامِ أَمْرٌ تَنْبو عنه الْأَوْهامُ.

ومِمَّا لم نَتَعَرَّضْ له: "ديوانُ شَمْسِ الدِّينِ ابْنِ عَفِيفِ التِّلِمْسانِيِّ"، و"دِيوانُ ابْنِ سَناءِ الْمُلْكِ"، و"ديوانُ الْقاضي الْفاضِلِ"، و"ديوانُ ابْنِ الْوَكيلِ"[2]، و"دِيوانُ التِّهامِيِّ"[3]، و"ديوانُ ابْنِ النَّبيهِ المِصْرِيِّ". هذا كُلُّهُمْ شُعَراءُ الْإِسْلامِ.

وأَمَّا الشُّعَراءُ الْقُدَماءُ: فأَشْعَرُهُمْ عَشَرَةٌ، نَذْكُرُ أَسْماءَهُم هاهُنا، ومنهم:

---

(1) وفيات الأعيان: 4/ 159-162.

(2) محمد بن عمر بن مكي المعروف بابن الوكيل، وابن المرحل. فقيه شافعي أصولي متكلم، وأديب شاعر، (ت716هـ)، ترجمته في: الدرر الكامنة: 4/ 115، وفوات الوفيات: 4/ 13، البداية والنهاية: 14/ 87.

(3) أبو الحسن علي بن محمد بن فهد التهامي (ت.416هـ)، ترجمته في: دمية القصر 1 / 135، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: القسم الرابع 2 / 537، وفيات الأعيان 3 / 378.

امْرُؤُ الْقَيْسِ بنُ حُجْرٍ الْكِنْدِيُّ، هو الذي فَتَحَ لهم أفانينَ الشِّعْرِ، وبَكَى في الدِّمَنِ فاتَّبَعوهُ، واقْتَدَوْا به في الْجَزالَةِ والْفَصاحَةِ.

ومنهم: النَّابِغَةُ الذُّبْيانِيُّ، واسْمُهُ زِيادُ بن عَمْرٍو، وقد قَدَّمَهُ بعض الرُّواةِ على امْرِئِ الْقَيْسِ لِرِقَّةِ شِعْرِهِ.

ومنهم: زُهَيْرُ بنُ أبي سُلْمَى - بِضَمِّ السِّينِ - الْمُزَنِيُّ. وهو أَشَدُّهُمْ أَمْرًا، وَأَمْدَحُهُمْ، وأَجْرَؤُهُمْ على الْكَلامِ. وابْنُهُ كَعْبٌ بَلَغَ الْإِسلامَ فَأَسْلَمَ، وَمَدَحَ رَسولَ الله صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ بعدما هَجاهُ، وتابَ بعدما عَصاهُ، وأَنْشَدَ عنده قَصيدَتَهُ الْمَشْهورَةَ "بانَتْ سُعادُ"، فَعَفاهُ النَّبِيُّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ، بعد أنْ أَهْدَرَ دَمَهُ، وَأَجازَهُ بِبُرْدَةٍ له صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ، وَأَسْلَمَ فَحَسُنَ إسْلامُهُ.

ومنهم: الْأَعْشَى، واسْمُهُ مَيْمونُ بْنُ قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ. كانَ لا يَمْدَحُ أَحَدًا إلَّا رَفَعَ منه، ولا يَهْجو أَحَدًا إلَّا وَضَعَ منه.

ومنهم: طَرَفَةُ بْنُ الْعَبْدِ بنِ سُفْيانَ. فَضَّلَهُ بَعْضُ الشُّعَراءِ على غَيْرِهِ. وزَعَمَ لَبيدٌ أَنَّهُ أَشْعَرُ النَّاسِ.

ومنهم: أَوْسُ بنُ حَجَرٍ، من بني الْأَسَدِ بنِ عَمْرِو بنِ تَميمٍ. كانَ شاعِرَ تَميمٍ، أَدْرَكَ زُهَيْرًا والنَّابِغَةَ.

ومنهم: لَبِيدُ بنُ رَبيعَةَ، من بني عامِرِ بنِ صَعْصَعَةَ. لم يُدْرِكْ أَحَدٌ منهم الْإِسْلامَ غَيْرُهُ، لِطولِ عُمُرِهِ. كانَ أَتْقاهُمْ كَلِمًا، وَأَقَلَّهُمْ سَقَطًا.

ومنهم: عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ، من بَنِي امْرِئِ الْقَيْسِ بنِ مَنَاةَ بنِ زَيْدِ بنِ تَميمٍ. كان الْفَضْلُ بنُ مُحَمَّدٍ يُقَدِّمُهُ عليهم لِحُسْنِ اسْتِعاراتِهِ، وَحَلاوَةِ عِباراتِهِ.

ومنهم: عَبِيدُ بْنُ الأَبْرَصِ، هو أَقْدَمُهُمْ سِنًّا، وَقَدْ جَعَلَهُ الْحُطَيْئَةُ بَعْدَ امْرِئِ الْقَيْسِ.

ومنهم: بِشْرُ الأَسَدِيُّ، وهو عاشِرُهُمْ. وأَهْلُ الْحِجازِ يُقَدِّمونَهُ عليهم، وَيَرَوْنَ أَنَّهُ أَشْعَرُهُمْ، وَأَشَدُّهُمْ سِياقًا لِلْحَديثِ.

عِلْمُ التَّوارِيخِ

وهو مَعْرِفَةُ أحْوالِ الطَّوائِفِ، وبُلْدانِهِمْ، ورُسومِهِمْ، وعاداتِهِمْ، وصَنائِعِ أَشْخَاصِهِمْ وأَنْسابِهِمْ، وَوَفَياتِهِمْ، إلى غيرِ ذلكَ.

وَمَوْضوعُهُ: أَحْوالُ الأَشْخاصِ الْماضِيَةِ، من الأَنْبياءِ والأَوْلِياءِ، والْعُلَماءِ والْحُكَماءِ والشُّعَراءِ، والْمُلوكِ والسَّلاطِينِ، وغَيْرِهِمْ.

والْغَرَضُ منه: الْوُقوفُ على الأَحْوالِ الْماضِيةِ.

وَفائِدَتُهُ: الْعِبْرَةُ بتلك الأَحْوالِ والتَّنَصُّحُ بها، وحُصولُ مَلَكَةِ التَّجارِبِ، بِالْوُقوفِ على تَقَلُّباتِ الزَّمَنِ، لِيُحْتَرَزَ عن أَمْثالِ ما نُقِلَ من الْمَضارِّ، وَيُسْتَجْلَبَ نَظائِرُهَا مِنَ الْمَنافِعِ. وهذا الْعِلْمُ كما قِيلَ: عُمُرٌ آخَرُ لِلنَّاظِرينَ، وَالانْتِفاعُ في مِصْرِهِ بِمَنافِعَ تَحْصُلُ لِلْمُسافِرينَ.

ومنَ الْكُتُبِ الْمُصَنَّفَةِ فيه:

"**تَارِيخُ لِابْنِ كَثِيرٍ**"، وهو أبو الْفِداءِ إسْماعيلُ بنُ عُمَرَ بنِ كَثيرٍ، الْقُرَشِيُّ الْبَصْرِيُّ ثم الدِّمَشْقِيُّ، الْفَقيهُ الشَّافِعِيُّ، الْحافِظُ عِمادُ الدِّينُ ابْنُ الْخَطيبِ شهابُ الدِّينِ.

وُلِدَ سَنَةَ سَبْعِمِئَةٍ، وقَدِمَ دِمَشْقَ، وله نَحْوُ سَبْعِ سِنينَ، سنَةَ سِتٍّ وسبعمئةٍ مع أخيهِ بعد مَوْتِ أبيهِ. وحَفِظَ "**التَّنبيه**"، وعَرَضَهُ سنةَ ثمانَ عَشْرَةَ، وحَفِظَ "**مُخْتَصَرُ ابْنِ الْحاجِبِ**"، وَتَفَقَّهَ بِالْبُرْهانِ الْفَزارِيِّ، والْكَمالِ ابْنِ قاضِي شُهْبَةَ. ثم صاهَرَ الْمِزِّيَّ، وَصَحِبَ ابْنَ تَيْمِيَّةَ، وقَرَأَ في الْأُصولِ على الْأَصْبَهانِيِّ، وكانَ كَثيرَ الِاسْتِحْضارِ قَليلَ النِّسيانِ، جَيِّدَ الْفَهْمِ، وكان يُشارِكُ في الْعَرَبِيَّةِ، ويَنْظِمُ نَظْمًا وَسَطًا.

قال ابْنُ حَجِّي: ما اجْتَمَعْتُ به قَطُّ إلَّا اسْتَفَدْتُ منه، وقد لازَمْتُهُ سِتَّ سِنينَ.

وقد ذَكَرَهُ الذَّهَبِيُّ في "**مُعْجَمِهِ**" الْمُخْتَصِّ فقال: الْإِمامُ الْمُحَدِّثُ الْمُفْتِي الْبارِعُ[1].

وَوَصَفَهُ بِحِفْظِ الْمُتونِ وَكَثْرَةِ الِاسْتِحْضارِ جَماعَةٌ، مِنْهُمْ: الْحُسَيْنُ، وَشَيْخُنا الْعِراقِيُّ وَغَيْرُهُمَا. وَسَمِعَ مِنَ الْحَجَّارِ، والْقَاسِمِ ابْنِ عَساكِرَ وَغَيْرِهِمَا، وَلازَمَ الْحافِظَ الْمِزِّيَّ، وتَزَوَّجَ بابْنَتِهِ، وسَمِعَ عليه أَكْثَرَ تَصانِيفِهَا[2].

---

(1) إنباء الغمر بأبناء العمر: 1/ 39. والنقل منه.

(2) كذا في جميع النسخ.

وأخَذَ عن الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ فَأَكْثَرَ عنه. وصَنَّفَ التَّصانِيفَ الْكَثيرَةَ في التَّفْسيرِ والتَّاريخِ والْأَحْكامِ.

وَقالَ ابْنُ حَبيبٍ فيه: إمامُ ذَوي التَّسْبيحِ وَالتَّهْليلِ، وَزَعيمُ أرْبابِ التَّأْويلِ، سَمِعَ وجَمَعَ وصَنَّفَ، وأَطْرَبَ الْأَسْماعَ بِأَقْوالِهِ، وشَنَّفَ وحَدَّثَ وأَفادَ، وَطارَتْ أوْراقُ فَتاويهِ إلى الْبِلادِ، واشْتَهَرَ بِالضَّبْطِ والتَّحْرِيرِ، وانْتَهَتْ إليه رِئاسَةُ الْعِلْمِ في التَّاريخِ والْحَديثِ والتَّفسيرِ.

ماتَ بِدِمَشْقَ في خامِسَ عَشَرَ شَعْبانَ، وقد أجازَ لمن أدْرَكَ حَياتَهُ. وهو الْقائِلُ: [الطويل]

تَمُرُّ بنا الْأَيّامُ تَتْرَى وَإنَّما ... تُساقُ إلى الآجالِ وَالْعَيْنُ تَنْظُرُ[1]
فلا عائِدٌ ذاكَ الشَّبابُ الَّذي مَضَى ... وَلَا زائِلٌ هذا الْمَشيبُ الْمُكَدَّرُ

قالَ ابْنُ حَجَرٍ: وَلَوْ قالَ: فلا عائِدٌ صَفْوُ الشَّبابِ، إلى آخِرِهِ، لَكانَ أَصْنَعَ[2].

وَمِنَ التَّواريخِ:

"تاريخُ الطَّبَرِيِّ"، وهو أبو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بنُ جَريرِ الطَّبَرِيُّ، وقيل: يَزيدُ ابنُ كَثيرِ بنِ غالِبٍ، صاحِبُ التَّفْسيرِ الْكَبيرِ، والتَّاريخِ الشَّهيرِ. كانَ إمامًا في فنونٍ كَثيرةٍ منها: التَّفْسيرُ، والْحَديثُ، والْفِقْهُ، والتَّاريخُ، وَغَيْرُ ذلِكَ. وله مُصَنَّفاتٌ مَليحَةٌ في فُنونٍ عَديدَةٍ، تَدُلُّ على سَعَةِ عِلْمِهِ وغَزارَةِ فَضْلِهِ.

---

(1) البيتان لابن كثير، والنقل من إنباء الغمر بأبناء العمر: 1/ 40.

(2) إنباء الغمر بأبناء العمر: 1/ 40.

وَكانَ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْمُجْتَهِدينَ، لم يُقَلِّدْ أَحَدًا.

وَكانَ أبو الْفَرَجِ الْمُعافَى بْنُ زَكَرِيَّا النَّهْروانِيُّ على مَذْهَبِهِ. وكان ثِقَةً في نَقْلِهِ، وتاريخُهُ أَصَحُّ التَّواريخِ وأَثْبَتُها.

وذَكَرَهُ الشَّيْخُ أبو إسْحاقَ الشِّيرازِيُّ في "طَبَقاتُ الْفُقَهاءِ" في جُمْلَةِ الْمُجْتَهِدينَ.

وُلِدَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرينَ وَمِئَتَيْنِ بِآمُلِ طَبَرِسْتانَ. وتُوُفِّيَ في السَّادِسِ والْعِشْرينَ من شَوَّالٍ سَنَةَ عَشْرٍ وثَلاثِمِئَةٍ بِبَغْدادَ[1].

وَمِنَ التَّواريخِ:

تاريخُ ابنُ الْأَثيرِ الْجَزَرِي سَمَّاهُ: "الْكامِلُ"، وهو كِتابٌ لَطيفٌ. وصاحِبُهُ عِزُّ الدِّينِ أبو الْحَسَنِ عَلِيُّ بنُ أبي الْكَرَمِ مُحَمَّدِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عبد الْكَريمِ الْمَعْروفُ بابْنِ الْأَثِيرِ الْجَزَرِيِّ، وهو أَحَدُ الْإِخْوَةِ الثَّلاثَةِ الْمَشْهورينَ بِابْنِ الْأَثِيرِ. وقد تَقَدَّمَ اثْنانِ منهما، وهذا عِزُّ الدِّينِ.

وُلِدَ بِالْجَزيرَةِ الْمَشْهورَةِ بَجَزيرَةِ ابنِ عُمَرَ، وَنَشَأَ بها، ثُمَّ سارَ إلى الْمَوْصِلِ مع أَخَوَيْهِ مَجْدِ الدِّينِ أَبِي السَّعاداتِ الْمُبارَكِ، وَضِياءِ الدِّينِ أَبِي الْفَتْحِ نَصْرِ اللهِ، ووالِدِهِ مُحَمَّدٍ. وسَكَنَ الْمَوْصِلَ، وسَمِعَ بها. وقَدِمَ بَغْدادَ، وسَمِعَ من فُضَلائِها. ثم رَحَلَ إلى الشَّامِ والْقُدْسِ، وسَمِعَ هناكَ من جَماعَةٍ، ثم عادَ إلى الْمَوْصِلِ، ولَزِمَ بَيْتَهُ مُنْقَطِعًا إلى التَّوفُّرِ على النَّظَرِ في الْعِلْمِ. وكان بَيْتُهُ مَجْمَعَ فُضَلاءِ الْمَوْصِلِ

(1) وفيات الأعيان: 4/ 191-192.

وَالْوارِدينَ عليها. وَكانَ إمامًا في حِفْظِ الْحَديثِ ومَعْرِفَتِهِ وما يَتَعَلَّقُ به، وَحافِظًا لِلتَّواريخِ الْمُتَقَدِّمَةِ، وَخَبِيرًا بِأَنْسابِ الْعَرَبِ وَوَقائِعِهِمْ وأَخْبارِهِمْ وأَيّامِهِمْ.

صَنَّفَ في التَّاريخِ كِتابًا كَبِيرًا سَمَّاهُ: **"الْكامِلُ"**، ابْتَدَأَ فيه مِنْ أَوَّلِ الزَّمانِ إلى أَواخِرِ سَنَةِ ثَمانٍ وعِشْرينَ وسِتِّمئةٍ، وَهُوَ مِنْ خِيارِ التَّواريخِ؛ واخْتَصَرَ **"كتاب الأَنسابِ"**، لأبي سَعْدٍ عبدِ الْكَريمِ ابْنِ السَّمْعانِيِّ، وَزادَ عليه أَشْياءَ، وَاسْتَدْرَكَ عليه فيه مَواضِعَ؛ وله كِتابُ **"أَخْبارُ الصَّحابَةِ"**، في سِتِّ مُجَلَّداتٍ.

وُلِدَ في رابِعِ جُمادى الْأُولَى سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وخَمْسِمئةٍ. **وتُوُفِّيَ** في شَعَبانَ سنَةَ ثَلاثينَ وَسِتِّمِئَةٍ.

ومن التَّواريخِ:

"تاريخُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ"، مُجَلَّداتٌ، وهو أبو الْفَرَجِ عَبْدُ الرَّحْمنِ بْنُ أبي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ محمَّدٍ الْقُرَشِيُّ التَّيْمِيُّ الصِّدِّيقِيُّ الْبَغْدادِيُّ، الْفَقيهُ الْحَنْبَلِيُّ الْواعِظُ، الْمُلَقَّبُ جمالَ الدِّينِ، الْحافِظُ، كانَ عَلَّامَةَ عَصْرِهِ، وَإِمامَ وَقْتِهِ في الْحَديثِ وصِناعَةِ الْوَعْظِ. صَنَّفَ فيه فُنونًا عَديدَةً منها:

"زادُ الْمَسيرِ في عِلْمِ التَّفْسيرِ": أَرْبَعَةُ أَجْزاءٍ، أَتَى فِيهَا بِأَشْياءَ غَريبَةٍ. وله في الْحَديثِ تَصانيفُ كَثيرَةٌ.

وله: **"الْمُنْتَظَمُ في تَواريخِ الأُمَمِ"**، وهو كَبيرٌ. وله: **"الْمَوْضوعاتُ"**، أَوْرَدَ فيها كُلَّ حَديثٍ مَوْضوعٍ. وَكُتُبُهُ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُعَدَّ. يُقالُ: إنَّهُ جُمِعَتِ

الْكَراريسُ التي كَتبَها، وَقُسِمَتِ الْكَراريسُ على مُدَّةِ عُمُرِهِ، فَخُصَّ كُلُّ يَوْمٍ تِسْعَ كَراريسَ، وهذا شَيْءٌ عَظيمٌ لا يَكادُ يَقْبَلُهُ الْعَقْلُ.

ويُقال: إنَّهُ جُمِعَتْ بُرَايَةُ أَقْلامِهِ الَّتِي كَتَبَ بها حَدِيثَ رَسولِ الله صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ، وَأَوْصَى أن يُسَخَّنَ بها الْماءُ الذي يُغَسَّلُ به بعد مَوْتِهِ، فَفُعِلَ، فَكَفَتْ، وَفَضَلَ منها.

وله أَشْعارٌ كَثيرَةٌ، وأَجْوِبَةٌ نادِرَةٌ، منها: أَنَّهُ وَقَعَ النِّزاعُ بِبَغْدادَ بين أَهْلِ السُّنَّةِ والشِّيعَةِ، فَرَضِيَ الْكُلُّ بِجَوابِ الشَّيْخِ، وهو على الْكُرْسِيِّ في مَجْلِسِ وَعْظِهِ، فَسَأَلَهُ أَحَدٌ مَنْ أَفْضَلُ الْبَشَرِ بعد نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّمَ؟ فقال: مَنْ كانتِ ابْنَتُهُ تَحْتَهُ، وَنَزَلَ في الْحالِ حَتَّى لا يُراجَعَ في ذلك، فَرَضِيَ الْكُلُّ، لِأَنَّ ابْنَةَ أبي بَكْرٍ رضِيَ الله تعالى عنه، تَحْتَ رَسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ، وابْنَةَ رَسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ عند عَلِيٍّ رضيَ الله عنه، والْكَلامُ يَحْتَمِلُهُما. وهذا الْجَوابُ لو حَصَلَ بعد الْفِكْرِ التَّامِّ لكانَ في غايَةِ الْحُسْنِ فَضْلًا عن الْبَديهَةِ[1].

ويُحْكَى أَنَّهُ سَأَلَهُ إنْسانٌ، فقال: ما لنا نَرى الْكُوزَ الْجَديدَ إذا صُبَّ فيه الماءُ يَنِشُّ[2] ويَخْرُجُ منه صَوْتٌ؟ فقال: يَشْكو ما لاقاهُ من حَرِّ النَّارِ.

وسُئِلَ أنَّ الْكُوزَ إذا مَلأْناهُ لا يَبْرُدُ، فإذا نَقَصَ بَرَدَ؟ فقال: حتى تَعْلَموا أنَّ الْهَوَى لا يَدْخُلُ إلا على ناقِصٍ[3].

(1) وفيات الأعيان: 3/ 140-142.

(2) نَشَّ الْماءُ يَنِشُّ نَشًّا ونَشِيشاً ونَشْشَ: صَوَّتَ عِنْدَ الْغَلَيانِ أو الصَّبِّ. اللسان: نشش.

(3) مطالع البدور ومنازل السرور: 119.

وَسُئِلَ كيفَ نُسِبَ قَتْلُ الْحُسَيْنِ إلى يَزِيدَ وهو بدِمَشْقَ، فأنْشَدَ: [البسيط]

سَهْمٌ أصابَ وَرامِيهِ بِذِي سَلَمِ مَنْ بِالْعِراقِ لقد أَبْعَدْتِ مَرْماكِ[1]

وله مِنْ هذا النَّوْعِ أَجْوِبَةٌ لَطيفَةٌ.

وُلِدَ سَنَةَ ثَمانٍ أو عَشْرٍ وَخَمْسِمِئَةٍ. وَتُوُفِّيَ ثانِيَ عَشَرَ رَمَضانَ سَنَةَ سَبْعٍ وتِسْعينَ وخَمْسِمِئَةٍ.

وَمِنَ التَّواريخِ:

"مِرْآةُ الزَّمانِ"، لِسِبْطِ ابْنِ الْجَوْزِيِّ، وهو شَمْسُ الدِّينِ أبو الْمُظَفَّرِ يوسُفُ بنُ قَزَ أوغْلِي[2]، الْواعِظُ الْمَشْهورُ. حَنَفِيُّ الْمَذْهَبِ، وله صِيتٌ وسُمْعَةٌ في مَجالِسِ وَعْظِهِ، وَقَبولٌ عند الْمُلوكِ وغَيْرِهِمْ.

رَوَى عن جَدِّهِ بِبَغْدادَ، وَسَمِعَ أبا الْفَرَجِ بْنَ كُلَيْبٍ، وابْنَ طَبَرْزَدٍ[3]، وسَمِعَ بِالْمَوْصِلِ ودِمَشْقَ، وحَدَّثَ بها وبِمِصْرَ.

وله: كِتابُ "إيثارُ الإنْصافِ"، و"مُنْتَهى السُّولِ في سِيرَةِ الرَّسولِ"، و"اللَّوامِعُ في الأَحاديثِ الْمُخْتَصَرِ والْجامِعِ"، و"تَفْسيرُ الْقُرآنِ الْعَزيزِ". وصَنَّفَ تاريخًا كَبِيرًا.

قالَ ابْنُ خَلِّكانَ: رَأَيْتُهُ بِخَطِّهِ في أرْبَعينَ مُجَلَّدًا سَمَّاهُ: "مِرْآةُ الزَّمانِ"[4].

---

(1) البيت للشريف الرضي، وهو في ديوان شعره: 2/ 93.

(2) لفظة تركية معناها: ابن البنت.

(3) الشيخ المسند أبو حفص عمر بن محمد ابن طَبَرْزَد الدَّارَقَزِّي البغدادي المؤدب (ت. 607هـ).

(4) وفيات الأعيان: 3/ 142.

قُلْتُ: أنا رَأَيْتُهُ في ثَمانِ مُجَلَّداتٍ، لَكِنْ في مُجَلَّداتٍ ضِخامٍ، وبِخَطٍّ دَقيقٍ.

وَتُوُفِّيَ في الْحادِي وَالْعِشْرينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِئَةٍ بِدِمَشْقَ. **ومَوْلِدُهُ** في سَنَةِ إِحْدَى وَثَمانِينَ وَخَمْسِمِئَةٍ ببغدادَ. وكان يقولُ: أَخْبَرَتْنِي أُمِّي أَنَّ مَوْلِدي سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَمانِينَ. رحمه الله تعالى[1].

وَمِنَ التَّواريخِ:

تاريخُ شَمْسِ الدِّينِ أبي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إبْراهيمَ بنِ أبي بَكْرِ ابْنِ خَلِّكانَ الْبَرْمَكِيِّ الشَّافِعِيِّ. كان ذا فَضْلٍ في كُلِّ فَنٍّ، وكان مَوْصوفًا بِكَرَمِ الْأَخْلاقِ والدِّيانَةِ، وكان ثِقَةً في نَقْلِهِ. وصَنَّفَ تاريخًا سَمَّاهُ: **"وَفَياتُ الْأَعْيانِ وأَنْباءُ أَبْناءِ الزَّمانِ مما ثَبَتَ بالنَّقْلِ أو السَّمْعِ أو أَثْبَتَهُ الْعِيانُ"**، ورَأَيْتُهُ في خَمْسِ مُجَلَّداتٍ بِخَطِّهِ.

وكان قاضِيًا بالْقاهِرَةِ مُدَّةً. ذَكَرَهُ في **تاريخِهِ**.

وُلِدَ في يومِ الخميس بعد صَلاةَ الْعَصْرِ حادي عَشَرَ ربيعِ الآخِرِ، سنة ثمانٍ وستمئةٍ، بِمَدينَةِ إِرْبِلَ بالْمَدْرَسَةِ الْمُظَفَّرِيَّةِ، ذَكَرَ تارِيخَ ولادَتِهِ نفسُهُ في تَرْجَمَةِ زَيْنَبَ بِنْتِ الشِّعْرِي، في آخِرِ الْأَسامِي الْمَذْكورَةِ في حَرْفِ الزَّايِ. **وتُوُفِّيَ** في يومِ السَّبْتِ السَّادِسِ والْعِشْرينَ من رَجَبٍ، سَنَةَ إِحْدَى وثَمانينَ وسِتِّمِئَةٍ بدِمَشْقَ الْمَحْروسَةِ.

---

(1) وفيات الأعيان: 3/ 142.

تَفَقَّهَ على أبيهِ بِمَدينَةِ إِرْبِلَ، ثم انْتَقَلَ بعد أبيهِ إلى الْمَوْصِلِ، وحَضَرَ دُروسَ الْإِمامِ كمالِ الدِّينِ ابنِ يونُسَ. ثم انْتَقَلَ إلى حَلَبَ، وقَرَأَ النَّحْوَ على أبي الْبَقاءِ يَعيشَ بنِ عَلِيٍّ النَّحْوِيِّ، والْفِقْهَ على أبي الْمَحاسِنِ الشَّيْخِ بهاءِ الدِّينِ يوسُفَ بنِ شَدَّادٍ. ثم قَدِمَ دِمَشْقَ، واشْتَغَلَ على ابْنِ الصَّلاحِ. ثم انْتَقَلَ إلى الْقاهِرَةِ، وَنابَ في الْحُكْمِ عن قاضي الْقُضاةِ بَدْرِ الدِّينِ السِّنْجارِيِّ. ثُمَّ وَلِيَ قَضاءَ الْمَحَلَّةِ، ثُمَّ وَلِيَ قَضاءَ الْقُضاةِ بِالشَّامِ، ثُمَّ عُزِلَ، ثُمَّ وَلِيَهَا ثانِيًا، ثُمَّ عُزِلَ.

ومِنْ مُصَنَّفاتِهِ: **التَّاريخُ** الْمَشْهورُ. وله في الْأَدَبِ الْيَدُ الطُّولَى، وشِعْرُهُ أَرَقُّ وأَحْسَنُ وأَعْذَبُ[1].

ومن التَّواريخِ:

تاريخُ ابْنِ حَجَرٍ، مُجَلَّدَتانِ. وتارِيخٌ آخَرُ له: **"إنْباءُ الْغُمْرِ في أَبْناءِ الْعُمْرِ"**، مُجَلَّدَتانِ. وله أَيْضًا: **"الدُّرَرُ الْكامِنَةُ في أَعْيانِ الْمِئَةِ الثَّامِنَةِ"**.

وَهُوَ الْإِمامُ الْعَلَّامَةُ، حافِظُ الْعَصْرِ، قاضِي الْقُضاةِ، شَيْخُ الْإِسْلامِ، أبو الْفَضْلِ أَحْمَدُ بْنُ الشَّيخِ الْإِمامِ عَلاءِ الدِّينِ عَلِيِّ بن حَجَرٍ الْعَسْقَلانِيِّ.

تُوُفِّيَ بعد الْعِشاءِ لَيْلَةَ السَّبْتِ، الْمُسْفِرِ صباحُهَا عن ثامِنَ عَشَرَ ذي الْحِجَّةِ، سَنَةَ ثَمانٍ وخَمْسينَ وثَمانِمِئَةٍ[2]. وَكانَ عُمُرُهُ إذْ ذاك تِسْعًا وَسَبْعِينَ سَنَةً وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وعَشَرَةَ أيامٍ. وصَلَّى عليه خَلْقٌ كَثيرٌ، ومن جُمْلَتِهِمْ: أبو

(1) طبقات الشافعية الكبرى: 8/ 32.
(2) الصحيح أنه توفي سنة 852هـ.

الْعَبَّاسِ الْخَضِرُ عليه السَّلامُ، رَآهُ عِصابَةٌ من الْأَوْلِياءِ. وكان مَوْلِدُهُ سنةَ ثَلاثٍ وسَبْعينَ وسَبْعِمِئَةٍ.

ومن التَّواريخِ:

"تاريخُ صَلاحِ الدِّينِ الصَّفَدِيِّ"، وهو بِخَطِّهِ، أَكْثَرُ مِنْ خَمْسِينَ مُجَلَّدًا. وهو خَليلُ بْنُ أَيْبَكَ الشَّيْخُ صَلاحُ الصَّفَدِيُّ الشَّافِعِيُّ، الْإِمامُ الْأَديبُ، النَّاظِمُ النَّاثِرُ، أَدِيبُ الْعَصْرِ.

وُلِدَ سَنَةَ تِسْعٍ وَسِتِّينَ وَسِتِّمِئَةٍ. وَقَرَأَ يَسِيرًا مِنَ الْفِقْهِ وَالْأَصْلَيْنِ، وبَرَعَ في الْأَدَبِ نَظْمًا ونَثْرًا، وكِتابَةً وجَمْعًا، وعُنِيَ بِالْحَديثِ، وسَمِعَ بِالْآخِرَةِ من جَماعَةٍ. وقَرَأَ على الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ أبي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الْكافِي السُّبْكِيِّ، وَلازَمَ الْحافِظَ فَتْحَ الدِّينِ ابْنَ سَيِّدِ النَّاسِ، وَبِهِ تَمَهَّرَ في الْأَدَبِ. وَصَنَّفَ الْكَثيرَ في التَّاريخِ والْأَدَبِ، وَقالَ: كَتَبْتُ [أَزْيَدَ مِنْ][1] سِتِّمِئَةِ مُجَلَّدٍ تَصْنيفًا.

ماتَ بِالطَّاعونِ لَيْلَةَ عاشِرِ شَوَّالٍ، سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعينَ وسَبْعِمِئَةٍ[2].

وَمِنَ التَّواريخِ:

"تاريخُ جَلالِ الدِّينِ السُّيوطِيِّ"، ثَلاثُ مُجَلَّداتٍ، و**"طَبَقاتُ النُّحاةِ"**، له أَيْضًا. مُجَلَّدانِ. إلى غَيْرِ ذَلِكَ.

---

(1) سقطت من قونية.

(2) الصحيح أنه توفي سنة 764هـ. طبقات الشافعية الكبرى: 10/ 5.

وَمِنْ جُمْلَةِ التَّوارِيخِ:

"تاريخُ الْخَطيبِ الْبَغْدادِيِّ"، عَشْرُ مُجَلَّداتٍ. وَهُوَ الْحافِظُ أبو بَكْرٍ أَحْمَدُ ابْنُ عَلِيِّ بْنِ ثابِتٍ الْبَغْدادِيُّ، الْمَعْروفُ بِالْخَطيبِ، صاحِبُ **"تاريخُ بَغْدادَ"**، وغيرِهِ من الْمُصَنَّفاتِ.

كانَ مِنَ الْحُفَّاظِ الْمُتْقِنِينَ، وَالْعُلَماءِ الْمُتَبَحِّرِينَ، ولو لم يَكُنْ له سِوَى التَّاريخِ لَكَفاهُ، فَإِنَّهُ يَدُلُّ على اطِّلاعٍ عَظيمٍ. وَصَنَّفَ قَريبًا مِنْ مِئَةِ مُصَنَّفٍ، وَكانَ فَقيهًا، فَغَلَبَ عليه الْحَدِيثُ وَالتَّاريخُ.

وُلِدَ في جُمادَى الْآخِرَةِ، سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَثَلاثِمِئَةٍ. **وتُوُفِّيَ** يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ سابِعِ ذي الْحِجَّةِ. وَقِيلَ: في شَوَّالٍ سَنَةَ ثَلاثٍ وسِتِّينَ وأَرْبَعِمَئَةٍ. وحَمَلَ نَعْشَهُ أبو إِسْحاقَ الشِّيرازِيُّ، رَحِمَهُما اللهُ تَعالى[1].

وَمِنْ التَّوارِيخِ:

"ذَيْلُ تاريخِ بَغْدادَ"، لِلْحافِظِ مُحِبِّ الدِّينِ ابْنِ النَّجَّارِ، فجاءَ في ثلاثينَ مُجَلَّدًا. وهو مُحَمَّدُ بنُ مَحْمودِ بنِ الْحَسَنِ بنِ هِبَةِ اللهِ، الْحافِظُ الْكَبيرُ، الثِّقَةُ، مُحِبُّ الدِّينِ أبو عبدِ اللهِ ابْنُ النَّجَّارِ الْبَغْدادِيُّ. وتاريخُهُ دالٌّ على سَعَةِ حِفْظِهِ، وعُلُوِّ شَأْنِهِ. وله: مُصَنَّفٌ حافِلٌ في **مَناقِبِ الشَّافِعِيِّ**. وله تَصانيفُ أُخَرُ في السُّنَنِ والْأَحْكامِ.

وُلِدَ في ذي الْقَعْدَةِ سَنَةَ ثَمانٍ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِئَةٍ.

---

(1) وفيات الأعيان: 1/ 92–93.

وَلَهُ الرِّحْلَةُ الْواسِعَةُ إلى الشَّامِ ومِصْرَ والْحِجازِ ومَرْوَ وَأَصَبْهانَ وهَراةَ، وَنَيْسابورَ.

وَكانَتْ رِحْلَتُهُ سَبْعًا وعِشْرينَ سنَةً. واشْتَمَلَتْ مَشْيَخَتُهُ على ثَلاثَةِ آلافِ شَيْخٍ.

تُوُفِّيَ بِبَغْدادَ خامِسَ شَعْبانَ سَنَةَ ثَلاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَسِتِّمِئَةٍ.

وَمِنَ التَّواريخِ:

"**تاريخُ أَبِي سَعْدٍ السَّمْعانِيِّ**"، وَهُوَ تَاجُ الْإِسْلامِ أبو سَعْدٍ عَبْدُ الْكَريمُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ أبي الْمُظَفَّرِ الْمَنْصورِ السَّمْعانِيُّ الْمَرْوَزِيُّ، الْفَقيهُ الشَّافِعِيُّ، رَحَلَ في طَلَبِ الْعِلْمِ وَالْحَديثِ إلى أَقْطارِ الْأَرْضِ، وَسافَرَ إلى ما وَراءَ النَّهْرِ وخُراسانَ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْبِلادِ. وَكانَ شُيوخُهُ تَزيدُ على أَرْبَعَةِ آلافِ شَيْخٍ.

وصَنَّفَ التَّصانِيفَ الْحَسَنَةَ، منها: "**ذَيْلُ تارِيخِ بَغْدادَ**"، لِأَبِي بَكْرٍ ابْنِ الْخَطيبِ، نَحْوَ خَمْسَةَ عَشَرَ مُجَلَّدًا. و"**تاريخُ مَرْوَ**"، يَزيدُ على عِشْرينَ مُجَلَّدًا. وَكَذَلِكَ "**الْأَنْسابُ**"، نَحْوَ ثَمانِي مُجَلَّداتٍ، واخْتَصَرَهُ عِزُّ الدِّينِ في ثَلاثِ مُجَلَّداتٍ، واسْتَدْرَكَ عليه.

وُلِدَ أبو سَعْدٍ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ، الْحادِي والْعِشْرينَ من شَعْبَانَ، سَنَةَ سِتٍّ وخَمْسِمِئَةٍ. **وَتُوُفِّيَ** بِمَرْوَ في لَيْلَةِ غُرَّةِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ وخَمْسِمِئَةٍ. وَكانَ أَبوهُ وَجَدُّهُ أَيْضًا مِنَ الْفُضَلاءِ الْعُلَماءِ[1].

---

(1) وفيات الأعيان: 3/ 209-210.

وَمِنَ التَّواريخِ:

"ذَيْلُ تاريخِ السَّمْعانِيِّ"، لِلدُّبَيْثِيِّ، بِالدَّالِ الْمُهْمَلَةِ، والْمُوَحَّدَةِ وَالْمُثَنَّاةِ من تَحْتُ، وَالْمُثَلَّثَةِ من فَوْقُ، قَرْيَةٌ بِنَواحِي واسِطٍ. وهو أبو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ ابنُ أبي الْمَعالي، الْفَقيهُ الشَّافِعِيُّ، الْمُؤَرِّخُ الْواسِطِيُّ. سَمِعَ الْحَديثِ كَثيرًا، وَبَرَعَ في أَسْماءِ الرِّجالِ وَتاريخِ الْحُفَّاظِ.

وَصَنَّفَ: ذَيْلَ الذَّيْلِ الْمَذْكورِ، في ثَلاثِ مُجَلَّداتٍ. وصَنَّفَ تاريخًا لِواسِطٍ.

وُلِدَ في السَّادِسِ والْعِشْرينَ من رَجَبٍ سَنَةَ ثَمانٍ وَخَمْسينَ وخَمْسِمِئَةٍ بِواسِطٍ. وتُوُفِّيَ لِثَمانٍ خَلَوْنَ من رَبيعِ الْآخِرِ، سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلاثينَ وَسِتِّمِئَةٍ بِبَغْدادَ[1].

وَمِنْ أَجَلِّ التَّواريخِ:

"تاريخُ الذَّهَبِيِّ"، ثَلاثُ كُتُبٍ، صَنَّفَ: "التَّاريخُ الْكَبيرُ". ثُمَّ الْأَوْسَطَ الْمُسَمَّى: بِالْعِبَرِ. والصَّغيرَ الْمُسَمَّى: "دُوَلُ الْإِسْلامِ".

وَالذَّهَبِيُّ، هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عُثْمانَ، شَمْسُ الدِّينِ أبو عبدِ اللهِ الذَّهَبِيُّ، مُحَدِّثُ الْعَصْرِ، إِمامُ الْوُجودِ حِفْظًا، وَذَهَبِيُّ الْعَصْرِ مَعْنًى ولَفْظًا، وشَيْخُ الْجَرْحِ والتَّعْديلِ، وَرَجُلُ الرِّجالِ في كُلِّ سَبيلٍ.

وُلِدَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وسَبْعينَ وسِتِّمِئَةٍ، وَطَلَبَ الْحَديثَ وهو ابْنُ ثَمانِيَ عَشْرَةَ سَنَةً. سَمِعَ بدمشقَ، وبِمِصْرَ، وبِبَعْلَبَكَّ، وبالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ، وسَمِعَ منه الْجَمْعُ الْكَثيرُ. وما زالَ يَخْدُمُ الْحَديثَ حَتَّى رَسَخَتْ فيه قَدَمُهُ، وتَعِبَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ

(1) وفيات الأعيان: 4/ 394-395.

وما تَعِبَ لِسانُهُ وقَلَمُهُ، إلَّا أنه كانَ شَديدَ الْمَيْلِ إلى آراءِ الْحَنابِلَةِ، كَثيرَ الْإِزْراءِ بِأَهْلِ السُّنَّةِ، فَلِذَلِكَ لا يُنْصِفُهُمْ في التَّراجِمِ. وَكانَ كَثيرَ الْوَقيعَةِ في الصُّوفِيَّةِ.

وله التَّصانِيفُ الْجَزيلَةُ في الْحَديثِ وَأَسْماءِ الرِّجالِ وَالتَّواريخِ. وقَرَأَ الْقُرْآنَ وأَقْرَأَهُ بِالرِّواياتِ.

تُوُفِّيَ لَيْلَةَ الْإِثْنَيْنِ، ثالِثِ ذي الْقَعْدَةِ، سَنَةَ ثَمانٍ وَأَرْبَعينَ وَسَبْعِمِئَةٍ[1].

ومن التَّواريخِ:

كِتابُ **"الْبَارِعُ"**، لِأَبي عَبْدِ اللهِ هارونَ بنِ عَلِيِّ بْنِ يَحْيَى بْنِ أبي مَنْصورٍ الْمُنَجِّمِ الْبَغْدادِيِّ، الْأَدِيبِ الْفاضِلِ. كانَ حافِظًا، راوِيَةً لِلْأَشْعارِ، حَسَنَ الْمُنادَمَةِ، لَطِيفَ الْمُجالَسَةِ.

صَنَّفَ: كِتابَ **"الْبارِعُ في أَخْبارِ الشُّعَراءِ الْمُوَلَّدينَ"**، وجَمَعَ مِئَةً وَأَحَدًا وسِتِّينَ شاعِرًا، وَافْتَتَحَهُ بِذِكْرِ بَشَّارِ بنِ بُرْدٍ، وخَتَمَهُ بمحمَّدِ بن عبدِ الْمَلِكِ ابنِ صالِحٍ. وهو من الْكُتُبِ النَّفيسَةِ، فإِنَّهُ يُغْني عن دَواوينِ الْجَماعَةِ الَّذِينَ مَرَّ ذِكْرُهُمْ، فإِنَّهُ مَحَّضَ أَشْعارَهُمْ، وأَثْبَتَ منها زُبْدَتَها، وتَرَكَ زَبَدَهَا. وهذا الْكِتابُ أَصْلٌ نَسَجُوا على مِنْوالِهِ. وسَنَذْكُرُ عِدَّةَ ذَيْلٍ له.

وله: كِتابُ **"النِّساءُ وما جاءَ فيهنَّ من الْخَبَرِ وما قيلَ فيهنَّ من الشِّعْرِ"**.

تُوُفِّيَ سنَةَ ثَمانٍ وَثَمانِينَ[2]، وهو حَدَثُ السِّنِّ. واللهُ أَعْلَمُ.

---

(1) طبقات الشافية الكبرى: 9/ 103-105.

(2) يقصد أنه توفي سنة 288هـ.

ومن التَّواريخِ:

"يَتِيمَةُ الدَّهْرِ"، لِلثَّعالِبِيِّ، وهو أبو مَنْصورٍ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْماعِيلَ الثَّعالِبِيُّ النَّيْسابورِيُّ.

قالَ ابنُ بسَّامٍ في الذَّخيرَةِ: كانَ رَأْسَ الْمُؤَلِّفينَ في زَمانِهِ، وَإِمامَ الْمُصَنِّفينَ بِحُكْمِ قِرانِهِ.

وَلَهُ مِنْ التَّآليفِ: **"يَتيمَةُ الدَّهْرِ في مَحاسِنِ أَهْلِ الْعَصْرِ"**. وهو أَكْبَرُ كُتُبِهِ وَأَحْسَنُها وأَجْمَعُها، وهذا الْكِتابُ ذَيْلٌ لِكِتابِ الْبارِعِ الْمُقَدَّمِ ذِكْرُهُ.

وله أيضًا: كِتابُ **"فِقْهُ اللُّغَةِ"**، و**"سِحْرُ الْبَلاغَةِ ونَشْرُ الْبَراعَةِ"**، و**"مَنْ غابَ عنه الْمُطْرِبُ"**، و **"مُؤْنِسُ الْوَحِيدِ"**. وَشَيْءٌ كَثيرٌ.

جَمَعَ فيها أَشْعارَ النَّاسِ وَرَسائِلَهُمْ، وَأَخْبارَهُمْ وَأَحْوالَهُمْ، وَفِيهَا دَلالَةٌ على اطِّلاعِهِ. وله أَشْعارٌ كَثيرَةٌ.

وُلِدَ سَنَةَ خَمْسِينَ وَثَلاثِمِئَةٍ. وتُوُفِّيَ في سَنَةِ تِسْعٍ وعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ[1].

وَمِنَ التَّواريخِ:

دُمْيَةُ الْقَصْرِ، لِلْباخَرْزِيِّ، وهو أبو الْحَسَنِ عَلِيُّ بنُ الْحَسَنِ بنِ عَلِيٍّ بنِ أبي الطَّيِّبِ الْباخَرْزِيُّ، الشاعِرُ الْمَشْهورُ. تَفَقَّهَ أَوَّلًا على والِدِ إمامِ الْحَرَمَيْنِ، الشَّيْخِ أبي مُحَمَّدٍ الْجُوَيْنِيِّ، على مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ. ثُمَّ شَرَعَ في فَنِّ الْكِتابَةِ،

---

(1) وفيات الأعيان: 3/ 178.

وغَلَبَ أَدَبُهُ على فِقْهِهِ. وَاخْتَلَفَ إلى دِيوانِ الرَّسائِلِ، وَارْتَفَعَتْ به الْأَحْوالُ وَانْخَفَضَتْ، ورَأَى مِنَ الدَّهْرِ الْعَجائِبَ، سَفَرًا وحَضَرًا. وعَمِلَ الشِّعْرَ، وسَمِعَ الْحَديثَ.

وَصَنَّفَ كِتابَ **"دُمْيَةُ الْقَصْرِ وعُصْرَةُ أَهْلِ الْعَصْرِ"**، وهو ذَيْلُ **"يَتيمَةُ الدَّهْرِ"**، لِلثَّعالِبِيِّ؛ وجَمَعَ فيها خَلْقًا كَثيرًا. وَقَدْ وَضَعَ على هذا الْكِتابِ، أبو الْحَسَنِ عَلِيُّ بنُ زَيْدِ الْبَيْهَقِيُّ كِتابًا سَمَّاهُ: **"وِشاحُ الدُّمْيَةِ"**، وَهُوَ كَالذَّيْلِ له.

قُتِلَ الْبَاخَرْزِيُّ في مَجْلِسِ الْأُنْسِ بِبَاخَرْزَ، وَهِيَ مِنْ نَواحِي نَيْسابورَ، في ذي الْقَعْدَةِ سَنَةَ سَبْعٍ وسِتِّينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ، وذَهَبَ دَمُهُ هَدَرًا[1].

وَمِنَ التَّواريخِ:

"زِينَةُ الدَّهْرِ"، لِلْحَظيرِيِّ، وهو أبو الْمَعالي سَعْدُ بنُ عَلِيِّ بْنِ الْقاسِمِ الْأَنْصارِيُّ الْخَزْرَجِيُّ، الْوَراقُ الْحَظيرِيُّ، الْمَعْروفُ بدَلَّالِ الْكُتُبِ، كانَتْ لَدَيْهِ مَعارِفُ، وله نَظْمٌ جَيِّدٌ.

وأَلَّفَ مَجاميعَ ما قَصَّرَ فيها. منها: كتاب **"زِينَةُ الدَّهْرِ وَعُصْرَةُ أَهْلِ الْعَصْرِ وذِكْرُ أَلْطافِ شُعَراءِ الْعَصْرِ"**، الَّذِي ذَيَّلَهُ على **"دُمْيَةُ الْقَصْرِ"**، لِلباخَرْزِيِّ، جَمَعَ في جَماعَةٍ كَثيرَةٍ من أَهْلِ عَصْرِهِ ومَنْ تَقَدَّمَهُمْ، وَأَوْرَدَ لِكُلِّ واحِدٍ طَرَفًا مِنْ أَحْوالِهِ وَشَيْئًا مِنْ شِعْرِهِ.

---

(1) وفيات الأعيان: 3/ 387-388.

وَقَدْ ذَكَرَهُ الْعِمادُ الْكاتِبُ في الْخَريدَةِ، وَكانَ مُطَّلِعًا على أَشْعارِ النَّاسِ وَأَحْوالِهِمْ. وله كِتابُ "لُمَحُ الْمُلَحِ"، يَدُلُّ على كَثْرَةِ اطِّلاعِهِ.

تُوُفِّيَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ الْخامِسِ والْعِشْرينَ أو الْخامِسَ عَشَرَ من صَفَرٍ، سَنَةَ ثَمانٍ وسِتِّينَ وخَمْسِمِئَةٍ بِبَغْدادَ[1].

وَمِنَ التَّواريخِ:

[تاريخُ][2] **"خَريدَةُ الْقَصْرِ وجَريدَةُ الْعَصْرِ"**، لِلْعِمادِ الْأَصْبَهانِيِّ، وهو أبو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ صَفِيِّ الدِّينِ أبو[3] الْفَرَجِ مُحَمَّدِ بنِ نفيسِ الدِّينِ أبو[4] الرَّجاءِ حامِدٍ، الْمُلَقَّبُ عِمادَ الدِّينِ[5]، الْكاتِبُ الْأَصْبَهانِيُّ.

كانَ فَقيهًا شافِعِيَّ الْمَذْهَبِ. تَفَقَّهَ بالْمَدْرَسَةِ النِّظامِيَّةِ، وَأَتْقَنَ الْخِلافَ وَفُنُونَ الْأَدَبِ. وله من الشِّعْرِ والرَّسائِلِ ما يُغْنِي عن الْإِطالَةِ في شَرْحِهِ.

وَكانَ قَدْ نَشَأَ بِأَصْبَهانَ، وقَدِمَ بَغْدادَ في حَداثَتِهِ وتَفَقَّهَ بها، وسَمِعَ الْحَديثَ. وَكانَ سَيِّءَ الْحالِ أَوَّلًا، ثُمَّ بَلَغَ الرِّفْعَةَ عند السُّلْطانِ صلاحِ الدِّينِ وَنُورِ الدِّينِ مَحْمودِ بنِ أَتابِكَ زِنْكِي، وتَقَلَّبَتْ به الْأَحْوالُ، إلى أَنْ عَظُمَ أَمْرُهُ وَصارَ رَخِيَّ الْبالِ.

---

(1) وفيات الأعيان: 2/ 366.

(2) سقطت من قونية.

(3) كذا في النسخ الخطية، والصواب الكسر، كما جاء في وفيات الأعيان: 5/ 147.

(4) كذا في النسخ الخطية، والصواب الكسر، كما جاء في المصدر السابق: 5/ 147.

(5) بعماد الدين، في رئيس الكتاب.

وَصَنَّفَ التَّصانِيفَ النَّافِعَةَ؛ منها: كِتابُ **"خَرِيدَةُ الْقَصْرِ وجَرِيدَةُ الْعَصْرِ"**، جَعَلَهُ ذَيْلًا على **"زِينَةُ الدَّهْرِ"**، لِلْحَظيرِيِّ، وجَعَلَهُ في عَشْرِ مُجَلَّداتٍ، ولم يَتْرُكْ إلَّا النَّادِرَ الْخامِلَ. وصَنَّفَ كتابَ: **"الْبَرْقُ الشَّامِيُّ"**، في سَبْعِ مُجَلَّداتٍ، وهو تاريخٌ. وله كِتابُ **"الْفَتْحُ الْقُسِّيُّ في الْفَتْحِ الْقُدْسِيِّ"**[1]، في مُجَلَّدَيْنِ. وصَنَّفَ: **"السَّيْلُ على الذَّيْلِ"**، جَعَلَهُ ذَيْلًا على **"خَرِيدَةُ الْقَصْرِ"**. وله **"ديوانُ رَسائِلَ"**، و**"دِيوانُ شِعْرٍ"**.

وَكانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقاضِي الْفاضِلِ مُكاتَباتٌ، منها ما يُحْكى أَنَّهُ لَقِيَهُ يَوْمًا وهو راكِبٌ على فَرَسٍ، فقالَ له: سِرْ فلا كَبَا بِكَ الْفَرَسُ، فقال له الْفاضِلُ: دامَ عَلاءُ الْعِمادِ، وُكُلٌّ منهما يُقْرَأُ مَقْلوبًا مُسْتَوِيًا. ولم يَزَلِ الْعِمادُ على مَكانَةٍ وَرِفْعَةِ مَنْزِلَةٍ، إلى أَنْ تُوُفِّيَ السُّلْطانُ صلاحُ الدِّينِ، فَاخْتَلَّتْ أَحْوالُهُ، وتَقَطَّعَتْ أَوْصالُهُ. ولم يَجِدْ في وَجْهِهِ بابًا مَفْتوحًا، فَلَزِمَ بَيْتَهُ، وَأَقْبَلَ على الِاشْتِغالِ بِالتَّصانيفِ.

وُلِدَ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ، ثانِي جُمادَى الْآخِرَةِ، أو في شَعْبانَ، سَنَةَ عَشْرٍ وخَمْسِمِئَةٍ بِأَصْبَهانَ. **وتُوُفِّيَ** يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ مُسْتَهَلِّ رَمَضانَ، سَنَةَ سَبْعٍ وَتِسْعينَ وَخَمْسِمِئَةٍ بِدِمَشْقَ[2].

وَمِنَ التَّواريخِ:

"تاريخُ قاضي الْقُضاةِ الْعَيْنِيِّ"، وهو على ما حُكِيَ في سِتِّينَ مُجَلَّدَةً.

---

(1) الكتاب مطبوع، قال مؤلفه في مقدمته عن سبب تسميته هكذا: "وعرضته على القاضي... فقال لي سَمِّهِ: "الفتح القُسِّيُّ في الفتح القدسي"، فقد فتح الله عليك فيه بفصاحة قُسٍّ وبلاغته". ص: 41.
(2) وفيات الأعيان: 5/ 148.

وهو مَحْمودُ بنُ أَحْمَدَ بنِ موسى الْعَيْنَتَابِيُّ الْحَنَفِيُّ الْعَلامَةُ، قاضي الْقُضاةِ بَدْرُ الدِّينِ الْعَيْنِيُّ.

وُلِدَ في رَمَضانَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ وَسَبْعِمِئَةٍ بِعَيْنِ تابَ[1]، وَنَشَأَ بها، وَتَفَقَّهَ واشْتَغَلَ بِالْفُنونِ، وبَرَعَ ومَهَرَ، وَوَلِيَ قَضاءَ الْحَنَفِيَّةَ بِالْقاهِرَةِ. وَكانَ إِمامًا عالِمًا عَلَّامَةً، عارِفًا بِالْعَرَبِيَّةِ وَالتَّصْرِيفِ، وَغَيْرِهِما، حافِظًا لِلُّغَةِ، كَثِيرَ الِاسْتِعْمالِ لِحُوشِيِّهَا، سَرِيعَ الْكِتابَةِ. عَمَرَ مَدْرَسَةً بِقُرْبِ الْجامِعِ الْأَزْهَرِ، وَوَقَفَ كُتُبَهُ بها. وَأَمَّا نَظْمُهُ فَمُنْحَطٌّ إلى الْغايَةِ، وَرُبَّما يَأْتي به بلا وَزْنٍ.

وله: "**شَرْحُ الْبُخارِيِّ**"، "**شَرْحُ الشَّواهِدِ الْكَبِيرُ**"، و"**الصَّغيرُ**"، "**شَرْحُ مَعاني الْآثارِ**"، "**شَرْحُ الْكَنْزِ**"، "**شَرْحُ الْمَجْمَعِ**"، "**شَرْحُ عَروضِ السَّاوِيِّ**"[2]، "**طَبَقاتُ الْحَنَفِيَّةِ**"، "**طَبَقاتُ الشُّعَراءِ**"، "**مُخْتَصَرُ تاريخِ ابْنِ عَساكِرَ**"، "**شَرْحُ الْهِدايَةِ**" في الْفِقْهِ، "**شَرْحُ دُرَرِ الْبِحارِ**"، و"**تاريخُهُ الْكَبيرُ**" الْمَذْكورُ.

وَكانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ شَيْخِ الْإِسْلامِ ابْنِ حَجَرٍ مُنافَسَةٌ[3]، وَلَمَّا وَقَعَتْ مَنارَةُ الْمُؤَيَّدِيَّةِ، وَكانَ الْعَيْنِيُّ شَيْخَ الْحَديثِ بها قال **ابْنُ حَجَرٍ**: **[الطويل]**

لِجامِعِ مَوْلانا الْمُؤَيَّدِ رَوْنَقٌ   مَنارَتُهُ بِالْحُسْنِ تَزْهو وَبِالزَّيْنِ[4]

---

(1) قلعة حصينة ورستاق بين حلب وأنطاكية وكانت تعرف بدلوك ودلوك رستاقها، وهي الآن من أعمال حلب. معجم البلدان: 4/ 176.

(2) يعرف: بـ: "الحاوي في شرح قصيدة الساوي". كشف الظنون: 2/ 1136.

(3) مناقشة، في رئيس الكتاب.

(4) البيتان والترجمة من بغية والوعاة: 2/ 275-276.

يَقولُ وَقَدْ مالَتْ عَلَيْهِمْ تَمَهَّلُوا فَلَيْسَ على هَذْمي أَضَرُّ من الْعَيْنِي[1]

مَاتَ في ذي الْحِجَّةِ سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَثَمانِمِئَةٍ.

ومن التَّواريخِ:

"تاريخُ الْحافِظِ ابنِ عَساكِرَ"، سَبْعَةٌ وخَمْسونَ مُجَلَّدًا.

وهو الْحافِظُ أبو القاسِمِ عَلِيُّ بنُ أبي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بنِ هِبَةِ اللهِ، الْمَعْروفُ بابْنِ عَساكِرَ الدِّمَشْقِيِّ، الْمُلَقَّبُ ثِقَةَ الدِّينِ.

كانَ مُحَدِّثَ الشَّامِ، وَمِنْ أَعْيانِ الْفُقَهاءِ الشَّافِعِيَّةِ، غَلَبَ عليه الْحَديثُ، فَاشْتَهَرَ به، وبالَغَ في طَلَبِهِ، إلى أَنْ جَمَعَ منه ما لم يَتَّفِقْ لِغَيْرِهِ. وَرَحَلَ وَطَوَّفَ، وَجَابَ الْبِلادَ، ولَقِيَ الْمَشايِخَ.

وَكانَ رَفيقَ الْحافِظِ أبي سَعْدٍ السَّمْعانِيِّ في الرِّحْلَةِ. وَكانَ حافِظًا دَيِّنًا، جَمَعَ بَيْنَ مَعْرِفَةِ الْمُتونِ وَالْأَسانِيدِ. سَمِعَ بِبَغْدادَ، ثُمَّ رَحَلَ إلى دِمَشْقَ، ثُمَّ إلى خُراسانَ وَنَيْسابورَ وَهَرَاةَ وَأَصْبَهانَ.

وَصَنَّفَ التَّصانِيفَ الْمُفِيدَةَ. صَنَّفَ "التَّاريخُ الْكَبيرُ لِدِمَشْقَ"، في ثَمانِينَ مُجَلَّدَةً بِخَطِّهِ، أَتَى فِيهِ بِالْعَجائِبِ، حَتَّى قِيلَ: إِنَّهُ لَعَلَّهُ جَمَعَ هذا مُنْذُ عَقِلَ نَفْسَهُ. وإلَّا فَالْعُمُرُ لا يَتَّسِعُ لِوَضْعِهِ بعد الِاشْتِغالِ وَالتَّنَبُّهِ. وله تَآليفُ حَسَنَةٌ غَيْرُ هذا. وله شِعْرٌ لا بَأْسَ به.

---

(1) فليس على حسني، في قونية.

وُلِدَ في أوَّلِ الْمُحَرَّمِ، سَنَةَ تِسْعٍ وتِسْعينَ وأَرْبَعِمِئَةٍ. وتُوُفِّيَ في الحادي عَشَرَ من رَجَبٍ، سنة إحْدَى وسَبْعينَ وخَمْسِمِئَةٍ بدِمَشْقَ[1].

ومن التَّواريخِ:

"تاريخُ مِصْرَ"، لِأَبِي سَعيدٍ عَبْدِ الرَّحْمنِ بْنِ أبي الْحَسَنِ أَحْمَدَ، الْمُحَدِّثِ الْمُؤَرِّخِ الْمِصْرِيِّ. كانَ خَبِيرًا بِأَحْوالِ النَّاسِ، ومُطَّلِعًا على تَوارِيخِهِمْ، عارِفًا بما يَقولُهُ. جَمَعَ لِمِصْرَ تارِيخَيْنِ: أَحَدُهُما كَبيرٌ لِأَهْلِهِ؛ وَالْآخَرُ صَغيرٌ لِلْغُرَباءِ. وقد ذَيَّلَهُما أبو الْقاسِمِ يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ الْحَضْرَمِيُّ.

وُلِدَ عَبْدُ الرَّحْمنِ سَنَةَ إِحْدَى وَثَمانِينَ وَمِئَتَيْنِ. وَتُوُفِّيَ سَنَةَ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلاثِمِئَةٍ.

وَمِنْ أَصَحِّ التَّوارِيخِ وَأَحْسَنِها وَأَلْطَفِها لِوُرودِهِ بِعِباراتٍ عَذْبَةٍ، وَأَنْفَعِهَا لِلنَّاسِ لِاشْتِمالِهِ على الْمُهِمَّاتِ، **"تاريخُ الْيافِعِيِّ"**، مُجَلَّدَتانِ كَبيرَتانِ. وهو عَبْدُ اللهِ بْنُ أَسْعَدَ بْنِ عَلِيٍّ الْيَمانِيُّ الشَّافِعِيُّ، الرَّجُلُ الصَّالِحُ، ومُحِبُّ الصُّلَحاءِ، وَخادِمُ أَوْلياءِ اللهِ، الْمُناضِلُ عنهم، والْمُنافِحُ عن شَأْنِهِمْ، صاحِبُ الْمُصَنَّفاتِ الْكَثيرَةِ الشَّهيرَةِ. وكُلُّ تَصانيفِهِ نافِعٌ في بابِهِ.

وله: "النَّظْمُ الْكَبيرُ"، سِيَّمَا مَدْحُ سَيِّدِنا ونَبِيِّنا مُحَمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّمَ.

---

(1) وفيات الأعيان: 3/ 109-110.

ومِنْ لَطيفِ[1] مُصَنَّفاتِهِ: "**مِصْباحُ الظَّلامِ في الْمُسْتَغيثينَ بِخَيْرِ الأنامِ**". وكتابُ "**رَوْضُ الرَّياحينِ في حِكاياتِ الصَّالِحينَ**". وكُلُّ تَصانيفِهِ حَسَنٌ.

وَبِالْجُمْلَةِ، هو رَجُلٌ مُبارَكٌ، عَزيزُ الْوُجودِ، فَرْدُ زَمانِهِ، ونادِرَةُ أوانِهِ، أَشْعَرِيُّ الْعَقيدَةِ، والسَّالِكُ طَريقَةَ الصُّوفِيَّةِ السَّادَةِ، والْمَعاشِرِ مع أَهْلِ الْخَيْرِ والزُّهْدِ والصَّلاحِ.

قال ابْنُ السُّبْكِيِّ في طَبَقاتِهِ الْكُبْرَى: اجْتَمَعْتُ به في مِنى سَنَةَ سَبْعٍ وأربعينَ وَسَبْعِمِئَةٍ. **وتُوُفِّيَ** بمَكَّةَ سَنَةَ سَبْعٍ وسِتِّينَ وسَبْعِمِئَةٍ[2]، في جُمادَى الْأُولَى مِنَ السَّنَةِ، رَوَّحَ اللهُ رُوحَهُ، وَزادَ في أَعْلَى الْجَنَّةِ[3] فُتوحَهُ[4].

وَكُتُبُ التَّواريخِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى، لَكِنْ إِنْ فُزْتَ بما ذُكِرَ فُزْتَ الْمَرامَ، وإِنْ أَرَدْتَ التَّوَغُّلَ فيه فعَلَيْكَ بكِتابِ: "**مُروجُ الذَّهَبِ**"، لِلْمَسْعودِيِّ، و"**أَخْبارُ الزَّمانِ**"، له أَيْضًا، و"**بُسْتانُ التَّواريخِ**"[5]، و"**نَوادِرُ الْأَخْبارِ**"، و"**مَعادِنُ الذَّهَبِ**"، و"**عُيونُ التَّواريخِ**"، سِتُّ مُجَلَّداتٍ. و"**زُبْدَةُ الْفِكْرَةِ**"[6]، وتاريخُ "**الْمَعارِفُ**"، لِابْنِ قُتَيْبَةَ، و"**نِصابُ الْأَعْيانِ**"، و"**الْجَواهِرُ الْمُضيَّةِ في طَبَقاتِ الْحَنَفِيَّةِ**"، و"**الطَّبَقاتُ الْكُبْرَى الشَّافِعِيَّةُ**"،

---

(1) لطائف، في رئيس الكتاب.

(2) المشهور أنه في سنة 768هـ.

(3) الْجِنان، في رئيس الكتاب.

(4) طبقات الشافعية الكبرى: 10/ 33.

(5) البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، للعماد الأصبهاني.

(6) كتاب زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، ينسب لركن الدين بيبرس المنصوري.

لابْنِ السُّبْكِيِّ، و"**تاريخُ النُّحاةِ**"، لِلسُّيوطِيِّ، و"**تارِيخُ الْحُكَماءِ**"[1]، لِصاعِدٍ[2]، و"**تاريخُ صِوانِ الْحِكْمَةِ**"[3]، وغيرِ ذلِكَ.

ومنها: **تاريخُ حَلَبَ**، لِلْكَمالِ ابْنِ الْعَديمِ، عَشْرُ مُجَلَّداتٍ، سَمَّاهُ: "**بُغْيَةُ الطَّلَبِ في تاريخِ حَلَبَ**"، و"**تاريخُ نَيْسابورَ**"، لِلْحافِظِ أبي عبدِ اللهِ الْحاكِمِ، سِتُّ مُجَلَّداتٍ. والذَّيْلُ عليه الْمُسَمَّى: بـ "**السِّياقُ**"، لعبدِ الْغافِرِ الْفارِسِيِّ، مُجَلَّدٌ. و"**تاريخُ أَصْبَهانَ**"، لِلْحافِظِ أبي نُعَيْمٍ، مُجَلَّدٌ. و"**تاريخُ بَلْخَ**"، مُجَلَّدٌ. و"**تاريخُ إِرْبِلَ**"، لأبي الْبَرَكاتِ ابْنِ الْمُسْتَوْفِي، أَرْبَعُ مُجَلَّداتٍ. و"**تاريخُ قَزْوينَ**"، لِلرَّافِعِيِّ. و"**تاريخُ عُلَماءِ الأَنْدَلُسِ**"، لأبي الْوَليدِ ابنِ الْفَرَضِيِّ، مُجَلَّدٌ. و"**الصِّلَةُ**" عليه، لقاسِمِ ابنِ بَشْكُوَالَ، مُجَلَّدٌ. و"**صِلَةُ الصِّلَةِ**"، لأبي جَعْفَرِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، مُجَلَّدانِ. و"**الذَّيْلُ والتَّكْمِلَةُ على الْمَوْصولِ والصِّلَةِ**"، لابن عَبْدِ الْمَلِكِ، تِسْعُ مُجَلَّداتٍ. و"**تاريخُ الأَنْدَلُسِ**"، لأبي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بنِ نَصْرٍ الْحُمَيْدِيِّ، مُجَلَّدٌ. و"**رَيْحانَةُ الأَنْفُسِ في عُلَماءِ الأَنْدَلُسِ**"، لابْنِ عاتٍ[4]، مُجَلَّدٌ. و"**الْمُغْرِبُ في حُلَى الْمَغْرِبِ**"، لِعَلِيِّ بنِ سَعيدٍ الأَنْدَلُسِيِّ، سِتُّ مُجَلَّداتٍ. و"**الإحاطَةُ في تارِيخِ غَرْناطَةَ**"، لِلِسانِ

---

(1) نسبه إليه ياقوت الحموي في معجم الأدباء: 4/ 1650.

(2) صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن الجياني القرطبي، (ت.468هـ)، ترجمته في: الصلة لابن بشكوال: 1/ 321، بغية الملتمس: 323، معجم الأدباء: 6/ 2857.

(3) لأبي سليمان السِّجستاني محمد بن طاهر (ت.380هـ)، ترجمته في: إخبار العلماء بأخبار الحكماء: 214، عيون الأنباء: 427، مسالك الأبصار لشهاب الدين العمري: 9/ 59.

(4) ابن عات النفزي أحمد بن هارون بن أحمد الشاطبي (ت.609هـ)، ترجمته في: التكملة لكتاب الصلة: 1/ 90، طبقات علماء الحديث لابن عبد الهادي: 4/ 168، سير أعلام النبلاء: 22/ 13.

الدِّينِ ابنِ الْخَطيبِ، ثَلاثُ مُجَلَّداتٍ. و"**تاريخُ الْيَمَنِ**"، لِلْجَنَدِيِّ، مُجَلَّدٌ. ولِلْخَزْرَجِيِّ مُجَلَّدانِ. و"**تاريخُ مَكَّةَ**"، للحافِظِ تَقِيِّ الدِّينِ الْفاسِيِّ، ثَلاثُ مُجَلَّداتٍ. و"**الطَّالِعُ السَّعِيدُ في تاريخِ الصَّعيدِ**"، لِلْكَمالِ الْأُدْفُوِيِّ، مُجَلَّدٌ.

وَأَمَّا التَّواريخُ في لِسانِ الْفُرْسِ فَأَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى، لَكِنَّنا تَرَكْنا ذِكْرَها لِلِاسْتِغْناءِ بما ذَكَرْناهُ عنها.

الشُّعْبَةُ الثَّالثةُ مِنَ الدَّوحةِ الثَّانِيَةِ: في فُروعِ الْعُلومِ الْعَرَبيَّةِ

عِلْمُ الأَمْثالِ

وَهَذَا من فُروعِ عِلْمِ اللُّغَةِ، وهو مَعْرِفَةُ الْأَلْفاظِ الصَّادِرَةِ عن الْبَليغِ، الْمُشْتَهِرَةِ بَيْنَ الْأَقْوامِ، بِخُصُوصِ أَلْفاظِها، وهَيْئاتِها، وَمُورِدِها، وَسَبَبِ وُرودِها، وقائِلِها، وزَمانِها، ومَكانِها، لِئَلَّا يَقَعَ الْغَلَطُ عند اسْتِعْمالِها في مَضارِبِها، وهي الْمَواضِعُ والْمَقاماتُ الْمُشَبَّهَةُ بِمَوارِدِها. ولا بُدَّ لِمَعانِي تلك الْألْفاظِ من غَرابَةٍ، ولِأَلْفاظِها من فَصاحَةٍ وبَلاغَةٍ.

وَمَوضوعُهُ: الأَلْفاظُ الْمَذْكورَةُ، من حَيْثُ وُرودُهَا في مَوارِدِها، وتَعْيينُ مَضارِبِها بِالنَّوْعِ.

وَمَبادِئُهُ: مُقَدِّماتٌ حاصِلَةٌ بالتَّواتُرِ من أَلْفاظِ الثِّقاتِ.

وأَمَّا غَرَضُهُ ومَنْفَعَتُهُ، فَغَنِيَّانِ عن الْبَيانِ، فإنَّ الْأَمْثالَ أَشَدُّ ما يَحْتاجُ إليه الْمُنْشِئُ والشَّاعِرُ، لأَنَّها تَكْسو الْكَلامَ حُلَّةَ التَّزْيِينِ، وتُرَقِّيهِ أَعْلَى دَرَجاتِ التَّحْسِينِ.

ومن الْكُتُبِ النَّافِعَةِ فيه:

كِتابٌ لِابْنِ الأَنبارِيِّ، وَقَدْ عَرَفْتَهُ. ومنها: **"الْمُسْتَقْصَى في الأَمْثالِ"**، **لِلْعَلَّامَةِ الزَّمَخْشَرِيِّ**، وسَتَعْرِفُ تَرْجَمَتَهُ. ومنها: **"مَجْمَعُ الأَمْثالِ"**، **لِلأَسْفَرايِينيِّ**، وهو كِتابٌ عَظيمٌ جامِعٌ جِدًّا. وَقَدْ عَرَفْتَ الْأَسْفَرايِينِيَّ.

عِلْمُ وَقائِعِ الأُمَمِ وَرُسومِهِمْ

وهذا من فُروعِ الْمُحاضَراتِ وَالتَّواريخِ.

وهو عِلْمٌ يُبْحَثُ فيه عن أَماكِنِ أَقْوامٍ مَخْصوصِينَ، ومَواضِعِ طَوائِفَ مُعَيَّنِينَ، وَرُسومٍ مَأْلوفَةٍ، وعاداتٍ مَعْروفَةٍ، لِكُلِّ قَوْمٍ قَوْمٍ، الْمُورَدَةِ في أَشْعارِهِمْ وخُطَبِهِمْ وَرَسائِلِهِمْ.

وَمَوْضوعُهُ: أَشْعارُ الْعَرَبِ من الْحَيْثِيَةِ الْمَذْكورَةِ.

وَمَبادِئُهُ: مَأْخوذَةٌ من الِاسْتِقْراءِ أو التَّواتُرِ من الثِّقاتِ.

وَغَرَضُهُ: تَحْصيلُ مَلَكَةِ ضَبْطِ تلك الْأُمورِ الْمَذْكورَةِ.

وَغايَتُهُ: الِاحْتِرازُ عن الْخَطَإِ فيها[1].

والْكُتُبُ الْمُؤَلَّفَةُ في هذا الْفَنِّ كَثيرَةٌ. صَنَّفَ فيه أبو عُبَيْدَةَ والْأَصْمَعِيُّ كُتُبًا كَثيرَةً، وَأَكْثَرُ تَقَرُّبِهِمَا عند الْخَليفَةِ هارونَ الرَّشيدِ بِسَبَبِ هذا.

عِلْمُ اسْتِعْمالاتِ الْأَلْفاظِ

وهو من فُروعِ علم الْبَيانِ.

وهو عِلْمٌ يُبْحَثُ فيه اسْتِعْمالاتُ الْأَلْفاظِ في الْمَعانِي التَّشْبيهِيَّةِ والْكِنائِيَّةِ، وَبِطَرِيقِ الِاسْتِعارَةِ والْمَجازِ. وهذا الْفَنُّ في عِلْمِ الْبَيانِ بِطَرِيقِ الْكُلِّيَّةِ، وفي هذا الْفَنِّ بِطَرِيقِ الْجُزْئِيَّةِ.

---

(1) ينظر رسالة في العلوم الشرعية والعربية: 38.

وَمَبادِئُهُ اسْتِقْرائِيَّةٌ.

وَمَوْضوعُهُ وَغَرَضُهُ وَغايَتُهُ لا يَخْفَى على الْفَطِنِ الْمُتَأَمِّلِ[1].

ولِلْأَصْمَعِيِّ وأبي عُبَيْدَةَ في هذا الْفَنِّ أَيْضًا كُتُبٌ كَثيرَةٌ.

عِلْمُ التَّرَسُّلِ

وهو من فُروعِ عِلْمِ الْإِنْشاءِ، لأنَّ هذا بِطَريقٍ جُزْئِيٍّ، وذاكَ بِطَريقٍ كُلِّيٍّ.

وهو عِلْمٌ يُذْكَرُ فيه أَحْوالُ الْكاتِبِ، والْمَكْتوبِ، والْمَكْتوبِ إِلَيْهِ؛ من حَيْثُ الْآدابُ والْأَحْوالُ والِاصْطِلاحاتُ الخاصَّةُ الْمُلائِمَةُ لِكُلِّ طائِفَةٍ طائِفَةٍ؛ ومن حيثُ الْعِباراتُ التي يَجِبُ الِاحْتِرازُ عَنْهَا؛ مِثْلَ الِاحْتِرازِ عن الدُّعاءِ لِلْمُخَدَّراتِ بِقَوْلِهِمْ: أدامَ الله حِراسَتَها لِمَكانِ لَفْظِ الْحِرِ والِاسْتِ؛ وعن ذِكْرِ لَفْظِ الْقِيامِ كَقَوْلِهِمْ: إلى قِيامِ السَّاعَةِ، وأَمْثالِ ذلك.

ومَوْضوعُهُ وغايَتُهُ وغَرَضُهُ ظاهِرَةٌ لِلْمُتَأَمِّلِ.

وَمَبادِئُهُ: أَكْثَرُها بَديهِيَّةٌ، وَبَعْضُها أُمورٌ اسْتِحْسانِيَّةٌ تَأَدُّبِيَّةٌ، وله اسْتِمْدادٌ أَيْضًا من الْحِكْمَةِ الْعَمَلِيَّةِ[2].

ومن الْكُتُبِ الْمُصَنَّفَةِ فيه: "**مُصْطَلَحُ الْكُتَّابِ وبُلَغاءِ الدَّواوينِ والْحُسَّابِ**". وَالْكُتُبُ الْمُؤَلَّفَةُ فيه أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى، فلا حاجَةَ إلى التَّعَرُّضِ لها.

---

(1) ينظر رسالة في العلوم الشرعية والعربية: 39.

(2) المصدر نفسه: 40.

عِلْمُ الشُّرُوطِ والسِّجِلَّاتِ

وهذا باعْتِبارِ اللَّفْظِ من فُروعِ عِلْمِ الْإِنْشاءِ، وبِاعْتِبارِ مَدْلولِهِ من فُروعِ عِلْمِ الْفِقْهِ، وهو عِلْمٌ يُبْحَثُ فيه عن إِنْشاءِ الْكَلِماتِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْأَحْكامِ الشَّرْعِيَّةِ.

وَمَوْضوعُهُ، وَمَنْفَعَتُهُ ظاهِرانِ.

وَمَبادِئُهُ: عِلْمُ الْإِنْشاءِ وعِلْمُ الْفِقْهِ، وله اسْتِمْدادٌ من الْعُرْفِ[1].

والْكُتُبُ في هذا الْعِلْمِ كَثيرَةٌ يَجِدُهَا من يَطْلُبُهَا.

عِلْمُ الْأَحاجِي والْأُغْلوطاتِ

وهذا من فُروعِ اللُّغَةِ والصَّرْفِ والنَّحْوِ.

وهو عِلْمٌ يُبْحَثُ فيه عن الْأَلْفاظِ الْمُخالِفَةِ لِقَواعِدِ الْعَرَبِيَّةِ بحَسَبِ الظاهِرِ، وَتَطْبيقِها عليها، إذ لا يَتَيَسَّرُ إدْراجُها فيها بِمُجَرَّدِ الْقَواعِدِ الْمَشْهورَةِ.

ومَوْضوعُهُ: الْأَلْفاظُ الْمَذْكورَةُ من الْحَيْثِيَّةِ الْمَذْكورَةِ.

وَمَبادِئُهُ: مَأْخوذَةٌ من الْعُلومِ السَّابِقَةِ.

وَغَرَضُهُ: تَحْصِيلُ مَلَكَةِ تَطْبيقِ الْأَلْفاظِ، الَّتِي تَتَراءى بِحَسَبِ الظَّاهِرِ مُخالِفَةً لِقَواعِدِ الْعَرَبِ.

---

(1) ينظر رسالة في العلوم الشرعية والعربية: 55.

وَغايَتُهُ: حِفْظُ الْقَواعِدِ الْعَرَبِيَّةِ عن تَطَرُّقِ الِاخْتِلالِ[1].

ولِصاحِبِ الْكَشَّافِ في هذا الْعِلْمِ كِتابٌ سَمَّاهُ: "الْمُحاجاةُ"[2]. وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْكُتُبِ.

عِلْمُ الأَلْغازِ

وهذا مِنْ فُروعِ عِلْمِ الْبَيانِ، وَتَفْصيلُهُ يَتَوَقَّفُ على تَقْدِيمِ تَعْرِيفِهِ؛ وذلك أَنَّ الْأَلْغازَ دَلالَةُ الْأَلْفاظِ على الْمُرادِ، دَلالَةً خَفِيَّةً في الْغايَةِ، لكن لا بحيث تَنْبو عنها الْأَذْهانُ السَّليمَةُ، بل يكونُ بحيث تَسْتَحْسِنُها، وَتَنْشَرِحُ إليها بِشَرْطِ أَنْ يَكونَ الْمُرادُ مِنَ الْأَلْفاظِ الذَّواتَ الْمَوْجودَةَ في الْخارِجِ، وأَمَّا إِنْ كان الْمُرادُ اسْمَ شَيْءٍ، سواءٌ كانَ مِنَ الْإِنْسانِ أو غَيْرِهِ يُسَمَّى مُعَمًّى. وَسَيَجيءُ هذا بَعْدُ. وكِلاهُما لِكَوْنِهما خِلَافَ الْبَيانِ؛ إِذِ الْمُعْتَبَرُ هناكَ وُضوحُ الدَّلالَةِ اعْتِبارًا من فُروعه. وإِنَّما اعْتُبِرَ في الْبَيانِ وُضوحُ الدَّلالَةِ، كما يُنْبِئُكَ عنه اسْمُ الْبَيانِ، لِكَوْنِ الْغَرَضِ هناكَ التَّفْهِيمَ. وأَمَّا الْمُعَمَّى واللُّغْزُ فَالْغَرَضُ فيهما الْإِخْفاءُ فلا يَتَراءى ناراهُما.

واعْلَمْ أَنَّ الْمُعْتَبَرَ في عِلْمِ الْبَيانِ هو الدَّلالَةُ الْعَقْلِيَّةُ - أَعْنِي التَّضَمُّنِيَّةَ وَالِالْتِزامِيَّةَ - وَكانَتْ تِلْكَ الدَّلالَةُ خَفِيَّةً، سِيَّما إذا كانَ اللُّزومُ بِحَسَبِ الْعاداتِ وَالطَّبائِعِ، وبِحَسَبِ الْإِلْفِ الْمُتَخالِفَةِ، بِحَسَبِ قَوْمٍ قَوْمٍ، وطائِفَةٍ طائِفَةٍ،

(1) ينظر رسالة في العلوم الشرعية والعربية: 39-40.

(2) المحاجاة بالمسائل النحوية، والكتاب مطبوع.

فَوَجَبَ التَّعْبيرُ عنها بِلَفْظٍ أوْضَحَ؛ مَثَلًا إذا كان الْمَرْئِيُّ دَقيقًا في الْغايَةِ، تَحْتَاجُ الْحاسَّةُ في إبْصارِهَا إلى شُعاعٍ قَوِيٍّ، بِخِلافِ الْمَرْئِيِّ إذا كان جَلِيًّا، وكذا الْحَالُ في الرُّؤْيَةِ الْقَلْبِيَّةِ ـ أعْنِي الْفَهْمَ وَالْإِدْراكَ ـ فَيَحْتاجُ إلى أَلْفاظٍ واضِحَةِ الدَّلالَةِ، لِيَفْهَمَ تلك اللَّوازِمَ الْخَفِيَّةَ. هذا حالُ عِلْمِ الْبَيانِ الَّذِي اعْتُبِرَ فيه إِظْهارُ الْمُرادِ.

وَأَمَّا إذا اعْتُبِرَ سِتْرُ الْمُرادِ، كما في الْمُعَمَّى واللُّغْزِ، يَكونُ الْأَمْرُ[1] بِالْعَكْسِ. ولَمَّا كانَ إرادَةُ الْإِخْفاءِ على وَجْهِ النُّدْرَةِ عند امْتِحانِ الْأَذْهانِ، لم يَلْتَفِتْهُما[2] الْبُلَغاءُ، حَتَّى لم يَعُدُّوهُمَا أَيْضًا مِنَ الصَّنائِعِ الْبَديعِيَّةِ، الَّتِي يُبْحَثُ فيها عن الْحُسْنِ الْعَرَضِيِّ، لكن يُشْتَرَطُ كَوْنُهُ على وَجْهٍ لا تَنْبو عنه الْأَذْهانُ الْمُسْتَقِيمَةُ، ولا تَمُجُّهَا الْأَذْواقُ السَّليمَةُ. كما أَشَرْنَا إليه سابِقًا.

ثُمَّ هذا الْمَدْلولُ الْخَفِيُّ، إنْ كانَ أَلْفاظًا وحُروفًا بلا قَصْدِ دَلالَتِها على مَعانٍ أُخَرَ، أو لم يكن أَلْفاظًا أَصْلًا، بل ذَواتٍ مَوْجودَةً، يُسَمَّى اللُّغْزَ، وإنْ كانَ أَلْفاظًا وحُروفًا دَالَّةً على مَعانٍ مَقْصودَةٍ يُسَمَّى مُعَمًّى.

وَبِهَذَا يُعْلَمُ أنَّ الْكَلامَ الْواحِدَ يُمْكِنُ أن يَكونَ مُعَمًّى وَلُغْزًا باعْتِبارَيْنِ؛ لأنَّ الْمَدْلولَ إذا كانَ أَلْفاظًا وَحُروفًا، فإنْ قُصِدَ بها مَعانٍ أُخَرُ يَكونُ مُعَمًّى، وإن قُصِدَ ذَواتُ الْحُروفِ على أَنَّها مِنَ الْأَشْياءِ وَالذَّواتِ يَكونُ لُغْزًا.

وَأَكْثَرُ مَبادِئِ هَذَيْنِ الْعِلْمَيْنِ، مَأْخوذٌ مِنْ تَتَبُّعِ كَلَامِ الْمُلْغِزينَ وَأَرْبابِ الْمُعَمَّى، وبَعْضُها أُمورٌ تَخْيِيلِيَّةٌ تَعْتَبِرُها الْأَذْواقُ وَتَسْتَحْلِيهَا، وَجَميعُ

(1) المراد، في قونية.

(2) يلفتهما، في مراد ملا.

مَسائِلِهَا رَاجِعَةٌ إلى الْمُناسَباتِ الذَّوْقِيَّةِ وَالْوِجْدانِيَّةِ، بَيْنَ الدَّوَالِّ ومَدْلولاتِهَا الْخَفِيَّةِ، على وَجْهٍ يَقْبَلُها الذِّهْنُ السَّلِيمُ، والطَّبْعُ الْمُسْتَقِيمُ.

وَأَمَّا مَوْضوعُ هَذَيْنِ الْعِلْمَيْنِ وَتَعْريفُهُمَا وَغَرَضُهُمَا وغايَتُهُما فقد عُلِمَ مِنْ هذا التَّقْريرِ.

وَأَمَّا مَنْفَعَتُهُما فَتَقْويمُ الْأَذْهانِ، وَرِياضَتُها، واعْتِيادُها فَهْمَ الدَّقائِقِ. وَكُنْتُ اشْتَغَلْتُ بِعِلْمِ الْمُعَمَّى في عُنْفُوانِ الشَّبابِ، ونحنُ نَقْرَأُ وَقْتَئِذٍ **"حَواشِي شَرْحِ الْمَطالِعِ"**، لِلشَّريفِ الْجُرْجانِيِّ، فَوَجَدْتُ في ذِهْنِي زِيادَةً فاحِشَةً، وفي مُطالَعَتِي تَفاوُتًا بَيِّنًا، حتى شاهَدَهُ مِنِّي الأَصْحابُ. والله الْمُوَفِّقُ للصَّوابِ.

وأنا أُورِدُ لكَ أَمْثِلَةً من اللُّغْزِ لِتَعْتَبِرَ بها.

اللُّغْزُ في الْقَلَمِ: [السريع]

وما غُلامٌ رَاكِعٌ سَاجِدٌ   أَخُو نُحولٍ دَمْعُهُ جَارِي[1]
مُلازِمٌ لِلْخَمْسِ في وَقْتِهَا   مُعْتَكِفٌ في خِدْمَةِ الْبَارِي

وقال ابْنُ الزّبلاقِ[2] في الْيَراعِ، وضَمَّنَ فيه مِصْراعًا من "الحماسة": [الطويل]

(1) وردا بدون نسبة في خزانة الأدب وغاية الأرب، لابن حجة الحموي: 2/ 342، برواية:

وذي خضوع راكع ساجد ⋯ ودمعه من جفنه جاري
مواظب الخمس لأوقاتها ⋯ منقطع في خدمة الباري

(2) يوسف بن يوسف محي الدين بن زبلاق الهاشمي الموصلي، كاتب وشاعر معروف، (ت.660هـ)، ترجمته في: ذيل مرآة الزمان: 2/ 181، تاريخ الإسلام: 14/ 945، الوافي بالوفيات: 29/ 168.

وَناطِقَةٍ خَرْسَــاءَ بادٍ شُــحوبُها تَكَنَّفَهَـا عَشْــرٌ وَعَنْهُنَّ تُخْبِرُ[1]
يَلَذُّ إلى الْأَسْــماعِ رَجْعُ حَديثِها إذا سُــدَّ منها مَنْخِرٌ جاشَ مَنْخِرُ

فَأَجابَهُ بَعْضُهُمْ، وَضَمَّنَ مِصْراعًا آخَرَ مِنْ تلك الْقَصيدَةِ: [الطويل]

نَهانِي النُّهى والشَّيْبُ عن وَصْلِ مِثْلِهَا وَكَمْ مِثْلِهَا فارَقْتُها وهِيَ تَصْـفِرُ[2]

وَقالَ الْآخَرُ في الْقَلَمِ: [الطويل]

وَبَيْـتٍ بِـعَـلْـيـاءِ الْـفِـنـاءِ بَـنَـيْـتُـهُ بِأَسْمَرَ مَشْقُوقِ الْخَياشِمِ يَرْعَفُ[3]

وفي الْمِيزانِ: [الطويل]

وَقاضِي قُضاةٍ يَفْصِلُ الْحُكْمَ سَاكِتًا وَبِالْحَقِّ يَقْضِـي لا يَبُوحُ فَيَنْطِقُ[4]
قَضَــى بِلِســانٍ لا يَمِيلُ وإن يَمِلْ على أَحَدِ الْخَصْمَيْنِ فَهُوَ مُصَدَّقُ

وآخَرُ في وَصْفِ الْمِيزانِ: [الطويل]

ومَا حاكِمٌ أَعْمَى وَفَصْـلُ قَضـاؤُهُ ولو كانَ ذا عَيْنٍ لمَا قامَ بِالْفَصْلِ[5]

وفي وَصْفِ الشَّمْعَةِ لابْنِ الْخَلَّالِ: [الكامل]

---

(1) البيتان في قلائد الجمان: 1/ 319، والوافي بالوفيات: 8/ 68-69 بدون نسبة، ونسبا لابن الحلاوي في: بغية الطلب: 3/ 1070، وذيل مرآة الزمان: 1/ 99.

(2) البيت في المصدرين السابقين.

(3) البيت في كتاب التشبيهات، لابن أبي عون برواية: بعلياء الفلاة، وهو أوفق في المعنى.

(4) البيتان نقلا في المصادر اللاحقة لمفتاح السعادة بدون نسبة ككشف الظنون: 1/ 149.

(5) وفَصْلُ قَضائِهِ، في قونية.

وَصَبيحَةٍ بَيْضاءَ تَطْلُعُ في الدُّجى صُبْحًا وَتَشْفِي النَّاظِرينَ بِدَائِهَا[1]
شَابَتْ ذَوائِبُها أوانَ شَبابِها وَاسْوَدَّ مَفرِقُهَا أوانَ فَنائِها[2]
كَالْعَيْنِ في طَبَقاتِهَا وَدُموعِهَا وَسَوادِها وَبَياضِها وَضِيائِهَا

وقال ابنُ دُرَيْدٍ في الزَّنْدِ: [الرجز]

وَمُنْبِجٍ أُمُّ أبِيهِ أُمُّهُ لَمْ يَتَخَوَّنْ جِسْمَهُ مَسُّ الضَّوَى[3]
أَفْرَشْتُهُ بِنْتَ أَخِيهِ فَانْثَنَتْ عَنْ وَلَدٍ يُورَى بِهِ وَيُشْتَوَى

عِلْمُ الْمُعَمَّى

وقد عَرَفْتَ تَفْصِيلَهُ في عِلْمِ اللُّغْزِ، ولا وَجْهَ لإِعادَتِهِ. لَكِنَّا نَذْكُرُ ها هُنَا بَعْضًا من أَمْثِلَةِ الْمُعَمَّى على اسْمِ مُحَمَّدٍ، يُرْوَى أَنَّهُ لِعَلِيِّ بنِ أَبِي طالِبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، لكنَّ هذه الرِّوايَةَ غَيْرُ صَحِيحَةٍ، لكنَّ الْغَرَضَ ها هُنَا الْمِثالُ، فلا حاجَةَ إلى صِحَّةِ رِوايَتِهِ. [الوافر]

أَلَا خُذْ وَعْدَ مُوسَى مَرَّتَيْنِ وَضَعْ أَصْلَ الطَّبائِعِ تَحْتَ ذَيْنِ[4]
وَسَكِّنْ خَانَ شَطْرَنْجٍ فَخُذْهَا وَأَدْرِجْ بَيْنَ ذَيْنِ الْمُدْرَجَيْنِ
فَهَذا اسْمٌ لِمَنْ يَهْواهُ قَلْبِي وَقَلْبُ جَمِيعِ مَنْ في الْخَافِقَيْنِ

---

(1) الأبيات في وفيات الأعيان: 7/ 222-223، برواية وصحيحة، ونهاية الأرب في فنون الأدب: 1/ 122 برواية: ورشيقة.
(2) المفرق مفرق الشعر معروف.
(3) ومنبج، في رئيس الكتاب ومراد ملا. وفي ديوان شعره: ومنتج.
(4) نقلت الأبيات في المصادر اللاحقة لمفتاح السعادة بدون نسبة كأبجد العلوم: 520.

وَمِثالٌ آخَرُ في اسْمِ أَحْمَدَ: [السريع]

أَوَّلُــهُ ثــالِــثُ تُــفَّــاحَــةٍ وَرابِــعُ الــتُّــفَّــاحِ ثــانِــيــهِ[1]
وَأَوَّلُ الْــمِــسْــكِ لَــهُ ثــالِــثٌ وَآخِــرُ الْــوَرْدِ لِــبــاقِــيــهِ[2]

وَمِثالٌ آخَرُ في اسْمِ أَحْمَدَ: [المتقارب]

أُحاجِيكَ في اسْمِ الْحَبيبِ الَّذِي هَوِيتَ وَأَنْتَ إِمامُ الْبَلَدْ[3]
حُروفُ الْهِجاءِ لَهُ أَرْبَعٌ إذا زالَ حَرْفٌ فَيَبْقَى أَحَدْ

وَقالَ زُهَيْرٌ في حَقِّ مَدينَةِ يافا: [الطويل]

وَحَقِّكَ خَبِّرْنِي عَنِ اسْمِ مَدِينَةٍ يَكونُ رُباعِيًّا إذا ما كَتَبْتَهُ[4]
عَلَى أَنَّهُ حَرْفانِ حينَ تَقُولُهُ وَلَكِنَّهُ حَرْفٌ إذا مَا قَلَبْتَهُ[5]

وَمِثالٌ آخَرُ في اسْمِ سَعيدٍ: [الخفيف]

اسْمُ مَنْ كانَ أَفْضَلَ الْقَوْمِ أَوَّلُ السَّوْمِ آخِرُ الصَّوْمِ[6]

وَمِمَّا جاءَ في الْمَسائِلِ الْفِقْهِيَّةِ: [المقارب]

وَلِي خَالَةٌ وَأَنَا خَالُهَا ولِي عَمَّةٌ وأنا عَمُّهَا[7]

---

(1) البيتان في: التنبيه على حدوث التصحيف: 180، وفيه: وآخر التفاح.

(2) ورابع الخمر له ثالث، في التنبيه على حدوث التصحيف.

(3) لم نقف عليهما.

(4) البيتان في ذيل مرآة الزمان: 1/ 190، وفيه: بعيشك خبرني.

(5) إذا ما عكسته، في ذيل مرآة الزمان.

(6) لم نقف عليها.

(7) الأبيات في المثل السائر: 3/ 89، ونهاية الأرب في فنون الأدب: 3/ 171، والذخيرة للقرافي: 13/ / 74.

فَـأَمَّـا الَّـتِـي أنـا عَـمٌّ لـهـا فَـإِنَّ أَبِـي أُمُّـهُ أُمُّـهَـا
أَبـوهَـا أَخِـي وَأَخُـوهَـا أَبِـي وَلِـي خَـالَـةٌ هَـكَـذَا حُـكْـمُـهَـا

صُورَتُهَا: رَجُلٌ له امْرَأَتانِ، أَوْلَدَ واحِدَةً بِنْتًا، وَأُخْرَى ابْنًا، ثُمَّ زَوَّجَ بِنْتَهُ من أبي امْرَأَتِهِ التي وَلَدَتْ بِنْتًا، فَجاءَتْ بِبِنْتٍ، وهي خالَةُ ابْنِهِ وهو خالُهَا. ثمَّ إنَّ صورَةَ الْعَمَّةِ: رَجُلٌ له ابْنٌ ولِابْنِهِ أخٌ من أمِّهِ، فَزَوَّجَ أَخاهُ أمَّ أبيهِ، فَجاءَ بِبِنْتٍ وهي عَمَّتُهُ وهو عَمُّهَا.

واعْلَمْ أنَّ أكْثَرَ من يَعْتَنِي باللُّغْزِ الْعَرَبُ، لَكِنْ لم يُدَوِّنوهُ في الْكُتُبِ؛ وأكْثَرُ من يَعْتَنِي بِالْمُعَمَّى أهْلُ فارِسَ، ولهذا وَقَعَ جُلُّ التَّصانِيفِ في الْمُعَمَّى على لِسانِ الْفُرْسِ. وَقَدْ رَتَّبُوا له قَوَاعِدَ عَجِيبَةً، وَتَقْسيماتٍ غَرِيبَةً، وتَنْويعاتٍ لَطِيفَةً. وأمَّا ما يوجَدُ في لِسانِ الْعَرَبِ فَشْيءٌ نَزْرٌ جِدًّا.

وَلَقَدْ وَجَدْتُ في لِسانِ الْعَرَبِ خَمْسَةَ مُعَمَّياتٍ فَقَطْ، مع شِدَّةِ تَنْقيرِي وَكَثْرَةِ تَتَبُّعِي عنه، على أنَّهُ لم يَقَعْ في مَرْتَبَةِ لَطافَةِ أهْلِ فارِسَ، الَّذِينَ لو كان الْعِلْمُ عند الثُّرَيَّا لَنالَهُ رِجالٌ مِنْهُمْ. وإنْ أَرَدْتَ صِدْقَ هذا الْمَقالِ، فارْجِعْ إلى كِتابِ مَولانا عَبْدِ الرَّحْمنِ الْجَامِيِّ، قُدِّسَ سِرُّهُ، خُصوصًا كِتابَ **مَوْلانَا حُسَيْنِ الْمُعَمَّائِي**[1]، فإنَّكَ إنْ طالَعْتَهُ وَجَدْتَهُ السِّحْرَ الْحَلالَ، وتَرَى فيه الْعَجَبَ الْعُجابَ.

(1) حسين بن محمد الحسيني النيسابوري، المعروف بالمعمائي، والمتخلص بشفيعي، (ت.904هـ) وقيل (ت.912هـ)، وكانت وفاته بهراة. والمعمائي نسبة إلى المعمى أي اللغز لتعاطيه ذلك في شعره الفارسي. ترجمته في: كشف الظنون: 1/ 892، هدية العارفين: 1/ 316.

عِلْمُ التَّصْحيفِ

وهذا مِنْ أنْواعِ الْبَديعِ حَقِيقَةً، لَكِنَّ بَعْضَ النَّاسِ تَوَغَّلُوا فيه، وَأَفْردوهُ في التَّصْنيفِ، وَجَعَلوهُ من فُروعِهِ.

وَمَوْضوعُهُ: الْكَلِماتُ الْمُصَحَّفَةُ التي وَرَدَتْ عن الْبُلَغاءِ. وَيُمْكِنُ جَعْلُهُ فَرْعًا لِلْمُحاضَراتِ لِوُرودِهِ عن الْبُلَغاءِ.

وفائِدَتُهُ: **وغَرَضُهُ ومَنْفَعَتُهُ** غَيْرُ خافٍ على أهْلِ الْبَصائِرِ.

وَصَنَّفَ فيه: **أبو أحْمَدَ الْحَسَنُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ سَعيدٍ الْعَسْكَرْيُّ**، أحَدُ الأَئِمَّةِ في الآدابِ، والْحِفْظِ، وهو صاحِبُ نَوادِرَ وأخْبَارٍ، وله رِوايَةٌ مُتَّسِعَةٌ. وله التَّصانِيفُ الْمُفيدَةُ، منها: "**كتابُ التَّصْحِيفِ**"، الَّذي جَمَعَ فيه فَأَوْعَبَ، وَغَيْرُ ذَلِكَ. وَكانَ الصَّاحِبُ بْنُ عَبَّادٍ يَوَدُّ الِاجْتِماعَ به، ولا يَجِدُ إليه سَبيلًا.

وَكانَ **وِلادَةُ** أبي أحْمَدَ يَوْمَ الْخَميسِ، لِسِتَّ عَشْرَةَ ليلةً خَلَتْ من شَوَّالٍ، سَنَةَ ثَلاثٍ وتِسْعينَ ومِئتينِ. **وتُوُفِّيَ** يومَ الْجُمُعَةِ لِسَبْعٍ خَلَوْنَ من ذي الْحِجَّةِ، سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وثَمانينَ وثَلاثِمئةٍ. وأخَذَ عن أبي بَكْرِ ابْنِ دُرَيْدٍ.

وله من التَّصانِيفِ: كتابُ "**الْمُخْتَلِفُ والْمُؤْتَلِفِ**"، وَكِتابُ "**عِلْمُ الْمَنْطِقِ**"، وكِتابُ "**الْحِكَمُ والأَمْثالُ**". و"**كتابُ الزَّواجِرِ**". وَغَيْرُ ذَلِكَ[1].

---

(1) وفيات الأعيان: 2/ 83.

قالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْبِسْطامِيُّ: أَوَّلُ من تكَلَّمَ في التَّصْحِيفِ الْإمامُ عَلِيُّ بْنُ أبي طالِبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ. وَمِنْ كَلَامِهِ فِي ذَلِكَ: خَرَابُ الْبَصْرَةِ بالرِّيحِ، بِالرَّاءِ وَالْحاءِ الْمُهْمَلَتَيْنِ، بينهما ياءٌ آخِرُ الْحُروفِ.

قالَ الْحَافِظُ الذَّهَبِيُّ: ما عُلِمَ تَصْحيفُ هذه الْكَلِمِ إلا بعْدَ الْمِئَتَيْنِ من الْهِجْرَةِ، يَعْنِي خَرابَ الْبَصْرَةِ بالزِّنْجِ، بالزاءِ الْمُعْجَمَةِ والنُّونِ والْجيمِ.

وَمِنْ بَديعِ التَّصْحيفِ: ما نَقَشَهُ نَجْمٌ السَّائِسُ على خاتَمٍ لِابْنِ أُسْتاذِهِ، واسْمُهُ يَحْيَى، وَكانَ يَهْواهُ، وهو هَذا: نَجْمُ عِسْقٍ[1] بَخْتِي. يُرِيدُ: نَجْمُ عِشْقٍ يُحْيِي[2].

ومِنْ بَديعِ كَلامِ الْإمامِ عَلِيٍّ بنِ أبي طالِبٍ كَرَّمَ اللهَ وَجْهَهُ: كُلُّ عِنَبِ الْكَرْمُ يُعْطيهِ؛ يعني: كلُّ عَيْبِ الْكَرَمُ يُغَطِّيهِ. ولِلإمامِ في هذا الْعِلْمِ صَنائِعُ بَديعَةٌ.

وَمِنْ أَمْثِلَةِ التَّصْحيفِ قَوْلُهُمْ في الْمُسْتَنْصِرِيَّةِ جَنَّةٌ؛ والْمُسْتَنْصِرِيَّةِ اسْمُ مَوْضِعٍ، وَأَرَادَ به الْمُسِيءُ تَضُرُّ بِهِ حَيَّةٌ.

وَكَقَوْلِهِمْ: مَتَى يَعودُ إِشارَةً إِلَى رَجُلٍ اسْمُهُ مَسْعودٌ.

وَقِيلَ لِفاضِلٍ: اسْتَنْصَحَ ثِقَةً إيش تَصْحِيفُهُ، فَقالَ: أَتَيْتَ بِتَصْحِيفِهِ[3].

وَيُحْكَى أَنَّ مَلِكًا بَنَى قَصْرًا، وَتَوَلى عَمَلَهُ بَنَّاءٌ اسْمُهُ الذُّكْرُبَهْ، بِضَمِّ الذَّالِ الْمُعْجَمَةِ، وسُكونِ الْكَافِ، ثم الرَّاءِ الْمُهْمَلَةِ الْمَضْمومَةِ، ثم الْباءِ الْمُوَحَّدَةِ الْمُشَدَّدَةِ الْمَفْتوحَةِ، ثم الهاءِ. وَلَعَلَّ هذا من الْأَسْماءِ الرُّومِيَّةِ. فقالَ الْمَلِكُ

(1) عشق، في رئيس الكتاب ومراد ملا. عَسِقَ بِهِ يَعْسَقُ عَسَقاً: لَزِقَ بِهِ وَلَزِمَهُ وأُولِعَ بِهِ. اللسان: عسق.

(2) ينظر ثمرات الأوراق: 2/ 225.

(3) الأطول في شرح تلخيص المفتاح: 2/ 463.

لِبَعْضِ خَواصِّهِ ـ وكانَ منَ الْفُضَلاءِ ـ بَنَيْتُ هذا بأَلْفِ دينارٍ، فقال ذلِكَ الْفاضِلُ: الذِّكْرُ بهِ شَرَفٌ، فَأَمَرَ الْمَلِكُ بِحَبْسِ الْبَنَّاءِ في الْحالِ، فَسَأَلوهُ عن سَبَبِهِ، فقال: أمَا سَمِعْتُمْ قَوْلَ هذا، وأرَادَ الْفاضِلَ الْمَذْكورَ، قالوا: ما تَكَلَّمَ هو إلَّا خَيْرًا، قالَ: أَرادَ هو بهذا الْكَلَامَ: الذُّكْرُبَهْ سَرَق.

عِلْمُ الْمَقْلوبِ

وَهَذَا أَيْضًا مِنْ فُروعِ عِلْمِ الْبَديعِ أوِ الْمُحاضَراتِ، كما عَرَفْتَ في التَّصْحِيفِ. وهو أنْ يَكونَ الْكَلامُ بِحَيْثُ إذا قَلَبْتَهُ، وابْتَدَأْتَ مِنْ حَرْفِهِ الْأَخيرِ إلى الْحَرْفِ الْأَوَّلِ، كانَ الْحاصِلُ بِعَيْنِهِ هو هذا الْكَلامُ. وهذا مُغايِرٌ لِتَجْنيسِ الْقَلْبِ الْمَذْكورِ في عِلْمِ الْبَدِيعِ، فَإِنَّ الْمَقْلوبَ هاهُنَا، يَجِبُ أَنْ يَكونَ عَيْنَ اللَّفْظِ الَّذي ذُكِرَ بِخِلافِهِ ثَمَّةَ، وَيَجِبُ ثَمَّةَ ذِكْرُ اللَّفْظَيْنِ جَمِيعًا بِخِلافِهِ هاهُنا.

وَالْقَلْبُ قد يَكونُ في النَّظْمِ، وَقَدْ يَكونُ في النَّثْرِ، أمَّا في النَّظْمِ، فَقَدْ يَكونُ بِحَيْثُ يَكونُ كُلٌّ من الْمِصْراعَيْنِ قَلْبًا لِلْآخَرِ، كَقَوْلِهِ: [المتقارب]

أَرَانَـا الْإِلَـهُ هِـلَالًا أَنَـارَا[1]

وَقَدْ لا يَكونُ كَذَلِكَ، بلْ يَكونُ مَجْموعُ الْبَيْتِ قَلْبًا لِمَجْموعِهِ كَقَوْلِ الْقاضِي الْأَرْجانِيِّ: [الوافر]

مَـوَدَّتُـهُ تَـدُومُ لِـكُـلِّ هَـوْلٍ وهَـلْ كُـلٌّ مَـوَدَّتِـهِ تَـدومُ[2]

(1) صدر البيت: ولما تبدى لنا وجهه. ينظر: معاهد التنصيص 3/ 297.

(2) وفيات الأعيان: 1/ 154.

وكَقَوْلِ الْحَرِيرِيِّ: [مجزوء الرجز]

أُسْ أَرْمَـــلًا إِذَا عَـــرَا وَارْعَ إِذَا الْــمَــرْءُ أَسَـــا[1]

إلَّا أنَّ في قَوْلِ الْحَرِيرِيِّ نَوْعَ تَكَلُّفٍ، وهو زِيَادَةُ هَمْزَةِ مَرْءٍ وَحَذْفُهَا في الْقَلْبِ.

وَأَمَّا في النَّثْرِ، فإمَّا في مُفْرَدٍ نَحْوَ: سَلِسٍ، أَوْ مُرَكَّبٍ كما في قَوْلِهِ تعالى: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾[2]، وَقَوْلِهِ تعالى: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾[3]. والْحَرْفُ الْمُشَدَّدُ في هذا الْبَابِ في حُكْمِ الْمُخَفَّفِ، لِأَنَّ الْمُعْتَبَرَ هو الْحُروفُ الْمَكْتوبَةُ. ومنه: **سِرْ فَلا كَبَا بِكَ الْفَرَسُ**، وَهُوَ قَوْلُ عِمادِ الْكاتِبِ؛ وَقَوْلُ الْقاضِي الْفَاضِلِ في جَوابِهِ: **دَامَ عَلاءُ الْعِمادِ**، وقَدْ مَرَّ تَفْصِيلُهُ.

ومِنْهُ: **كَمَالُكَ تَحْتَ كَلَامِكَ**. ومِنْهُ: **عَقْرَبٌ تَحْتَ بُرْقُعٍ**. وَمِنْهُ: **كَبِّرْ رَجَاءَ أَجْرِ رَبِّكَ**[4]. وَمِنْهُ: **لا بَقاءَ لِلْإِقْبالِ**. وله نَظائِرُ كَثِيرَةٌ، وأمْثالٌ غَيْرُ قَليلَةٍ.

عِلْمُ الْجِناسِ

وَهُوَ وإنْ كانَ مِنْ أَنْواعِ الْبَديعِ، لكن لَمَّا كانَ الْبَحْثُ هُناكَ على وَجْهٍ كُلِّيٍّ في مُطْلَقِ الْكَلامِ، وهاهُنَا على وَجْهٍ جُزْئِيٍّ في كَلامٍ مَنْقولٍ عن الْفُضَلاءَ والْبُلَغاءِ، أَفْرَدوهُ في التَّدْوينِ، وجَعَلوهُ فَرْعًا على الْبَديعِ، أو على الْمُحاضَراتِ.

---

(1) مقامات الحريري: 157.

(2) سورة المدثر، الآية: 3.

(3) سورة الأنبياء، الآية: 33.

(4) مقامات الحريري: 155.

وهو عِلْمٌ باحِثٌ عن اللَّفْظَيْنِ اللَّذَيْنِ بينهما تَشابُهٌ في اللَّفْظِ فَقَطْ، أو فيه وفي الْخَطِّ، مع تَغايُرِهِمَا في الْمَعْنَى، وإلَّا فلا تَجْنيسَ أصْلًا. وُوُجوهُ التَّشابُهِ وأَقْسامُهُ مَذْكورَةٌ في مَوْضِعِها، وَلَيْسَ هذا الْمَقامُ مَوْضِعَ الِاسْتِقْصاءِ فيه، والْحَرْفُ الْمُشَدَّدُ[1] في هذا الْبابِ في حُكْمِ الْمُخَفَّفِ.

قِيلَ: التَّجْنِيسُ على نَوْعَيْنِ: جِناسٌ شَكْلِيٌّ، وجِناسٌ شِكْلِيٌّ.

قالَ أبو الفَتْحِ الْبُسْتِيُّ صاحِبُ "التَّجْنِيسُ الأَنِيسُ الْبَدِيعُ التَّأْسيسِ": مَنْ أَصْلَحَ فاسِدَهُ، أَرْغَمَ حاسِدَهُ، وَمَنْ أَطاعَ غَضَبَهُ أَضاعَ أَدَبَهُ، عاداتُ السَّاداتِ، ساداتُ الْعاداتِ[2].

وهو أبو الْفَتْحِ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ الْبُسْتِيُّ الْكَاتِبُ الشَّاعِرُ الْمَشْهورُ، صاحِبُ الطَّرِيقَةِ الْأَنِيقَةِ في: "التَّجْنِيسُ الأَنِيسُ الْبَدِيعُ التَّأْسِيسِ"؛ فَمِنْ أَلْفاظِهِ الْبَديعَةِ: مِنْ سَعادَةِ جَدِّكَ، وُقوفُكَ عِنْدَ حَدِّكَ، الرِّشْوَةُ رِشاءُ الْحاجاتِ، أَجْهَلُ النَّاسِ مَنْ كانَ لِلْإِخْوانِ مُذِلًّا، وعلى السُّلْطانِ مُدِلًّا، الْفَهْمُ شُعاعُ الْعَقْلِ، الْمَنِيَّةُ تَضْحَكُ من الْأُمْنِيَّةِ، حَدُّ الْعَفافِ الرِّضاءُ بِالْكَفافِ، ما يَخْرِقُ الرَّقيعَ تَرْقيعٌ[3].

وشِعْرُهُ كَثِيرٌ في التَّجْنيسِ وَغَيْرِهِ.

تُوُفِّيَ سَنَةَ أَرْبَعِمِئَةٍ أو إِحْدَى وَأَرْبَعِمِئَةٍ بِبُخارَى.

وَمِنْ بَديعِ ما قيلَ: إِذَا زَلَّ عَالِمٌ زَلَّ عَالَمٌ.

---

(1) والحروف المشددة، في قونية.

(2) وفيات الأعيان: 3/ 376.

(3) وفيات الأعيان: 3/ 376-377.

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ رَشِيدِ الدِّينِ الْوَطْواطِ: رَبِّ رُبَّ غَنِيٍّ غَبِيٍّ، سَرَّتْهُ شِرَّتُهُ فَجَاءَهُ فُجَاءَةً بَعْدَ بُعْدِ عِشْرَتِهِ عُسْرَتُهِ[1].

تَفْسِيرُ هذا الْكَلامِ: رَبِّ: نِداءٌ لِلرَّبِّ حُذِفَ حَرْفُ النِّداءِ. ورُبَّ: من حُروفِ الْجَرِّ. والْغَنِيُّ: من الْغِنَى ضِدُّ الْفَقْرِ. والْغَبِيُّ: من الْغَباوَةِ ضِدُّ الذَّكاءِ. سَرَّتْهُ: فِعْلُ ماضٍ مِنَ السُّرورِ. وشِرَّتُهُ: مَصْدَرٌ بِمَعْنى الشَّرِّ، ضِدُّ الْخَيْرِ، وهو فاعِلُ سَرَّتْهُ. فجاءَهُ: فِعْلُ ماضٍ من الْمَجيءِ. والْفُجاءَةُ: بِضَمِّ الفاءِ مَصْدَرٌ بمعنى الْبَغْتَةِ. وبَعْدَ: بالْفَتْحِ، ظَرْفٌ ضِدُّ قَبْلَ. وبُعْدِ بالضَّمِ: نَقِيضُ الْقُرْبِ. وعِشْرَتِهِ: مَصْدَرٌ بمعنى الْمُعاشَرَةِ. وعُسْرَتُهِ: مَصْدَرٌ بمعنى الْعُسْرِ ضِدُّ الْيُسْرِ، وهي فاعِلُ جاءَهُ.

والْمَعْنى: يا رَبِّ كَمْ من غَنِيٍّ مُتَّصِفٍ بِالْغَباوَةِ، سَرَّتْهُ إضْرارُهُ بالنَّاسِ، حتَّى جاءَهُ بَغْتَةً بعدَ طولِ مُعاشَرَتِهِ ونِعْمَتِهِ الْعُسْرُ والْفَقْرُ.

ومن الْجِناسِ: **إنْ لم يَكُنْ لنا حَظٌّ في دَرْكِ دَرِّكَ، فَخَلِّصْنا من شَرَكِ شَرِّكَ**.

الدَّرْكُ: بِفَتْحِ الدَّالِ وسُكونِ الرَّاءِ، مَصْدَرٌ بِمَعْنَى الإِدْراكِ. وَدَرِّكَ: بفَتْحِ الدَّالِ وكَسْرِ الرَّاءِ الْمُشَدَّدَةِ بمعنى الْخَيْرِ، كما يَقولونَ: لله دَرُّهُ أي خَيْرُهُ. والشَّرَكُ: بِفَتْحِ الشِّينِ والرَّاءِ حِبالَةُ الصَّائِدِ. وشَرِّكَ: من الشَّرِّ ضِدُ الْخَيْرِ. **والْمَعْنَى**: إنْ لم يَكُنْ لنا نَصيبٌ في الْوُصولِ إلى خَيْرِكَ، فَخَلِّصْنا من حِبالَةِ شَرِّكَ.

ومن الْجِناسِ: **إنْ أَخْلَيْتَنا**[2] **مِنْ مَبارِكِ مَبارِّكَ، فَأَرِحْنا من مَعارِكِ مَعارِّكَ**[3].

(1) تصحيح التصحيف وتحرير التحريف: 21، وتحقيق الفوائد الغياثية: 2/ 813.

(2) خَلَّيْتَنا، في مراد ملا.

(3) نهاية الأرب للنويري: 7/ 93.

وَالْمَبارِكُ: جَمْعُ مَبْرَكِ النَّاقَةِ. والْمَبَارُّ: بِتَشْدِيدِ الرَّاءِ، جَمْعُ الْبِرِّ. والْمَعَارِكُ: جَمْعُ الْمَعْرَكَةِ. والْمَعَارُّ: بمعنى الْمَعَرَّةِ، وهي الْعَيْبُ. **والْمَعْنَى**: إنْ أَخْلَيْتَنَا من مَواضِعِ بِرِّكَ، فَخَلِّصْنا من مَواضِعِ الْعارِ.

ومن غَرائِبِ التَّجْنيسِ: قَوْلُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طالِبٍ كَرَّمَ اللهُ وجَهَهُ، أَرْسَلَهُ إلى مُعاوِيَةَ رَضِيَ الله عنه: **غَرَّكَ عِزُّكَ، فَصارَ قُصارَى ذَلِكِ ذُلَّكَ، فَاخْشَ فاحِشَ فِعْلِكَ، فَعَلَّكَ تُهْدَى بهذا.**

فَأَجابَهُ مُعاوِيَةُ رَضِيَ الله عنه: **عَلَى قَدْرِي غَلَى قِدْرِي**[1].

قالَ الْخَلْكانِيُّ: غَرَّكَ عِزُّكَ... إلى آخِرِهِ، لِأَبِي شُجَاعٍ عَضُدِ الدَّوْلَةِ، كَتبَهَا جَوابًا لِأَبِي مَنْصورٍ الفتكِينَ[2]. ولَعَلَّهُ لا مُنافاةَ بَيْنَ الرِّوايَتَيْنِ، إذِ مِنَ الْجائِزِ أنْ يَكْتُبَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ كَلامَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنينَ عَلِيٍّ رَضِيَ الله عنه، حينَمَا رَآهُ مُوافِقًا لِحالِهِ. على أَنَّ حُسْنَ الْكَلامِ، شاهِدٌ بأنَّ ذلك لا يَكونُ إلَّا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنينَ، إذْ لا يَتَيَسَّرُ مِثْلُهُ لِأَفاضِلِ الْبُلَغاءِ والْكُتَّابِ قَطْعًا.

والْمَعْنَى: غَرَّكَ: أي جَعَلَكَ مَغْرورًا. عِزُّكَ: أي عِزَّتُكَ وَشَرَفُكَ، فَصارَ قُصارَى ذلك الْعِزِّ والشَّرَفِ وَنِهايَتُهُمَا ذُلَّكَ؛ أَيْ ذِلَّتَكَ وَسُوءَ حالِكَ، فَاخْشَ أَنْتَ أَيُّهَا الْمَغْرورُ فاحِشَ فِعْلِكَ: أي قَبِيحَ أَفْعالِكَ، فَعَلَّكَ: أي لَعَلَّكَ، تُهْدَى: أي تَجِدُ الْهِدايَةَ بهذا النُّصْحِ والتَّنْبيهِ.

---

(1) الأطول شرح تلخيص المفتاح: 2/ 463.

(2) Alptakin، أبو منصور التركي المعزي (ت.368 هـ)، بالتركية، وهو قائد تركي مشهور، وفيات الأعيان: 4/ 53.

واعْلَمْ أنَّ "عَلَّ" لُغَةٌ في لَعَلَّ كما قال الشَّاعِرُ: [المنسرح]

لا تُهِينَنَّ الْفَقِيرَ عَلَّكَ أنْ   تَرْكَعَ يَوْمًا والدَّهْرُ قد رَفَعَهْ[1]

أي لَعَلَّكَ تَرْكَعُ، أي تَسْقُطُ يَوْمًا وتَحْتاجُ، والْفَقيرُ قد يَرْفَعُهُ الدَّهْرُ فيكونُ مُحْتاجًا إليه.

عِلْمُ مُسَامَرَةِ الْمُلوكِ

وهذا من فُروعِ الْمُحاضَراتِ، وهو عِلْمٌ باحِثٌ عن أَحْوالٍ يَرْغَبُ فيها الْمُلوكُ من الْقَصَصِ، والْأخْبارِ، والْمَواعِظِ، والْعِبَرِ، والْأَمْثالِ، وغَرائِبِ الْأقالِيمِ، وعَجائِبِ الْبُلْدانِ، وغيرِ ذلك من الْأَحْوالِ التي يَرْغَبُ فيها الْمُلوكُ.

ومِنَ الْكُتُبِ الْمُصَنَّفَةِ فيه: **"سُلْوانُ الْمُطاعِ في عُدْوانِ الأَتْباعِ"**، لابن ظَفَرٍ، وقد عَرَفْتَهُ. وَكِتابُ: **"مُفاكَهَةُ الْخُلَفاءِ"**، وَكِتابُ: **"نَظْمُ السُّلوكِ في مُسامَرَةِ الْمُلوكِ"**.

وأَكْثَرُ كُتُبِ الْمُحاضَراتِ وافِيَةٌ بهذا الْمَطْلَبِ، سِيَّمَا كِتابُ: **"حَيَاةُ الْحَيَوانِ"**، و**"مُحاضَراتُ الرَّاغِبِ"**، وَقَدْ عَرَفْتَهُمَا في الْمُحاضَراتِ.

ومَوْضُوعُهُ وغايَتُهُ وغَرَضُهُ ومَنْفَعَتُهُ ظاهِرَةٌ لِلْعاقِلِ الذَّكِيِّ.

عِلْمُ حِكاياتِ الصَّالِحينَ

وهو مِنْ فُروعِ عِلْمِ التَّواريخِ والْمُحاضَرَةِ.

---

(1) البيت للأضبع بن قريع، وهو من الشواهد المعروفة ينظر: البيان والتبيين: 3/ 223، والشعر والشعراء: 1/ 371.

وَقَدِ اعْتَنَى بِأَحْوالِ الصُّلَحاءِ والْأَبْرارِ طائِفَةٌ وَأَفْرَدوهَا بِالتَّدْوينِ.

وَمَوْضوعُهُ وغايَتَهُ وغَرَضُهُ ظاهِرَةٌ جِدًّا.

ومَنْفَعَتُهُ أَجَلُّ الْمَنافِعِ وأَعْظَمُهَا كما لا يَخْفَى.

ولَقَدْ صَنَّفَ في ذَلِكَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ كِتاب: **"صَفْوَةُ الصَّفْوَةِ"**. وَالْيَافِعِيُّ كِتابَ: **"رَوْضُ الرَّياحينِ في حِكاياتِ الْأَبْرارِ والصَّالِحينَ"**. وغَيْرَ ذلكَ من الْكُتُبِ.

عِلْمُ أَخْبارِ الْأَنْبِياءِ

وهذا من فُروعِ التَّواريخِ. وقد اعْتَنَى بها الْعُلَماءُ، وهو حَقيقٌ بالِاعْتِناءِ، وَأَفْرَدوهَا بالتَّدْوينِ[1]. منها: **"قَصَصُ الْأَنْبِياءِ"**، لِابْنِ الْجَوْزِيِّ، وغَيْرُه.

عِلْمُ الْمَغازِي والسِّيَرِ

وهذا أَيْضًا من فُروعِ عِلْمِ التَّاريخِ. وقد صَنَّفَ فيها الْعُلَماءُ كُتُبًا كَثيرَةً؛ منها: **"سِيرَةُ ابنِ هِشامٍ"**، و**"سِيرَةُ مُحَمَّدِ بنِ إِسْحاقَ"**، و**"سِيرَةُ مُغُلْطايَ"**، وَغَيْرُ ذلِكَ.

ومَوْضُوعُ هَذَينِ الْعِلْمَيَنِ **ومَنْفَعَتُهُمَا، والْغَايَةُ والْغَرَضُ** مِنْهُمَا، لا يَخْفَى على أَحَدٍ.

عِلْمُ تارِيخِ الْخُلَفاءِ

وهذا أَيْضًا من فُروعِ التَّاريخِ.

---

(1) في التدوين، في أنطاليا ومراد ملا.

وَقَدْ أَفْرَدَ بَعْضُ الْعُلَماءِ من التَّواريخِ: تاريخَ الْخُلَفاءِ الأرْبَعَةِ: أبي بَكْرٍ، وعُمَرَ، وعُثْمانَ، وعَلِيٍّ، رَضِيَ الله عنهم، وهُمْ أحِقَّاءُ بالاعْتِناءِ. وبَعْضُهُمْ ضَمَّ معهم تاريخَ الْخُلَفاءِ الأُمَوِيِّينَ والْعَبَّاسِيِّينَ، لاشْتِمالِ أَحْوالِهِمْ على مَزيدِ الِاعْتِبارِ.

وفي هذا الْفَنِّ تَصانيفُ كِبارٌ لا تَخْفَى على ذَوي الْإِحاطَةِ، منها: "**تُحْفَةُ الظُّرَفاءِ في تَوارِيخِ الْخُلَفاءِ**".

عِلْمُ طَبَقاتِ الْقُرَّاءِ

وَهُوَ عِلْمٌ يُذْكَرُ فيه الْقُراءُ السَّبْعَةُ، بَلِ الْعَشَرَةُ، بل الثَّلاثَةَ عَشَرَ، بلِ الْخَمْسَةَ عَشَرَ، ورُواةُ هَؤُلاءِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الشُّيوخِ والْمُصَنِّفِينَ في هذا الْعِلْمِ، ويُذْكَرُ فيه أيْضًا قُرَّاءُ الصَّحابَةِ، والتَّابِعينَ، وتَبَعِ تابِعِيهِمْ إلى هذا الآنِ.

وَ"**طَبَقاتُ الذَّهَبِيِّ**" تَصْنيفٌ مُفِيدٌ في هذا الْعِلْمِ.

ولا أَجْمَعَ ولا أَنْفَعَ مِنْ "**طَبَقاتُ الشَّيْخِ الْجَزَرِيِّ**".

عِلْمُ طَبَقاتِ الْمُفَسِّرِينَ

وَهُوَ مِنْ فُروعِ التَّواريخِ أَيْضًا. وصُنِّفَ فيها الْمُجَلَّداتُ الْكِبارُ.

عِلْمُ طَبَقاتِ الْمُحَدِّثِينَ

مِنْ فُروعِ التَّواريخِ، وفيها الْمُصَنَّفاتُ الْعِظامُ.

عِلْمُ سِيَرِ الصَّحابَةِ والتَّابِعينَ

مِنْ فُروعِ الْمُحاضَراتِ.

وفيها: كِتابُ "**سِيَرُ الصَّحابَةِ والتَّابِعينَ**"، وهو كِتابٌ عَظيمٌ لم يُعْهَدْ مِثْلُهُ[1].

عِلْمُ طَبَقاتِ الشَّافِعِيَّةِ

وصَنَّفَ فيها ابْنَ السُّبْكِيِّ **الْكُبْرَى والصُّغْرَى**، وأَطْنَبَ فيها، وجَمَعَ وأوْعَبَ كُلَّ من انْتَسَبَ إلى مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ. وقد اشْتَمَلَ على فَوائِدَ لا تَكادُ توجَدُ في كِتابٍ.

عِلْمُ طَبَقاتِ الْحَنَفِيَّةِ

وصَنَّفَ فيها الْعُلَماءُ مِثْلَ: "**الْجَواهِرُ الْمُضيَّةُ في طَبَقاتِ الْحَنَفِيَّةِ**". ومِثْلُ مُخْتَصَرِ قاسِمِ بنِ قُطْلُوبُغَا سَمَّاهُ: "**تاجُ التَّراجِمِ**".

وهذا كافٍ في البابِ، مع اشْتِمالِهَا على الْمُهِمَّاتِ.

عِلْمُ طَبَقاتِ الْمَالِكِيَّةِ

ومَوْضوعُهُ ورَسْمُهُ مَعْلومٌ من الْعُلومِ السَّابِقَةِ.

---

(1) بمثله، في أنطاليا وعاطف أفندي.

عِلْمُ طَبَقاتِ الْحَنابِلَةِ

وَيُعْرَفُ أَحْوالُهُ أَيْضًا مِمَّا مَرَّ. وَلَكِنْ لَمْ نَعْرِفْ أَنَّهُ صُنِّفَ طَبَقاتُ الْمالِكِيَّةِ والْحَنابِلَةِ، ولعلَّهُ لم يُهْمِلْ ذلك فُضَلاءُ ذلك الْمَذْهَبِ.

عِلْمُ طَبَقاتِ النُّحاةِ

وصَنَّفَ فيها كَثيرونَ، مِثْلَ: ياقوتِ الْحَمَوِيِّ، ومَجْدِ الدِّينِ الشِّيرازِيِّ، وصَلاحِ الدِّينِ الصَّفَدِيِّ، وجَلالِ الدِّينِ السُّيوطِيِّ، وَغَيْرِ ذَلِكَ من الْكُتُبِ.

عِلْمُ طَبَقاتِ الْحُكَماءِ

وَقَدِ اعْتَنى بِذَلِكَ كَثيرونُ، منها: الصَّاعِدُ[1] الَّذي هو من مَشاهِيرِ الْحُكَماءِ، وصُنِّفَ فيها كِتابُ "**صِوانُ الْحِكْمَةِ**"[2]، وَرَأَيْتُهُ في عُنْفُوانِ الشَّبابِ، وهو كِتابٌ لَطيفٌ، لَكِنِّي نَسيتُ اسْمَ مُصَنِّفِهِ.

عِلْمُ طَبَقاتِ الأَطِبَّاءِ

وقد صَنَّفَ في ذلك الْعُلَماءُ، ورَأَيْتُ في هذا الْعِلْمِ كِتابًا مَوْسومًا بـ "**عُيونُ الأنباءِ في طَبَقاتِ الأَطِبَّاءِ**".

اعْلَمْ أنَّ طَبَقاتِ هَؤلاءِ الْمَذْكورينَ من فُروعِ عِلْمِ التَّاريخِ.

---

(1) أبو القاسم صاعد بن أحمد الأندلسي القرطبي (ت.462هـ) صاحب كتاب "**طبقات الأمم**".

(2) لأبي سليمان محمد بن طاهر السّجستاني (ت.380هـ)، وهو مطبوع.

وَمَوْضوعُ كُلٍّ منها، وغايَتُها، وغَرَضُها، ومَنافِعُها ظاهِرَةٌ على من تَتَبَّعَ تلك الْعُلومَ. واللهُ الْمُوَفِّقُ.

الدَّوْحَةُ الثَّالثَةُ: في علومٍ باحِثَةٍ عَمَّا في الْأَذْهانِ من الْمَعْقولاتِ الثَّانيةِ

وفيها: مُقَدِّمَةٌ، وشُعْبَتانِ

الْمُقَدِّمَةُ:

اِعْلَمْ أنَّ الْعُلومَ الْباحِثَةَ عن أَحْوالِ الْأَذْهانِ، هي الْعُلومُ الْآلِيَّةُ الْمَعْنَوِيَّةُ؛ وَأَجَلُّها عِلْمُ الْمَنْطِقِ، حَتَّى إِنَّ بَعْضًا مِنَ الْحُكَماءِ أَجْراهُ مَجْرى الرَّئيسِ لِلْعُلومِ الْعَقْلِيَّةِ، حَتَّى إنَّ بَعْضًا من الْعُلَماءِ جَعَلوهُ من فُروضِ الْعَيْنِ، لِكَوْنِهِ مَوْقوفًا عليه لِمَعْرِفَةِ الْواجِبِ لله تعالى، وهي واجِبَةٌ. فكذا ما يَتَوَقَّفُ عليه الْواجِبُ الْمُطْلَقُ، وكانَ مَقْدورًا لِلْمُكَلَّفِ، حَتَّى حَكَمَ بَعْضٌ مِنَ الْحُكَماءِ الْإِشْراقِيَةِ، أنَّ رِياضَةَ الْمُتَصَوِّفَةِ وسُلوكَهُمْ تَدورُ أيضًا على قَواعِدِ الْمَنْطِقِ.

وبِالْجُمْلَةِ، الْمَنْطِقُ عِلْمٌ باهِرُ الْبُرْهانِ، وكَالشَّمْسِ لا تَخْفى بكلِّ مَكانٍ. ولا يَجْحَدُ فَضْلَهُ إلا من يَعْشو عن إدْراكِ الْحَقائِقِ، ويَعْمَى عن فَهْمِ الدَّقائِقِ. ولِلّهِ دَرُّ من قال: [البسيط]

عَابَ الْمَنْطِقَ قَوْمٌ لا عُقولَ لَهُمْ   وَلَيْسَ له إذا عَابوهُ مِنْ ضَرَرِ[1]
مَا ضَرَّ شَمْسَ الضُّحَى والشَّمْسُ طالِعَةٌ   أَنْ لا يَرَى ضَوْءَهَا مَنْ لَيْسَ ذا بَصَرِ

---

(1) البيت لمنصور بن إسماعيل التميمي المصري وهو في: طبقات الفقهاء للشيرازي: 108، ونهاية المطلب في دراية المذهب: 3/ 4، ووفيات الأعيان: 5/ 290، وفيهم: عاب التفقه... وماذا عليه إذا.

وَقيلَ في مَدْحِ النَّحْوِ والْمَنْطِقِ: [الكامل]

إنْ رُمْتَ إدْراكَ الْعُلومِ بِسُرْعَةٍ فَعَلَيْكَ بالنَّحْوِ الْقَوِيمِ وَمَنْطِقِ[1]
هذا لِميزانِ الْعُقولِ مُرَجِّحٌ والنَّحْوُ إصْلاحُ اللِّسانِ بِمَنْطِقِ

ولا عِبْرَةَ بما قِيلَ في ذَمِّ الْمَنْطِقِ: [الكامل]

دَعْ مَنْطِقًا فيه الْفَلاسِفَةُ الأُلى ضَلَّتْ عُقُولُهُمْ بِبَحْرٍ مُغْرِقِ[2]
وَاجْنَحْ إلى نَحْوِ الْبَلاغَةِ واعْتَبِرْ أَنَّ الْبَلاءَ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ

وقد صَحَّ بِشَهادَةِ أَهْلِ التَّوارِيخِ والْقُدَماءِ، أنَّ أوَّلَ من دَوَّنَ عِلْمَ الْمَنْطِقِ أَرِسْطُو، وقد بَذَلَ له مَلِكُ زَمانِهِ في مُقابَلَةِ ذلك خَمْسَمِئَةِ أَلْفِ دينارٍ، وَأَدَرَّ عليه في كُلِّ سَنَةٍ مِئَةً وَعِشْرينَ أَلْفَ دِينارٍ.

قِيلَ: إنَّهُ تَنَبَّهَ لِوَضْعِهِ وَتَرْتِيبِهِ مِنْ نَظْمِ "كتاب أُقْلِيدِسَ" في الْهَنْدَسَةِ.

قالَ يَحْيَى بنُ عَدِيٍّ الْفَيْلَسوفُ: رَأَيْتُ شَرْحَ الإسْكَنْدَرِ الْحَكيمِ لِلسَّماعِ الطَّبِيعِيِّ، ولِكِتابِ الْبُرْهانِ من الْمَنْطِقِ، في تَرِكَةِ واحِدٍ من الْحُكَماءِ، وَأَنَّ الشَّرْحَيْنِ عُرِضَا عَلَيَّ بِمِئَةٍ وَعِشرينَ دِينارًا، فَمَضَيْتُ لِتَحْصيلِ الدَّنانِيرِ، وعُدْتُ فَأَصَبْتُ الْقَوْمَ قد باعوا الشَّرْحَيْنِ في جُمْلَةِ كُتُبٍ أُخَرَ على رَجُلٍ خُراسانِيٍّ على ثَلاثَةِ آلافِ دِينارٍ[3].

---

(1) البيتان لعبد اللطيف بن أحمد، سراج الدين المصري الفيومي الشافعي وهما في: الضوء اللامع: 4/ 324.
(2) البيتان للشاعر نفسه وهما في: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي: 7/ 354، والضوء اللامع: 4/ 324.
(3) دنانير، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

وقال غَيْرُ يَحْيى: إنَّ هذه الْكُتُبَ الَّتِي أَشارَ إليها كانَتْ تُحْمَلُ في الْكُمِّ.

قال مُؤَرِّخُ أَخْبارِ الْحُكَماءِ: أُنْظُرْ إلى هِمَّتِهِمْ، والله لو حَضَرَتْ هذه الْكُتُبُ في زَمانِنَا، وعُرِضَتْ على مُدَّعِي عِلْمِها، ما أَدَّوْا فيها عُشُرَ مِعْشارِ ما ذَكَرَهُ[1].

قُلْتُ: وإلى اللهِ الْمُشْتَكَى من زَمانٍ كَسَدَتْ فيه بَضائِعُ الْعُلوم، وَفَسَدَتْ فيه صَنائِعُ الرُّسومِ. وأَقولُ واللهُ الرَّقيبُ: لو عُرِضَتْ تلك الْكُتُبُ على مُحَصِّلِي زَمانِنَا بلا شَيْءٍ، بل بِطَرِيقِ هِبَةٍ، لا امْتِنانَ فيها ولا غَرَضَ، لَرَغِبُوا عنها، ولم يَلْتَفِتُوا إليها فَضْلًا عن الِابْتِياعِ. نَعَمْ يَرْغَبونَ في كُتُبِ الشِّعْرِ والْهَزْلِ ويُغالونَهَا في الْأَثْمانِ، بل يَكْتُبونَهَا وَيُحَصِّلونَهَا، ولا يُفارِقونَهَا لا في اللَّيْلِ ولا في النَّهارِ[2].

وَاعْلَمْ أنَّ هذا الْكَلامَ مِنْ قَبِيلِ نَفْثَةِ الْمَصْدورِ، فَلْيَعْذِرْنِي مَنْ رَآهُ مِنَ الْأَصْحابِ، ولا يُعَامِلْنِي بِاللَّوْمِ وَالْعِتابِ. وأَسْتَغْفِرُ الله لنا وَلَهُمْ عن الْخَطَإِ والْخَطَلِ، في الْقَوْلِ والْفِعْلِ[3] والْعَمَلِ، إنَّهُ عَفُوٌّ غَفورٌ[4].

ثُمَّ اعْلَمْ أنَّ مِنْ أَمْثالِهِمْ: الشَّيْءُ بِالشَّيْءِ يُذْكَرُ[5].

---

(1) ذُكِرَ، في قونية. والخبر في إخبار العلماء بأخبار الحكماء: 48-49.

(2) لا في ليل ولا في نهار، في قونية.

(3) والعقد، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

(4) غفور رحيم، في قونية.

(5) من الأقوال التي سرت مسرى المثل، واستعملت في النثر والشعر، منها قول ابن نباتة:

وذكر جبين البابلية إذ بدا ••• هلال الدجى والشيء بالشيء يذكر

ديوان ابن نباتة: 180.

لمَّا وَضَعَ بَيْدَبَا الْفَيْلَسوفُ الْهِنْدِيُّ كِتابَ "كَليلَةُ وَدِمْنَةُ"، لِدَبْشَليمَ[1] مَلِكِ الْهِنْدِ؛ وهو الَّذِي مَلَكَ مِئَةً وعشرينَ سَنَةً؛ وَضَعَ التَّاجَ على رَأْسِهِ، وجَعَلَهُ وَزيرَهُ، وجَعَلَ كِتابَهُ على أَلْسِنَةِ الْبَهائِمِ والطُّيورِ، تَنْزِيهًا لِلْحِكْمَةِ وَفُنونِهَا عن الْعَوامِّ، وَضِنَّةً بها على الْجُهَلاءِ شُرَكاءِ الطَّعامِ.

حُكِيَ أنَّ كِسْرَى أَنوشِرْوانَ لَمَّا سَمِعَ بِكِتابِ "كَليلَةُ ودِمْنَةُ"، أَرْسَلَ بَرْزَوَيْهِ الْحَكيمَ إلى بِلادِ الْهِنْدِ لِاسْتِخْراجِ الْكِتابِ، وَأَعْطاهُ خَمْسينَ جِرابًا، في كُلِّ جِرابٍ عَشَرَةُ آلافِ دِينارٍ، فَضْلًا عن أَدَواتِ الْأَسْفارِ. ثُمَّ إنَّ بَرْزَويهِ الْحَكيمَ، اسْتَخْرَجَ من بِلادِ الْهِنْدِ كتاب "كَليلَةُ ودِمْنَةُ"، وَنَقَلَهُ من الْهِنْدِيَّةِ إلى الْفَارِسِيَّةِ، واسْتَخْرَجَ معه الشَّطْرَنْجَ التَّامَّ، الَّذِي هو عَشَرَةٌ في عَشَرَةٍ، وَأَمَّا الشَّطْرَنْجُ الَّذِي هو ثَمانِيَةٌ في ثَمانِيَةٍ، فَقَدْ وَضَعَهُ صِصَّةُ بْنُ داهِرِ الْهِنْدِيُّ لِلْمَلِكِ شِهْرامَ، وما اشْتَهَرَ بَيْنَ الْعَوامِّ مِنْ أَنَّ واضِعَهُ اللَّجْلاجُ فَلَيْسَ كَذَلِكَ، لِأَنَّهُ كانَ مِمَّنْ يُحْسِنُ اللَّعِبَ به. وَمِمَّنْ يُحْسِنُ اللَّعِبَ به أبو بَكْرٍ الصُّولِيُّ في الْمَشْهورِ عند أَهْلِ التَّاريخِ.

وَوَضَعَ أَرْدَشيرُ بْنُ بَابَكَ الْهِنْدِيُّ الْحَكيمُ ـ أَوَّلُ مُلوكِ الْفُرْسِ الْمُؤَرَّخَةِ به ـ النَّرْدَ في مُقابَلَةِ الشَّطْرَنْجِ، وَلِذَلِكَ قِيلَ له: النَّرْدَشيرُ، نَسَبوهُ إلى واضِعِهِ، جَعَلَهُ مِثالًا لِلدُّنْيا وأَهْلِهَا، فَجَعَلَ الرُّقْعَةَ اثْنَيْ عَشَرَ بَيْتًا بِعَدَدِ شُهورِ السَّنَةِ، وجَعَلَ الْقِطَعَ ثَلاثِينَ قِطْعَةً بِعَدَدِ أَيَّامِ الشَّهْرِ، وَجَعَلَ الْفُصوصَ مِثْلَ: الْقَضاءِ والْقَدَرِ وتَقَلُّبِهِ في الدُّنْيَا. فَافْتَخَرَتِ الْفُرْسُ بِوَضْعِ النَّرْدِ.

---

(1) لديلم، في قونية، لدبسلم، في مراد ملا.

وَقِيلَ: إنَّمَا جَعَلُوا نِصْفَ الْقِطَعِ الثَّلاثِينَ سُودًا، ونِصْفَهَا بِيضًا كَالأَيَّامِ واللَّيالِي؛ وَأَيْضًا جَعَلُوا الْفُصوصَ مُسَدَّسَةً، إشارَةً إلى أَنَّ الْجِهاتَ سِتٌّ لا سابِعَ لها؛ وَأَيْضًا أنَّ ما فَوْقَ الْفُصوصِ من الأَعْدادِ، مع ما تَحْتَهَا من الأَعْدادِ، يَكونُ سَبْعَةً أَبَدًا كيفما وَقَعَتِ الْفُصوصُ، وَهَذَا إشارَةٌ إلى عَدَدِ الأَفْلاكِ وَالأَرْضِ وَالْكَوَاكِبِ السَّيارَةِ.

ومِنَ الْعَجائِبِ أنَّ واضِعَ الشَّطْرَنْجِ اقْتَرَحَ مِنَ الْمَلِكِ في أَوَّلِ بَيْتٍ من بُيوتِهِ دِرْهَمًا، ثم يُضَعَّفُ إلى آخِرِ الْبُيوتِ. قال الْمَلِكُ: لقد اعْتَقَدْتُ نُبْلَ رَأْيِكَ عند وَضْعِكَ الشَّطْرَنْجَ، وَالْآنَ لقد سَجَّلْتُ على فَسادِ عَقْلِكَ. قال الْوَزيرُ: مَهْلًا أَيُّهَا الْمَلِكُ، فإنَّ خَزائِنَكَ وَخَزائِنَ مُلوكُ الأَرْضِ تَنْفَدُ عند ذلِكَ، فَأَنْكَرَهُ الْمَلِكُ أَشَدَّ الإنْكارِ، فَفَهَّمُوهُ طَرِيقَ[1] حِسابِهِ، وقال: هذا أَعْجَبُ من وَضْعِكَ الشَّطْرَنْجَ.

وَقِيلَ: لو وُضِعَ في أَوَّلِ بَيْتِهِ حَبَّةُ حَنْطَةٍ، ثُمَّ ضُوعِفَ على النَّهْجِ الْمَذْكورِ، لا يَفِي بِذَلِكَ مِلْءُ الْمُدُنِ الْمَوْجودَةِ في الأَرْضِ حِنْطَةً. وقد اعْتَنَى بَعْضٌ مِنَ الْحُسَّابِ على ذلك، فَمَنْ تَأَمَّلَ ذَلِكَ يُصَدِّقُهُ. وَهَذَا كَلامٌ وَقَعَ فِي الْبَيْنِ.

ثمَّ رَجَعْنا إلى الْمَقْصودِ فَنَقولُ:

ثمَّ نَقَلَ عبدُ اللهِ بْنُ هِلالِ الأَهْوازِيُّ، كِتابَ **"كَليلَةُ ودِمْنَةُ"** من الْفارِسِيَّةِ إلى الْعَرَبِيَّةِ، لِيَحْيَى بنِ خالِدِ الْبَرْمَكِيِّ، في خِلافَةِ الْمَهْدِيِّ. وقد نَظَمَ سَهْلُ

(1) بطريق، في رئيس الكتاب.

ابنُ نَوْبَخْتَ الْحَكيمُ كِتابَ **"كَليلَةُ وَدِمْنَةُ"** لِيَحْيَى بنِ خالِدِ الْبَرْمَكِيِّ، وَزيرِ الْمَهْدِيِّ والرَّشيدِ، وأَجازَهُ يَحْيَى على ذَلِكَ أَلْفَ دِينارٍ.

وكانَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ صاحِبُ الأَنْدَلُسِ بالْمَغْرِبِ مُتَطَلِّبًا لِلْعُلومِ الإِلَهِيَّةِ، والأَسْرارِ الْحِكْمِيَّةِ، فَسَمِعَ به مَلِكُ الْهِنْدِ مُلْهُو، فَسَيَّرَ له كِتابَ **"كَليلَةُ وَدِمْنَةُ"** مُصَوَّرًا في الْحِكَمِ والأَمْثالِ، وكِتابَ **"سِفْرُ آدَمَ عليه السَّلامُ"** في عِلْمِ الْحُروفِ، وكتابَ **"الْحُروفُ الْمُنَزَّلَةُ على آدَمَ عليه السَّلامُ"**، في إِحْدَى وعِشْرينَ وَرَقَةً من زَيْتونِ الْجَنَّةِ وآسِهَا، بأَسْمائِها وصِفاتِهَا وأَعْدادِها، وما يَتَوَلَّدُ عنها من عِلْمِ الأَسْماءِ والصِّفاتِ، والْحِكَمِ والآياتِ الْبَيِّناتِ، وسَيَّرَ له مع هذه هَدايَا وتُحَفًا غَريبَةً، من جُمْلَتِها فَرْشٌ من جِلْدِ حَيَّةٍ مُدَنَّرٍ، كأَنَّهُ لَوْنُ رِيشِ الطَّاوُوسِ، وفَرْشٌ آخَرُ من جِلْدِ حَيَوانٍ إذا جَلَسَ عليه من به عِلَّةُ الْبَواسِيرِ أَبْرَأَهُ.

وكان مَلِكُ الْقُسْطَنطينِيَّةِ الْحَكِيمُ أرْمانُوسُ، طالِبًا لِكِتابِ **"عِلْمُ الْحُروفِ"**، فَكَاتَبَ الْمَلِكَ النَّاصِرَ في سنةِ سَبْعٍ وثَلاثِينَ وثَلاثِمئةٍ، وهَادَاهُ هَدايَا جَلِيلَةً، وَأَسْرَارًا غَريبَةً، من جُمْلَتِهَا كتابُ **دِيسْقُورِيدُوسَ الْحَكيمِ**، مُصَوَّرَ الْحَشائِشِ بالتَّصْويرِ الرُّومِيِّ الْبَدِيعِ، وكان مَكْتوبًا بِالْقَلَمِ الإِغْرِيقِيِّ - الذي هو الْيُونانِيُّ الْقَديمُ - وبَعَثَ معه كِتابَ **هِيرُودُوتَ**، صاحِبِ الْقَصَصِ، وهو تاريخُ مُلوكِ الرُّومِ، وقَصَصِ الْمَبْعوثِ إليهم من الأَنْبياءِ، وكان باللِّسانِ اللَّاتِينِيِّ؛ وهو الْفِرِنْجِيُّ.

وفي سَنَةِ أَرْبَعينَ وثلاثمِئَةٍ، بَعَثَ أَرْمانوسَ إلى الْمَلِكِ النَّاصِرِ، بِراهِبٍ يُسَمَّى نِيقولَا، لِاسْتِخْراجِ ما جُهِلَ من أَسْماءِ عَقاقِيرِ كتابِ **دِيسْقُورِيدُوسَ** إلى اللِّسانِ الْعَرَبِيِّ، وهو أَوَّلُ من عَمِلَ بِقُرْطُبَةَ تَرْياقَ الْفَاروقِ، على التَّجارِبِ التي فيه. وفي أيامِ الْخَليفَةِ جَعْفَرِ الْمُتَوَكِّلِ، تَرْجَمَ اسْتِيفانُ بْنُ بَسِيلَ التَّرْجُمانُ كِتابَ **دِيسْقُورِيدُوسَ** بِدارِ السَّلامِ بَغْدادَ من الْيُونَانِيِّ إلى الْعَرَبِيِّ[1].

وتُوُفِّيَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ لِدينِ اللهِ عبدُ الرَّحْمَنِ بنُ مُحَمَّدٍ الْأُمَوِيُّ في سنةِ خَمْسينَ وثَلاثِمئةٍ.

وإنَّمَا خَرَجْنَا عن الْمَقْصودِ لِفائِدَةِ التَّرْغيبِ، لِتَعْلَمَ أَنَّ الْعُلومَ التي سَهَّلَهَا لك الْأَوائِلُ كيفَ تَعاوَنوا في تَحْصِيلِها، وكيفَ جَمَعوهَا بِضُروبٍ من الْحِيَلِ وأَنْواعٍ من الْمَشاقِّ، حتى تَعْرِفَ بذلك قَدْرَ الْعُلومِ والْمَعارِفِ.

ومن **جُمْلَةِ** اهْتِمامِهِمْ في هذا الْبَابِ، جَمْعُهُم خَزائِنَ الْكُتُبِ، لِيُمْكِنَ النَّيْلُ إليها كُلَّمَا أَرَادوا، وَيَأْمَنوا من ضَياعِها بِالنَّهْبِ والسَّرِقَةِ وأَمْثالِهَا.

قالَ الْقَلْقَشَنْدِيُّ في "**صُبْحُ الْأَعْشَى**": "قَدْ كانَ لِلْخُلَفاءِ في الْقَديمِ مَزيدُ اهْتِمامٍ بالْكُتُبِ، حتى حَصَلوا منها على الْعَدَدِ الْجَمِّ، وحَصَّلُوا على الْخَزائِنِ الْجَليلَةِ"[2].

والْخَزائِنُ في الإِسْلامِ ثَلاثٌ:

---

(1) عيون الأنباء في طبقات الأطباء: 493-494.

(2) صبح الأعشى: 1/ 537.

ـ **أحَدُها**: خِزانَةُ الْعَباسِيِّينَ بِبَغْدادَ، وكانَ فيها من الْكُتُبِ ما لا يُحْصَى كَثْرَةً، ولا يُقَوَّمُ عليه نَفَاسَةً، ولم تَزَلْ على ذلك إلى أن دَهَمَتِ التَّتَارُ بَغْدادَ، فَذَهَبَتِ الْكُتُبُ فيما ذَهَبَ، وذَهَبَتْ مَعالِمُهَا، وَجُهِلَ آثارُها.

ـ **والثَّانِيَةُ**: خِزَانَةُ الْفَاطِمِيِّينَ بِمِصْرَ، وكانَتْ من أعْظَمِ الْخَزائِنِ، وأكْثَرِهَا جَمْعًا لِلْكُتُبِ النَّفِيسَةِ من جَمِيعِ الْعُلومِ. ولم تَزَلْ على ذلك، إلى أنِ انْقَرَضَتْ دَوْلَتُهُمْ بِمَوْتِ الْعاضِدِ آخِرِ خُلَفائِهِمْ، واسْتِيلاءِ السُّلْطانِ صَلاحِ الدِّينِ على الْمَمْلَكَةِ بَعْدَهُمْ، فَاشْتَرَى الْقَاضِي الْفاضِلُ أكْثَرَ كُتُبِ هذه الْخِزانَةِ، وَوَقَفَهَا بِمَدْرَسَةِ الْفَاضِلِيَّةِ بِدَرْبِ مُلُوخِيًّا بِالْقاهِرَةِ، فَبَقِيَتْ فيها إلى أنْ اسْتَوْلَتْ عَلَيْها الْأَيْدِي، فلم يَبْقَ منها إلا الْقَلِيلُ.

ـ **والثَّالِثَةُ**: خِزانَةُ خُلَفاءِ بني أُمَيَّةَ بِالْأَنْدَلُسِ، وكانت من أجَلِّ خَزائِنِ الْكُتُبِ أيضًا، ولم تَزَلْ على ذَلِكَ إلى انْقِراضِ دَوْلَتِهِمْ، بِاسْتِيلاءِ مُلوكِ الطَّوائِفِ على الأنْدَلُسِ، فَذَهَبَتْ كُتُبُهَا كُلَّ مَذْهَبٍ[1].

أمَّا الآنَ، فقد قَلَّتْ عِنايَةُ الْمُلوكِ بِخَزائِنِ الْكُتُبِ، اكْتِفَاءً بِخَزائِنِ كُتُبِ الْمَدارِسِ التي ابْتَنَوْهَا من حيث إنَّها بذلك أَمَسُّ. إلَّا أنَّ لِسُلْطانِنا الْأَعْظَمِ ـ الَّذِي تَشَرَّفَ زَمانُنَا هذا بِوُجودِهِ وَظِلِّهِ ـ خِزَانَةَ كُتُبٍ، يُحْكَى أنَّهُ ليس كِتابٌ شَرْعِيٌّ وغَيْرُ شَرْعِيٍّ، وعَرَبِيٌّ وفارِسِيٌّ، إلَّا ويوجَدُ فيها، إلا أنَّها مَصونَةٌ عن أيْدِي الطَّالِبِينَ. أدامَ اللهُ دَوْلَةَ هذا السُّلْطانِ، وأَبْقَى عُمُرَهُ إلى آخِرِ الزَّمانِ.

---

(1) المصدر نفسه: 1/ 537.

يُحْكَى أنَّ عَمْرَو بنَ الْعاصِ لمَّا فَتَحَ الْإِسْكَنْدَرِيَّةَ، وَجَدَ فيها خِزانَةَ كُتُبٍ، فاسْتَشَارَ فيها عُمَرَ[1] رضيَ الله عَنْهُ، فكَتَبَ إليه عُمَرُ[2]: أمَّا الْكُتُبُ الَّتِي ذَكَرْتَهَا، إنْ كانَ فيها ما يُوافِقُ كِتابَ اللهِ تَعالَى فَفِيهِ غِنًى عنها، وإنْ كان غَيْرَ ذلِكَ فلا حاجَة فيها، فَتَقَدَّمْ بإعْدامِها. فَأَخَذَ عَمْرُو بنُ الْعَاصِ في تَفْرِيقِهَا على حَمَّاماتِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ وإحْراقِهَا في مَواقِدِهَا، فَنَفِدَ في مُدَّةِ سِتَّةِ أَشْهُرٍ.

وَذُكِرَ في "فُتوحاتُ الشَّامِ": أنَّ الْإِسْكَنْدَرِيَّةَ حينَ فُتِحَتْ، كانَ فيها أَلْفُ حَمَّامٍ، واثْنَا عَشَرَ أَلْفَ بَقَّالٍ يَبِيعونَ الْبَقْلَ الْأَخْضَرَ[3].

فانْظُرْ أيُّها الطَّالِبُ لِلْعُلومِ والْمَعارِفِ إلى اهْتِمامِ الْأَوائِلِ بالْعُلومِ وكُتُبِهَا حتى تَتَفَطَّنَ منه إلى مَعْنَى ما قِيلَ: [الكامل]

لَوْ كانَتِ الْعُلومُ تَحْصُـلُ بالْمُنَى لم يَبْقَ أَصْـلًا في الْبَرِيَّـةِ جاهِـلُ

وبَعْدَ هذا نَرْجِعُ إلى ما كُنَّا فيه، وهو أنَّ أرِسْطُو بعدما دَوَّنَ الْمَنْطِقَ، صارَتْ كُتُبُهُ مَخْزونَةً في أَثِينَا من وِلايَةِ مورَةَ من بِلادِ الرُّومِ، عند مَلِكٍ من مُلوكِ الْيونَانِ.

ولَمَّا رَغِبَ الْخَليفَةُ الْمَأْمونُ في عُلومِ الْأَوائِلِ، أَرْسَلَ الْمَأْمونُ إلى الْمَلِكِ الْمَذْكورِ، وطَلَبَ الْكُتُبَ، ولم تُرْسَلْ[4]، فَغَضِبَ الْمَأْمونُ، وجَمَعَ الْعَساكِرَ،

(1) فيها إلى عمر، في أنطاليا.
(2) فكتب إلى عمرو بن العاص وقال: في أنطاليا.
(3) فتوح مصر والمغرب: 106.
(4) يرسل، في قونيا ورئيس الكتاب وأنطاليا.

وبَلَغَ الْخَبَرُ إلى الْمَلِكِ، فَجَمَعَ الْبَطارِيقَ والرَّهابِينَ وشَاوَرَهُمْ في الْأَمْرِ، فقالوا: إنْ أَرَدْتَ الْكَسْرَ في دِينِ الْمُسْلِمينَ، وتَزَلْزُلَ عَقائِدِهِمْ، فلا تَمْنَعْهُمْ عن الْكُتُبِ، فاسْتَحْسَنَ الْمَلِكُ ذلك، وَأَرْسَلَهَا إلى الْمَأْمونِ، فَجَمَعَ الْمَأْمونُ مُتَرْجِمِي مَمْلَكَتِهِ، كَحُنَيْنِ بن إسْحَاقَ، وثَابِتِ بنِ قُرَّةَ، وغيرِهِما، وتَرْجَموهَا بِتَراجِمَ مُتَخالِفَةٍ، لا تُوافِقُ تَرْجَمَةُ أَحَدِهِمْ تَرْجَمَةَ الآخَرِ، فَبَقِيَتِ التَّراجِمُ غيرَ مُحَرَّرَةٍ، إلى أنِ الْتَمَسَ مَنْصورُ بنُ نُوحٍ السَّامانِيُّ، من أبي نَصْرٍ الْفَارَابِيِّ[1]، أنْ يُحَرِّرَهَا ويُلَخِّصَهَا، فَفَعَلَ كما أرادَ، ولهذا لُقِّبَ بالْمُعَلِّمِ الثَّانِي.

وكان كُتُبُهُ في خِزانَةِ الْكُتُبِ الْمَبْنِيَّةِ بِأَصْبَهانَ الْمُسَمَّاةِ **بِصِوانِ الْحِكْمَةِ**، إلى زَمانِ السُّلْطانِ مَسْعودٍ، لكنْ كانَتْ غيرَ مُبَيَّضَةٍ، لأنَّ الْفَارَابِيَّ كان غَيْرَ مُلْتَفِتٍ إلى جَمْعِ التَّصانِيفِ ونَشْرِهَا، بل غَلَبَ عليه السِّياحَةُ، ثمَّ إنَّ الشَّيْخَ أبا عَلِيٍّ تَقَرَّبَ عند السُّلْطانِ مَسْعودٍ بِسَبَبِ الطِّبِّ حتى اسْتَوْزَرَهُ، واسْتَوْلَى على تلك الْخِزانَةِ، وأَخَذَ ما في تلك الْكُتُبِ، ولَخَّصَ منها كِتابَ **"الشِّفاءُ"**، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ تَصانِيفِهِ. وقد اتَّفَقَ أنِ احْتَرَقَ تلك الْكُتُبُ، فَاتَّهَمَ من يَتَعَصَّبُ على أَبِي عَلِيٍّ بأَنَّهُ أَحْرَقَهَا، لِيَنْقَطِعَ انْتِسابُ تلك الْعُلومِ عن أَرْبابِهَا، وتَخْتَصَّ بِنَفْسِهِ، لكن هذا كَلامُ الْحُسَّادِ الذينَ ليس لهم هادٍ.

(1) كتب بإزاء هذا نقد الخبر في نسخة أنطاليا ما يأتي: "أقول ما ذكره المصنِّف رحمه الله مخالف لما هو مذكور في كتب التَّاريخ من وجوه شتى، أما أولا فلأن قوله: "إن منصور بن نوح التمس..." فغير ممكن لأن ابتداء سلطنة المنصور كان في رجب سنة 387هـ وبعد سنة وسبعة أشهر خُلع وسُمل، وولادة الفارابي كانت سنة 260هـ ووفاته بدمشق سنة 339هـ...

ثمَّ اعْلَمْ أنَّ أفْلاطونَ الْحَكِيمَ، كان يُعَلِّمُ بَعْضًا من تَلامِذَتِهِ بِطَرِيقِ التَّصْفِيَةِ، وإعْمالِ الْفِكْرِ الدَّائِمِ في جَنابِ الْقُدُسِ، وسُمُّوا بِالإشْرَاقِيِّينَ؛ وبَعْضًا منهم بِطَرِيقِ الْبَحْثِ والنَّظَرِ، فُسُمُّوا الْمَشَّائِينَ، لِتَرَدُّدِهِمْ إلى مَجْلِسِهِ، أو لِأَخْذِهِمُ الْحِكْمَةَ وَقْتَ مَشْيِهِ إلى تَعْليمِ أوْلادِ السُّلْطانِ، أو لِتَعْلِيمِهِمْ وَقْتَ مَشْيِهِ في بُسْتانٍ كان له، وأمَّا في غيرِ هذا الْوَقْتِ كان مُنْقَطِعًا عن النَّاسِ.

وَرَئِيسُ الطَّائِفَةِ الْمَشَّائِينَ هو أَرِسْطُو، وهو الذي دَوَّنَ الْحِكْمَةَ الْبَحْثِيَّةَ، لأنَّ الْحُكَمَاءَ قَبْلَ هذا كانُوا لا يُدَوِّنونَ الْحِكْمَةَ، صَوْنًا لها عن غَيْرِ أَهْلِهَا. والَّذِي وَقَعَ فَإِنَّما وَقَعَ شِبْهَ الْأَلْغازِ والتَّعْمِيَةَ. وكانوا يَكْتُمُونَها كَالْكِيمِياءِ، وغَيْرِها من الْعلومِ الْخَفِيَّةِ، ولا يُعَلِّمونَهَا غيرَ أبْناءِ الْحُكَماءِ والسَّلاطِينِ، ويَتَوارَثونَهَا كابِرًا عن كابِرٍ.

ولمَّا عَرَضَ أرِسْطو تَدْوينَهُ على أفْلاطونَ غَضِبَ عليه وقال: أتُرِيدُ أن تُفْشِيَ سِرَّ الْحِكْمَةِ الذي كَتَمَهُ الْحُكَماءُ. فقال: لَكِنْ أَوْدَعْتُ فيها مَهاوِيَ لا يَطَّلِعُ عليها إلَّا أَهْلُهَا، فَأَجازَهُ على ذلك، فَجَمَعَ جَميعَ أنْواعِ الْحِكْمَةِ، ولهذا لُقِّبَ بالْمُعَلِّمِ الأَوَّلِ. ثُمَّ اسْتَخْرَجَ الْمَنْطِقَ بِقُوَّةِ قَرِيحَتِهِ، وجَوْدَةِ طَبْعِهِ، لِيَكونَ آلَةً لِتَحْصِيلِ الْعُلومِ الْحِكْمِيَّةِ، وَقَدَّمَهُ على سائِرِ أقْسامِ الْحِكْمَةِ بِكَوْنِهِ آلَةً لها. واللهُ أعْلَمُ بِحَقيقَةِ الْحالِ.

الشُّعْبَةُ الأولى: في عُلومٍ آلِيَّةٍ تَعْصِمُ عن الْخَطَإِ في الْكَسْبِ

عِلْمُ الْمَنْطِقِ

ويُسَمَّى عِلَمَ الْمِيزانِ أيضًا. عِلْمٌ يُتَعَرَّفُ منه كَيْفِيَّةُ اكْتِسابِ الْمَجْهولاتِ التَّصَوُّرِيَّةِ أو التَّصْدِيقِيَّةِ من مَعْلومَاتِهَا.

وَمْوضوعُهُ: الْمَعْقولاتُ الثَّانِيَةُ من حَيْثُ الإِيصَالُ إلى الْمَجْهولِ أو النَّفْعُ فيه.

والْغَرَضُ منه ومَنْفَعَتُهُ ظاهِرَةٌ مما ذَكَرْنَا.

ومن الْكُتُبِ الْمَبْسوطَةِ في الْمَنْطِقِ:

الْبَحْرُ الْخِضَمُّ "مَنْطِقُ الشِّفاءِ"، لأبي عَلِيٍّ ابنِ سِينَا، وهو أبو عَلِيٍّ الْحُسَيْنُ بنُ عبدِ اللهِ ابنِ سِينَا الْحَكيمُ الْمَشْهورُ. كانَ أَبوهُ من بَلْخَ، وانْتَقَلَ منها إلى بُخارَى، وكان من الْعُمَّالِ الْكُفاةِ، وتَوَلَّى الْعَمَلَ بِقَرْيَةٍ من ضِياعِ بُخارَى، يُقالُ لها خَرْمَيْثَنُ[1]، [من أمَّهاتِ قُراهَا، وَوُلِدَ هو وَأَخوهُ بها، واسْمُ أمِّهِ سَتَارَةُ، من قَرْيَةِ أفْشَنَةَ[2]، بالْقُرْبِ من خَرْمَيْثَنَ][3]، ثم انْتَقَلوا إلى بُخارَى، وتَنَقَّلَ الرَّئيسُ بعد ذلك في الْبِلادِ، واشْتَغَلَ بالْعُلومِ، وَحَصَّلَ الْفُنونَ.

---

(1) خَرْمَيْثَنُ: بفتح أوله، وتسكين ثانيه، وفتح ميمه، وتسكين الياء المثناة من تحت، وثاء مثلثة مفتوحة، وآخره نون: من قرى بخارى. معجم البلدان: 2/ 362.

(2) أَفْشَنَةُ: بفتح الهمزة، وسكون الفاء، والشين معجمة مفتوحة، ونون، وهاء: من قرى بخارى. معجم البلدان: 1/ 231.

(3) ما بين معقوفين سقط من قونية.

وَلَمَّا بَلَغَ عَشْرَ سِنينَ من عُمُرِهِ، أَتْقَنَ عِلْمَ الْقُرْآنِ الْعَزيزِ والْأَدَبَ، وحَفِظَ أَشْياءَ من أُصولِ الدِّينِ، وحِسابِ الْهِنْدِ والْجَبْرِ والْمُقابَلَةِ. ثمَّ قَرَأَ كِتابَ "إيساغُوجِي"، على أبي عبدِ اللهِ النَّابلِيِّ[1]، وَأَحْكَمَ عليه ظَواهِرَ الْمَنْطِقِ، لأَنَّهُ لم يَكُنْ يَعْرِفُ دَقائِقَها، ثم حَلَّ هو نَفْسُهُ دَقائِقَ غَفَلَ عنها الْأَوائِلُ، وأَحْكَمَ عليه أُقْلِيدِسَ[2] و"الْمَجِسْطِي"، وَفاقَهُ أَضْعافًا كَثيرَةً. وكان مع ذلك يَخْتَلِفُ في الْفِقْهِ إلى إسْماعيلَ الزاهِدِ، يَقْرَأُ ويَبْحَثُ ويُناظِرُ.

ثُمَّ اشْتَغَلَ بِتَحْصِيلِ الطَّبِيعِيِّ والْإِلَهِيِّ وغَيْرِ ذلك، وفَتَحَ اللهُ عليه أَبْوابَ الْعُلومِ. ثُمَّ فاقَ في عِلْمِ الطِّبِّ الْأَوائِلَ والْأَواخِرَ في أَقَلِّ مُدَّةٍ، وأَصْبَحَ عَديمَ الْقَرينِ، فَقيدَ الْمِثْلِ. وقَرَأَ عليه فُضَلاءُ هذا الْفَنِّ أَنْواعَهُ، والْمُعالَجاتِ الْمُقْتَبَسَةَ من التَّجْرِبَةِ، وَسِنُّهُ إذ ذاك نَحْوُ سِتَّةَ عَشَرَ. وفي مُدَّةِ اشْتِغالِهِ، لم يَنَمْ لَيْلَةً واحِدَةً بِكَمالِها، ولا اشْتَغَلَ في النَّهارِ سِوَى الْمُطالَعَةِ.

وكان إذا أَشْكَلَتْ عليه مَسْأَلَةٌ تَوَضَّأَ وقَصَدَ الْمَسْجِدَ الْجَامِعَ، وصَلَّى وَدَعَا اللهَ عَزَّ وجَلَّ أنْ يُسَهِّلَهَا عليه، ويَفْتَحَ مُغْلَقَهَا له. ثم اتَّصَلَ بِخِدْمَةِ نُوحِ ابْنِ نَصْرِ السَّامانِيِّ صاحِبِ خُراسانَ بِسَبَبِ الطِّبِّ، وَدَخَلَ إلى خِزانَةِ كُتُبِهِ، واطَّلَعَ على كُتُبٍ لم تُقْرَعْ آذانُ الْأَزْمانِ بِمِثْلِهَا، وَحَصَّلَ نُخَبَ فَوائِدِهَا، ولم يَسْتَكْمِلْ ثمانيةَ عَشَرَ سِنينَ[3].

(1) الناتلي، في وفيات الأعيان: 2/ 158، والدر الثمين: 353.

(2) يسمى: الأسطقسات، أو كتاب العناصر في أصول الهندسة لأقليدس.

(3) ثمان عشرة سنةً، في مراد ملا.

ويُحْكَى عنه أنَّهُ لم يَطَّلِعْ على مَسْأَلَةٍ إلى آخِرِ عُمُرِهِ إلَّا وكان يَعْرِفُهَا في ثَمانِيَةَ عَشَرَ سَنَةً[1] من سِنِّهِ، حتى حُكِيَ عنه أنَّهُ قال: كُلُّ ما عَلِمْتُهُ في ذلك الْوَقْتِ، فهو كما عَلِمْتُهُ الآنَ، لم أزْدَدْ فيه إلى الْيَوْمِ. وهذا أمْرٌ عَظيمٌ لا يَكادُ يَقْبَلُهُ الْعَقْلُ، لولا عُرِفَ حِدَّةُ ذَكائِهِ.

ثم تَنَقَّلَتْ به الْأَحْوالُ، بِأمورٍ يَطولُ شَرْحُها، حتى اسْتُوْزِرَ[2]، ثم عُزِلَ وَحُبِسَ، وبَعْدَ هذه الْأَحْوالِ كلِّهَا مَرِضَ، ثم صَلَحَ، ثم مَرِضَ إلى أن ضَعُفَ جِدًّا، ثم اغْتَسَلَ وتابَ، وتَصَدَّقَ بما معه على الْفُقَراءِ، وَرَدَّ الْمَظالِمَ على من عَرَفَهُ، وأعْتَقَ مَماليكَهُ، وَجَعَلَ يَخْتِمُ في كلِّ ثَلاثَةِ أيَّامٍ خَتْمَةً.

ثُمَّ ماتَ يومَ الْجُمُعَةِ من رَمَضانَ، سنة ثَمانٍ وعِشْرينَ وأرْبَعِمِئَةٍ بِهَمَذانَ، وكانت وِلادَتُهُ سنة سَبْعينَ وثلاثِمِئَةٍ في شَهْرِ صَفَرٍ. وقيل: تُوُفِّيَ بأَصْبَهانَ. وفَضائِلُهُ كَثيرَةٌ شَهيرَةٌ.

وكان نادِرَةَ عَصْرِهِ في عِلْمِهِ وذَكائِهِ وتَصانِيفِهِ. وعِدَّةُ تَصانِيفِهِ ثمانيةٌ وستونَ على الْأَشْهَرِ. وقيلَ: تُقارِبُ مِئَةَ مُصَنَّفٍ، ما بين مُطَوَّلٍ ورِسالَةٍ. وله رَسائِلُ بَديعَةٌ منها: "رِسالَةُ حَيِّ بنِ يَقْظانَ"، و"رِسالَةُ سَلامَانَ وأَبْسالَ"، و"رِسالَةُ الطَّيْرِ"، و"قَصيدَةُ الْوَرْقاءِ"، يَرْمُزُ بها عن النَّفْسِ النَّاطِقَةِ.

---

(1) سنين، في رئيس الكتاب وأنطاليا وعاطف أفندي.

(2) كتب بإزائها في نسخة أنطاليا: استوزره شمس الدولة بن فجر الدولة. بيان.

ومن كُتُبِهِ الْمَبْسوطَةِ: "**الشِّفاءُ**"، كَتَبَهُ بلا مُطالِعَةِ كِتَابٍ، وكان يَكْتُبُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسِينَ وَرَقَةً من حِفْظِهِ، وهذا كما مَرَّ أَمْرٌ يَسْتَحيلُهُ الْعَقْلُ، لكن لو نُسِبَ إلى غَيْرِ أبي عَلِيٍّ. و"**كِتابُ النَّجاةِ**"، و"**الْقانُونُ**"، و"**الإِشاراتُ**"[1].

وغيرُ ذلكَ. ومَناقِبُه لا تُعَدُّ، وَلْنَكْتَفِ هاهنا بهذا الْحَدِّ.

ومن الْكُتُبِ الْمَبْسوطَةِ في الْمَنْطِقِ والْحِكْمَةِ:

كِتابُ "بَيانُ الْحَقِّ"، و"مَطالِعُ الأَنوارِ"، و"الْمَناهِجُ"، كُلُّهَا لِلأُرْمَوِيِّ.

وهو مَحْمُودُ بنُ أبي بَكْرِ بنِ أَحْمَدَ الأُرْمَوِيُّ، الشَّيْخُ سِراجُ الدِّينِ أبو الثَّناءِ، صاحِبُ: "**التَّحْصيلُ**" مُخْتَصَرِ الْمَحْصُولِ، في أُصُولِ الْفِقْهِ، و"**اللُّبابُ**" مُخْتَصَرِ الأَرْبَعينِ في أُصُولِ الدِّينِ. و"**الْبَيانُ**"، و"**الْمَطالِعُ**"، في الْمَنْطِقِ والْحِكْمَةِ. وَغَيْرِ ذلكَ.

وقيلَ: إنَّه شَرَحَ "الْوَجيزُ"، لِلرَّافِعِيِّ[2] في الْفِقْهِ. وكان شافِعِيًّا، قَرَأَ بِالْمَوْصِلِ على كَمالِ الدِّينِ ابنِ يونُسَ.

مَوْلِدُهُ سنةَ أَرْبَعٍ وتِسْعينَ وخَمْسِمِئَةٍ. **وتُوُفِّيَ** سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وثَمانينَ وسِتِّمِئَةٍ بِمَدينَةِ قُونِيَةَ[3].

---

(1) وفيات الأعيان: 2/ 157-161.

(2) كتاب الوجيز، للغزالي وعليه شروح واختصارات كثيرة. أما أبو القاسم عبد الكريم الرافعي القزويني (ت.623هـ) فله الشرح الكبير لوجيز الغزالي، المسمى فتح العزيز على كتاب الوجيز.

(3) طبقات الشافعية الكبرى: 8/ 371.

ومن كُتُبِ الْمَنْطِقِ:

"**كَشْفُ الْأَسْرارِ**"، **لِلخُونَجِيِّ**، وهو مُحَمَّدُ بنُ نَامَاوَرَ[1] بنِ عَبْدِ الْمَلِكِ القاضِي، أَفْضَلُ الدِّينِ الْخُونَجِيُّ[2]. **وُلِدَ** في جمادى الأولى سَنَةَ تِسْعينَ وَخَمْسِمِئَةٍ. وله الْيَدُ الطُّولَى في الْمَعْقولاتِ. وهو صاحِبُ "**الْمُوجَزُ في الْمَنْطِقِ**"، وغَيْرِهِ.

وَلِيَ قَضاءَ الْقُضاةِ بالْقاهِرَةِ، وكانَ كَثيرَ الْأَفْكارِ، بحيثُ يَسْتَغْرِقُ وَقْتًا صالِحًا في ذلك، ودَرَّسَ بالْمَدْرَسَةِ الصَّالِحِيَّةِ[3] بالْقاهِرَةِ، وغيرِها.

تُوُفِّيَ في الْخامِسِ من شَهْرِ رَمَضانَ، سَنَةَ تسعٍ وأَرْبَعينَ وسِتِّمِئَةٍ، ودُفِنَ بِسَفْحِ الْمُقَطَّمِ[4].

ومن الْكُتُبِ الْمُخْتَصَرَةِ اللَّطِيفَةِ النَّافِعَةِ في هذا الْعِلْمِ:

"**الْمَطالِعُ**"، **لِلْأُرْمَوِيِّ**، وقد عَرَفْتَهُ. وله شُروحٌ منها: **شَرْحُ شَمْسِ الدِّينِ الْأَصْبَهانِيِّ**[5] رحمه الله، وسَتَعْرِفُهُ في عِلْمِ الْكَلامِ.

---

(1) باماور، في رئيس الكتاب.

(2) محمد بن ناماور بن عبد الملك الخونجي، أبو عبد الله، أفضل الدين، عالم بالحكمة والمنطق، فارسي الأصل. انتقل إلى مصر، وولي قضاءها. وتوسع في علوم الأوائل حتى تفرد برياسة ذلك في زمانه، (ت.646هـ). ينظر: ذيل الروضتين: 182، عيون الأنباء في طبقات الأطباء: 586، سير أعلام النبلاء: 23/ 228، تاريخ الإسلام: 14/ 557.

(3) الصلاحية، في رئيس الكتاب أنطاليا.

(4) طبقات الشافعية الكبرى: 8/ 105.

(5) سمَّاه: مطالع الأنظار في شرح طوالع الأنوار.

ومنها: **شَرْحُ قُطْبِ الدِّينِ الرَّازِيِّ التَّحْتَانِيِّ**. وهو مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدٍ الرَّازِيُّ، الشَّيْخُ الْعَلَّامَةُ قُطْبُ الدِّينِ، الْمَعْروفُ بالتَّحْتانِيِّ، وهذه النِّسْبَةُ لِتَمْيِيزِهِ عن قُطْبٍ آخَرَ فَوْقانِيٍّ. وكانا يَسْكُنانِ في مَدْرَسَةٍ واحِدَةٍ، أحَدُهُما في الطَّبَقَةِ الْفَوْقانِيَّةِ، والْآخَرُ في الطَّبَقَةِ التَّحْتانِيَّةِ. وهو إمامٌ مُبَرِّزٌ في الْمَعْقولاتِ، اشْتَهَرَ اسْمُهُ، وبَعُدَ صِيتُهُ، وَرَدَ إلى[1] دِمَشْقَ في سنة ثَلاثٍ وسِتِّينَ وسبعمئةٍ.

قال ابْنُ السُّبْكِيِّ: بَحَثْنَا معه في دِمَشْقَ، فَوَجَدْناهُ إمامًا في الْمَنْطِقِ والْحِكْمَةِ، عارِفًا بالتَّفْسِيرِ والْمَعانِي والْبَيانِ، مُشارِكًا في النَّحْوِ، يَتَوَقَّدُ ذَكَاءً. وله على "**الْكَشَّافُ**" حَواشٍ مَشْهورَةٌ، وله: "**شَرْحٌ على مَطالِعِ الْأُرْمَوِيِّ**"[2]، في الْمَنْطِقِ. وهذا شَرْحٌ عَظِيمُ الشَّأْنِ، وله "**شَرْحٌ على الرِّسالَةِ الشَّمْسِيَّةِ لِلْكاتِبِيِّ**"، في الْمَنْطِقِ.

تُوُفِّيَ في سادِسِ ذي الْقَعْدَةِ، سَنَةَ سِتٍّ وسِتِّينَ وَسَبْعِمِئَةٍ، بظاهِرِ دِمَشْقَ، عن نَحْوِ أرْبَعٍ وسَبْعينَ سنَةً[3].

يُرْوى أَنَّهُ كان له عَبْدٌ رَبَّاهُ من صِغَرِهِ وعَلَّمَهُ، حتَّى كان مُدَرِّسًا وفاضِلًا في كُلِّ الْعُلومِ، وكان يُدْعَى بِمُبَارَكِ شَاه الْمَنْطِقِيِّ. وهو الذي أَخَذَ عنه الشَّريفُ الْجُرْجانِيُّ "**شَرْحُ الْمَطالِعِ**"، لِمَوْلاهُ قُطْبِ الدِّينِ الرَّازِيِّ. وكان طَلَبَ قِراءَتَهُ أوَّلًا من الشَّارِحِ، ولم يَلْتَزِمْ ذلك، وتَعَلَّلَ بأنَّنِي شَيْخٌ وأنْتَ شابٌّ، ثم أرْسَلَهُ

---

(1) فعل ورد لا يتعدى بحرف الجر.

(2) سمَّاه: لوامع الأسرار في شرح طوالع الأنوار.

(3) طبقات الشافعية الكبرى: 9/ 275.

الشَّارِحُ من شِيرازَ إلى غُلامِهِ مُبَارَك شاه، وهو بِمِصْرَ وَقْتَئِذٍ، فَقَبِلَ الشَّريفُ ذلك، وَسارَ إليه مع كِتابٍ من الشَّارِحِ إليه، وَأَوْصَى في الْكِتابِ أن يُعَلِّمَهُ كما سَمِعَ منه. فلَمَّا أَوْصَلَ الشَّريفُ الْكِتابَ قَبِلَهُ، لكن بِشَرْطِ أن يَسْمَعَ فَقَطْ، ولا يَقْرَأَ ولا يَتَكَلَّمَ أَصْلًا.

ثُمَّ لَيْلَةً من اللَّيالِي كان يَطوفُ الْمُدَرِّسُ في الْمَدْرَسَةِ، إذ سَمِعَ مُباحَثَةً في بعض الْحُجُراتِ، فإذا هو الشَّريفُ الْمَذْكورُ، وسَمِعَ منه تَحْقِيقاتٍ عَجِيبَةً، وتَدْقِيقاتٍ غَرِيبَةً، حتى لَحِقَهُ الْبَهْجَةُ والسُّرورُ، بحيث رَقَصَ في فِناءِ الْمَدْرَسَةِ، على أنَّ مِثْلَ هذا الْفاضِلِ يَقْرَأُ عِنْدَهُ، فلمَّا أَصْبَحَ أَذِنَ له في الْقِراءَةِ والتَّكَلُّمِ.

يُرْوَى أنَّ الشَّريفَ كَتَبَ "**حَواشي شَرْحِ الْمَطالِعِ**" عند قِراءَتِهِ عليه.

ومن الْكُتُبِ اللَّطِيفَةِ في الْمَنْطِقِ:

"**التَّلْويحاتُ**" و"**الْمُطارَحاتُ**"، لِلسُّهْرَوَرْدِيِّ، وهو أبو الْفُتوحِ يَحْيَى بنُ حَبَشِ بْنِ أَمِيرَكَ، الْمُلَقَّبُ شِهابَ الدِّينِ السُّهْرَوَرْدِيَّ، الْحَكيمُ الْمَقْتولُ؛ وقيل: اسْمُهُ عُمَرُ.

كانَ من عُلَماءِ عَصْرِهِ، قَرَأَ الْحِكْمَةَ وأُصولَ الْفِقْهِ على الشَّيْخِ مَجْدِ الدِّينِ الْجِيلِيِّ، أُسْتاذِ فَخْرِ الدِّينِ الرَّازِيِّ، بِمَدينَةِ الْمَراغَةِ، من أعْمَالِ أَذْرَبِيجانَ، إلى أن بَرَعَ فيهما.

وكانَ السُّهْرَوَرْدِيُّ أَوْحَدَ أَهْلِ زَمانِهِ في الْعُلومِ الْحِكْمِيَّةِ والْفَلْسَفِيَّةِ، بارِعًا في الْأصولِ الْفِقْهِيَّةِ، مُفْرِطَ الذَّكاءِ، فَصيحَ الْعِبارَةِ.

ويُقالُ: إنه كان يَعْرِفُ عِلْمِ السِّيمِيَاءِ، ويُحْكى عنه فيه أَشْيَاءُ غَرِيبَةٌ، منها ما حَكَى بعضُ فُقَهاءِ الْعَجَمِ، أَنَّهُ كان في صُحْبَتِهِ ـ وقد خَرَجُوا من دِمَشْقَ ـ قال: فلمَّا وَصَلْنَا إلى الْقابُونِ ـ الْقَرْيَةِ التي على بابِ دِمَشْقَ في طَرِيقِ من يَتَوَجَّهُ إلى حَلَبَ ـ لَقِينَا قَطِيعَ غَنَمٍ مَعَ تُرْكُمانِيٍّ، فاشْتَهَيْنَا غَنَمًا نَأْكُلُهُ، وأَعْطانَا عَشَرَةَ دراهِمَ كانت معه، فَاشْتَرَيْنا بها غَنَمًا من رَجُلٍ تُرْكُمانِيٍّ، فلم نَمْشِ إلا قَليلًا وَلَحِقَنَا رَفِيقٌ له، وقال: رُدُّوا الرَّأْسَ، وخُذُوا أَصْغَرَ من هذا الْغَنَمِ، وَرَفِيقِي لم يَعْرِفْ قِيمَتَهُ، وتَقَاوَلْنَا نحن وإِيَّاهُ، فَلَمَّا عَرَفَ الشَّيْخُ ذلك، قال: امْشُوا وأنا أُرْضِيهِ، فَتَقَدَّمْنَا نحن، وَبَقِيَ الشَّيْخُ يَتَحَدَّثُ معه، وَيُطَيِّبُ قَلْبَهُ، فَلَمَّا أَبْعَدْنَا قَليلًا، تَبِعَنَا وَتَرَكَهُ، فَغاظَ التُّرْكُمانِيَّ، وجَذَبَ الْيَدَ الْيُسْرَى لِلشَّيْخِ، وإذا بِيَدِ الشَّيْخِ قد انْخَلَعَتْ، وَرَمَى التُّرْكُمانِيُّ يَدَهُ، وَخافَ منه وَفَرَّ، وأَخَذَ الشَّيْخُ تلك الْيَدَ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ولَحِقَنَا إلى أن غابَ عن التُّرْكُمانِيِّ، فَرَأَيْنا في يَدِ الشَّيْخِ مِنْديلًا له لا غَيْرُ.

ويُحْكَى عنه مِثْلَ هذا أَشْيَاءُ كَثيرَةٌ.

وله تَصانِيفُ منها: "**التَّنْقيحَاتُ في أصولِ الْفِقْهِ**"، و"**التَّلْوِيحاتُ**"، و"**الْمُطارَحاتُ**"، في الْمَنْطِقِ والْحِكْمَةِ. و"**الْهَياكِلُ**"[1]، و"**حِكْمَةُ الإِشْراقِ**"، في الْحِكْمَةِ. وله الرِّسالَةُ الْمَعْروفَةُ بـ"**الْغُرْبَةُ الْغَرْبِيَّةُ**"، على مِثالِ "**رِسالَةُ الطَّيْرِ**"، ورِسالَةُ "**حَيُّ بْنُ يَقْظَانَ**"، لِأَبِي عَلِيٍّ ابْنِ سِينَا. وفيها بَلَاغَةٌ

---

(1) يقصد كتاب هياكل النور، وهو مطبوع.

تامَّةٌ لِلسُّهْرَوَرْدِيِّ، أشارَ فيها إلى حَديثِ النَّفْسِ، وما يَتَعَلَّقُ بها[1]. وله في النَّظْمِ والنَّثْرِ أَشْياءُ لَطِيفَةٌ لا حاجَةَ إلى الْإِطالَةِ فيها.

وكان شافِعِيَّ الْمَذْهَبِ، وكان يُلَقَّبُ بالْمُؤَيَّدِ بِالْمَلَكوتِ، وكان يُتَّهَمُ بانْحِلالِ الْعَقيدَةِ والتَّعْطيلِ، وَيَعْتَمِدُ مَذْهَبَ الْحُكَماءِ الْمُتَقَدِّمينَ. وأَفْتَى عُلَماءُ حَلَبَ بإباحَةِ دَمِهِ، وكان أَشَدُّهُمْ عليه زَيْنَ الدِّينِ ومَجْدَ الدِّينِ ابْنَيْ جَهْبَلٍ.

وقال الشَّيْخُ سَيْفُ الدِّينِ الْآمِدِيُّ - وَسَيَجِيءُ ذِكْرُهُ - اجْتَمَعْتُ بالسُّهْرَوَرْدِيِّ في حَلَبَ، فقال لي: لا بُدَّ أنْ أَمْلِكَ الْأَرْضَ، فقلتُ له: من أين لَكَ هذا؟ قال: رَأَيْتُ في الْمَنامِ كأَنِّي شَرِبْتُ ماءَ الْبَحْرِ، فقلتُ: لَعَلَّ هذا يَكونُ اشْتِهارَ الْعِلْمِ وما يُناسِبُ هذا، فَرَأَيْتُهُ لا يَرْجِعُ عَمَّا وَقَعَ في نَفْسِهِ، وَرَأَيْتُهُ كَثيرَ الْعِلْمِ، قَليلَ الْعَقْلِ.

وبِالْجُمْلَةِ، حَبَسَهُ السُّلْطانُ وخَنَقَهُ، في خامِسِ رَجَبٍ سنةَ سَبْعٍ وَثَمانينَ وخَمْسِمِئَةٍ بقَلْعَةِ حَلَبَ، وعُمُرُهُ ثَمانٍ وثَلاثونَ سنةً.

وكان النَّاسُ مُخْتَلِفينَ في حَقِّهِ، منهم من يَنْسُبُهُ إلى الزَّنْدَقَةِ والْإِلْحادِ، ومنهم من يَشْهَدُ له بِحُسْنِ الِاعْتِقادِ.

قالَ الْقاضي بَهاءُ الدِّينِ الْمَعْروفُ بابْنِ شَدَّادٍ قاضِي حَلَبَ: إنَّ السُّهْرَوَرْدِيَّ كانَ كَثيرَ التَّعْظِيمِ لِشَعائِرِ الدِّينِ الْقَويمِ، وأطالَ الْكَلامَ في ذلك.

(1) كتب تحتها في نسخة أنطاليا: على اصطلاح الحكماء.

وذَكَرَ نَفْسَهُ في أواخِرِ "التَّلْويحاتُ" في وَصَايَا ذَكَرَهَا هُناكَ: "واتَّقِ شَرَّ من أَحْسَنْتَ إليه[1] من اللِّئام، ولقد أصابَنِي منهم شَدائِدُ"[2].

قال شارِحُها: أرادَ به بعضًا من تَلامِذَتِهِ، الَّذينَ يُصاحِبونَهُ في السَّفَرِ والْحَضَرِ، وَيَنْقُلونَ عنه أَشْياءَ مُخالِفَةً لِلشَّرْعِ. ولَعَلَّ قَتْلَهُ كان بِسَبَبِ هؤلاءِ. نَسْأَلُ اللهَ الْعَفْوَ والْعافِيَةَ في الدِّينِ والدُّنيا والْآخِرَةِ، وأن يَجْعَلنا من أهْلِ الْحَقِّ والرَّشادِ، وأن يَعْصِمَنا من شَرِّ أَهْلِ الزَّيْغِ والْفَسادِ، إنه وَلِيُّ الْحَقِّ والْإِرْشادِ[3].

ومن لَطائِفِ كُتُبِ الْمَنْطِقِ:

"الْمُلَخَّصُ"، و"شَرْحُ الإشاراتِ"، وَغَيْرُ ذلِكَ لِلإمامِ الرَّازِيِّ. وسَتَعْرِفُ تَرْجَمَتَهُ إنْ شاءَ الله تَعالى.

ومن الْكُتُبِ النَّافِعَةِ في الْمَنْطِقِ:

"الْمُعْتَبَرُ"، لأَبِي الْبَرَكاتِ الْبَغْدادِيِّ، وهو هِبَةُ اللهِ ابنُ مَلْكَا أبو الْبَرَكاتِ الْبَغْدادِيُّ، الْيَهودِيُّ أَوَّلًا في أكْثَرِ عُمُرِهِ، والْمُهْتَدِي إلى الْإِسْلامِ في آخِرِ أَمْرِهِ، الْمُلَقَّبُ أَوْحَدَ الزَّمانِ. طَبيبٌ فاضِلٌ، عالِمٌ بِعُلومِ الْأَوائِلِ. كان حَسَنَ الْعِبارَةِ، لَطيفَ الْإِشارَةِ. صَنَّفَ "كِتابُ الْمُعْتَبَرِ"، أَتَى فيه بِأَقْسامِ الْحِكْمَةِ

---

(1) هذه العبارة تحريف لقولهم: أبقِ بِرَّ من أحسنت إليه، وهو التعبير الموافق لمبادئ شريعتنا السمحة.

(2) التلويحات: 126. ضمن موسوعة مصنفات السهروردي.

(3) وفيات الأعيان: 6/ 268-273.

غير الرِّياضِيِّ. وهو أَحْسَنُ كِتابٍ صُنِّفَ في هذا الشَّأْنِ في هذا الزَّمانِ. وَكانَ ذا ثَرْوَةٍ وتَجَمُّلٍ تامٍّ، وهَجاهُ ابْنُ أفْلَحَ وَقالَ: [البسيط]

لَنَا طَبيبٌ يَهودِيٌّ حَماقَتُهُ إذا تَكَلَّمَ تَبْدُو فِيهِ مِنْ فِيهِ[1]
يَتِيهُ وَالْكَلْبُ أَعْلَى مِنْهُ مَنْزِلَةً كَأَنَّهُ بَعْدُ لم يَخْرُجْ مِنَ التِّيهِ

وَلَمَّا سَمِعَ ذلك، عَلِمَ أَنَّهُ لا يُبَجَّلُ بِالنِّعْمَةِ بلا إسْلامٍ، فَقَوِيَ عَزْمُهُ على الْإِسْلامِ، فَأَسْلَمَ وجَلَسَ لِلتَّعْلِيمِ والْمُعالَجَةِ، وعاشَ عِيشَةً هَنِيئَةً، إلى أَنْ خانَهُ الدَّهْرُ ـ وهو خَؤونٌ ـ وَعَصاهُ الزَّمانُ وهو ذو فُنونٍ، حتى اسْتَوْلَتْ عليه والْعِياذُ باللهِ آفاتٌ لو وُضِعَ واحِدٌ منها على رَضْوَى لَتَخَلْخَلَ أصولُهُ الرَّواسِخُ، وتَدَكْدَكَ رُؤوسُهُ الشَّوامِخُ، وذلك أَنَّهُ عَمِيَ وطَرِشَ وبَرِصَ وتَجَذَّمَ، فَنَعوذُ بالله من نِقْمَةٍ لا تُطيقُها الْأَبْدانُ، ومن زَوالِ الْعَافِيَةِ وتَقَلُّبِ الإحْسانِ. ولمَّا أَحَسَّ بالْمَوْتِ، أَوْصَى من يَتَوَلَّاهُ أن يَكْتُبَ على قَبْرِهِ ما مِثالُهُ: هذا قَبْرُ أَوْحَدِ الزَّمانِ أبي الْبَرَكاتِ ذي الْعِبَرِ صاحِبِ **"الْمُعْتَبَرِ"**. فَسُبْحانَ من لا يَغْلِبُهُ غالِبٌ، ولا يَنْجُو من قَضائِهِ مُتَحَيِّلٌ ولا هَارِبٌ. نَسْأَلُ الله تعالى في حَياتِنَا العافِيَةَ، وفي مَماتِنَا حُسْنَ الْعاقِبَةِ، رَبِّ قد أَحْسَنْتَ فيما مَضَى، فَلَكَ أنْ تُحْسِنَ إلينا فِيمَا بَقِيَ. ولم نَتَحَقَّقْ تاريخَ وَفاتِهِ، إلَّا أَنَّهُ كان في أواسِطِ الْمِئَةِ السَّادِسَةِ، واللهُ أَعْلَمُ.

---

(1) البيتان والخبر في إخبار العلماء بأخبار الحكماء: 256-258، ونسبا لعلي بن أفلح العبسي (ت.535هـ)، ونسبا في وفيات الأعيان: 6/ 76 والوافي بالوفيات: 27/ 166 لابن التلميذ هبة الله بن صاعد (ت.560هـ).

ومن كُتُبِ الْمَنْطِقِ:

"**جامِعُ الدَّقائِقِ**"، لِلْكاتِبِيِّ[1]. و"**شَرْحُ الْكَشْفِ**" له أيْضًا. و"**الْكَشْفُ**"، و"**تَنْزِيلُ الْأَفْكارِ**"، و"**حَواشِي مُلَخَّصِ الرَّازِيِّ**[2]"، كُلُّها لِلْكَاتِبِيِّ.

وإنْ أَرَدْتَ بُلوغَ الْغَايَةِ في الْمَنْطِقِ فَعَلَيْكَ بـ "**تَعْديلُ الْمِيزانِ**"، وهُوَ أَحَدُ أقْسامِ "**تَعْديلُ الْعُلومِ**"، لِلْإمامِ الْهُمامِ، والْحَبْرِ القَمْقامِ، فَخْرِ الْعُلَماءِ الْأَعْلامِ، وَنَتيجَةِ أسْلافِهِ الْكِرامِ، وسُلالَةِ أجْدادِهِ الْعِظامِ، الْإمامِ صَدْرِ الشَّريعَةِ، أَكْرَمَهُ اللهُ في الدَّرَجاتِ الرَّفِيعَةِ. وهو رَحِمَهُ اللهُ كَشَفَ في هذا الْكِتابِ عن غَوامِضَ طالَمَا تَحَيَّرَ فيها عُقولُ الْأَقْدَمِينَ، وأبْرَزَ قَواعِدَ لم يَهْتَدِ إليها أَحَدٌ من الْأَوْحَدينَ، ومع هذا فهو لِلْعُلومِ الشَّرْعِيَّةِ أبو عُذْرِهَا، وابْنُ بَجْدَتِها[3]، وَسَتَعْرِفُ تَرْجَمَتَهُ إنْ شاءَ اللهُ تَعالَى الْكَريمُ.

وكُتُبُ الْمَنْطِقِ أَكْثَرُ مِنْ أنْ تُحْصَى، وأَجَلُّ من أنْ تُسْتَقْصَى، لكن من لم يَنْتَفِعْ بما ذُكِرَ لا يَنْتَفِعُ بِخَزائِنَ من الْكُتُبِ. واللهُ الْمُوَفِّقُ لِلرَّشادِ، والْمُعْطِي لِلسَّدادِ.

---

(1) نجم الدّين الكاتبي الْقزوِيني علي بن عمر بن علي، الملقب بدَبِيران (ت.675هـ)، ترجمته في الوافي بالوفيات: 21/ 244.

(2) يقصد: "الملخص في الحكمة والمنطق"، للفخر الرازي، وسمَّى الكاتبي حواشيه: "المنصص في شرح المخصص"، وهو مخطوط.

(3) نجدتها، في قونية ورئيس الكتاب. يُقَالُ: هُوَ ابْنُ بَجْدَتها لِلْعَالِمِ بالشَّيءِ الْمُتْقِنِ لَهُ الْمُمَيِّزِ لَهُ، وَكَذَلِكَ يُقَالُ لِلدَّلِيلِ الْهَادِي. اللسان: بجد.

الشُّعْبَةُ الثَّانِيَةُ: في عُلومٍ تَعْصِمُ عن الْخَطَإِ في الْمُناظَرَةِ والدَّرْسِ

علم آدابِ الدَّرْسِ

وهو الْعِلْمُ الْمُتَعَلِّقُ بِآدابٍ تَتَعَلَّقُ بالتِّلْميذِ مع الْأُسْتاذِ وَعَكْسِهِ.

ومَنْفَعَتُهُ، وغَايَتُهُ، وغَرَضُهُ ظاهِرَةٌ جِدًّا.

وقد ذَكَرْنا في مُقَدِّماتِ هذه الرِّسالَةِ ما فيه غُنْيَةٌ عن الْإِكْثارِ فيه. وقد اسْتُوفِيَ هذا الْبابُ في كِتابِ "تَعْليمُ الْمُتَعَلِّمِ"[1].

عِلْمُ النَّظَرِ

وهو عِلْمٌ يُبْحَثُ فيه عن كَيْفِيَّةِ إيرادِ الْكَلامِ بينَ الْمُناظِرينَ.

وَمَوْضوعُهُ: الْأَدِلَّةُ من حيثُ إنَّها يُثْبِتُ بها الْمُدَّعِي على الْغَيْرِ.

ومَبادِئُهُ: أمُورٌ بَيِّنَةٌ بِنَفْسِهَا.

والْغَرَضُ منه: تَحْصِيلُ مَلَكَةِ طُرُقِ الْمُناظَرَةِ، لئلا يَقَعَ الْخَبْطُ في الْبَحْثِ فَيَتَّضِحَ الصَّوابُ.

ومن الْكُتُبِ الْمُخْتَصَرَةِ فيه غايَةَ الِاخْتِصارِ:

"رِسالَةٌ لمَوْلانا عَضُدِ الدِّينِ" وسَتَعْرِفُهُ. وقد بَيَّنَ قَواعِدَها كُلَّها في مِقْدارِ عَشَرَةِ أَسْطُرٍ.

---

(1) كتاب تعليم المتعلم، لبرهان الدين الزرنوجي.

وشَرَحَها بعضُ الْفُضَلاءِ الْمُعاصِرينَ لنا شَرْحًا حَسَنًا، وهو مَوْلانَا مُحَمَّدُ ابنُ محمَّدٍ الْبَرْدَعِيُّ[1]، وكان ذَكِيًّا في الْغايَةِ.

ماتَ في سَنَةِ سَبْعٍ وعِشْرينَ وتِسعِمئةٍ.

ومن الْكُتُبِ الْمُخْتَصَرَةِ النَّافِعَةِ فيه:

"رِسالَةُ مَوْلانا شَمْسِ الدِّينِ السَّمَرْقَنْدِيِّ"[2]، صاحِبِ "قُسْطاسُ الْمِيزانِ". وهذه الرِّسالَةُ أَشْهَرُ كُتُبِ هذا الْفَنِّ. وعليها شُروحٌ؛ منها: "شَرْحُ عَلاءِ الدِّينِ الْبُهُشْتِيِّ"[3]، و"شَرْحُ قُطْبِ الدِّينِ الْكِيلَانِيِّ"[4]، و"شَرْحُ مَسْعودٍ الرُّومِيِّ"[5]. وغيرُ ذلكَ.

ومِنَ الْكُتُبِ الْمُخْتَصَرَةِ فيه:

"كِتابُ مَوْلانا سِنانِ الدِّينِ الْكَنْجِيِّ"[6]. وكَنْجَةُ[7]: قَرْيَةٌ من قُرَى بَرْذَعَةَ، ولم يَتَّفِقْ له شَرْحٌ إلى الآنَ.

---

(1) مُحَمَّدُ بنُ محمَّدٍ الْبَرْدَعِيُّ (ت.928هـ). ترجمته في الشقائق النعمانية: 240-241، سلم الوصول: 3/ 253، شذرات الذهب: 10/ 215، هدية العارفين: 229.

(2) رسالة في آداب البحث، لشمس الدين محمد بن أشرف السمرقندي (ت.بعد 690هـ)، ترجمته في: سلم الوصول: 3/ 108، هدية العارفين: 2/ 106. والرسالة مطبوعة.

(3) محمد بن أحمد البهشتي، الأسفراييني، أبو العلاء، علاء الدين، المعروف بفخر خراسان، (ت.749هـ)، ترجمته في: كشف الظنون: 1/ 41، سلم الوصول: 4/ 274، هدية العارفين: 2/ 156.

(4) قطب الدين محمد الكيلاني (ت. بعد 891هـ). كشف الظنون: 1/ 40.

(5) مسعود بن حسين الشّرْواني (ت.905هـ) كشف الظنون: 1/ 39، هدية العارفين: 2/ 337.

(6): هو: "آداب سنان الدين الكنجي (ت.922هـ)".

(7) كَنْجَةُ: بالفتح ثم السكون، وجيم: مدينة عظيمة وهي قصبة بلاد أرّان، وأهل الأدب يسمونها جنزة، بالجيم والنون والزاي. معجم البلدان: 4/ 482.

عِلْمُ الْجَدَلِ

وهو عِلْمٌ باحِثٌ عن الطُّرُقِ التي يُقْتَدَرُ بها على إبْرامِ أيِّ وَضْعٍ أُريدَ، وعلى هَدْمِ أي وَضْعٍ كانَ. وهذا من فُروعِ عِلْمِ النَّظَرِ، ومَبْنَى لِعِلْمِ الْخِلافِ. وهذا مَأْخُوذٌ من الْجَدَلِ، الَّذِي هو أَحَدُ أَجْزاءِ مَباحِثِ الْمَنْطِقِ، لَكِنَّهُ خُصَّ بِالْعُلومِ الدِّينِيَّةِ.

وَمَبادِئُهُ: بعضُها مُبَيَّنَةٌ[1] في عِلْمِ النَّظَرِ، وبعضُها خَطابِيَّةٌ، وبعضُها أُمورٌ عادِيَّةٌ، وله اسْتِمْدادٌ من عِلْمِ الْمُناظَرَةِ.

وَمَوْضوعُهُ: تلك الطُّرُقُ.

والْغَرَضُ منه: تَحْصِيلُ مَلَكَةِ الْهَدْمِ والْإِبْرامِ.

وَفائِدَتُهُ: كَثيرَةٌ في الْأَحْكامِ الْعِلْمِيَّةِ والْعَمَلِيَّةِ من جِهَةِ الْإِلْزامِ على الْمُخالِفِينَ، وَدَفْعِ شُكوكِهِمْ[2].

وِلِلنَّاسِ فيه طُرُقٌ، أَحْسَنُها طَريقُ رُكْنِ الدِّينِ الْعَميدِيِّ[3].

ومن الْكُتُبِ الْمُخْتَصَرَةِ فيه:

"**الْمُغْني**"، لِلْأَبْهَرِيِّ، و"**الْفُصولُ**"، لِلنَّسَفِيِّ، و"**الْخُلاصَةُ**"، لِلْمَراغِيِّ، و"**مُقَدِّمَةُ النَّسَفِيِّ**"[4]، وعليها شُروحٌ أَحْسَنُها "**شَرْحُ السَّمَرْقَنْدِيِّ**"[5].

---

(1) مبنية، في رئيس الكتاب وعاطف أفندي.

(2) ينظر رسالة في العلوم الشرعية والعربية: 56.

(3) محمد بن محمد بن محمد أبو حامد ركن الدين العميدي (ت.615هـ)، ترجمته في: وفيات الأعيان: 4/ 257، العبر للذهبي: 5/ 57، الوافي بالوفيات: 1/ 280، تاج التراجم: 58.

(4) "المقدمة البرهانية"، وهي مطبوعة.

(5) "شرح المقدمة البرهانية"، لمحمد بن أشرف الحسيني السمرقندي (ت.705هـ).

ومن الْمُتَوَسِّطَةِ:

"النَّفائِسُ"، لِلعَمِيدِيِّ، و"الرَّسائِلُ"، لِلْأُرْمَوِيِّ، و"تَهْذِيبُ النُّكَتِ"، لِلأَبْهَرِيِّ. وفي هذا الْعِلْمِ مُصَنَّفاتٌ كَثِيرَةٌ، لَكِنَّهُ لم يَشْتَهِرْ في بِلادِنَا غَيْرُ ما ذَكَرْنا[1].

واعْلَمْ أنَّ أوَّلَ من صَنَّفَ الْجَدَلَ الْحَسَنَ من الْفُقَهاءِ أبو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بنُ عَلِيِّ بنِ إسْماعِيلَ الْقَفَّالُ الشَّاشِيُّ الشَّافِعِيُّ، إمامُ عَصْرِهِ بلا مُدافَعَةٍ. كان فَقيهًا مُحَدِّثًا، أُصولِيًّا لُغَوِيًّا شاعِرًا، لم يَكُنْ بما وَراءَ النَّهْرِ لِلشَّافِعِيِّينَ مِثْلُهُ في وَقْتِهِ. رَحَلَ إلى خُراسانَ، والْعِراقِ، والْحِجازِ، والشَّامِ، والثُّغورِ، وسارَ ذِكْرُهُ في الْبِلادِ. وَأَخَذَ الْفِقْهَ عن ابْنِ سُرَيْجٍ[2].

وله مُصَنَّفاتٌ كَثيرَةٌ في الْجَدَلِ وَأُصولِ الْفِقْهِ، وعنه انْتَشَرَ مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ في بِلادِهِ. رَوَى عن مُحَمَّدِ بْنِ جَريرٍ الطَّبَرِيِّ وَأَقْرانِهِ، وَرَوَى عنه الْحاكِمُ، وأبو عَبْدِ الله ابْنُ مَنْدَهْ، وأبو عَبْدِ الرَّحْمنِ السُّلَمِيُّ، وجَماعَةٌ كَثيرَةٌ.

تُوُفِّيَ سَنَةَ سِتٍّ وثَلاثينَ وثلاثِمِئَةٍ؛ وقيل: تُوُفِّيَ بالشَّاشِ في ذي الْحِجَّةِ سنَةَ خَمْسٍ وسِتِّينَ وَثَلاثِمِئَةٍ - وكانَتْ وِلادَتُهُ سَنَةَ إحْدَى وَتِسْعينَ ومِئَتَيْنِ - وَقيلَ: سَنَةَ سِتٍّ وسِتِّينَ وَثَلاثِمِئَةٍ. وَشَاشُ مَدينَةٌ وَراءَ نَهرِ سَيْحونَ في أَرْضِ التُّرْكِ[3].

---

(1) ذكرناه، في رئيس الكتاب.

(2) أبو العباس أحمد بن عمر بن سُرَيْج القاضي الفقيه الشافعي، اشتهر بالخلاف والذب عن المذهب الشافعي حتى لقب بالباز الأشهب، (ت.306هـ)، ينظر: طبقات الشافعية الكبرى: 3/ 21، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة: 2/ 89.

(3) ينظر وفيات الأعيان: 4/ 200.

قالَ بَعْضُ الْعُلَماءِ: إيَّاكَ أن تَشْتَغِلَ بهذا الْجَدَلِ[1] الَّذِي ظَهَرَ بعد انْقِراضِ الْأَكابِرِ من الْعُلَماءِ، فإنَّهُ يُبْعِدُ عن الْفِقْهِ، ويُضَيِّعُ الْعُمُرَ، ويُورِثُ الْوَحْشَةَ والْعَداوَةَ، وهو من أَشْراطِ السَّاعَةِ، وارْتِفاعِ الْعِلْمِ والْفِقْهِ. كذا وَرَدَ في الْحَديثِ حَسْبَما ذُكِرَ في "تَعْليمُ الْمُتَعَلِّمِ".

وللهِ دَرُّ الْقَائِلِ: [الوافر]

أَرَى فُقَهاءَ هذا الْعَصْرِ طُرًّا أضَاعُوا الْعِلْمَ واشْتَغَلُوا بِلِمْ لَمْ[2]
إذا نَاظَرْتَهُمْ لم تَلْقَ مِنْهُمْ سِوَى حَرْفَيْنِ لِمْ لَمْ لَا نُسَلِّمْ

قُلْتُ: والإنْصافُ أنَّ الْجَدَلَ لِإظْهارِ الصَّوابِ على مُقْتَضَى قَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[3]، لا بأْسَ به، ورُبَّما يُنْتَفَعُ به في تَشْحيذِ الْأَذْهانِ، وتَصْقيلِ الْخَواطِرِ. والَّذِي مَنَعَ عنه الْعُلَماءُ هو الْجَدَلُ الذي يُضَيِّعُ الْأَوْقاتَ، ولا يَحْصُلُ منه طائِلٌ، وكَثيرًا ما لا يَخْلو عن التَّحاسُدِ والتَّنافُسِ الْمَذْمومَيْنِ في الشَّرْعِ. فَعَلَيْكَ الِاحْتِياطُ لئلَّا تَقَعَ في الْمَهالِكِ من حَيْثُ لا تَشْعُرُ.

علم الْخِلافِ

وهو عِلْمٌ باحِثٌ عن وُجوهِ الِاسْتِنْباطاتِ الْمُخْتَلِفَةِ، من الْأَدِلَّةِ الْإجْمالِيَّةِ أو التَّفْصيلِيَّةِ، الذاهِبُ إلى كُلٍّ منها طائِفَةٌ من الْعُلَماءِ، أفْضَلُهُمْ وأَمْثَلُهُمْ: أبو

---

(1) الجدال، في رئيس الكتاب وأنطاليا ومراد ملا.

(2) البيتان والخبر في تنبيه الرجل العاقل على تمويه الجدل الباطل: 43.

(3) سورة النحل، الآية: 125.

حَنيفَةَ النُّعْمانُ بنُ ثابِتٍ الْكُوفِيُّ، ومِنْ أَصْحابِهِ: أبو يوسُفَ، ومُحَمَّدٌ، وَزُفَرُ، والْإِمامُ الشَّافِعِيُّ، والإمامُ مالِكٌ، والْإِمامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، رَضِيَ الله عنهم؛ ثُمَّ الْبَحْثُ عنها بِحَسَبِ الْإبْرامِ والنَّقْضِ لأيِّ وضْعٍ أُريدَ في تلك الْوُجوهِ.

ومَبادِئُهُ: مُسْتَنْبَطَةٌ من عِلْمِ الْجَدَلِ، فَالْجَدَلُ بِمَنْزِلَةِ الْمادَّةِ، والْخِلافُ بِمَنْزِلَةِ الصُّورَةِ، وله اسْتِمْدادٌ من الْعُلومِ الْعَرَبِيَّةِ والشَّرْعِيَّةِ.

وَغَرَضُهُ: تَحْصِيلُ مَلَكَةِ الْإبْرامِ والنَّقْضِ.

وفائِدَتُهُ: دَفْعُ الشُّكوكِ عن الْمَذْهَبِ، وإيقاعُها في الْمَذْهَبِ الْمُخالِفِ.

وقَدْ أَوْرَدَ عِلْمَ الْخِلافِ والْجَدَلِ الْإِمامُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ في كِتابِ "الْمَعالِمُ"[1]، وقد جَمَعَ بعضُ الْعُلَماءِ في عِلْمِ الْخِلافِ الْمَسائِلَ الْعِشْرينَ، وبَعْضُها الْأَرْبَعينَ، وَغَيْرَ ذلكَ من الرَّسائِلِ والتَّعْليقاتِ، لكنْ قد ضاعَ كُتُبُهُ، وانْطَمَسَتْ[2] آثارُهُ، وَبطَلَ مَعالِمُهُ في زَمانِنا هذا، حتى إنَّ طَلَبَةَ زَمانِنا، لا يَتَفَطَّنونَ الْفَرْقَ بين الْخِلافِ والْجَدَلِ والْمُناظَرَةِ، فَضْلًا عن مَعْرِفَةِ شيءٍ من كُتُبِهَا، فَضْلًا عن اطِّلاعِ بَعْضِ مَسَائِلِها. وإلى اللهِ الْمُشْتَكى من زَمانٍ صارَ الْكَلامُ فيه كَلامًا بلا أَثَرٍ، والْخِلافُ خِلافًا بلا ثَمَرٍ، والْأُصولُ فُضولًا، والْمَعْقولُ مَغْفُولًا.

اعْلَمْ أنَّ أَوَّلَ مَنْ أَخْرَجَ عِلْمَ الْخِلافِ في الدُّنْيا أبو زَيْدٍ الدَّبُوسِيُّ، بِتَخْفيفِ الباءِ الْمُوَحَّدَةِ، الْحَنَفِيُّ، وهو عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ بن عِيسَى.

---

(1) للفخر الرازي ثلاث كتب بهذا العنوان: "المعالم في أصول الفقه"، و"المعالم في أصول الدين"، و"المعالم في علم الكلام"، وهو يقصد الأول.

(2) وانطمس، في قونية ورئيس الكتاب وأنطاليا.

له: كِتابُ "**الْأَسْرارُ**"، وكِتابُ "**تَقْوِيمُ الأَدِلَّةِ**"، كِلاهُما من أُصولِ الْفِقْهِ.

قال الذَّهَبِيُّ: كانَ ممن يُضْرَبُ به الْمَثَلُ في النَّظَرِ واسْتِخْراجِ الْحُجَجِ. وله: **كِتابُ "الأَمَدُ الأَقْصَى"**[1] أيضًا.

ودَبُوسَةُ[2]: قَرْيَةٌ بَيْنَ بُخارَى وَسَمَرْقَنْدَ.

تُوُفِّيَ بِبُخارَى سنةَ ثَلاثينَ وأَرْبَعِمِئَةٍ، وقيل: يومَ الْخَميسِ مُنْتَصَفَ جمادى الآخِرَةِ، سنة اثنتينِ وثلاثينَ، وهو ابْنُ ثَلاثٍ وسِتِّينَ.

ناظَرَ مَرَّةً رَجُلًا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَتَبَسَّمُ وَيَضْحَكُ، فَأَنْشَدَ أبو زَيْدٍ لِنَفْسِهِ: [السريع]

مَا لِي إذا أَلْزَمْتُهُ حُجَّةً قَابَلَنِي بالضَّحْكِ والْقَهْقَهَهْ[3]
إنْ كانَ ضَحْكُ الْمَرْءِ من فِقْهِهِ فَالدُّبُّ في الصَّحْراءِ ما أفْقَهَهْ

قُلْتُ: وَيُرْوَى: بالضَّحْكِ والتَّبْسِمَهْ
فَالدُّبُّ في الصَّحْراءِ ما أَفْهَمَهْ

واعْلَمْ أَنَّهُ يُمْكِنُ جَعْلُ عِلْمِ الْجَدَلِ والْخِلافِ من فُروعِ عِلْمِ أُصولِ الْفِقْهِ، وَسَتَعْرِفُهُ إنْ شاءَ اللهُ تعالى الْكَريمُ. وهو حَسْبِي ونِعْمَ الْوَكيلُ، والْهادِي إلى سواءِ السَّبيلِ.

---

(1) تاريخ الإسلام: 9/ 476.

(2) كذا في وفيات الأعيان: 3/ 48 وفي الأنساب: 2/ 81 ومعجم البلدان: 2/ 438: دَبُوسِيَّةُ: وهي بلد من أعمال الصّغد مما وراء النهر.

(3) نسب له البيتان برواية واحدة في وفيات الأعيان: 3/ 48، وبالروايتين معا في تاج التراجم: 192.

الدَّوْحَةُ الرَّابِعَةُ: في الْعِلْمِ الْمُتَعَلِّقِ بالأَعْيانِ

وهذا قِسمانِ:

ما يُبْحَثُ فيه بِمُجَرَّدِ الرَّأْيِ ومُقْتَضَى الْعَقْلِ فَقَطْ، وهو الْعُلومُ الْحِكْمِيَّةُ الباحِثَةُ عن أحْوالِ الْمَوْجودَاتِ الْخارِجِيَّةِ، بِحَسَبِ الطَّاقَةِ الْبَشَرِيَّةِ.

وما يُبْحَثُ فيه على[1] قَواعِدِ الشَّرْعِ، وعلى تَسْليمِ الْمُدَّعِي، وأَخْذِهِ من الشَّرْعِ، وهو عِلْمُ أُصولِ الدِّينِ، وعلى هذا التَّقْسيمِ حالُ الْحِكْمَةِ الْعَمَلِيَّةِ.

ولَمَّا تَقَدَّمَ عِلْمُ الْحِكْمَةِ على عِلْمِ الْكَلَامِ بِحَسَبِ التَّدْوِينِ، وكان عِلْمُ الْكَلامِ مُناسِبًا لِلطَّرَفِ الثَّانِي من الرِّسالَةِ، قَدَّمْنَا الْعُلومَ الْحِكْمِيَّةَ على ذلك. فَفِيهَا مُقَدِّمَةٌ، وعِدَّةُ شُعَبٍ.

الْمُقَدِّمَةُ:

اعْلَمْ أنَّ الْعُلومَ الْحِكْمِيَّةَ النَّظَرِيَّةَ، إمَّا أنْ يُبْحَثَ فيه عن مَوْجودٍ مُنَزَّهٍ عن الْمَادَّةِ في الْخارِجِ وعند الْبَحْثِ؛ أو يُبْحَثَ عن مَوْجودٍ مُقارِنٍ لِلْمادَّةِ خارِجًا دون الْبَحْثِ؛ أو يُبْحَثَ عن مَوْجودٍ مُقارِنٍ لها، خارِجًا أيْضًا.

والْقِسْمُ الأَوَّلُ: يُسَمَّى **بالْعِلْمِ الإِلَهِيِّ**، لِبَحْثِهِ عن الإِلَهياتِ، **وبِالْعِلْمِ الأَعْلَى**، لِعُلُوِّ مَوْضوعِهِ بِسَبَبِ تَجَرُّدِهِ عن الْمادَّةِ؛ وَيُسَمَّى: **بِعِلْمِ ما بَعْدَ الطَّبيعَةِ أيْضًا**، لِقِراءَتِهِمْ إيَّاهَا بَعْدَ الْعِلْمِ الطَّبيعِيِّ.

---

(1) عن، في قونية.

والْقِسْمُ الثَّانِي: يُسَمَّى **بِالرِّياضِيِّ**، لِرِياضَةِ النُّفوسِ بها أوَّلًا، إذ الْأوَائِلُ كانوا يَبْتَدِئونَ في التَّعْليمِ بها لِكَوْنِ دَلائِلِهَا يَقِينِيَّةً، ولِتَعْتادَ النُّفوسُ بِالْيَقِينِيَّاتِ بادِئَ بَدْءٍ، حتى كانوا يُقَدِّمونَهَا على الْمَنْطِقِ أيضًا؛ ويُسَمَّى **بِالْعِلْمِ الْأَوْسَطِ** أيضًا، لِعَدَمِ تَجَرُّدِهِ عن الْمادَّةِ بِالْكُلِّيَّةِ، ولِعَدَمِ مُقارَنَتِهِ إيَّاهَا بالْكُلِّيَّةِ.

والْقِسْمُ الثَّالِثُ: يُسَمَّى **بِالْعِلْمِ الطَّبِيعِيِّ**، لِبَحْثِهِ عن طَبَائِعِ الْأَجْسامِ[1]، **وبِالْعِلْمِ الْأَدْنَى**، لِمُقارَنَتِهِ بالْمَادَّةِ بِالْكُلِّيَّةِ.

فهذِهِ هي الْأُصولُ الثَّلاثَةُ لِلْعُلومِ الْحِكْمِيَّةِ، وَلْنَذْكُرْ كُلًّا منها في شُعْبَةٍ، ولِكُلٍّ منها فُرُوعٌ لا تُحْصَى، ولْنَذْكُرْ فُروعَ كلٍّ منها عَقِيبَهُ في شُعْبَةٍ أُخْرَى، فَتَصِيرُ الشُّعَبُ سِتًّا، وَلْنُقَدِّمِ الْعِلْمَ الْإِلَهِيَّ على الْباقِيَيْنِ لِشَرَفِهِ. ثُمَّ لِنَذْكُرِ الْأَوْسَطَ ثُمَّ الْأَدْنَى.

---

(1) هذا التقسيم لابن سينا في رسالته في العلوم العقلية، لكن النقل من رسالة البيضاوي في موضوعات العلوم: 98.

الشُّعْبَةُ الأولَى: في الْعِلْمِ الْإِلَهِيِّ

العِلْمُ الإِلَهِيُّ

عِلْمٌ يُبْحَثُ فيهِ عنِ المَوجُودَاتِ مِن حيثُ هي مَوجُوداتٌ.

وَمَوْضوعُهُ: الْمَوْجودُ من حيثُ هو.

وَغايَتُهُ: تَحْصيلُ الْاعْتِقادَاتِ الْحَقَّةِ، والتَّصَوُّراتِ الْمُطابِقَةِ لِتَحْصيلِ السَّعادَةِ الْأَبَدِيَّةِ، والسِّيادَةِ السَّرْمَدِيَّةِ.

وهذا الْعِلْمُ هو الْمَقْصَدُ الْأَقْصَى، والْمَطْلَبُ الْأَعْلَى، لَكِنْ لِمَنْ وَقَفَ على حَقائِقِهِ، واسْتَقامَ في الاطِّلاعِ على دَقائِقِهِ، لِأَنَّ من حَظِيَ بها فقد فازَ فَوْزًا عَظيمًا، وَنالَ مُلْكًا كَريمًا، ومن زَلَّتْ فيه قَدَمُهُ، أو طَغَى به قَلَمُهُ، فقد ضَلَّ ضَلَالًا بَعيدًا، وَخَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا، إِذِ الْباطِلُ يُشاكِلُ الْحَقَّ في مَأْخَذِهِ، والْوَهْمُ يُعارِضُ الْعَقْلَ في دَلائِلِهِ. جَلَّ جَنابُ الْحَقِّ عن أنْ يَكونَ شَريعَةً لِكُلِّ وارِدٍ، أو يَطَّلِعَ على سَرائِرِ قُدْسِهِ إِلَّا واحِدٌ بعد واحِدٍ. وقَلَّمَا يُوجَدُ إنْسانٌ يَصْفُو عَقْلُهُ عن كَدَرِ الْأَوْهامِ، وَيَخْلُصُ فَهْمُهُ عن مَهاوِي الْإِبْهامِ.

وقد سَلَفَ في مُقَدِّمَةِ الْكِتابِ ما يَتَعَلَّقُ بهذا الْبابِ.

وقد عَرَفْتَ فيما سَبَقَ من الْمُقَدِّماتِ أنَّ طَريقَ الْكَسْبِ إمَّا طَريقُ النَّظَرِ، أو طَرِيقُ التَّصْفِيَةِ، وقد نَبَّهْناكَ على أنَّا نَذْكُرُ طَريقَ التَّصْفِيَةِ في الطَّرَفِ الثَّانِي من الرِّسالَةِ. ولْنَذْكُرْ هاهنا طَريقَ النَّظَرِ فَقَطْ، إلَّا أنَّ من النَّظَرِ رُتْبَةً تُتاخِمُ

طَريقَ التَّصْفِيَةِ، ويَقْرُبُ حَدُّهَا من حَدِّهَا، وهو طَريقُ الذَّوْقِ، وَيُسَمُّونَهُ[1] الْحِكْمَةَ الذَّوْقِيَّةَ.

ومِمَّنْ وَصَلَ إلى هذه الرُّتْبَةِ في السَّلَفِ: السُّهْرَوَرْدِيُّ، وكِتَابُ "حِكْمَةُ الْإِشْراقِ" له صادِرٌ عن هذا الْمَقامِ، بِرَمْزٍ أَخْفَى مِنْ سِرِّ صَدْرٍ كَاتِمٍ. وفي الْمُتَأَخِّرينَ الْعَالِمُ الْعَامِلُ، والْفاضِلُ الْكامِلُ، مَوْلانا شَمْسُ الدِّينِ الْفَنَارِيُّ، في بِلادِ الرُّومِ، ومَوْلانا جَلالُ الدِّينِ الدَّوَّانِيُّ[2]، في بِلادِ الْعَجَمِ. وهما فائِزانِ لِكِلْتا الرِّئاسَتَيْنِ، وحائِزانِ لِتَيْنَكِ الدَّوْلَتَيْنِ. وَرَئيسُ هؤلاء الشَّيْخُ صَدْرُ الدِّينِ الْقُونَوِيُّ قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ الْعَزيزَ، والْعَلَّامَةُ قُطْبُ الدِّينِ الشِّيرازِيُّ رَحِمَهُ اللهُ.

واعْلَمْ أَنَّ مَنْبَعَ الْعُلومِ الْحِكْمِيَّةِ[3] النَّظَرِيَّةِ، وأَسْتاذَ الْكُلِّ فيها إدْرِيسُ النَّبِيُّ، عليه السَّلامُ، آتاهُ الله النُّبُوءَةَ والْحِكْمَةَ، وأَنْزَلَ عليه ثَلاثِينَ صَحِيفَةً، وعِلْمَ النُّجومِ، وأَفْهَمَهُ عَدَدَ السِّنينَ والْحِسابَ، وعَلَّمَهُ اللهُ تَعَالَى الْأَلْسِنَةَ، حتى تَكَلَّمَ النَّاسُ في زَمَنِهِ اثْنَيْنِ وسَبْعِينَ لِسانًا.

وُلِدَ بِمِصْرَ وسَمَّوْهُ بِهِرْمِسِ الْهَرَامِسَةِ، وَبِالْيُونَانِيَّةِ أَرْميسَ: يَعْنِي عُطَارِدَ، وعُرِّبَ بِهِرْمِسَ؛ واسْمُهُ الْأَصْلُ: هَنوخُ[4]، وعُرِّبَ أَخْنوخَ. وسَمَّاهُ اللهُ تعالى

---

(1) ويسمونها، في رئيس الكتاب.

(2) محمد بن أسعد جلال الدين الدواني الصديقي، قاض، باحث، يُعد من الفلاسفة. له عدة مصنفات، (ت.918هـ). ترجمته في: شذرات الذهب: 8/ 160، البدر الطالع: 2/ 129، هدية العارفين: 2/ 224.

(3) الحكمة، في رئيس الكتاب.

(4) حنوخ، في مراد ملا.

في كِتابِهِ الْعَرَبِيِّ الْمُبِينِ إدْرِيسَ لِكَثْرَةِ دِراسَتِهِ كِتابَ اللهِ تَعالَى. وقيلَ: إنَّ مُعَلِّمَهُ غُوثاذِيمُونُ أَوْ أَغْثَاذِيمونُ الْمِصْرِيُّ، وَتَفْسِيرُهُ: السَّعِيدُ الْجَدِّ. قيلَ: وهو شِيثُ عليه السَّلامُ.

ثمَّ إنَّ إدْرِيسَ عليه السَّلامُ عَرَّفَ النَّاسَ صِفَةَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ، بِأَنَّهُ يَكونُ بَرِيئًا من الْمَذَمَّاتِ والْآفَاتِ كُلِّهَا، كامِلًا في الْفَضائِلِ الْمَمْدوحَاتِ، لا يُقَصِّرُ عمَّا يُسْأَلُ عنه، ممَّا في الْأَرْضِ وَالسَّماءِ، ومِمَّا فيه دَواءٌ وشِفاءٌ، وأَنَّهُ يَكونُ مُسْتَجابَ الدَّعْوَةِ في كلِّ ما يَطْلُبُهُ، وَيَكونُ مَذْهَبُهُ وَدِينُهُ ما يَصْلُحُ به الْعالَمُ. وَكانَتْ قِبْلَةُ إدْرِيسَ عليه السَّلامُ جِهَةَ الْجَنوبِ على خَطِّ نِصْفِ النَّهارِ.

وكانَ رَجُلًا تامَّ الْخِلْقَةِ، حَسَنَ الْوَجْهِ، أَجْلَحَ[1]، كَثَّ اللِّحْيَةِ، مَليحَ الشَّمائِلِ والتَّخاطِيطِ، تامَّ الْباعِ، عَرِيضَ الْمَنْكِبَيْنِ، ضَخْمَ الْعِظامِ، قَليلَ اللَّحْمِ، بَرَّاقَ الْعَيْنِ أَكْحَلَهَا، مُتَأَنِّيًا في كَلامِهِ، كَثيرَ الصَّمْتِ، ساكِنَ الْأَعْضاءِ، كَثيرَ الْفِكْرِ، به عَبْسَةٌ، أَكْثَرُ نَظَرِهِ إلى الْأَرْضِ، وإذا اغْتاظَ احْتَدَّ، يُحَرِّكُ سَبَّابَتَهُ إذا تَكَلَّمَ. وَكانَتْ مُدَّةُ مُقامِهِ في الْأَرْضِ اثْنَيْنِ وثَمانِينَ سَنَةً، ثَم رَفَعَهُ اللهُ مَكانًا عَلِيًّا[2].

وهو أَوَّلُ مَنْ خاطَ الثِّيابَ، وحَكَمَ بِالنُّجومِ، وأَنْذَرَ بِالطُّوفانِ، وَأَوَّلُ من بَنَى الْهَياكِلَ ومَجَّدَ اللهَ فيها، وَأَوَّلُ من نَظَرَ في الطِّبِّ، وَأَوَّلُ من أَلَّفَ الْقَصائِدَ

---

(1) جَلِحَ: الجَلَحُ: ذهابُ الشَّعْرِ مِنْ مُقَدَّم الرأس. اللسان: جلح.

(2) وظف المصنف الآية 57 من سورة مريم في سياق كلامه.

والْأشْعارَ، وهو بَانِي أَهْرامِ مِصْرَ، وصَوَّرَ فيها جَميعَ الْعُلومِ والصِّناعاتِ وآلاتِهَا، خَشْيَةَ أنْ يَذْهَبَ رَسْمُهُا بالطُّوفانِ(1).

وَاعْلَمْ أيْضًا أنَّ مِنْ أسَاتِذَةِ الْحِكْمَةِ أفْلاطونَ؛ أَحَدُ الْأَساطِينِ الْخَمْسَةِ لِلْحِكْمَةِ من يونانَ، كَبِيرُ الْقَدْرِ، مَقْبولُ الْقَوْلِ، بَلِيغٌ في مَقاصِدِهِ.

أَخَذَ عن فِيثاغُورْسَ، وَشارَكَ مع سُقْراطَ في الْأَخْذِ عنه. وَكانَ أَفْلاطونُ شَريفَ النَّسَبِ بينهم، كان من بَيْتِ عِلْمٍ. وصَنَّفَ في الْحِكْمَةِ كُتُبًا كَثيرَةً، لكنِ اخْتارَ فيها الرَّمْزَ والْإِغْلاقَ. وكانَ يُعَلِّمُ تَلامِيذَهُ وهو مَاشٍ، ولهذا سُمُّوا الْمَشَّائِينَ، وفَوَّضَ الدَّرْسَ في آخِرِ عُمُرِهِ إلى أَرْشَدِ أَصْحابِهِ، وانْقَطَعَ هو إلى الْعِبادَةِ، وعاشَ ثَمانِينَ سَنَةً.

وَوُلِدَ في مَدِينَةِ أَثِينَا، وَلازَمَ سُقْرَاطَ خَمْسينَ سَنَةً، وكانَ عُمُرُهُ إذْ ذاكَ عِشْرينَ سَنَةً. ثُمَّ عادَ إلى بَلَدِهِ أَثِينَا، وَلازَمَ مَدْرَسَتَهُ، وَارْتَزَقَ من بَقْلِ الْبَساتِينِ، وتَزَوَّجَ امْرَأَتَيْنِ. وكانَتْ نَفْسُهُ في التَّعْليمِ مُبارَكَةً، تَخرَّجَ به عُلَماءٌ اشْتَهَرُوا من بَعْدِهِ. وله تَصانِيفُ كَثيرَةٌ في أَقْسامِ الْحِكْمَةِ(2).

ومن جُمْلَةِ أَساتِذَةِ الْحِكْمَةِ:

أَرِسْطوطَالِيسُ، تِلْميذُ أفْلاطونَ، وَلازَمَ خِدْمَتَهُ مُدَّةَ عِشْرينَ سَنَةً. وكانَ أَفْلاطُونُ يُؤْثِرُهُ على غَيْرِهِ، ويُسَمِّيهِ الْعَقْلَ. وهو خَاتِمَةُ حُكَمائِهِمْ، وَسَيِّدُ

(1) إخبار العلماء بأخبار الحكماء: 11-12.

(2) المصدر نفسه: 25.

عُلَمَائِهِمْ، وَأَوَّلُ من اسْتَخْرَجَ الْمَنْطِقَ. وله كُتُبٌ شَرِيفَةٌ في الْفَلْسَفَةِ. وَكانَ مُعَلِّمَ الإِسْكَنْدَرِ بْنِ فِيلِقْسَ، وَبِآدابِهِ وسِياسَتِهِ عَمِلَ هو، فَظَهَرَ الْخَيْرُ، وَفاضَ الْعَدْلُ، وبه انْقَمَعَ الشِّرْكُ في بلادِ الْيونانِيِّينَ.

وأَرِسْطوطالِيسُ مَعْناهُ: مُحِبُّ الْحِكْمَةِ، أو الْفاضِلُ الْكامِلُ. عاشَ سَبْعًا وسِتِّينَ سَنَةً. ومُصَنَّفاتُهُ تُنَيِّفُ على ثَمانِينَ.

وكانَ أَبْيَضَ، أَجْلَحَ، حَسَنَ الْقَامَةِ، عَظيمَ الْعِظامِ، صَغِيرَ الْعَيْنَيْنِ والْفَمِ، عَرِيضَ الصَّدْرِ، كَثَّ اللِّحْيَةِ، أَشْهَلَ الْعَيْنَيْنِ، أَقْنَى الأَنْفِ، يُسْرِعُ في مَشْيِهِ إذا خَلَا، وَيُبْطِئُ إذا كان مع أَصْحَابِهِ، ناظِرًا في الْكُتُبِ دائِمًا، وَيَقِفُ عند كُلِّ كَلِمَةٍ، ويُطِيلُ الإِطْراقَ عند السُّؤالِ، قَليلَ الْجَوابِ، يَنْتَقِلُ في أَوْقاتِ النَّهارِ في الْفَيافِي ونَحْوَ الأَنْهارِ، مُحِبًّا لِاسْتِماعِ الأَلْحانِ، والِاجْتِماعِ بأَهْلِ الرِّياضاتِ وأَصْحابِ الْجَدَلِ، مُنْصِفًا في نَفْسِهِ إذا خُصِمَ[1]، وَيَعْتَرِفُ بِمَوْضِعِ الإِصابَةِ والْخَطَإِ، مُعْتَدِلًا في الْمَلابِسِ والْمَآكِلِ والْمَشارِبِ والْمَناكِحِ، بِيَدِهِ آلَةُ النُّجومِ والسَّاعاتِ.

وَماتَ وله ثَمانٌ وسِتُّونَ سَنَةً[2].

ثُمَّ إِنَّهُ تَخَلَّى عن خِدْمَةِ الْمُلوكِ، وَبَنَى مَوْضِعَ التَّعْلِيمِ، وَأَقْبَلَ على الْعِنايَةِ بِمَصالِحِ النَّاسِ، وَرَفْدِ الْفُضَلاءِ، وتَزْوِيجِ الأَيامَى، وإِرْشادِ الْمُلْتَمِسِينَ

(1) خَصَمَهُ يخْصِمُهُ خَصْمًا: غلبه بالحجة. اللسان: خصم.

(2) إخبار العلماء بأخبار الحكماء: 90-91.

لِلْعِلْمِ والْأَدَبِ. وكان جَليلَ الْقَدْرِ في النَّاسِ، وكانت له من الْمُلوكِ كَراماتٌ عَظيمَةٌ، ومَنْزِلَةٌ رَفيعَةٌ. وكان كَثيرَ التَّلاميذِ من الْمُلوكِ وأبْنائِهِمْ وغَيْرِهِمْ. وكان أهْلُ مَدينَةِ أسْطَا إذا أشْكَلَ عليهم أمْرٌ يَجْتَمِعونَ إلى قَبْرِهِ حتى يُفْتَحَ لهم، ويَزْعُمونَ أنَّ قَبْرَهُ يُصَحِّحُ فِكْرَهُمْ، وَيُزَكِّي عُقُولَهُمْ. واسْتِيفاءُ أخْبارِهِ لا يُمْكِنُ إلا في مُجَلَّدٍ.

ومن جُمْلَةِ أساتِذَةِ الْحِكْمَةِ:

الْفارَابِيُّ، وهو أبو نَصْرٍ مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدِ بْنِ طَرْخانَ الْفارَابِيُّ التُّرْكِيُّ الْحَكِيمُ الْمَشْهورُ، صاحِبُ التَّصانِيفِ في الْمَنْطِقِ والْحِكْمَةِ، وغيرِهَا من الْعُلومِ. وهو أَكْبَرُ فَلاسِفَةِ الْإِسْلامِيِّينَ، لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ مَنْ بَلَغَ رُتْبَتَهُ في فُنونِهِ. وتَخَرَّجَ ابْنُ سِينَا بِكُتُبِهِ، وَبِعُلومِهِ انْتَفَعَ في تَصانِيفِهِ.

وكان رَجُلًا تُرْكِيًّا، تَنَقَّلَتْ به الْأَسْفارُ إلى أن وَصَلَ بَغْدادَ. وهو يَعْرِفُ كَثيرًا من اللُّغاتِ غَيْرَ الْعَرَبِيِّ، ثم تَعَلَّمَهُ وأَتْقَنَهُ. ثم اشْتَغَلَ بالْحِكْمَةِ، فَقَرَأَ على أَبِي بِشْرٍ مَتَّى بنِ يُونُسَ الْحَكيمِ، من شَرْحِ كِتابِ أرِسْطُو في الْمَنْطِقِ، سَبْعينَ سِفْرًا.

وكانَ هو شَيْخًا كَبيرًا، له صِيتٌ عَظيمٌ، يَجْتَمِعونَ في حَلْقَتِهِ كُلَّ يَوْمٍ الْمِئونَ من الْمَنْطِقِيِّينَ. ثم أَخَذَ طَرَفًا من الْمَنْطِقِ من أبي حَنَّا بْنِ خَيْلانَ الْحَكيمِ النَّصْرانِيِّ بِمَدينَةِ حَرَّانَ، ثم قَفَلَ إلى بَغْدادَ، وَقَرَأَ بها عُلومَ الْفَلْسَفَةِ، وَتَمَهَّرَ في كُتِبِ أرِسْطُو جَميعِها.

يُقالُ: وُجِدَ "كِتابُ النَّفْسِ"، لِأَرِسْطو وعَلَيْهِ مَكْتُوبٌ بِخَط الفارابِيِّ: إنِّي قَرَأْتُ هذا الْكِتابَ مِئَتَيْ مَرَّةٍ. ويُقالُ: قَرَأَ "السَّماعُ الطَّبِيعِيُّ" لِأَرِسْطُو أَرْبَعينَ مَرَّةً، ومع ذلك يَقولُ: إنِّي مُحْتاجٌ إلى مُعاوَدَتِهِ.

وكانَ يَقولُ: لو أَدْرَكْتُ أَرِسْطو لكنتُ أَكْبَرَ تَلامِذَتِهِ.

ثمَّ سافَرَ إلى دِمَشْقَ، ثم إلى مِصْرَ، ثم عادَ إلى دِمَشْقَ، فَأَحْسَنَ إليه سُلْطانُها سَيْفُ الدَّوْلَةِ بْنُ حَمْدانَ، وأَجْرى عليه كُلَّ يَوْمٍ أَرْبَعَةَ دَراهِمَ، لأَنَّهُ كان أَزْهَدَ النَّاسِ في الدُّنْيا، لا يَحْتَفِلُ بِأَمْرِ مُكْتَسَبٍ ولا مَسْكَنٍ، ولذلك اقْتَصَرَ على أَرْبَعَةِ دَراهِمَ. وكانَ مُنْفَرِدًا بِنَفْسِهِ، لا يكونُ إلَّا عند مُجْتَمَعِ[1] مَاءٍ، أو مُشْتَبَكِ رِياضٍ، ويُؤَلِّفُ كُتُبَهُ هناكَ، وكان أَكْثَرُ تَصانِيفِهِ في الرِّقاعِ، ولم يُصَنِّفْ في الْكَرارِيسِ إلا قَليلًا، فَلِذلِكَ كانَتْ أَكْثَرُ تَصانِيفِهِ فُصولًا وَتَعليقاتٍ، وبعضُها مَبْتورًا ناقِصًا.

وَيُحْكَى أَنَّهُ دَخَلَ على مَجْلِسِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ وهو بِزِيِّ الْأَتْراكِ، وكان ذلك زِيَّهُ دائِمًا، فَتَخَطَّى رِقابَ النَّاسِ، وكان الْمَجْلِسُ مُجْتَمَعَ الْفُضَلاءِ، حتى انْتَهَى إلى مِسْنَدِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ وَزاحَمَهُ، حتى أَخْرَجَهُ عنه، فقالَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ لِمَمالِيكِهِ بِلِسانٍ خاصٍّ يُسَارُّ بهم وَهذا الشَّيْخُ قد أساءَ الأَدَبَ، وإنِّي مُسائِلُهُ عن أَشْياءَ، إن لم يُوَفِّ بها فَاخْرُجوا به، فقال أبو نَصْرٍ بذلك اللِّسانِ: أَيُّها الْأَميرُ، اصْبِرْ فإنَّ الأمورَ بِعَواقِبِها، فقال سَيْفُ الدَّوْلَةِ: أَتُحْسِنُ بهذا اللِّسانِ، قال: نعم:

(1) مجمع، في قونية.

بل أكْثَرَ من سَبْعينَ لِسانًا. فَعَظُمَ عندَهُ، ثم أخَذَ يَتكَلَّمُ في كُلِّ فَنٍّ حتى بَذَّ[1] جَميعَ الْحاضِرينَ، فَخَلَا به سَيْفُ الدَّوْلَةِ، فقال له: هل تَشْرَبُ؟ فقال: لا، فقال: تَسْمَعُ؟ قال: نعم؛ فَأَحْضَرَ الْآلاتِ، فما حَرَّكَ أحَدٌ منها شَيْئًا إلَّا وَعابَهُ أبو نَصْرٍ، ثم أخْرَجَ من وَسَطِهِ خَريطَةً، وأخْرَجَ منها عِيدانًا، فَرَكَّبَهَا فَلَعِبَ بها، فَضَحِكَ كلُّ من حَضَرَ؛ ثُمَّ فَكَّهَا وَرَكَّبَهَا تَرْكيبًا آخَرَ، وضَرَبَ بها، فَبَكَى كلُّهُمْ، ثم فَكَّهَا وغَيَّرَ تَرْكيبَهَا، وَحَرَّكَهَا، فَنَامُوا كُلُّهُمْ حتى الْبَوَّابُ، فتَرَكَهُمْ نِيامًا وَخَرَجَ.

ويُحْكَى أنَّ الْآلَةَ الْمُسَمَّاةَ بِالْقانونِ من تَرْكيبِهِ.

تُوُفِّيَ سنةَ تِسْعٍ وَثَلاثينَ وَثَلاثِمِئَةٍ بِدِمَشْقَ، وقد ناهَزَ ثَمانينَ سَنَةً. وعَدَدُ مُصَنَّفاتِهِ من الْكُتُبِ والرَّسائِلِ سَبْعونَ، كُلُّهَا نافِعَةٌ، سِيَّمَا كِتابانِ في الْعِلْمِ الْإِلَهِيِّ والْمَدَنِيِّ لا نَظيرَ لهما، أَحَدُهُما الْمَعْروفُ: بـ "**السِّياسَةُ الْمَدَنِيَّةُ**"، والآخَرُ بـ "**السِّيرَةُ الْفاضِلَةُ**".

وصَنَّفَ كِتابًا شَريفًا في **إِحْصاءِ الْعُلومِ والتَّعْرِيفِ بأَغْراضِهَا**، لم يَسْبِقْ إليه أحَدٌ، ولا ذَهَبَ أحَدٌ مَذْهَبَهُ، ولا يَسْتَغْنِي عنه أحَدٌ من طُلَّابِ الْعِلْمِ. وكذا كِتابُهُ في **أغْراضِ أفْلاطونَ وأرِسْطو**، اطَّلَعَ فيه على أسْرارِ الْعُلومِ وثِمارِها عِلْمًا عِلْمًا، وَبَيَّنَ كيفَ التَّدَرُّجُ من بَعْضِهَا إلى بعضٍ شيئًا فشيئًا، ثم بَدَأَ بِفَلْسَفَةِ أفْلاطونَ يُعَرِّفُ بِغَرَضِهِ منها، ثم أتْبَعَ ذلك بِفَلْسَفَةِ أرِسْطُو، وَوَصَفَ

---

(1) بذَّ القائلين يبُذُّهم أي سبقهم وغلبهم. اللسان: بذذ.

أَغْراضَهُ في تَآلِيفِهِ الْمَنْطِقِيَّةِ والطَّبِيعِيَّةِ، فلا أعْلَمُ كِتابًا أَجْدَى على طَلَبِ الْفَلْسَفَةِ منه.

وَفارابُ: إحدى مُدُنِ التُّرْكِ فيما وراءَ النَّهْرِ(1).

ومن جُمْلَةِ أَساطِينِ الْحِكْمَةِ:

أبو عَلِيٍّ ابنُ سِينَا، وقد عَرَفْتَهُ.

والْإِمامُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ، وسَتَعْرِفُهُ.

ومِمَّنْ نَحَا نَحْوَهُما: **نَصِيرُ الدِّينِ الطُّوسِيُّ**، وهو مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، سُلْطانُ الْحُكَماءِ الْمُدَقِّقِينَ، وقُدْوَتُهُمْ في زَمانِهِ، جامِعُ عُلومِ الْمُتَقَدِّمينَ والْمُتَأَخِّرينَ.

وُلِدَ يَوْمَ السَّبْتِ حادِي عَشَرَ جُمادَى الأولى، سَنَةَ سَبْعٍ وتِسْعينَ وخَمْسِمِئَةٍ. **وتُوُفِّيَ** آخِرَ نَهارِ الإِثْنَيْنِ ثامِنَ عَشَرَ ذي الْحِجَّةِ، وَقْتَ مَغِيبِ الشَّمْسِ سَنَةَ اثْنَيْنِ وَسَبْعينَ وَسِتِّمِئَةٍ. وَدُفِنَ بالْمَشْهَدِ الْكاظِمِيِّ، على ساكِنِها أَفْضَلُ السَّلامِ.

وكانَ آيَةً في التَّدْقِيقِ والتَّحْقِيقِ، وَحَلِّ الْمَواضِعِ الْمُشْكِلَةِ، سِيَّمَا لُطْفُ التَّحْريرِ الَّذِي لم يَلْتَفِتْ إليه الْمُتَقَدِّمونَ، بل الْتَفَتُوا جانِبَ الْمَعْنَى فَقَطْ. وهو اخْتَرَعَ في التَّحْريرِ أُسْلوبًا يَسْهُلُ أَخْذُ الْمَعْنَى منه، مع التَّحَرُّزِ عن أَلْفاظٍ

---

(1) وفيات الأعيان: 5/ 153-157.

زائِدَةٍ، وكَلِماتٍ مُغْلَقَةٍ، وإن لم تُصَدِّقْنِي في ذلك، فَعَلَيْكَ بِتَتَبُّعِ تصانِيفِ الْقُدَماءِ إلى زَمانِهِ، بحيث تَجِدُ بينهما فَرْقًا أيَّ فَرْقٍ.

ثمَّ إنَّ الفاضِلَ الشَّرِيفَ قَلَّدَهُ في أمْرِ التَّحْرِيرِ والتَّقْرِيرِ، كما يَظْهَرُ لَكَ بالنَّظَرِ في تَصانِيفِهِما، إلَّا أنَّهُ ـ تَجَاوَزَ اللهُ عنه ـ كانَ غَالِيًا في التَّشَيُّعِ، كما يُفْصِحُ عنه الْمَقْصَدُ السَّادِسُ في **"التَّجْرِيدُ"**، وكان يُحْكَى عنه مع ذلكَ أمُورٌ لا تُناسِبُ رُتْبَتَهُ في الْعِلْمِ، حيث كان في مَعْنَى الْوَزِيرِ لِلْكافِرِ الْمُسَمَّى بِهولاكُو، مَلِكِ التُّرْكِ الطُّغَاةِ. وهو الَّذِي أغارَ على بِلادِ الْمُسْلِمينَ وَخَرَّبَهَا، وانْقَطَعَتْ بِسَبَبِهِ سِلْسِلَةُ الْخِلافَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ في بَغْدادَ، وَجَرَى ما جَرَى مِمَّا اشْتَهَرَ أمْرُهُ، ويَطولُ شَرْحُهُ. [البسيط]

وكانَ ما كانَ مِمَّا لَسْتُ أَذْكُرُهُ فَظُنَّ شَرًّا ولا تَسْأَلْ عن الْخَبَرِ

إلَّا أنَّ الشَّيْخَ أَكْمَلَ الدِّينِ قال في آخِرِ شَرْحِهِ لِلتَّجْرِيدِ، سَمِعْتُ شَيْخِي الْعَلَّامَةَ، وهو مَوْلانا قُطْبُ الدِّينِ الشِّيرازِيُّ رَحِمَهُ الله، أنَّهُ قالَ: كانَ النَّاسُ مُخْتَلِفِينَ في أنَّ هذا الْكِتابَ ـ يَعْنِي **"التَّجْرِيدُ"** ـ لِخَواجَةَ نَصِيرِ الدِّينِ أوَّلًا، فَسَأَلْتُ عن ذَلكَ ابْنَهُ خَواجَةَ أَصِيلَ الدِّينِ، فقال: كانَ والِدِي وَضَعَهُ إلى بابِ الْإمامَةِ، وتُوُفِّيَ، فَكَمَّلَهُ ابْنُ الْمُطَهَّرِ الْحِلِّيُّ، وكانَ من الشِّيعَةِ، وهو زائِغٌ زَيْغًا عَظِيمًا. فَعَلَى هذه الرِّوايَةِ يَكونُ هو بَرِيئًا عن نَقِيصَةِ التَّشَيُّعِ، إلَّا أنَّ الْمَشْهورَ عند الْجُمْهورِ خِلَافُهُ. والله حَسِيبُهُ، وهو أعْلَمُ بِحَقِيقَةِ الْحالِ، وَكَيْفِيَّةِ الْمَآلِ.

وَمِمَّنْ يَلِي هؤلاءِ في مَعْرِفَةِ الْحِكْمَةِ: الشَّيْخُ شِهابُ الدِّينِ السُّهْرَوَرْدِيُّ، بل فاقَ كَثيرًا منهم في الْحِكْمَةِ الذَّوْقِيَّةِ، وقد عَرَفْتَهُ.

ومِمَّنِ انْخَرَطَ في سِلْكِهِمْ: الْعَلَّامَةُ مَوْلانَا قُطْبُ الدِّينِ الشِّيرازِيُّ، والْعَلَّامَةُ مَوْلانَا قُطْبُ الدِّينِ الرَّازِيُّ - وقد عَرَفْتَهُمَا - ومَوْلانَا سَعْدُ الدِّينِ التَّفْتازانِيُّ، والسَّيِّدُ الشَّرِيفُ الْجُرْجانِيُّ، ثم مَوْلانَا جَلالُ الدِّينِ الدَّوَّانِيُّ، ومن فُضَلاءِ بِلادِنَا: مَوْلانَا مُصْلِحُ الدِّينِ مُصْطَفَى الشَّهِيرُ بخَواجَةَ زَادَهْ؛ ومُصْلِحُ الدِّينِ مُصْطَفَى الشَّهِيرُ بالْقَسْطَلَّانِيِّ؛ لَكِنْ هؤلاءِ السَّبْعَةُ قد فَاقوا[1] على أَكْثَرِ الْمُتَقَدِّمينَ في الْحَديثِ والتَّفْسِيرِ والْأَصْلَيْنِ وَالْفُروعِ، إلَّا الْإِمامَ فَخْرَ الدِّينِ الرَّازِيَّ، فإنَّهُ تَمَهَّرَ فيها، مع مُشَارَكَتِهِ لِهَؤلاءِ [في][2] الْعُلومِ الْحِكْمِيَّةِ بأَقْسامِهَا، إلَّا أنَّ إتْقَانَهُمْ أَقْوَى من إتْقانِهِ.

واعْلَمْ أنَّ الْكُتُبَ الْمُصَنَّفَةَ في الْعِلْمِ الْإِلَهِيِّ، لمَّا لم تَخْلُ عن الرِّياضِيِّ والطَّبِيعِيِّ أَيْضًا، أَحْبَبْنا أنْ نَذْكُرَها بعد الْفَراغِ عن الْكُلِّ، اللَّهُمَّ إلَّا نادِرًا، كـ "الْمَباحِثُ الْمَشْرِقِيَّةُ"، لِلإمامِ فَخْرِ الدِّينِ الرَّازِيِّ وأَمْثالِهِ.

ولا تَظُنَّنَّ أنَّ الْعُلومَ الْحِكْمِيَّةَ مُخالِفَةٌ لِلْعُلومِ الشَّرْعِيَّةِ الْبَتَّةَ، وليس كذلكَ، بل الْخِلافُ في مَسائِلَ يَسِيرَةٍ، وبَعْضُها مُخالِفٌ ظاهِرًا، لكن إنْ حُقِّقَ، يُصافِحُ أحَدُهُما الْآخَرَ ويُعانِقُهُ.

---

(1) فعل فاق لا يتعدى بعلى.

(2) سقطت من قونية.

الشُّعْبَةُ الثَّانية: في فُروعِ الْعِلْمِ الإِلَهِيِّ

عِلْمُ مَعْرِفَةِ النُّفوسِ الإِنْسانِيَّةِ بَدْءًا وَعَوْدًا، وأَنَّها قَدِيمَةٌ، أو حادِثَةٌ، أو مَحْشورَةٌ، أو غَيْرُ مَحْشورَةٍ.

وَمَوْضوعُهُ وغَرَضُهُ لا يَخْفَى على الْفَطِنِ.

عِلْمُ مَعْرِفَةِ الْمَلائِكَةِ

هو[1] **الْعِلْمُ الْباحِثُ** عن أحْوالِ الْمُجَرَّداتِ التي لا تَتَصَرَّفُ في الْبَدَنِ، وأَحْوالِها، وكَيْفِيَّةِ صُدورِهَا عن مَبْدَئِهَا.

ومَوْضوعُهُ وغايَتُهُ وغَرَضُهُ ظاهِرٌ لمن تَمَهَّرَ في الْعِلْمِ الإِلَهِيِّ.

عِلْمُ مَعْرِفَةِ الْمَعادِ

وهو عِلْمٌ باحِثٌ عن أحْوالِ النَّفْسِ بعد الْمُفارَقَةِ عن الْبَدَنِ، حيث يَتَعَلَّقُ بالْبَدَنِ أخْرَى أم لا؟ أم هَلْ يُمْكِنُ لها السَّعادَةُ أو الشَّقاوَةُ؟ وهل يَتَبَدَّلُ أَحَدُهُمَا[2] بالأُخْرَى؟ وما سَبَبُ كُلٍّ مِنْهُمَا؟

ومَوْضُوعُهُ وغَرَضُهُ وَنَفْعُهُ لا يَحْتاجُ إلى الْبَيانِ.

---

(1) هي، في رئيس الكتاب وأنطاليا.

(2) أحديهما، في رئيس الكتاب وأنطاليا ومراد ملا.

عِلْمُ أَمارَاتِ النُّبُوَّةِ

من الْإِرْهاصَاتِ، والْمُعْجِزاتِ الْقَوْلِيَّةِ والْفِعْلِيَّةِ، وأمْثالِ ذلك، وكَيْفِيَّةِ دَلالَةِ هذه على النُّبُوَّةِ، والْفَرْقِ بينها وبينَ السِّحْرِ، وتَمْييزِ الصَّادِقِ من الْكاذِبِ.

ومَوْضوعُهُ وغايَتُهُ وغَرَضُهُ ظاهِرَةٌ جِدًّا.

وَمَنْفَعَتُهُ أعْظَمُ الْمَنافِعِ.

وفي هذا الْعِلْمِ مُصَنَّفاتٌ كَثِيرَةٌ، لكنه لا أنْفَعَ ولا أَحْسَنَ من كتابِ **"أَعْلامُ النُّبُوَّةِ"**، لِلشَّيْخِ الإمامِ أبي الْحَسَنِ عَلِيِّ بنِ مُحَمَّدِ بنِ حَبيبٍ الْمَاوَرْدِيِّ. وهو كانَ من كِبارِ الْفُقَهاءِ الشافِعِيَّةِ. أَخَذَ الْفِقْهَ عن أبي حامِدٍ الْأَسْفَرايِينِيِّ بِبَغْدادَ، وأبي الْقاسِمِ الصَّيْمَرِيِّ. وكان حافِظًا لِلْمَذْهَبِ. وله فيه: كِتابُ **"الْحاوِي"**[1]، وله تَفْسيرُ الْقُرْآنِ الْكَريمِ: **"النُّكَتُ والْعُيونُ"**، و**"أَدَبُ الدِّينِ والدُّنْيا"**، و**"الْأَحْكامُ السُّلْطانِيَّةُ"**، و**"قانونُ الْوِزارَةِ"**، و**"سِياسَةُ الْمُلْكِ"**، و**"الْإِقْناعُ في الْمَذْهَبِ"**. وغيرُ ذلكَ.

وفُوِّضَ إليه الْقَضاءُ ببلدانٍ كَثيرةٍ. واسْتَوْطَنَ بَغْدادَ. وتُوُفِّيَ يومَ الثُّلاثاءِ، سَلْخَ رَبيعِ الْأَوَّلِ، سنةَ خَمْسينَ وأربعمئةٍ، وعُمُرُهُ سِتٌّ وثَمانونَ سنةً[2].

---

(1) "الحاوي الكبير في الفروع". وهو مطبوع.

(2) وفيات الأعيان: 3/ 282-284.

عِلْمُ مَقالاتِ الْفِرَقِ[1]

وهو عِلْمٌ باحِثٌ عن ضَبْطِ الْمَذاهِبِ الْباطِلَةِ الْمُتَعَلِّقَةِ بالِاعْتِقاداتِ الْإِلَهِيَّةِ. وهي على ما أَخْبَرَ به نَبِيُّنا مُحَمَّدٌ، صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ، عن هذهِ الأمَّةِ، اثْنَتانِ وسَبْعونَ فِرْقَةً.

وَمَوْضوعُهُ وغايَتُهُ وغَرَضُهُ ومَنْفَعَتُهُ ظاهِرَةٌ جِدًّا. وقد تَكَفَّلَ بِتَفْصيلِ مُجْمَلاتِهَا الْقاضي مَوْلانا عَضُدُ الدِّينِ، في آخِرِ كِتابِهِ **"الْمَواقِفُ من عِلْمِ الْكَلامِ"**[2].

ومِمَّنْ أَوْرَدَ فِرَقَ الْمَذاهِبِ في الْعالَمِ كُلِّهَا: **مُحَمَّدُ الشَّهْرَسْتانِيُّ** في كِتابِ **"الْمِلَلُ والنِّحَلُ"**. وهو أبو الْفَتْحِ مُحَمَّدُ بنُ أبي القاسِمِ عبدِ الْكَريمِ بنِ أبي بَكْرِ أَحْمَدَ الشَّهْرَسْتانِيُّ، الْمُتَكَلِّمُ على مَذْهَبِ الْأَشْعَرِيِّ. كان إمامًا مُبَرِّزًا، فَقيهًا مُتَكَلِّمًا. تَفَقَّهَ على أَحْمَدَ الْخَوافِيِّ[3] الْمُتَقَدِّمِ ذِكْرُهُ[4]، وعلى أَبِي نَصْرٍ الْقُشَيْرِيِّ، وغيرِهِمَا. وَبَرَعَ في الْفِقْهِ، وَقَرَأَ الْكَلامَ على أبي الْقاسِمِ الْأَنْصارِيِّ، وَتَفَرَّدَ فيهِ.

---

(1) مقالات علم الفرق، في مراد ملا.

(2) طبع بعنوان: المواقف في علم الكلام.

(3) الحوافي في النسخ الخطية وهو تصحيف والصواب ما أثبتنا من مصدر النقل وهو وفيات الأعيان: 1/ 96، نسبة إلى خواف ناحية من نواحي نيسابور، وأحمد بن محمد بن المظفر الخوافي، فقيه شافعي كان انظر أهل زمانه، تفقه على إمام الحرمين الجويني، (ت.500هـ) ترجمته في: وفيات الأعيان: 1/ 96، والوافي بالوفيات: 8/ 127، وطبقات الشافعية للسبكي: 6/ 63.

(4) لم يتقدَّمْ ذكره هنا، وإنما نقل عبارة ابن خلكان كما وجدها.

وَصَنَّفَ: كتابَ "**نِهايَةُ الإِقْدامِ في عِلْمِ الْكَلامِ**"، وكتابَ "**الْمِلَلُ والنِّحَلُ**"، و"**الْمَناهِجُ**"، و"**الْبَيِّناتُ**"[1]، وكِتابَ "**الْمُصارَعَةُ**"[2]، و"**تَلْخِيصُ الأَقْسامِ لِمَذاهِبِ الأَنامِ**".

وكانَ كَثيرَ الْمَحْفوظِ، حَسَنَ الْمُحاوَرَةِ، يَعِظُ النَّاسَ. ودَخَلَ بَغْدادَ سَنَةَ عَشْرٍ وخَمْسِمِئَةٍ، وأقامَ بها ثَلاثَ سِنينَ، وظَهَرَ له قَبولٌ كَثيرٌ عند الْعَوامِّ. وسَمِعَ الْحَديثَ من عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ الْمَدِينِيِّ بِنَيْسابورَ، ومن غَيْرِهِ. وكَتَبَ عنه الْحافِظُ أبو سَعْدٍ عبدُ الْكَريمِ السَّمْعانِيُّ.

وكانَتْ وِلادَتُهُ سنَةَ سبعٍ وسِتِّينَ، أو تِسْعٍ وسَبْعينَ وأربَعِمِئَةٍ بِشَهْرَسْتانَ. **وَتُوُفِّيَ** بها أَيْضًا في أواخِرِ[3] شَعْبانَ، سَنَةَ ثَمانٍ أو تِسْعٍ وأَرْبَعينَ وخَمْسِمِئَةٍ[4].

وَشَهْرَسْتانُ: مَدينَةٌ في خُراسانَ.

وَذَكَرَ في أَوَّلِ "**نِهايَةُ الإِقْدامِ**" الْمَذْكورِ بَيْتَيْنِ، ولم يَذْكُرْ أَنَّ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ لِمَنْ: [الطويل]

لَقَدْ طُفْتُ في تِلْكَ الْمَعاهِدِ كُلِّها ... وَسَيَّرْتُ طَرْفِي بين تِلْكَ الْمَعالِمِ[5]
فَلَمْ أَرَ إِلَّا واضِعًا كَفَّ حائِرٍ ... على ذَقَنٍ أو قارِعًا سِنَّ نادِمِ

(1) كتاب الآيات البينات في إثبات الصانع.
(2) مطبوع بعنوان مصارعة الفلاسفة.
(3) آخر، في رئيس الكتاب.
(4) وفيات الأعيان: 4/ 273-275.
(5) البيتان في وفيات الأعيان: 2/ 161، 4/ 274.

قُلْتُ: وَجَدْتُ في بعض الْمَجامِيعِ أنَّ الْبَيْتَيْنِ اللَّذَيْنِ ذَكَرَهُما الشَّهْرَسْتانِيُّ في "**نِهايَةُ الإِقْدامِ**" لأبي عَلِيٍّ ابْنِ سِينَا، واللهُ أعْلَمُ.

وَفَّقَنَا اللهُ تعالى لِلْقَوْلِ الصِّدْقِ، والْمَذْهَبِ الْحَقِّ، وألَّا تَزِلَّ أقْدامُنا عن الصِّراطِ السَّوِيِّ، والْمَنْهَجِ الْواضِحِ الْقَوِيِّ، وَيَسَّرَ لنا الاِهْتِداءَ بِدينِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ، وبِطَرِيقَةِ من اتَّبَعَ سُنَّتَهُ، واخْتَارَ شَرِيعَتَهُ، رَضِيَ الله تَعالَى عنهم أَجْمَعينَ.

عِلْمُ تَقاسِيمِ الْعُلومِ

وهو **عِلْمٌ** باحِثٌ عن التَّدَرُّجِ من أعَمِّ الْمَوْضوعاتِ إلى أخَصِّها، لِيَحْصُلَ بذلك مَوْضوعُ الْعُلومِ الْمُنْدَرِجَةِ تحت ذلك الْأَعَمِّ. ولمَّا كان أعَمَّ الْعُلومِ مَوْضوعًا الْعِلْمُ الإِلَهِيُّ، جُعِلَ تَقْسيمُ الْعُلومِ من فُروعِهِ، وَيُمْكِنُ التَّدَرُّجُ فيه من الْأَخَصِّ إلى الْأَعَمِّ، على عَكْسِ ما ذُكِرَ، لَكِنَّ الْأَوَّلَ أسْهَلُ وأَيْسَرُ.

وَمَوْضوعُ هذا الْعِلْمِ، والْغايَةُ والْغَرَضُ منه وَمَنْفَعَتُهُ، كُلُّهَا لا يَخْفَى على أحَدٍ.

وصَنَّفَ ابْنُ سِينَا في هذا الْعِلْمِ **رِسالَةً لَطيفَةً**(1). وهذه الرِّسالَةُ التي نحن بِصَدَدِ تَنْقِيحِها وتَهْذيبِها عَظِيمَةُ النَّفْعِ في هذا الْبابِ، واللهُ أعْلَمُ بالصَّوابِ.

---

(1) "رسالة في أقسام العلوم العقلية".

الشُّعْبَةُ الثَّالِثَةُ: في الْعِلْمِ الطَّبِيعِيِّ

وهو عِلْمٌ يُبْحَثُ[1] فيه عن أَحْوالِ الْأَجْسامِ الطَّبِيعِيَّةِ بأنْواعِهَا.

وَمَوْضوعُهُ: الْجِسْمُ من حيثُ كَوْنُهُ مُتَغَيِّرًا.

وَمَنْفَعَتُهُ: مَعْرِفَةُ أَحْوالِ الْأَجْسامِ الْبَسِيطَةِ من الْأَفْلاكِ والْعَناصِرِ، والْمُرَكَّبَةِ؛ كَالْمَوالِيدِ الثَّلاثَةِ، وكائِناتِ الْجَوِّ، وَغَيْرِ ذلك من الْحَوادِثِ الْعَجِيبَةِ، وغَرائِبِ الْمِزاجاتِ، من الْأَحْجارِ والنَّباتاتِ والْحَيواناتِ.

ومن الْكُتُبِ النَّافِعَةِ فيه:

"**كِتابُ أَرِسْطو طاليسَ**"[2]، أَوْرَدَ فيه ثَمانيةَ أجْزاءٍ هي الْأصولُ، وَجَرَّدَها الشَّيْخُ أبو عِلِيٍّ ابْنُ سِينَا في مُخْتَصَرٍ تَرْجَمَهُ بـ "**الْمُقْتَضَياتُ**". وَسَنَذْكُرُ كُتُبًا تَشْتَمِلُ على: الْمَنْطِقِ، والطَّبِيعِيِّ، والْإِلَهِيِّ.

ولِلْعِلْمِ الطَّبِيعِيِّ سَبْعَةُ فُروعٍ، وعند الْبَعْضِ عَشَرَةٌ، وهي:

عِلْمُ الطِّبِّ، وعِلْمُ الْبَيْطَرَةِ والْبَيْزَرَةِ، وعِلْمُ الْفِراسَةِ، وعِلْمُ تَعْبِيرِ الرُّؤْيَا، وعِلْمُ أَحْكامِ النُّجومِ، وعِلْمُ السِّحْرِ، وعِلْمُ الطِّلَسْمَاتِ، وعِلْمُ السِّيمِيَاءِ، وعِلْمُ الْكِيمِياءِ، وعِلْمُ الْفِلاحَةِ.

---

(1) باحث، في أنطاليا.

(2) يقصد كتابه "علم الطبيعة".

وذلك لأنَّ نَظَرَهُ إمَّا فيما يَتَفَرَّعُ على الْجِسْمِ الْبَسيطِ، أو الْمُرَكَّبِ، أو ما يَعُمُّهُمَا.

والأَجْسامُ الْبَسيطَةُ: إمَّا الْفَلَكِيَّةُ، فَأَحْكامُ النُّجومِ، وإمَّا الْعُنْصُرِيَّةُ، فَالطِّلَسْمَاتُ.

والأَجْسامُ الْمُرَكَّبَةُ: إمَّا ما لا يَلْزَمُهُ مِزاجٌ، وهو عِلْمُ السِّيمِياءِ؛ أو يَلْزَمُهُ مِزاجٌ، فإمَّا بغير ذي نَفْسٍ فَالْكِيمِياءُ، أو بذي نَفْسٍ، فإمَّا غَيْرُ مُدْرِكَةٍ؛ كَالْفِلاحَةِ، أو مُدْرِكَةٍ، فإمَّا مع كَمالٍ أن يَعْقِلَ أو لا.

الثاني: **الْبَيْطَرَةُ وَالْبَيْزَرَةُ**، وما يَجْرِي مَجْراهُما، والَّذِي لِذِي النَّفْسِ الْعاقِلَةِ هو الْإِنْسانُ، وذلِكَ إمَّا في حِفْظِ صِحَّتِهِ واسْتِرْجاعِهَا وهو الطِّبُّ، أو أَحْوالِهِ الظَّاهِرَةِ الدَّالَّةِ على الْأَحْوالِ الْبَاطِنَةِ فَالْفِراسَةُ، أو أَحْوالِ نَفْسِهِ حَالَ غَيْبَتِهِ عن حِسِّهِ وهو تَعْبِيرُ الرُّؤْيا، وَالْعامُّ لِلْبَسيطِ والْمُرَكَّبِ السِّحْرُ.

فَلْنَذْكُرْ هذه الْعُلومَ على هذا النَّهْجِ في شُعْبَةٍ، ثم لِنَذْكُرْ فُروعَ الْفُروعِ في شُعْبَةٍ أُخْرَى.